

مؤلفات شروت أباظة



تلافا



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المقالات

مؤلفات .. ١١ شروت اباظة

المقالات



المكتبة العامة للعلماء والكتاب
١٩٩٨

آدم الجديد

الفصل الأول

كان حيدر أبو عبيد تواقا أن يهب له الله غلاما من زوجته زنوبة الملوانى التى تزوج بها منذ ثلاث سنوات .

وما كان زواجه عن حب وانما بعد تفكير وتدبر وبالاحاح على أبيه فقد كان يرجو أباه أن يخطب له ولم يكن حيدر رهيف القواد ولا كان تعلق بفتاة بعينها . ولا كان يعنيه أن تكون زوجة ذات جمال أو شيء من مال ولا أن تكون ذات رشاقة أو تكون هيفاء القوام .

كل ما كان يريده أن يتزوج وحين فاتح أباه عبيد الكيالى فى هذا الأمر فوجيء بأبيه يقول له بعد صمت قصير :

– انتظر حتى يختار ربنا الى جواره أحد فتيان القرية .

وتولى الدهول حيدر :

– ما صلة زواجى يا آبا بموت واحد من فتيان القرية .

– يكون مهرها نصف الفتاة البكر .

– واذا لم يمت أحد من فتيان القرية .

– لابد أن يموت .

– متى ؟

– حين يريد الرحمن الرحيم .

– قد تمر سنوات .

– ونحن ماذا وراءنا ؟

وأطرق حيدر لحظات ثم قال :

– وماذا نفعل اذا كانت زوجة الذى يموت عندها عيال وتضطر أو

أضطر أنا أن أنفق عليهم من دم قلبى .

– قد تكون بلا عيال .

– اذن فقد تكون عقيما .

– أو يكون الزوج هو العقيم .

- اذن يا آبا أنت تريد أن تنتظر حتى يموت فتى من فتى
مشقلبان • وأن يكون هذا الفتى عقيماً •

- لا يكثر على الله يا بنى •

- كثر خيرك يا آبا •

وانصرف حيدر عن أبيه وراح يفكر وحده فى هذا البخل الشديد
«الذى خلقه الله مع هذا الأب •

فهو شحيح بالسليقة حتى ليفكر اذا شرب كم يكلفه كوب الماء وهل
يحتاج اليه كاملاً أم يكتفى بنصفه •

ولم يستطع رغم هذا التقير والشح على نفسه وعلى بنيه أن يجمع
شيئاً من المال يساوى العيشة الضنك التى يعيشها هو وابنه وابنتاه •

ذهب حيدر فى ذلك اليوم الى صديقه بيومى رمضان وروى له
الحوار الذى دار بينه وبين أبيه وعجب أن بيومى لم يدهش بل قال :

- ان فعل أبوك غير هذا فلا يكون عم عبيد الذى نعرفه •

- لك حق ولكن كيف استطاع أن يصل الى هذا التفكير ؟ المهم
ما الحل ؟

- لا حل الا أن تعتمد على نفسك •

- كيف ؟

- اسرح معى •

- ماذا أفعل ؟

- ما أفعله •

- يا أخى أنت تشتري أردبين ذرة أو قمح أو شعير قبل موعد
«الحصاد بثمان بخت من ضاقت بهم الحياة واضطروا الى مال قبل الحصاد
وتبيع ما تشتري بعد الحصاد وتكسب شيئاً هائلاً ولا يكاد ما تكسبه
يكفيك ومع ذلك تريدنى أن أسرح معك •

- جرب حظك •

- ومن أين لى برأس المال •

- أى مبلغ •

- أنت تعرف البير وغطاه •

- أسلفك فى العملية الأولى .

- على بركة الله .

وحدث فعلا ما توقعه بيومى وبدأ حيدر يكسب صبايات من المال استطاع فى نهاية العام أن يكتنز منها عشرين جنيها . وخيل إليه أنه أصبح من الأثرياء فعشرون جنيها كانت تعنى شيئا ذا شأن وخاصة لابن عبيد الكيالى .

قال بيومى :

- ما رأيك ؟

- الحمد لله .

- ليس هذا ما أسألك فيه .

- اذن ماذا تريد ؟

- ألا تكفى هدم الجنيهاات لتجعلنى أتزوج .

- ولم لا ، على أن تختار فتاة فقيرة يريد أهلها أن يزوجوها لأى أحد مهما يكن فقيرا وأبوه عم عبيد الكيالى .

- وأنا لا يهمنى من تكون وهل تتصور أن أكون ابن عمك عبيد الذى لا يجهل أحد بخله وأضع شروطا للزوجة التى تقبلنى .

- توكل على الله .

- أتعرف واحدة ؟

- أعرف .

- انطق .

- زنوبة .

- بنت حميدة بائعة الفجل .

- ما عيبها ؟

- والله نعم الاختيار . ثم ان البنت أيضا ليست قبيحة قبيحا يدعو

الى النفور .

- على العكس . . بيضاء وقوامها حلو .

- على بركة الله .

- هيا نذهب الى أبنك ليخطبها لك .

- وأبى ما شأنه بهذا .

- انه أبوك مهما كان شحيحا جلدة .

– لو طلبت منه ذلك سيرفض طبعاً •

– قل له انك ستدفع المهر من جيبك •

– ولو ، أليست ستعيش معنا فى البيت وستكلفه المأكل والمشرب
لقد زوج خيرية وروحية قبل أن يبلغا السادسة عشر ليتخلص من طعامهما
وشربهما •

– اسمع •

– ماذا ؟

– هيا بنا الى خالتك حميدة مباشرة وما فيه الخير يقدمه ربنا •

وفعلا قدم الله سبحانه الخير لحيدر وقبلت حميدة زواجه من زنوبة
ولكنها توسلت اليه :

– اسمع يا حيدر أنا وزنوبة ليس لنا رجل وأنا والحمد لله أكسب
طعامى ولا أطمع فيك ولكنى أرجوك أن تعيش معنا فى البيت حتى
لا أصبح وحدى اذا أخذت أنت بنتى الوحيدة •

وفكر حيدر قليلا ، ولم لا اننى بهذا سأكون قد ارضيت أبى كل
الارضاء وأنا الآن عرفت طريقى بتسويق بضعة الأجولة من الحبوب
وأستطيع أن أنفق على نفسى وعلى زوجتى وأمها أيضا اذا اقتضى الأمر
وحينئذ لن يجد أبى سببا فى منعى من الزواج •

– والله القول قولك يا أمه حميدة •

وذهب الى أبيه وقبل أن يكمل حديثه قال أبوه :

– ألم تجد الا بنت حميدة •

وأكمل حيدر متغاضيا عن اعتراض أبيه :

– ومعى مهرها وسنعيش فى بيت أمها •

ولم يمهل أبوه بل سارع :

– والله ونعم الاختيار خذوهم فقراء يفنكم الله •

– أطال الله عمرك •

– والفرح من سيدفع تكاليفه •

– ولا فرح ولا يحزنون • ثلاث زجاجات شربات وكم نفر من

الأعيان ودمتم • وأنا الذى سأشتري الشربات وتم الزواج •

★★★

ومرت عليه ثلاث سنوات دون أن تنجب زنوبة له طفلا وكان هو
قد مرن على العمل فى سوق الغلال ولكن فى كميات غاية فى الهوان
والضآلة • ولهذا لم يكن عجيبا أن يعيش حياة فيها كثير من الاقتصاد
إذا أشفقنا أن نقول فيها كثير من الضيق •

ومع ذلك كان يتوق الى طفل •
وشاء الخلاق العظيم أن يحقق له أمنيته وحملت زنوبة • وربما كان
مما يستحق الذكر أنها ولدت ولدها يوم مات جده عبيد وربما فى نفس
اللحظة وصدق بيت شوقي العظيم الذى استوحاه من القرآن الكريم :

فقلت أحكامك حرنا لها يا مخرج الحى من الميت

وفرّح حيدر كل الفرّح بالولد الذى رزق به ولعله فى خبيثة نفسه
فرّح أيضا بموت أبيه ولكنه اضطرّ تحسبا للناس وتقدمهم أن يلجم
الفرحتين • وأقام لأبيه شبه مآتم ولم تجرؤ واحدة من النسوان اللواتى
حضرن ولادة ابنه أن تزغرد أو أن تبدى أى فرّح بمجيء الغلام •
وهكذا قدم ابن حيدر البكر فى مآتم جده قدوما صامتا لا يجاوب
فيه بكاء المولود زغاريد ذويه وصديقات أمه •

لم يجد حيدر اسما خيرا من عبد الشكور ليسمى به ابنه وكيف
لا يشكر الله وقد ورث خمسمائة جنيه عن أبيه ورزق بابنه البكر فى
يوم واحد •

الفصل الثانى

أوشك الجيش الألماني أن يدخل مصر حين وصل العليين • وراحت
الجيشون الانجليزية تجمع أوراقها •

وفجأة انقلبت المعارك انقلابا تاما لصالح الجيش البريطانى وتشتت
الجيش الألماني نددا فى الصحراء وأصبح هم الجنود الألمان الباقين على
وجه الحياة من الجيش الألماني أن يهربوا من الأسر الانجليزية •

وانتشر من الجنود الألمان فى قرى الدلتا وكان من نصيب شقيلبان
جنديان من الألمان هما مارك وهوفمان وكان مارك يجيد الانجليزية ولم
يكن فى شقيلبان أحد يستطيع أن يكمل جملة انجليزية الا عبد الشكور
الذى كان قد وصل الى السنة الثانية من التجارة المتوسطة التى دخلها
بعد جهد جهيد مع والده حيدر الذى كان يصر أن يخرج من المدارس بعد
الابتدائية ورفض كل الرفض أن ينتسب الى الدراسة الثانوية •

— والله لا يمكن •

— يا آبا أنا لا أمل لى فى الحياة الا أن أحصل على شهادة جامعية •

— كنت ابن من أنت حتى تنال شهادة جامعية •

— أقل منى حصلوا عليها •

— آباؤهم كانوا يطبقون •

— ادفع لى المصاريف وأنا سأعمل وأعيش •

— هذا كلام حتى اذا دخلت القاس فى الراس أصبحت مضطرا أن

أتكفل أنا بكل شيء • وكان بيومى رمضان حاضرا فإذا هو يصيح فجأة :

— تاهت ووجدناها •

ونظر حيدر اليه فى لهفة وأكمل بيومى :

— تدخل التجارة المتوسطة •

قال حيدر :

— ولو انها ستكلفنى انما لا بأس وأمرى الى الله •

وقال عبد الشكور :

— أمرى أنا الى الله •

وهكذا لم تجد القرية الا عيد الشكور ليرطن مع الاجنبيين اللذين قدما اليها وهما فى ملابس رثة وذقنين متطاولين واستطاع عبد الشكور أن يفهم عن مارك الذى يتقن الانجليزية كل الاتقان انهما هاربان من موقعة العلمين وانهما سارا على ساحل البحر مستعينين بالزاد الذى صحياه من جيشهما وحين بلغا الاسكندرية حرصا أن يختبئا فى النهار ويسيرا فى الليل حتى وصلا الى الطريق المؤدى الى مديرية البحيرة فراحا يتنقلان بين القرى موغلين فى الدلتا واتفقا على أن يبتعدا عن الاسكندرية ما أطافا البعد حتى لا تعثر عليهما القوات الانجليزية وفهم عبد الشكور عنهما أن القرى جميعها كانت ترحب بهما حين يعلم أهلوها أنهما من جيش هتلر ، الذى كان يمثل عند الغالبية العظمى من المصريين الخلاص من الاحتلال البريطانى البغيض •

وطلب أعيان شقيلبان الى عبد الشكور أن يلج عليهما أن يقيما عندهم عندما علموا أن مارك نجار وأن هوقمان ميكانيكى كهربائى وقد تداول الأعيان فيما بينهم وانتهى رأيهم الى هذا الطلب ، الذين أرادوا من عبد الشكور أن يبلغه للهاربين وقد ارتأى هؤلاء الأعيان انهم أولا سيكرمون جنديين من جنود هتلر وثانيا سينتفعون بخبيرين فى التجارة واصلاح ماكينات الري والدراس ورحب الجنديان بهذا العرض •

ولم يتصور أحد من القرية المدى البعيد الذى سيؤثر به بقاء هذين اللاجئين فى حياة عبد الشكور جميعها •

كان عبد الشكور رغم تلقيه الدراسة بمدرسة التجارة المنوطة يقيم فى البلدة فقد رأى أبوه أن هذا وان يكن مجهدا لولده الا أنه أكثر وفرا من أن يستأجر له حجرة فى المدينة • وهكذا كان عبد الشكور يصحو قبل الفجر ليكون بالمدرسة فى موعده •

وهكذا أيضا كان فقر أبيه المدقع سببا فيما صار اليه أمره بعد ذلك •

وفى لحظة من اللحظات التى تصيب الانسان من أحلام اليقظة حلم عبد الشكور أن يعقد صداقة بينه وبين مارك ويتعلم منه الانجليزية

والألمانية . ولماذا لا ؟ انه يعلم انه حتى بعد انتهائه من دراسته لن يجد الوظيفة فى انتظاره وقد كان يرى حملة الشهادات حيارى ضائعين بشهاداتهم لا يجدون وظيفة فقد كانت أزمة الوظائف فى تلك السنين طاحنة شأنها دائما فكيف به وهو لا يحمل الا مؤهلا متوسطا .

أصبح عبد الشكور موقنا كل اليقين ألا أمل له فى الحياة الا أن يتقن لغة ويزداد الأمل ان أصبحت اللغة لغتين .

انا لا أملك مالا ولا بد أن مارك سيحتاج الى مال . . . أبى بالكاد وبتجارته المتهافئة يقيم أود بيتنا على الرغم من أنه لا ولد له غيرى . وأنا لا أحصل على حلة الا بطلوع الروح . ولكن انتظر يا ولد يا عبد الشكور مارك لن يحتاج الى مال فقط وأغلب الأمر أن القرية بما تحتاجه من الأعمال فيها ستمكن الهاربين من الحياة انما مارك يحتاج الى من يكلمه فلا شك أنه وصديقه قد استنفدا بينهما كل حديث .

لأعقد بينى وبينه صداقة وطيدة واتفق معه أن أعلمه اللغة العربية ويعلمنى هو الانجليزية التى يتقنها ولا أدري لماذا مع أن الألمانية هى لغته الأصلية .

★ ★ ★

فى خبث لا نظير له أراد له الخلاق الفعال بدأ عبد الشكور يرمى شبابه على مارك ولا يحرم منها هوفمان . وما لبث أن عرف أن مارك من أم انجليزية وفهم سر اتقانه الانجليزية .

وبدأت خطة عبد الشكور تأخذ طريقها الى الوجود .

وليس أئمن من سمير أو أنيس مجرد أنيس فى وحشة الغربه بين قوم لا يفهمون عنك ولا تفهم عنهم . وقد رحب الغريبان كل الترحيب باقبال عبد الشكور عليهما .

وبدأ يعلمهما العربية وراح مارك يعلمه الانجليزية وراح هوفمان يعلمه الألمانية وهكذا لم يضطر أن ينتظر حتى يتقن الانجليزية ليبدأ بعدها فى الألمانية . بل درسهما فى وقت معا .

وقد وجد فيما يدرس جميعه أمله الأكبر فى الحياة وبجهد المسنميت راح يذاكر .

ولكن لابد له من كتب فى اللغتين ولم يجرؤ أن يفكر فى أن يطلب الى أبيه ثمنها وهو اليوم قد أتم دراسته ومكث بالقرية ينتظر فرج الله

• وراح أبوه يتوسل الى كل ذى أكرومه أن يجد لابنه وظيفة ولكن هيهات •
وعبد الشكور يريد ثمن الكتب •

— آيسا •

— مالك ؟

— ماذا عليك اذا جعلتنى أساعدك فى البيع والشراء ؟

— وهل ترى العمل متسعا حتى أحتاج الى من يساعدنى ؟!

— اذا عملت معك اتسع العمل •

— وماذا تريد منى ؟

— ثمن الصفقة الأولى •

— أأدفع لك لتزاحمنى فى رزقى •

— وأين سأذهب بالمال انى سأدفع لك نصف ما أكسب •

— وتنافسنى فى السوق •

— ما رأيك أن تستمر أنت فى تجارة الحبوب وأتخصص أنا فى

تجارة القطن •

— ومن أين لك بثمنه ؟

— أنا لا أريد منك الا عربون العملية الأولى وفى السمسرة متسع

الجميع •

— لا بأس على أن أشاركك فى المكسب •

— طبعاً •

وكان عبد الشكور أذكى من أبيه فكان يشتري القطن من المعوزين

بثمن بخس ولا ينتظر حتى موعد المحصول وانما يبيع ما اشترى بأسرع

ما يمكن الى أثرياء القرية الذين كان يطمعهم فى رخص الثمن بزيادة

الكمية التى سيبيعونها فى الموسم مدركين أنه كلما كبرت الكمية ارتفع

السعر الذى سيعرض عليهم •

ولم يكن عبد الشكور أميناً فى محاسبة أبيه فاستطاع أن يشتري

الكتب التى يحتاجها بجهد جهيد ولكن الخطة نجحت على كل حال على

الأقل بالنسبة لعبد الشكور • فهو لم يكن يطمح الى الغنى لا قدر الله فى

هذه المرحلة من حياته وانما كان أملة كله أن يتقن اللغتين حديثاً وكتابة •

وتم له ما أراد فى سنوات لم يكن فيها يضيق لحظة متاحة أو غير

متاحة لدراسة اللغتين وأتقن أيضاً معهما تجارة القطن والسمسرة فيه •

بل تعلم شيئا لم يخطر له ببال فقد علمه الألمان المتحضران آداب المائدة وكيف يستعمل أدواتها بمهارة لا تتأتى إلا لمن كان فى بيتهم مائدة وخدم أيضا •

وحين أحس أنه قادر أن يواجه الحياة وفى لسانه ويده هاتان اللغتان مع خبرة التجارة قال لأبيه :

— أنا يا أبأ سأسافر الى مصر •

— ماذا تعمل بها •

— أبحث عن وظيفة •

— ومن أين لك وأنا لم أترك ثقب إبرة إلا حاولت فيه أن أجد لك عملا ولكن الطرق جميعها سدت أمامى وأمامك •

— أنا أعرف طريقى •

— وطبعا تريد منى مالا •

— معى •

— من أين ؟

— مما كسبته فى هذه السنوات •

— اذن لن تكلفنى شيئا •

— على الاطلاق •

— مع السلامة •

— سلمك الله •

— ولكن اسمع •

— أمرك •

— حين تستقر ارسل الى بعنوانك حتى أعرف طريقك فانا ليس لى غيرك ويعلم الله يا بنى أنى ما بخلت عليك ولكن العين بصيرة واليد قصيرة •

— أعلم يا أبى ولولا أنك ساعدتنى ما استطعت أن أجمع القرشين اللذين سأذهب بهما الى مصر •

— كان أبى بخيلا ولكنى لم أكن معك بخيلا وانما كنت عاجزا •

— يا أبأ أنا أعرف ذلك •

— أنا لا أريد منك شيئا حتى يفتحها الله عليك كل ما أريد منك
ألا تحمل معك فى سفرك وغريبتك غضبا على فآله وخدمه يعلم كم أجبك •
فأنت كل أملى فى الحياة ولا أعيش الا لك •

— يا آبا أنت لا تحتاج الى هذا الحديث وسترى حين يكبرمنى الله
كيف سأرد لك المعروف •

— أنا لم أمنعك من الدراسة الجامعية بخلا وانما عجزا •
— أعلم يا أبى وأنت لا تحتاج الى هذا الكلام •

★★★

وحين أخبر عبد الشكور مارك وهوفمان بانتوائه السفر قال مارك :
— متى ؟

— فى أقرب وقت •

والتفت مارك الى هوفمان وقال له :

— هوفمان ائنا الآن معنا ثمن تذاكر الطائرة •

— نعم •

— فما بقاؤنا ؟

— وماذا تريد أن تفعل ؟

— نسافر مع عبد الشكور •

— وماذا نفعل ؟

— نذهب الى السفارة الألمانية وهى كقيلة بأن تعيدنا الى ألمانيا •

— أى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

— الغربية •

— ألا تخشى أن يقبض علينا الانجليز ؟

— وماذا يصنعون بنا الحرب انتهت وتم تقسيم ألمانيا واستقرت

الأمور •

— فان جرت الأمور بما لا نريد •

— اذا كنا وجدنا رزقنا فى شقلىان فمن المؤكد ائنا لن يصعب

علينا أن نجد رزقنا فى محلات النجارة والميكانيكا والكهرباء فى القاهرة •

وقال هوفمان لعبد الشكور :

— ما رأيك ؟

— الفكرة جيدة •

— أترى ذلك ؟

وقال عبد الشكور :

— نستأجر ثلاثتنا حجرة فى القاهرة ونعيش مما حتى تجدا وسيلة

للسفر أو تجدا عملا •

— وأنت ماذا ستفعل ؟

— لا تخافا على أنا أعرف طريقي كل المعرفة •

— متى نسافر ؟

— أليست النقود جاهزة •

— طبعاً •

— نسافر غدا فى الفجر •

— وهو كذلك •

— وهو كذلك •

الفصل الثالث

كان وجود أماكن للسكنى فى القاهرة أيسر شئ جهدا .
فما أسرع ما استأجروا شقة ذات غرفتين وحمام ومطبخ بجنيهين
فى الشهر . وفى اليوم التالى نزل ثلاثتهم الأجنيبيان الى السفارة أما
عبد الشكور فقد كان يعرف وجهته كل المعرفة .



- ذهب الى بنك الاقتصاد والتوفير وسأل أول ساع واجهه :
- أريد أن ألقى المدير .
 - نظر الساعى بازدراء الى ملابسه وهيئته ولم يملك الا أن يقول له .
 - المدير مرة واحدة .
 - ان كان على مرتين لا مانع .
 - وضحك الساعى معجبا بسرعة بديهته :
 - فيسم تريده ؟
 - لو كنت طلبت مقابلتك لكان من الطبيعى أن تسألنى .
 - واضح انك فصيح .
 - وهل يمنع هذا من مقابلة المدير ؟
 - وأشار الساعى :
 - آخر باب على اليمين تجد السكرتير وأنت وحظك .
 - قال له السكرتير :
 - وفيسم تريده ؟
 - انه مدير بنك ومفروض أنه يقابل أى طالب للمقابلة .
 - واضح من مظهرك أنك لست صاحب حساب أو صلة بالبنوك .
 - وهل يمنع هذا أن تعود مقابلتى للمدير بنفع على البنك ؟
 - لا فائدة من مناظرتك . ها اسمك ؟

- عبد الشكور حيدر •
- وعبد الشكور أيضا •
- اسم فيه الشكور مقدما قبل أن يقدم سامعه ما يحتاج الشكر •
- حسنا .. حسنا .. انتظر •
- ودخل السكرتير الى المدير :
- شخص غريب يريد مقابلتك •
- وما الغرابة فيه ؟
- فلبس متهالك وذكاء واضح •
- ما اسمه ؟
- عبد الشكور •
- فقط ؟
- حيدر •
- لحسن حظي أنني ليس عندي ما يشغلني الآن .. هاته نتسلى عليه •
- ودخل عبد الشكور ليلقي صبحي حسان بك مدير البنك •
- أهلا يا بني •
- أهلا بسعادتك •
- أقصد •
- شكرا أطال الله عمرك •
- ماذا أستطيع أن أقدم لك ؟
- وفي سرعة حاسمة أجاب عبد الشكور :
- وظيفة •
- بحالها •
- بأي حال لها •
- ولماذا أوظفك ؟
- أؤكد لسعادتك انك ستوظفني •
- واضح أنك تعرف ما تريد تماما •
- واعرف أيضا أنني جدير بأن أحققه •
- عجيبة •

- وأين العجب ؟

- أنا لا أعرفك وهيئتك لا تشجع على التفاضل وأنا لا أعرفه
مؤهلاتك التي يبدو عليك أنك مطمئن إليها كل الاطمئنان ربح كل هذا
الغرور منك أشعر بمنيل نحوك .

- هذا أول الطريق الى آمالي .

- بعض الناس ينعم الله عليهم بملكة الحضور .

- قرأت يا سعادة البك أنهم أجروا احصاء واسعا في أمريكا ثبت
منه أن الناس جميعا متساوون في السعادة والشقاء وأن كل انسان ينال
قسطا من السعادة قدر ما ينال الآخر ومن الشقاء مثل ما يصاب به الآخر
وأسباب الشقاء عندى واضحة فليس غريبا أن أملك قدرها من وسائل
النعمة ..

- اشرح أكثر .

- اذا نال انسان السعادة الوافرة في جانب واجهه القدر نفسه
من الشقاء في جانب آخر من حياته بحيث تكون النتيجة النهائية أن يصبح
الجميع متساوين فيما يحصلون عليه من الهناء والشقاء ..

- فهمت ما تعنى ... هل تؤمن بالله ؟

- الموقف الذى أنا فيه الآن يحتم على أن أقول كل الايمان ..

- لماذا ؟

- لأننى أسعى جاهدا أن أبلغ رضاءك علي ..

- وكيف عرفت أننى أَرْضى بإيمانك ؟

- منصبك وما أنت فيه من أبهة ..

- واذا كان يرضينى أن أعرف حقيقة إيمانك ..

- لا أملك أمامك الا أن أقول نعم إنى مؤمن ..

- أتقول الحق ؟

- أقول ما يرضيك ..

- لا فائدة أن أصل معك الى حقيقة إيمانك .

- ولماذا لا تكتفى سعادتك مؤقتا بظاهر الإيماني ..

- ماذا رماك علي ؟

- ما يذكره الناس والصحف عنك ..

- مثل ماذا ؟

- مثل أنك تسلمت هذا البنك وهو فى طريقه الى الانهيار الكامل فاجعلت منه مؤسسة من أكبر المؤسسات الاقتصادية فى الشرق أجمع ..
- أهذا المديح من باب المحاولة المستميتة التى تبذلها لارضائى ..
- ربما كان هذا ولكننى فى الوقت نفسه أردد ما سمعت ..
- أتتصور اننى بهذا الحوار سأعينك ؟
- لا بأس أن أحاول ..
- أنت تعرف لا شك أن باب التوظيف مقفل تماما ..
- ومع هذا قصدت اليك ..
- هل كل ما فى جعبتك هذا الحديث الواضح الاصرار ..
- لو كان هذا كل ما أملك ما تركت قرىتى وقصدت اليك دون كل الأشخاص الآخرين ذوى النفوذ ..
- هل تملك شيئاً فى قرىتك هذه .. ؟
- كنت فيها أحصل على لقمتى دون ملابس ..
- فأنت اذن ..
- أفقر من الفقر ..
- واضح ..
- ان ما أقوله لسعادتك غير خاف عليك بحكم مظهرى حتى اذا استطعت أن أتغلب على هذا المظهر فلن أذكر هذا الإنسان حتى آخر يوم فى حياتى ..
- ماذا كنت تعمل فى القرية ؟
- سمسار قطن ..
- وأبوك هل هو على قيد الحياة ؟
- سمسار حبوب يحصل لى ولأهلى ولنفسه على ما يسد الرمق بجهد جهيد ..
- أهذه مؤهلاتك .. ؟
- سعادتك حتى الآن لم تسألنى عن مؤهلاتى ..
- وهأنذا أسأل ..
- تجارة متوسطة ..

- التجارة العليا لا يحصل صاحبها على وظيفة عندنا أو عند غيرنا
الا بواسطة لا تقاوم فما بالك بالمتوسطة ٠٠
- لو كانت هذه الشهادة هي كل مؤهلاتي ما تجرأت أن أخطو
عتبة هذا البنك ٠٠
- ماذا عندك ٠٠
- اعادة تامة للغة الانجليزية لا يصل اليها خريج جامعة في قسم
اللغة الانجليزية بكلية الآداب ٠٠
- فقط ٠٠
- ونفس الاجادة للغة الألمانية مع خبرة ستلمسها اذا عينتني.
بشئون القطن وبالسوق عامة ٠٠
- خبرة السوق وفهمناها ولكن من أين لك باللغتين ٠٠ ؟
- هذه من بين المقومات التي تكون حظي من السعادة ٠٠
- ألغزت فأفصح ٠٠
- مصادر تعلمي لا أظنها تهتم سعادتك وانما الذي أعتقد أنه يعينيك
هو النتيجة ٠٠
- والمصدر أيضا ٠٠
- مصيري أن أرويه لسعادتك في يوم من الأيام ٠٠
- ومن أين علمت أنني سأراك بعد اليوم ٠٠ ؟
- طول حوارك معي على هوان مظهرى الى جانب شيء آخر أخاف.
أن أذكره ٠٠
- بل أذكره ٠٠
- ثقتي بنفسى ٠٠
- أهو نوع من الغرور مرة ثانية ٠٠
- بل هو اطمئنان أن بنكا كالذى تديره يحتاج الى مؤهلاتي وخاصة
اذا أضفنا الى ذلك ما عرف عنك من حرص على نجاح المؤسسة التي
تعمل بها ٠٠
- وفجأة قلب صبحى بك حسان النقاش من اللغة العربية الى اللغة
الانجليزية التي يتقنها وأجرى لعبه الشكور امتحانا عسيرا فى اجادة اللغة.
الانجليزية انتهى منه بأن قال له بالعربية :

- ان كنت تجيد الألمانية اجادتك للانجليزية فانك عملة بادرة. . .
- أستطيع مؤقتا أن أقول لسيادتك أنني تعلمتها عن ألمان أما كيف كان ذلك فأرجو أن تتركه سعادتك للأيام. . .
- أظن أن من حقاك الآن أن تتكلم عن الأيام الآتية. . .
- اذن. . .
- لقد غيبتك وسأعرف خبرتك في القطن من الممارسة. . .
- أسمح لي بشيء على شرط ألا تتمنع. . .
- ماذا تريد أن تقول. . . ؟
- انه ليس قولاً بل انه عمل. . .
- وقفز عبد الشكور فجأة من كرسیه واختطف يد صبحی وقبلها
الامر الذي تم في لحظات وأفضة لم تعط أي فرصة لصبحی أن يتأبى أو
يمنع موظفه الجديد عما صنعه. . .

الفصل الرابع

تمكن الهاربان الألمانيان من الحصول على أوراق تسمح لهما بالعودة إلى ألمانيا وطلب اليهما عبد الشكور أن يكتب له عن عنوانيهما بمجرد وصولهما إليها .

ولم يكن أحد منهما يعرف أين سيستقر به المقام كما كانا يجهلان ما بقي من أسرتيهما على قيد الحياة فقال مارك لعبد الشكور :

— سأكتب اليك بمجرد وصولي إلى الأرض الألمانية .

ثم التفت إلى هوفمان قائلا :

— وأنت يا هوفمان ألا تنوى أن تفعل ذلك .

— بالطبع ولكن هل تنوى يا عبد الشكور البقاء في هذا البيت بعد أن أصبحت صاحب وظيفة .

— المؤكد أنني سأنتظر أخباركما هنا حتى أعرف العنوانين التي أراسلكما عليها .

وقال هوفمان :

— اننا سنطلعك الآن على سرنا الذي أخفيناه عليك طوال هذه السنوات .

— ألكما سر ؟

— كلانا مهندس متخرج في أعظم كلية في ألمانيا كلها فلا تعجب إذا جاءك منا أخبار تفيد أننا نعمل في وظائف غاية في الأهمية .

وأكمل مارك :

— بالطبع ألمانيا اليوم تحتاج أكثر ما تحتاج إلى المهندسين بعد أن سحقت الحرب مدنها .

— هل تعلمان ان كانت أسرتيكما في ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

وقال مارك :

— الأمر الذي لا شك فيه أن أسرتينا في ألمانيا الغربية وسنزداد ونوقا من هذا حين نصل إلى هناك .

— هل أنتما متزوجان ؟

— كان لكل منا فتاة لا شك أنها تزوجت الآن .

وأكمل مارك :

— أنت تعلم طبعاً أن أخيار أهلنا فى ألمانيا الآن خافية عنا تماماً
وسنكتب لك بالتفصيل عند عودتنا .

— لم يخبرنى أحدكما عمن ترك من أقارب هناك .

قال هوفمان :

— أنا ومارك كلانا تركنا أبويننا وأميننا على قيد الحياة وأنا تركت
مع أبوى أختين تصغرانى ومارك ترك أختاً تصغره وإخاً طفلاً .

وقال مارك :

— انتظر أخبارنا كلها فى أول خطاب نكتبه إليك .

— انى منتظر .

وما هى الا أيام قلائل حتى تمكن مارك وهوفمان من مغادرة مصر .

كان عبد الشكور يعرف تماماً ما هو صانعه بالبنك .

لقد حرص أول ما حرص على أن يوثق صلته بصبحى حتى يجعله
يحبس أنه لا يستطيع أن يستغنى عنه .

وكانت أولى خطواته فى هذا السبيل أن يجعل من نفسه شبه
خادم لسكرتيه نبيل معوض .

وقد كان شاباً فى ريق العمر حاصلًا على ليسانس الحقوق وكان
من قرية صبحى بك نفسها بل أن أباه كان يعمل ناظر زراعة لمائة الفدان
التي يملكها صبحى عن أبيه وقد امتنعت مساحة الأرض على قانون الإصلاح
الزراعى فلم تنتزع الحكومة شيئاً من أرضه مما جعل الثورة لا تعتبره من
أعدائها وقد أتاح له ذلك أن يرقى فى البنك الى منصبه هذا الذى يشغله
وخاصة أنه لم يكن من عائلة ذات مكانة ولا خطر مما يسر له أن ينضم
الى منظمات الثورة ويظهر غلواء فى تأييدها والهتاف لقائدها الأول ثم
لقائدها الثانى مما جعله من أهل الولاء والكفاءة فى وقت معا ، الأمر الذى
لم يتيسر الا لقلّة نادرة فى هذه الأيام . أما نبيل فلم يكن أبوه يملك
الا خمسة أفدنة استطاع بها وبعون من صبحى وأبيه أن يكمل تعليم نبيل .

فى كلية الحقوق عاجزا بضآلتها فى الوقت نفسه أن يعلم ابنه الآخرين
مرسى وعيسى اللذين لم يكن أمامهما الا أن يعملوا فلاحين فى أرض صبحى
بك وقد تمكن كلاهما من أن يحصل على خمسة الأفدنة مما وزعتها الثورة
من الأرض التى استولت عليها وقد نالا ما نالا من أرض الغنى الكبير فى
قرينهم متولى باشا خطاب الذى نال الباشاوية حين تبرع للمشاريع
الخيرية بخمسة آلاف جنيه فى عهد الباشاوات .

عرف عبد الشكور كل شىء عن نبيل معوض من ساعى مكتب المدير
حسنين عبد المولى .

وقد عرف منه أيضا فى دعوة الغداء التى دعاه اليها من أول مرتبة
يحصل عليه من البنك أن صبحى بك متزوج من ابنة عمه صافيناز هانم
عبد الموجود ذات الأم التركية التى لا يعرف حسنين اسمها الذى لم يسع
الى معرفته فالأم قد تركت الحياة قبل أن يتزوج صبحى ابن الفلاحين من
ابنتها .

وانتظر عبد الشكور أن يصل الى الخوافى من أخبار صبحى حين
يوثق صلته بنبيب الأمر الذى أعد له كل الاعداد وخاصة حين أبلغه حسنين
أن نبيل يحب الفتيات الجميلات أو غير الجميلات ان لم يتيسر له غيرهن .

وقد وجد عبد الشكور منفذه الى نبيل وترك للأيام أن تلج به الى
هذا المنفذ .

كانت وظيفة عبد الشكور فى قسم الأقطان وقد أراد صبحى أن
يرى مقدار كفاءته .

وانقضت بضعة أسابيع وبدأ موسم شراء الأقطان وتحرقى عبد الشكور
أن يبتعد فى مشتريات البنك عن شغلين حتى لا يرى سبيلا الى أبيه بل
تحرقى أن يبتعد عن المركز جميعا الذى يعرف أغلب أهله ويعرفونه .
فقد كان حريصا أن يقطع ما بينه وبين هذه الأيام بكل ما وسعه من جهد .

بدأ عبد الشكور جهاده الوظيفى فى الصعيد وكان هذا أمرا طبيعيا
فقد كان موسم القطن يبدأ فى الصعيد قبل الوجه البحرى بفترة طويلة
وقد استطاع بسابق خبرته فى الصفقات ضئيلة الشأن أن يكون ماهرا
غاية المهارة فى عقد الصفقات الكبيرة واضعا فى الحساب أن أكبر مالك
لا تزيد أرضه عن مائتى فدان بعد تطبيق قانون الإصلاح الزراعى .

وقد استطاع عبد الشكور أن يثبت لصبحى نجاحه العائق فى عقد الصفقات فكان أكثر زملائه نشاطا .

وكان يراعى فى أول الأمر أن يكون صادقا مع البنك متمسكا سرقة المشتري فى السمسة التى حرص ألا يعلم عنها البنك شيئا حتى اذا انتهى من الصعيد انتقل الى الدلتا فى نشاطه منقطع النظير مما عاد على البنك بئكاسب لم يحققها البنك فى هذا المضمار من قبل ، الأمر الذى وفر لعبد الشكور قدرا من المال اعتبره هو فى البداية جديرا بكل احترام واجلال . فان كمية النقود التى أتاحت له لم يسبق له أن رآها بله أن يملكها .

كانت أنباء صديقيه قد وصلت اليه وأصبح قادرا أن يستأجر شقة صغيرة كل الصغر فى حي الزمالك بإيجار لو سمع به أبوه لأصابته سكتة قلبية . فقد كان يدفع عشرة جنيهات ايجارا للشقة التى كانت تتكون من غرفة نوم واحدة وغرفة للطعام وصالة صغيرة وحمام لولا صاحب البيت ما عرف عبد الشكور كيف يتعامل معه .

وكانت الشقة خالية فنقل إليها سريره المتهاك وكرسين أثارا مع السرير سخريه البواب فى العمارة الجديدة .

كان لابد أن يؤثث الشقة الجديدة بما يليق بأناعتها وفخامة العمارة التى تحتويها . وفى هذا التأثيث عرف طريقه الى نبيل .

– أجرت شقة بالزمالك .

– الزمالك مرة واحدة .

– ان لم يكن السكن جميلا فما قيمة حياة الانسان .

– كم ايجارها ؟

– ولا يهمك . المهم أريد أن أوئثها وليس لى الا أنت لتشتري لها

أثاثا يبدو لائقا بالحى ويكون فى الوقت نفسه ملائما لعبد الشكور .

– أى عبد الشكور تقصد الذى رأيته قبل أن يعين أم الذى أجر

شقة فى الزمالك

– كل ما أرجوه منك أن تنسى عبد الشكور الذى كنت من القلة

النادرة الذين رأوه بمصر قبل التعيين .

– طبعا أنت تقصد بمصر القاهرة .

– الذين عرفوني من بلدتنا وما حول بلدتنا لن يروني أبداً على كل حال .

– وأبوك وأمك .

– يكفهما أنني وفرت عليهما اللقمة التي كنت أقتطعها من قوتيما .

– كنت أظن نفسي عاقاً لأنني لا أزور أهلي وأكتفى برؤية أبي حين يأتي لمحاسبة صبحي بك .

– كن وفيًا لنفسك أولاً أما الآخرون فعليهم أن يدبروا أمر أنفسهم .

– ألم يعرف أبوك أنك عينت وأنتك استأجرت شقة في الزمالك .

– ولماذا يعرف ؟

– ألم يعرف على الأقل ان كنت على قيد الحياة أم لحقت بالرفيق الأعلى .

– المؤكد أنه يعلم أنني لم أمت والا حملت اليه ليتولى دفني .

– واضح أنك أرحمت نفسك تماماً .

– لا . اطمئن . المهم قل لي ماذا ستفعل معي في مسألة الأثاث .

– الأثاث أمره هين .

– كيف ؟

– عندنا في البنك قسم خاص بشراء احتياجات البنك في هذا المضمار ورئيس هذا القسم حمدي خميس وهو الذي يشتري ما يحتاجه صبحي من أثاث .

– يا نهار أسود ومالي أنا لصبحي بك وما يشتريه من أثاث .

لو اشتري حمدي مثلما يشتري لصبحي بك لما أكمل ما معي ثمن كرسي واحد للشقة .

– على مهلك على مهلك ان كل العاملين في البنك

يلجأون اليه وخبرته بالأثاث الرخيص أعظم من خبرته في الأثاث الغالي .

– وصبحي بك .

– انه يشتري له ما يحتاجه المطبخ والخدم أما أثاث صبحي بك

فتشتريه صافيناز هانم التي تختار دائماً أغلى الأثاث مما لا نعرفه ولا نعرف أسماء الماركات التي ينتسب اليها .

– هل صافيناز هانم مسرقة ؟

- مصيرك ترى حساب صبحى بك بالبنك لتعلم أن دخله لا يكفى طلبات زوجته وحدها .

- والأولاد .

- المهم عند صافيناز هانم نفسها أولا ولبسها واثاث بينها والولائم التى تقيمها .

- والأولاد .

- كلاهما أيضا مسرف وانما فى حدود مطابقة بالنسبة لأبيهما .
- عرفت أن عنده ولدا وبنتا .

- الولد فى السادسة عشر والبنات فى الرابعة عشر .

- اسم الولد رأفت أظن .

- على اسم خال صافيناز هانم التركى .

- الاسم مشترك لا تعرف ان كان اسم أنثى أو اسم رجل .

- لا يهم المهم انه اسم تركى .

- اسم البنات سمعته ولكنى لم أستطع أن أحفظه .

- هان زاده على اسم سته من أمها طبعاً .

سرح عبد الشكور لحظات . واضح أن صافيناز هانم هى العنصر الأساسى فى بيت صبحى بك وواضح أيضا أنها خارية بيت زوجها . وهذه ماذا أصنع لها . لابد أننى واجد لها سكة وحين أجدها تكون أهم طريق لصبحى . ولو أننى من الآن أكاد أكون قد عرفت أحسن وسيلة لصبحى وصافيناز معا . لأطويه وأطويها تحت جناحى ما على إلا أن وارتاع من صمته وسرحته المليئين بالضجيج على صوت نبيل يصيح به :

- هيه . . أين ذهبت ؟

- معك .

- بجسمك .

- وبعلى . هل سترسلنى الى حمدي خميس ؟

- بل يأتى هو اليك . انك فى مكتب المدير وأنا أريد أن تكون شقتك عظيمة فانا أعتبرها كشقتى تماما .

وفهم عبد الشكور الإشارة وفرح بها كل الفرحة وأكمل نبيل :

- فرق بين أن تذهب الى حمدي كأتى موظف فى البنك وبين أن

يأتى هو اليك ويتسلمك من مكتب المدير العام .

ورفع نبيل سماعة التليفون وأدار رقمين وقال •

— حمدي تعال •

ولما أقفل التليفون • قال عبد الشكور :

— ألا تقول صباح الخير •

— مكتب المدير لا يقول صباح الخير •

— ألم يقل هو لك صباح الخير •

— طبعا قالها بكل حماس •

— لم تردها عليه •

— مكتب المدير لا يرد التحية •

— لا تؤاخذني على جهلي •

— ما زال أمامك الطريق طويلا •

— واضمح •

اشتر الأثاث بمعونة حمدي الذي وفر علينا مبلغا ضخما من المال •
استطاع عبد الشكور أن يكسب احترام البواب الذي كان قبل مجيء
الأثاث الجديد يحتقره احتقارا لا خفاء فيه •

الفصل الخامس

قال عبد الشكور لصبحى بك :

- أرجو أن تكون راضيا عنى •
- واضح انك خير بسوق القطن خبرة عظيمة •
- ولكن الموسم انتهى هل سأظل بلا عمل حتى الموسم القادم •
- وماذا تريد أن تعمل ؟
- هناك قسم فى البنك درستته فى المدرسة ولا أعلم عنه أى خبرة عملية •

- أى قسم ؟

- الأسهم والسندات •

- والله فكرة لا بأس بها ولغاتك تؤهلك للعمل فى هذا القسم •

على أن تعود الى القطن فى موسمه •

- طبعاً •

- وأعطى صبحى بك أوامره أن يلتحق عبد الشكور بقسم الأسهم والسندات فى البنك •
- وفى اليوم التالى تسلم عمله •

استقبله فتحى السبكى رئيس القسم بترحاب حذر أما الترحاب فىبناء على أوامر صبحى بك وأما الحذر فلن يلبث عبد الشكور أن يتبين ما يتخفى وراءه •

عرف عبد الشكور اول ما عرف عن فتحى السبكى انه متصل بدهاقين التنظيم السياسى الاوحد وهكذا انفتح أمامه باب جديد للنفاق •

وثق صلته بفتحى السبكي حتى انه منذ أول يوم حرص أن يرافقه
فى الطريق الى بيته ليتعرف على مكان البيت وليؤنس فتحى السبكي فى
مشواره .

كان فتحى السبكي يملك سيارة لا هى بالسيارة الفارهة ولا هى
بالقيمة وحين وصلا الى عمارة السبكي قال لعبد الشكور :

- تفضل نتغدى سوا .

- عزومة مراكية طيبا .

- كانت كذلك فعلا ولكن ما دمت قلت ما قلت فأقسم بالله لن

نتغدى الا معى اليوم .

- أصبح أمرا .

- اعتبره كذلك .

وانتهز عيد الشكور الفرصة ليوثق صلته بفتحى ويتعرف على
أسرته . ولم يفته للوهلة الأولى أن العمارة فى جاردن سيتى وانها فخمة
واضحة المهابة .

وصعد مع فتحى الى بيته . . واضح انه كريم فدعوته هذه لا تأتى
من بخيل . وواضح أيضا أنه يريد أن يبهرنى بمسكنه ومأكله .

كانت زوجة فتحى السبكي سيدة فى أواسط العمر بشوشا لم
تفرغ من الضيف المفاجئ واثقة أن الطعام الذى لديها لا يخشى هابطا على
بيتها دون انتظار .

الشقة فاخرة والأثاث واضح الأناقة .

قال فتحى لزوجته وفيه سعيد :

- الأستاذ عبد الشكور حيدر زميل الجديد فى القسم .

وسارع عبد الشكور صائحا :

- العفو . . بل مرؤوسه الصغير جدا .

وأحس فتحى بالزهو أمام زوجته وفا لبث أن أنفجر عما وراء
أسراره أن يتغدى عبد الشكور معه حين قال لوفية. مقدما مزيدا من التعريف
بالضيف :

- انه مقرب جدا من البية المدير ويعتبره من أحسن موظفى البنك

رغم انه لم يعين الا منذ أشهر قلائل .

وانتهز عبد الشكور فرصة لا يمكن أن يفلتها لينافق رئيسه المباشر
الذى يرجو منه الخير الكثير :

— المهم رضا سعادتك •

وقال فتحي فجأة :

— هل جاء الأولاد ؟

وقالت وفيه :

— ليس بعد •

ودار الحديث بين عبد الشكور وفتحي وعرف منه أن لديه ابنين
وابنة • وإن الابنة أكبرهم واسمها ناهد وهي في الثانوية العامة في هذا
العام أما الولدان فكلهما في أواخر الدراسة الإعدادية يسبق أحدهما
واسمه باسم أخاه الأصغر بعامين هما فارق السن بينهما ولم تفت الفرصة
عبد الشكور :

— واضح أن ثلاثتهم مجتهد في دراسته •

— كيف عرفت ؟

— فارق الدراسة بين ثلاثتهم متفق تماما مع فوارق السن •

— اسم الله عليك لا تفوتك الفائزة • فعلا ثلاثتهم مجتهد وإن كان
ثلاثتهم لا يقبلون أن يلبسوا إلا أفخر ملابس وناهد تصر على أن تشتري
لها سيارة إذا نجحت في عامها هذا وذهبت إلى الجامعة •

— من حقها ولماذا لا تأتي لها بسيارة •

— ربنا يقدرنا •

— وإلى أي كلية تريد أن ينتسب •

— يا سيدى مصممة على الطب والحقيقة أن تفوقها في دراستها
السابقة سيمكنها أن تحقق أملها إن شاء الله •

— ستدخل الطب وبكره نشوف •

— قل إن شاء الله •

— ستدخل الطب • أنا مكشوف عنى الحجاب •

— سترى •

— سترى •

وقد تمت وفيه هانم في ترحاب. تدعوها الى الغداء. . . وكانت، المائدة عامرة وأدرك عبد الشكور طبعاً أن الذى أمامه من الطعام هو لا شك، نصيب الأبناء الذين لم يأتوا بعد الى البيت وأدرك أيضاً السعة التى يحيا فيها رئيسه المباشر . . ولم تفتنه الخادمة التى تلبس ملابساً محترمة وتقوم بشأن ثلاثتهم على المائدة .

- قال عبد الشكور وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء :
- أشرب القهوة وأتركك لتستريح فترة القيلولة .
- أنت شرفت .
- بل أنا الذى تشرفت فعلاً لا مجاملة . هل ستخرج بعد الظهيرة .
- طبعاً أنا كل يوم أذهب الى مقر التنظيم .
- صحيح .
- طبعاً .
- هل عندك مانع أن أصحبك الى المقر وأتعرف على الأقيال الذين نعرفهم .

- بالعكس فقد كنت سأعرض عليك أن تأتى معى .
- متى تذهب ؟
- فى الساعة السادسة. أكون هناك .
- أنا سأعود اليك هنا فى الخامسة والنصف وأذهب معك .
- وهو كذلك .

وهكذا قدر لعبد الشكور أن يضع أقدامه على سلم توقع هو أن يصل به الى السماء السابعة .

ذهب عبد الشكور الى المقر والتقى هناك بسكرتارية الكبار ومساعدتهم . واختار فى اليوم الأول أن يتعرف الى ما يرضى كلا منهم . واستطاع فيما تلا ذلك من أيام أن يكون لصيقاً للغالبية العظمى منهم وإذا استعصى عليه أحدهم رفض أن يركن الى اليأس فى شأنه بل راح يلوب حوله ليعرف الباب الذى يدخل منه اليه ويطره فان لم يجد الطرق

مجديا احتال على فتح الباب بأى وسيلة أخرى ولو أدى الأمر الى اصطناع مفتاح مزور .

لقد استقر فى أعماق عبد الشكور استقرارا وطيدا أنه يملك ما لا يملكه أحد ، فهو بلا أصل ولا كرامة ولا مثل ولا تعنيه مشاعر السماء نحوه وهو أملس ليس لديه أى شىء يخشى عليه وهو يعلم أنه ثعلبى الخبث وأنه ابن سوق وأنه صاحب مقدرة على التصرف والحديث بما يجعل سامعه فى حالة من السعادة والهناء والرضى عن نفسه لا تنهيا له مع أى انسان آخر غير عبد الشكور ، وهكذا لم يكن عجباً أن يطمئن غاية الاطمئنان الى انه يحوز فى يده كل مفاتيح الغنى وذلك مؤقتا عن طريق البنك أما مسالك الجاه فهو يرنو اليها عن طريق معارفه الجدد فى مقر التنظيم منتويا أن يقفز على رؤوسهم الى الصدور والقادة من رؤسائهم الذين يملكون فى أيديهم مقادير الناس جميعا . وكلمة جميعا هذه تنصرف الى المقادير والى الناس فى وقت معا فقد كان على بينة وثيقة أن حكام ذلك العهد على رأسهم الحاكم الفرد الذى لم يكن الآخرون بالنسبة اليه الا دمي يحركها كما شاءت أهواؤه . كان على بينة انهم يملكون من الناس مقاديرهم ليس فى وظائفهم أو أعمالهم العامة وحدها بل كانت أيدي الحاكم والدمى تمتد الى خاصة حياتهم والمستسر الخافى من شئونهم وشئون ذويهم .

وكان واثقا أيضا أن طاغية العهد لا شأن له مطلقا بالايمان بالله ولا بأحكامه ولا بآخرفته .

كان عبد الشكور على بينة من هذا جميعه فادرك أن المستقبل لن يفتح له ذراعيه على مصراعيهما وان لم يجد الى بلاط الفئة الحاكمة منفذا واسع الأرجاء . وكانت ثقته بمقدار سفالته ونفاقه تملأ نفسه يقينا انه بالغ من مطامعه ما يشتهى ويريد . حتى ليكاد أن يتحدى الأيام انه لا شك الى نجاح وفلاح .

الفصل السادس

بدأ عبد الشكور يتعرف على طبيعة العمل فى قسم الأسهم والسندات وما لبث أن فرض نفسه على فتحى السبكي حتى أصبح أقرب المقربين إليه .

وبهذه الصلة الوثيقة تبين له ما أذهله .

لقد كان فتحى يتصرف فى أسهم الناس وفى سنداتهم كأنها ملك شخصى ينال منها على غير علم من أصحابها مكاسب فادحة .

وتظاهر عبد الشكور أنه لا يفهم ما يصنعه فتحى وصرف جهده أول ما صرف الى التعرف على أصحاب هذه الأسهم فبالغالبية العظمى منهم هم أصحاب الأموال الجسام الذين لم يكن العهد الحاكم قد مسهم بعد .

وعن هذا الطريق تعرف على أصحاب الثراء العريض والأصل الرفيع حتى اذا وثق صلته بهم عاد الى فتحى الذى كان قد أمن له كل الأمان وجعله يتعرف على خوافى الأمور وسراديبها .

وكان فتحى على قدر واسع من الذكاء مما جعله يتيح لعبد الشكور أن يقوم ببعض العمليات التى تعود عليه بالربح الوفير . وان لم يكن الى وفرة عمليات فتحى طبعاً .

فى يوم من الأيام بينما هو فى مكتبه طلبه نبيل فى التليفون :

- ماذا تعمل ؟

- مهما يكن ما أعمله أنا تحت أمرك .

- تعال .

وحين جلس عبد الشكور أمام نبيل قال نبيل :

- أذهب الى السيما ؟

- فيما ندر .

- لماذا ؟

- يا نبيل يا حبيبى ان العمل الذى لا أكسب منه لا يلزمنى .

— ربما تكسب تسلياً ويقولون أن بعض الأفلام المأخوذة عن أعمال كبار الكتاب قد تكسب ثقافة •

— هل هذه الثقافة تنفعنى فى البنك ؟

— المؤكد أنها تنفعك فى الحياة •

— كيف ؟

— فى معاملة الناس ومحادثة أهل الحل والربط •

— والله لك حق فأنا لا أعرف أعظم من صبحى بك ومن يدري للـ الأيام ترمى بى فى طريق بعض العظماء •

— هذا أمر وارد لا شك •

— بدأت أتعرف. بأصحاب الأسهم والسندات من الأثرياء الكبار. والباشاوات والبكوات السابقين وأقول لك الحق ما زلت أتهيب أمرهم وكأنهم ما زالوا باشاوات وبكوات •

— العظمة عند أغلب هؤلاء ليست فى الرتبة وإنما فى الطبع والتصرف والخلق والثقافة ومعاملة الناس والحياة •

— لك حق ما زال لهم جلالهم وهيبتهم وكان الثرة لم تقم •

— وطبعاً أبوك لم يكن يعرف واحدا منهم •

— وما الداعى لهذه الملحوظة •

— أقصد أن ثقافتك قاصرة فى هذا الشأن •

— مؤكد •

— فلا بد أن تثقف نفسك حتى تعرف كيف تحدثهم •

— بالسينما ؟

— بالسينما وبالكتب وبالروايات الكبرى لعظماء الكتاب •••

والا ماذا ستفعل اذا حدثك واحد من هؤلاء فى الحياة العامة ووجدك

لا تعرف أسماء الكتاب المصريين والعالميين •

— يا نهار أسود تكون مصيبة •

— أبدأ بالسينما •

— أبدأ بالسينما •

— أنا عازمك اليوم فى حفلة الساعة السادسة •

— أذهب معك •

- بل تذهب وحدك •
- ماذا ؟
- ما سمعت •
- أمرك •
- وهو كذلك • أظنك في هذه الفترة لن تكون محتاجا لشقتك •
- يا نبيل يا حبيبى لم تكن محتاجا لكل هذا لتستعمل الشقة •
- أنا أعلم ذلك ولكن الحديث جر بعضه عليك أن تعلم أنه بصرف النظر عن مسألة الشقة فإن كل ما قتله لك صحيح عليك أن تهيب نفسك لمعرفة هؤلاء الأجاويد •
- والله أنا وزنت ما تقوله ووجدته معقولا •
- ألم أقل لك •
- فعلا لك حق •• خذ المفتاح •
- شكرا •
- أنا لا مانع عندي أن أزيد نفسى ثقافة وأذهب الى حفلة الساعة التاسعة أيضا على حسابى الخاص •
- يا نهارك أسود أتريد أن تطردنى زوجتى من البيت •
- لماذا ؟
- انت انهبلت أدخل عليها الساعة الثانية عشرة ولا تطردنى •
- واذا طردتك ، تنفذ الطرد •
- سأكون بين اثنتين لا ثالث لهما اما أن أخرج وأتصرف فى المبيت بأحد الفنادق واما أن تأخذ هى العيال وتذهب الى بيت أبيها وتصبح فضيحة بجلاجل •
- وما الداعى يكفيك حفلة الساعة السادسة •
- وأين أترك لك المفتاح ؟
- اننى منذ عرفتك وأنا معبد نفسى لهذا الطلب الذى أعتقد أنه تأخر كثيرا •

- ماذا تعنى ؟
- معى مفتاح آخر وغدا آخذ منك المفتاح الذى أعطيته لك الآن .
- ولماذا لا تبقيه معى ؟
- لا لا يمكن لابد أن تطلبه منى كلما احتجت اليه
ولا فوجئت بى على رأسك فى الشقة وربما فى السرير أيضا .
- فعلا فعلا لك حق غدا أعطيك مفتاحك .
- سأكون عندك بكرة قبل أن تشرب قهوتك .
- وهو كذلك .

الفصل السابع

طبعاً لم يكتف عبد الشكور بالعمليات الصغيرة التي يتركها له فتحى ولم يكن منذ أول لحظة منتوياً أن يكتفى بها ولكنه كان يدبر للأمر منذ الوهلة الأولى ورأى أن خير وسيلة أن يجعل فتحى يثق فيه ثقة عميقة .

وفى عماية هذه الثقة راح عبد الشكور يجمع من الأوراق والأسانيد ما لا يقبل المناقشة أو التفتيد .

وحين ارتأى أن بيده ما يكفى ويزيد دخل الى صبحى حسان .

قال صبحى لفتحى بعد أن استقدمه :

— ألق نظرة على هذه الأوراق يا فتحى .

— أمرك يا أفندم .

وما هى الا لحظات حتى أدرك فتحى الكارثة الكبرى التي حلت به . ولم يكن محتاجاً أن يقرأ كل الأوراق وانما اكتفى بنظرة سريعة عابرة كانت كفيلاً لأن يرى مصيره الأسود أمام عينيه . حين أرجع الأوراق الى صبحى الذى جمعها فى عناية بالغة وسواها وأعادها الى الدورسيه الذى كان يحتويها ، فعل كل هذا فى ببطء شديد حتى اذا أودع المستندات فى الدرج الذى أخرجها منه وأقبله بالمفتاح التفت الى فتحى :

— ما رأيك ؟

— الذى تأمر به سعادتك .

— انك موظف قديم بالبنك ومعرفتى بك منذ سنوات طوال ولهذا ومن أجل ناهد وباسم وخالد والست وفيه سأكتفى بأن أطلب منك الاستقالة لتنال المكافأة التى تستحقها والتى تستطيع أن تعيش بها حتى تجد وظيفة فى بنك آخر .

— ومن سيقبلنى بعد هذه المصيبة .

— طول عهدك بى يجعلك تثق فى وعودى .

- هذا لا شك فيه •
- لن يعرف أحد فى العالم ما تم الآن بيننا •
- والذي أتى لك بهذه المستندات •
- أنا أضمن أنه لن ينطق بشيء •
- أضمن هذا المخلوق ؟
- أتعرفه ؟
- ليس هناك الا واحد فقط يستطيع أن يصل الى هذه الأوراق •
- أنا أضمنه مهما كان رأيك فيه •
- أمرك •
- اذن •
- أعطنى سعادتك ورقة •
- تفضل •
- وكتب فتحن الاستقالة وقبل أن يصل الى نهايتها سأل صبحى :
- هل أخلق لها سببا ؟
- اكتب بالقول بأنك لم تعد تستطيع الاستمرار بالعمل والبنك •
- وأطلب المكافأة ؟
- أطلب تسوية حالتك كما يقولون فى الحكومة •
- وأعطى فتحن الاستقالة الى صبحى بك وفى تحامل مرير على رجلين
لا تكادان تسعفانه قام عن كرسية ومشى خطوات وقبل أن يضع يده على
أكرة الباب قال وظهره لصبحى :
- شكرا يا سعادة البك •
- العفو مع السلامة •

- استدعى صبحى عبد الشكور وأخبره بما حدث لفتحن ولم يدهش
عبد الشكور حين قال له صبحى :
- تحل محله •
 - أخشى أن يغضب هذا الزملاء الذين سبقونى فى العمل بالقسم •
 - نحن فى بنك ومن حقى وحلى اختيار الأصلح دون نظر الى
الأقدمية •

- اذن أمرك •
- ولى عندك رجاء •
- بل أمر •
- لا يعرف أحد ما كان من أمر فتحى •
- إذا سمعت أن أحدا عرف أكون أنا وحدى المسئول أمامك •
- وهو كذلك •

- ليس بعجيب على عبد الشكور ما فعله فى اليوم نفسه •
- لقد ذهب فى وقت الغداء الى بيت فتحى • ولم يفاجأ بفتحى وهو يفتح الباب حتى اذا وقعت عيناه على عبد الشكور ارتسمت الدهشة الآخذة الذاهلة على كل سمات وجهه :
- أنت •• أهذا معقول ••• لقد توقعت أى انسان الا أنت •
- ولهذا جئت •
- فعلا منك أنت لا شىء يستغرب •
- اسمح لى أشرح أولا •
- اشرح •
- هنا •
- نعم هنا فبيتى حرام عليك منذ اليوم •
- ليكن ما تريد مؤقتا •
- تكلم •
- من الذى يخلفك فى رئاسة القسم •
- المفروض اسماعيل وجدى •
- فمن له مصلحة فى الوشاية بك غيره •
- أنت •
- لماذا ؟
- أنت مقرب من رئيس البنك وربما يعينك فى مكانى •
- وأجعل نفسى فى الواجهة وأحرم نفسى مما كنت تتركى أقوم به
- من أعمال تعود بالربح الوفير •

- ربما تريد الربح كله +
- ألا تعرف مقدار ذكائى .
- أعرف مقدار خبثك .

- ليكن ... كيف سيتاح لى أن أقوم بهذه الأعمال بعد أن انكشف أمرها . . أليست مصلحتى أن أتخذ منك ستارا واقيا وأكتفى أنا بالعمليات التى كنت تتركها لى .

فكر فتحى فيما سمع وأطال التفكير ثم قال لعبد الشكور :

- تعال أدخل .

وصاح عبد الشكور :

- هكذا يجب أن تكون الأمور ... كان من الأول يا أخى .

خالت عليه الحيلة وصدقنى .. أنا أحتاجه فى التنظيم السياسى ولا أريد أن يسىء الى عندهم أما الوسائل التى كان يحصل بها على الأرباح فى البنك فقد تبين لى بالخبرة أنها وسائل بدائية عاجزة .

ان الطريقة التى توصلت لها أنا هيئات لآلف شخص مثل فتحى أن يفكر فيها . أما صبحى فأمره ميسور فرجت يا عبد الشكور من أوسع الأبواب .

الفصل الثامن

مرت أيام قلائل على مباشرة عبد الشكور لعمله الجديد حين فتح الساعى الباب وقال :

— سعادة أبو العلا بك عفيفى •

وفتح الساعى الباب للقادم دون أن ينتظر أمر عبد الشكور •
وبهت عبد الشكور كما بهت البك القادم • وفى لعنة قال
عبد الشكور :

— أهلا مرحبا •

لم يكن قد أعد نفسه لهذا الموقف مطلقا ولهذا لم يكن عجبيا أن
تركبه الحيرة ولم يمهله القادم ، بل قال وهو يجلس دون دعوة من
عبد الشكور :

— أين فتحى بك ؟

— ترك العمل فى البنك •

— لماذا ؟

— وجد مرتبا أحسن فى بنك آخر •

— اذن أحب أن أتشرف بسعادتك فسيكون بيننا عمل كثير •
الحمد لله لم يعرف شكلى وبعد هدأة قال :

— عبد الشكور •

— عبد الشكور ماذا ؟

آه يكاد المحذور أن يقع ولكنه لم يستطع أن يفر منه واضطر أن
يجمع حروف الكلمة فى صعوبة بالغة وهو على يقين أنه اذا أخفى اسمه
الكامل فسوف يعرفه أبو العلا من غيره • • لم يجد بدا من أن يقوله وليكن
بعد ذلك ما يكون •

— عبد الشكور حيدر •

وارتسمت معالم التعرف على ملامح (أبو العلا) •

— الآن عرفتك وأنا منذ اللحظة الأولى أقول لنفسى الوجه ليس غريبا على •

— طالما زرت سعادتك فى العزبة •

— مع أبيك التاجر حيدر أبو عبيد الكيالى •

وجد عبد الشكور فى كلمة التاجر ما طمأنه بعض الاطمئنان فقد كان يستطيع أن يذكر الحقيقة ويقول السمسار ولا يكون بعيدا عن الحقيقة المؤكدة أما ان يقول التاجر فلا شك أنه يريد أن يعاملنى وأكمل أبو العلا :

— وكنت أنت تعمل فى القطن •

وهذه مجاملة أخرى •• انه لم يقل تسمسر وسارع قائلا :

— ذاكرة سعادتك عظيمة •

— وكيف حال أبيك ؟

— الحمد لله •

— على زمان لم أره •

— انه لا يستغنى عن سعادتك أبدا •

— لى هنا أسهم •

— أعرف يا سعادة البك •

وبدأ أبو العلا يلقي على عبد الشكور التصرفات التى يريد أن يجريها فى أسهمه وأنهى عمله وقام وهو يقول :

— أنا أعتبرك هنا كابنى فأبوك حيدر من أحب الى ؟

— أطل الله عمرك يا سعادة البك وستجدنى دائما تحت أمرك •

— كثر خيرك •• السلام عليكم •

وخرج • ولم يتنفس عبد الشكور الصعداء فقد توقع شرا هو فى غنى عنه كل الغنى •

يومان مرا وفتح الساعى الباب ولم ينطق وملأ فتحة الباب أبوه واقفا أمامه ورأى عبد الشكور فيه الحدث الآخذ • طبعا قال للساعى انه أبى والا لما فتح الباب وانكتم لا ينطق •

بالغريزة قفز عن كرسيه •

— أهلا أبى يا مرحبا •

وانحنى على يده يقبلها ولكن أباه اختطفها منه :

— الآن عرفت سبب مقاطعتك لى أنا وأمك •

— العفو يا آبا •• كنت مشغولا فقط •

— النقاش لا يفيد ولا الأعذار •

— يا آبا وهل لى فى الدنيا الا أنت وأمى •

— لن تستطيع خداعى • وانما جئت من البلد فقط لالقى عليك

نظرة وأفهمك أننى عرفت مكانك ومكانتك فى البنك أيضا ثم السلام عليكم ورحمة الله • لن ترانى بعدها ولن ترى أمك • واستدار حيدر وأخذ طريقه الى خارج البنك •

وأحس عبد الشكور كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كاهله • لهم يعد فى حاجة أن يحذر أباه من المجيء ، مرة أخرى الى البنك كما انه ليس فى حاجة أن يخرج مع أبيه الى الباب الخارجى ويعرف موظفو البنك جميعا مقدار أبيه الواضح فى ملابسه • ليس فى حاجة الى أى شىء من جميعه •• ووجد نفسه ينحط على كرسيه وهو يجتذب نفسا عميقا من أسفل مكان فى رثتيه • ودق الجرس وأمر بسيونى الساعى أن يحضر له فنجان قهوة سكر زيادة •

الفصل التاسع

تحسبا منه انه ربما يحتاج الى صديقيه الالمانيين حرص عبد الشكور أن يوثق صلته بمارك وهوفمان اللذين داوما على مكاتبتة منذ وصولهما الى ألمانيا وعرف منهما أن كليهما يقيم فى برلين الغربية فكان هذا أقوى سبب أن يجيب رسائلهما وقد عرف عنهما أنهما يعملان كلاهما فى عمليين مرموقين مما يفتح المستقبل أمامهما كما أنهى اليهما هو ما بلغه فى البنك من قفزات .



وكان عبد الشكور أحرص ما يكون أن يمر فى كل يوم بصباحى خسينان ويلقى عليه تحية الصباح وكثيرا ما كان يستدعيه صباحى ليناديه فقد أنس اليه ووجد فى حديثه متعة لا يجدها مع غيره .

وكان عبد الشكور حريصا فى زياراته الصباحية على أن يمازح نبيل ويعرض خدماته فاذا كان لدى صباحى ما يشغله جلس اليه نبيل ، وفى واحدة من هذه الجلسات قال نبيل :

- الليلة ستنهب الى السينما .
- هاك المفتاح انما قل لى .
- أقول لك .
- أهى واحدة .
- يا نهارك أسود كيف تتصور هذا ؟
- اذن فهن كثيرات .
- بطبيعة الحال .
- وما الخطر فى أن تكون واحدة .
- وهل مثلى يستطيع أن يتحمل تكاليف الصديقة الواحدة .
- أتكلفك أكثر من الفتيات العديديات ؟

– لكل واحدة من الكثيرات أجرها المعلوم لا تتعداه أما الواحدة فانها تفرض نفسها عليك وتصبح فى الانفاق عليها ألن من الزوجة ومصاريف العيال • هى مرة أو اثنتين ثم أبحث عن غيرها •

– ودائما تجده غيرها •

– أكثر من الهم على القلب •

– فلماذا يا أخى لا تكرمنى معك ببعض الهم ؟

– ماذا تقصد ؟

– أنت من الساعة التاسعة الى الثانية عشرة لابد أن تذهب الى

البيت • فما ضر لو ذهبت أنا الآخر الى بيتى ووجدت فيه ••

ولم يكمل عبد الشكور بل قاطعه نبيل :

– فهمت •• لا تكمل •

– يا أخى هل كان لابد لى أن أعرض أنا •

– والله غاب عن ذهنى •• أنا آسف •

– لا •• العفو •

– الليلة ستجد ما تريد •

– حفظت •• شكرا •

– لا شكر على واجب •

– الآن أدخل الى صبحى بك •

منذ ذلك اليوم تعرف عبد الشكور على الكثيرات من الفتيات وحرص

أن يسجل أرقام التليفونات لكل منهن •

طرق عبد الشكور باب صبحى بك ولم ينتظر الاذن بالدخول فقد

كان يعلم أنه وحده :

– صباح الخير •

– وهو كذلك •

– اجابة لم اسمعها قبل ذلك فى حياتى كلها •

- انها التي عتدى •
- ولماذا لا يكون عندك صباح الخير •
- لانه ليس خيرا •
- لماذا ؟
- والسلام يا عبد الشكور خل الطابق مستورا •
- ولماذا يكون مستورا • وان أردت أن نستره على الجميع فلماذا تستره على وأنا أحس أنك أصبحت تأنس الى وتطلعنى على دخائلك لا تستثنى من ذلك الأسرار المنزلية •
- هذا صحيح •
- فما الجديد ؟
- يا سيدي جماعة من الذين كانوا على ثراء فاحش قبل الثورة يريدون أن يبيعوا بعض الأثاث في بيوتهم ليستعينوا بثمنه على الحياة •
- عظيم •
- وما شأننا نحن •
- صافيناز عرفت الخبر •
- هنا المصيبة •
- ستجن وتجننى ان لم تشتري طاقم الاستقبال واحدى السجاجيد •
- فعلا لك حق ليس صباح الخير •• هل الثمن كبير •
- طاقم الاستقبال من الأيبسون الحرير •
- ماذا ؟ ماذا قلت ؟
- لك حق الأيبسون قماش فرنسى لم يعد أحد يصنعه الآن وهو من خيوط الحرير وان كانت بعضهن تصنعه من الصوف والفرق شاسع في الثمن بين النوعين ••
- فهمت •
- فكان آيبسون حرير الآن ثمنه خيالى لانه تاريخى •
- بمعنى •
- بمعنى أن الطاقم الذى تريد صافيناز شراءه ثمنه ثمانية آلاف جنيه •

واتنتر عبد الشكور من كرسية صائحا :

- بكم ؟

- بما سمعته .. اقعد .

- ومتنى أقف اذن .. ان مبلغا كهذا لابد أن يسمعه مثلى واقفا ان

كان قاعدا وقاعدا ان كان واقفا .

وضحك صبحى وقال :

- احتسراما .

- احتراما وتوقيرا وذهشة وذهولا وكل ما يرد على ذهنك من هذه

المعانى وأمثالها والقريبة منها .

- لك حق .. والسجادة ألف وخمسمائة جنيه .

- وهذا أيضا يستحق الوقوف .

- أرايت انه ليس صباح خير .

- فعلا سعادتك محق .. انما قل لى سعادتك هل هناك مهلة لهذه

الصفقة .

- أسسبوع .

- صباح الخير .

- هل جد جديد ؟

- قل صباح الخير وأمل فى تلميذك خيرا .

- هل عندك وسيلة ؟

- أمهلنى ثلاثة أيام .

- أهذا معقول ؟

- الفأر أنقذ الأسد .

- على كل حال ليس لى أمل الا فى الفار .

- قل صباح الخير .

- ليكن صباح الخير .

- سلام عليكم .

- وعليكم السلام .

وخرج عبد الشكور من الغرفة وأغلق الباب وانقأ أنه أمسك

بصبحى من حيث يريد أن يمسك به .

ذهب عبد الشكور الى التنظيم فيما بعد الظهيرة ووجد من تعود أن يجدهم دائما • وكان قد وطد علاقته بموسى أشرف أعظم الأتباع شانا والصقهم بأحد الأقيال الضخام الشأن والجاه • • اقترب منه وراح يجاريه في الحديث وموسى يحرص على أن يضع في كل بضعة جمل واحدة أو اثنتين عن الشخصية ذات الشأن الخطير التي يعمل في خدمتها • • وفي مهارة ودربة يظهر عبد الشكور الدهشة أو الرهبة أو الاكبار أو الاجلال حريصا على أن يضيف على محدثه موسى كل ما يصيب اليه من عظمة ومن أشكال الجبروت والمكانة والجاه العريض •

وفاجأ عبد الشكور موسى وكانا يجلسان بمنجى عن أسماع الآخرين :

- لماذا يا موسى بك لا تشرفنى فى البيت ؟
- لا مانع طبعاً •
- أتحب أن نتغدى معا أو نتعشى ؟
- البغداء لا يمكن • لأننى أكون دائماً بالقرب منه وربما أرادنى •
- وفى المساء ؟
- فى المساء له هو سرحاته الخاصة •
- وأنت أليس لك سرحات ؟
- والله ان تيسرت يكون خيرا وبركة •
- ماذا تعنى بتيسرت ؟
- ألم تفهم ؟
- فهمت ولكننى أريد أن أتأكد •
- هو ما فهمت •
- هل تتناول معى العشاء غدا •
- ومن المدعوون • •
- أنت وشخص واحد •
- من هو •
- ستعرفه حين تراه •
- لا أحب المفاجآت •
- لا تخف هذه مفاجأة سبتجيهل •
- أنا لا أذهب الى أى دعوة اذا لم أكن على علم أكيد بالمدعوين •
- اترك هذه الخصلة غدا ولن نلتهم •

- اسمع اذا انبسطت ستكون واحدا من المهمين فى مصر
كلها واذا ..

- وقاطعه عبد الشكور قائلا :

- لا تكمل أعرف ماذا سيحل بى اذا حدث العكس •

- صباح الخير يا نبيل •

- عسى الله أن تكون مبسوطا •

- نهارك فل •

- علم •

- البك وحده •

- وما هذه الحقيقة فى يدك ليست العادة •

- قلت أوقع منه بعض أوراق على الماشى •

- أدخل •

- أراك وأنا خارج •

- أنا قاعد وأين يمكن أن أذهب •

دخل عبد الشكور الى مكتب صبحى ولم يجلس وانما وقف الى جانب
المكتب وفتح الحقيقة وهو يقول :

- صباح الخير مبسوك على صافيناز هانم الطاقم والسجادة
يا سعادة البك •

وقفز صبحى واقفا

- يا نهارك أبيض من أين جئت بكل هذا المبلغ ؟

وفى برود وثقة قال عبد الشكور :

- اهدأ واطمن واقعد واسترح •

- قعدت •

وراح عبد الشكور يشرح العمليات المالية التى يقوم بها فى الأسهم
والسندات ووضح لصبحى أن البنك أو أصحاب الأسهم لا يخسرون مليما

واحدا • كما طمأنه انه ليس بين أوراق البنك ورقة واحدة لها شأن بهذه
العمليات •

وأحب صبحي أن يقتنع ووضع المبلغ في حقيبته الخاصة •

حين ذهب موسى أشرف الى بيت عبد الشكور استقبله في ترحاب
أقرب الى الذلة منه الى الاكرام • وحين دخل موسى الى البهو طالعه فتاة
واضحة الجمال والجاذبية وقال عبد الشكور :

- كريمة ، الضيف الوحيد الى دعوته •

- ونعم الضيف •

- عندي الشراب والدخان أيهما أحب اليك •

- كله عظيم •

- ليلتنا بيضاء •

- ان شاء الله •

ولم ينس عبد الشكور أن يترك بيته في الموعد الذي رآه مناسبا
تماما •

وفي اليوم التالي قال موسى لعبد الشكور :

- شقتك جميلة ولكن صغيرة •

- أعرف ذلك ولكن ماذا أصنع ؟

- تذهب غدا الى عبد السميع حسنى سيسلمك شقة من شقق
العمارات المصادرة •

- غدا •

- غدا طبعاً •• أتحب أن تذهب الليلة •

- غدا عظيم •

الفصل العاشر

كان عبد الشكور قد وثق صلته بثمانية نفر من أصحاب الأسهم وكانت الأسهم التي يملكها كل منهم تدل على الثراء العريق وكان أهم هؤلاء رستم نامق الرجل التركي الأصل الذي يزهي دائما بأن جده الأكبر كان صدراً أعظم في عهد السلطان عبد الحميد بتركيا وكان يروى لعبد الشكور انه حين حدثت ثورة الجيش على السلطان تمكن جده من تهريب ثروته جميعها الى مصر ولم يكن له الا ولد واحد الذي لم ينجب هو الآخر الا ابنا واحدا وهكذا وصلت الثروة كاملة الى رستم نامق متمثلة في أبعديات زراعية وأموال سائلة وجواهر نادرة المثل لا يحصيها عد ، ورستم مثل أبيه وأجداده لم ينجب الا بنتا واحدة هي فوزية .

وطبعا عبد الشكور كان يعلم أن الأبعديات قد انكشفت الى مائتي فدان . ولكنه لم يعلم علم اليقين مقدار المال السائل أو الجواهر ولكن كمية الأسهم التي باسم رستم كانت شاهدا قويا على ضخامة ما يملكه رستم .

وقد استطاع رستم أن يتخفى عن عيون الحكم المغتصب فلم يكن ذا شأن في الحياة وانما كانت حياته مقصورة على الافطار في جروبي في الصباح ثم يلزم بيته حريصا أن يراقب مذاكرة ابنته وكان لا يستقبل الا ندرة قليلة من الناس بعضهم أتراك وبعضهم من المثقفين الذين يريدون أن ينتفعوا بالكتب النادرة التي تكتنزها مكتبته العامرة بالمخطوطات النادرة .



مبلغ واحد آخر حصل عليه صبحي من عبد الشكور ثم أمتت الثورة الأسهم جميعا بحيث لا يملك أى فرد من الأسهم أكثر مما قيمته عشرة آلاف جنيه .

وتفتت ذهن عبد الشكور عن فكرة عادت عليه بملايين الجنيهات فقد اتفق مع الثمانية اللصيقين به من ملاك الأسهم ألا يبلغ المصادرة

إلا بما قيمته عشرة آلاف جنيه من أسهمهم ويجعل الأسهم الأخرى ملكا
لأسماء وهمية واتفق معهم أن يكون اقرارهم بالصورة التي سيعدها لهم
حتى اذا راجعت الدولة قيمة أسهمهم في البنك لدى عبد الشكور وجدها
مطابقة لما جاء في الاقرار .

أما الأسماء الوهمية التي كتب لها الأسهم فقد تفتق ذهنه أن يعد
منهم توكيلات مزورة له وأعد أيضا كيف ستزور هذه التوكيلات .

بعد ليلة من ليالى شقته الجديدة كان المدعوان فيها موسى وسيدة
وما يلزم لهما ، قال عبد الشكور لموسى :

— أى أمين للشهر العفارى من محاسيبك .

— فاضل الملوانى .

— مره أن يفعل لى ما أطلبه .

وتم لعبد الشكور ما أراد من توكيلات .

وتمت العملية كلها ولم يسمع بها أحد من داخل البنك أو خارجه .

واشترط أن ينال هو نصف ما سيهره من أسهمهم وقبل جميعهم
العملية وشرطها .

وأطلع عبد الشكور رئيسه صبحى بك واعدا اياه بمبلغ لا بأس به
فقد كتم عنه طبعا النسبة التي سينالها من المساهمين والذي يقبل المال
انحرام مرة من الطبيعى أن يقبله دائما .

ورحب صبحى بالعملية .

وخاصة أن ما كان يعطيه له عبد الشكور من عمليات الأسهم سينقطع
كما سينقطع عنه ما كان يصيبه من سمسة القطن من يد عبد الشكور .

فقد أمتت الدولة تجارة القطن أيضا ، وعلق صبحى على تأميم
التجارة فى القطن قائلا لعبد الشكور :

— انها قد فرضت على الفدان ضريبة أكثر من خمسمائة جنيه للفدان
الواحد يدفعها الفلاح الذى تقول الحكومة أنها جاءت لتنقذه من الاقطاع .
هل كان يجرو أى اقطاعى أن يشتري قطن الفلاح الا برضى الفلاح نفسه .

وقال عبد الشكور :

- فرق السعر الذى تشتري به الدولة من الفلاح والسعر الذى
تبيع به يزيد عن الخمسمائة جنيه •

- فعلا •

- على كل حال أنا وأنت الوحيدان اللذان كسبا من تأميم الأسهم •

- البركة. فيك فكرتك عظيمة •

- لولاك ما استطعت أن أنفذها •

- المبلغ الذى حصلت عليه يجعلنى أفكر فى ترك البنك •

لم يتظاهر عبد الشكور بالدهشة وأدرك صبحى ما يجول بنفس
صاحبه فاذا هو يقول فجأة :

- نعم لماذا لا ؟

- ما هو ؟

- لماذا لا تصبح أنت مكانى ؟

- هل يمكن ذلك ؟

- البركة فى موسى أشرف •

- وفيك أيضا •

- توكل على الله •

الفصل الحادى عشر

شقة فاخرة ومدير بنك ومال وافر وجاء عريض • متى ينفذ تخطيطه
للزواج ان لم يكن اليوم وأين سيجد رستم نامق لابنته فوزية زوجا أحسن
من عبد الشكور حيدر •

قال لرستم :

– أنقذت لك ثروة •

– لا أستطيع الانكار ولو أنك أيضا حصلت على مبلغ عظيم •

– فما رأيك فى هدية أخرى أقدمها اليك •

– أى هدية ؟

– أنا •

– ماذا تعنى ؟

– أتزوج فوزية هانم •

وأصاب رستم الذهول وصمت وأكمل عبد الشكور :

– أنا مدير بنك أنت تعرف مكانته بدليل انك تضع فيه أسهمك

وأنا أملك الآن ثروة لا بأس بها فأنا لا أطمع فى ثروتك •

– أنت تطمع فى الزواج من أسرة عريقة •

– وهل فى هذا بأس •

– لا بأس على شرط أن تكون كفئا لها •

– ما الكفاءة ان لم تكن منصبا ومالا •

– أن تكون من أسرة فى نفس العراقة •

– هل تعرف أصلى ؟

– لو كان لك أصل لكنت عرفتة •

– اننى من أسرة ريفية وأبى من أعيان البلدة وأنا أشارك فى هذا

مع الأغلبية الساحقة من أصحاب المناصب فى أيامنا هذه •

- أيا منا هذه قلبت الهرم من أساسه •
- لا تملك أن تقاوم التيار •
- انها ابنتى •
- ان لم تشتط الا الحصول على ابن أسرة فتأكد انه فى الغالب الراجح سيكون طامعا فى مالك •
- وصمت رستم قليلا •
- ولكن أصوله ستجعله عفيفا •
- وشحاذا أو قريبا من شحاذ •
- وصمت قليلا :
- لا تستطيع أن تنكر أن هناك أصحاب مناصب و ثراء من أسر عريقة •
- نادرون •
- ولماذا لا تتزوج فوزية واحدا من هؤلاء النادرين ؟
- لأن أحدا منهم لا يعرفها ولا تعرفه وأغلب الأمر أن يتزوج أبناء هؤلاء من قريباتهم ومن العائلات التى تصادقهم ويعرفون كل شئ عنها •
- ربما رشحت له فوزية من زميلة لها أو من احدى الأسرات التى تتصل بها •
- انك لا تكاد تتصل بأحد فالفرصة أمام فوزية فى الزواج تكاد تكون معدومة ، ومن تلك التى سترشحها من زميلاتها ؟ أولى بها أن ترشح نفسها •
- فوزية أكملت دراستها فى الأدب وتجيد الفرنسية والعربية •
- وأنا أجيد الانجليزية والألمانية وأنت تعرف •
- على فكرة ما شهادتك ؟ •
- مدير بنك •
- وصمت رستم طويلا • • لقد كبرت البنت ولم يتقدم أحد لخطبتها ولم تستطع أن تكون أصدقاء أو صديقات فى الكلية فقد كانت تربيتها المتزمتة حائلا بينها وبين الانسجام مع زملائها وزميلاتها وإذا لم أقبل هذا النصاب اللص المزور فأن الله يعلم ماذا يمكن أن يحدث •
- ولم يتركه عبد الشكور لصمته بل قال فى حسم :
- أنا أعرف عنك أسرارا ليس من مصلحتك أن تذااع •

وفزع رستم وهو يقول ذاهلاً :

ـ وتهديد أيضاً •

ـ بل تذكر •

ـ بتفصيل •••

ـ أنت تعرف صلاتي أستطيع أن أضحك أنت وفوزية تحت الحراسة

بتليفون من بيتك هذا •

وأطرق رستم في رعب ماذا يبقى له •• انه بلا صديق ولا معين
الا ماله • وهذا الأدمى المحسوب خطأ على الانسانية يستطيع أن يدمر
حياتي وحياة فوزية في لحظة ويصبح علينا الصباح أو يمسي علينا المساء
فإذا نحن متسؤلون تستجدي البقاء على الحياة من أيدي لا نعرفها
ولا تعرفنا •• لم يترك لي خيارا ••

نظر طويلا الى عبد الشكور وجمع على لسانه في جهد شديد حروف

كلمة واحدة •

ـ أسألها •

وأدرك عبد الشكور أنه بلغ مراده فقال في توقع :

ـ هذا شأنك على شرط •

ـ وشرط أيضاً •

ـ أن تذكر لها ما كنت تفكر فيه الآن •

ـ أتعرفه ؟

ـ بالتفصيل •

ـ فلنسألها رأيها •

ـ ليس لديها خيار •

وأطرق رستم ثانية وهو يقول في أسى وانكسار :

ـ أعلم ذلك •

الفصل الثانی عشر

اشتد المرض بحيدر وضاق به وسائل الرزق وأغلقت السبل أمام زوجته زنوبة ولم تجد شيئا تقوله لزوجها الا :

- ألا نخبر عبد الشكور ؟
- اياك أن تذكرى اسمه .
- اننا فى حالة ضنك والغرباء يشفقون علينا أليس ابننا أولى بنا .
- انه ليس ابننا .
- على كل حال أن نمد يدنا له خير من أن نقبل صدقة الغرباء .
- بل الصدقة من الغرباء أفضل .
- لا حول ولا قوة الا بالله .
- وصمتت زنوبة وهى تضر فى نفسها أمرا .

حين نام حيدر فى القيلولة ذهبت زنوبة الى بيومى اقرب صديق لعبد الشكور قبل أن يهاجر من القرية ورحب بيومى بها فاذا هى تنجبهه .

- ايرضيك ما نحن فيه يا بيومى ؟
- البلدة كلها تتكلم .
- وانت . ألا تفعل شيئا ؟
- أنا تحت أمرك .
- نحن نعلم أنك لا تملك أكثر مما تعطيه لنا من حين لآخر .
- كريم ستار .
- ولكنك تملك ما تفعله .
- والله فكرت فيه .
- وماذا منعك عنه ؟
- ما عرفته من مقابلته لاييه .
- ربما كان فى ذلك اليوم معذورا .

— هذا كلام من تحكم على ابنها بقلبها لا بعقلها •
— ربما •

— وإذا سلمنا معك انه كان معذورا يوم لقائه بأبيه فهل ظل معذورا بعد ذلك حتى الآن •
— حجته معه •

— ماذا يمكن أن تكون حجة ابن يقاطع أباه وأمه ويصبح شهيرا لا يمر يوم لا تذكر فيه الجرائد اسمه ويصبح المال عنده بالكيل ولا يذكر أباه وأمه ببعض هذا المال أو على الأقل بالسؤال عنهما •

— هل يمنعك هذا أن تفعل ما أرجوه منك ؟
— أنا أعرف ما تريدون دون أن تقوليه بل وأعرف من زمن طويل أنك تتوقعين مني أن أفعله دون أن تطلبينه مني •
— وماذا يمنعك أن تفعله •
— اليأس وشيء آخر •
— أي شيء آخر •
— الذي يهون عليه أمه وأبوه وهما أصل وجوده لا يمكن أن يرعى صداقة أو ردا لأي انسان •
— انك كنت كأخيه •

— بل أكثر ولكن أظنن أنه لو كان له أخ كان سيفعل معه أحسن مما يفعله معك ومع أبيه •
— هل هذا ما يسيئك •

— نعم • اننى لا أحب أن أراه يتنكر لى أو يتعالى على أو يتجاهلنى والذى أراه من جحوده معكم يجعلنى أتوقع منه أسوأ التوقعات •
— وهل يمنعك هذا أن تحاول من أجل عمك حيدر •
— صعب •

— الرجل يموت ولا تملك ثمن الدواء بل لا أخجل أن أقول لك اننا كثيرا ما لا نجد ثمن الطعام لولا كرم الناس الطيبين •• انك أنت نفسك لا تنسانا وتجود علينا بما تستطيع •

- - جهد الفقير
- - فإذا كنت أنت وأنت محدود الدخل تمتد لنا يدك بالعون أليس
ابننا أولى بنا •
- - ابنك يعمل فى بنك أيجهل أن صناعة أبيه فى-السمسرة لم
يصبح لها وجود ان كان عنده أى نية للمعاونة فما الذى يؤخره •
- - ربما ظن أن أباه وفر من أيام عمله بعض المال يستعين به الآن •
- - ألا يعرف أن أباه كان يحصل على قوت يومه بطلوع الروح •
وأنه لم يستطع أن يجعله يكمل تعليمه فى الجامعة رغم علمه بحب أبيه
له حبا قائما •
- - وهل عندنا غيره انه هو الذى يمثل لنا الحياة كلها •
- - طبيعى ابن وحيد • جاء بعد تشوق وانتظار •
- - أتصدق بالله •
- - لا اله الا الله •
- - اننى وحيد لا نصلى صلاة الا وندعو له فيها بالتوفيق والسداد •
ولا نرجو الله أن يجعله بارا بنا فكلانا فقد الأمل فى هذا تماما •
- - ليس فيما أسمعه غرابة •
- - والله ما دفعنى للمجئء اليك الا مرض الرجل وآلامه •• أراه
يتمزق أمامى ولا أجد ثمن الدواء •
- - لا حول ولا قوة الا بالله •
- - انه لا ينسى فى كل صلاة بعد أن يدعو لعبد الشكور أن يطلب
من الله أن يرفعه اليه •
- - اسمعى يا أمه زنوبة اننى سأذهب الى عبد الشكور •
- - انه يا بنى لا يعلم أن أباه مريض مرضا شديدا فربما لو عرف
يرق قلبه •
- - اننى ذاهب وليكن ما يكون •
- - سألته نعيمة سكرتيرة عبد الشكور •
- - نقول له مين ؟

- قولى له بيومى •
- بيومى من ؟
- قولى له بيومى صديق الطفولة •
- فقط •
- هذا يكفى •
- أمرك •
- وقال لها عبد الشكور :
- قولى له فى لجنة • مشغول • لا يقابل أحدا •
- وسمع بيومى الاجابة فاقتحم غرفة عبد الشكور دون أن ينتظر اذنا وصاح به :
- لقد كنت أتوقع انك ستمتنع عن لقائى •
- ونظر عبد الشكور الى نعيمة وأوما لها أن تخرج ولم يتج له بيومى أن يتكلم •
- ان من يفعل الذى تفعله بأبيك وأمك لا يمكن أن يحن لأيام الصبا ولا لأقرب صديق منه لما يزيد عن عشرين سنة من حياته •
- لا تطل • أنا أريد أن أنسى هذه الأيام وأريد أن أنسى بلدتكم وكل ما فيها ومن فيها • أنا أقنع نفسى أننى ولدت هنا فى هذا البنك وحياتى هنا وليس لى قبلها حياة •
- لست سيدنا آدم ، ان لك أبا وأما •
- بل اننى أنا آدم الجديد •
- حتى اذا علمت أن أباك مريض مرضا شديدا •
- هل لآدم أب •
- انه يكاد يموت •
- كلنا سنموت •
- لا سلام عليك •
- ولا سلام عليك •
- وخرج بيومى غاضبا يبحث عن أقرب طريق للهواء النقي •

لم تمض أسابيع حتى مات حيدر وتولى بيومى بما جمعه من كرام
القرية نشر نعى حيدر بالأهرام بادئا الخبر بقوله شيعت أمس جنازة
فلان والد فلان قاصدا أن يعرف الناس أن لعبد الشكور أباً وأنه ليس
بأدم ولا حتى آدمى .

وغضب عبد الشكور من نشر الخبر فبادر يعلن أنه سيستقبل العزاء
فى جامع عمر مكرم دون مأتم ووقف عبد الشكور فى الموعد الذى حددته
يتلقى العزاء على باب المسجد فيسلم المعزون عليه وينصرفون .

وأقام أهل القرية مأتما لحيدر لم يحضره عبد الشكور طبعاً ولو
كان فكر أن يحضره لافترش الحصر على الأرض مع المعزين فما كان أحد
ليفكر أن يستأجر الكراسى ليستقبل عليها العزاء فى رجل ابنه يملك أن
يقيم له عشرين مأتما دون أن يمس هذا غناه الفاحش أى مساس .

ولم يعبأ عبد الشكور أن الأعيان الكبار من القرى المجاورة سيذهبون
الى المأتم الذى حدد نعى الأهرام مكانه . فقد كان هؤلاء الأعيان يدركون
ما بلغه عبد الشكور من سلطان وكانوا حريصين أن يتقربوا اليه ان لم
يكن رجاء المنفعة فدفعوا لمكروه من جانبه فقد كانوا على تمام الدراية أنه
يملك أن يفيد وأن يضر وأنه كان دائماً لحب الضرر أقرب . وكان الضرر
الذى يوقعه قاتلاً ولما كانوا حريصين على الحياة فقد ذهبوا الى المأتم
متوقعين أن يجدوا عبد الشكور هناك ليأخذ العزاء فى أبيه فان لم يأخذ
الابن الوحيد العزاء فى أبيه . فمن .

لم يجدوه ووجدوا بعض أهل القرية يتقبلون العزاء ووجدوا المعزين
يفترشون الحصر على الأرض حتى لم يجدوا كرسيًا يجلس عليه قارئ
القرآن الذى تبرع باحياء المأتم بلا أجر .

والعجيب أن أحداً من هؤلاء الأعيان لم يجرؤ أن يخبر عبد الشكور
أنه ذهب الى المأتم مخافة أن يغضبه وان كان عرف كل ما جرى من
أبو العلا عفيفى ولم يهزه الذى سمعه شعرة منه .



وبعد انتهاء المأتم لم تجد زنوبة وسيلة لتواصل بها الحياة المفروضة
عليها الا بأن تعمل خادمة فى منزل عمدة القرية الذى اعتبر استخدامه لها
صدقة مستورة وقالت له زوجته :

— ان ابنها يستطيع أن يشتري البلدة كلها •

— وهذا أدعى الى الصدقة فبى لم تفقد زوجها وحده وإنما فقدت من قبله بر ابنها الوحيد فكأنه مات وهو على قيد الحياة بل ربما كان موته خيرا لها من حياته لأنها — على الأقل — ستراث نصيبها من ثروته •

— صدقت ان مصيبتها فى حياة ابنها أعظم من مصيبتها فى موت زوجها •

الفصل الثالث عشر

جلس رستم مهزوما ضائعا فى غرفة المعيشة وطلب من الخادم أن يستدعى له فوزيه . وجاءت ونظر اليها أبوها نظرة حانية آسفة حزينة طويلة وظهرت الدهشة على وجه الفتاة البارة الجمال صاغها الخالق البارئ المصور فأدقها أجلها . وجه ملائكى السمات وغينان خضراوان صافيتا الخضرة كأن الرموش عليها أحراس مقوسة الى أعلى فى عزة وكبرياء وكأن الحاجبين ابوان يحنوان على ابنتيهما وهذا الابهار جميعه مشفوع بجلال ربانى وثقة متواضعة . يحيط بوجهها شعر عريبد تولت هى استثناسه وتهذيب عربدنه كل هذا الاعجاز الالهى يعلو قواما أهيف ممشوقا من صنعة الله أين منها رفائيل ومنقاشه وسحر بناؤه .

عاد رستم الى نفسه حسيرا أسيفا كسيفا وكأنه يرى جمال ابنته للمرة الأولى فهو لم يحاول قبل اليوم أن يتبين معالم جمالها وانما كان يرى فيها ابنته الوحيدة وأمله فى الدنيا والمبرر لحياته. ويدرى أنها جميلة فى غير حيثيات ولا تفاصيل .

وقطعت عليه فوزية صمته المبيد الذى جعل أباهما فى عينيها فى حال لم تره عليها حياتها كلها .

— خير يا بابا .

— بل شر يا بنتى .

— ماذا ؟

وقص عليها أبوها المصيبة التى تحيط بحياتهما ثم ختم حديثه قائلا :

— كل ما كنت آمله من الحياة أن أتركك بين يدى زوج أطمئن الى شرفه ورجولته وحفظه للأمانة وهذا الكارثة الذى يفرض نفسه علينا بلا شرف ولا رجولة ولا أمانة مستعد أن يلقي بك أول ورقة على مائدة القمار أن كنت الورقة التى ستعود عليه بأى كسب مهما كان حقيرا .
تافهها .

واسودت الدنيا فى ناظرى فوزية وغابت نظراتها حتى لقد تلاشى
أبوها فى عينيها وجمعت على شفيتها الباذختى الجمال كلمات غمغمتها .

– المصيبة أعظم مما تظن يا أبى .

– هل يمكن ذلك ؟

– اذا عرفت أننى أحب حبا عميقا معيدا بالجامعة يبادلنى مشاعرى
ربما بصورة أقوى وأعنف .

وكان محيطا هائلا من الآلام غمر بأمواج كالجبال رستم المسكين :

– ولماذا لم يتقدم اليك ؟

– انه عائد بعد سنة واحدة من لندن حيث يدرس ليحصل على
الدكتوراه .

– ولماذا لم تقولى لى لقد كنت أظن أنك تركت الجامعة دون أن
يكون لك صلة بأى طالب فيها أو أستاذ .

– ولماذا أقول لك وأنا واثقة أنك كنت ستقبله فهو فتى يعتبر من
أمثلة الرجولة الكاملة ومن أسرة عريقة ليست وافرة الغنى وإن كان لديها
ما يستطيع أن يحفظ عليها كرامتها فى عزلة وإباء أنا كنت واثقة
أنك ستوافق لأنك لن تجد فيه الا ما يرضيك .

– والآن ماذا نحن فاعلان ؟

– واضح أن زواجى فى كفة وفرض الحراسة علينا فى الكفة
الأخرى .

– أنا لا أريد مالى لنفسى وإنما أحفظه لك درعا من حياة ليس لك
فيها الا هذا المال ... ما مصيرك بدون هذا المال .
– أتوظف .

– هيهات أنه يملك أن يفرض عليك الحراسة يملك أن يمنع عنك
أى وظيفة .

– ليس من الضروري أن أتوظف فى الحكومة أو القطاع العام .

– وهل هناك قطاع خاص أو انسان يستطيع أن يقاوم هذا
السرطان .

– ألا من سبيل ؟

— واضح أننا اذا رفضناه سيجعل الانتقام منا شغله الشاغل ومن.
المؤكد أن الوسائل كلها بيديه •
— نساfer ٠٠٠٠ نترك مصر •

— لك الله يا بنتى الحبيبة ٠٠٠٠ أظنن أننى لم أفكر فى هذا:
ولكن كيف ؟ ان مصر اليوم مغلقة على من فيها لا تفلت من جدرانها نملة
الا باذن من السلطان والسلطان فى يد هذا السرطان •

وأطرقت طويلا وقالت وكأنها شخص مذهب العقل :

— انك تحتفظ بمالك فى المنزل وبالمجوهرات ألا تستطيع أن
تستأمن عليها أحداً من أصدقائك وترفض الزواج حتى اذا استطاع أن
يفرض عليك الحراسة لم يجد عندك ما يصادره •

— لم يغب عنى هذا انه قادر اذا لم تجد الحراسة عندى المال الذى
يعرفه على الأقل فانه سيستطيع أن يسعى بى الى من يعتقلنى وليس.
يعنينى أن اعتقل ولكن ما مصيرك أنت اذا أنا اعتقلت •

— الى هذا الحد •

— لست اخترع مصائب • انما أروى لك ما رأيناه وقع فعلا
للآخرين •

وأطرقت فوزية وفرت من عينيها دمعتان حاولت بجهدا كله منعهما
أن تسبلا فغلبتاها على أمرها قالت :

— اننى أعلم أنك لو اعتقلت أستطيع أن أواجهه ولكن فكرة أن.
تعتقل وأنت فى سنك هذه ، مجرد الفكرة مهما تكن غير مؤكدة أردتها عنك
لا بالزواج من هذا الشيطان فقط ولكنى أقدم حياتى وأنا سعيدة لأرد.
عنك هذا الاعتقال •

— والله يا بنتى الذى لا اله الا هو لو وثقت أن اعتقالى سيرد عنك
هذا البلاء لرحبت به •

— لتكن مشيئة الله نافذة •

— ان الله أرحم بعباده من أن يقبل هذا الذى يحيط الناس من قهر
وعذاب وتنكيل •

والعجيب أن فوزية قالت :

— انه سبحانه يقول « ولنبلونكم » ويقول : « وبشر الصابرين »
دعنا يا أبى نشتري الآخرة بالدنيا والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

— اذن ؟

— من أجل سلامتك وحدها أتزوجه .

— كان الله فى عوننا يا بنتى فانى أيضا من أجل سلامتك وحدها
سأقبل زواجك به ولعنة الله على الظالمين .

الفصل الرابع عشر

وتم الزواج فى حفل قصد عبد الشكور أن يكون غاية فى الفخامة والابهة ليعلن بمن حضره الأقبال وأصحاب السلطان مدى ما يتمتع به من صلات وقوة وعنفوان وهو أمر لم يكن محتاجا الى تأكيده فهو معروف للقاصى والدانى ولكن عبد الشكور يتمتع بأن يؤكد هذا كلما أتاحت له فرصة .

وأين يجد فرصة خيرا من زواجه ليستمرى هذا الشعور . ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير ما يقترون بسيرة قوته ومنعته ونفوذه. ما يعرفه الناس عن الوسائل التى سعى بها الى هذه المكانة .

فالناس أغلب الناس اذا واجهوه أظهروا التبجيل والأكبار والأجلال. وان كانوا لا يضمرون له فى دخائل أنفسهم الا الاحتقار والأشمئزاز والهوان .

ومهما كان الفرح باذخ الفخامة فانه لم يستطع أن يرسم ظل ابتسامة على وجه العروس أو علامة مهما تكن واهنة من حبور على وجه أبيها .

ويستطيع عبد الشكور أن يهدد ويتزوج بمن اختارها بكل وسائل الغدر والختل والجبروت ولكنه لا يستطيع كما لا يستطيع انسان أن يأمر ابتسامة أن تعلق شفقتين ولا علامة من حبور على ملامح انسان .

فى ليلة الزفاف كانت فوزية واثقة بأنها آتتس انسانية على ظهر الأرض . وكانت كلما لامسها عبد الشكور أحست التقرف والتقرز .

وكان عبد الشكور واثقا أن زوجته لا تحبه وإن كان يجهل انها كانت مرتبطة بعلاقة حب عنيف مع أمجد الزعفراني المعيد بالكلية التى تخرجت فيها .

كان يجهل هذه العلاقة ولم يكن محتاجا لمعرفةا ليدرك مدى الكراهية التى تحسها فوزية نحوه ولكن مثل حفل عبد الشكور بمشاعر

الانسان حتى وان كان هذا الانسان زوجته التي أمست منذ الليلة نصفه الآخر المفروض فيها أن تكون سكنا له ومودة ورحمة وأنيسا لخيانة وتوأما لروحه .

ولكن متى كنت في حاجة الى من يحبني يكفيني حبي لنفسى كل ما أريد من هذه الفتاة أن تصبح زوجتى وقد أصبحت ولتذهب مشاعرها الى أى جحيم تريد .

لم يمنع التقزز من فوزية وجمود الحس من عبد الشكور أن ينال الزوج حقه الشرعى . منحته له فوزية وكأنها مقدمة على الانتحار .

كانت الحياة بين الزوجين بعد ذلك نسخة مكررة مما كانت في الليلة الأولى . احتقارا وامتهانا وتباعدا من الزوجة وعدم مبالاة وصلاية أحاسيس وتجاهل كراهية من عبد الشكور .

فهو لم يعرف الحب فى حياته كلها وهو لا يريد أن يعرفه . ولا يعنيه أن تحبه زوجته بل لا يعنيه أن تكرهه فكما كان لا يعيا بالحب من أى انسان مهما يكن قربه منه كان لا يحفل بالكراهية مهما تكن مؤصدة اليه من زوجته الف حياته وأم ولده .

نعم لقد حملت فوزية منذ الشهر الأول من الزوج ووضعت لزوجها طفلها بعد عشرة أشهر من زواجهما .

وتسلخ الجد فى اختيار اسم الوليد فكان راشد اسم واحد من أجداده العظام ولم يمانع عبد الشكور فكل الذى كان يطمح اليه أن يكون له ابن يحمل اسمه .

أما فوزية فانها منذ سكنت عنها آلام الوضع أزمعت أمرين لم تتوان فى تنفيذ أولهما .

ففى اليوم الأول لاستطاعتها الخروج من البيت قصدت الى الدكتوراة مفيدة عبد الغنى التي كانت مشرفة على الولادة وكانت زميلتها فى المرحلة الثانوية ثم اختارت كلية الطب وتخرجت فيها متخصصة فى أمراض النساء وقد أصرت فوزية ألا يشرف عليها فى فترة الحمل والولادة الا زميلتها القديمة ولم يجد عبد الشكور بدا من الاستجابة لرغبتها .

- رحبت مفيدة بزميلتها وصديقتها وسألتها فى دهشة :
- لماذا خرجت من البيت قبل الموعد الذى حددته لك .
 - أريد منك أمرا هاما .
 - ولماذا لم تستدعينى ؟
 - كان لابد أن آتى اليك .
 - عجيبة .
 - لا أريد أطفالا بعد راشد .
 - ليس لديك ما يمنع الحبل مرة أخرى وثالثة وعشرة .
 - لو كان لدى ما يمنع ما جئت اليك .
 - أكاد أفهم ولكننى لا أتصور .
 - بل هو ما فهمت .
 - أتريدى أن أجعلك عقيما ؟
 - هو ذاك .
 - ولكن
 - وقاطعتها فوزية :
 - لا تنطقى حرفا قبل أن أقص عليك كيف تزوجت .

وكانت قصة كافية لأن تجرى مفيدة لفوزية عملية التعقيم وقد أقدمت على اجراء العملية بضمير هادى مستريح مطمئن أنها تقوم بعمل إنسانى ثواب عليه .



أما الأمر الثانى الذى أزمعته فوزية فقد كان المستحيل أن تبدأ به من فورها بل كان لابد لها أن تنتظر بعض الوقت .

لقد كانت مصممة أن يكون ابنها أى شىء الا أن يكون شبيها لأبيه فى الهوة السحيقة من الأخلاق التى يتمتع بها هذا الشيطان الذى سماه أبوه عبد الشكور .



الفصل الخامس عشر

مرت السنوات حافلة بالأحداث الجسام •

واستطاعت فوزية أن تباعد بين ابنتها وبين أبيه باذلة في سبيل ذلك كل جهد لا تدخر وسعا لجعل الطفل يتعلق بها وينفر في الوقت ذاته من أبيه •

ولم يترك عبد الشكور وسيلة تجعله يتقرب من ولده الا سلكها دون أن يجدى سعيه الملح أن يجعل راشد يميل اليه •

ومع مرور الأيام بدأت مشاعر راشدة تتحول شيئاً فشيئاً من تباعد عن والده الى نوع من الكراهية •

وان كان هذا لم يمنع عبد الشكور أن يدخل ابنه الى المدرسة الألمانية ليجيد اللغة التي يجيدها مع لغات أخرى •

ولم تجد فوزية في اختيار هذه المدرسة ما يحول بينها وبين ما تريده لابنتها من مستقبل باهر تصاحبه كراهيته لأبيه •

ولم يبلغ راشد سن الوعي الا وقد زال عهد أبيه الزاهر وأصبح بلا حول ولا قوة فقد تغير الحكم في مصر وكان رفت عبد الشكور من رئاسة البنك من أوائل ما قام به العهد الجديد •

ويشاء العزيز الحكيم أن يظل رستم على قيد الحياة حين عادت الطمأنينة على الأنفس والأموال والحريات الى خلق الله في مصر •

وحينئذ أودع رستم كل أمواله مطمئناً في أحد البنوك باسم ابنته فوزية لتدر عليها دخلاً يجعلها في غنى كل الغنى عن زوجها كما أودع مجوهراتها الشامخة القيمة نفس البنك في خزانة باسم فوزية •

وقد صحبته فوزية الى البنك على غير علم من زوجها ولم يكن رستم في حاجة أن يطلب الى فوزية أن تكتم عن زوجها اسم البنك •

وكانما كان رستم يضع موعد موته في حوزته فما أن اطمأن على مستقبل ابنته حتى وافته المنية بعد أشهر قلائل من تأمين مستقبل ابنته •

وفى يوم الماتم استقبل عبد الشكور العزاء فى موت حفيه..الذى لم
يسع فيه ليه الا قلة نادرة تصدقوا بعزائهم فى غير همة ولا حماس .

فى ليلة الماتم وقبل أن يظلم الصياح سأل عبد الشكور زوجته :

— ما أنباء الميراث ؟

— ليس هناك ميراث .

— كيف ؟

— هكذا .

— ينبغي أن تخبرينى فانك وحيدة أبيتك وقد يشاركك الميراث أى
صاحب حق فيه .

— لن يجدوا باسم أبى مليما واحدا الا أثاث الشقة والمكتبة .

— اذن .

— اذن لو فاتحتينى فى هذا الموضوع مرة أخرى فلن أبقي فى البيت
لحظة واحدة لا أنا ولا راشد .

— ولكنى زوجك .

— عندك ما يكفيك والله جعل ذمة المرأة مستقلة .

— الله .

— أنت طبعا لا تعرفه فلم أسمعك تذكره مطلقا .

— أستطيع أن أعاملك بالمثل .

— أرجو أن تفعل .

— سترين .

— سأكون سعيدة حين أرى .

بعد أيام حول عبد الشكور ثروته الباذخة جميعها باسم ابنه حتى
ينتقم من زوجته فلا ترث منه مليما واحدا .

ولما كان هو الولي الطبيعى لراشد فقد كان يدرك أنه يستطيع أن
يتصرف فى هذا المال ما شاء له التصرف .

★★★

قبح عبد الشكور في بيته بلا عمل فلم يجد شيئاً يفعلهُ إلا أن يسعى
إلى هؤلاء الذين زال عنهم من المجد والجبروت كما زال عنه يجتمعون في
بيوت بعضهم البعض لا حديث لهم إلا المديح فيما مضى والقدح فيما هم
فيه من هوان شأن وانعدام قيمة .

وفي يوم نبتت في ذهن عبد الشكور فكرة سارع إلى تنفيذها .
ولماذا لا ؟ ألم نصبح في عصر الانفتاح فلماذا لا أصيب منه من
المال ما أطيق أن أصيب وليست قوة المال بأقل شأنًا من سطوة النفوذ .

الفصل السادس عشر

سافر عبد الشكور الى ألمانيا • فان صلتته بمارك وهوفمان ظلت ممتدة وكان يعلم تمام العلم أين سيجد كلا منهما •

ولم يخب مسعاه فسرعان ما التقى بمارك ووجده فى أحسن حال فى عائلته وماله معا •

تزوج مارك وأصبح لديه ولدان قريبان من عمر راشد وهما أندرسن وستيفان وفى نفس الوقت أنشأ مارك مصنعا ضخما لصنع الأثاث الخشبي عاد عليه بالغنى الوفير •

أما هوفمان فقد تزوج هو أيضا وأنجب ابنا قارب سن الشباب وابنة تصغره بعامين • والولد اسمه رالف والبنت كريستين وقد حقق هوفمان نجاحا باهرا وأنشأ بيتا تجاريا عملاقا للأدوات الكهربائية مثل التليفزيون والثلاجة والغسالة وسائر الأدوات المنزلية الكهربائية وكلها تحمل ماركة هوفمان وقد صارت ماركة شهيرة فى ألمانيا جميعها •

وأدرك عبد الشكور فى دربة الخير أن عمله سيكون مع هوفمان ولكنه مع ذلك دعا كلا من مارك وهوفمان الى غداء يرد به على دعوتيهما له حين وصل ألمانيا •

وعرف الصديقان كل أنباء صديقيهما المصرى منذ تركهما حتى مقدم راشد ثم ما كان بعد ذلك من اقصائه عن البنك •

وفى اليوم التالى ذهب الى هوفمان فى مكتبه وسأله :

- من المؤكد أنه ليس لك وكيل فى مصر •
- فعلا ليس لى وكيل فى مصر •
- فما رأيك أن أكون أنا وكيلك ؟
- لا بأس وان كنت قد فهمت أنك لست مقربا للسلطة فى مصر •
- الأمر اليوم مختلف تماما فى مصر • وما دمت لا أعمل بالسياسة فهم لا شأن لهم بى على الاطلاق •

- ليست السياسة بعيدة عن الاقتصاد .
- انهم يريدون أن يقلبوا النظام الاقتصادى فى مصر الى نظام حر ولولا وثوقى من أننى سأنجح بهذا التوكيل الذى سأحصل عليه منك ما غامرت .
- من ناجيتى لا أرى بأسا .
- فلتجهز العقود .
- ليكن توكيلك أول الأمر مقصورا على عنصر واحد من عناصر الأجهزة .
- وأنا أيضا أفكر فى ذلك وليكن التوكيل فى بيع التليفزيونات .
- لا بأس .
- لا تنس أن اسم هوفمان ليس معروفا فى مصر وسوف أنفق أموالا طائلة لأروج للاسم .
- أقدر ذلك .
- أرجو أن يمتد تقديرك الى النسبة التى سأحصل عليها .
- عبد الشكور أنا فى غير حاجة الى السوق المصرى فما أبيعها الآن فى ألمانيا وأوروبا يكفينى وزيادة بل اننى سأضطر الى توسعة فى مصانعى لأواجه المطلوب من منتجاتى .
- لماذا تقول هذا ؟
- أنت تفهم تماما لماذا أقوله .
- ان الفائدة التى تعود على من التوكيل أكثر بكثير من الفائدة التى تعود عليك .
- أرى أنك سترى الفهم كمعادتك دائما .
- وكيف تريدنى أن أشكرك .
- انها ليست معرفة يوم انها السنوات الطوال ؛
- وهذا ما أطمعنى فيك .
- ورفع هوفمان سماعة التليفون واستدعى موظفا عنده فحين جاء قال له :
- اكتب معه عقد توكيل بالشروط التى يريدونها .

وقال عبد الشكور :

- هذا ما أنتظره منك .
- أعلم أن هذا ما تنتظره مني .
- هل أجعل التوكيل في مصر وحدها أم في البلاد العربية كلها .
- ونظر اليه هوفمان نظرة طويلة وصاح :

- انك لم تتغير .

- كيف ؟

- تريد أن تحصل على كل شيء دفعة واحدة .

- ما دام ذلك ممكنا .

- اجعل العقد في مصر مبدئيا وأعدك ألا أعطى توكيلا لبلد عربي
قبل أن أعرضه عليك .

- هذا يكفي .

وصمت قليلا ثم قال :

- مؤقتا .

وقال هوفمان مبتسما :

- لم أسارع بالرد على قولك منتظرا بقية الجملة .

- أنت في غاية الذكاء .

- ليس هذا من ذكاء وإنما عن معرفة بك .

- وشيء آخر .

- أريد العقد باسم ابني راشد عبد الشكور .

- أنت تقول انه صغير .

- ولكنه سيكبر وأريد أن أغرسه بين رجال الأعمال منذ بداية
حياته .

- ومن سيكون المسئول .

- أتتصور أن يكون شخصا آخر غيري .

- المقروض ألا أقبل هذا الطلب ولكن لأنه منك أنت ولأنني لا أريد

أن أرفض لك أي مطلب مهما يكن شاقا فاني أقبل .

ونظر الى الموظف الذى جلس معهما ينتظر ما ينتهيان اليه وقال له :
- اكتب العقد بالاسم الذى يريده وبالنسبة التى يقدرها وبطريقة
الدفع التى يقررها اعتبر أنه مكافئ تماما ونفذ له كل ما يريد .

وتم عقد التوكيل كما شاء عبد الشكور تماما .
أما مارك فلم يجد عنده ما يستطيع أن يستورده الى مصر وقال مارك :
- انكم فى مصر تجيدون صناعة الأثاث .
- هذا صحيح .
- والأثرياء يحبون الأثاث الفرنسى القديم وإن دفعوا فيه أسعارا
خيالية .
- وهذا أيضا صحيح .
- ولكنى أنوى صناعة أدوات منزلية .
- كهربية .
- أتتصور أن أنافس هوفمان .
- اذن .
- أدوات منزلية غير كهربية وحين أصنعها سأطلبك لتأتى .
- أنا تحت أمرك .
- وتأكد أنك ستكسب منها مثلما تكسب من تليفزيونات هوفمان .
- أنا واثق .

وعاد عبد الشكور الى مصر ظافرا منتصرا وازداد استغناء عن حب
زوجته وإن كان الأمل ظل يداعبه فى استمالة راشد اليه .
ربما حين يكبر ويرى ما أعدته له من مال ومشروعات تجارية يتعلق
بى تعلقه بأمه أو أى تعلق والسلام ربما من يدري .

الفصل السابع عشر

ما أسرع ما تمر الأيام ..

نجح عبد الشكور فى توكيله وأصبح اسم التليفزيون هوفمان شهيرا فى مصر مما جعله بعد بضعة سنوات يجدد التوكيل مع هوفمان على أن يشمل البلاد العربية الى جانب مصر .

أما راشد فقد راحت الأيام تمر به وراح يزداد تعلقا بأمه وبعدا عن أبيه رغم أنه علم أن التوكيلات التى حصل عليها أبوه كانت جميعها باسمه .

وحصل راشد على الثانوية العامة واختار له أبوه بترحاب من أمه أن ينتسب الى الجامعة الأمريكية ورغبته أمه فى هذا قائلة له :

— انك تجيد الألمانية والفرنسية من المدرسة .

— الحقيقة أن تفوقى فى الفرنسية يرجع الفضل فيه اليك : أنا لا أنسى كيف جعلتنى أحب الأدب الفرنسى ولا أنسى الليالى الطوال التى كنت أقضيها معك فى قراءة الأدب الفرنسى .

— فإذا دخلت الجامعة الأمريكية فانك ستجيد الانجليزية أيضا وهى لغة العصر .

— انك لا تحتاجين معى الى اقناع يكفى أن أتلصص رغبتك من بعيد حتى أنفذها بكل حماس وبلا مناقشة أو تفكير منى .

— يا حبيبى اذن على بركة الله .

— سبحانه وتعالى

وفجأة وجدت فوزية نفسها تقول لابنها :

— راشد .

— أفندم .

— جاء الوقت لأقول لك شيئا .

- هل هناك شيء لم تقوله لى حتى الآن •
- كنت أنتظر اليوم الذى أراك فيه على ما أنت عليه اليوم لأقوله •
- وعلى أى شيء أنا اليوم •
- على درجة كاملة من الوعى لتستوعب تماما ما أريد أن أحدثك فيه •

- الحمد لله •
- ربما رأيت منى تباعدا عن أبيك •
- بل نفورا •
- سمه ما شئت • طبعاً لا تدرك السبب •
- أتصوره وإن كنت غير واثق منه •
- ماذا تتصور ؟
- أبى بطبيعته له طابع خاص به •
- ما هو •
- لا يعرف كيف يعطى وإنما يعرف تماما كيف يأخذ •
- بمعنى •

— بمعنى أنه لم يقدم لى فى حياته هدية إلا انتظر أن أقدم له فى مقابلها شيئاً •

- ثم ماذا ؟
- لا أستطيع أن أحدد وإنما كنت أحس دائماً أنه يريدنى أن أدفع له ثمن الهدية •

- قبلة مثلاً •
- انه لا يهتم بهذه المشاعر مطلقاً •
- اذن فاسمع ما لم أقله لك عن أبيك •

وراحت فوزية تقص على ابنها تاريخ أبيه كله لم تغفل منه شيئاً ... روت له كيف وصل الى مكانه فى البنك وقد عرفته مما رواه لها عبد الشكور محاولاً أن يريها كم هو ماهر حاد الذكاء دون أن يعنيه فى شيء أن فوزية تقدر المعانى السامية من الشرف أو الوفاء للأصدقاء أو الكبرياء عن الدنس وامتهان الذات وكل هذه المعانى التى ضرب بها عبد الشكور عرض الأفق

فى معاملته لفتحى او فى تقربه من صبحى او فى امتهان كرامته غاية الامتهان فيما بذله لموسى أشرف أو فى الغائه لضميره فى كل الصفقات التى كان يعقدها فى البنك •

وروت فوزية لراشد كيف تزوج بها بل انها لم تكتم عنه ما كان بينها وبين أمجد الزعفرانى الذى أصبح دكتورا وأستاذًا من حب عفيف نقى طاهر ومن تواعدهما على الزواج ••• روت لابنها كل شيء لم تخف من حياة أبيه وحياتها خافية حتى صلته بأمه وبأبيه روتها له كاملة منذ ترك القرية حتى مات أبوه وقد كانت قصته هذه يتناقلها الجميع ولكنها بطبيعتها تحاذر أن تصل الى مسامع الابن ولهذا لم يكن غريبا الا يعرفها راشد الا من أمه وهكذا لم تحجب فوزية عن ابنها شيئا من تاريخ أبيه العمل أو الأسرى بل والبنوى أيضا واستمع راشد صامت الفم مزلزل النفس زلزلا عاصفا لكل حرف تساقط فى حزن وآلم وأسى من فم أمه فى ظاهر أمره ومن بعيد أعماقها فى حقيقته •

وحين سكتت فوزية ساد الصمت حينًا طويلا وقال راشد لاهثا :
- انك فى محافظتك على شرفك الذى هو شرف أبى بعد كل الذى سمعت تعتبرين أعظم امرأة فى الوجود •

- ان شرفى عندى أغلى من أى شيء حتى ولو كان هذا الشيء هو الانتقام من أبيك • انه كرامتى الشخصية وما كنت لأسمح لأبيك مهما فعل أن يجعلنى أتنازل عن كرامتى •

- وبحفاظك أنقذتنى أن أكون ابن أم ••••• ابن أم •••••
لا أريد أن أقول الكلمة •

- الحمد لله ••••• نعم تستطيع أن ترفع رأسك دائما اذا واجهت العالم بأمك •

- ولكن لا بد لى أن أنكسها اذا واجهت هذا العالم بأبى ••••• الآن عرفت لماذا يتصور دائما أن حبه لا يتمثل الا فى المال •

- هذا منتهى علمه بالحياة جميعها •

- ولهذا جعل توكيلاته باسمى •

- لا ليس لهذا وحده •

- اذن فلماذا ؟

- انه حريص ألا أرث منه مليما واحدا اذا مات قبلى •

- هذا أقرب لخلقه •
- لا تعذب نفسك فان الانسان لا يستطيع أن يختار أمه •
- ولا أمه •
- بحسبك أن تكون راضيا عن أمك انك لا تملك أن تصنع شيئا :
- فعلا أنا لا أملك أن أصنع شيئا الآن •
- ولا في المستقبل •
- المستقبل لا يفعله الا الله •
- صدقت •

الفصل الثامن عشر

تخرج راشد فى الجامعة الأمريكية حاصلا على شهادة فى الاقتصاد.
وفى اليوم التالى لتخرجه اصططحبه أبوه الى مقر شركاته وأدخله الى غرفة
فاخرة الأثاث .

– حجرتك .

وفى انبهار بفخامة الأثاث قال راشد :

– توقعب هذا .

– ألا تشكرنى .

– كشأنك دائما يا أبى .

– وما هو شأنى .

– تنتظر مقابلا لكل عمل تقوم به .

– أليس هذا أمرا طبيعيا .

– عندك أنت نعم .

– وعند غيرى .

– هناك أشياء يصنعها الانسان ولا ينتظر عنها مقابلا فوريا أو

يحتسبها عند الله .

– ان لم تأخذ لى جهد تبذله مقابلا فلن تستطيع مواجهة الحياة .

– ألا أستطيع أن أقدم خيرا لمجرد الصداقة أو الود أو الصلات.

الانسانية مثل الأبوة والبنوة .

– هذه لغة أمك .

– أحسب أنها لغة الحياة الانسانية .

– اذا أردت أن تواجه الحياة فايالك . . اياك أن تتكلم هذه اللغة.

الانسانية التى تذكرها .

– أشكرك يا أبى على المكتب وسترى أننى جدير به وسأرد فضلك

إليك أضعافا مضاعفة من الأموال .

- شريك الحقيقى يكون بنذكرك لهذا الذى أقول •
- أبى ان هذه هى شريعتك فى الحياة وهى ليست شريعة الانسانية كلها •
- وماذا يضيرك أن تكون لى شريعتى الخاصة وتكون شريعتك أنت أيضا • ألسنت ابنى ؟
- اننا نعيش مع الناس •
- سترى لك الايام أنتى على حق •
- وربما وجدت أنت أن الناس على حق •
- بعد سنين هذه •
- ليس للحقيقة موعد معين تظهر فيه للانسان •
- المهم أن تكون فى شركاتى هذه متبعا لشريعتى •
- وضحك راشد ضحكة هينة وقال لأبيه :
- أظنها شركاتى أنا •
- نسيت نعم نسيت •
- وضحك ملء فمه وقال :
- متى تبدأ العمل ؟
- الآن اذا أردت •
- أحب هذا الحماس •
- أعرف هذا •
- وقال عبد الشكور :
- وهو كذلك •
- وقال راشد :
- على بركة الله •
- ما هى الا فترة وجيزة حتى كان راشد قد استوعب الشركة كلها وكان هو الذى يقوم بالاتصالات التليفونية أو غيرها من فاكس أو تلكس أو برقيات مع هوفمان •
- وحين مات هوفمان بدأ راشد يوثق صلاته اللاسلكية مع ابنه رالف الذى تولى الشركات من بعده •

واستطاع راشد بنتساطه وذكاته أن يقضى أباه تماما حتى لم يعد أبوه يجده شيئا يعمله فعاد إلى رفاق سلطانه يجتر وياهم أيام سبطوتهم وجبروتهم • وان كان يجد دى نفسه بعض الألم ان أصبح بلا عمل •

وماذا يضيرنى من هذا أليست هذه آمالى كلها تتحقق وأصبح راشد واحدا من أهم رجال الأعمال • وماذا على أن أستريح • طعم الراحة مرفى فمى • لا بأس لقد عملت حياتك كلها منذ أنت طفل صغير حتى بلغت هذه السن • وحياتك ممتدة فى ابنك • أى أب يكون عنده ابن كراشد ولا يكون سعيدا هائتا • عجيب سعادتى ليست خالصة وهنائى يشوبه شىء لا أدرى كيف أصفه وان كنت أحسن به •

لقد عشت عمرى أصنع أيامى فلا بأس على اليوم أن أترك ولدى يصنعها لى • فهو مهما يكن الأمر ابنى وابنى الوحيد الذى لا ملجأ لى فى الحياة الا هو ، جاءنى من أم كرهتنى منذ خطبتها وبدلا من أن تهون العشرة من كراهيتها زادتها عنفا ونفورا وعمقا •

ليكن ابنى محبا لأمه أكثر من حبه لى • الا أنه أولا وأخيرا ابن دى فمهما تكن كراهية أمه لى الا انها لم تخنى يوما • وحين كنت فى موقف أستطيع مراقبتها منه بثت حولها العيسون فما رأيت منها الا الوفاء والاخلاص والشرف • فهو ابنى لا شك فى ذلك •

لأتركه يصنع لى أيامى المقبلة فأنا الذى صنعت له أيامه الماضية والحاضرة التى يحياها الآن •

الفصل التاسع عشر

قالت له فوزية فى جلسة هادئة :

— ألم يأت الوقت ؟

وفى سرعة خاطر قال :

— قد أتى .

— فماذا تنتظر ؟

— أن تقاتحينى .

— لماذا لم تقاتحينى أنت ؟

— أردت أن أكون منفذا لأوامرك .

— حتى فى زواجك .

— وخاصة فى زواجى .

— أفى ذهنك عروس ؟

— هى التى فى ذهنك .

وأشرق وجه فوزية وأمحت عنه تجاعيد السنين .

— هل كنت تعرف ؟

— ألا تعرفين أننى كنت أعرف ؟

— كنت أرجو .

— ومتى نكصت عن رجاء نفسك .

— الحق أنت دائما تحقق أملى فىك .

— لقد صنعتنى بعد الله على عينيك .

— ونعم ما صنع الله وهيانى لأصنعه .

— أنا تحت أمرك تستطيعين أن تخطبى دعاء حين تشائين .

وتهلل وجه فوزية مرة أخرى وأرادت أن تمتع من اللحظة كل ما فيها

من سعادة وترتشف عصيرها جميعه حتى لا تبقى منه شيئا .

- كيف عرفت ؟
- حرصك أن أصحبك الى تننت عايده كلما زرتها واصرارك على عوتها هي ودعاء كلما عرفت أنني لن أخرج من البيت .
- ودعاء هل تعلم ؟
- لقد كنت أنت وأمها تحرصان على أن تتركانا منفردين بأعذار واهية .
- وفيم كنتما تتحدثان ؟
- في محاولتكمما التقريب بيننا واتفقنا أن نتغافل أنا وهي ولا نشعر كما أننا لا نحتاج الى هذا الجهد منكما .
- فانتما متحابان .
- اذا شئت أن تقولى هذا .
- كما أنتما خبيثان .
- بل قولى كم أنتما طيبتان أنت وأمها .
- اذن .
- افعلى ما شئت بالطريقة التى تعجبك وفى الوقت الذى تحددينه .
- ووضح على وجه فوزية أن فكرة وثبت الى ذهنها .
- فى أى يوم نحن من الأيام .
- الخميس .
- ولماذا لم تذهب الى الشركة .
- أردت أن أقعد معك اليوم .
- أكنت تنوى أن تفانحنى فى هذا الموضوع .
- بل كنت أنتظر أن تفاتحينى .
- قم فالبس ملابسك .
- ماذا أتريدين أن تصحبينى معك فى الخطبة .
- لا انما أريدك فى شئ آخر تماما قم فالبس ملابسك .

صحببت فوزية رستم نامق ، راشد الى البنك الذى فيه أموالها ومجوهراتها . وحولت المال وصندوق المجوهرات جميعها باسم راشد .

وحين فتحت صندوق المجوهرات انتقت منه عقدا نادر الوجود فى العالم أجمع وقالت لراشد :

— بهذا العقد شبك أبى أمى وبهذا العقد سيشبك راشد دعاء •

وفى انبهار راشد بروعة العقد لم يستطع أن ينطق حرفا ولم يتردد أن يقبل أمه فى وجهها ويديها على مشهد من موظف البنك الموكل بتنفيذ أوامر السيدة الفاحشة الشراء فوزية رستم نامق •

تم الزواج فى حفل خيالى العظمة وخلا العريس بعروسه •

— وأخيرا

وضحكت دعاء •

— آن لأمك وأمى أن تستريحا •

— وآن لنا أيضا •

وفى الصباح قال راشد لدعاء •

— ما رأيك أنا عندى عمل فى ألمانيا ليس عاجلا وانما قصدت أن أوجله الى ما بعد الزواج حتى يكون شهر عسل لنا فى ألمانيا وفى أوروبا كلها •

وفرحت دعاء غاية الفرح •

— أتسألنى رأى ؟

— كنت أستطيع أن أكذب عليك وأقول انه شهر عسل فقط ولكننى منذ تفاهمنا أخذت على نفسى عهدا أن تكون نفسى كتابا مفتوحا أمامك لا يخفى منه عنك ما فيه •

وقبلته وهى تقول :

— ولك منى أن أكون كذلك معك •

سافر العروسان وبدأ راشد يذهب الى رالف وتعارفا مواجهة واستطاع راشد أن يحصل من رالف على توكيل عام لجميع منتجات هوفمان بلا استثناء فأصبح له حق استيراد الإلحاجات والغسلات وكل الأدوات الكهربائية الأخرى •

واقام رالف وليمة للعروسين ودعا اليها صديق العمر لأبيه مارك وابنته ستيفان وابنته كريستين .

وقال مارك لراشد :

- عندي لك هدية زواج .

- يكفي أن أراك فقد عرفت من أبى كيف علمته الانجليزية
والألمانية .

- شاركنى هوفمان فى تعليمه الألمانية .

- أعرف هذا .

- لم تسألنى عن الهدية ؟

- أنا متأكد أنها هدية عظيمة من رجل عظيم .

- اليك هى .

وقدم اليه عقدا من صورتين يفيد توكيله فى استيراد جميع الأدوات المنزلية التى كان وعد أباه أن يوكله فيها حين بدأ إنتاجها وشكر راشد الرجل العجوز وصافحه ورفع صورة العقد بين تصفيق الحاضرين .

وحين عاد راشد ودعاء الى مصر بعد رحلة ممتعة فى أوروبا جميعها لم يكن راشد وحده الذى يحمل التوكيلات التى حصل عليها . بل ان دعاء كانت تحمل ما هو أهم من ذلك بكثير . . .
. . . كانت تحمل طفلهما الأول .

وضعت دعاء ولدا ولم يتردد راشد أن يسمي الطفل رستم تقربا لأمه .
وحين أنجبا أخته بعد ثلاث سنوات أسمى ابنته فوزية .
وكان الجدان والجدتان جميعا أعظم ما يكونون احتفاء بالحفيدين لا يستثنى من ذلك عبد الشكور .
ومرت السنوات . وكبر الطفلان ودخلا المدرسة .

وفى يوم بينما كان راشد فى مكتبه دق جرس التليفون الداخلى
وجاء صوت أبيه .

— ماذا تصنع ؟

— لا شئ .

— تعال أقعد معى .

وحين ذهب قال راشد لأبيه :

— أصبحت لا تزور المكتب الا فيما ندر .

— ماذا أعمل فيه أنت مشغول واتسعت أعمالك حتى أصبحت أنا

غريبا عنها والبركة فيك .

— تتسلى .

— أنا هنا لا اتسلى الا اذا كنت أنت غير مشغول وهذا قليلا

ما يحدث .

وبينما الحديث يجرى بين الوالد وابنه صاح عبد الشكور صيحة
ألم عنيفة وأصبح يغتصب أنفاسه من الهواء فى جهد بالغ .

وسرعان ما جاء الطبيب ونقلت سيارة الاسعاف عبد الشكور الى
المستشفى وأجريت الفحوص الدقيقة وفى مواجهة الأب ووجود الابن قال
كبير الأطباء :

— حالة قلبية حادة .

وقال عبد الشكور :

— ألهأ علاج ؟

— فى أمريكا وانما لا أخفى عنكم الأمل ضعيف .

قال الأب لابنه بعد أن انتقل الى منزله بإيام .

— هل جهزت للسفر ؟

— الى أين ؟

— الى أمريكا .

— لماذا ؟

ووقعت الكلمة على الأب كأنها خنجر سفاك قاتل .

— ألا تدري لماذا ؟

- لا لا أدري •
- لاجراء عملية •
- أى عملية ؟
- التى قال عنها الأطباء •
- انهم قالوا أن الأمل ضعيف •
- ليكن واحدا فى المليون •
- أنفق عشرات الألوف من أجل أمل واحد فى المليون •
- انها أموالى •
- انها ليست أموالك ولا أموالى انها أموال رستم وفوزية وأنا أمين عليها أيرضيك أن أخون الأمانة •
- اذن أموت •
- كلنا سنموت •

كلنا سنموت ... كلنا سنموت ... كلنا سنموت طنت
الكلمة فى رأسه وفى كيانه ... كلنا سنموت ... لقد سمعتها قبل
اليوم ... لا ... بل قلتها ... قلتها ... نعم قلتها ... وأذكر
اللحظة والوقت والمناسبة كلنا سنموت •

ترك راشد والده وعاد الى بيته •
ومرت الأيام ولكن عبد الشكور منذ سمع كلمة ابنه دخل الى غرفته
لا يريد أن يرى أحداً أو أن يراه أحد • يدخل اليه الطعام فى موعده ويتلهى
بالراديو حيناً أو التلفزيون وقليل ما يتلهى ثم يأمر فتغلق النوافذ
ان كان فى نهار أو يطفىء المصابيح ان كان فى ليل ويخترق بعينه الظلام
فلا يرى الا رسماً واحدا يلح عليه الحاحاً لا يغلبه ويغمغم :

نعم انها حياتى حياتى أنا دائرة حيثما بدأت من نقطة منها فمن
الحتم المؤكد أن تعود الى نفس النقطة التى بدأت منها •

فمتى ٠٠ متى تطمس الايام هذه الدائرة ٠٠٠٠٠ كلمة لم أقولها فى
حياتى ٠٠٠٠ لا مهرب لى من أن أقولها اليوم ولا أقول غيرها الله يعلم ٠٠٠
الله وحده يعلم ٠٠٠ أعرفت الله اليوم ٠٠٠ ليس أمامى الا أن أعرفه ٠٠٠
لم يبق فى حياتى ٠٠٠ الا آخرتى فان لم أعرف الله اليوم فماذا يبقى لى
والعجيب العجيب انه فى عزلته هذه كان يحافظ على مواقيت الصلاة
ولاول مرة فى حياته يحس مع الألم العاصف والأسى المبيد فى جوانحه
انه بالصلاة مطمئن النفس فهو يذكر الله فى سكينه وأمان لم يذق نعيمهما
فى كل ما تركه وراءه من أيام ومن أسرة ومن ثروة .

انتهت بحمد الله

فندق برزدنت + جنيف

الساعة ١٢٣٠ ظهرا يوم الاثنين ٢٥ سبتمبر عام ١٩٩٥ +

سنة ١٩٨٥

على قلوب أقفالها

لم اكن اتوقع أن اتلقى هذه الكمية من الخطابات والمكالمات على مقال الذى نشر بعنوان « حيرة » بتاريخ ٧ من أبريل فقد اتضح لى أننى لست وحدى الحائر إنما الحائرون مثلى كثيرون يخطئهم العدد . وقد هالهم ان صوت الشيوعيين جهير ذائع مرتفع مزعج بينما هم قلة ضئيلة هزيلة لم تستطع أن تجعل واحدا فردا يمثلها فى مجلسى الشعب أو مجلس الشورى .

وهم مع فشلهم هذا لاهياء لهم . ولا يخجلون ويمالئون الدنيا صياحا حتى يصبح الاعلام المصرى مندعورا من صراخهم يخيل اليه أن وراء ضجيجهم العدد الضخم والحشد الحاشد والجمع الغفير والنفر العديد . ولو أن الاعلام المصرى أنعم النظر وأمعن التفكير لعرف الحقيقة . ان لهؤلاء الشيوعيين نفيرا يصبح بهم من كهنوت الشيوعية العالمية ويأمرهم فاذا صوتهم واحد وكلامهم كلمة وصراخهم جميع لا شتى حتى يخيل لسامعهم أنهم أقوياء وهم أضعف خلق الله انسانا . أنهم أفواه قليلة العدد ولكنها تتكلم جميعا بكلام موضوع لهم لا يتغير من فرد الى فرد واكليشيات ثابتة لا تختلف من شيوعى الى شيوعى . وكلهم .. كلهم .. ينطقون دفعة واحدة من مكبر صوت واحد . فاذا سامعهم يحسب أنهم جمع وهم أفراد قلة لا قيمة لعددهم ولا وزن .

ولكن هذا التجمع أعطاهم الفرصة أن يزيفوا حقيقة الشعب المصرى أجمع فاذا الاعلام المصرى والفن المصرى أيضا يصطبغ بلونهم الأحمر البغيض وهم بهذا يزلزلون أركان الديمقراطية عدوهم الأصيل التى يتظاهرون بحبها والهيام بها ماداموا بعيدين عن مقاعد الحكم والتى يقتلونهم ويسفكون دماءها ودماء الشعب الذى يحكمون اذا هم تولوا مناصب الحكم فى بلد من البلدان .

وقد استطاعوا بأصواتهم التى مرنوا على أن يجعلوها عالية نكبة ان يهاجموا الانفتاح لأن الانفتاح ملازم للديمقراطية .

ولما كانوا لا يجزؤون أن يهاجموا الديمقراطية علانية وصراحة فقد هاجموا الانفتاح • وحجبتهم أن فى عهد الانفتاح ظهرت سرقات ضخمة روع لها الشعب المصرى •

ولكن هم يعلمون علم اليقين أن الشعب المصرى فوجئ بهذه السرقات لأنه لم يكن يسمع عنها فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان والشعب لم يسمع بالسرقات لسبب واحد ليس هناك غيره أن السرقات لم يكن أمرها يذاع على الناس وليس لأن السرقات لم تكن موجودة •

إن السرقات فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان كانت أبشع ألف مرة من سرقات الانفتاح • فقد كان اللصوص هم الحكام • ولهذا تسمع الناس ، ويتحدثون الآن عن السرقات التى وقعت على مجوهرات الأسرة المالكة • وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن الحقيبة المليئة بالكتل الذهبية • وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن الفرو والسجاجيد التى كانت تستجلب من الخارج فى طائرات خاصة وتنقلها القوافل من سيارات النقل • وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن القصور التى بنيت من أموال الشعب والقصور التى صودرت واستولى عليها حكام الانغلاق • وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن الأموال التى انسكبت سيولا على بنوك السويس وقيل انها لمواجهة الثورة المضادة ولم تقم الثورة المضادة ولكن الأموال مازالت باقية هناك بأسماء أصحابها •

وكل هذا وقع ولكن احدا من هؤلاء لم يحاكم ولم يقدم الى أى جهة قضائية • لأن الحكام حين أمموا الشركات والمصانع أمموا أيضا السرقات من الحكومة فلا يجزؤون انسان آخر أن يسرق الا اذا كان واحدا من هؤلاء الحكام •

وهذا هو أحد الفروق بين الانفتاح والانغلاق والعجيب العجيب أن المنتجين السينمائيين الجهلاء استجابوا للهجوم على الانفتاح وانشأوا الأفلام فى محاربة فكرة الانفتاح بروايات تشبه وجه مصر وتخيف المال الحر من المصريين فى الخارج أو من المستثمرين الأجانب • بل وتخيف الدول التى تريد أن تقرض مصر وتساهم فى مساندتها على مواجهة أزماتها •

والشيوعيون يستخدمون الاعلام المصرى فى الهجوم على الطبقة التى استفادت من الانفتاح • مع أن الغالبية فى هذه الطبقة من الكادحين الذين يدعى الشيوعيون أنهم يدافعون عنهم • ولكن الحقيقة أنهم يريدون لهذه

الطبقة أن تظل فقيرة حتى يظلوا هم يدافعون عنها فإذا أصاب هذه الطبقة الثراء هاجموها ومزقوها كل ممزق • وتابعهم الجهلاء فى الهجوم والتمزيق • ولم يرحموا ولم يذكروا أن هذه الطبقة كانت محرومة من المال فلا بأس عليهم وقد جرى المال بين أيديهم أن ينفقوا أموالهم أنفاقا جاهلا فهم يظنون أن الكرامة سيارة فخمة ومأكلا فاخر حتى وإن لم يلتذوا طعمه وملابس مرتفعة الثمن حتى وإن كانت خالية من الذوق • ومع الأيام وبعد أن يزهدوا فى هذا جميعه سيعرفون كيف تنفق الأموال فى مصارفها الكريمة لتكون انتاجا لا استهلاكا ولتكون مصانع أو حقولا أو تجارة تعود عليهم وعلى دولتهم بالربح والكرامة •

والشيوعيون يصرخون أنهم حماة القطاع العام فى حملتهم المسعورة على الانفتاح وهم يعلمون أن القطاع العام مقدس فى الاقتصاد المصرى وأن كل الاقتصاديين الأحرار يرون أن القطاع العام هو الركيزة الأولى فى الاقتصاد المصرى • ولكنهم ينبهون الى أن القوانين التى تحكم القطاع العام خطيرة كل الخطورة على القطاع العام • فلا أحد يسئ الى القطاع العام الا القطاع العام نفسه • وليس فى مصر من لا يعلم أنه اذا لم توجد القوانين التى تعاقب المخطيء والقوانين التى تكافىء المحسن فلن ينجح القطاع العام • فانها كارثة كبرى أن يتساوى الكسول بالنشيط والمهمل بالمتقن والمتهرب من العمل بالمواظب • ان القوانين التى تحكم القطاع العام فى مصر لا يماثلها قوانين فى العالم • فالدول الشيوعية تفصل وتسجن وتنفى وتقتل العمال الذين يتهاونون فى أداء واجبهم • والدول الرأسمالية تفصل العامل المسيء •

الا مصر • • فالقانون عندنا فريد فى نوعه •

نحن الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تعرف النظرية الاقتصادية التى يسير عليها اقتصادها • وزمن صنع النظريات الجديدة مضى منذ أجيال • والدول اليوم تطبق نظريات واضحة المعالم • حتى الدول التى تمزج بين الاشتراكية والحرية الاقتصادية لها نظرياتها الواضحة المعالم • تسير عليها انجلترا والسويد وفرنسا والنمسا ودول كثيرة أخرى •

ولكننا دولة فريدة فى نظامها وأخشى ما أخشاه أن يكون الشيوعيون قد تمكنوا من اخافتنا ، ومنعتنا أصواتهم التى يطلقونها بأمر من الشيوعية العالمية أن نختار نظرية اقتصادية ذات قواعد ثابتة متينة وتسير عليها •

واننى لأعجب كيف يخاف الاقتصاديون عندنا ورئيس جمهوريتنا أعلن عشرات المرات أن مصر لن تتراجع عن الديمقراطية وأن مصر لن تتراجع عن الانفتاح • ولا عن الاشتراكية • وهذا رئيس جربناه • لم يعد وعدا ويخلفه ولم يقل كلمة ويرجع عنها فهو يعرف كرامة الكلمة اذا قالها رئيس جمهورية مصر • وما ينبغي لهذه الكلمة من قيمة واحترام وتبجيل •

بعضهم يقول

واجتماع الحرية الاقتصادية والاشتراكية ليس بدعة بين الأمم وانما لا تكون الاشتراكية الا فى ظل الديمقراطية •

والفارق بعيد بين الاشتراكية والشيوعية • ولهذا فالشيوعيون يكرهون الاشتراكية أكثر من كراهيتهم للديمقراطية فهم تحطم نظريتهم وتجعلها واضحة البطلان متهرئة لا معنى لها •

ويح للشيوعيين • أنهم اليوم يحاولون أن يحطموا الديمقراطية والاشتراكية وهم الذين نالوا من الطغيان الخسف والهوان • لقد اعتدى الطغيان على أعراضهم وربطهم كالبهائم فى سلاسل من حديد وراح يطيح بهم الى السجون أو يقذف بهم الى صحراوات مصر وجردائها • ولكنهم مع ذلك جميعا يتمسحون بأيام الطغيان ويحنون اليها ويتحالفون مع البقية الباقية من ذيولها •

أىكون هؤلاء الشيوعيون مغرمين بالوان التعذيب التى مارسها عليهم الطغيان • من يدري لعلهم مرضى بمرض تعذيب النفس • أم تراهم فقدوا الشعور والعقول فى حماة بفضهم لمجد الوطن ورفعته شأنه وانتعاش اقتصاده •

نحن فى زمان أصبح فيه كل شىء جائزا •• حتى هذا •• فانه اذا وضعت على قلوب أفعالها استحالة عليك أن تسمع الصم النداء أو تهدى العمى الى الطريق • والله وحده الأمر من قبل ومن بعد •

١٩٨٥/٤/٢١ الأهرام

خطاب ٠٠ وجواب

جاءنى هذا الخطاب وقد رأيت أنه يجدر بى أن انشره وأعقب عليه :

الأستاذ / ثروت أباظة

تحية طيبة وبعد

فقد كنت أظن لوقت غريب أنه لا يوجد شخص آخر على وجه المعمورة مصرى أكثر مما أنا مصرى ، حتى طالعت مقالك الرائع بجريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٥/٣/٣١ فعلمت أن هناك من ينافسنى فى عشق محبوبتى الغالية مصر . ومع تقديرى واعتزازى لمصريتك الا اننى أقرر - كما سبق وقررت أنت - اننى مصرى أكثر منك - ولسبب بسيط هو أننى - والحمد لله - لم أشعر قط وطوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر .

لم أشعر أننى غريب عن مصر حتى وأنا اتلقى - فى مستقبل شبائى - أعنف وأقسى صدمة فى حياتى بل وحياة كل المصريين ابان هزيمة سنة ٦٧ . فقد كنت واثقا أننى وزملائى الضباط والجنود بل وكل المصريين على موعد قريب مع العبور العظيم . لم أشعر بأننى غريب عن مصر .

استاذى الكاتب الكبير : اتفق معكم تماما أن هناك ضعفا عاما فى اللغة العربية - ستلاحظ من خطابى هذا أننى أعانيه شخصيا - بل وهناك انحدار فى مستوى الخريجين ومستوى التعليم بصفة عامة . واتفق معكم أن هناك أفلاما للجنس والمخدرات والراقصات . واتفق معكم تماما على أن هناك فئة انعدمت فيها المروءة والشهامة ، واتفق معكم أن هناك فئة تسرق وتنهب وتتاجر فى قوت الشعب . واتفق معكم كذلك فى أن مسلسلات التليفزيون لا تعبر عن الواقع . كما اتفق معكم على أن هناك عزوفا عن المسرح .

ولكن ألا تتفق معى - استاذى الفاضل - أنه قد مر على مصر الشامة ما هو أقسى وأصعب وأعنف من هذه الظواهر والعوارض .

الم يأت على مصر الاسلامية وقت كانت فيه الدعارة مهنة تمارس تحت ظل القانون . الم يأت وقت على مصر سيطر فيه الشيوعيون على

مقاليد الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب . . ألم تأت فترة على مصر عانى فيها الشعب الكبت والقهر . . ألم يأت وقت على مصر كان على أرضها الطاهرة سبعة عشر ألف خير شيوعى . .

وألا تتفق معى أيضا - استاذى الفاضل - على أن مصر بعراقها وحضارتها وأصالة شعبها استطاعت أن تتخطى تلك الصعاب والتكبات .
أيصعب عليها إذن أن تتغلب على مثل هذه العوارض . ثم تلك المؤشرات الطيبة والمطمئنة التى نلمسها جميعا على أرض الوطن ألا نطمئن القلب والفؤاد على المستقبل . . أن المحاكمات التى تمت فى السنوات الأخيرة لفئة كانت تتخيل أنها فوق القانون تعد مؤشرا طيبا ومطمئنا فى نفس الوقت . ثم قبول استقالة أحد الوزراء فى أعقاب الحكم فى قضية مشهورة، واتجاه بناتنا وهن فى عمر الورود للتحجب . وسريان الاتجاه الدينى المعتدل بين غالبية شبابنا . والاقبال الهائل على معرض الكتاب وشراء الكتب رغم ارتفاع الأسعار وتضحية شباب لانقاذ قرية من حريق بسبب اشتعال سيارة محملة بالغاز ، ووجود الأحزاب والمعارضة . ووضع حجر الأساس لأوبرا مصر . ومترو الأنفاق . والقرارات الأخيرة بترشيده الانفتاح . وعودة الصناعة المصرية الى الأسواق ، والمشروعات الانتاجية الجديدة الصناعية منها والزراعية . وكتابات ومقالات نقاد وأدباء وكتاب مصر الشرفاء ، ثم تنافسى أنا وأنت وملايين المصريين فى حب مصر وأخيرا نقاء وطهارة وصدق وإخلاص قائله المسيرة . .

استاذى الكاتب الكبير : اطمئن فانت لست بغريب عن مصر .
ورغم اعتزازى وتقديرى لمصريتك الا أننى مصرى أكثر منك ولسبب بسيط هو أننى لم أشعر قط - والحمد لله - طوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر .

محمد فريد أحمد

أخصائى اجتماعى بدولة قطر

أخى العزيز :

كم اسعدنى خطابك . حتى لقد أحسست فيه عبق الأخوة يجمعنا فى أكرم رابطة . وأشرف عرق . وأنبل وشيجة : مصر . وأنت يا صاحبنى حين ذكرت ما مر بمصر من أهوال تمثلت عندك فى الدعارة المباحة . وسيطرة الشيوعيين على الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب . ورزوح مصر تحت حكم الكبت والقهر . . وانشغال أرضها الطاهرة بسبغة عشر ألف خير شيوعى . . وأنت حين ذكرت هذا جميعا . لم تذكر ناسيا . . فهى فترة - لا أعادها الله - تعتبر عهد شهدته مصر .

وَقَدْ صرَحْنَا فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ بِمِلءِ أَصْوَاتِنَا وَرَفُضْتُ مَضِرَ الطُّغْيَانِ
وَالرَّعْبَ الْمُسْلَطَ عَلَيْهَا .

وَمَا حَزَنَّا الْيَوْمَ - يَا أَخِي فِي اللَّهِ وَفِي مِصْرَ - إِلَّا خَشْيَةً وَفَزَعًا أَنْ
يَطْلُ الْأَمْسَ عَلَى الْيَوْمِ ، وَأَنْ يَرُوعَ الْمَاضِي الْحَاضِرُ ، وَأَنْ يَرْتَفِعَ فِي سَمَاوَاتِ
مِصْرَ الْحُرَّةِ الْيَوْمَ نَعِيقَ الْغُرَبَانَ الَّتِي كَانَتْ تَهْتَفُ لِلشَّيُوعِيِّينَ بِالْأَمْسِ .
وَأَصْوَاتُ الْبُومِ الَّتِي كَانَتْ تَشِيدُ بِحَيَاةِ السَّفَاكِينِ السَّفَاحِينَ .

كُنَّا فِي عَهْدِ الطُّغَاةِ جَمِيعًا مَقْصِيينَ عَنْ مِصْرَ غُرَبَاءَ عَنْهَا لِأَنَّ الطُّغْيَانِ
لَا يَشَارِكُهُ فِي الْحُكْمِ إِلَّا عَبِيدُهُ وَزُبَانِيَّتُهُ . وَالرَّاكُونَ عِنْدَ اعْتِسَابِهِ .
وَالسَّاجِدُونَ فِي مَعْبَدِهِ غَيْرِ الْمُقَدَّسِ . وَالشَّارِبُونَ مِنَ الدِّمَاءِ الَّتِي اعْتَصَرَهَا
مِنَ الشَّعْبِ . فَهَمَّ بِحَمْدِهِ وَحْدَهُ يَسْبِحُونَ . وَهَمَّ هَمُّ بِاللَّهِ كَافِرُونَ وَهَمَّ هَمُّ
بِحُكْمِ الشَّعْبِ أَشَدَّ كُفْرًا ، بَلْ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِمَا يَقْذِفُونَ فِي نَفُوسِ هَذَا
الشَّعْبِ مِنْ رَعْبٍ وَذَعَرٍ وَرَهْبٍ وَمَا يَسْلُطُونَهُ عَلَى أَبدَانِهِ وَأَعْرَاضِهِ مِنْ
عُدْوَانٍ وَقَهْرٍ وَغَضَبٍ وَجَبْرٍ وَلَوْلَا هَذَا الَّذِي شَهِدْنَاهُ يَا أَخِي فِي هَذِهِ
الْفَتْرَةِ مَا عَنَيْتُ أَى عُنَايَةٍ بِهَذِهِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تَبْدُو جَهْرَةً مَرْتَفَعَةً
تُبَشِّرُ بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَبِالْإِنْفِلَاقِ بَعْدَ الْإِنْفِتَاحِ وَبِالدِّمَقْرَاطِيَّةِ بَعْدَ
الدِّيمَقْرَاطِيَّةِ .

وَأَنِّي يَا أَخِي سَعِيدٌ غَايَةَ السَّعَادَةِ بِأَنَّ مِصْرَ الْيَوْمِ تَحَاكِمُ مِنْ ظَنُونَا
أَنْفُسَهُمْ فَوْقَ الْقَانُونِ . وَسَعِيدٌ أَنْ مِصْرَ تَبْعِدُ عَنْ جِهَازِهَا التَّنْفِيزِي مِنْ
تَحُومِ حَوْلِهِ شَبْهَةً . وَسَعِيدٌ أَنْ تَتَجَهَّ بِنَاتِنَا إِلَى الْإِيمَانِ وَكَمْ أَكُونُ أَكْثَرَ
سَعَادَةً لَوْ أَنَّ إِيْمَانَهُمْ كَانَ رَاسِخًا فِي قُلُوبِهِمْ دُونَ كَثِيرِ اهْتِمَامٍ بِخِمَارٍ
يَسْدُلُّهُ أَوْ يَرْفَعُهُ .

وسعيد باتجاه الشباب الى الدين الحق لان هؤلاء لا يركبون الدين
وسيلة الى نفع دنيوى أو كسب مادى . وسعيد أن الكتب تشتري وأن
الشباب فيه من يضحي بنفسه لينقذ قرينه . فليس هناك دليل على
الانتماء أعظم من هذا المثال . وسعيد بوجود الأحزاب المعارضة . ففيها
الديمقراطية . وكم أرجو أن يبدأ حزب الأغلبية فى التفكير الجاد لانشاء
فكر سياسى واقتصادى واضح يلتف حوله فائنى يا أخى أرى أعضاء
حزب الأغلبية تحسبهم جميعا وهم شتى . كل منهم يفكر فى خاصة
مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر فى خاصة مصلحته
وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر فى قرينه أو فيما يحسبه
دائره الانتخابية ناسيا أن نظام الانتخاب بالقائمة انما اختارته مصر حتى
ينحصر العضو من عبوديته للدائرة وحتى تتحقق القاعدة القانونية : أن
وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب . فاذا سعى اليوم عضو

مجلس الشعب لابن من أبناء الدائرة أو لبلدة من بلدانها فانما ينبغى أن يكون هذا أمرا جانبيا هامشيا ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يعتبر العضو هذا السعى هو عمله الأساسى . كم أتمنى يا أخى أن يذكر عضو حزب الأغلبية أنه ينوب عن مصر كلها من أسوانها حتى ثغرها .

وأنا سعيد يا أخى بالمشروعات الانتاجية الجديدة ولكننى أخشى أن يضيق عليها الخناق بما ينادى به الشيوعيون أعداء مصر والناصريون فلا تؤدي هذه المشروعات رسالتها عن الانتاج .

ان غربتى يا أخى التى انفجرت بها خشية أن تكون مصر قد نسيت لطول ما لاقت من طغيان سماحتها وتراحمها وتواد أهلها .

أخشى أن تكون قد نسيت الايتسامة من طول ما واجهتها الهجمة . . أخشى أن يقضى الشيوعيون ومواقع الاعلام التى استولوا عليها استيلاء يوشك أن يكون كاملا على مناقد الأمل التى تراوحنا منها أنسام الحرية .

أخشى يابن مصر أن يعدو الشيوعيون بأقلامهم فى الجرائد وأصواتهم فى الاذاعة وصورهم فى التلفزيون على أقلام مصر الحرة المسلمة المؤمنة ، وعلى وجوه مصر الوضيئة الطيبة لا يشوب صفاءها حتى لا يشوه أسمائها كراهية وبغض وحسد أركان الشيوعية وأسسها . وأخشى أن يضيع صوت الآذان يحمل الله أكبر الى كل ربوع مصر .

لهذا يابن مصر شعرت بالغرابة . وأحمدك وأحمد الله اليك أنك ما شعرت بها . وربما خطرت من قلبك الى قلبى نسمات طمأنينة أنا بها ضنين وعليها حريص . وكم أرجو أن يستقر بها مقام فى نفسى ويهدأ منها العاصف وتطمئن لأعاصير الاغتراب ورياح الخشية .

وعلى أية حال يابن مصر وابن مآذنها فانى أثبت الى نفسك من السكينة ما بثت الى نفسى من التفاؤل وأذكرك بقوله تعالى فى سورة البقرة « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولن تزال مصر وأبنائها من هؤلاء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهى بحمد الله دائماً من هؤلاء الذين اتبعوا هدى الله وأحسنوا اتباعه جل شأنه وتقادست أسماؤه .

١٩٨٥/٤/٢٨ الأهرام

أفصحوا أو فاصمتوا !

كان حظا مقدورا أن أجلس أمام التلفزيون ويطالعني من شاشته شاعران لهما في قلبي كل حب وكل تقدير ومعهما سيدة فاضلة مهذبة قديرة في عملها كمقدمة برامج ومعهم فتاة في بواكير العمر .

أما الشعاعران فهما الأستاذان محمد برهام وشيخ شعراء الاسكندرية وإبراهيم صبرى منشئ نادى القصيد ورئيسه وأما مقدمة البرنامج فهي السيدة الفاضلة عائشة البحراوى وأما الفتاة فما وعيت اسمها ولا شاهدها من قبل .

ودار الحديث عن الشعر ، وسمعت من برهام شعرا وسمعت من صبرى شعرا وجاء دور الفتاة وقبل ان تقول ما تسميه شعرا قالت كلاما .

أرجو الله ألا تكون هذه الفتاة نموذجا لجيلها كله ، وألح في الدعاء أن تكون هذه الفتاة حالة خاصة واستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه .

ما هذا الكبر الذى طالعت به الناس يا بنتى لو ان المتنبي الشهير بالتفاخر والتعظيم جلس مجلسك هذا لتملكه بعض الحياء أن يواجه الناس بكل هذا الكبر الذى واجهتهم به . ولا دخل فى حسابانه أنه أمام شاعرين يكبرانه فى السن بما يجعلهما فى مكان الوالد على الأقل .

ولو أنها قالت كلاما ذا قوام أو منطق لما غفرنا لهذا هذا الكبر أيضا فكيف بها وهى تهرب بحديث أقل ما ينبئ عنه التفاهة والجهل كل الجهل بما ينبغى أن يكون عليه الشعر أو أى فن من فنون الكلام .

تقول الفتاة ان الأجيال التى تكبرها لا تستطيع أن تفهم اللى جواها ، لأن اللى جواها مشكلة جيلها هى ؟؟ !

ماهذا الحديث يا فتاة ؟ وما هذا الخرف !؟

لقد حدثنا عنتره بن شداد من وراء خمسة عشر قرنا وفهمنا الى جواه . . وحدثنا شعراء الجاهلية قبله وفهمنا أيضا . وحدثنا بعده آلاف الشعراء حتى العصر الحديث وفهمنا الى جواهرهم فما لنا اذن نعجز عن فهم الى جواك وأنت تعيشين معنا في نفس الجيل ، أنا أخبرك لماذا نعجز عن فهمك لأن الشعراء الذين قرأنا لهم من الجاهلية حتى اليوم قالوا فأفصحوا ، وكان كلامهم مبينا جميلا حلوا فهمناه وحفظناه وأنشدناه وأصبح الى جواهرهم عناوين ضخمة مضيئة في تاريخ البشرية .

أما أنت يا فتاة ومن يقول مثل شعرك فانكم لا تفصحون ولا يبين في كلامكم معنى مكتمل أو نغمة تصل الى القلب ، فاللى جواكم سيظل جواكم ولن يخرج الى أحد ولا حتى الى جيلكم ، بل هو مبهم غامض على اخوتك أولاد أمك وأبيك مهما تقاربت بينكم السن .

قد يكون شعركم نعيق غراب أو نغمة ناشية أو مائة خراف ولكنه لن يكون شعرا أبدا ولن نفهم الى جواكم لأنكم أنتم عجزتم أن تفصحوا عن هذا الذى جواكم .

فهمنا عن المتنبي وعرفنا الذى جواه حين قال :

أصبحت أروح مثر خازنا ويدا أنا الغنى وأموالى المواعيد
لأنه قال فأفصح وأبان وأطرب وبلغ مكان الإعجاب فى نفوسنا .
أما أنتم فلم تقولوا شيئا حتى نفهمه .

وفهمنا عن البحتري حين قال

شواجر أرماح تقطع دونها
شواجر أرحام ملوم قطوعها
إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

وفهمنا قبلهما عن امرئ القيس منذ ما يزيد على ألف وخمسمائة عام قوله :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثـل
وقد يدرك المجد المؤثـل أمثـالى

وفهمنا بعده بما يقرب من ألف وخمسمائة عام من أمير الشعراء
شوقي قوله :

ومن صاحب الدهر صجبي له
شكا في الثلاثين شكوى لبيد
ظمئت ومثلى برى أحق
كأنى حسين ودهرى يزيد
وانى نواسى هذا الزمان
فمن للزمان بأذن الرشيد

وفهمنا عن عزيز أباطة مأساته التى كتبها فى ديوان كامل هو أنات
حائرة وبكىنا معه وهو يقول مستئذنا شهداء الاسلام فى البقيع أن يعود
الى بنيه :

وداعا فقد أن يوم الرحيل
الى افرخ قد يراها الكمد
أصابهمو الدهر فى كهفهم
وما وهب الدهر الا استرد
لئن عدت لم يعدموا آسيا
وحسبهم الله ان لم أعد

ونفهم اليوم عن مثات الشعراء المجيدى من شيوخ مثل طاهر
أبو فاشا وعبد العلیم عيسى ومحمد برهام وجيلهم ومن كهول مثل مصطفى
عبد الرحمن وإبراهيم عيسى وعبد المنعم الأنصارى ومن شباب مثل
عبد الحميد محمود وسامح درويش وأحمد غراب .

وقد اخترت ثلاثة من كل جيل اختيارا عفويا دون تفكر أو تدبر
فلو شئت أن أذكر الشعراء القوالين جميعهم لجاوزت بهم المائتين
ولم أبلغ .

فبريك خبرينى يا بنية أى عجيبة فى جواك أو فى داخلك لن يفهمها
عنك أحد الست يا بنتاه بشرا من البشر أم أنتم جنس آخر ما عهد
الناس ولا عرفوه .

ان الذى بداخلك ليس مقصورا عليك وعلى جيلك • وليس صحيحا
أن أحدا لا يستطيع أن يفهمه الا أتراب عمرك • فاننى أقسم غير حاث
أنهم أيضا لن يفهموا عنك بهذا الذى تقولين شيئا وليس هذا لأن الذى
بداخلك تجربة جديدة لم تعرفها البشرية وانما لأنك عجماء لا تستطيعين
أن تستعملى الكلمة لتشرحى بها ما يدور بنفسك • والكلمة من شأنها
إذا قيلت أن يفهمها جيلك والأجيال التى قبلك والأجيال التى بعدك أيضا
ولهذا اختارها الله من فوق سبع سموات لتكون معجزته الخالدة على
الأرض • وعلى أركان كلمة الله يقوم ديننا كله يا بنية • فالكلمة افصح
والكلمة بيان والكلمة وضوح والكلمة بلاغ وبلوغ • والكلمة هى الوشيحة
التي تربط الناس كل الناس بالناس كل الناس •

ولكنك أنت يا بنتى وجيلك لم تقوليها وما قالها جيلك فانى
أسمع لكم الكثير وأقسم برب العزة انى لا أفهم عنكم شيئا الا النادر •
وهذا النادر تقولونه جميعا كما لو كانت أفواهكم ركبت على مصدر
صوتى واحد ولا أقول مصدر عقلى أو عاطفى •

ليست المشكلة التى أتناولها اليوم الشعر الحديث والشعر الأصيل
ولكن المشكلة أننى لست أفهم ما يقوله أصحاب الشعر الحديث فقد
أصابهم ذلك البرص الذى أصيبت به الرواية والمسرحية والقصة فى
الستينيات من العبت أو غير المعقول وعفا الله عن الرواية والمسرحية
والقصة وكتب لها الشفاء على أيدي الجماهير المستقبلية التى رفضت
الفكرة جميعا •

ولكن المرض أصاب الشعر الحديث وجمهوره لن يشفيه لأن جمهوره
هم القائلون فيه والساثرون فى طريقه الدامس الظلام •

وكل منهم يتظاهر بفهم الآخر ليتظاهر الآخر بفهمه ويطمئنوا أنهم
قالوا لجيلهم وفهم عنهم جيلهم وعلم الله ما قالوا وما فهم عنهم جيلهم
شيئا وما فهم عنهم أحد قط •

وبعد فانى عاتب على الصديقين الكريمين الشعارين المجيدين محمد
برهام وإبراهيم صبرى أنهما أبديا رضاءهما عن هذا الذى ألقته الفتاة
بين أيديهما وأنا أعرف ما هما عليه من شاعرية ورقة حس • وانى واثق
أنهما أرادا أن يجاملا الفتاة ولكنها مجاملة خطيرة النتائج فقد يحسب
الأبرياء ممن لم يرتكبوا هذا الشعر بعد أن هذا هو الشعر والشاعران
يعلمان أن الذى سمعاه لا هو بشعر ولا هو بنثر ولا هو بكلام ولا هو
يناسب الى أى لغة من لغات أبناء آدم وانما حسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٥/٥/٥

أنا هنا •• حب

كانت دعوة من المملكة السعودية لنشهد توزيع جوائز الدولة التقديرية لثلاثة من كبار شعراء المملكة هم الأمير عبد الله الفيصل والشاعر أحمد عبد الغفور العطار والشاعر طاهر والزمخشري • وقد شهد جلالة الملك فهد حفل تقديم الجوائز وكان الحفل جليلاً مهيباً يشعّر معه كل مشغل بالأدب ان المملكة السعودية تقدر الفكر وتعلّي من شأنه وتحله مكان الصدارة في حياتها العامة •

وانتهزت الفرصة المتاحة لأعتمر وأزور أحب مكان الى قلبي وأحب انسان الى البشرية •

ونزلت المدينة المنورة • أى شعور نوراني يضيء جوانحي كلها وأنا على التراب الذي شرف بخطوات سيد البشر استاف الهواء الذي يملؤه عبق أنفاسه الطاهرة وأريج أردانه الزكية وعطر حديثه السماوي الشريف ؛

أنا فى المدينة أحس أننى فى لقاء مع كل من أهفو الى لقائهم أحس يد أبى تربت كنتفى ، وأحس حنان أمى يدفع حوالى • بل أحس فى أنحاء المدينة مودة الزوجة ورحمتها وزينة الحياة الدنيا فى ابنتى وابنى أحس هؤلاء جميعاً من اختارهم الله اليه ومن أرجو الله أن يمد حياتهم الى ما بعد حياتى يحيطون كلهم بى ، أنعم فى دفع هنىء رضى من مشاعرهم •

أحس أننى هناك فى أكرم مكان من وطنى مصر فما فكرت يوماً وأنا فى رحاب الرسول أننى أحمل جواز سفر وانما هناك أحمل بطاقة المواطن لا المغترب المقيم لا المرتحل •

أحس هناك أننى فى مرفأ أمين من عناء الحياة كلها فاذا هى كلها لا تساوى عندى لفتة عين •

حتى اذا خطوت الى الرحاب أحسست أن قدمى أصبحتا جناحين وأن جسمى أصبح روحاً بللورية وأن الانسان منى أصبح فكرة سامية

أسمى ما تكون الفكرة هي الشوق الى القابل والحنين الى الماضى وتجرى
الدموع سيلا من عيني ومن فؤادى ومن كل جارحة فى جوانحي ولكنها
دموع لا تجرى الا فى البقعة الطهر . كل قطرة منها لمعة من نور وقبس
من ضياء ومضة من ايمان .

• انا هنا حبيب . انا هنا روح هجنحة تحوم حول قمة البشرية التى
تصل ذروتها الى سدرة المنتهى والتى تصل بين كرسى العرش تطوف
حواليه الملائكة مسبحين وبين جنبات الأرض التى ترزح فيها وعلى اكتافنا
أوزارنا لا نطيق حملها الا بما نفحه لنا أعظم الأنبياء وخاتمهم من روح
الله من وسيع الرحمة الرؤوف بعباده الشفوق عليهم الملك القدوس
السلام .

أنا أمام الرسول بلا أحمال ، أنا روح مهمومة فى تاريخه الذى كان
به العلم الفرد فى دنيا البشر . انسانا اختاره خالق الأكوان ليحمل
رسالته . وألقى عليه القول ثقيلًا ترزح به الجبال الشم الرواسى .

• يحمل هو الرسالة . رسولًا بشرًا . لا يتخلى عن بشريته ولا عن
تطامنه وحياته يقف القادم اليه مبهورًا متخشعًا يخشى أن يهم اليه
بالسلام . ويرى الرسول البشر أثار الروح فى عيني الرجل فيمتسم اليه
ويدعو « ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا من صلى
الله عليك وسلم . النبي المختار سيد البشر أجمعين الذى استلم عرش
مالك الأكوان والذى أسرى به ربه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى
والذى أرسله الحق سبحانه الى الناس كافة والذى ختم به رب السماوات
والأرض رسالات السماء الى الأرض . هذا جميعه فى رأى نفسه ليس
الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة . . يا من صلى الله عليك وسلم .

• وانخلعت من رحاب الرسول كما تنخلع الشجرة من مغرسها .

• وذهبت اعتبر عند بيت الله الحرام . . الرهبة والخشوع والرجاء
والأمل والتوبة والايمان هناك عند أول بيت رفع للناس . ورجعت أطوف
وأطوف وكنت أتحرى أن أطوف حول أستار الكعبة دون أن أدور حول
حجر اسماعيل فما لبث أن نبت لى فى طوافي حارس من حراس الكعبة
وسادن من سادتها وسألنى السادن :

— ماذا تفعل ؟

قلت :

– أطوف كما ترى •

قال :

– كم مرة طفت ؟

قلت :

– ست مرات

قال :

– لابد أن تعيدها وكانك ما طفت

قلت :

– لماذا ؟

قال :

– ان حجر اسماعيل مكمل للكعبة المشرفة ولا بد أن تطوف حوله وأنا في العبادات لا أناقش • وبدأت أطوف مرة أخرى حريصا على أن ألفت حول حجر اسماعيل وفي الطواف الخامس رأيت السادن الذي صحح طوافي فخطر لي أن أسأله :

– قل لي يا أخى بربك

– نعم

– هل كان حجر اسماعيل بهيئته هذه موجودا عند أول طواف للنبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة بالمسلمين •

وصمت السادن حينئذ ثم قال :

– والله لا أدري •• لابد أن أسأل الفقهاء •

وهأنذا أسأل عنه الفقهاء • وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لي عنده طوافي بالكعبة ثلاث عشرة مرة وهو سبحانه يدرى ولا يدرى غيره ماذا يصنع بى المشى حافيا من اجهاد •• وهو أيضا يدرى ولا يدرى غيره الى أى جهدى كان جهدي حبيبا الى نفسى ••

وبعد فاننى أعتقد أن لا ينبغي لى أن ألقى القلم قبل أن أحيى الأمر فيصل بن فهد • لا لدعوته لى فقد شكرته على ذلك وإنما من حقه علينا

نحن الكتاب ونحن الذين كثيرا ما أخذنا على أثرياء السعودية المأخذ أن
تشيد بهذا الشاب الذي رفض أن يكون فتى لاهيا يأخذ الحياة من طريق
المتعة واللهم . وانما جعل متعته العمل الجاد الدؤوب وهو ابن الملك .
وهو شاب جميل الطلعة في مقتبل العمر وزهوة الفتوة وعنقوان
الشباب .

ولكنك ترى فيه الرجل العظيم المهيّب في حياء الكرام وتواضعهم
يصرف همه كله لمجد المملكة ولمجد العروبة والمثل العليا .

فهو المشرف على الرياضة في المملكة وهو المشرف على لجان جوائز
الدولة التقديرية اشراف ادارة تاركا التقدير الأدبي للمختصين . وهو
الذي أنشأ في المملكة لأول مرة في تاريخها النوادي الأدبية يجتمع فيها
الشباب حول العلماء والأدباء والشعراء .

ان الأرض العربية التي شرفها الله ببيته وبأن تكون مئوى نبيه
الأمجد لا يمكن أن تجذب من الرجال بل انها ما زالت الأرض الطيبة المعطاء
التي تنبت أمثال الأمير فيصل بن فهد والأمير حمود بن عبد العزيز الذي
يعنى بالأدب والكتاب كل العناية ويقرأ لهم في أمعان وتعمق والأمير سلمان
الرجل القوال الفعال . واذا كان هؤلاء هم الذين لقيتهم في بضعة أيام
فلا بد أن هناك ممن لم يكن لي حظ لقائهم كثيرين ممن يستطيعون أن
يبعثوا الى نفوس المسلمين بالطمأنينة والأمن أن القائمين على مشاعرهم
وسدنة الحرمين أئمة هداة . مثل رفيعة في الجدية والخلق الأسنى
والأدب الجم وان قال قائل فماذا ترى في غير هؤلاء ممن يجلبون ما يجلبون
من اساءة الى أنفسهم وبلادهم ذكرت البيت الذي قاله الشاعر توفيق
عوضي أباطة .

حتى قرّيش لها أنف وأذنان
في كل طائفة في الناس أوشاب

وأمثال هؤلاء الأمراء العظام خير اعتذار عن المسيئين . فان هؤلاء
المصلحين هم الحسّنات يذهب السيئات والحمد لله من قبل ومن
بعد ؟

١٩٨٥/٥/١٢ الأهرام

الله خير الماكرين

توالت الخطابات الى تبارك ما كتبته عن الشيوعية والشيوعيين
تحمداً لى ما أذعته عن استيلائهم على وجه الاعلام المصرى • وانه لشعور
طيب أن يشعر الكاتب أن ما يكتبه انما هو تعبير عن مشاعر قومه • وان
كتابة خطابه تدل فى ذاتها على التحمس والاصرار أن يبلغ القارىء
رأيه الى كاتبه •

ولكن أهم ما جاء فى هذه الخطابات التى نشرت منها خطابا واحدا
أن مصر أطلقت بما كتبت آهة كانت مكتوبة فى جنبات شعبها • فقد رأوا
سنوات الستينيات تعود بوجهها الكتيب البشع الملىء بالبثور وبالرعب
وبالجبروت وبالطغيان واستعباد الانسان وتحطيم كل المعانى الرفيعة
فى الحياة •

وانا حين أكتب ما أكتب لا أهرب الشيوعيين ولا أحفل بهم ولا يعنينى
أمرهم أقل عناية وانما كل خشيتى أن يصبح وجه مصر أمام الداخل رعبا
وينصب على الشعب الذى عانى ما عانى من ألوان الخسف رهب أن يعود
الخسف اليه ويصبح الانسان المصرى مرة أخرى يتلفت حواليه قبل أن
يلتقط شهيقا أو يخرج زفيرا •

وأخشى وتلك خشية وقعت وأصبحت حقيقة أن يمتنع أبناء مصر
الذين كانوا قد أمنوا لبلادهم واطمانوا الى مصائر أموالهم فيها عن ارسال
أموالهم الى مصارف مصر كما كانوا يرسلون • وكيف يأمنون أن يرسلوا
هذه الأموال مع الاضطراب الاقتصادى الذى وقع بمصر والذى باركه
الشيوعيون وأحاطوه بألوان التهليل التى يجيدونها كل الاجادة • حتى
إذا انحسر الاضطراب اليوم وبدأ الاقتصاد المصرى يعود الى شىء من
الطمأنينة ظلت أبواق الشيوعيين التى تملأ الصحف القومية والتى تسد
أقطار التلفزيون وميكروفونات الاذاعة تثير الذعر والخوف فى نفوس
المصريين فى الخارج وتزجرهم أن يرسلوا أموالهم • فهم فى بعدهم
لن يعرفوا أن هذه الأصوات ما هى الا عويل الشيوعيين وصراخهم متجمعا
فيبدو كأنه صادر عن الكثرة وهو فى الحقيقة يمثل هذا الحزب الذى

تقدم الى الانتخابات فلم ينل مقعدا وحدا في مجلس شعب أو مجلس شورى • والذين يعيشون خارج مصر • يقرأون الصحف وبعضهم يسمع الاذاعة وبعضهم يشاهد التلفزيون • وهم يعرفون أحوال بلادهم من هذه الوسائل • فهم حين يقرأون الصحف فيجدون الصوت الشيوعي هو أعلاها نغمة ويجدون الشيوعيين يطلبون عليهم بوحشية من كل الصحف • وحين يسمعون الاذاعة فيجدون التمثيليات كثيرا ما تنبعث عن الفكر الشيوعي المادى الديكتاتورى وإذا رأوا التلفزيون وشاهدوا التمثيليات التى أصبحت ولا سمل لها الا مهاجمة الحرية الاقتصادية والدعوة الصريحة حينها والمتكررة أحيانا الى عهد الانغلاق والكبت والحبس والستار الحديدى • وهم حين يشاهدون تمثيلية تمجّد باقتصاد مصر • ولن يكون ذلك والشيوعيون هم أئمة الاعلام المصرى فان هؤلاء لا أمل لهم الا خراب مصر ساء ما يأملون • وكره الله ما يبيتون وانه سبحانه لماكر بهم فمحبط ما عليه يتآمرون والله خير الماكرين •

هزيمة ٥٦ التى نال بها اليهود شرم الشيخ ولا تذكر شيئا عن نصر ٧٣ الذى رد الى العرب كل العرب كرامتهم والتى قدم فيها الجيش المصرى بعون من الله التقدير المتعال معجزة بعد ان انتهت عصور المعجزات والتبى دبر لها وقدر وأمر بها الزعيم الخالد على مدى الزمان أنور السادات حين يشاهدون هذا يحبسون أموالهم عن ان تشارك فى الاقتصاد المصرى • بعد ان كانوا سعداء غاية السعادة ان أموالهم أصبحت من العمدة الأساسية فى خير مصر وفى سعيها أن تزيح ما تركه عهد القحط والخراب والمخابرات والاعتداء على الأموال العامة والخاصة وعلى الأعراض العامة والخاصة أيضا • فالذى يصنعه الشيوعيون فى الاعلام المصرى ليس مجرد أصوات • انما هو وجه مصر يخشاه من بداخلها ويتصرف من بخارجها على أساسه •

فليس الأمر مجرد مقالة أو تمثيلية ، فلو كان هذا كل ما ينتج عن صراخهم لهان الأمر ولما استحق منا أى تعليق •

فمصر لن تكون شيوعية أبدا • مصر ذات الآلاف من السنوات هى مهد الايمان • عرفت التوحيد أول من عرف وكل معابد الفراعنة صروح لايمان مصر بالسما والكنائس مصر صروح لايمان الاقباط بالله والمسيح • وعشرات الألوف من المآذن فى أرجاء مصر من أقصاها الى أقصاها حصون شامخة شماء تدمر الشيوعية وتمزق أعلامها وتمحق أفكارها وتقضى على تدبيرها الخبيث •

فما أنا بخائف من هؤلاء المهازِيل على مستقبل مصر في عقيدتها ودينها وديموقراطيتها وانما أنا أخشى أن تكون أصواتهم هذه تخريباً لاقتصاد مصر في وقت لا تحتمل فيه مصر أى مساس باقتصادها .

أخشى أن يداخل المشروعات التى أصبحت أساساً في الاقتصاد المصرى نوع من القلق فتقبض يدها وتكف عن التوسع والسعى الى التقدم الفنى والعلمى . ولا أمل لاقتصاد مصر الا فى التقدم العلمى والأخذ بآخر ما وصلت اليه المباحث الجديدة المتطورة فى جميع فروع الحياة .

أخشى أن تهرب أموال تفكر فى الدخول وأخشى أن يشيع عن مصر انها عادت داراً لا يأمن فيها المال ولا يطمئن فى ربوعها المستثمرون .

وليعلم الجميع أن المستثمر اذا لم يربح فهو لن يقدم ماله فقد يتبرع شخص بملايين الجنيهات . ولكن الشخص نفسه لا يضع مائة جنيهه فى مشروع صناعى أو تجارى لا يدر عليه ربحاً .

ولست أدري لماذا تعمل كل التمثيليات فى التليفزيون على ذم الربح وكأنه جريمة قتل . والمسلمون منهم وغير المسلمين يعلمون أن الربح فى التجارة عمل مشروع تباركه جميع الأديان بلا استثناء .

من حق التمثيليات بل من واجبها أن تهاجم الجشع . . أن ترفض الغش . . أن تمحق التحايل . . أن تشجب النصب .

ولكن من واجبها أيضاً أن تبارك الرزق الحلال . من واجب الاعلام بل واجبها الأول وقبل أى شئ آخر أن يثبت فى نفوس العالم وفى نفوس المصريين الثقة بمصر .

١٩/٥/١٩٨٥ الأهرام

القـسـارعة

فى شوارع من أكبر شوارع الزمالك رجل فى الحلقة الخامسة من عمره يقف فى جدية واضحة يشير للسيارات لتسير أو يشير لها أن تقف وعلى ميعدة خطوات منه يقف شرطى المرور ولكنه لا يحفل به ولا يكثرث به وكأنه غير موجود .

والرجل مقتنع كل الاقتناع أنه لولاه لتوقفت حركة المرور فى الشارع وهو واثق أنها اذا توقفت فى الشارع توقفت فى القاهرة كلها وأحسب أنه على يقين أن هذه الحركة اذا توقفت توقف العالم عن الدوران وكفت الحياة عن الحياة .

وتنظر اليه فتدرك أنه مقتنع غاية الاقتناع أنه لولا يده التى يشير بها للسيارات أن تسير ما سارت وأن هذه السيارات بسيرها تسير الأيام جميعا .

واحسده ..

فقد اطمأن الى أهمية وظيفته فى الحياة وارتاح الى طمأنينته غير حافل شأن الناس جميعا اقتنعوا بالحقيقة الثابتة فى يقينه أم لم يقتنعوا .

وما قيمة رأى الناس ما دام هو واثقا من حقيقة العمل الخطير الذى يقوم به ، وأحسب أنه لو كان على المامه بالشعر العربى لوضع لافتة فوق رأسه تحمل بيت المتنبى الخالد يرد بها على نظرات السخرية والاستخفاف التى تطالعه من عيون المارة الراجلين والراكبين على السواء ، ويتحدى بها علامات الاستغراب التى ترسم على وجوه البشرية فى الشارع الذى يحرك منه الكون جميعا .

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى
ان النفيس غريب حيثما كانا

أما هذا الرجل فواضح المعالم والحقيقة من أمره لا شك فيها ولا اختلاف حولها لأنه يعرض امر نفسه على الناس أجمعين ، وكلهم واثق من حقيقته ، وبعضهم يشفق عليه وتأخذه به تلك اللمسة السماوية التي أودع الله منها قبسا في ضمائر بعض الناس . فإذا قدر لك ان تقف بعض الحين تراقبه لرأيت ثم يدا نمتد اليه من حين الى آخر تمنحه همسة من رحمة متمثلة في مبلغ من المال الله وحده يعلم مقداره .

ويأخذ هو ما تمنحه له السماء في كبرياء صاحب الحق يتسلم حقه ويرفع يده بتحية فيها اباء ويستأنف عمله من ادارة حركة الكون .

هذا رجل - فيما أقدر - مرت به ألوان من تقلبات الحياة وخاض غمرات الأمواج حتى وجد شاطئه في مكانه هذا والتمس عنده مأمنه من الحياة فأمن واستقر ، والتقط اللاهث من أنفاسه المفزعة ، وتصالح مع الحياة ووثق أنها تصالحت معه ، فهو لا يسيء الى أحد ، ولا يعبأ بمن يحاول ان يسيء اليه وانما ينصرف عنه انصراف الكبار عن لهو الصغار .

ترى كم في حياة الناس من أمثال هذا الرجل ولا يعرف الناس عنهم شيئا تستبرهم الحجرات ويتخفون وراء غلالات رقيقة من علم سباج استطاعوا بها أن يستخفوا عقول الكبار ويجعلوهم يتوهمون أنهم أصحاب ثقافة أو أصحاب علم أو أصحاب دراية وهم من هذا جميعا أبرياء ، وحين يتزوج الغرور من الضائعين بالجهل ممن يملكون تقسيم الوظائف يثب الى الكراسي أمثال هذا الرجل الواقف في شارع من شوارع القاهرة .

أما هو فمجرد من السلطان مقصى عن اصدار الأوامر . وأما هم فبيدهم أدوات يملكون بها أن يصدروا الأوامر أو يصدروا الأحكام في شئون الحياة .

وفي الميدان الذي أعمل فيه أرى رأى العين من يحسب نفسه أديبا لم تجده بمثله الأزمان في قديمها وحديثها ، وأراه رأى العين شأنه شأن المسكين الذي يظن أنه يدبر الكون من شارع في القاهرة يظن أنه لولاه ما وجد الأدب العربى كله .

والأدب ميدان قاس عنيف لا يقبل الهزل ولا يعترف بالتجمل ولا بد للأديب من انتاج ، ولا بد ان يكون هذا الانتاج متفردا حتى يبدأ الأدب في تقويم هذا الأديب والقاء النظر اليه والحكم عليه ان كان يستحق أن يكون أديبا أو لا يستحق .

أما هؤلاء الذين اطمأنوا الى مكانتهم الأدبية فأنا أعرف بينهم من ليس له إنتاج على الإطلاق وأعرف منهم من له قصة قصيرة أو بعض أقاصيص لا تزيد على أربع أو خمس .

- ولكن هؤلاء أصدقاء يملكون أن يرموا بهم الى كراسي مناصب فاذا هم في وقاحة أو ان شئت الكلمة الدقيقة فقل في نجور يطلقون أحكامهم الجامعة المانعة على الجبال الرواسي والقمم الشامخات ولا يحاول واحد منهم أن يسأل نفسه ماذا قدمت أنا حتى أحكم على الآخرين ، ولكن النفس مولعة بخداع نفسها ، وهذا سؤال لا يرد على تفكيره . . وهل هو صاحب تفكير حتى يرد عليه سؤال .

لقد حكم وحكمه نهائي بلا حيثيات وبلا معارضة ولا استئناف لأنه مثل الرجل الذي يحرك الكون لا يحفل بشأن الناس وليس يعنيه أن يقولوا عنه فاجر يدعي لنفسه ما ليس له ، ويضع ذاته في المكان الوحيد الذي ينبغي له أن يختفى منه .

أما الرجل الذي يحرك المرور والكون فقد استمد وظيفته من طغيان الأيام عليه ومن قسوة الزمان على مجرى حياته ومن عنف المقادير بانسانيته .

أما هؤلاء الآخرون فقد خادعوا أنفسهم ووجدوا من الهازيل من يقبل أن يكون مخدوعا فتصدوا للحكم على الناس ووجدوا كلامهم يجمع ويطبع وينشر على الناس .

أي زمان قدر الرحمن أن نعيش فيه حتى نرى ما نراه ، فنشهد الخطيئ الأخرس والعالم الجاهل والأديب بلا أدب له والشاعر ولم يقل شعرا والناقد دون قراءة ما ينقده واذا تركنا الأدب والقينا نظرة الى شتى مناحي الحياة وجدنا كثيرا من مناطق النفوذ يسودها الظلام القاتم حين كان ينبغي لها ان تكون حافلة بالنور ، واذا أنت حملت مصباحا وألقيت النظر على شاغلها لوجدتهم جميعا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم في مناصب قد تصلح لأي انسان الا لهم والجريمة ليست جريمتهم وحدهم وانما هي جريمة فيها شركاء تهددون . والشريك في القانون يعاقب بعقوبة الفاعل الاصل أما الشريك في هذه الجرائم فهو في الحقيقة هو الفاعل الاصيل

والعقاب واقع عليه أولا ثم هو واقع على من ولاهم ما لا يستحقون من رأى
الناس ثم هو واقع عليهم وعلى غيرهم من الاضطراب والمهازل والفوضى
التي تسود مواقعهم وتسخر منهم كل سخرية وتحقر شأنهم كل احتقار .
ويومئذ تكون القارعة وما أدراك ما القارعة . . ان أمه لا شك يومئذ هاوية
وما أدراك ما هي ١٩ . .

اللهم يا ذا الرحمة والعدل ويا مالك الميزان حين ينعدم الميزان اليك
وحدك نضرع وبك وحدك نستجير . . سبحانه .

١٩٨٥/٥/٢٦ الأهرام

السمعة الجديدة

أما هو فاستاذ في علمه له في مصر شهرة واسعة وله في المجامع العلمية العالمية اسم لامع معروف تخرج على يديه أساتذة معروفون في علمهم اكتسبوا الشهرة والاسم النقي في ميدانهم • أحيل الى المعاش منذ سنوات ثلاث فأبى أن يكتفى بممارسة عمله وأحب أن يفيد بلاده بخبرته ويستفيد من توظيف ماله في وقت مما •

والرجل شديد الايمان • شديد الحرص على أداء شعائره دينه بكل اخلاص حتى انه يغالى بعض الشيء ولا يرضى أن يفعل شيئا مهما يكن هينا • فيه ميل أى ميل عن أمر الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام • فإذا لعب أصدقائه النرد أو الورق شاركهم فإذا أحبوا ان يكون اللعب بملايم على سبيل الدعابة واضفاء الحماسة على تنافسهم أبى فى صلابته لا تعرف المهادنة ويقولون له انها ملايم • فيرفض فالدين لم يحدد مبلغا أدنى للقمار •

هكذا هو فى كل صغيرة أو كبيرة من حياته • وهو يقدم الزكاة فى كل عام مضاعفة أضعافا • وهو يكرم المحتاج فى سعادة منه ان أتاح له الله ان يكرم محتاجا • ومادام كذلك هو مع سائر الناس • فهو مع أبنائه وأهل بيته من أكرم الناس يدا • وهو ذو دار لا تتوقف عن استقبال الضيوف زرافات ووحدانا • ولكن الخمر لم تدخل بيته قط حتى ولو كان المدعوون من الأجانب الذين لا يعرفون كيف يكون المطعم اذا لم يرافقه من الخمر مشرب ، هكذا هو •

وهو فى الشئون الهندسية على علم موفور • فحين أقام المصنع أقامه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث من اتقان ولم يدخر وسعا ولا جهدا ولا مالا ليكون مصنع له لا تقا بالانتهم الكبير الذى يحمله •

وجاء المختص من الحكومة ليرخص للمصنع بالعمل فإذا به يرفض مرتثا أن المصنع تنقصه الشروط الواجبة • وفهم الأستاذ صاحب المصنع ماحكة المندوب • ولكنه ادعى الغفلة ونفذ له ما يريد على الرغم من معرفته

أن الشروط لا تحتم وجود هذه الطلبات • وتكرر قدوم المندوب وتكرر
الرفض • وأخيرا طلب المندوب الرشوة صريحة من مساعدي الأستاذ
فقال الأستاذ :

لو كنت أنوى أن أقدم رشوة لقدمتها من أول يوم • ولكن
هيهات •

ويقول المساعدون :

الدنيا كلها على هذه الحال •

ويقول الأستاذ :

فهى دنيا كافرة

ويقولون :

ولكن تكاليف المصنع قاربت المليونين من الجنيهات •

ويقول :

ولكن المليونين من الجنيهات وملايين العالم أجمع لا تساوى قوله
تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الحكام لتأكلوا فريقا
من أموال الناس بالائمه وأنتم تعلمون » صدق الله العظيم (البقرة ١٨٨)
ويبلغ المساعدون قرار الأستاذ الى المرتشى فيصيح :

إذا هو لم يدفع ما أطلبه فان سمعتى ستسوء فى المصانع الأخرى
جميعها • كل المصانع تدفع لى عند الانشاء المبلغ الذى أطلبه • وكل المصانع
تدفع لى مبلغا شهريا فاذا أنا استثنيت مصنع الأستاذ ساءت سمعتى بين
كل المصانع التى أتعامل معها •

ويصر الأستاذ على موقفه ويصر المرتشى • والوزير المسئول رجل
شريف وهو صديق للأستاذ ولكنه يقف من الموظف المرتشى مكتوف اليدين
مكبل الارادة لا يستطيع حتى ان ينقله من وظيفته فهو يعلم أنه اذا فعل ،
فسيرده القانون الى وظيفته • وأعجب كيف يستطيع الوزراء ان يعملوا
وهذه القوانين تقف لهم بالمرصاد وكيف تستطيع السلطة التشريعية أن
تسائلهم • ان المسألة لا تكون الا عند المسئولية فأين المسئولية عند الوزير
إذا كان عاجزا عن أن ينظم وزارته التنظيم الذى يراه كفيلا بتوفير الشرف
والنزاهة فى ربوع هذه الوزارة •

لا . . لا تقل أن المرثى ينال جزاءه . ففضايا الرشوة التي يتم ضبطها لا تبلغ في نسبتها واحدا إلى ألف من عمليات الرشوة التي تتم .

والشرف سمعة . والموظف الشريف معروف والمرثى مشهور ولكنه في أمان تام مادام يتقاضى رشوته سرا . وما أعلم بعد أن الرشوة يمكن أن تكون علنية جهيرة .

ويستخرج الأستاذ صاحب المصنع عينه من نتاج مصنعه ونتاج مصنعه داخل في صميم اختصاصه الذي ظل يعلمه للأجيال عشرات من السنين . ويكلم المستول عن إعطاء الرأي في العينة أنه مرسلها إليه فإذا هو أيضا من المرتشين وهل أدل على قبوله للرشوة من رده على الأستاذ :

أظن أنها ستكون مخالفة للمواصفات . . وأظن أنه خير لك أن تصرف النظر عن الموضوع كله ولكن على كل حال لا بأس أرسل العينة .

انه قاض حكم في القضية قبل أن تعرض عليه . ان عمله مثل عمل القاضى ولكنه لم يخجل أن يصدر الحكم في مواجهة صاحب الشأن دون أن تكون العينة في يده على الأقل حتى يستر لصوصيته ولكن لماذا يسترها . ومن أى جهة يمكن أن يخاف مادام على ثقة أن الوزير وهو الوزير لا يستطيع أن يسأله أو ينقله أو يتخذ أى إجراء يرد به أظافره القاتلة عن مصالح الناس .

وأقرأ ما كتبه منذ أسابيع أخونا الأستاذ موسى صبرى عن حالة مشابهة وتقطع النفس حشرات . كيف يمكن أن نفكر في أى تقدم وأمثال هؤلاء هم الحكام الحقيقيون . فالوزراء يعملون بمساعدين . ومهما يكن الوزير شريفا فان وزارته لن ينالها نصيب من هذا الشرف مادامت الرشوة قبل أصبحت عملا مشروعاً لا يستطيع الوزير أن يحاسب عليه .

١٩٨٥/٦/٢ الأهرام

حيرة ٠٠٠!؟

الى الرحاب القدسي من ساحة الرحمن يتوجه المكروب والملهوف وذو
الحاجة فيجد نفسه المظلمة الخراب قد أشرقت بالنور الالهى ٠٠ وأينع
نبتها واخضل زرعها وأطل الندى جديبها واستقبل الحياة بعد ادبار
وتسمت الأمل بعد اليأس ٠

فيالهلؤلاء المساكين الذين لا اله لهم ٠ الى من يتوجهون والى أى
مشرق أمل ينظرون ٠

ويل لهم لقد اختاروا لأنفسهم اليأس الذى لا أمل له والكرب الذى
لا فرجة فيه والسواد الذى لا يستطيع شعاع أن يكشفه ٠

فلا عجب ان كانت نفوسهم كلها حقدا خالصا ولا غرو ان كانت
قلوبهم كلها كراهية داكنة معتمة ٠

هم لا يستطيعون أن يقدموا حبا لأنهم لا يعرفون فى قلوبهم
الا البغضاء والتحاقد والسخيمة والمار ٠

وهم لا يريدون فى الحياة سلاما لأن نفوسهم موات ودماء وقهر
وطغيان ٠

وكيف لهم ان يعرفوا غير هذا وهم لا يؤمنون بالله السلام الرحمن
الرحيم الغفور ٠

الذين لا يعرفون الله يريدونها حربا بين أبناء الوطن الواحد
وحربا بين أبناء الجنس البشرى أجمع فمع الحروب يسود الخراب وفى
الأرض الخراب تنبت أزهارهم ويخضل نبتهم وعلى الخراب يقيمون
عروشهم أركانها قهر الانسان وقتل الايمان وكراهية الحب ونزع الأمان
واشاعة البهتان وافشاء الدعر ونشر الفوضى ومحاربة القانون ومنع الخير
ومباركة العدوان ٠

فلم يكن عجباً أذن ان يتحد الناصريون والشيوعيون وان كان كثير من الناس قد عجبوا وأنا منهم فى الوهلة الأولى التى شهدنا فيها تحالفهم •

كان عجبنا أننا شهدنا الشيوعيين يلقون ألوانا من العذاب وصنوفاً من تدمير عناصر الرجولة والانسانية فيهم على يد العهد الناصرى •

وكنّا نحسب أن التناقض بينهم سيظل الى أبد الأبدى ولكننا فجأة وجدناهم هم السادة الحكام يتسمنون مناصب الصحافة والاعلام والفنون ويملاونها من أشياعهم ومناصريهم ويملاونها أيضاً ممن لا يؤمن بمذهبهم ولكنه يريد أن ينشر ان كان كاتباً ويريد أن يمثل أو يخرج ان كان ناشئاً ويريد أن يعيش ان لم يكن لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء •

وما زالت آثار أغراسهم باقية حتى اليوم فى شتى الأنحاء تحارب غير الشيوعى أو غير الناصرى وتبارك كل ما هو كفر والحاد وتمجيد للطغيان وتعظيم للظلم والقهر والعدوان •

وهكذا لا نسمع شيئاً عن حرب رمضان الا أن يكون هجوما ورفضاً مما اضطر رئيس تحرير الأهرام أن يصيح بهم فى مقاله الأخير أفيقوا وأعدلوا فان الأمر ليس لهوا ولا هو لعباً •

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم بعد أن فكرت حتى ضاقت بى مسالك التفكير •

أما الشيوعية فنظرية واضحة المعالم معروفة الأسس طبقت فى بلاد كثيرة لا لأن لها كيانا يستطيع من يريد التعرف عليها أن يجده •

وصحيح أنها فشلت عند كل تطبيق الا أن هذا لا يمنع أنها نظرية لها معالمها المميزة •

وصحيح أن أى دولة لا يمكن أن تطبقها الا اذا ألغت تماماً فكرة الأديان الا أنها تظل مع ذلك فكرة ذات سمات ظاهرة وصحيح أن الصين أضخم دولة فى التاريخ وجدت فى تطبيقها الخراب والسمار مع أن الصين كان يمكن أن تقول حسب الفرد منا رغبة العيش وليذهب كل ما عداه الى الجحيم وليس توفير ألف مليون رغبة ثلاث مرات أو مرتين فى اليوم بالشئ البسيط ولكن الصين وجدت ان النظرية ألغت الانسانية فى الشعب الصينى ولم تستطع مع ذلك ان توفر رغبة العيش ذلك لأن الصين تعتمد

على مواردها وحدها وليست مثل الاتحاد السوفيتى الذى يعتمد على موارد كل الدول التى أرغمها أن تكون تابعة له .

صحيح هذا ولكن تظل النظرية الشيوعية مع ذلك نظرية يستطيع من يدرسها أن يجد لها مقدمات ونتائج ومعالم وملامح .

ولكن الذى أريد أن أعرفه والذى استغلق على ما هى النظرية الناصرية ؟

ما هى المبادئ التى يمكن أن يقوم عليها الحزب الناصرى ؟
المبادئ التى يمكن أن أتصور أن تقال غير قابلة للإعلان والا فتصور معنى ما طاف بخاطرى .

المبدأ الأول : قتل حرية الانسان المصرى فى العمل أو القول أو التفكير بحيث يتم اعتقال كل من يظن العاملون فى المخابرات من رجال ونساء انه اتى شيئا من هذه الممنوعات بأى صورة من الصور والعقوبة تكون الاعتداء على المال أو العرض أو الأرواح أو كل هذه العقوبات .

المبدأ الثانى : أموال الدولة كلها ينبغي أن تكون فى خدمة الحزب يتصرف فيها كيف يشاء وينفقها الحزب فى الأغراض التى يرى الحزب أنها تحقق الشهرة والهيبة للحزب ولما كان الحزب هو مصر جميعا فكل انجاز يحققه الحزب لنفسه انما يحققه لمصر جميعا .

ولو مضيت فى هذا السبيل ما توقف القلم قبل أن يكتب كتبنا كاملة لا عدد لها .

وإذا كان الحزب الناصرى سيتبنى النظرية الشيوعية فما الحاجة اليه مادام منضما بكل أعضائه الى الشيوعية وأحزابها الظاهرة والخفية .

وإذا كان سيتبنى المبادئ التى نادت بها الثورة فى يوليو عام ٥٢ أفلا يعتقد أن هذه المبادئ قد طبقت فعلا بكل أمانة فى غير العهد

الناصرى وعلى كل حال فما دامت طبقت والدستور يضمن الحفاظ عليها
ففيما اذن يقوم حزب ليضع مبادئ موضوعة فعلا ويضمن بقاءها دستور
وحزب وحكومة ومجلسان تشريعيان ؟

حيرة . . . ولكن الله سبحانه الذي يهدى السبيل وينير الظلام ويزيل
الحجب قادر أن يزيلها وانه على كل شيء قدير .

١٩٨٥/٦/٩ الاحرام

الكاتب ضمير لا صدى

الكاتب قطرة من دماء المجتمع ينبض بنبض القلب من هذا المجتمع ، وهو يسير فى هذه الدماء عيونا لا ننام ، وخواطر لا تهدأ ، وتفكير لا يتوقف .

وفجأة . وعلى غير توقع منه يتور بنفسه ما يريد أن يقوله لمجتمعه .

وحين يقول فهو صوت ضميره وليس صدى لمن يكتب لهم .

هو الكلمة الحق . وليس ترديدا ولا رجعا لكلمة الآخرين . فهو يكتب رأيه هو بوحى من خالص ضميره . لا ينظر فيما يكتب الى غير الله الرحمن القهار . الرءوف الجبار . الصادق الماكر . الواهب المانع .

الكاتب ضمير والضمير صيحة نفس . والكاتب حامل القلم وبهذا القلم يفجر خطرات ضميره لتصبح صيحات صارخة تهز المجتمع هذا ليفيق الى الحق ان كان الحق غائبا . ويرتد الى الصواب ان كان على الصواب أستار وحجب .

والكاتب يجمع بين ضلوعه الماضى جميعا يتمثله فلا بد أن يكون على وعى كامل بتاريخ وطنه وتاريخ البشرية . وينبغى أيضا أن يتعمق حاضره فيصل الى أبعد أغواره . من الماضى والحاضر يلقي نظرة الى المستقبل ويتنبأ بالقادم من الحوادث ويحذر بوحى شفيف من قلبه فالكاتب الذى يقيم صلته بالله يكشف الله غطاءه فيصره اذن حديد . يخترق آتى الأيام وقابل الغيب . لا بادعاء النبوة وانما بصفاء الروح وقياس المستقبل بالماضى ودراسة المقدمات التى أدت بالأمس الى نتائج بذاتها وتوقع منه اذا وضحت له هذه المقدمات أن تؤدي الى النتائج نفسها فى المستقبل كما أدت الى مثيلاتها فى الماضى .

وهكذا لا يمكن للكاتب الحق أن يكون تابعا يراد له ويساق سوق الأنعام ويستجيب لهتاف هو يعلم انه أجوف أو لدعاية هو يدري أنها مغرصة مفتونة فارغة وليس لأحد مهما يكن شأنه ولا لجماعة مهما يكن

حجمها أن تسأل كاتباً لماذا يكتب كذا ولا يكتب فى كتب لأنه لا يستنبح
فيما يكتب الا ضميره ولا يهتدى فى رأيه الا بهدى الله .

لا سيد للكاتب الا الله . وان تسيد على الكاتب شخص أو جماعة
أو غرض شخصى ضل طريقه . ونمى حديثه . واتسم أسلوبه بالبهتان
والمخادعة والختل . والقارىء يستطيع فى لحظة وامضة أن يكشف أمره
ويتبين منه ويتعرف على المداخلة فيما يقول .

وللكاتب وحده حق اختيار الوسيلة التى يقدم بها حديثه الى قارئه
فقد يختار الرواية أو القصة أو المسرحية أو المقالة أو القصيدة ان كان
شاعراً .

وليس للقارئ حق عليه الا أن كاتبه صادق مع نفسه لا يدفعه الى
كتابة ما يكتب الا الصالح العام . فان مال عن الصالح العام الى الصالح
الخاص فمن حق القارئ أن يرفضه . وان أحس أنه يعبر فيما يقول عن
رأى غيره . رأيه له فللقارئ ان ينصرف عنه .

وللقارئ دائماً وفى كل الأوقات أن يناقش الكاتب الرأى وله دائماً
وفى كل الأوقات أن يكون دقيقاً كل الدقيقة فى هذا النقاش . أما السبب
والتوقع والغمز والمز والتنازع بالألقاب فذلك شأن الأبطال الجبهة الذين
أخطأهم العلم وتخلف عنهم الخلق ونكصوا عن التحضر .

ولقد أعلم ان قوماً يقولون لماذا يكتب الأدباء فى السياسة فأعجب
غاية العجب . فالسياسة - فيما أعلم - شأن الناس جميعاً فى كل مكان
من الأرض . يمارسها الأحياء كما يمارسون الحياة . فاذا لم يناقش
السياسة صاحب القلم فمن ؟

وانى أسأل هؤلاء السائين . هل الأدب موسيقى . فالموسيقى
أيضاً تحدثت فى السياسة . أم الأدب ألفاظ وترنيمات وتهويمات وفى
أى شأن تستخدم هذه الألفاظ وتلك الترنيمات وهاته التهويمات ان لم يكن
فى شئون المجتمع والأمة وآماله .

اننا اذا كتبنا فى أى شأن من شئون الحياة فنا كان هذا الشأن
أم تاريخاً أم علماً فان السياسة تحتوى كل ما نكتب . لأن الفن انما خلق
لامتناع الناس . والتاريخ هو من صنع الناس يرويه الماضى للحاضر

لينتفع به الناس في مستقبلهم • والعلم لا يكون علما اذا لم ينتفع به
الناس •

ان الحياة كلها تعمل من أجل الحياة • وحياة الناس لا تسير بغير
السياسة • ففيم اذن يكتب الكاتب اذا هو لم يكتب في السياسة •

وانى لأسأل ثانية هل علم هؤلاء السائلون قوما بذاتهم لهم وحدهم
أن يتحدثوا في السياسة بحيث يقتصر الحديث فيها عليهم وحدهم • فمن
هؤلاء ؟ أيكونون الوزراء ؟

انهم لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة واحدة اذا هم لم يعرفوا نبض
الناس ومشاعرهم • والكاتب هو لسان هذا النبض وتلك المشاعر •

أيكونون أعضاء مجلسي الشعب والشورى في مصر • والمجالس
التشريعية بمختلف صورها في الدول الديمقراطية الأخرى •

اذن فمن هؤلاء الأعضاء ؟ أليسوا ممثلي الشعب الناظرين في شئونه
فمن ينقل اليهم رأى الناس قاطبة اذا لم يكن الكاتب من هؤلاء الذين من
حقهم وحدهم أن يتكلموا في السياسة • وليس لغيرهم أن يتكلم
معهم فيها •

ان الذين يثيرون هذه الأحاديث يتركون صلب الأمور وأسسها
ليتكلموا في هزيل من الشئون لا يفيد ولا يغنى •

أنا أنتظر نقاشا فيما أقدمه من آراء ثم يمضى يوم أو بعض اليوم
وأعرف الصدى • أما الأغلبية الكاثرة فراضية والحمد لله سبحانه
وتعالى • وأما الأقلية فتسب وتلعن وتصطنع من الألفاظ أحقرها فازداد
أنا رضى وحمدا لله فقد أصبت المغرضين المنتفعين حيث أردت أن أصيب •
ولكنى كنت أتمنى أن يشفعوا النسب بالنقاش والشتيمة بالجدل فحين
لا يتحقق لى ما أتمنى تملأنى الثقة أنهم لا يجدون لحجتي ردا ولا يطبقون
لمنطقى دفعا فينشال منهم من ينشال وينهيد منهم من ينهيد ولا يزيدون
عن السباب الهذاء والعيول والبكاء وهذا ميدان يتقنه الأطفال ويعف عنه

الكبار • وما داموا قد ارتضوه لأنفسهم فهم أدرى بمكانتهم وهم بأقدارهم
اعلم •

وأما الذين دفعوني الى كتابة هذا المقال فهم أولئك السذج أو الخبيثاء
الذين يثيرون ذلك السؤال المضحك الأرعن والأحمق ما شأن الأديب
بالسياسة •

والى هؤلاء أسوق مقالى وأرجو أن أكون قد أجبت ولكنى مع ذلك
لا أتوقع أن أجدهم قد اقتنعوا جميعا فالأمر لم يكن محتاجا منى لهذا الجهد
لو أنهم كانوا فى سؤالهم صادقين مع أنفسهم أما ان كان نفر منهم قليل
يسأل أو يتساءل عن براءة وحسن طوية ونقاء ضمير فانى واثق أنهم الآن
قد تبينوا الأمر وهم وحدهم يستحقون ما قدمت لهم من حديث والله وحده
هو ولى التوفيق •

١٦/٦/١٩٨٥ الأهرام

ولا حتى جاهلية !

كانت الجاهلية ضربا موبقا من الحياة • كانت مجتمع الانسان المنسحق حتى هو بضاعة تباع وتشترى • ثم هو بعد أن يصبح عبدا يصير شيئا لصاحبه أن يصنع به ما يشاء بما فى ذلك القتل • وكانت الجاهلية مجتمع الانحلال الخلقي حتى سادة العرب يتاجرون فى الأعراض تحت الرايات الحمر تخفق بانهياء الشرف وضياح الحياء وغيبة النخوة وسقوط الكرامة •

وكانت الجاهلية مجتمع الرجل فله أن يتزوج ما شاء من النساء بغير حدود الى جانب الجوارى يتسراهن • فاذا كنت سمعت عن امرأة ذات قيمة فى الجاهلية فقد استملت قيمتها من شخصيتها هى لا من حقوقها الاجتماعية • وحين جاء زواج الأربعة كان تحديدا لا اباحة فقد كان العدد مطلقا بلا حدود •

وكانت الجاهلية مجتمع السيف والقتل وقوة الحيوان • فلا يعيش فى انحائها الا صاحب القوة والسلطان المستمد من السلاح فردا كان هذا القوى أم قبيلة أم جماعة من القبائل •

وجاء الاسلام فاندكت هذه الأركان جميعا •

فلا عبيد ولا سادة • « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » صدق الله العظيم سورة الحجرات الآية ١٣ وهذه الآية وحدها من شأنها أن تكون بركانا يقضى قضاء ماحقا على مجتمع السادة والعبيد • أياكون أكرمهم أتقاهم • ولا أغناهم ولا أقواهم ولا أكثرهم جاها وعددا وجبروتا وطغيانا فتلك اذن هى الطامة الكبرى وتلك هى نهاية زمان وبداية زمان • فلا عجب اذن أن يفعل طغاة العرب ما فعلوا وجاء الاسلام « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » صدق الله العظيم الاسراء الآية ٣٢ •

اذن فقد ضاع أيضا ذلك المصدر الضخم من مصادر المال وتكسبت الرايات الحمر وأصبحت هبأة عندما تحرم باعة الأعراض والشرف من

تجارتهم الدنسة وتنضب ينابيع المال التي كانت تنسكب عليهم من هاته الخيام المنكرة الذميمة .

وجاء الاسلام فاذا هو يرفع نور السلام على العالمين « لهم دار السلام » النساء - ٩٤ ، ويقول تعالى في سورة يونس « دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول في سورة الحجر « ادخلوها بسلام آمين » ويقول في سورة طه « والسلام على من اتبع الهدى » ويقول في سورة ق « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » ويقول في سورة الحشر « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام » ويقول في الفرقان « ويلفون فيها تحية وسلاما » وفي سورة الواقعة « الا قتيلا ننلانا سلاما » فهو دين السلام اذن فلا عدوان ولا اعتزاز بالسيف على غير حق ولا إغارة عن الآمنين .

وحين رفع الاسلام السيف رفعة من أجل السلام واستتب به السلام فلم يفتح دولة الا ما كان يتوقع منها أن تهدد الآمنين من شعوبه ولم يرغم فردا على الاسلام وانما هو سلام وسلام ومن يرغب في اعتناقه عن اقتناع واقبال فأهلا ومن يتنغى البقاء على دينه فأمن هو مطمئن وسلام عليه سلام .

واندثرت الجاهلية وزالت معالمها ولم يبق من آثارها الا ما يرضاه الاسلام . وعلى المدى التاريخي لم يكن هناك عهد كله شرور فلا بد أن تكون هناك اشاعات من نور في دامن الظلام . فما بعجيب أن يبقى من الجاهلية النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واغاثة المحتاج ورعاية الجار واکرام من علت بهم السن .

ومرت الأجيال فأين نحن اليوم من الاسلام ومما بقي من أخلاق فيها سجاخة وان كاتب الى الجاهلية تنتسب .

الظلام يلف العالم الاسلامي اجمع فلا ضياء من الاسلام ينير سماء ولا بصيص من شرف يومض بين جنباته . القتل والدمار والسرقة والانهاب والبغى والعدوان . والهول المبيد . والفرقة والتنابد والشقاق . والتناحر والمسلم يقتل مسلما . والجميع يقتلون الحق والاشراق . والسلام والايمان .

الدول تنخذ من الدول عبيدا . وبعد أن كانت العبودية لأفراد أصبحت العبودية لجماعات بأسرها ولأوطان بأكملها . وانظر الى أفغانستان

والى دول المسلمين صامته راضية وانظر الى سوريا وما تصنعه بلبنان والى لبنان وما تصنعه جماعات منها مسلمة بجماعات منها مسلمة . وانظر الى تلك الداهية الدهياء فى العراق وايران . وهذا النكبة النكباء المسماة القذافى .

أين هذا من الاسلام ؟ بل وأين هذا من الجاهلية ؟ ويل للعالم .
أهو يتقدم أم يرجع القهقرى الى أحط عهود الانسانية وأشدها وبالا وأتعسها حالا ؟

ايثب الانسان الى القمر بعلمه وينحدر الى القروء بخلقه ؟

كيف يتحطم لمنطق ويتهشم بهذه الصورة البشعة ؟

ما كان أغنانا عن القمر اذا كنا لا نستطيع أن نحافظ على الأرض .

واذا نظرنا الى مجتمعنا هذا المصرى الذى نعيش فيه طالعنا الدواهي .
الآخذات .

لقد تحطم فى مصر الكثير الكثير مما كانت تحتز به مصر : المسلم ينسى أسلامه ويسرق ويرتشى وينير الفتنه ولا يرعى الله ويعبد المال وكأنه سيصحبه معه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، أو المسلم يغالى فى دينه ويبالغ مبالغة مفتعلة مصطنعة ناسيا قوله تعالى « لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » النساء ١٧١ وقوله مرة أخرى فى الآية ٧٧ من سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق » يريدون ان يتخذوا الدين وسيلة الى سلطان الدنيا . بنس ما يبيتون . والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو سبحانه يدري أن بعضهم بل بعض زعمائهم منغمسون فى الغى الى الأذقان لا يتورعون عن الموبقات ما ثقل منها وما هو أقرب ما يكون الى الكفر . يتظاهرون بالورع وهم فيما يظنونهم خفاء يرتكبون الكبائر لا يعفون عن أغلظها شأنا وأحطها قدرا .

وأين الجاهلية بما أجاز الاسلام من بعض أخلاقها ؟ أين النجدة .
والشجاعة واغائة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام الكبار ؟

وأين لغة القرآن ؟ وأين لغة العرب ؟

أما النجدة فأغلب الظن أن كثيرا من القراء لن يعرف معناها وهو
يقرأها الآن .

وأيـن الشجاعة وقد أصبح النفاق هو سمة العصر فلا تسمع كلمة
حق الا من النادرين القلة الذين لا يزالون يعتبرون أن الكلمة عرض
وشرف .

وأيـن اغائة الملهوف وأنت تجد الموظف يأبى أن يؤدي وظيفته
الطبيعية الا اذا أصاب ما لا يجوز له من مال ويسميه اكرامية وهو عند
الحق رشوة . وهل لمرتش أن يغيث ملهوفاً . كيف ؟ شرف وخسة
لا يجتمعان ، كما لا تجتمع الأمانة مع السرقة أبدا .

وأصبحت رعاية الجار عدوانا على أمن بيته بالأصوات الصارخة من
أدوات الاعلام أو من أبواق السيارات هذا اذا لم يتمثل العدوان في تشابك
بالأيدي أو اللسنة .

وما دمنا لا نرعى شأن الجار اللصيق فما بعجيب أن نسكت
عما يحدث لأخواننا في الاسلام في بلغاريا والاسلام قريبي ونسب .
فما بالنا لم نر دولة من دول الاسلام حركت ساكنا لنصرة أخوتها في
الاسلام ولو بقطع العلاقات مع بلغاريا .

لقد كان العرب سباقين الى قطع العلاقات مع زعيمتهم مصر لأنها
استردت أرضها ولأنها وقعت معاهدة كامب ديفيد التي يلهثون اليوم جميعا
الى معاهدة قريبة منها فتنقطع أنفاسهم وتنغلق دونهم الطرائق وتسد
أمامهم المسالك .

وحين يفقد بهم العجز لا يجدون متنفسا لغيظهم الا سب مصر
وكامب ديفيد فكل الثعلب الذي لم يصل الى العنب فراح يصب على العناقيد
جام غضبه .

أيقطعون العلاقات مع مصر لأنها انتصرت لهم ورفعت ذكرهم في
العالمين وأسعار بترولهم في دنيا المال وجعلت أنوار الاسلام تتلألأ في أنحاء
العالم أجمع ، وييقون على صلاتهم وعلائقهم مع روسيا وهي تلك المسلمين
في أفغانستان ، ومع بلغاريا وهي تنكل بالمسلمين المسلمين في ربوعها .

أمثل هؤلاء ننشد عندهم رعاية الجار • أليست مصر جارا لهم ،
وأما لثقافتهم ومصدرا لعلمهم وفنهم ومجدهم فى أنحاء العالم المتمدين
كله • مصر الأزهر ، مصر المآذن يقطع المسلمون علاقتهم بها ويبقون على
علاقاتهم مع الذين يبيدون المسلمين فى أفغانستان وينكلون بالمسلمين
فى بلغاريا •

لا ورب الكعبة •• لا والحرمين •• لا اسلام فى هذا ولا حتى جاهلية
الأخاء والنجدة •

واليوم نحن فى أعقاب عيد اسلامى نصطنع الفرحة على وجوهنا •
ونتبادل المعايدة أمما وأفرادا وأصبح مع المتنبي :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد

فان تكن عدت بقديمك فلا فرحة لنا فيك وان كنت عدت لأمر فيك
تجديد فلنقل البيت القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

١٩٨٥/٤/٢٣ الأهرام

أدب مشاهد .. مشاهد .. لا ناقد !

الآن وقد هدأ الصخب وانفض المولد نستطيع أن نلقى نظرة متأنية
على برامج رمضان .

ويقتضينا الحق أن نقدم الشكر للسيدة الفاضلة سامية صادق على
الجهد العظيم الذى بذلته والذى كان من نتيجته تقديم كل هذه البرامج
الحاشدة الممتازة فى شهر رمضان المبارك . وانى واثق أن الله سيجزيها
خير الجزاء لقاء ما أمتعت الناس فى هذا الشهر الكريم حتى لقد جعلت
كل يوم من أيامهم أمام التليفزيون عيداً وبهجة ومنتعة شريفة سامية .

ولنبداً بالفوازير .. يظن كثير من السطحين أن الفن الرفيع لا بد
أن يكون مكشراً عن أنيابه غاضباً مقطباً ، وينسون أن الفن امتاع كريم
يتسلل الى نفس المتلقى عن طريق مزدهر الجانبين فواح العبير ويرسب فى
حنياه - دون أن يشعر - المعانى الرفيعة فى الحياة ولذلك يرفض الفن
الخطب الرنانة والموعظة المباشرة والنصيحة المجردة .

وهكذا يمكن أن نقول أن الفوازير قد حققت هذا الامتاع الفنى
والجمالى معا . وانى أهنيء مخرجها أولاً فهو يتمتع بموهبة فريدة تستطيع
أن تجمع كل هذه المجالات التى شاهدها فى باقة واحدة متناسقة طيبة
الأريج وضاء الألوان . ولا شك أن المخرج كان موفقاً غاية التوفيق أن
قدم لفوازيه بكلمات شيخ شعرائنا المعاصرين طاهر أبو فاشا وبصوت
عملقة الفن الاذاعى والتمثيلى زوزو نبيل أطال الله حياتها وعملها فن
اللقاء عبد الرحيم الزرقانى رحمه الله وأكرم مثواه .

وانى لا أستطيع أن أفصل ولكننى لا بد أن أهنيء الموهبة الجديدة
شريهان وأدعو الله إن يكرمها ويثبت أقدامها على الطريق القويم .

ثم انتقل الى ذلك المخرج العظيم يحيى العلمى وأقدم له أصدق
التهنئة على توفيقه فى تقديم أعمال الكاتبة العظيمة صاحبة الأسلوب

الرفيع سناء البيسى - نم أقف لاهىء ذلك العملاق الشرقوى الذى صعد الى سماء انجوم بقدره فنيه معجزة أحمد زكى ما هذا يا ابن ديارنا . كيف استطعت أن تسيطر على فنك بهذه القوة وبعظمة الفن وحده اننى كشرقاوى مثلك أتيج لنفسى أن أفخر بك . بل اننى كمصرى بل كعربى اعتر بك .

أما سعاد حسنى فقد كانت فى قمتهى وما هذا عليها بغريب . فان الفنان أو الفنانة لاتصل الى القمة على هواء وقد بلغت سعاد حسنى قمتهى على الشاشة الكبيرة فما بعجيب أن تظل على القمة فى الشاشة الصغيرة أيضا .

ثم انتقل الى هذا العمل الفنى الباذخ الذى قدمه الكاتب الكبير سعد وهبه والذى أسماه بذلك « تحقيق صحفى » فكان تحقيقا صحفيا فى غاية الصدق والجمال الفنى بى حوار أخاذ رفيع . ولم ينس الكاتب المسرحى غريزته المسرحية فسلك التحقيق بقصة بوليسية جمعت نثارة وللمت شمله .

ثم أنا أهنىء كل الممثلين فى هذا المسلسل الذين استطاعوا أن يصمدوا بين جبلين سامقين من الفن هما سميحة أيوب ومحمود مرسى . فقد استطاع الممثلون الآخرون أن يصمدوا لأعاصير الفن الرفيع التى أحاطت بهما من القمتين الشاهقتين . أما محمد فاضل فقد تفوق على نفسه وأشهد أنه قدم فى هذا المسلسل فنا رفيعا هو الذى نتوقعه منه بما له من موهبة سامقة وخبرة عريضة .

وحين نذكر الشهد والدموع لابد لى أن أشكر الأستاذ الدكتور عبد القادر القط الذى كتب عنها فى الأهرام منذ قرابة أسبوعين مقالا فى غاية الروعة أغنانى عما كنت أريد قوله للمؤلف أو عن كثير منه على الأقل . إن المؤلف الأستاذ أسامة أنور عكاشة صاحب موهبة لاشك فيها وقد استطاع بهذه الموهبة أن يكتب عملا جذابا . ولكن لماذا يا أخى جنحت الى هذه المبالغة العنيفة التى ترفضها الحياة بل ويوشك الخيال أن يرفضها أيضا . أعلمت فى حياتك أخذا يحوى كل هذا الشر وكل هذا الحقد وكل هذه الدناءة . وهناك شخصية حيرتنى بصورة مذهلة . تلك الشخصية التى قدمتها فى صديق يوسف شعبان . أنا ما غرقت فى حياتى ولاعرف الإنسان أحد يصنع الشر لوجه الشر دون غاية أو مطمح الا عمل الشر .

وقل لى بريك لماذا قدمت لنا خالد زكى ذلك الوجه الحبيب الى الناس
القريب الى قلوبهم فى هذه الصور المقيتة الكريهة • لقد كانت نفوس
الناس تمتلئ باسكابة كلما لاح لهم وجهه على الشاشة •

وبعد فالذى لا شك فيه أن اقبال الناس على هذا المسلسل قيمة فى
ذاته ونجاح • والمؤلف لا شك يملك الأداة فمن حقنا عليه أن نطالبه
بما لا نطالب به غيره ممن يستحق التعليق أو التنويه •

وما وجهته للمؤلف أوجهه للمخرج اسماعيل عبد الحافظ فالعمل
مستوليته أولا وأخيرا ومن حقه علينا أن نهنته بكل ماعدا ذلك من مناظر
ونقلات واتقان فى التمثيل من جميع المشتركين معه فى المسلسل لا أستثنى
منهم أحدا •

أما مسلسل لا اله الا الله فهو عمل رائع ولا عجب فالمؤلفة من أرسخ
الناس قدما فى الأعمال الدرامية ونستطيع أن نقول فى ثقة ان أمينة الصاوى
هى التى أدخلت فن المسرح الى الدراما المصرية منذ الخمسينيات وقد
أدخلتها بمقدرة فائقة وبقلم متمكن واثق •

المادة التاريخية والمادة الدينية أشرف عليهما المتخصصون وليس من
حق أحد أن يناقشهما الا أن يكون متخصصا وعلى نفس المستوى الرفيع
الذى تحقق فى المراجعين •

أما نحن فمن حقنا وربما كان من واجبنا أن نناقش العمل الفنى
الدرامى وقد كانت أمينة الصاوى غاية فى البراعة واستطاعت أن تجعل
من المادة التاريخية عملا جذابا تتشابه فيه الصراعات ويتصادم فيه الحرس
على الدنيا والحرس على الآخرة كما استطاعت أن تقدم الحب والكراهية
والمؤامرات والصدقات والخيانة والوفاء كل هذا فى لغة عربية جزلة
سهلة رفيعة •

أما الممثلون فكثير منهم من القمم الرفيعة فى حياتنا الفنية وقد كانوا
جميعا غاية فى التوفيق ولكننى أعجبت بأحمد ماهر واعتقد أنه بدأ
صعوده الى القمة •

واعتقد أن السيدة العظيمة كريمة مختار فى غنى عن أى اشادة
فهى شخصية أراد الله سبحانه أن يحالفها التوفيق فى كل أعمالها الفنية

أما المفاجأة التي طالعني من هذا المسلسل فهي صفاء أبو السعود فقد عهدناها تقوم بالأدوار الخفيفة الظل كدور الفتاة الرعناء أو الضاحكة فإذا بها تتكشف في هذا المسلسل عن ممثلة من الطبقة الرفيعة قادرة معبرة تعطي كل كلمة حقها من الحركة والإشارة والإيماءة وفي شموخ ملكة وفي صفاء الزوجة المحبة وفي نقاء الأم ذات الامارة وفي ذكاء السياسية البارعة . ثم هي تنطق اللغة العربية في سلامة مذهلة وكأنها لا تتكلم الا العربية في مألوف حياتها .

والمسلسل الديني الآخر للكاتب الكبير العظيم الأستاذ محمود شعبان كان جديرا أن يعرض في وقت غير الذي كان يذاع فيه فهو من الأعمال الرائعة التي يحق للتلفزيون العربي أن يفخر بها وكم أرجو أن يعاد عرضه في موعد يتاح فيه للجماهير أن تشاهدوه وتعجب به كما شاهدناه وأعجبنا به .

وبعد فأنا أكتب هذا الحديث وما زالت خلقات برديس تعرض والذي شاهدته من حلقاتها يستحق أن أهنيء عليه أخي الكاتب الكبير إبراهيم الورداني وصديقي مصطفى محرم كاتب السيناريو وصديقي المخرج الممتاز فايز حجاب . وليس بغريب أن تكون قصصة الورداني جذابة قوية ولا بغريب أن يحسن فايز حجاب اخراجها . ولا بعجيب أيضا أن يوفق الكبار نبلي وأحمد مظهر العظيم والذي بلغ السماء في مسلسل الا اله الا الله وحسن يوسف والموفقة الدائمة التوفيق كريمة مختار . ومصطفى فهمي وعائدة عبد العزيز القديرة الثابتة الأقدام دائما .

وبعد فما أنا بناقد فني وانما أنا مشاهد قدر لي ان أقبع طوال شهر رمضان منذ الظهرة في بيتي واستطاع التلفزيون أن يجذبني اليه طوال الشهر . وأعتقد انني آكون جاحدا منكرا للجميل اذا لم أقل لكل هؤلاء الذين عشت معهم شهرا سعيدا ممتعا شكرا . وهم بهذا الشكر جديرون .

١٩٨٥/٦/٣٠ الأهرام

مقدمة •• شكسبير

فالامر الذى لا شك فيه انك علمت ما صنعناه بك فانت الآن روح بلا جسد واغلب الامر ان روحك تتابع مسرحياتك حينما تمثل هذه المسرحيات يعينك على ذلك انك تخلصت من قواعد الجسوم وابتعدت عن دنيا الناس •

وانت رايت ما صنعه بك التلفزيون المصرى منذ بضعة ايام • ولكن دعنى اروي للناس ما صنعه عباقره المسرح بنا نحن المشاهدين العزل الذين لا نملك لسيطرتهم التلفزيونية دفعا أو دفاعا • وانما ينفردون بنا ويصوبون علينا جام عبقريتهم فى ظلم لا يعرف الرحمة وفى قسوة لا هوادة فيها ولا شفقة •

أعلنوا يا شكسبير أنهم سيمثلون رواية من خوالدك فى التلفزيون فانتعشت بنا الآمال وأعددتنا أنفسنا لمشاهدة شكسبير •

وجاء الموعد وبدأ عرض المسرحية • ويل للخالدين • ما هذا الذى يصنعونه بشكسبير • ولاى فئة من الناس يقدمون أعماله ومن هؤلاء الذين سيشاهدون شكسبير باللغة العامية ويحمدون ما يشاهدون •

أى استخفاف هذا الذى يأخذون به الأعمال الجادة الرفيعة • اذا كنا لا نريد أن نحترم شكسبير أفلا نحترم لغتنا العربية على الأقل • ولكن لا • ما الى اهانة شكسبير قصدوا • وانما المقصود بالاهانة هي اللغة العربية ذاتها • فهكذا استقر بهم الرأى • ان التقديمية والحضارة والسمو ومواكبة الزمن لا تكون الا بتحطيم اللغة العربية • واصطناع العامية وقد استطاعوا بصوتهم الجهير النكير أن يجذبوا الى ميدانهم العامى كاتباً أكن له كل احترام وتقدير وهو الدكتور سمير سرحان الذى اختار العامية ليترجم بها شكسبير وهو شكسبير • والدكتور سمير سرحان من القلة النادرين الذين يعرفون قدر شكسبير كل المعرفة والذين يجيدون لغتهم العربية كل الاجادة ولست أدري ما الذى حدا به أن يختار العامية ليترجم بها شكسبير • ولست أدري أيضا لماذا قبل التلفزيون اذاعتها • أغلب

الظن أن الدكتور سمير أراد أن يجدد شكسبير وأن التلفزيون المصري أراد أن يكرم العامية ويبالغ في تكريمها لأنه يرى العربية غير جديرة بالتكريم لأنها أصبحت شيئا قديما باليا لا يصلح لغة للحديث .

... وربما خشي التلفزيون المصري أن يرميه الجمهور بالثقافة فينصرف عنه ويبتعد عن مشاهدته كان التلفزيون قد أصبح فجأة شركة إنتاج سينمائية تخشى ألا يشتري المشاهدون التذاكر وتصبح الخسارة خسارة مادية وكأنني بالتلفزيون قد ضحى بالمكسب الثقافي ليضمن الربح المالى . وتلك اذن عجيبة . فالذى أعرفه أن هذه المسرحيات تباع الى الدول العربية والذى لا شك فيه ان اللغة العربية أسير عن هذه الدول من اللغة المحلية المصرية . والذى لا شك فيه أيضا أن الشعب المصري يفهم العربية ويقرأ بها صحفه ويسمع بها نشرات أخباره فى التلفزيون والاذاعة على السواء .

ولكن اللغة العربية مع ذلك أصبحت غريبة فى مصر منذ هجر الأزهر الشريف بناء الأزهر الشريف ومنذ أصبحت دار العلوم وقد انهار الأساس الأعظم الذى كانت تقوم عليه من شرط حفظ القرآن الكريم للانتساب اليها .

منذ هذا اليوم الأغبر الكثيب فى حياة مصر أصبحت اللغة العربية بلا دار تحتوى بها وبغير موئل تأوى اليه وجاء التلفزيون بمذيعاته اللكنات فازدادت اللغة العربية تشردا ثم أسعن التلفزيون فرض الروايات المترجمة من اللغات الأجنبية باللغة العامية ثم ازداد اليوم امعانا فعرض شكسبير وهو شكسبير باللغة العامية .

أنعجب بعد ذلك أن نجد شبابا لا يقوم لسانه ولا يعرف لغته . ولغته هذه هى قوام دينه وأساس ايمانه وعلى صرحها الشامخ وفى قمته يقف القرآن الكريم محفوظا مقدسا بأمر من العلى القدير . مجهول الأصول تختلط معانيه وأوامره ونواحيه عنه الشباب . ويريد الشباب أن يكون مؤمنا ولكنه يجهل الطريق الى الايمان لأن صبلته باللغة التى يفهم بها قرآنه مقطعة الأسباب ، ممزقة الروابط ، منفصلة الأوشاج . وتبلى مصر بالطامعين فى الدنيا البائعين لأخرتهم بضمن بخس من رغبة فى سلطان فيحرفون كلام الله عن مواضعه ويتخذون منه وسيلة الى عقول الشباب النبوى الساذج ويشعلون الحريق ويؤججون النار ويعينهم جهل الشباب بلغتهم وقرآنهم ودينهم فاذا مصر المسلمة المؤمنة حصن الأزهر وسماء الآلاف من المآذن تصطبى من اجتماع الأغراض الدنيوية الرخيصة بجهل الشباب الفادح .

وإذا كنا نيكى دما لتفشى الأمية فى مصر • فاننا نيكى دما وروحنا
وقلبنا لتفشى الأمية الدينية عند الشباب • وتفشى الضمير الميت وبيع
الآخرة بالدنيا عن المغرضين من مثيرى الفتن ومشعلى الحرائق •

والإيمان أعز ما يملك الانسان فى حياته • على شساطىء منه كريم
يرسو المضطرب من حياتنا • وعند مرفأ منه مضى يشرف ما اعتراه اليأس
من آمالنا • وعند حصن منه منيع تلوذ نفوسنا من نزغات الشيطان • ومن
اغراءات الحياة • ومن اللذة الهدامة • ومن المال الحرام • ومن الكذب
والنفاق والبسحت والرشوة وبيع الضمير •

ولكن المغرضين ممن يدعون بالدين علما وما هم بذلك جعلوا من
دينهم ساحة يصحبون فيها الشيطان ويقيلون فيها على اغراءات الحياة من
لذة ومن كذب ومن نفاق ومن سحت ومن رشى ومن ضمير مباع •

ولكن الله أكبر • والعزة له وحده ولا غالب الا هو سبحانه •

ان فى مصر مشايخ أجلاء قادرون دائما أن يجعلوا الصحيح صحيحا
وأن ينفخوا فى الباطل فاذا هو زبد جفاء • ويظل الباطل كما كان وكما
سيبقى زهوقا هشيما محطما •

وقد قال المصاييح الهواة كلمتهم وهم العلماء الأئمة ارتضيناهم
للفتيا فى شئون ديننا وأخذنا عنهم علما بكريم كتابنا وبالصحيح الثابت
من سنة رسولنا •

وما دعا كتابنا يوما الى الفتنة بل جعلها أشد من القتل وعلى هدى
هذه السنن سار سيد البشرية وخاتم الأنبياء •

أم جعل المغرضون من أنفسهم أنبياء جددا • • اذن فقد باءوا بسخط
من الله وبغضب من رسوله ومن اتبعه بإحسان الى يوم الدين •

ان الأمر جد لا هزل فيه • فمالى اذن أرى وفى التلفزيون أيضا
شيوخا يخلقون ما أنزل الله بها من سلطان ويجعل من اللم كفرا • •
أى زدة • • • أى أنه يريد أن يقيم المرتد على مخطئ أو مخطئة فى رأيه
دون أن يشنت خطاها فى عرف جمهور الفقهاء ولا كبار أئمتهم •
ان إنشاء الجريمة لا يكون الا بنص صريح من القرآن ذاته •

ولا يجوز فيها قياس ولا استصحاب ولا استحسان ولا اجتهاد فانه .
لا جريمة ولا عقوبة الا بنص *

اذن فهم لم يكتفوا أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء جددا ويريدون أن يصبحوا آلهة أيضا • أم نراهم لم يقرأوا ما جاء في معنى الحديث النبوي الشريف : « من حلل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه في النار » أو كما قال : فان لم يكونوا قرأوه أو عرفوه فقيم تصديهم للفتيا وقيم جراتهم على حدود الله وكيف تبلغ بهم القحمة أن ينشئوا جرائم تترتب عليها حدود منها اعدام النفس التي حرم الله ايذاها الا بالحق *

اللهم يا ذا الجلال • نشهد أنه لا اله الا أنت ونشهد أنك قلت تعاليت وتعالى قولك : « اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني • اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » من الآية ٣ سورة المائدة •

اللهم يا ذا العزة أنت وحسبك القهار فوق عبادك وأنت القادر على الفاسقين من عبادك وأنت وحدك تعلم ما لا نعلم وما لا أحد يعلم سبحانه . أنك أنت العزيز القدير • بشيرا ونذيرا ومبليا وليس ليكون فتنة بين الناس وهو لا أخذ • ألم يقل الله لنبيه • • عليك البلاغ وعلينا الحساب • أو لم يقل في قرآنه على لسان نبيه هل كنت الا بشرا رسولا • أو لم تتواتر الآيات بهذا المعنى عشرات وعشرات •

فما لهؤلاء يريدون أن يصبحوا زعماء سياسيين شعارهم السلاح وليس الرأي • والعدوان وليس الكلمة • ألم يكن الله بقادر على أن يفتي الظالمين أجمعين • ويقمعهم أن يعذبوا المؤمنين ما عذبوهم ويعتدوا على سيد البشر عدوانهم الهمجي الحقيق فلم اختار الله الكلمة لخطاب هؤلاء ولم أمر نبيه أن يبلغ ويكتفى بالبلاغ •

لأن الدين عقيدة والعقيدة صلة انسان بربه • وهي صلة حرة من كل قهر ، نزيهة عن كل ارغام يمد الانسان أسبابه الى ربه بشهادة لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وبالصلاة فريضة موقوتة وبالصيام اذا انتفت رخص الافطسار وبالزكاة كما شرعها العزيز الحكيم وبالحج لمن استطاع اليه سبيلا ثم يتقرب الانسان الى سموات ربه الرحمن الرحيم

بهمسة الدعاء وبعبارة الايمان وبرعشة الخشوع وبنور الطمأنينة وبالخوف
من عذاب السعير وبالطمع فى عز الجنة .

هكذا هو الاسلام صلبة فرد واحد تزدهر وتنمو وتتمكن وتثبت
وتطمئن وتنغرس فى داخل النفس لا يعلمها الا الواحد الأحد الذى يعرف
خائنة الاعين وما تخفى الصدور .

أين أنتم أيها المتطرفون من هذه النفس ومن تسبيحها ودعائها ومن
الخيوط الحريرية المتينة متانة الايمان وقوته تربط بين عبد وربّه لا يراها
الا بارىء النفوس وقيومها سبحانه وتعالى عما تصفون .

أين أنتم نعم بين مسلم واسلامه ، وبين عابد ومعبوده ، وبين مخلوق
ومخالقه ، وبين من فرض الفرائض وبين من إداها . اذا أخلف واحدة منها
فحسابه هناك عند صاحب الأمر على الكرام الكاتبين فلا حسنة ولا سيئة
الا هم محصوها والحكم بعد ذلك للواحد القهار هو أحكم الحاكمين الغفور
ذو الرحمة المتين .

أتريدون أنتم فى بشرتكم الهزيمة هذه أن تتهموا وتقيموا الادعاء
وتنزلوا العقاب على من لا تعرفون أى حبال صلبة متينة تربطه برب العرش
أين أنتم من ذلك . ومن ارتضاكم لتكونوا حكاما وكيف سئولت لكم
أنفسكم أن تقتعدوا منازل الأنبياء أو حتى الصديقين . بل اننى أراكم
تريدون من أنفسكم آلهة . ثم ما تظنون وما تبیتون أن يكن المال
المنسكب عليكم يزين لكم سوء الذى تفعلون فاعلموا ان كنتم لا تعلمون
أن هذا المال من بشر . والبشر لا يستقر على حال . فكم من أصحاب أنهار
وعيون وجنات كانوا فيها فاكهين أبدلهم ربك قوما آخرين فما بكت عليهم
السماء والأرض وما كانوا منظرين .

هو سبحانه على سادتكم قادر . . وهل قادر الا هو . . يحقهم قبل
أن تكمل عين طرفتها . فما أنتم منه الا هباء وما شأنكم عنده أو عند
المؤمنين الا بوارا ولا يبقى من آثاركم الا عبرة الأولين للآخرين وسبحان
رب العزة عما تصفون .

١٩٨٥/٧/٧ الأهرام

الحلف الخائن

كم من عجائب نقرأها فى هذه الأيام العجيبة حتى لقد أصبحت على يقين أن إيماننا هذه غريبة على الأزمان • التوى فيها كل طريق، وتكاثرت فيه الشنايا حتى لقد أصبح الطريق القويم شريدا لا يجد له بيننا وطنسا أو مستقرا •

قرأت فيما قرأت كاتبا مسئولا عن الجريدة التى يعمل بها يعلن فى وضوح باسم حزبه أن حزبه يعاون الأحزاب الشيوعية السرية ومع أن الدهشة أصبحت بعيدة عن نفسى كل البعد فى زماننا هذا زمن العجائب الا أننى مع ذلك دهشت أن يعلن رئيس تحرير أنه يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون • ولذلك فأنهى أعاهدكم أنني لن أدهش إذا قرأت لهذا الكاتب أو لغيره من تجمع أنه يتاجر فى المخدرات أو يوزع حبوب الغيبات •

وفى الجملة التالية لاعلانه عن ارتكابه لهذه الجريمة يقول الكاتب أنه وحزبه يعاونون الجماعات الدينية المتطرفة • وهكذا استطاع بجملته هذه أن يمجو الدهشة التى انتابتنى فى جملته الأولى لأواجه الدهول من اعلانه فى جملته الثانية •

كيف يجتمع طريقان كل منهما يتجه الاتجاه المضاد للآخر • كيف يلتقى المغالى فى دينه المتطرف فى عقيدة الايمان ، مع الملحد الراقص لفكرة الايمان جميعا يدعى أنها ساذجة سطحية تعتقد عن جهل بالغيبات التى لم يشبها العلم •

ان النظرية الشيوعية لايمكن أن يقوم لها أساس الا اذا هدمت فكرة الدين جميعا أيا كان هذا الدين •

والمتطرف الدينى يرى بنظرة متطرفة زعناء أن كل قانون غير قائم على الشريعة الاسلامية كفر والحاد • حتى ولو كان قانون أرشيميدس أو قانون العرض والطلب •

فكيف يتحالف النقيضان ويتوحد الطرفان المتباعدان المتباغضان .

كيف يؤيد الشيوعي الملاحه هذا المؤمن الذى يغالى فى ايمانه ويبالغ فيه ويبالغ حتى يخرج به عن الايمان السوى المطمئن الشريف الى الفتنة والتخريب والدمار .

وكيف يقبل ذلك المؤمن الغالى أن يحالف ملحداً رافضاً لفكرة الله فى جملتها وتفصيلها . أيرفضون أن يروا خلق الله فى ملابس عصرهم ويقبلون الملحدين وهم المرتدون الذين لو طبقوا عليهم الحد الاسلامى الذى يبغون تطبيقه لأوقعوا بهم الجزاء الذى ينهى حياة الانسان جميعاً أى حلف ذاك ؟

ما هدفه ؟

على أى أساس يقوم ؟

أما أنه حلف قائم وموجود فهذا ما لا شك . وبعد اعمال النظر وامعان الفكر وتدبر الخوافى نجده حلفاً طبيعياً لاداعى معه الى الدهول الذى تولانا .

انه حلف الشيطان مع الكفار . وحلف الدمار مع الخراب . وحلف البوار مع الفساد . وحلف المفتون مع المفتون . ومشعل الفتنة مع الذى يتعهدا ويزيد حريقها لهيباً ونارها وقوداً .

هدف الحلف خراب مصر جميعاً . وهذا اجراء لابد عندهم أن يتم بادى ذى بنة وحين ينتهى - ساء ما يدبرون - ينتهى الحلف بين النقيضين لنبدأ الحروب على الأرض اليباب وفى الديار المنسحقة ويحكم يومذاك - لا كان يومذاك - أكثرهم شراً وأقواهم مدداً وأشدهم ضراوة . والفريقان على أية حال يعتمدان على دول أخرى تغدق عليهم المال والسلام اغداقاً والغلبة بعد الخراب والدمار ستكون لأقوى الدول الدائمة شوكة وأغزرها سلاحاً .

وهكذا يصبح الأمر الذى ينتج من حلفهم أن كلا منهما يعين الآخر ليدمر كل منهما الآخر بعد ذلك بعد أن تكون الجماعتان كلتاهما قد خرّبا مصر ودمراها . لا أنجح الله لهم سعيها ولا فكراً .

وقد ذكر الشيطان لربه أن سيقعد لعباده طريقهم المستقيم وها هو ذا الشيطان ينقذ وعده ويتلبس فى جسوم الشيوعيين وحزبهم وها هم أولئك يقدون للمؤمنين طريقهم المستقيم ليجعلوهم ينحرفون عنه شر منحرف وليجرفوهم من الاسلام السلام النور والهداية والرحمة والحب الى التطرف الأحمر المخضب بالدماء المتشع بالفتنة الهادف الى التخريب المعتمد على القتل غيلة وبغير الحق • أقدموا عليه فى مقتل الشيخ الدهيى وفى مقتل الزعيم الخالد أنور السادات وهم يقدمون عليه اليوم ليقتلوا مصر جميعها ويوقدوا بين أبنائها فتنة لا يهدأ لها أوار •

فالشيوعيون اذن يقومون بدورهم المرسوم لهم ولا يخافتون بل يعالنون ولا يتسترون بل يكتبون وينشرون • ولا شك أن الكاتب يوم كتب ما كتب كان يأمل أن تتخذ منه السلطات موقفا فتصادر الجريدة أو تقدمها الى العدالة ولكن السلطات أدركت فى ذكاء الضجة التى يريدون أن يثيروها • كما أدركت أنهم يريدون أن يتباكوا على الديمقراطية أنها مست مهما يكن مذهبهم يهدف الى قتل الديمقراطية قتلا لا تقوم من بعده • أليسوا هم من قال كتابهم نأخذ حريتك ونعطيك رغيغ العيش • وأخذوا الحرية من شعوبهم قسرا وحرموهم أيضا رغيغ العيش والحياة جميعا •

هم اذن يطبقون نظريتهم وهم اذن قد لبسوا ملابس الشيطان وقعبوا للمؤمنين طريقهم المستقيم • ونالوا بذلك البركة من الحادهم والمال من الدول التى تعينهم وقروا عينا • • ولكن الى حين فوالله ليرون من الله العذاب المستطير ولينزلن بهم من الأهوال ما أنزله على قوم لوط ونسوح والصابئين منذ بداية الزمان •

وانظر الى شأن المؤمنين • أتراهم يدعون الاسلام وهم لم يقرأوا القرآن • أم تراهم قرأوه فما فهموه أم تراهم ادعوا الايمان وأرادوا أن يجعلوا منه مركبا يصل بهم الى سلطان الدنيا غير ناظرين الى نعيم العليا وجنات هنالك أعدت للمتقين • الذين يهدون قومهم ولا يضلون والذين يخاطبون الناس حسنى أيريدون أن يكونوا من الهداة وهم يعلمون أن القرآن نزل على محمد ليكون •

١٤/٧/١٩٨٥ الأهرام

نظرة فى القومية

الدعوة الى القومية التى يدعو اليها اخونا الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ليست جديدة عليه وهو مؤمن بها كل الايمان . وهى فكرة فى جوهرها لها وجهتها ولكننى احتاج فى أمرها الى كثير من التأمل .

فانا أخشى أن تكون فكرة مثالية نظرية وليست عملية . وحتى تأتى بالثمار المرجوة منها لابد أن تتوافر فى القوى المتضافرة التى تكون الواجهة القومية عناصر مثالية . أو أصبحت مثالية فى زماننا هذا . لأن هذه العناصر كان ينبغى أن تكون أصلا والخروج عليه استثناء كرية .

فالأصل أن تخلص المعارضة رأيها للحكومة سواء كانت فى جبهة معها أو كانت فى صفوف المعارضة . والأصل أن تكون المصلحة العامة هى الغاية العليا التى تنشدها الحكومة والمعارضة معا . والأصل أيضا ان تأخذ الحكومة برأى المعارضة اذا اطمأنت الى سلامته ورأت فيه الصالح العام البرىء عن الغرض والبعيد عن الهوى .

هذا هو الأصل . ولكن هذا لا يحدث الا فى الأحلام . ومن هنا كان التفكير فى التكتل القومى جديرا بالتأمل .

المعارضة الآن تستغل الشعارات . وتتزايد لتكسب رأى العام وتضحى فى سبيل هذه المزايدة بالرأى القويم الذى تعرفه كل المعرفة .والذى لا يمكن أن يختلف فى شأنه اثنان على مستوى طبيعى من سلامة التفكير والثقافة الاقتصادية والسياسية .

فهل ترى تنوى المعارضة اذا هى اشتركت فى جبهة أن تتخلي عن المزايدة وتخلص وجهها لنفع الوطن ومصلحته العليا .

لكم نرجو هذا .

ولكن حتى يكون هذا ممكنا • أو قابلا للامكان فلا بد بادئ ذي بدء
أن تكون الجبهة القومية من الأحزاب الممثلة في البرلمان • فالأحزاب غير
الممثلة في البرلمان رفضها الشعب أصلا • فهو إذن قد رفض فكرها
ولم يرض به رأيا يمثلها •

فاذا تمت هذه الفكرة القومية من أحزاب البرلمان فهل لنا أن نرجو
أن تصدر الآراء من ممثلي الأحزاب ناظرة الى خير الوطن حتى وإن أغضبت
الجهلاء ومثيري الشعب ورافعي اللافتات •

هل لنا أن نأمل أن تكون هذه الجبهة بعيدة عن جعل متاعب الشعب
ومعاناته تجارة تكسب هي منها هتافات ويخسر بها الوطن مستقبله
الاقتصادى • الذى هو مستقبل الشعب •

هل لنا أن نأمل ألا تفكر هذه الجبهة فى الوسائل التى ترضى
الجماهير ارضاء أشبه ما يكون بملاعب الأطفال وهدهدتهم بعيدا كل البعد
عن المصالح الحقيقية لهذه الجماهير نفسها •

فالجماهير ترفض الدواء المر • والشسفاء لا يكون الا بالدواء •
وتصبح الجماهير واعية بمصلحتها الحقيقية اذا هى وجدت قادة الرأى فيها
مجمعين على دواء مهما يكن مرا • ومن هنا تصبح الفكرة القومية جذيرة
بالتنفيذ •

ولكن كيف نضمن هذا الاخلاص وهذا الصدق ضمانا يجعلنا تقبل
على هذه الاجراءات ولا بد من هذا الضمان لأن عواقب التجربة اذا فشلت
وخيمة تزيد الأمور سوءا ووبالا ، وربما جعلتنا نواجه طريقا مقفلا بدلا من
الانفراج والسير فى الطريق الأقوم •

وقد تفضل رئيس حزب الوفد فعلق على هذه الفكرة فى جريدة
الحزب بما يشبه الموافقة وهذا فى ذاته شئ طيب ولكن رأى حزب الوفد
وحده لا يكفي • فهو حزب فيه من الكفاءات ما تحتاج مصر الى الرأى منهم
والمشورة • ولكن خشيتنا من أحزاب أخرى تحاول أن تقيم لنفسها كيانا
جماهيريا وفى سبيل هذه المحاولة تضحي بمصلحة الوطن وهو الوطن •

الا يكون من الأجدى فى هذه الفترة التى نواجهها أن تنتهي الأحزاب
جميعا لهذه الفكرة القومية بأن تخلص الرأى وتقدم آراء بناءة ليس فيها
تهريج ولا مزايده منذ اليوم • أم تترانا نطلب المستحيل • ربما •

اذن مالبا لانعرض لرأى آخر • ما البأس أن تتكون جبهة قومية خارج الوزارة من الشخصيات المرموقة فى الأحزاب ويكون الرأى الذى تجتمع عليه الجبهة ملزما للحكومة بعد أن يعرض على البرلمان • وقد يقال وما الجديد فى هذا ورأى البرلمان ملزم للحكومة بنص الدستور ١٩ الجديد أن الرأى حين يتقدم للبرلمان من الجبهة سينظره الأعضاء دون تفكير حزبى ودون تكتلات •

وفى عام ١٩٣٦ تكونت الجبهة المصرية للمفاوضات مع المحتل • واستطاعت أن تصل الى رأى سواء رضى عنه الجانب الأكبر من البرلمان والغالبية العظمى من الشعب •

ونحن اليوم - الحمد لله - لانواجه محتلا • ولكن علينا أن نواجه أنفسنا وربما كانت مواجهة النفس أصعب مراسا من مواجهة المحتل •

فأنت فى مفاوضات المحتل تعرف أنه عدوك • ولكنك فى مواجهة نفسك وشعبك ستتعرض لمخادعة النفس للنفس وتعرض للرأى الذى قد يبدو براقا لأن فيه استجلابا لهتاف فاذا أمعنت فيه الفكر وجدته كارثة مظلمة المصير • وأنت أيضا تتعرض للمزايدى المتاجرين بالدين حينما وبالشعارات حينما آخر •

وأنت قد تتعرض أيضا للعملاء الذين يتنكرون فى ثياب الوطنيين حتى اذا كشفت عنهم تنكروهم وجدت نكرا ورشاوى وأموالا أجنبية حقيرة من بلاد يحكمها مخابيل ، أو من أخرى يحكمها طواغيت ، أو أخرى يحكمها أصحاب المذاهب الملحدة الكافرة بالله والوطن جميعا •

هذه الجبهة ستواجه هذا جميعا فإن لم تكن صلبة راسية الأصول قادرة على مواجهة شراسة المال الحرام وعنف الخيانة ومراوغة المخادعين الذين يرمون وطنهم على منضسدة البيع أول ما يرمون • أصبحت عبثا بلا طائل •

فالجبهة التى تجمع أصحاب الرأى لمواجهة الأزمات التى نتعرض لها لابد أن تكون أكثر صلابة من جبهة ٣٦ • ففى جبهة ٣٦ كان الشعب واثقا أنه لن يكون فيها إلا من ينظر الى مصلحة الوطن • أما الجبهة التى ستواجه أزمات مصر فيكم نخشى أن يستهوى بريق الرأى الساذج الذى يرضى الغوغاء بعض الأعضاء وحينئذ تثبتت الجهود وتذهب بددا •

وهكذا نجد أن التفكير فى التكتل الحزبى فى شكل جبهة أمرا ليس يسيرا والطريق ليس مفروشا كله بالورود والرياحين •

أما الاشتراك فى وزارة قومية فأمر أكثر صعوبة وأشد خطرا •
فنحن اذا اطمأن روعنا الى الكبار أصحاب الماضى الشريف والرأى الرفيع
والعلم الوافر الغزير • لانأمن أصحاب الهوى ومتعجلى الشهرة والناظرين
الى البطولات الزائفة •

ونذكر البيت العربى القديم :

بغاث الطير أكثرها فراخا

وأم الصقر مقلات تزور

ان الأمر جدير بالتفكير • والتفكير الكثير يحتاج الى تقليب الرأى
على كل وجه له فانه اذا نجح فذو خير وفير اما اذا فشل فالشر مستطير •
وقى الله بلادنا كل سوء وهىأ لها النجاح أينما تتجه انه قريب مجيب •

١٩٨٥/٧/٢٨ الأهرام

لمحة عن ابن الرومي

• كتب العرب في جميع أغراض الشعر ... وكان شعر الهجاء من أهم الأغراض التي نظم فيها الشعراء المتقدمون • وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه فما داموا قد كتبوا في المديح وبالغوا فما بعجيب أن يكتبوا في الهجاء ويبالغوا أيضا •

وقد كان العرب يخشون الهجاء حرصهم على المديح • وبين الهجاء والمديح كان الشعراء يجدون قوتهم أو يجدون ثرائهم في بعض الأحيان •

وقد جرى علماء التربية أن يهاجموا شعر الهجاء ويبغضوه للناشئة أرى أن علماء التربية في هذا مخطئون • فبقدر ما يمجّد المديح الكرم والخلق الرفيع • يبغض الهجاء الخلق الدنيء ويجعل منه متجها مقبّتا وشيئا لا يجوز للشريف أن ينحو إليه •

وكما يمثل الوصف والغزل فنا رقيقا يمثل الهجاء أيضا فنا رقيقا تجد الصور فيه تدعو الى الابهار والاعجاب •

واعتقد أن تمجيد الفضل لابد أن يسير معه في الطريق نفسه مهاجمة الشر والنيل منه • وكما يبلور المديح الشيم الرفيعة ويعلى من شأنها يقدم الهجاء صورة فنية رائعة للخلق الذميم والتصرف المقبوح •

والانسان لا يستطيع أن يحترم الفضل الا اذا احتقر الخلق الزرى والفعل الذميم •

والقرآن الكريم فتح للناس أبواب الأمل في الجنة اذا هم اتقوا وآمنوا وعملوا عملا صالحا • وهدد بالويلات والنار تكوى الجنوب والجباه فهم فيها لا احياء ولا اموات اذا كانوا من المفسدين الضالين الآثمين المعتسدين •

وكما حجب القرآن الكريم اليئا الخير وخص عليه بغض اليئا العصيان والفسوق والنكول عن الطريق الاقوم وهددنا بالعذاب الذي لم يعرف

البشر له مثيلا اذا نحن أطعنا أهواءنا ونكصنا عن الهدى والتوب
والانابة .

ولو شئت أن آتى بأمثلة من القرآن لأوشكت أن أذكر القرآن كله .
لا تكاد تجد سورة واحدة تخلو من آيات كريمة عديدة تهاجم الكفار
والمعتدين والظالمين فهم قوم بور . وهم مسرفون . وهم قوم عمى عن
الحق . وهم لا يفقهون . وهم لا يذكرون وهم صمم عن النصيح بكم
لا ينطقون بما يعلمون انه الحق . وهم غير ذلك . . . وغير ذلك كثير .

فالله سبحانه من فوق سبع سموات لعن المائلين عن الجادة السافلين
عملا . الضالين صراطا . فمن حق الشعراء بل من واجبهم أن يرسموا
للناس الجمال والقيح والخير والشر ، والكرم والبخل ، والجليل
والذميم ، الحسن والمردول . ومن حقنا نحن البشر أن نعجب بشعر الهجاء
اعجابنا بأى لون آخر من ألوان الشعر .

وربما كان ابن الرومى أروع من قال شعرا فى الهجاء فى العربية
وقد أبدع فيه ابداعا لا أحسب أن أحدا ضارعه فيه .

أذكر قوله :

وجهك يا عمرو فيه طول وفى وجوه الكلاب طول
والكلب واف وفيك غدر ففبك عن قدره سفول
وقد يحامى عن المواشى وما تحامى ولا تصول
وأنت من أهل بيت سيء قصتهم قصة تطول
وجوههم للورى عظمت لكن أقياءهم طبول
مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعول

بيت كمعناك ليس فيه معنى سوى انه فضول

وأذكر بيته الرائع ولا أذكر معه بقية أبيات القصيدة . فهذا البيت
فى نظرى كفى لديوان بأكمله يقول :

الاكريم جزاه الله صالحه يهجوهُ عنى فبى عن عرضه كسل

واذكر تلك الصورة السينمائية العجيبة التي يقول فيها :

رايت الفضل متهججا ينأى العيش والسمكا
فأسبل عينه لما رأي قادميا وبكى
فلما أن حلفت له بأنى صائم ضحكا

كم يخسر الشعر العربى اذا نفينا عنه الهجاء . ان هذا النفي
يحرمانا من لمحات فنية لو ترجمت الى الغرب لسارت كل مسار اسمع ابن
الرومى أيضا يقول :

يقتر عيسى على نفسه وليس بيباق ولا خالدا
فلو يستطيع لتقتيره تنفس من منحسر واحد

كيف استطاعت هذه الخاطرة ان تثب الى ذهن ذلك الشاعر العملاق
الا أن تكون العبقرية المتفردة .

ثم أسمع معى ما يقول لبانى الدرج :

يابانى الدرج الذى أولى به هدم الدرج
بئس البنساء هسى فى المنازل والديار فلا تلج
لاسيما لابی البنات الناظرات من الفرج
وكذلك انتهم معشر فى عود منبتكم عوج
فلو أن قمل رؤوسكم ذات القرون اذا درج
شاء العروج الى السماء على قرونكمو عرج

هذا الاكتمال الرائع فى الصورة لا يتأتى الا لابن الرومى . كيف
استطاع أن يصف أسرة باني الدرج بالقذارة وبأنهم أصحاب قرون ثم
يجمع بين الصفتين فى حركة درامية واحدة . . عجيبة .

ولم يكن عجيبا أن يموت ابن الرومى حتف هجائه . فقد هجا أحدهم
وربما يكون واحدا من هؤلاء الذين ذكرت شعره فيهم . وأرسل المهجو
اليه يسترضيه ويدعوه الى وليمة . وفى سذاجة الشعراء وجهلهم بالحياة
يذهب ابن الرومى الى الوليمة ويأكل وبعد أن يأكل يحس السم يسرى
فى جسمه ويدرك أن الداعى دس له السم فى فطيرة دسمة .

ويقوم ابن الرومى يبغى الانصراف دون أن يقول شيئا ولكن القدر
يأبى له الا أن يجعله هاجيا حيا وميتا . فيسأله صاحب الدار :

– الى أين ؟

ويجيب ابن الرومي في استسلام :

– الى حيث أرسلتني •

ويقول الداعي في شماته :

– سلم لي على أبي •

ويقول ابن رومي آخر جملة عرفت عنه في حياته :

– آسف • ليس طريقى الى جهنم •

وبعد فاني أهدي هذه المقالة الى الأدباء ليستمتعوا بما فيها من فن
ابن الرومي • وأهديها أيضا الى من يلزم من غير الأدباء ؟

١٩٨٥/٨/٤ الأهرام

الطريق واضح

أمر هذه الأيام بشعور عميق يملؤنى ثقة بالقائمين على الأمر فى الدولة • فانا أرى أن الوزارة تواجه مسئوليتها فى يقين وفى ثبات ناظرة الى الصالح العام للشعب المصرى لا تخشى الا الله والضمير. والحق وما تعلم أنه العدل • وعلاج مشكلاتنا أمر غاية فى الصعوبة وأمر غاية فى اليسر فى وقت معا هو غاية فى الصعوبة اذا اتجهت الأنظار من المسئولين الى اللافطات والتهافتات والغوغائية والاعتماد على أن تمر الأمور دون ضجيج فيسلم يوم الى يوم ويسلم شهر الى شهر •

وهو غاية فى اليسر اذا الوزارة طبقت ما أجمع عليه الاقتصاديون فى مصر وفى العالم فقد أصبح علاج الشئون الاقتصادية أمرا متفقاً عليه فى العالم أجمع خاصة اذا كانت الأزمة من الأزمات التى مرت بالدول جميعا • والدول فى العالم تواجه أزماتها برأى كبار الاقتصاديين فيها وهى فى ذلك حاسمة قاطعة لا تقبل ميلا عن الطريق مهما يكن الميل هينا ضئيلا • وكل القوانين الاقتصادية من شأنها أن تنزل بعض الأضرار ببعض الأفراد وليست هناك دولة جادة تفكر لحظة أن تضع فى الميزان مستقبلها ومصير شعبها من أجل حفنة من الأفراد •

وهؤلاء الأفراد لهم صوت مرتفع يستمدون ارتفاعه من جشعهم ومن حرصهم على خاصة أموالهم حتى ولو أدى هذا الى تخريب اقتصاد بأكمله لدولة وشعبها ومستقبلها وحاضرها •

وهناك أفراد آخرون يرفعون أصواتهم حبا فى التخريب ذاته لأن مذهبهم لا ينتعش الا فى ظل التخريب فاذا هم رأوا أن الأمور فى الدولة تأخذ طريقها الى الاستقرار والسلامة والحزم والثبات جن منهم الجنون واثارت فى نفوسهم نيران الهوس • لأن استقرار الحكم تدمير لحزبهم ولما يريدون لأنفسهم من استيلاء على المقادير فى البلاد • وكيف يمكنهم أن ينفذوا على حكم قوى ثابت ركين يقوم على الرأى السديد والعمل الرشيد •

انهم يكتبون فيما يكتبون أن الغد لهم ويهددون أعداءهم بأن الغد لناظره قريب فهم اذن يتوقعون من كل غد أن تقوم فيه العاصفة فتبعد الحكام الشرعيين عن مقاعدهم وتأنى بهم هم الى مقاعد الحكم والسلطان . يؤيدهم مال غير مقطوع وصراخ غير ممنوع وتهليل وتهريج ومتاجرة بآمال الشعب وبآلامه .

وهم من أجل ذلك رافضون لكل استقرار مؤيدون لكل اضطراب حتى ولو كان ناشئا عن قوم يدينون بالله الواحد القهار فى حين يدينون هم بماركس ولينين وبتحطيم الانسان وتدمير الحياة .

ويلهم ان هذا الاضطراب الذى شهدنا منه جانبا فى سنوات ماضية والذى يحاول أن يطل برأسه فى هذه الأيام ما هو الا نتيجة حتمية لما صنعوه وهم بمصر فى ستينيات هذا القرن . ولقد أرى بعضا منهم يكتب آراء يحاول بها أن يفصل الفعل عن رد الفعل ، والمسبب عن السبب ، والمقدمات عن النتائج . وكم هم واهمون هؤلاء الكتاب وكم يبعدون عن الحصافة والرأى الرشيد بعدهم عن الفهم والذكاء جميعا .

فان أول درجات الذكاء أن تقدر ذكاء الآخرين . والكتاب الذى لا يدرك أن القارئ هو أذكى الناس وأهم لأن القارئ ليس فردا وانما هو شعب بأكمله يتداول الرأى ويعلق عليه ويتعمق أصوله ويصعد الى أعلى فروعه حتى يصل من الحديث الملقى اليه الى الحق الذى لا يشوبه ضباب أو سحب أو غبار . وانما هو الجلبى الواضح المضئ البين .

والكتاب لابد أن يكون على المام بالتاريخ . وأن نظرة الى التاريخ الذى مضى تفتح مغاليق الحاضر ومصاريع المستقبل .

ويقول التاريخ أن فرنسا بعد ثورتها حكمها فرد وحين زال حكمها أفراد . . حكمها نابليون وكان طاغية . ثم تداول حكمها أفراد ارتسموا فى شكل ملوك . واثارت فرنسا وأطاحت بحكم الملوك ووضعت دستورها بعيدا كل البعدا عن الفردية . جعلت حكومتها جمهورية برلمانية . الشعب فى برلمانه هو الذى يعين رئيس الوزراء وهو الذى يعزله ورئيس الجمهورية لا عمل له مطلقا . وبالغت فرنسا فى هذا لدرجة أن رئيس الوزراء الجديد كان لا يعين الا اذا وقع على مرسوم تعيينه رئيس الوزراء المستقيل حتى لقد تساءل علماء القانون الدستورى تساؤلا نظريا . . وماذا لو رفض المستقيل التوقيع للمعين ، وكان الجواب عليهم أن استقالته فى ذاتها تعنى قبوله

التوقيع على المرسوم الجديد لتعيين خليفته . وكل تطرف يؤدي الى اضطراب .
وقد أدى هذا التطرف الى أن الوزارات في فرنسا لم تكن تستمر في
الحكم الا أوقاتا ضئيلة جدا لا تتمكن معها من القيام بأى عمل ذي شأن .
وراح الشعب يسخر مما صنع هو بيديه وتردد في الشعب الفرنسي أن
فرنسا لم يصبح فيها فرد واحد لم يتول الوزارة مرة واحدة على
الأقل .

وظل الأمر كذلك حتى حكم ديغول وأعاد الأمر الى الطريق السوى
واستقر الحكم في فرنسا . فكرة الشعب الفرنسي للفرد التطرف الى أقصى
حد لأنه قاسى الدواهي السود من حكم الفرد .

والتطرف الدينى هنا هو رد فعل كان لابد منه للتطرف الالحادى
الذى شهدته مصر من الشيوعيين الطغاه فى الستينيات .

ومن منا ينسى يوم فجروا وكشفوا عن وجوههم كل أستار الحياء
فأقاموا الموالد لسيدهم لينين وسيدهم ماركس وأبوا على المسلمين أن
يقيموا المولد النبوى لسيد البشر أجمعين .

كان طبيعيا أن تثور نفوس المسلمين . وكان طبيعيا أيضا أن تثور
نفوس المسيحيين فالمؤمنون وحدة ضد الالحاد . ومن يقول الله يرفض
الالحاد . والدين حرية والدين محبة والالحاد قهر والالحاد كراهية .

وان ما نشهده اليوم رد فعل لعواصف الالحاد التى اجتاحت
ستينيات هذا القرن . ولو فكر هؤلاء المتطرفون الدينيون لأدركوا أنهم
بهذا الذى يصنعون يدمرون أنفسهم ووطنهم قبل أن يدمروا الشيوعيين .
والدليل على ذلك أن الجماعة الوحيدة التى تؤيدهم هى الجماعة الشيوعية
التي يثرون هم على الحادها .

وهذا الوطن لا يقوم الا على السلام والتآلف بين عناصره المؤمنة
بالله . وأى شقاق بينها دمار . والأقباط شركاء فى الحكم شركاء فى
الحرب شركاء فى المصير . منهم أعضاء فى الوزارة ومنهم أعضاء فى المجالس
النيابية وعلى ساحة الحرب اختلطت دماؤهم بدماء المسلمين وصعدوا
جميعا الى بارئ النفوس العدل المطلق الملك القيوم يوفى كل ذى حق حقه
سبحانه وتعالى عما يشركون .

وهؤلاء المتطرفون يعلمون كل العلم أن الاسلام فوق كل نقاش وأعلى من أى جدل • ولكن ألم ينظروا فى العصور الماضية ماذا فعل أبو جعفر المنصور السفاح بالناس من تقتيل وتعذيب وتنكيل وهو يدعى أنه عن دين الله يدافع • تعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما فعل والمؤمنون •

وأمثال السفاح فى الخفاء كثيرون لا يحصيهم العدد ويخطئهم الحصر •

حتى اذا وصلنا الى العصر الحديث فما نحن أولاء نرى الخومينى وما يصنعه تحت ستار الاسلام وتحت اللواء الخادع الذى يرفعه باسم الدين • وتعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما يصنع الخومينى وكره المؤمنون •

ليس الأمر شعارات ترفع ولن يكون الأمر كذلك • ان الدين أسمى وأعظم جلالا من أن يكون تجارة فى سوق الدنيا • وطريقا الى بهرج الحياة ومتاعها •

وبعد فان الدين ديننا جميعا ونحن نموت فى سبيله فرحين سعداء أن نفدى نوره الأعلى وسنته الشريفة • ولكننا نحن المسلمين نرفض أن يرفع رايتنا قوم لم يعرفوا للدين حقه كل حقه • انما الدين هو نبض القلوب منا وهو قوام حياتنا فى الدنيا وهو أملنا فى العليا عند رفيع الدرجات ذى العرش • فأستحلفكم بالله العلى القدير ألا تجعلوا منه وسيلة لكم • فما انتم الا بشر من البشر ولن تمكثوا فوق ظهرها الا ريثما يأتىكم أمر الله • وعندئذ فمصيركم الى عالم الغيب والشهادة ينبئكم بما كنتم تصنعون أما الدين فهو الخلود باق على الزمان والى ما بعد الزمان •

ولا اله الا الله وحده اليوم وغدا والى ما بعد الحياة وحتى لا نهاية والله هو وحده الأكبر وهو على دينه وقرآنه خير الحافظين سبحانه وتعالى جل جلاله الملك القدوس السلام •

الأهرام ١٩٨٥/٨/١١

هذا الصوت نعرفه

تصبح الشهرة عند بعض الناس نشيدة حياة وأملا يتخطفهم الموت فى سبيلها ويبدلون من أجل رنينها كل ما يشرف الانسان أن يتخلى به حتى اذا أعييتهم الوسائل ووقفت دون مقاصدهم العراقيين بذلوا دينهم وإيمانهم وأعلنوا الحادهم مجاهرين به غير مخافتين • صارخين به غير هامسين يحدوهم الأمل الحقيق أن يعود عليهم الكفر بما لم يدركوه فى ستار الايمان •

ولقد نعرف بعض هؤلاء اليوم ولقد عرفنا أشباها لهم من قبل • منهم من عاصرناه ومنهم من أكرمنا الله بعدم رؤيته أو العيش معه فى زمن واحد •

وربما لا يكون هؤلاء الملحدون شيوعيين • فالقاعدة المنطقية تقول ان كل شيوعى ملحد وليس كل ملحد شيوعيا • فقد يكون الملحد اذن غير شيوعى بل قد يكون رأسماليا متطرفا • ولكنه يظل مع ذلك ملحدا كافرا زنديقا •

وقد يصيب الملحد بالحاده نصيبا من الشهرة ولكنه ينسى أن الشهرة ليست فى ذاتها نوعا من الشرف • بل قد تكون لونا من حقارة الشأن وتفاهة الفكر وهوان الشأن • ان نوع الشهرة هو الذى يدعو الجمهور الى احترام الشهير وليست الشهرة فى ذاتها • • فالناس لا تحترم القاتل الشهير ولا اللص الحقيق مهما يكن بعيد الصيت • • ولا المرتشى الوضيع مهما يكن ذا منصب خطير • ونصيب الملحد ذى الشهرة أن يدوسه الناس بالأقدام ويرجموه بالحجارة •

وقد رأينا قوما ممن تكالبوا على الشهرة الأدبية أو العلمية وحاولوا أن يفتحوا طريق الشهرة بالهجوم على عمالقة الأدب أو العلم ومنهم من قال عن عظماء الأدباء أنهم جهلاء وأنهم يسرقون أدبهم من الآخرين وأنهم لا يعرفون لغتهم وأنهم يتعرضون لما لا يحسنون وأنهم يكتبون غير ما يبطنون • • وكان شوقي الأمير هدفا وكان حافظ هدفا وكان طه حسين

عميد الأدب العربي هدفا وكان العقاد الشامخ هدفا وكان توفيق الحكيم هدفا أطال الله عمره وامتعه بالصحة والعافية وكان نجيب محفوظ هدفا وفى غير الأدب كان الأفغانى هدفا وكان محمد عبده هدفا •

وأصاب المهاجمون الشهرة حين هاجموا ثم تحطمت أقلامهم وتحشرجت أصواتهم وأصابتهم غرغرة الموت •• ثم ماتوا ••

وبقى شسوقى وحافظ وطه حسين والعقاد والحكيم و محفوظ والأفغانى ومحمد عبده ولم يبق من مهاجميهم شىء الا قرف الناس من ذكرهم اذا ذكروا وما هم بمذكورين •

ومن هؤلاء من أدرك أن الهجوم على العباد مهما يكونوا أعلاما خفاقة فلن يصل بهم الى الشهرة التى بها يحلمون ويمجدهم يهيمون فقالوا ومالنا لا نهاجم الدين نفسه ونعلن عدم ايماننا بكلام الله وهو الله • فمادامت مهاجمة الكتاب لم تأت لنا الا بالشهرة المؤقتة فلا بد أن مهاجمة كلام الله ستأتى لنا بالشهرة الثابتة •

وظهرت كتب ملحدة صريحة فى الحادها وثار بها الناس وأصاب أصحابها الشهرة ولكنها كانت شهرة نجسة بخيسة مرغب أسمائهم فى الدنس أياما ثم زالت عنهم الشهرة وبقي لهم الدنس •

وتعلم الملحدون الا يعلنوا الحادهم واستفادوا من الدرس الذى رآوه رأى العين فيمن سبقهم • ولهذا تجد الشيعيين وهم ملحدون بطبيعة مذهبهم وبنص دستورهم ينكرون أنهم ملحدون ويبالغون هم فى اخفاء الحادهم حتى لنرى بعضهم يحج الى بيت الله الحرام ويحمل اللقب الإسلامى مع الفكر الالحادى على قلب واحد •• ويتبجح علينا قائلا انه لا يعلم السرائر الا الله ونقول له ولكنك يا تابع ماركس ويارفيق لينين تعلن أنك شيوعى فالأمر فى شأنك ليس سريرة من السرائر وانما هو اعلان من العلني وجهير بما تجهر به أنت من اعتناقك للمذهب الشيوعى الذى لا يقوم ولا يستقيم الا بانكار وجود الله والدين والقرآن والشريعة ، فأنت أمام واحدة من اثنتين ، اما أن تعلن كفرك بالله أو تعلن رفضك للمذهب الشيوعى ولكن للشيعيين لاجابة لا تتأتى لغيرهم • ولهم - والعباد بالله - وقاحة لا يتمتع بها الا هم •

وهكذا نجد أنهم لا يعلنون الحادهم وان أعانوا شيوعيتهم ومهما يكن فى هذا من تناقض وتباخر مع المنطق الا أنه - على كل حال - واقع ••

ولكن رأينا فى الزمن الأخير بعض من لا نذكره ومن يعف القلم عن أن يخط حروف اسمه يعلن الحاده فى وقاحة نعرفها لسابقه فى الإلحاد . ولقد نعرف بعضا ممن ينتسب اليهم بأرومة أو أخوة . . ولقد ندرى عنهم الخير . ولقد نعجب كيف يجتمع فى بوتقة العرق الواحد الشرف مع العفن والإيمان مع الفسوق والطهر مع العهر .

ولكننا نذكر التاريخ فيتضح لنا ما عجبنا له فكم أنبتت الأرض الطيبة الخبث . . وكم ولد العظماء الأسافل . . وكم جاء عالم فى الدنيا بفاسد . . والنار مهما تكن مضيئة فهى فى أغلب الأمر تخلف رمادا ويقول الشاعر القديم :

فان يك بحس الحنظليين واحدا فما تستوى حيثانه والضفادع

والقضية التى ساقها هذا الملحد ليعلن بها عن الحاده قضية متهاوية لا تحتل أى نقاش . فالأمر فيها واضح غاية الوضوح وقد شرحها الله تعالى بمحكم آياته . . ولكنه الملحد الجاهل يهاجم النص القرآنى فى جهالة وعناء ساذجة سذاجة ينفر منها الأطفال . . ولو أننا قبلنا أن نناقش القضية لعقدنا مقارنة لا تنعقد بين كلام الله وهو الله وبين رأى فطير حقير لا يجوز له أن يذكر أو يناقش .

وقد نسى هذا الجاهل فى حماة جنونه بالشهرة أن هذا القرآن مر بألف وأربعمائة عام وتزيد وحفظه مئات الملايين وناقشه الأئمة الهداة . . وناقشه أيضا الملحدون الباحثون عن الشهرة وتهجموا على قدسيته فإذا بالقرآن الكريم يقف شامخا سامقا ميسورا على الهداة متأبيا إباء الجبال الشم على الملحدين الزنادقة لم يستطيعوا أن يهزوا حرفا من حروفه بتشكيك أو يهزوا كلمة من محكم كلامه بأى أثر من حيرة .

ومن هؤلاء الذين قرأوا القرآن علماء فى شتى ألوان العلوم منهم علماء من اللغة ومنهم علماء فى الفقه . . ومنهم علماء فى المنطق ومنهم علماء فى علم الكلام ومنهم من ولى القضاء ومنهم رجال الشرع . . وهيئات أن يحيط بالباحثين فى كتاب الله تحديد . . انه معروض على الأزمان وعلماء هذه الأزمان على مدى ألف وأربعمائة عام .

أو لم يقدر هذا الملحد الجديد أن الذى عرض له تعرض لملايين البحوث ولم يقل واحد منهم بما قال لهوان ما قال وضالته أن يثبت لتفكير على قدر ضئيل من الاستقامة .

ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم هذا علم يقين .. ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم مقدار سخافة الراى الذى سقته .. وأنت لا شك تقدر مدى الغضب الذى أثرته فى نفوس المسلمين كافة بما تقول .. وأنت أيضا لا شك أردت أن تثير هذا الغضب بأمل منك سقيم أن تنال به ما تهفو اليه نفسك المريضة الساقطة من شهرة .. وقسما لن أنيلك ما تصبو اليه من الشهرة المريضة وأنا أكتب هذا الحديث متوجها الى علمائنا الأفاضل ألا يحاول أحد منهم أن يجعل منك صاحب رأى فيناقشه فما تبقى أنت الا أن يناقشك كرام الفقهاء وينزلوا بك سخطهم لتنال به شهرك ..

وقد تفضل عالم جليل وتنازل وتناول رأيك بالتفنيد دون أن يذكر اسمك أو اسم مجلتك الحمراء الرعناء .. وانى أرى أنك أهون من هذا الذى فعل الشيخ الجليل .. وعلى كل حال فحسبك هذا النقاش بل هو فوق الحسب .. وانى أكاد أثق أن الفقهاء لن يذكروك بعد ذلك أبدا فانهم لا شك – أدركوا مقصدك وأنهم من الذكاء واللماحة بحيث يجعلونك تعود من جولتك الملحدة بالخيبة وسوء المآب ..

ولا شك أنك تعلم أن مثلك لا غفران له عند الله فقد اشركت وما لمشرك غفران .. ولو لم تنل الا بعدك عن رحمة لكان هذا فى ذاته أو شئ عقاب لو كنت تملك من العقل صباية .. ولكن من أين لك بها ؟! وهل لمن يقدم على ما أقدمت عليه أى نصيب من عقل أو احساس أو منطق أو فكر أو خلق ؟

لقد صدمت الشعور العام لكل المسلمين ولو أنك فعلت هذا وقلت شيئا يستحق النقاش لقلنا ملحد ولكنه يحاول أن يفكر .. أما أن تصنع هذا من أجل الشهرة وحدها بعد أن أخطأتها فى كل ميدان سميت اليها فيه فتلك أذن كبرى الكبائر .. وليكونن عقابك فى الدنيا خزيا وفى الآخرة نارا لا تموت فيها ولا تحيا ..

ربنا سبحانه وتعالى وتقدس أسماؤك .. وما هم الا عبادك وأنت وحدك تعلم الكافر منهم وتعلم من اهتدى .. وأنت العدل المطلق القاهر على العباد الواحد القيوم الحق .. سبحانه لا تحاسبنا بما أتى السفهاء منا فانهم يا الله لا يعلمون .. وأنت وحدك سبحانه من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور تعاليت ..

الأهرام ١٩٨٥/٨/١٨

قصة لم أصنعها

التقى به فى عرض البحر الأبيض المتوسط مرات قليلة كل عام، فمواعيد نزوله الى البحر لا تتفق مع مواعيدى الا فى أيام قلائل . ونتجاذب أطراف الحديث ونحن طافيان على سطح الماء بخركة هينة من الذراعين. والساقين وترك للأمواج البحر أن توجه مكاننا حينما يطيب لها أن تتجه .

ويجربى الحديث بيننا هادئا لينا هنيا كأمواج بحيرة أو كأمواج الخليج الهادئ الذى نلتقى فيه . لا نقاش بيننا وانما قصص صنعتها بنا الحياة على مدار العام أو صنعناها نحن فى الحياة والعام أيام طوال ولقاؤنا ساعات قصار تتزاحم الأنباء فيه بغير تحاشد ولا مواثبة وانما القصة تفضى الى القصة والنبأ يسلم الى النبأ وقد نفتتح الحديث بكلمة قرأناها لصحفى فى الصباح . أو لكاتب نشرها منذ قريب وقد تذكرنا الكلمة بقصة حدثت فى نهر العام ونرويها . ومنذ أيام قلائل طلعت علينا صحيفة بكلمة لصحفى دأب على أن يدافع عن فترة بعينها وعن أسرة بذاتها والتزم بهذا الدفاع يسارع اليه سواء دعا الى ذلك داع أو لم يدع. وانما هى مهمة وضعها هو على كتفيه . ولا أظن أنه اختار هذه المهمة طواعية واختيارا فقد ارتبط اسمه هو وما نال من وظائف فى دنيا الصحافة المصرية وغير المصرية بتلك الفترة وبناسسها . وبمن ينتسب اليها . فالدفاع دفاع عن نفسه وعن المديح الذى كان يكيله بغير حساب لهذا الزمن ولأعلامه وأقزامه على السواء . وأخونا الصحفى يحسب انه بما يدافع اليوم انما يدفع عن نفسه تهمة النفاق . ويعلم الله أنه أوقع نفسه فى منطقة من الرمال المتحركة الخائنة التى تبتلع الانسان كلما حاول أن يتخلص منها ويزداد الابتلاع كلما ازدادت محاولة التخلص عنقه واصراراً .

وقال صديق البحر وهو يربت الأمواج بيديه :

هل قرأت ؟

قلت :

- نعم قرأت

قال :

— اذن أستطيع أن أروى لك ما حدث لى فى هذا المضمار

قلت :

— وهل لنا عمل الا الرواية منك والاستماع منى أو الرواية منى والاستماع منك ؟

قال :

— هذا طبيعى فأسرتك كلها عملها البناء أبا عن جد

قال :

— وهكذا أصبحت مهندسا • وأنا مساهم فى شركة مقاولات

قلت :

— وهذا أيضا طبيعى

قال :

— عرفنا فى الشركة التى أساهم فيها أن هناك عملية انشائية طرحتها شركة أمريكية تكلفتها تتراوح بين أربعة ملايين وخمسة ملايين من الجنيهات وتقدمنا لنقوم بالعملية وتقدمت معنا شركات أخرى منها شركات أفراد وعنها شركات من جملة أفراد • وبعد الفحص جاءت شركتى الأولى بين الشركات الأخرى • ولكننى لم أسارع بقبول العملية • فقد كان من بين الشروط واحد يقضى بان أقدم للشركة خطاب ضمان بعشرة فى المائة من قيمة العملية • وخطابا آخر بخمسة فى المائة من قيمة العملية أيضا • ورأيت أن هذا سيكلفنا مبلغا ضخما من المال لا أحتمله • فذهبت الى الشركة الأمريكية ورجوتها أن تعفينا من بعض هذه المبالغ الضخمة ولكن الشركة رفضت قائلة أن هذا من قانون الشركة ولا يمكن أن يغيروا قانون الشركة •

وبناء عليه رفضوا العطاء الذى تقدمت به وقبلوا العطاء التالى :
أتعرف من صاحب العطاء التالى ؟

قلت :

— ومن أين لى أن أعرف وأنا لم أعرف كلمة المقاوله الا مما درسته بكلية الحقوق •

قال :

وذكر اسما . لا أستطيع أن أذكره فالحديث بيننا في البحر ولا دليل معه يقدمه لي ولا دليل عندي أقدمه للقارىء . وهذا كلام اذا لم نشفع فيه الأسماء بالمستندات نكن ظالمين لأنفسنا ولذلك اخترت كلمة « قصة » عنوانا لهذا الكلام لأن القصة قد تصدق وقد تكون تأليفا وخيالا .

مع أنني واثق كل الثقة من محدثي الذي أعرفه منذ قرابة عشر سنوات لم أجرب عليه الا الصدق والأمانة والشرف . ثم انا رجل خالطت الحياة وعركتني وعرفت من أخلاق الناس ما ينبغي أن يعرف من عاش حياتي . ومن صناعته في الحياة كتابة الرواية والمقالات والقصص وهذه صناعة ان لم تكن فيها واسع الخبرة بالناس وبالحياة فلا أمل لك على الاطلاق ان تقدم الى الناس شيئا يستحق الذكر . فالكتاب يقدم الناس الى الناس واذا هم أحسوا أنك لا تعرفهم حق المعرفة انصرفوا عنك كل منصرف .

فصاحبى صادق لا شك في صدقه . ولكن الذى أخشاه ألا تصدقه أنت . فمن الخير له الا أذكر اسمه ومن الخير لي الا أذكر أنا الاسم الذى ذكره . فهو اسم لا يجهله أحد في العالم لا في مصر وحدها بما ينتسب اليهم من أقوام وبما ذاع عنهم من أحاديث ملأت الدنيا جميعا في يوم من الأيام .

ان الاسم الذى ذكره اسم فتى صغير ليس من المفروض ان يكون على أى قدر من الثراء . فطبيعة ما سمعناه عنه تقتضى أن يكون مستورا لا مليونيرا ولو سألناه أو سألنا المدافعين عنه من أين لانها لوا علينا بالأجوبة ولكن المؤكد الذى لا شك فيه أن أحدا لن يصدق حرفا من أجوبتهم .

واذا شاء محقق صحفى أن يتصل بى ويسألنى عن صاحب الرواية التى سمعتها فى مياه البحر وعن صاحب الاسم الذى ذكره فانا على استعداد أن أذكره بشرط واحد . ان يتعهد المحقق الصحفى بتحرى النبا وتتبعه وليس فى الأمر سر يخفى ولا سرقة فتستر انما هو عطاء شريف فى عملية مقالة تقدم من فتى فى أول حياته العملية ففاز بها وكل الذى نبحت عنه هو « من أين » فلا داعى هناك للاخفاء أو التستر . سيجد المحقق الصحفى الطريق أمامه مفتوحا على مصاريحه ميسورا

لسالكيه مرحبا بمن يسير فيه • وأكمل محدثي فى الماء الحديث
فقال :

– تقدم هذا الشخص الأسطورة الى الشركة وقال لها اذا كان الأول
لم يستطع أن يقدم خطابات ضمان بخمس عشرة فى المائة من قيمة المقاوله
فهانذا أقدم اليكم خطابات ضمان بثلاثين فى المائة من العملية • ورسا
العطاء عليه بطبيعة الحال •

وللقصة بقية لا تخلو من طرافة فقد جمعت مناسبة من مناسبات
الأفراح بين أخت محدثي ووالدة الشاب الأسطورة فاذا الأم تقول للأخت
– فلان بك (محدثي) يدخل فى عطاء مع ابني فلان (الأسطورة) وهل
ابني قده • ان ابني عصفورة صغيرة لا تحتل ثروة فلان بك
(محدثي) •

وتنتهى القصة وأتساءل • اذا كان وهو عصفورة قدم ثلاثين فى
المائة فى حين أن المطلوب خمس عشرة فماذا هو صانع حين يصبح
نسرا •

قصة أقدمها اليك تقرأها فى هذا الحر اللافت وهذا اليعظ الشديد
وكل رجائي ألا تزيد وطأة الحر عليك • وألا تجعل القيط غيظا • وقانه
الله من الحر والغيط جميعا أنه سميع مجيب •

١٩٨٥/٨/٢٥ الأهرام

بين القراءة والمشاهدة والاستماع

جاءنى فى البريد هذا الخطاب وقد وجدت فيه فرصة طيبة لاتحدث عن المصير الذى تتعرض له الأعمال الروائية التى تظهر فى كتب • والكاتب كما سيتضح لك أديب ذواقه من الطبقة الأولى مما زاد حماسى أن أبادله الرأى حول موضوع يكثر فيه الحديث • يقول الخطاب المرسل من د • أحمد ممدوح عباس مدير المركز الطبى بمنشأة ناصر ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى أستاذنا الجليل والأديب المبدع ثروت أباطة

تحية طيبة مباركة وبعد :

تلك رسالة أقرب ما تكون الى استغاثة ، حافزى الى كتابتها هى صلتك الحميمة بمن أطلب له الغوث ، انه أدينا الفذ نجيب محفوظ وروايته الخالدة « ملحمة الحرافيش » •

وقد كنت فى حل من الكتابة اليك لولا أنى أتابع اهتمامك بأعمال أستاذنا نجيب محفوظ على صفحات الجرائد مما جعلنى أستشعر تلك الصلة الوطيدة والنادرة التى تربطك به •

ولقد سبق لى أن تشرفت بالكتابة اليه وكنت وقتها فى بلد أفريقي بعيد جداً منذ أكثر من ست سنين ، وقد بسطت اليه انطباعى عن « الملحمة » وايعاءاتها والمغزى الكامن فى طيات حكاياتها ، ولدهشتى البالغة أنه تكرم بالرد على بأسرع مما كنت أحلم ، ووافقنى على ما توصلت اليه من فهم لبعض حكاياتها العشر •

وقد انتابنى شعور من الاشفاق والألم وأنا أتابع ضياع الاثارة وهم ينشون أحشاء الملحمة ليخرجوا بها فى أعمال سينمائية فظة وساقطة ، مع أن الملحمة عمل متكامل لو قيض له أحد مخرجيننا الملتزمين مثل

• صلاح أبو سيف ، لخرج إلينا بعمل لا يقل عما نراه من أعمال الأجانب
مثل سبارتاكوس والوصايا العشر والرداء وغيرها •

ولست أدعى مهنة النقد الأدبي لأننى لا أملك أدواته وكل ما فى الأمر
أبى قارىء قد لا يكون من هذا الطراز الذى يقرأ ليتسلى أو ليقتل الوقت،
بل ليغوص فى عقل الكاتب وقلبه ليوفيه حقه فى الجهد الذى تكبده لكى
ترى أعماله النور وتستقر بين يدى قارئها •

فاذا أذنت لى أن أعرض عليك انطباعاتى عن حكايات الملحمة ،
قسأحاول أن أوجز بقدر طاقتى حتى لا يضيق صدرك أو يتسلل الملل
إليك من أسلوب شخص مثلى لم يكن الأدب حرفته وإن كان أعز
هواياته •

فالملاحمة هى سرد لتاريخ حارتنا فى مصر منذ باعث نهضتها محمد
على باشا وحتى مقيل عثرتها وكبوتها وماسح عارها محمد أنور السادات •

والى هنا ينتهى ما اجتزأته من الخطاب لأن الجزء التالى يكشف
رموزا كثيرة من رواية الحرافيش الخالدة • وانى أوافق الدكتور على
تفسيراته جميعا وأحبها الا أننى أفضل ألا أنقل هذه التفسيرات الى
القراء حتى تظل الرواية حرة توحى ما تشاء أن توحى الى كل قارئ على
حدة • وحتى يظل كل قارئ أيضا حرا أن يستشف من الرواية المعنى
الذى يتفق مع تفكيره هو ومشاعره هو • وهكذا سأنقل قفزا الى نهاية
الخطاب لأتيح لنفسى بعد ذلك أن أعلق على المشكلة الأساسية التى
أثارها الدكتور فى رسالته حول عبث السينما بالعمل الروائى لكبار
الروائيين •• يختم الدكتور رسالته بقوله :

وعلى كل حال فليس أمامى شىء أختم به خطابى الا أن أرفع يدى
بالرجاء الى الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أصبت فأظفر بحسنتين ،
أو أخطأت فأظفر بحسنة وتصويب ، وفى أى الحالتين ، فإن وزنك فى
ميدان الأدب كفىل بأن يؤهلك للغوث ، لتتخذ بغيرتك على الأدب هذا
العمل الرائع من براثن محترفى سير الساقطات •

والله من وراء القصد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

القاهرة فى ١٩٨٥/٧/٧ •

وهذا الذى أثار الدكتور وجعله يجزع على عمل أدبى ضخم يحترمه الدكتور وهو جدير فعلا بكل اجلال واحترام يشكل سؤالا يواجهنا نحن كتاب الرواية فى كثير من الأحاديث • وأغلب الأمر يأخذ السؤال سمت الاتهام أننا نترك أعمالنا نهبا للتمزيق والتشويه وهى تتحول الى أفلام سينمائية أو تليفزيونية أو إذاعية •

والحقيقة أن اتهام الكتاب جائر كل الجور يحملهم من المسؤولية ما هم منه براء •

ولنضرب مثلا لذلك • نفرض أن أستاذنا نجيب تنازل عن رواية لتصبح مسلسلا فى تليفزيون الأردن أو قطر • هل من المفروض أن يسافر وراء روايته ليرى ماذا صنع بها كاتب السيناريو والمنتج والمخرج والممثلون •

واخترت مكان تنفيذ الرواية فى غير مصر على سبيل المثال فلنفترض الآن انها مصر • هل يعقل أحد أن يجلس نجيب محفوظ أو أى كاتب آخر بجانب أعماله وهى تتحول الى سينما أو تليفزيون أو مسرح أو إذاعة • اذن فهو سيتفرغ تفرغا تاما ولن يستطيع مع ذلك أن يلاحق هذه الأعمال •

فاذا نحن تركنا الاستمالة المادية جانبا • وإذا نحن أرغمنا الكاتب أن يتفرغ هذا التفرغ فهو اذن محكوم عليه ضمنا الا يكتب شيئا جديدا • ومحكوم عليه حكما لا جدال فيه الا يقرأ شيئا مطلقا وكاتب لا يقرأ كاتب. قضى عليه بالافلاس الذهنى والنفسى فى وقت معا •

هذه واحدة

وأخرى

الرواية فى أغلب أمرها تتكون من محاور عديدة ولكل محور شخصه وأسسها وأن كانت كل هذه المحاور جميعا تتوجه الى الفكرة الأساسية التى حملت الرواى على كتابة عمله الأدبى •

ولكن القاعدة فى العمل الدرامى أن يدور حول محور واحد • اختيار هذا المحور من حق كاتب السيناريو أو اذا شئت الحق هو من اختيار المنتج الذى اشترى الرواية • فهو اذن يشتريها لمحور بذاته يرى أنه عائد عليه بالربح الأوفر •

وهكذا ينقلب الفن الى تجارة صريحة واذا لم يقبل الكاتب هذا فقد حكم على كتبه الا تظهر فى أى مجال من مجالات الأعمال الدرامية .

والأعمال الدرامية هامة للكاتب لأنها تخاطب الجمهور غير القارئ وهو الأغلبية الكاثرة من الشعب العربى . وهذا الجمهور غير القارئ يطمح الكاتب أن يجعل من بعضه قارئاً فاذا انعدمت الوسيلة فإن الكاتب يحاول على الأقل أن يصل شئ من فكره الى هذه الكتلة الضخمة من غير القارئ حتى لا تظل كتلة صماء ترفض أن تكتسب فكراً فاذا هى على مجتمعها عبء يضر ولا يفيد .

وأخرى

الكاتب وحده هو المسئول عن كتابه لا يشاركه فى مسئوليته انسان فى العالم أجمع . ومن هذه المسئولية عليه أن يتحمل كل نقد يوجه الى ما كتب كما له أن يتقبل فى اطمئنان كل مديح يتجه الى هذا الكتاب .

أما الأعمال الدرامية فيشترك فيها أولا المنتج باصراره أن يربح ولهذا لا عجب أن يختار من الروايات الفكرية المعارك الدموية والمواقف المثيرة لكل المشاعر رخيصة كانت هذه المشاعر أو كريمة . ثم يشترك معه كاتب السيناريو الذى يكتب وعينه على المنتج والمخرج معا فهما يستطيعان بكلمة أن يرفضوا ما يكتب ثم يشترك المخرج الذى يعتبر رئيساً فنياً على العمل وهو غالباً أيضاً لا ينسى ما ينبغى أن يحققه من كسب للمنتج . ثم يشترك الممثلون كل ممثل بقدر ما يحققه اسمه من بيع فى الشباك وكل ممثل يحب أن يظل شاخصاً الى الجمهور وأن يظل الجمهور شاخصاً اليه طوال عرض الفيلم .

أين يذهب الكاتب بين هؤلاء جميعاً ؟ ان الأمر فى الأفلام وفى التلفزيون يصبح غابة تتناولها الرياح من كل جانب . . . رياح يجتذبها الربح وأخرى تجتذبها الرغبات الشخصية . وكثيراً ما يكون مصدر الرياح جميعاً الجهل ومداعبة أحط الغرائز وأبعدها عن كرامة الانسان وقداسة الفكر .

وهكذا لا يجوز أن يتعرف أحد على أدب الكتاب الروائيين من أعمالهم السينمائية والتلفزيونية والمسرحية والاذاعية . والذين يعدون يصرون على ذلك بعيدون كل البعد عن معنى الأدب .

ولكن هل يجوز أن يعلن الكتاب رفضهم أن تقدم أعمالهم فى المجالات
الدرامية • اذا قسوت وقلت بهذا الرأى وضربت عرض الأفق بالربح المادى
الضئيل اذا قورن بأجر الممثل او المخرج أو بكسب المنتج • فهل ترى أن
يترك الروائيون أصحاب الفكر الرفيع الميدان خلوا من أعمال فنية سامقة
مثل الحرافيش التى اختارها الدكتور موضوعا لرسالته •• ما أظن أن
أحدا يقبل هذا •

ولا يسعنا الا أن نردد الأثر المشهور مالا يدرك كله لا يترك كله •
وحسبنا الله ونعم الوكيل •

١٩٨٥/٩/١ الأهرام

سياحة من ؟

أكتب هذا من لندن قدمت إليها منذ أيام قلائل • مليئة لندن
بأخواننا العرب من كل قطر شقيق أو غير شقيق • لا أدري لماذا أو ربما
كنت أدري كلما سمعت شقيق في مكان وصفا للعرب يشب إلى ذهني
الشقاق لا الأخوة اللصيقة التي اصطنعت لها كلمة شقيق والتي كانت
تعني في معناها الأصيل الأخ من أدب والأم جميعا لا الأخ من الأب فقط
أو الأم وحدها •

أخواننا العرب على كل حال يملأون لندن فانت فيها تسمع لغتك
أكثر مما تسمع لغتها • وقد استطاعت لندن أن تجعلهم يسيرون على نهجها
هي • فإذا صدر من أحدهم فعل لا يرتضيه الخلق الأمثل اتجهت عيون
شعب بأكمله إليه فيما يلبث أن يعرف الجادة ويعود إلى الطريق •

وأنا هنا في خارج مصر أحس أنني نزلت عن المسرح لأصبح من
المشاهدين لبلدنا الحبيب • فانا في مصر أقف على خشبة المسرح
ولا أستطيع أن أحسن مشاهدة العرض فانا واحد من العاملين فيه ينصرف
همي إلى الدور الذي ينبغي أن أقوم به وتصبح ملاحظتي للعرض مشوبة
بانشغالي بدوري أنا • أنا هنا وأنا هنا بلا دور فعيناي وقلبي ومشاعري
كلها إلى مصر تقارن فتصرعني المقارنة وتوشك أن تقتلني حتى ليعلم الله
وحده كم أبذل من الجهد لأضم أصابعي على هذا القلم لاستأنف دوري
على مسرح مصر •

لماذا يتكلم كل انسان في مصر عن الشعب المصري وكأنه غير •
وكانه وحدة منفصلة عنه كل الانفصال • كل انسان في مصر يظن انه
في واد والشعب في واد • فمتاعب الشعب ليست متاعبه وأفراح الشعب
ليست أفراحه • أنني أحس الانجليزية هنا إذا قال الشعب فأنما يعنى
نفسه • هنا في أقدم دولة عرفت الديمقراطية وطبقتها • فانت تجد
الشعب هنا هو الذى أراد حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب • وهو
يعتبر الحاكمين جزءا منه هو الذى اختارهم وهو الذى أعطاهم سلطتهم
وهو الذى يعينهم على ممارسة هذه السلطات فإذا حاولت جماعة أن
تقتطع سلطة من هذه السلطات أو تخرج عليها وقف الشعب جميعه في

مواجهة هذه الجماعة يحاربها بكل ما أوتى من قوة • وما أعظم قوة الشعب
إذا عرف الشعب واجباته قبل أن يعرف حقوقه • ولهذا حين حاول العمال
فى نقاباتهم أن يعتدوا على سلطة الشعب صاحبت تاتشر بشعب انجلترا ••
ادركوا انجلترا ان النقابات تريد ان تستولى عليها فانتخبت تاتشر وأعيد
انتخابها •

فما لنا فى مصر نخاف اللافئات والشسعارات ولا نراعى العلاج
ولا نلتزم الحزم • ومالنا تلتفت آذاننا الى أصوات الأقلية الغوغائية
ولا نلتفت الى أصوات ضماثرنا والقوانين التى وضعت لحمايةنا من كل
العساديات •

أرى الانهيار التام فى الموظفين المصريين ولا أسمع عزيف العقاب
ينزل ضاريا عادلا على المقصرين منهم •

بما عوقب أولئك الذين لوثوا ماء النيل وجعلوا مشربه أمراضا •
أصاب بنزلة معوية وأسأل الطبيب العالمى الأستاذ الدكتور عبد العزيز
الشرىف فيقول انه من ماء النيل الذى تشربه فأنا من الذين يشربون ماء
النيل الذى كنت أحسب أنه قراح وأنا لا أعقمه ولا أشتري ماء الشرب
من مخازن الأدوية وكنت أحسب أن هذا هو الطبيعى وغير هذا تزيد لا داعى
له ومبالغة فى الوقاية لا معنى لها •

ماذا صنعنا بهؤلاء الذين لوثوا ماء النيل الذى سارت الركبان بذكره
وبالجملة الخالدة التى ماتت اليوم « من شرب من ماء النيل فلا بد ان يعود
اليه » وكيف يعود وهو يحتاج الى طبيب يعوده هو ليشفيه مما أصابه
من ماء النيل •

وأقول للمستولين ونحن نضعها فى دائرة الاهتمام من هذا الذى
يسبغ وماء نيلنا العظيم ملوث بالجراثيم •

قبل أن ندعو الناس لزيارتنا لابد أن نهيب البيت فاذا كان بيتك
يشيع المرض فى أصحابه فهو على غير أصحابه أقسى وأشد هولا •

ويزداد الانهيار ويمعن الموظفون فى غيهم فيلوثون البحر ولا يكفهم
ان يلوثوا النهر • ويقول قائلهم ان تيارات مائية أنت بالقدر الى
الشاطئ •• ماذا ؟ تيارات ماذا ؟ أى خرف هذا الذى يقال لنا !؟ وهل
التيارات المائية أمر شاذ فى البحار •• هل هى عارض يأتى فجأة على

غير توقع ولا انتظار !؟ ٠٠ هل هى وباء لا يعتقد أحد أنه سيحدث فإذا
هو حال كالقضاء ينزل لا يعرف انسان موقته ولا يدرك انسان مواعده .

أليست التيارات البحرية علما له علماءه درسوه فأتقنوا دراسته
ثم درسوه لتلاميذهم .

ان هذا الذى حدث فى مياه البحر جريمة ارتكبت عن عمد وليست خطأ
وان حاول مرتكبوها أن يقولوا انها خطأ وليست عمدا فلا فارق هناك
فالقانون يساوى تماما بين الخطأ الجسيم والجريمة التى ارتكبتها صاحبها
عن عمد . ولئن تكون عمدا خير لصاحبها على الأقل حتى ينفى عن نفسه
الجهل الفادح والغفلة .

ان حياة انسان فى الدولة المتحضرة أمر جليل تهتز له أركان الدولة
جميعا فكيف نسكت على اناس يتلاعبون بحياة أمة بأسرها حين لوثوا ماء
الشرب فى النيل .

وحياة مدينة بأكملها حين لوثوا ماء البحر فى الاسكندرية .

لماذا لم نسمع ان أحدا من هؤلاء رفت وتقدم الى النيابة العامة
ولا أقول النيابة الادارية انهم يحاولون ان يقتلوا مصر كلها قتلا وحشيا
ويقضوا على سمعتها ويقطعوا عنها السياحة ويشوهوا وجهنا الحضارى
الذى صنعتته آلاف السنين .

ان هيرودوت حين جاء الى مصر قال عنها وهو مندهش « ومن عجب »
ان أفراد الشعب المصرى يختلفون عن العيون اذا أرادوا أن يقضوا
الحاجة .

فهيرودوت المؤرخ لم ير هذا الشئ لا فى وطنه ولا فى أى وطن مر به
وهو مؤرخ عصره .

هكذا كنا انقياء وهكذا كان حياؤنا قبل أن يعرف العالم النقاء
أو الحياء .

ماذا يصنع هؤلاء الموظفون بنقائنا وحياتنا وتاريخنا وأجسادنا
وكرامتنا .

ان دولة لا تعاقب ، دولة لا تستطيع ان تعيش وقد خرجنا من حكم
الطغيان الى حكم الشعب والشعب أقوى فى الحق ان كان الطغيان أقوى
فى الباطل .

فبالحق ينبغى للشعب أن يعاقب المجرمين فيه ومرة أخرى تجمع
القوانين على أنه لا فارق هناك فى العقوبة بين الفعل العمد والخطأ
الجسيم .. أدركوا مصر فانها مصر .. كنانة الله فى أرضه .. وهى
حياتنا لا حياة لنا بغيرها وهى مثنى آبائنا وأجدادنا ومثوانا من بعد
فاجعلوا التراب الذى سنصعد فيه الى السماء طاهرا كما كان دائما أو كما
ينبغى أن يظل .. وفقكم الله .

١٩٨٥/٩/٨ الأهرام

لأنهم مصريون

فى يوم ٣٠ أغسطس كتب الأخ الصديق الأستاذ أحمد بهاء الدين مقالته اليومى فى الأهرام قائلا : ألم يستوقف نظر العقيد القذافى أن مئات من حملة شتى الجنسيات العربية مستعدون لبذل أى شئ فى سبيل الحصول على جنسية أى دولة بترولية فى العالم العربى ؟ أغناهم وأثقفهم وأفقرهم على السواء ولكنه لا ينالها منهم الا من يعدون على الأصابع . ألم يستوقف نظر الرئيس القذافى أن عربا آخرين متعلمين ومتخصصين يسعون سعيا مريرا لينالوا جنسيات أخرى من بلاد من نوع آخر أمريكا وكندا وأستراليا .

وبعد ذلك يتحدث الأستاذ أحمد بهاء الدين عن الأهداف التى تستحث الانسان الى الهجرة كما ألم الأستاذ بهاء المامة سريعة مبتسرة عن فرص النجاح أمام المهاجرين ثم يقول الأستاذ بهاء .

(ألم يسأل نفسه على ضوء الحقائق لماذا لا يجد تونسيا معهما فقيرا أو مصريا فلاحا بسيطا يقبل التجنس بالجنسية الليبية وهى بلاد بترول ومساحات شاسعة وسكان قليلون وامكانيات هائلة وشاطئ طويل جميل معتدل على البحر الأبيض) ثم يقول :

(... وان الداخلى الى الجنسية المعروضة عليه ليس كالطائر المهاجر الى أرض ميعاد ولكن كالدأخلى فى قفص يتحكم فيه مزاج رجل واحد متقلب المزاج ثم يقول فى آخر المقال (ان تاريخ العالم كله تاريخ هجرات وقتنا من الصحراء الى الوديان الى البترول ووقتنا من الجليد الى المناطق الدافئة ولكن هذا لم يحدث أبدا بالكرباج) .

والى هنا ينتهى ما أردت التعليق عليه من مقال الأخ الأستاذ أحمد بهاء الدين . وأبدأ باللغة فأسأله أين وجد كلمة أثقف ليستعملها أفعل تفضيل للمثقف فيما أحسب أما آنا فلا أعرفها ولكننى لا أستطيع أن أقطع بأنها خاطئة فقد يكون الأستاذ قد قرأها أو بحث عنها .

وأقف مرة أخرى عند كلمة أرض ميعاد فهو تعبير لم أسمعه من قبل
قط . أ يكون مقصد الأستاذ أرض المعاد ربما ومرة أخرى ربما كنت أنا
المخطئ . ولنترك هذا ولننتقل الى المقال .

وأبدأ فأشكر للأستاذ بهاء الدين اعترافه بأن الكرياج الذى يعنى
القهر وأن حكم الرجل الواحد أمران ترفضهما كرامة الانسان وكنت أرجو
أن يقف عند كلمة رجل واحد دون أن يشفعها بصفة المنقاب أذن لكان
أدنى الى الصواب وأقرب الى الحق . فحكم الرجل الواحد مرفوض على
أى لون له والله سبحانه وتعالى يقول « أنا عرضنا الأمانة على السموات
والأرض والنجال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » وليست
الأمانة إلا الاختيار فكيف يسوغ فى الأذهان أن يقبل الانسان الظلم
لنفسه فى مقابل حرية الاختيار فكيف ثم ينزع عنى هذه الحرية فرد
واحد يختار هو له فان أبى كان السوط والتشريد والتعذيب والقتل
والاعتداء على كل مقدسات الانسان هو الجزاء .

هذه واحدة .

وأخري ؟ لماذا يا أخى بهاء تظلم نفسك والشعب الذى ننتمى اليه
هذا الظلم البين .

ولماذا قطعت أن المصريين رفضوا الجنسية الليبية لسبب واحد هو
ظلم الحاكم الليبى . ومن قال ان المصريين يسعون الى الحصول على
جنسيات أخرى عربية كانت تلك الجنسيات أم كانت أمريكية أو أوربية .
حنانيك يا أخى حنانيك .

ليست هجرة المصريين الى الخارج تعنى بأى حال من الأحوال
محاولتهم الحصول على جنسية البلد الذى يهاجرون اليه . فما أحسب
العالم عرف أو رأى التاريخ انسانا حريصا على الانتماء الى بلده حرص
المصرى على مصريته . يهاجر المصرى ولكنه يظل مصرى بكل قطرة دم
فى عروقه . وما أندر ما سمعنا عن مصرى حاول الحصول على جنسيات
أخرى . انما هى حالات فردية لا تقيم قاعدة بقدر ما هى الاستثناء الذى
لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه . وهى أيضا الاستثناء الذى يؤكد القاعدة
فكلما قل الاستثناء كانت القاعدة أثبت وأرسخ .

وقد رأى المصرى فى وطنه أهولا شدادا وسنوات عجافا وقهرا
وجبروتا ولكنه قط ما ترك مصريته .

رأى الهكسوس ورأى الأتراك واصطلى بحكمهم الغليظ . وعمت
بلادنا المجاعات حتى لقد أكل الناس بعضهم البعض . ولكن المصريين
ظنوا مصريين . وشهدنا حكم الفرنسيين وظلمهم وقاسينا احتلال الانجليز
وغطرستهم وغبأهم . وظل المصريون مصريين .

وحين قست مصر على بنيتها فى الزمن الأخير . وحين اعتدى الحكام
على الأعراض والأنفس والأموال والشمرات . هاجر المصريون ولكن ظلت
عيونهم على مصر . وظلت قلوبهم مغروسة أشجارا لفاء سامقة فى أرض
النيل . واكتسبوا المال واشتروا به الأراضى فى مصر وابتنوا لأنفسهم
بيوتا فى مصر ولو ساومهم من هاجروا اليهم على مصريتهم لتركوا لهم
ما كسبوه بكدهم وكدهم من مال ومالوا الى مصر المرفأ والمنتج والأمل
الأخير . فهى هى عندهم أرض المعاد الذى اليه العودة ومن ترابه يكون
صعودهم الى السماء .

لقد قرأت لا شك يا أخى بهاء ان الوفا مؤلفة من جنسيات أخرى
قبلت التجنيس بالجنسية الليبية . ولكن مائة ألف مصرى أبوا جميعا
أن ينزلوا عن مصريتهم . وان حرّمهم القذافى مالهم الذى بذلوا فيه
دماءهم . . . نعم وان . . . وان طردهم . . . نعم وان . . . وأن هددهم بما
يعرفون من قسوة الحاكم الغاشم الظالم الطاغية . . . نعم وان . . . لان
مصريتهم أعز عليهم من عروض الدنيا جميعا ولأن نفوسهم المصرية أقوى
يشربون ويسقون أهلهم وذويهم .

مرحبا بالعائدين من ليبيا . . . مصريين ذهبوا ومصريين يعودون . . .
كانوا فى حزن مصر وهم فى ليبيا وهم فى أحضانها وفى حبات العيون
وملء القلوب وهم على نيلهم يمرحون وفى وديانه ينتشرون ومن معينه
يشربون ويسقون أهلهم وذويهم .

ان كانوا للمال قد خرجوا فهم بما لديهم من سواعد وخبرة وأجدون
المال بين أهلهم وذويهم . . . مباركون هم فى حلهم وترحالهم . مصريون
هم أقاموا أم هاجروا . فمصر تعلم أن المهاجرين عنها كل المهاجرين انسا
هم مصريون بجذورهم ، مصريون ، بدمائهم ، مصريون ، بفروعهم وهل

أدل على ذلك من أنهم يجتمعون هنا في كل عام يبحثون شئونهم مع أهل
مصر لأنهم مصريون ويدبرون أمورهم مع ولاية الأمور في مصر • لأنهم
مصريون •

لهذا يا أخى بهاء أبى المصريون أن يتركوا مصريتهم • هكذا صنعوا
فى ليبيا وهكذا يصنعون فى كل البلاد العربية وهكذا يصنعون أيضا فى
الأمريكتين وفى أوربا وفى كندا وفى استراليا وفيما شئت من بلاد العالم
أجمع • وهكذا سيظلون الى الأبد الأبيد •

الأهرام ١٩٨٥/٩/١٥

الغوث يا رحيم السماوات . . .

هذا الغلام المفتون المقيم في ليبيا كارثة تضاف الى كوارث الغرب الكبرى . وكم من الكوارث تحيط بالعرب .

يحيط بهم الشقاق والخلاف والاصرار على الخلاف في جنون أرعن مأفون . ومنهم من يصر على الخلاف رغبة في الزعامة . وتلك في ذاتها عجيبة فقد عرفنا الزعامة اجماعا أو اتفاق أغلبية على اختيار شخص للقيادة فهل ترى نجد جديد جعل الزعامة اليوم ايقاع الخلاف بين المزعومين بعضهم وبعض .

ومن كوارث العرب تلك الحرب الطحون الدائرة في لبنان أنها كما قال شوقي الخالد قطرة تاكل بنيتها في ضراوة قاسية الية ولكن يبدو أن حمية الحرب أشد ضراوة من وحشية الجنون . ألا يندري أولئك المتقاتلون في لبنان أنهم ما يقتلون الا أنفسهم وما رأينا من قبل قاتلا بغير دافع الى القتل الا الموت في سبيل الموت المأفون من أجل القناء . عزب يقتلون عربا واخوة يقتلون اخوة وسوريا تخفى خزيبها في الجولان باشغال نيران القتل والدمار في لبنان والأحمق المأفون في ليبيا لا يكتفى بهذا الدمار بل يزيد لنا لهيبا بتصرفاته التي تزيدنا حسرة على العرب وحزنا على حالنا وتزيد الخروق اتساعا وتقطع أوأصر وتمزيق وشائج . ويجد من مصر من يتيح له أن يخطب فينا ونقرأ ما ينقلون عنه فنجد المصريين - وما أحسبهم كذلك - يتعاطفون معه ويتناغمون مع ألحانه المجنونة الحمقاء ويطعنون مصرية المصريين وقومية العرب في وقت معا ومرة أخرى نذكر قول شوقي :

خطبت فكنت خطيبا لا خطيبا أضيف الى مصائبنا العظام

فاذا تركنا لبنان وما أكثر ما نحزن من أجل لبنان ولفتنا رؤوسنا الى العراق وايران وجدنا هذه الحرب الضروس تسفك دماء المسلمين وهم في ايران يشعلونها باسم الاسلام . براء ديننا مما يفترون بل وبراء كل الأديان مما يسفكون من دماء .

وإذا نسينا الدماء - وما أدري كيف لنا أن ننسى الدماء - وجدنا أموال العرب ترمى في أنهار الدم - ويجتمع على هذا المال جنوب الحرب في العراق وإيران وجهل المخابيل ممن يريدون أن يحققوا ذواتهم بالسيارات المجنونة الأثمان أو بالطائرات أو بالقصور التي تثير القرف لا الإعجاب أو الملابس التي ما كانت لتصنع لو لم تكن المصانع تعلم أن هناك مهازيل فارغين سيشترونها لجعلوا منها لجسومهم الجوفاء زينة ، وعلم الله ما هي زينة وإنما هي قبح واستهتار وجمود مشاعر وعدم احساس بمآسى الانسانية حولهم . ولو أن الدول لم تصب بحرق العراق التي أحرقت فيها حتى اليوم آلاف المليارات من الأموال ولو أن الأفراد الأثرياء كانوا على شيء من الانسانية والرحمة لتغيير وجه العالم أجمع .

وكم تسيل الدموع وهي ترى المال حين جاء الى العرب أصبح حربا ودمارا للعرب أنفسهم وللمسلمين أو أصبح مظهرا تافها حقيرا يثير من النفوس المرارة والأسى والحزن .

وأرقب هذا جميعه وأنا استشفى هنا في لوزان أحاول أن استجمع في أسابيع ما شتته العام منى عنتا وعملا ورهقا . فتطلع على جريدة مصرية بحديث عن ناقد مصرى تصدر التلفزيون المصرى وراح يوجه أسهمه المسمومة التي تعود أن يرمى بها مصريتنا وعروبتنا ولغتنا ومن نجلبهم من أشخاص وما نقده من أدب عربى رفيع .

وأقرأ أن الناقد قال أنه يخشى أن يعود المسرح الشعري الى شوقي وعزيز أباظة .

رحماك يابن مصر . وهل ظهر مثل شوقي وعزيز أباظة ؟

رحماك يابن مصر فهل سمعت عمرك أن انسانا يخشى أن يصبح شعره العربى قمة مرة أخرى . أما نحن المصريين الذين لا لغة لهم الا العربية فنتمنى هذا الذى تخشاه . من أعماق نفوسنا نرجوه ويرجوه معنا كل من يحب لغته وأدبه وقومه ومقدساته . أن المسرح الشعري الحديث الذى مثله الشقراوى بقوة وعظمة وشموخ والذى تبعه فيه صلاح عبد الصبور بروايات قليلة والذى لم نر منه بعد ذلك الا بدايات تنبؤ فى غير وضوح وتبشر فى غير يقين . هذا المسرح الشعري يقوم على شعر التفعيلة واننا نرحب بهذا الشعر كل الترحيب فى المسرح ولكننا نظل نتمنى أن يعود الشعر الأصيل الى المسرح . والا فهل يحزن الانجليز ان عاد شكسبير أو يحزن الفرنسيون ان عاد لهم راسين .

ولكن لا ملامة على الناقذ ولا تثريب عليه • وأى معنى عربى
لم يحاول أن يمزقه وأى انسان شريف من عظمائنا لم يحاول أن يحطمه
أنها سهام يعدها لكل ما هو عربى فى حياتنا ولهذا تعودت هذه السهام
أن ترتد اليه لأن لغتنا العربية مصنونة بكتاب الله الخالد • وبلسان
العرب أجمعين • فان عرتهم اليوم لكنة وأصابتهم عجمة فما هى الا تعبير
عن تمزقهم فى داخلهم وحربهم لأنفسهم وقتلهم لبعضهم البعض • ولكنها
الغمرات ثم تنجلي والله سبحانه أرحم بعباده أن يتركهم هكذا فى غيهم
يعمهمون •

وما بقى لنا الا أن نترقب الغوث من رفيع السماوات سبحانه وأنه
لمدركنا برحمته التى وسعت كل شىء تقديست أسماؤه •

١٩٨٥/٩/٢٢ الأهرام

العيود أحميد

أنا أعيد نفسي للعودة من بلاد الانسان فيها هو أعلى قيمة في الوجود .
وأنا أكتب هذا وأنا في سويسرا بلاد الجبال والبيجرات . كيف استطاعوا
ان يخضعوا الجبال وهي الشاهقة البالغة أعنة السماء للانسان فهي يعتجته
وهي رياضته ونزهته . والبحيرة يركبها ذلولا تشرق للانسان بأجمل ما فيها
من وجوه . أنت عليها بطل كثيف أصبحت الجبال الصخرية البصيلة أرضا
خصيبة معطاء . وكيف غدا إلبصحاء الصليب الشديدي بيوتا هي زينة ومتعة
في عين الرائي . وهناء ورغدا ليعيش الساكنين .

وتمشى في الطرقات فتجد المصاعد الكهربائية توفر عليك عناء الصعود
أو الهبوط وترى الطريق أمامك يضحك لك يستقبلك . امش باذن الله
سليما معافى فلا خوف عليك من عثرة ولا ضير على قدميك من مفاجأة أنت
آمن في خطاك . هادئ سربك في جنبات المسالك .

وكننت قد انتويت ان أعود الى مصر في آخر هذا الشهر . ولكن
فيجأة عافت نفسي الحياة في أكناف لوزان الفحاء وفي اشراق الدنيا بها
ملت نفسي السعادة في صباح ومساء . الصباح اشراق لا تلقى فيه الا الوجوه
الوضيئة بالأمن الراضية عن العيش . والمساء هدوء وسلام .

وتأقت نفسي الى مصر . بكل ما فيها من وعناء الطريق وغابات
الأشجان ومتاعب الناس . ونواقص الخلمات .

سئمت البلاد التي تعتبر الانسان أغلى عناصر الوجود وسيد هذه
الحياة . والح بي الشوق الى مصر بكل مصر . بطرقاتها المخلعة الأرضية
المحفورة المسار . بمائها وما فيه مما ندره ولا يدريه الا عالم الغيب
والشهادة . بشكاوى الناس من قلة الايواء وصعوبة النقلة ووعورة اليوم ،
وانكماش الغد وضالة الرزق ، وغلاء المطالب .

وجدت الحنين الى مصر هذه يقتلني اقتلاعاً من مقامي بسويسرا
ويدفعني دفعات جائحة الى بلادى فالهناء في سويسرا ليس هنائي والديار

ليست ديارى ، والربوع ليست ربوعى • والنسمة تهفو الى من غزالة بلدتى
يجوار انزريق أحب الى من كل الجمال سوى سويسرا ومن دل الهناء في
أنحاءها ومن كل الطمأنينة في جنباتها فكل هذا مبدول لأصحابه وليس
لى وان شملنى منه نصيب وأنا بينهم فكما يشمل المضيف ضيفه ببعض
الرعاية • والمضيف مهما ينل من العناية يظل ضيفا • وشعور الانسبان
بأنه ليس في بيته يجعله دائما حذرا يترقب يوم عودته الى كسرة بيته
وان كان عشا بلا سخامة ، أو كن سقيفة بلا جدران •

وجئت وحمدت العودة وأحسست وأنا هنا أنني في مكانى الذى
خلقنى الله له وخلقه لى هنا استاف عبير آبائى وأجدادى من تراب مصر
وأشم أجمل هواء عرفته فى حياتى • هواء مصر • فان حبنا هنا وما مضى
من أيامى هنا وما هو فى مطوي الغيب قابل هنا مثوى الذين مضوا
من أعز الناس علينا ومستقبل نفوسنا ومن هم أغلى من نفوسنا من أبنائنا •

نحن هنا غرس فى أرضه ثوبت فى مكانه • أصل نحن هنا وفروع •
وماض نحن هنا وحاضر ومستقبل • نحن هنا نحب هنا بقلوبنا ومشاعرنا
ونبضات عروقنا وليس مع هؤلاء منطق الا الحب •

ودخلت الى مكتبى فى الأهرام • أعز مكان على نفسى بعد قرىتى وبيتى
وقرات يريدى • ورحت أقلب الصحف التى لم تكن تصل الى غربتى •
ووجدت مجلة الأهالى فى أسبوعها الماضى •

كلما قرأتها تملكنى الحيرة

ماذا يقول هؤلاء الناس ؟ وما لهم ينصبون هكذا بعدوانهم الوقح
على الحقيقة يريدون ان يسمغوها بالبهتان وما لهم يعترضون الطريق القويم
بأسلحة الزور والكذب والتمويه •

فى صراعهم مع عبد الرحمن الشرقاوى وليس الشرقاوى بحاجة الى أحد
ان يقف الى جانبه فهو وحده قادر وأكثر من قادر ان يمحى حججهم بقلمه
الشامخ الجرى •

والحق فى جانبه واضح • وهو ابن مصر لم يتلکأ على أبواب المخابيل
من حكام ليبيا ولم يصانع أثرياء البترول بقلمه أو كلمة •

ولم يقل عن أحد انه نبي جاء فى غير موعده لأنه مسلم ويعلم علم يقين.
أن محمدا عليه صلاة الله وسلامه هو خاتم الأنبياء . وهو قد قرأ تاريخ
الأنبياء وعلم أنهم قمم الانسانية وأى قمة أعلى من اختيار رب الناس ملك
الناس اله الناس لحمل الرسالة . وهو يعلم كما يعلم كل مؤمن انه لم يحدث.
ان ظهر نبي مجنون يخرب الأرض حواليه ويحرق الدنيا جميعا فى جنون.
الزعامة وبمال الشعب الذى فرض عليه حاكما .

ولكن الأهالى تقول انه نبي جاء فى غير موعده . أهم مؤمنون بالأنبياء
الذين جاءوا فى موعدهم حتى يؤمنوا بالنبي الذى جاء فى غير موعده وجعل
معجزته محاولته السافلة الحقيرة ان يغير فى القرآن الكريم .

ولم يقل الشرقاوى ان القذافي آخر الصقور . ولست أدري من
هؤلاء الصقور السابقون حتى أدري آخر الصقور الا ان يكونوا يقصدون
بقولهم هذا انه آخر الطواغيت الذين يختطفون ما ليس لهم بحق والذين
ينهشون لحوم الموتى والذين يأكلون الجيف ان كان هؤلاء هم الصقور
الذين يقصدون قاللهم نعم انه صقر . واللهم يا ذا المن سبحانه اجعله
آخر الصقور فما أبغض الناس شيئا قدر بفضهم للطواغيت العتاة الظالمين.
السافكين دم شعوبهم وأهليهم .

أنا اذن لن أقف فى جانب الشرقاوى فهو ليس فى حاجة الى أحد أن
يقف الى جانبه بل ربما عارضته أيضا فيما أطلقه من اسم اليسار الوطنى.
على جماعة بعينها فانا لا أعرف فى مصر عددا من الناس يمكن ان يكون
جماعة اسمها اليسار الوطنى وانما هم أفراد قلة مثل الشرقاوى ومحمود
توفيق وفتحى غانم وربما تكون هناك بعض أسماء أخرى لا تسعفنى بها
الذاكرة ولكنهم على أية حال لا يكونون جماعة يمكن ان تحمل اسما .

وانما أنا أريد أن أسأل الأهالى وأصحابها ما هجومهم هذا اللثيم
الجائح على أنور السادات عملاق الحرب وعملاق السلام . اليس هو من
انشأ حزبهم وانشأ مجلتهم واختار من بينهم اثنين جعل منهما وزيرين
عاملين . أهذا ذنبه عندهم أم هذا جزاؤه . أم على قلوب أقفالها ؟!

وما قولهم ان الأهرام جريدة حكومية . ألا يعرفون أن الأهرام
مؤسسة لها من المال ما يستطيع ان يخرج عشر جرائد فى حجم الأهرام
بما كسبته من ثقة عند الناس فى مشارق الأرض ومغاربها . فالحكومة
اذن لا تدعم الأهرام ولكن فليقولوا لى هم - ما داموا ينكرون أنهم يتقاضون

الأموال من الدول الشيوعية ودول اليمين ودول البترول – كيف تصدرون
أنتم ومن أى الموارد تنفقون على مجلاتكم ان اشتراكات أعضائكم كلها فى
عام بأكمله اذا كانوا يسددونها لا تكفى لاصدار عدد واحد من مجلة واحدة
من مجلاتكم •

اذن فأنتم تصدرون بدعم من الحكومة •• منه الدعم الظاهر الذى
قرره لكم السادات ومنه الدعم الباطن المتمثل فى اعلانات الوزارات والقطاع
العام • فان القطاع الخاص لا يمكن أن يعلن عندكم • وكيف يعلن ويقدم
مالا لاعلان فى جريدة لا يقرأها الا المثات مششتين فى أنحاء مصر •

أنتم اذن الجريدة الحكومية أما الأهرام فانه الأهرام وأنتم تعرفون
وان رغمت أنوفكم ما معنى كلمة جريدة الأهرام فى الأذان وفى النفوس
وفى أنحاء العالم أجمع •

قرأت الأهالى عند عودتى لمصر وحزنت ان بين ربوع مصر أمثال
هؤلاء ولكن مالى لا أقول مع المتنبي •

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا
فأفعالك اللاتى سررن ألوف

١٩٨٥/٩/٢٩ الأهرام

اليوم عييد العبر

مثل هذا اليوم منذ اثنى عشر عاما قاد الجيش المصرى باسم العروبة بطر فرد فى تاريخ العالم العربى الحديث هو أنور السادات . وحطم بما فعل وبما فعل جيشه كل الأساطير من حقائق وأباطيل . وكان الطنين يملأ أرجاء الدنيا ان الحرب مع اسرائيل حرب مع الإقذار محتومة الهزيمة . وكان الكهنوت الأعظم لهزيمة سبعة وستين يملأ الدنيا بمقالاته التى يدعى أنه يعتمد فيها على العلم بالحقائق ما ظهر منها وما خفى وما لا يعلمه الا الله والنادرون المختارون من عباده وقد كان يعتبر نفسه دائما على رأس هؤلاء النادرين المختارين بما عرفه من رؤساء وملوك وقادة وخطافة أموال وأرباب سياسة وآلهة حروب .

وكان بكل هذا يقول ان الماء والنار والجبال والصواريخ التى لم تشهدها البشرية والطائرات التى لا تعرفها سموات الشرق الأوسط والدبابات التى لم يعهد لها أحد مثيلا والمشاعل التى تحرق الماء والسيول التى تجرف الجبال كل هذا فى انتظار الجيش المصرى اذا هو فكر فى الحرب .

ونحن المصريين ظللنا السنوات الطوال نترقب مصائرنا ونتحسس ما يبيت لنا حكم الفرد من قرارات وأحكام وقوانين مما يكتبه الكاهن الأعظم فلم يكن عجيبا أن يرى الكتاب وأنا منهم أن الوعد بالحرب وعد مخلوف وكلمة للتسكين لا للتنفيذ . وقدمنا نحن الكتاب بيانا نقول فيه ما معناه أما الحرب فلا سبيل اليها . فاعطونا حريتنا عسى أن تحل الكلمة الحرة محل القنبلة التى لا نتوقع لها أن تنطلق .

وغضب السادات يومذاك - رحمه الله فى الصديقين والشهداء - ولو علم أننا حين كتبنا ما كتبنا كنا فى حال من اليأس شديد ومتى يمكن ان يكون اليأس قاطعا اذا لم يملك نفوسنا ونحن نقرأ ما نقرأ . ولو علم السادات أن الدافع الأول الذى حملنا على كتابة ما كتبنا هو ذلك اليأس القاطع ما غضب .

رحم الله أنور السادات في الخالدين . لم يحبس الذين غضب عليهم لم يأمر بهم ليقتلوا وإنما كل ما فعله أن شطب أسماءنا من الاتحاد الاشتراكي وأنا لم أكن في حياتي عضوا في الاتحاد الاشتراكي فالعقوبة بالنسبة لي كانت مستحيلة التنفيذ شأنها شأن الجريمة المستحيلة التي نتكلم عنها القوانين الجنائية . ولكن هذا الشطب كان الأثر الحقيقي له أن منعت أسماءنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنا من النشر بالجرائد أو الذكر في الإذاعة أو التليفزيون . عقوبة بالنسبة لأمثالنا هيئة الأثر ضئيلة الشأن وأنا اليوم ائتمس له فيها العذر فقد كان الرجل يعد لحرب فعلا فماله ألا يمنع أسماءنا والمقصود من أسمائنا منعنا من الكتابة حتى لا نصب بأسنا في قلوب قرائنا من القوات المسلحة الذين هم أملهم في الغد الذي يعد له . وأنا اليوم ائتمس له العذر كل العذر فيما فعل . كما أعرف أننا كنّا على حق فيما كتبنا من بيان . كنا جميعا على حق . نحن كتبنا البيان حين طالعنا اليأس من الكاهن الأعظم لكتساب البولة . وغضب السادات لأنه كان يعد للحرب فعلا وفي خفاء وتستر عظيم حتى أن الكاهن الأعظم نفسه فوجيء بالحرب كما فوجيء بباثر البشر .

وقبل الحرب بأيام أعلن السادات في التليفزيون أنه يرفع العزل عن جميع الكتاب . وكان هذا الاعلان حريا أن يفهمه العدو لو كان على هذا القدر من الذكاء الذي يتغنى به المتحمسون له . ما كان أجدرهم أن يعرفوا أن رفع العزل هذا كان إشارة من السادات العبقري أنه تخطى مرحلة القول واصبح في مرحلة التنفيذ . وما هي الا أيام قلائل حتى وقعت الواقعة وحلت بإسرائيل الكارثة التي لم تشهد لها مثيلا في كل سنوات اغتصابها للأرض العربية .

ولم يكتف السادات بذلك بل انه شق التاريخ وأبواج الصخب الهازلة وميدان الأقوال الضخمة بلا عمل والتهافتات الصارخة بلا فعل والبطولات العنترية بلا سيف من عنتر أو حصانه . وذهب إلى القدس وفتح الباب للعرب أجمعين أن يفاوضوا كمافاوض ويستردوا حقوقهم كما استرد ولكنهم بدلا من هذا ثاروا عليه ورموه بالخيانة ولعمر أبيهم كيف يخون من يضع رأسه على كفه ويقول لا إله الا الله ، وكيف يخون ويفقد أخاه . وكيف يخون وينتصر . وكيف يخون ويسترد لوطنه الجزء البضائع من وطنه . وكيف يخون من يعمل في راحة النهار لا متخفيا ولا متسترا بليل ولا قاتلا في المساء غير ما يفعله في الصباح .

اللهم سبحانه ها هم أولئك يحاولون أن يخونوا كما خان ويفاضوا كمافاوض وينالوا بعضا مما ناله فتلثوى بهم الطرق وتقطع دونهم

المسالك • ولكن الهتافات والضراخ والعنتریات الكاذبة والبطولات اللفظية كل هذا على حاله لم يتغير •

وبیننا وفى ربوع مصر التى استعادت کرامتها التى دیست فى ٦٧ بحرب ٧٣ فى ربوعنا نحن من یجعل مدح السادات جریمة لا تغتفر وأثما لا یمحى • وعلى رأس هؤلاء الشیوعیون الذى انشأ السادات حزبهم وجریدتهم • وکم أتمنى ان یقولوا ولو لمرة واحدة كلمة حق فیذکروا لنا الى أى حال كانت ستصبح مصر لولا السادات الخالد •

فکروا قلیلا ثم أجیبوا • اما کان من الطبیعی أن تهاجمنا اسرائیل بعد حرب ٧٣ لتنال ثأرها • وکیف یسوغ فى الأذهان ان اسرائیل كانت ستسکت بعد حرب هى منهزمة فیها وهى لا تعيش فى المنطقة الا بقوة السلاح • وأقرب دلیل على سلامة هذا التوقع أنها تحارب الآن فى تونس ولبنان فهى تريد بكل الوسائل ان تجعل العرب یعرفون ان الهزيمة لم تردعها • ولولا السلام الذى فرضه علیهم السادات لكانت الحرب مع مصر وفى شوارع القاهرة • ولكنها الیوم عاجزة یتخطفها الغیظ فهو سلام ضمنته ووقعت علیه أكبر دولة فى العالم أو فى التاريخ اذا شئت • وهذه الدولة هى فى نفس الوقت مصدر رزق اسرائیل وملاذها وملجؤها •

فلیقل لنا الشیوعیون ماذا کانوا یریدون من السادات • وماذا کان یمکن ان یقدم لمصر أكثر مما قدم • رحمه الله فى الخالدين •

ومجلاتهم هذه ألیست لفتة من السادات وعلم الله أنهم فیها لا یقولون الا الکذب والبهتان • وعلم الله أنهم فیها یتاجرون بالألفاظ ولا یلتزمون بما یقولون وأقرب دلیل على ذلك أن المحررين عندهم جمیعا وبغیر استثناء محررون فى جرائم قومية یقبضون حتى الیوم من ثباتهم وعلاواتهم وحوافزهم من الجرائد القومية دون ان یقدموا لها أى عمل •• الا یدرکون أنهم بذلك یأکلون من عرق الکادحین العاملين فى هذه الصحف القومية ولا یقدمون أى مقابل فى نظیر المرتبات التى یقبضونها کل الشهر • أهذه هى النظرية الماركسية کسب بلا عمل وقبض بلا جهد • ألا یدرکون أنهم بذلك یقدمون صورة لأسوأ صور الرأسمالية • ولكن لتذهب کل النظریات الى الجحیم ماداموا هم یقبضون •

ولیهاجموا السادات ماداموا هم یقبضون •

وليها دنوا أعداء مصر والمتحرشين بها ماداموا هم يقبضون •

وليتمدحوا ويتغنوا بالقذافي الذي طرد عمال مصر الكادحين والذي
استلب ما جمعه من كدحهم وكدهم وليجعلوا منه النبي الضائع في الزمن
والصقر الأخير ماداموا هم يقبضون •

واذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون • انا لله وانا
اليه راجعون •

١٩٨٥/١٠/٦ الأهرام

يفتقد البدر

اننا فى هذه الأيام نحتفل بذكرى الشاعر الاول فى الأدب العربى أحمد شوقى . وقد لقى شوقى من الهجوم فى حياته وبعد وفاته ما يضيق به أولو الصبر والأناة . وكان - رحمه الله فيما سمعت - يضيق بالنقد ولكن شيئا لم يستطع ان يرده عن الابداع الشعرى الذى جلس به متفردا على امارة الشعر فى عصره وفيما سبقه من عصور وأحساب انه سيعطل متسنا هذه القمة الى أجيال كثيرة قادمة . ولا شك أنه سيتعرض فى قابل الأيام لما تعرض له فى ماضيها من تطاول .

ولعل أصدق دليل على توقى ماحدث فى التليفزيون المصرى منذ قريب حين تصدر التليفزيون المصرى ناقد مصرى الجنسية والمولد ولا أقول الاسم ، أجنبى الثقافة والانتماء ولا أقول الهوى ، وحذر أن تعود الى عصر شوقى وعزيز أباطة فى المسرحية الشعرية . وكأنى به وجد من يستطيع البلوغ الى هذه القمة ولم يبق الا ان يحذره من بلوغها .

ولكن ما شأن الأجانب الغربيين بالشعر العربى . ان هذا الناقد يحرص على هدم الأدب العربى الخالص منذ هو فى أول حياته يتسلق ما يجد ليبلغ الشهرة ولكنه أخطأ السلم فتسلق سلما انجليزيا تارة وفرنسيا تارة وشيوعيا دائما فلا هو أصبح أديبا عربيا فى المكانة الجديرة بنسبه ولا أصبح أديبا فرنسيا ولا هو أصبح أديبا انجليزيا وان ظل على الدوام شيوعيا وحربا على اللغة العربية وهو بحربه لها يحارب معنى أكبر أكبر ان أصرح به مادام هو مصرى ان يتكتمه تكتما فاشلا فما من أحد يعرفه أو يقرأ له الا وهو يعرف ما يضممر وما يحاول ان يستره . والله من فوق عباده غالب على أمره .

وقالوا عن شوقى شاعر الأمير وقال هو عن نفسه :

شاعر الأمير وما بالقليل ذا القلب

ولكن شاعر الأمير هذا لم يسكت يوما على باطل ولا بارك يوما رأيا لا يدين به بل هو يصرخ فى قصيدته الرائعة « الهلال » :

سنتون تمر ودهر يعيد	لعمرك ما فى الليالى جديد
أضاء لآدم هذا الهلال	فكيف تقول الهلال الوليد
على صفحته حديث القرى	وأيام عاد ودنيا ثمود
وطيبة حافلة بالملوك	وطيبة مقفرة بالصعيد
نعد عليه الزمان القريب	ويحصى عليه الزمان البعيد
يقولون يا عام قد عدت لى	فيا ليت شعرى بماذا تعود
لقد كنت لى أمس ما لم أرد	فهل أنت لى اليوم ما لا أريد
ظمئت ومثلى بنزى أخق	كأننى حسيتى ودهشيتى ينزله
ومن صاحب الدهر ضحيتى له	شكا فى الثلاثين شكوى لبيد
وانى نواسى هذا الزمان	فمن للزمان ياذن الرشيد

فهو اذن يهاجم الأمير ويرميه بأنه لا يقدر شاعره حق قدره ، وهذا الشاعر الذى اطلقوا عليه شاعر الأمير ثم نصبه شعراء العروبة جميعا أمير الشعراء نال هذين اللقبين تمجيذاً وفخراً . وكأذا اللقبين كان يتمنى شعراء جيله ان يفوزوا بواحد منهما ولكن سعيهم أكلى وتصدق عليهم قول شوقي :

قسما لو قدروا ما احتشموا لا يعف الناس الا عاجزين

ذكرت شوقي اليوم واسرائيل تعربد فى العالم العربى كعاهرة ساقطة النقاب معدومة الحياء . وذكرت شوقي وأنا أرى أمريكا أكبر دولة فى العالم تبارك فجور اسرائيل وتحطيمها لكل سلام مرتقب مع العرب . وتولت القلب حسرة لأعجبة بل حسرات اسرائيل تهزأ بكل الأعراف الدولية والخليقة وتصنع ما لا تصنعه دولة بل وما لا يجوز أن تصنعه الجماعات الفلسطينية . ولكن اذا غفرنا للمظلوم المشرد أن يضرب ضربات رعناء غير واعية فكيف نسيخ ان تصنع دولة لها وزارة وكنيست ورأى عام أن تفعل فعل الجماعات التى شردها هى .

ونرى أمريكا التى ينبغى ان تكون فى مكان الدولة الكبرى التى تردع مخلوقتها اسرائيل اذا هى سكرت وتخدعت وعربدت تبارك ذلك الهوس الدموى الآثم المجرم الذى تقوم به اسرائيل وأرى هذا وأنظر الى العرب . فأرى سوريا تصنع فى شقيقتها لبنان ما تصنعه اسرائيل فى أعدائها من الفدائيين وأرى سوريا أيضا تنقض انقضاض الوحوش

المسعورة على الفدائيين أيضا وكانهم ما كفاهم ان استلبت منهم اسرائيل
ارضهم وامنتهم ومأواهم . وكانهم ما كفاهم تلك الاعمال الاجرامية التي
تصبها عليهم اسرائيل في غير حجل أو تفكير في الرأي العام العالمي .
كان سوريا ما كفاهها هذا جميعا فهي تطحن الفدائيين طحنا أخرج مأفونا
حتى لا يسعنا الا ان نقطع بانها على اتفاق تام مع اسرائيل وما لنا ان نظن
هذا والعالم كله يتكلم عن بيع سوريا ارضها في الجولان لدولة اسرائيل
التي ضمتها الى اقاليمها .

علاقتها بمصر وكان مصر هي التي تعربد في تونس ولبنان ولا تقطع الدول
صاحبة الثراء والقدرة المالية الباذخة صامتة ساكنة مكتفية أنها قطعت
علاقتها بمصر وكان مصر هي التي تعربد في تونس ولبنان ولا تقطع الدول
العربية علاقاتها بسوريا التي حاربت الفدائيين بأشد مما تحاربهم اسرائيل
ولكنها دول تخشى التخريب السوري وتعلم أن مصر محكومة اليوم حكما
ديمقراطيا وانها سلام حيث حلت . أمن حيث ذهبت وانها من قبل ومن
بعد تنظر الى كل الدول العربية الأخرى نظرتها الى الأخوة الصغار وشأن
الكبير أن يعفو ويتسامح ويعف ويتعالى في كبرياء ويصدق علينا قول
الشاعر العربي القديم :

وان الذي بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعبرنى بالدين قومى وانما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم فليس كبير القوم من يحمل الحقد

أذكر هذا جميعه فى ذكرى مولد شوقى وفى ذكرى وفاته فاليومان
متوافقان . وأتساءل هل كان شعر شوقى يستطيع اليوم أن يوقظ فى
العرب عروبتهم ويردهم الى ضمائرهم ويعيدهم الى الطريق . فيقول
لهم ما قاله فى رثاء الخلافة . لأحسب انه كان سيسمى القصيدة فى رثاء
العروبة . فهي اليوم هى القتيل :

عادت أغاني العرس رجع نواح ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ودفنت عند تبليج الأصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك فى كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينه تبكى عليك بمسمع سحاح

والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من أرض العروبة ماح ؟

وطبعا أبدلت كلمة الخلافة بكلمة العروبة وأمضى فى قصيدة
شوقى :

يا للرجال لحرة موءودة قتلت بغير جريرة وجناح
هتكوا بأيديهم ملأه فخرهم موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها كانت أبر علائق الأرواح

كان شوقى خليقا أن يقول مثل هذا وأكثر حين يرى حال العرب
اليوم ولكن ٠٠ كم تخادع نفسها النفس ٠ أو مثل هؤلاء الباحثين عن
متعتهم كانوا سيلبون دعوة شوقى هيهات ٠ ان كانوا قد عزفوا عن دعوة
الله لهم بالوحدة أيلبون دعوة انسان مهما يكن أمير الشعراء ٠

اللهم انك قد فرضت علينا الحج ليكون للمسلمين وحدة ورباطا
 واجتماعا فاللهم فشانك اليوم مع عبادك الذين صاروا فرقا وشيعا وأحزابا
 وليس لهم من دينك عاصم ولا من نفوسهم عصام وحسبنا أنت فانت
 وحده نعم الوكيل ٠

١٣/١٠/١٩٨٥ الأهرام

ماذا فعلتم بإبيكم ؟

أشاهد فى هذه الأيام رواية زينب التى ألفها فى أوائل هذا القرن أبو الرواية المصرية الدكتور محمد حسين هيكل باشا . وهكذا تعتبر هذه الرواية تراثاً أدبياً بدأت به الرواية المصرية مسيرتها حتى بلغت اليوم ما بلغته .

وقد قدمت هذه الرواية فى السينما المصرية وهى صامتة ثم قدمت فى أول الخمسينيات ناطقة . ولا أعرف شخصاً ذا اهتمام بالأدب عامة وبالقصة خاصة لم يقرأ هذه الرواية ويستمتع بها .

وحين ألف الدكتور هيكل باشا هذه الرواية كان المذهب السائد فى الأدب الغربى هو المذهب الرومانسى . فالرواية رومانسية ناعمة تصور الريف المصرى الطيب وترسم الحب الصادق الذى يصطدم مع الظروف والتقاليد الريفية التى لم تكن حتى ذلك الحين تعترف بالحب .

وجمال هذه الرواية ان تبقى كما هى تمثل بداية الرواية المصرية وتمثل الريف المصرى الناعم الهنىء السلس المجرى الصافى النмир الطيب القلب ، وقد كان من المستحيل فى تلك الأيام ان يحاول أى فرد أو أى حب مصارعة التقاليد الريفية أو الوقوف فى تيارها الذى ينزل فى نفوس الفلاحين منزلة العقيدة أو قرياً من منزلها قرباً يجعلها تختلط بالإيمان وبالدين .

فرواية زينب اذن لم تكن صراعاً طبقياً . ولا كانت هناك طبقات فى ذلك الحين بل كان الجميع فى بوتقة واحدة يأخذ القوى منهم بيد الضعيف والصحيح منهم بيد المريض . وكانت أجواء القرية كلها حبا خالصاً وأخوة وتكافلاً ولم يكن قد ظهر فى أفقها من يثير قوماً على قوم ولا طبقة على طبقة مازال الريف حتى يومنا هذا وبعد كل المحاولات العنيفة التى بذلت للتفرقة بين أبنائه مازال حتى اليوم لا يعرف الطبقات ولا يطبق الشيوعية ولا يقبل الكراهية وحياة له أو ديناً أو شعوراً .

وربما عرف الصعيد الثار وهذا جانب بعيد كل البعد عن سائر ما يعرفه الريف من أخوة وصداقة وحب فالكان يجمعهم وما يصيب الفرد منهم يصيب الجميع .

فى هذه الأجواء الصافية الشفيفة كتب هيكىل باشا زينب . فبالله عليكم يا من كتبتم زينب الجديدة ماذا فعلتم بأبيكم ؟

ما هذا الحقء وتلك الكراهية وذلك السواء القاتم وهذه السخيمة المقيئة التى طمستم بها معالم الرواية ومن أين أتيتم بهذه الشخصيات الحقيرة النفس الوضيعة الأهداف الرخيصة التصرف ؟

هل تتصورون انكم مادمتم قد أنعمتم برتبة الباشوية على شخصية روائية لابد أن تنعموا عليها مع الرتبة بالسفالة والانحطاط والجشع والتآمر والسعار وجمود الحس وانعدام المشاعر هيهات . . قد جهلتم وانى سأذكر هنا أسماء باشاوات وأرجو أن أعرف رأيكم فيهم ما رأيكم فى أحمد عرابى باشا وشريف باشا ومحمود باشا سليمان الذى رفض الملك قبل تولية السلطان حسين والذى جمع الأحزاب فى داره وأزال ما بينهم من خلافات ود . محمد حسين هيكىل باشا ود . مشرفة باشا ود . شوشة باشا وعشماوى باشا . ود . على ابراهيم باشا عميد الجراحة ود . المنياوى باشا الجراح . ود . ابراهيم شوقى باشا عميد طب الأطفال ود . عبد الوهاب مورو باشا الجراح الشهير . ولطفى السيد باشا ود . عبد الحميد بدوى باشا رئيس محكمة العدل الدولية وعبد الرازق السنهورى باشا وعبد الخالق حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية وسابا حبشى باشا ، وأحمد مصطفى باشا المستشار ومحمد صفوت باشا المستشار . هذه الأسماء أوردتها من الذاكرة وقصصت أن أتجنب ذكر جميع الباشاوات الذين لم يكن لهم شهرة الا فى العمل السياسى ففى ميدان السياسة يختلف الرأى حول رجالاتها وأنا انما أريد أن أقلم أسمماء لم يختلف حولها رآيان ولو أنك أمعنت النظر فى شأن هؤلاء الباشاوات لتبينت حقيقة يريده المؤلفون أن يخفوها عن عمد مزيف مزور سيئ القصد فهم حين يكتبون عن الباشاوات لابد أن يجعلوهم جميعا أثرياء ثراء فاحشا ويستخدمون ثرائهم فى غرض واحد هو الاساءة الى خلق الله لوجه الشيطان وحده ما أجهلكم بعظماكم .

أكان عرابى ثريا أم مصطفى كامل أم هيكىل أم طه حسين أم منصور فهمى أم مشرفة أم كل هؤلاء ؟ هذا اذا كان الثراء جريمة وانما لا غفران له هذا هذر قابلناه فى فترة سوداء من تاريخ أدبنا ولكن أعتقد أن هذه النعمة أصبحت نكراء كاذبة تشوه وجه مصر وعظماءها بغير كسب أدبى أو وطنى أو سياسى .

وبعد فماذا صنعتم بأبيكم ومن اذن لكم أن تشوهوا الرواية الأم في الأدب العربى هذا التشويه المريع ؟ لقد مزقتم رواية زينب شر تمزيق ولقد ضحكنا منكم ضحكات مريرة وأنتم تدخلون شخصية لطفى السيد فى الرواية والمؤلف يرى من ذلك كل البراءة فلطفى السيد باشا كان بمثابة خاله وأستاذه وما يتصور الدكتور هيكل باشا أن يجعل منه شخصية روائية ولقد ضحكنا ضحكنا على شر البلية وأنتم تحاولون أن تجعلوا من ابن الباشا شخصية موازية للدكتور هيكل من قال لكم أن هيكل باشا كان شيوعيا مثل هذا الفتى الذى وسمتموه والذى مثله بكل أسف ممثل أحبه وأعجب به وأشعر أنه قادر على تقريب الناس اليه ومن هذه الفتاة فى الخمار الأسود الحزينة المكشورة عن أنيابها المتحفزة كنمرة شرسة كذئبة أهذه زينب شخصية هيكل باشا أم هى زينب بتروفيسكى أم ساشا المصرية ومن هؤلاء الشخصوس جميعا من هذا الفتى الحاقلة الملى بالشر أهذا ابراهيم الذى رسمه هيكل نسمة من هوى وخلجة من فؤاد محب وأنشودة من الصفاء ومن هؤلاء ومن هؤلاء ومن أولئك الأمهات ومن هذا العمدة وما هذا الهواء ؟

فى هذه الرواية التى تدعون انها زينب كل الشخصيات المفتعلة متهرئة منهارة غير متكاملة •

ولكم كتبت أن كاتب السيناريو له رؤيته الخاصة • وكم غير كتاب سيناريو من روايات لى فما غضيت لأنهم أبقوا الفكر الأساسى الذى كتبت له الرواية •

أما هذا الذى صنعتم بزينب فعجيبة من عجائب الدهر • هو تمزيق استحياء وهو اعتداء لا تطور وقتل لا احياء • ولكن زينب هيكل ستخلد الى الأبد لأنها فى كتاب •

واننى أحذر المشاهدين أن يظنوا ان هذا الذى شاهده له صلة بزينب هيكل أول رواية فى تاريخ الأدب العربى وإذا كانوا يريدون ان يعرفوا زينب فليقرءوها فى كتاب أو يشاهدوا أحد الفيلمين السينمائيين اللذين ظهرا عنها •

أما هذا الذى يصنعه التليفزيون فليس زينب من قريب أو من بعيد •

يا كاتب السيناريو ان كنت أنت الكاتب الذى أعرفه فقد إذهلتنى
فأنا أعرفك كاتباً قديراً وأعرفك أيضاً مخرجاً مجيداً • فما هذا الذى
تصنع ؟

ياسيدى الأستاذ رواية زينب ظهرت فى مصر ولم تظهر فى الاتحاد
السوفيتى ورواية زينب رومانسية وليست بأى حال من الأحوال ولن تكون
رواية شيوعية كما صنعتها والعجيب أننى أعرف عنك أنك أبعد ما تكون
عن الشيوعية والمخرج زميل العمر الذى أخرج المسلسل أبعد ما يكون
عن الشيوعية فما هذا الذى تصنعان ؟

أحسب أنكم معذوران لقد تمكن الشيوعيون ان يجعلوا كاتباً حراً
ومخرجاً عميق الديمقراطية يقلبان زينب التى ألفها الدكتور محمد حسين
هيكل باشا رواية شيوعية والأمر من قبل ومن بعد للواحد القهار •

٢٠/١٠/١٩٨٥ م الأهرام

خطاب وتعليق

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ أحمد محمد حسين هيكل المحامى
ونجل أستاذنا المغفور له الدكتور هيكل باشا وانى أنشر الخطاب وأعلق
عليه :

أخى ثروت لعلك بمقالك اليوم عن زينب المزعومة عبرت عما كان
يجبش بصدري وصدر كل الذين شاهدوا هذا التزييف الذى تعرضت له
أو لقصة فى الأدب المصرى الحديث . وأقول التزييف لأنه ما من شخصية
من شخصياتها تمت بصلة حقيقية لأصلها فى الرواية الأم كما سميتها ،
وما من معنى من المعانى التى عبرت عنها تلك الشخصيات المزيفة تمت الى
المعانى التى عبرت عنها شخصيات الرواية الحقيقية بصلة أو سبب وإذا
كان مثل ذلك يحدث فى شأن زينب وهى القصة التى قرأها الملايين فى
أصلها المكتوب وشاهدتها ملايين أخرى على شاشة السينما ، واحتلت
مما كتب النقد والدارسون آلاف الصفحات ، فما بالك بما يمكن أن يحدث
لروايات لم تتج لها مثل هذه المكانة !! يا حسرة على ما يصنعه التلفزيون
بأدبنا كله .

وما أظن صاحب زينب الحقيقية ليرضى عن هذا الذى يفعله التلفزيون
بالأعمال الأدبية ، وما أظن أننا - وقد تحملنا أمانة حفظ تراثه وسنحمل
هذه الأمانة الى النهاية - لنقبل أن تبقى مكتوفى الأيدى تجاه هذا العبث .
ولو أن التلفزيون يريد - كدأبه - أرضاء ميول جمهور المشاهدين فلعله
خانه التوفيق هذه المرة كما خانه من قبل فى أعمال أخرى رغم النقد الكثير
الذى وجه إليه حينئذ . وما اخراج التلفزيون لحياة العقاد بعبث . ولكن
أحدا لا يتعلم الدرس ولا يعيه . على أن الذى لا يمكن القبول به تحت أى
ظرف من الظروف هو أن يتم ذلك على حساب خير ما فى فكرنا وأدبنا
الحديث من أعمال كبرى نعزز بها و يفخر بها الوطن .

ومسؤوليتنا الأدبية والوطنية تقتضينا أن نحول دون أن يشوه
العابثون تراثنا . ومن هنا فانى أناشدك عرض الأمر بصفة عاجلة على
مجلس إدارة اتحاد الكتاب ليرى فى الأمر رأيه وليصل من ذلك الى ما يكفل

حماية أعمالنا الأدبية الرفيعة من عبث العابثين • هذا هو الجانب العام
فى الموضوع • أما عن مسئوليتى الخاصة فأود أن أبلغك أن هذا الذى حدث
لم نأذن به ولاجرى اتفاق بشأنه مع التليفزيون وسيكون له حديث آخر
بيننا وبينه بالطريق الذى رسمه القانون ودمت لأخيك •

أنا أعرف يا أخى أحمد مقدار الألم الذى تعرضت له وأنت تشاهد
رواية أبتك الخالدة تتحول الى رواية أخرى لا صلة لها بها • وأعرف أيضا
الأسى الذى تعرض له أخوتك وأخوتى وهم يشاهدون رائعة أبيهم يمثل
بها بدلا من ان تمثل ونحمد الله أنه أكرم المؤلف العظيم ولم يشهده •
ولكن قد يهون الأمر عليك وعلى أخوتك اذا قدر لك ان تشاهد سائر
البرامج فى التليفزيون فسترى يا أخى المد الشيعوى وقد طغى طغيانا مريعا
على هذه البرامج • وسترى أنك رددت بجهد الشيوعيين الى تليفزيون
الستينات •

وأنت تعلم يا أخى كما أعلم أنا أن هؤلاء الشيوعيين مهما يفعلوا فلن
يصلوا الى قلوب الشعب أو مشاعره فانهم سيجنون دون سسومهم
لا اله الا الله محمد رسول الله تردهم فاشلين خائبين وسيجدون الايمان
بالله عند اخواننا المسيحيين يقصف أعلامهم ويحطم الحادهم مسخورا مهانا •

ولكن البخطر مع ذلك داهم وبيل فها أنت ذا ترى الموجة قد جرفت
الرقباء وجعلتهم - وهم معذورون - لايسمحون الا بالروايات التى تهاجم
كل ذى لقب أو ذى مكانة أو ذى كرامة • وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون
الشيوعيين يملئون الدنيا بصراخهم : أن الشرف لا يجتمع مع الكرامة وأن
الخلق لا يكون لمن يحترم نفسه •

وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يرفضون أن يكون
الانسان انسانا الا اذا كان معسما أما العاملون الكادحون على مكاتبهم
أو بفكرهم أو بجهدهم أو بأشرفهم فسحقا لهم وبعدا •

فالتبيب والمهندس والمحامى والمحاسب والكاتب والمعلم كل هؤلاء
طبقة برجوازية ذات تطلعات •

والرقباء ليسوا شيوعيين ولكنهم يرون وجه الإعلام قد استولى عليه
الشيوعيون فهم يصرخون فى جميع الصحف وهم يطلون عليك فى أغلب
البرامج •

والأمر يا أخى أحمد ليس مجرد أعلام أو مقالات أو برامج إنما الأمر
أخطر من ذلك وأجل شأنًا .

إن الحرية الاقتصادية تتعرف وجه الدولة من أعلامها فإذا طغى هذا
اللون الأحمر على صوت الدولة وهيئات هيئات أن يطمئن أصحاب رؤوس
الأموال المصريون إن يدخلوا بأموالهم إلى ميدان التصنيع . وإذا كان
المصريون يخافون فالخوف أعمق وأشد في نفوس رؤوس الأموال الأجنبية
سواء كانت لدول أم لأفراد .

ونحن - كما تعلم - يا أخى دولة أملها الوحيد في الازدهار
الاقتصادى ، والازدهار الاقتصادى يعتمد على الاستقرار وحرية رأس المال
واطمئنانه والشيوخيون - كما تعلم - أملهم فى الوصول إلى الحكم
معتمدين على تخريب الاقتصاد المصرى وزلزلة الثقة فيه عند العالم أجمع
دولا وأفرادا .

وهكذا ترى يا أخى أحمد أن زينب جرى عليها ما يجرى لكل الأعمال
الفنية الرفيعة فى فترتنا هذه .

ولكن هون عليك يا أخى فوالدنا الدكتور هيكल خالد مهما تعبث
بروايته موجات عارضة لابد لها أن تزول فمحمد حسين هيكل هرم ضخم
هيئات أنه يؤثر فيه شيء وقد انتهت كارثة هذه الرواية التليفزيونية
وما خلقت فى نفوس عارفى أببك إلا بعض الحسرة ما تلبث أن تزول .
والكتاب من بعد ومن قبل هو الخالد . أما هذا الزبد فانت تعلم أنه جفاء
زائل لا قيمة له . ودائما دائما يا أخى أحمد لن يصح إلا الصحيح .

٢٧/١٠/١٩٨٥ م الأهرام

سنة ١٩٨٦

• • وبالحق نزل

قرأت فيما قرأت منذ قريب كلاما حاولت أن أجمع شتاتة أو ألم شعته فتأبى على ونفر أن يلتئم ، ورفض أن ينسجم بعضه مع بعضه •
فقد قال القائل ان الشيعوية لا تتعارض مع الاسلام وتلك عجيبة من العجائب وقد حاول الكاتب ان يسوق الأدلة ويدعم رأيه بالبراهين فاذا بالأدلة تنهار جميعا واذا دعائمه تتساقط مع براهينه لتصبح أنقاضا من هذاء وحطاما من لغو الكلام •

فالشيعوية لاتجتمع مع الاسلام فى وعاء واحد أبدا • ولايستطيع أن يكون انسان ما شيعيا ومسلما فى وقت معا مطلقا •

فالاسلام يقوم على خمس أهمها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

وهاتان الشهادتان ليستا مجرد كلام يقال وانما هما كلام وعمل ، وقول وفعل ونطق وايمان •

لا بد أن تؤمن أن الله واحد أحد وأنه سبحانه أرسل رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام • وجعل معجزته هى المعجزة الوحيدة الخالدة فى تاريخ جميع الرسل والأنبياء • فكل معجزات الأنبياء كانت بصرية شهدتها قوم النبي الذين أرسل اليهم والذين عاصروه • بل والذين تصادف وجودهم وقت وقوع المعجزة •

أما الاسلام فمعجزته القرآن • كتاب لا يأتى عليه الزمان ويأتى هو على الزمان • باقيا خالدا دائما تتلقاه الأجيال كما أنزل لا يختلف فى حرف من حروفه عن يوم أوحى به الى خاتم الأنبياء الى يوم أن تقوم الساعة •

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » سورة الاسراء - ١٠٥ تعاليت يا سبحانه • هذه الدقة فى التعبير لم تعرفها اللغة فى كل ما كان من كلام قبل الكتاب • وفى كل ما تبعه من ألوان القول •

وهذه التفرقة الدقيقة فى آيته الكريمة لم تعرفها اللغة الا فى القرآن الكريم . فـالله سبحانه وتعالى يعلن البشرية أنه أنزل كلامه بالحق ولا يكتفى بهذا بل يعلنهم جل وعلا أنه بالحق نزل .

فهو حق فى بداية رحلته وهو حق حين انتهت رحلته ليصبح بلاغا الى العالمين . فـيا أيها الناس اعلّموا منذ نزل القرآن الى ان يرث الله الأرض وما عليها أن هذا القرآن صدر عن الحق وأصبح بلاغا لكم بالحق لا يستطيع باطل أن يتغشى حرفا منه بظل مهما يكن هينا .

وهو سبحانه يضمن للعالمين انه هو المسئول عن ذكره . فيقول سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » صدق الله العظيم سورة الحجر آية ٩ وقد فعل سبحانه وبقي الكتاب وهو باق الى الأبد الأبد .

فالذى يقول : (لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) يشهد بهاتين الشهادتين أن الله أرسل سيدنا محمدا بكتابه العزيز وأن الكتاب أنزله الله بالحق وأنه بالحق نزل .

وليس فى الأمر اجتهاد اذن . ومادمت شهدت الشهادتين فأنت اذن تشهد أن القرآن من عند الله .

وأنت ملزم أن تؤمن بكل ما جاء فى هذا الكتاب . ومادام كتاب الله فانت لا تستطيع أن تقبل منه ما تقبل وترفض منه ما ترفض فهو ليس كلام بشر مثلك . وانما هو كلام الله الذى هو الله فاذا كان الامر كذلك وانه لكذلك . فكيف يستقيم فى الأذهان ان يكون هناك شيعى مسلم .

ولست أريد أن أدخل فى جدل عريض حول أصل النظرية الشيعية من ماركس الى من تبعه بالحاد الى آخر شيعى وانما أريد أن أناقش مالاشك فيه .

فالنظرية الشيعية ترفض الملكية التى تعود بمال على صاحبها .

وترفض النظرية الشيعية فكرة الميراث جملة وتفصيلا .

واسأل هؤلاء الشيوعيين كيف يستقيم هذا مع ما جاء فى القرآن فهل تراهم يجيبون .

لن يجدى هنا قول القائل منهم أنه مسلم وأنه يقيم الصلاة في مواقيتها وأنه حج بيت الله الحرام فكل هذا لن يغنيه عن الإجابة شيئاً .

فهو مادام مسلماً فلا بد أنه يعرف أن هناك سورة اسمها سورة النساء ومادام يعرفها فلا شك أنه يعرف تفاصيل المواريث التي أوردها الله سبحانه في هذه السورة . وفي تفاصيل لم يذكرها سبحانه وتعالى عن الصلاة وهي الصلاة . فالقرآن لم يذكر عدد الركعات في كل صلاة ولم يذكر سبحانه كيفية الصلاة من ركوع وسجود ولست أريد بذلك أن أقول أن المواريث أهم – أعوذ بالله سبحانه أن أقصد إلى شيء من هذا – وإنما أردت فقط أن أشير إلى مقدار الأهمية التي شتمل الله بها فكرة الميراث في قرآنه الكريم .

فكيف يريد الشيوعيون أن يحرموا الميراث والملكية ويظلوا بعد ذلك مسلمين . . . هيهات .

لقد كان ماركس أكثر صراحة ، أم الأجدر بي أن أقول – أنه كان أكثر وقاحة منهم . فقد علم يوم انشأ نظريته أنها ستتعارض مع جميع الأديان فالغى الأديان جميعاً واستراح وأتعب البشر من بعده .

فاذا نظرنا إلى تطبيق النظرية في البلاد الشيوعية وجدنا الكنائس أصبحت متاحف . ووجدنا الدول الشيوعية تمنع غير الملحدين أن يدخلوا الحزب الشيوعي . وويل وأى ويل، لانسان في البلاد الشيوعية لا يكون عضواً في الحزب الشيوعي .

إن الشيوعية حرب على الأديان جميعاً بنص النظرية وإذا كان المشرعون للنظرية الشيوعية في موسكو يجيزون لأتباعهم أن يدعوا التدين ليجتذبوا الناس إلى نظريتهم فإن الاسلام وجميع الأديان لا تتيح لاتباعها أن يختاروا من الدين ما يحلو لهم فيعتنقوه وينصرفوا عما لا يروق لهم وينبذوه .

إن الدين كل متكامل لا يجوز لأحد من البشر أن يختار منه ويرفض .

وإذا كان الأوامر قد صدرت للشيوعيين في الدول الاسلامية أن يدعوا الاسلام كفترة يسمونها مرحلية . فإن الاسلام والمسلمين يعلمون المؤمن والكافرين ويستطيعون في يسر وفي منطق لا يقبل الجدل أن

يعرفوا المسلمين أسلما يثبتون به الحادهم والمؤمنين الذين يعرفون ماذا
يعنى قولهم : « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ومن عجب قولهم فى ميدان الالحاد ان أصل العالم مادة ثم هم
يفصلون نظريتهم فى الخلق تفصيلا جريئا لا متيل لجرائته . وهم بهذه
النظرية يريدون أن يقولوا انهم يرفضون فكرة الايمان بالغيب وانهم
لا يؤمنون بغير العلم .

فاذا هم - ودون أن يشعروا - يقيمون نظرية تقوم كلها على الغيب
لا يؤيدها أى دليل علمى أو روحى . فالأمر الذى لا شك فيه أن ماركس
لم يكن شاهدا على بدء الخليقة كما لم يكن انجلز أو لينين حاضرين .
فكيف اذن استقامت النظرية بين أيديهم ويطلقون عليها اسم النظرية
المادية ويطمثنون الى ذلك ويستريحون .

بينما نصدق نحن المؤمنين ما جاء فى القرآن عن بدء الخليقة فى
منطق منسجم مع طبيعة ايماننا كل الانسجام . فالذى عرف سر الروح فى
الانسان أرسل الينا كتابا هو معجزة الدهور وفى هذا الكتاب ذكر كيف
نشأ الخلق . ومادمتنا لم نعرف سر أرواحنا فتحتم علينا أن نصدق كل
ما يقول .

ويصبح القرآن الكريم فى خلق الله أجمعين « وفى أنفسكم
أفلا تبصرون » سبحانه ما أعظمك ولكن الملحدين لا يبصرون ولا يريدون أن
يبصروا . فعلى القلوب أبقالها وهم يستمدون الحادهم من جيوبهم ومن
أربابهم ثم هم يزدادون جراءة على الحق ويدعون انهم مؤمنون .

وماداموا قد فقدوا الايمان بربهم فلا عجب ان يفقدوا الايمان بوطنهم
وهامهم أولاء يشعلون الفتن فى كل يوم ويلقحونها بالسخيمة والاحقاد
والضغائن ويستجيب لهم فتية أبرياء لا يدرون أنهم جعلوا منهم الوقود
ليحرقوا به أمن الوطن .

وليس لكافر ميثاق ولا عهد . وهؤلاء الشيوعيون يعلمون أن نباتهم
لا ينمو الا فى الأرض المحترقة وفى انقراض الأوطان وهامهم أولاء يحاونون
ان يحرقوا بلادنا ويهدموا أركانها .

ولكن هيهات أن الشعب لهم بالمرصاد ومن فوقه العزيز ذو القوة
المتين . وما خاب من كان الله ظله وعونه وملاذه وملجأه .

ويصل الى خطاب من الصبيحه يسألنى لماذا أكتب عن الشيوعيين وهو
لا يعرف عنهم شيئا . هنيئا لك أنك تجهل أمرهم فقد أكرمك الله بهذا
الجهل كل الاكرام . ولكننى يا أخى لا أعرف ماهو الموضوع الذى تعرفه
أنت حتى أكتب فيه أنا . ومادام الأمر كذلك فأقرأ أنت عما لاتعرفه فان
هذا هو خير لك ولى من أن أكتب أنا عما أجهله أنا وتعرفه أنت ألا ترى
ذلك ؟ .

١٥/١/١٩٨٦ م الأهرام

حين تتحطم الحقيقة

كانت دعوة جمعت الكثيرين من أصحاب الراى وبدانا نتجمع وكان من أوائل الذين جاءوا صديق صاحب نظرة وعمق وما هى الا أن اجتمع بعض المدعوين حتى بدأ الحديث • وراح الصديق صاحب النظرة العميقة يقول وقال كثيرا •

الشيوعيون يسيطرون على وجه الاعلام المصرى وليس الأمر مجرد ظهورهم بعنف وإصرار وليس هو مجرد الحاح شيوعى على شعب يكره الشيوعيين وانما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا • ان الاعلام هو واجهة مصر كلها • وواجهة مصر هو اقتصادها • ويحدثنا العاملون فى السفارات الأجنبية أنهم يتابعون كل ما يقوله الاعلام المصرى فى شتى المناحي • وهم لا يكتفون بالأخبار ولذلك فهم يهشون لماذا يتجه الاعلام هذا الاتجاه الشيوعى • الأدب الآن شيوعى ومسيطر والفن شيوعى ومسيطر وهذه أشياء لها دلالات خطيرة وخاصة على الاقتصاد وعلى الشباب الذى لم يختبر بعد طريقه وهذا الشباب يريد أن ينشر وسيضطر أن يتلون بالشيوعية ليجد أمامه المجال مفتوحا للنشر •

ولم نجد بدا أن نوافق القائل فى كل ما قال • فجميع الحاضرين كانوا يشعرون بأن الذى يقوله هو الحقيقة الكاملة •

ويعود الى الحديث :

وهكذا حين اطمأن الشيوعيون الى مكانتهم فى الاعلام المصرى تفشوا فى الجامعات تفشيا لم يتمتعوا به فى حياتهم كلها ولا أظنهم يتمتعون به فى أى دولة من دول العالم • وما هم أولاء يتاجرون بمصر ويستغلون الأحداث الفردية التى لا تحمل أى مدلول ليقيموا الأبطال من غير الأبطال ليجعلوا أنصارهم يحركون الاضطرابات كل يوم ويذيع زملاؤهم من العملاء فى المحطات الأجنبية الأكاذيب ويهولون من شأن التمركات الطلابية ويجعلون منها ثورات شعبية • وهذه التصرفات كلها متصلة الحلقات فيؤيدهم فيها أعداء الحكم والطامعون فيه والحاصلون على الأموال من الدول

التي تكن لمصر الديمقراطية كل عداة تلك الدول التي تنفق في سبيل
اثارة القلاقل في مصر الاموال المجنونة في انهيار لا ينقطع سيله ويحاول
هواة البطولات الزائفه أن يركبوا الموجه ويبلغوا من هواياتهم البطولية
ما يتيح لهم المتطرفون من الملحدين وغير الملحدين . وليس يعنيهم أن
الناس منهم يسخرون وهم يجعلون أنفسهم أشبه بالقراقورات ويبتعدون
يتصرفاتهم الرعناء السخيفة عن ساحة السياسة المحترفين وهكذا ترون أن
كل هذه الأمور لم تأت عفوا وإنما هي مؤامرات حبكت عقدتها بأيدي متمرسه
على حبك المؤامرات . وهل هناك أكثر تمرسا من المتطرفين ملحدين وغير
ملحدين في حبك المؤامرات . ولا يستطيع أحد منا أن يناقش ما يقول
صديقنا فجميعنا يرى أن ما يقول صدق لا شك فيه وحق لا يحتمل
النقاش . ويعود الى القول ويزداد الأمر سوءا حين نجد من يتمدح بأيام
الطفيان والاعتداء على الاعراض والأنفس والاموال بل ان بعضهم يهدد من
يحاول أن ينتقص من عظمة هذه الأيام وجلالها ويقول في وقاحة لم نر لها
مثيلا في العالم . . كان الاعتداء على الاعراض وعلى الأنفس وعلى الاموال
قد وقع على كل فرد في مصر . وهو يعلم انه مادام قد وقع على فرد واحد
فكأنما وقع على مصر جميعها . . وأذكر أنني قرأت كتابا لكاتب فرنسي
يقدس نابليون بونابرت ويعجب به في كل ما صنعه ولكنه حين يصل الى
الحرية يقول ان بونابرت كان طاغية الى درجة أن عدد الصحفيين الذين
اعتقلوا في عهده كان أربعين صحفيا . وأذكر أن الكاهن الأكبر لعهد
الطغيان في مصر دافع عن عهده في جريدة الاهالي قائلا ما معناه . . ما هذه
الضجة الكبرى التي يضجونها عن المعتقلين ان كل الذين كانوا في السجون
عند وفاة الرئيس الأسبق لم يتجاوزوا الأربعة عشر ألف سجين . ويأتي
الكاتب الآخر المدافع عن أيام الطغيان فيرى أنه مادام الاعتداء على الاعراض
والأنفس والاموال لم يقع على كل فرد في مصر فهو مقبول مباح لاعيب فيه
ولا ضرر منه وهو بعد ذلك يهدد وماله لا يفعل وهو ربيب عهد القهر
والتهديد .

ويصمت الجميع ولا يجنون شيئا يجيبون به الا الأسى والحزن ويعود
الصديق الى الكلام ويزيد الأمر سوءا أن الأحكام حين تصدر لا تنفذ من
فورها فيحسب المجرمون أنهم يستطيعون أن يتمادوا في غيهم ويمرحوا
ما شاء لهم اجرامهم . ونسمع عن لصوص سرقوا المال العام وتتطاول
السنوات قبل أن نسمع خبرا عن مواجهتهم ثم نجدهم يتحصنون بشتى
حيل ومختلف حصون حتى يؤجلوا مواجهة القضاء . والقضاء نفسه بطيء
ولعله الجهة الوحيدة المعذورة في هذا البطء فالعاملون في السلطة القضائية
عددهم أقل بكثير مما يعرض عليهم ولكن هذا البطء يجعل الشعب

ينملل ولا يستطيع أحد أن يلومه إذا ظن أن العقاب لا يقع على من يستحق في الموعد المعقول ، والأدهى من ذلك أن هذا التراخي في مواجهة اللصوص يشجع الآخرين على قبول الرشوة حتى أصبح الأمر ظاهرة عامة الاستثناء فيها يدعو إلى الاجلال والاكبار وغاية الاحترام . وقد كان ينبغي أن يكون الأمر عكس ذلك فتكون الأمانة هي الأصل والرشوة هي الاستثناء . وأنتم تعرفون كم يؤثر هذا على سمعة مصر عند المستثمرين كما تعرفون أن الاستثمار يعتبر هو العماد الأول في آمالنا الاقتصادية اليوم . ونوافق ويستطرد الصديق فإذا نظرنا إلى الصحف المعارضة نجدها تذكر وقائع بذاتها الإجابة عليها إذا لم تكن حقيقية غاية في البساطة واليسر . ولكن لا نقرأ تكذيباً فإذا نشر يستخفى في خجل وكأنه هو الأكذوبة . ترى ألم يصبح شرف الذمة أمراً ذا أهمية وأصبح الحفاظ على نقاء السمعة أمراً لا يستحق أي عناء ؟ فإن لم يكن الأمر كذلك - وكم أرجو ألا يكون - فمالنا لا نقرأ إلا تكذيبات نادرة وتظل اتهامات فادحة تصيب كرامة كبار الموظفين في مقتل دون أي تكذيب .

وقبل أن يتم الصديق حديثه فقد كان يبدو أنه يحمل في جعبته أكثر كثيراً مما أفضى به . أقبل أحد الوزراء كان مدعوا إلى مكاننا هذا وجاء متأخراً كعادة الوزراء . كان الله في عونهم فهم يشهدون من المناسبات ما تنوء به العصابة ذات العدد .

ولم يكمل الصديق الحديث بطبيعة الحال وانتقل الكلام إلى موضوعات أخرى ووجدت الصديق يقول حديثاً غير الذي كان يقول . ولم أعجب فمن الطبيعي في دعوة اجتماعية وليست سياسية ألا نحاول أن نسيء إلى أحد من الملغوين . فهم إنما جاءوا جميعهم لينسبوا أعمالهم ويروخوا عن أنفسهم فليس عجيباً أن يحاول الجالسون جميعاً أن يختاروا من الأحاديث ما لا يثير جدلاً . وتفرق الحديث بددا وأخذ كل منا بطرف وبعد أن كنا جميعاً أذناً واحدة نسمع ما يقول الصديق أصبحنا أذناً وألسنة وتناسينا مآسينا العامة والخاصة وسمرنا وانصرف كل منا إلى شأنه .

صدقنا هذا ليس كاتباً وليس صحفياً ولكنه يكتب في الصحف من حين إلى آخر مقالات يشارك بها في الرأي العام . قرأت مقالا نشره بعد اجتماعنا هذا .

ما أعجب ما قرأت له !!

انه يقول فى مقاله أشياء تتناقض كل المناقضة مع كل الذى قاله
لنا فى أمسينا تلك • أنه يخاف الشيوعيين والمتطرفين وينافقهم وبالقطع
هو لا يخاف الحكومة فالحكومة اليوم أصبحت لا تخيف أحدا • ويل لنا من
أنفسنا اذن •

إذا كان الفلاسفة قالوا الحقيقة لابد أن تكون واحدة وإذا كانت
الحقيقة اليوم قد أصابها قنبلة النفاق فأصبحت جذافات وقطعا صغيرة
متناثرة على شتى أفواه وفى كل جهات العالم • وإذا كانت الحقيقة اليوم
عاجزة أن تكون واحدة فى مفهومها العام •

• فلا بد • • لابد • • لابد أن تظل الحقيقة واحدة وبالنسبة للشخص
الواحد كيف تكون الحقيقة شتى حقائق بالنسبة للشخص الواحد وكيف
يستطيع شخص واحد أن يعد حقيقة لحديث الأصديق وحقيقة أخرى
لحديث المسئولين وحقيقة ثالثة للنشر فى الصحف وعلى الناس •

أين الحقيقة يا أخى فيما تقول جميعا •

وإذا كان أصحاب الرأى لا يحافظون على الحقيقة الواحدة فمن
يحافظ •

تولانى حزن شديد وأنا أقرأ مقال الصديق فانا لا أتصور أن
شخصا له علمه يصنع بنفسه هذا الذى صنعه •

ماذا هو قائل إذا التقى بى أو بأحد الذين شهدوه وهو يقول آراءه
الصريحة الصادقة فى ليلتنا تلك •

أغلب الأمر أن أمثال هؤلاء يعتمدون على حياء الآخرين فانا لا أستطيع
أن أقول له مواجهة أيها الصديق أنت منافق • ولكننى لا شك أستطيع
أن أنقل أمره الى الناس جميعا وأحتفظ باسمه لا أذيعه فى هذه المرة ولكننى
أشفع الحديث بتهديد لا تأمن أيها المنافق أن أذيع اسمك إذا تكررت منك
ما رأيت • فان أصحاب الأقلام مسئولون أن يقدموا الحقيقة كل الحقيقة
ولا شيء غير الحقيقة الى قرائهم وإلى التاريخ فى وقت معا •

١٢/١٣/١٩٨٦ م الأهرام

سيدة اللغات

أى حرب طاحنة تلقاها اللغة العربية من الشيوعيين الملحدين
والمغرضين الكافرين وليست اللغة العربية هدفا فى ذاتها وانما يتقصّدونها
يسهامهم لأنها لغة القرآن الكريم .

والحرب ليست بنته اليوم . . ولكنها قديمة قدم الكفر والأغراض
الحبيثة الحبيثة وقد خيل اليهم أن نجحوا يوم ألغوا جامعة الأزهر
القديمة . ولم يصبح حفظ القرآن شرطا للانتساب الى ساحة الأزهر
الشريف ولا الى حصن دار العلوم العتيد الشامخ .

وتحطمت اللغة على شفاة الاساتذة وانسحقت على شفاة التلاميذ
وشب جيل لا يعرف اللغة العربية . وزاط الأعداء وتهللوا وحسبوا أنهم
نالوا ما كانوا اليه يطمحون .

وما هى الا دورة زمن وما أسرع ما يستدير الزمن - حتى تبينوا أن
اللغة على السنة الشباب تهشمت ولكن الدين الاسلامى يزداد فى نفوس
الشباب رسوخا وثبوتا وتأصيلا .

وتطيش منهم السهام ويتولاهم الهوس يتخبطون فى حربهم كمن
يتخبط من به من الشيطان مس .

ويعود الأزهر الى الأزهر . وتملا ربوع مصر المعاهد الدينية تكاد
تغطى قراها جميعا . وتعود اللغة العربية الى الشفاة وما هى الا دورة زمن
أخرى نرى ملامحها منذ اليوم حتى يستقيم اللسان العربى كما كان
مستقيما .

ويرى الشيوعيون الملحدون والمغرضون مراض القلوب مطالع الصباح
فيهيج هائجهم ويقول قائلهم ان اللغة العربية ما هى الا صدئ وتمر أيام
ولا نقرأ تعليقا على ما قال الرجل المهلوس .

وأعجب ويتملكنى الأسى والحزن والأسف • أهانت لغتنا على أصحابها
كل هذا الهوان • أن الأمم العريفة كلها تعتز بلغتها اعتزازها بشرفها •
فكيف إذا كانت لغتنا هي لسان كتابنا الخالد • الكتاب السماوى الوحيد
الذى بقى بلغته منذ نزل حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض وما عليها
ويقول سبحانه فى الآية ١٠٣ من سورة النحل •

« ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحنون إليه.
أعجمى وهذا لسان عربى مبين » •

ويقول جل شأنه فى الآيات ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ من سورة
الشعراء « وانه لتنزيل رب العالمين » • نزل به الروح الأمين • على قلبك
لتكون من المنذرين • بلسان عربى مبين » •

ويقول تقدست كلماته فى الآية ٩٧ من سورة مريم •

« فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتندر به قوما لذا » •

ويقول تباركت آياته فى الآية ٥٨ من سورة الدخان •

« فإنما يسرناه بلسانك أعلمهم يتذكرون » •

فإذا كان اللسان العربى صدى • فما الصوت • وإن كان ظلا
فما الأصل • ولماذا يحاول هؤلاء المغرضون فى حق وإصرار أن يكونوا
قوما لذا يصبون على الدين كراهيتهم سما ناقعا •

أيحسبون أننا يخفى علينا ما يسعون إليه من محاولة تحطيم اللغة
العربية • وهل يتصورون أنهم سيبلغون الأمل الذى يصوره لهم جهلهم
من تحطيم الدين فى نفوسنا إذا حطموا لغة هذا الدين وصوته الأصل
وصوت الآباء والأجداد على مدى آلاف السنين •

لقد حاولوا أن يهاجموا علماء الدين والمصاييح الهداة من شيوخ
العقيدة فانهالت عليهم الأقلام فعاثوا طريقهم الى محاولة تحطيم اللغة
العربية قائلين انها صدى • وعجزوا أن يقولوا لأى صوت كانت لغتنا
العربية هى الصدى •

أريدون أن يقولوا انها صدى التراث الذى بسمونه رجعية وسلفية
وتحجرا •

أو ليس لكل أمة تراثها في لغتها • أو ليس للفرنسيين وللانجليز
والألمان والإيطاليين واليونانيين تراث لغوي •

أهذه اللغات جميعها أصل • ولغتنا نحن التي هي لغة كتابنا هي
الصدى بثس ما يدعون •

لماذا نكرمهم ويستخفون أمرنا • ولماذا نقدر حريتهم ولا يقدرسون
عقيدتنا • وهم الملحدون ونحن المؤمنون • ونحن الأصل وهم الاستثناء
ونحن الأكثرية الكاثرة وهم الأفراد القلة • إما يستحون ؟ •

وكيف لهم ان يستحوا وهم الكافرون عقيلة وخلقا وقولا وقلما •

ويتصدرون وسائل أعلامنا الرسمية ويتجهجون بهذا الكفر وهذا
التجديف ولا يحدون من يردهم واننا نربأ بأنفسنا ان نقول : من يمنعهم •
فالحرية هي أساس ديننا فديننا الواثق من عظمة تعاليمه يرفض في كبرياء
أن يرغم أحدا على الايمان به هكذا نزل بالحق وهكذا دعا اليه نبيه
- صلى الله عليه وسلم - وهكذا سيظل الى قيام الساعة •

فالحرية في ديننا أصل • ولهذا نحترم حريتهم ولكن عليكم أنتم أيضا
أن تحترموا حريتنا • وعليكم لو كنتم على شيء ضئيل من الحياة ان تراعوا
مقدساتنا ولا تمسوا عقيدتنا بسممكم الناقع •

اللغة العربية هي لغة القرآن : كتاب المسلمين في مشارق الأرض
ومغاربها • وهي اللغة الوحيدة بين لغات العالم اليوم التي بقي كتابها
بلسانها لم يتغير منه شيء أليس من الطبيعي أن تكون هذه اللغة هي
أعظم اللغات قاطبة • فأى لغة في العالم الذي يعيش اليوم يقرأ بها كتاب
الهي الا لغتنا نحن •

أهذه اللغة صدى فما الصوت أذن ؟!

وبعد فماذا نحن صانعون بتراثنا جميعا ؟ من قبل الاسلام حتى
اليوم • وهل تراث الادب العربي جميعا الا اللغة العربية ، ترى أريدنا
الملحدون أن نلقى بهذا التراث في البحر ونتلقى عنهم لغتنا وأدبنا • لغة
جديدة وأدبا مستحدثا •

ويل لهم بماذا يهرفون •

ان لم يكن للأمة تراث فليس لها حاضر • ولا ينبت جديد من معدوم •
ولكل فرع أصول • فإذا قطعت الأصول قطعت الفروع جميعا •

ان التاريخ العربى مرتبط بالتراث الأدبى كل الارتباط • وقد كان
الشعر العربى هو المؤرخ لدل أحداث العرب • ومن هذا الشعر العربى ومن
النثر العربى نكون تراثنا جميعا • فهل يكون هذا التراث جميعا صدى •

• اننا اليوم نزل بالبلاد العربية فإذا تحدثوا أمامنا بلغتهم الدارجة
أصبح الكلام بالنسبة إلنا غريبا لا نكاد نفهم منه حرفا حتى اذا نطقوا
باللسان العربى استقام حديثهم ودهمنا ما يريدون •

ربما كانت لغتنا الدارجة مفهومة فى البلاد العربية بفضل الفنون
المختلفة التى تصدر من مصر الى العالم العربى • ولكن اللغة تفاهم بين
طرفين • فان يفهم الطرف الآخر عنا فلا بد لنا نحن أيضا أن نفهم عنه •
فإذا لم يكن التفاهم بيننا باللغة العربية التى يقول عنها الكافرون صدى
فبأى لغة يكون •

يا أيها الذى قال هذا • لقد عدوت فى قولك على لغة القرآن وعدوت
فى قولك على لغة التراث • وعدوت فى قولك على لغة الأدب العربى الحديث
فلن يكون الأدب أدبا أو يكتب باللسان العربى وعدوت فى قولك على لغة
التفاهم بين العرب أجمعين •

وبعد مرة أخرى فأى لغة تختارها ليكتب بها الأديب العربى أو الشاعر
العربى • اذا كتب المصرى لغته الدارجة فان أحدا لن يستطيع ان يفهم
ما يكتب حتى أبناء مصر • لأنهم تعلموا القراءة بالعربية الأصيلة وليس
باللغة الدارجة وإذا كان المصرى لن يفهم فما ظنك بأبناء العربية من الدول
الأخسرى •

والى أين ينتهى بنا الأمر اذا كتب كل عربى بلغته الدارجة •• انهم
حينئذ سيصبحون كالطيور العجماء تقول ولا يفهم أحد عنها شيئا بل
سيكون شرا مصيرا وأسوأ حالا ؛ لأن الطيور تفهم عن بعضها البعض
أما الانسان العربى فلن يفهم أحد عنه شيئا حتى أبناء وطنه • لأنهم جميعا
تعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية لا بالدارجة • وبهذه اللغة تكتب
صحفهم وبها تقرأ نشرات أخبارهم فى الاذاعة والتلفزيون •

ما أحسب أيها الكافرون إلا أنكم تهرفون بما لا تفهمون وكبر مقتا أن
تقولوا ما لا تفهمون • فاحذروا أنفسكم فهي حين تجهل يبدأ جهلها عليكم
وتصبح لكم شر عدو •

أما نحن المؤمنين فديننا يزداد مع الأيام قوة ومنعة وانتشارا ولغتنا
ستظل الى ما بعد الزمان سيده اللغات وإن رغمت منكم كل الأنوف •

١٩/١/١٩٨٦ م الأهرام

وجهان لعملة واحدة

كنت أحسب أن الكتابة في موضوع ينبغي ألا تزيد عن مرة واحدة أو مرتين على أكثر تقدير . وكنت أحسب أن المهتمين بالحياة العامة يتابعون عن كثب ما يكتبه الكتاب . ولكن يبدو أنني كنت ساذجا في حسابي هذا غاية السذاجة والدليل على ذلك أنني كتبت مرة عن الصلة بالأدب والسياسة . فلم تكف ووجدت من يجادلني في هذا الشأن فكتبت ثانية . فلم ينته الجدل . فكتبت ثالثة واعتقدت أنني وفيت الموضوع حقه في جميع أبعاده وأني لن أجد من يناقش هذا الأمر مرة أخرى معي على الأقل .

ولكن خذلتنى الحقيقة وتبينت أنني كنت فيما أظنه واحدا . فقد فاجأني استاذ فاضل من أكثر الناس صلة بالحياة العامة بل هو من العاملين في غمارها بل لا عمل له الا هذه الحياة العامة فهو كاتب متمكن وصحفي ذو مكانة . وأنا من المعجبين بما يكتبه ومن المعجبين به صديقا وإنسانا وصحفيا .

فاجأني الصديق برأى له عن الصفحة التي أشرف بالقيام بأمرها في الأهرام . فهو يقول انك تكتب في هذه الصفحة السياسة . بينما القراء ينتظرون أن يقرأوا فيها أدبا . ومساحة السياسة في الأهرام ضخمة بينما الأدب ليس له الا نصيب قليل وصفحتك تمثل جانبا ضيحا من هذا النصيب . فاذا كتبت مقالاتك في السياسة أسهمت في إضعاف هذا النصيب .

وناقشت الصديق ثم رأيت أن حجتي ينبغي لها أن تكون للناس كافة وليس للصديق وحده .

وبادئ ذي بدء أنا لست أستاذ جامعا أكتب في الأدب الخالص فان أحدا لا ينتظر مني أن أكتب فصلا في خصائص الشعر الجاهلي أو أكتب مقارنة بين الأدب في العصر العباسي الأول وبين الأدب في العصر الحديث .

كما أن أحدا لا ينتظر مني - وأنا الروائي والقصاص - أن أكتب فصلا في نقد رواية أو مجموعة قصصية وحين أفعل ذلك أدخل في ميدان

ليس لى لأن النقد حين أكتبه أفعل ذلك عن تذوق شخصى وليس على المبادئ الأكاديمية . فانا نفسى كاتب رواية وقصة ومن الطبيعى أن أكون من بين المتعرضين لنقد النقد وليس من المفروض أن أكون أنا نفسى ناقدًا .

والواقع ان المقالات النقدية القليلة التى أكتبها هى على سبيل التنويه وليست على سبيل النقد المنهجى المتخصص . فلهذا النوع من النقد أساتذته المهيئون له بثقافتهم ودراستهم وطريقهم الذى اختاروه فى الحياة .

وإذا كان بعضهم يميل مع الهوى ومع الصداقات ومع المذاهب الأيدولوجية التى يعتنقها فهذا لا ينفى أن للنقد أهله . وإذا كان أغلبهم لا يقوم بواجبه من متابعة الأعمال الأدبية التى تظهر فى حياتنا فهذا أيضا لا ينفى أن للنقد كتابه .

ومن المؤكد الذى لا شك فيه أننى لست من بينهم .

والآن أعود الى صديقى الذى دهمنى برأيه . أى نوع من الأدب الخالص تريدنى أن أكتب ؟

أنا أعرف ..

الذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ولا ينبغى لى غيره أن أكتب رواية .

وأحسب يا صديقى أننى لا أتكاسل عن هذا ما أسعفتنى الفكرة فالرواية ليست بحثاً وإنما هى فكرة تطرق ذهن الكاتب ويظل بها وتظل حتى يرى أنها تصلح ان تكون رواية فيكتبها .

والذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ان أكتب قصة قصيرة أو صورة قلمية .

وأحسب يا صديقى أننى أفعل ذلك ما وافتنى فكرة القصة أو الصورة القلمية . ولكن الأمر ليس يسيراً . وأنا فى هذا الشأن لست مطلق الارادة . انما أنا أتلقى الفكرة وحياً ، فإن لم تأت فهيهات لى ان أكتب افتحالا أو تعسفا .

ولكن الأمر يا صديقى أخطر من هذا وأجل شأنًا كيف استطعت وأنت تعمل فى الصحافة وفى الأدب أنه تضاع هذه التفرقة بين الأدب والسياسة ؟

ان الأدب اذا انفصل عن السياسة أصبح أدبا ميتا غير جدير بالوجود بله بالبقاء •

الأديب شاهد على عصره • والأديب أديب بأسلوبه فى كل موضوع يتناوله •

والأديب حين يكتب الرواية سياسى • وهو سياسى حين يكتب القصة • بل ان الأديب الناقد سياسى أيضا لأنه حين ينقد الرواية ينقدها فى ظل الحياة الاجتماعية التى تصورها • والحياة الاجتماعية سياسة •

السياسة هى كل الحياة التى نعيشها • والأديب فى كل باب من أبواب الأدب يكتب هذه الحياة ويترجمها الى الناس الى الذين يعيشونه والى الأجيال القادمة جميعا •

وعميد الأدب العربى كتب مقالات سياسية صريحة ثم هو سياسى حين كتب أحلام شهرزاد والمغذبون فى الأرض وشجرة البؤس والأيام ودعاء الكروان وأوديب •

وهيكل باشا من الزعماء السياسيين وصل الى الزعامة السياسية بأدبه وحده وهو أديب سياسى حين كتب كتبه الاسلامية وأديب سياسى حين كتب روايته • ان رسم المجتمع سياسة • وآمال الأديب فى الحياة سياسة •

والعقاد ما رأيك فى أدبه السياسى ألا يكفيك اسم العقاد مثالا رائعا على اندماج الأدب بالسياسة • فعبقرياته أدب سياسى ومقالاته الصريحة فى السياسة أدب سياسى وكتبه فى البحث أدب سياسى • ولا يستطيع الأدب • الا أن يكون سياسة أو هو غير كائن •

وتوفيق الحكيم أديب سياسى منذ كتب أهل الكهف حتى يومنا هذا • وقد كانت له فى أخبار اليوم مقالات سياسية أسبوعية • ورواياته كلها سياسة منها الصريح الذى لا شك فيه مثل 'شجرة الحكم والسلطان الحائر وايزيس ومنها ما تتوارى فيه السياسة خلف الرمز مثل بنك القلق والورطة والصفقة وكل رواياته لا استثنى عنها شيئا فمشرح المجتمع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع والمسرح المنسوع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع •

وإذا تركنا هذا الجيل الى الجيل التالى له •

اليست روايات نجيب محفوظ كلها سياسة • فماذا تكون اذن •
ان منها الصريح مثل ميرامار والثروة والحب فوق الهضبة وأمام العرش
ومنها غير الصريح وكلها تتناول المجتمع الذى هو السياسة •

ان مجال السياسة هو المجتمع ومجال الأدب هو المجتمع فلا يمكن أن
يكون بينهما انفصال باى حال من الأحوال •

ان ما يكتبه عبد الرحمن الشرقاوى فى الأدب التاريخى سياسة وكل
مسرحياته سياسة فليس عجيبا أن يكون مقاله الاسبوعى فى الأهرام
سياسة أدبية •

هو سياسة أدبية وأدب سياسى فى وقت معا • ان الأسلوب الذى
يكتب به الأدباء فى السياسة لا يتأتى الا لأدباء • وهذا هو الأدب السياسى •

وأرجع معك الى شوقى اليست رواياته سياسية • وعزير أباطة اليست
رواياته سياسية •

واستعرض معى بعض ديوان شوقى انه تاريخ مصر فى عهده قدمه
الى الأجيال شعرا •

اقرأ معى لشوقى :

أم المالكين بنى أمون	ليهنك أنهم نزعوا أمونا
ولدت له المأمين الدواهي	ولم تلدى له قط الأمينا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل	وحين الناس جد مضللينا
مشت بمنارهم فى الأرض روما	ومن أنوارهم قبست أثينا

واقرا معى لشوقى فى وداع كرومر :

أيامكم أم عهد اسماعيل أم أنت فرعون يسوس النила

أم حاكم فى أرض مصر بأمره لا سائلا أبدا ولا مستثولا
يا مالكا رق الرقاب ببأسه هلا اتخذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت فكانك الداء العياء رجلا

وبعد فماذا أنت قائل ؟ هذه المقالة التى قرأتها الآن أليست أدبا ؟
إنها أدب ولكنها أيضا سياسة • أنهما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان •

١٩٨٦/١/٢٦ م الأهرام

كتاب السادات

انتهيت وشيكا من قراءة كتاب السادات الاسطورة للأستاذ موسى صبرى ولا شك ان تأخرت في الانتهاء من قراءة الكتاب وقد كان ذلك لاني أقرؤه في امعان شديد وهو في نفس الوقت كتاب ضخم تستغرق قراءته الكثير من الوقت ولكن المتعة التي تصاحب القارئ في رحلته الطويلة تجعله يستعذب جهد القراءة .

فالسادات علامة من أهم علامات جيلنا . وأثره ليس مقصورا على مصر وحدها وإنما هو اتسع فشمل العالم أجمع .

فان هذا الأسطورة المسماة أنور السادات استطاعت أن تبهر العالم أجمع . حتى لأذكر اننى كنت فى باريس وركبت مع زوجتى سيارة أجرة وكان ذلك عقب ان عبر السادات التاريخ الى القدس . وسمعتى سائق السيارة أكلم زوجتى بلغة لم يفهما فقال .

— من أى البلاد ؟

قلت :

— من مصر

قال :

— ان لكم زعيما عظيما أتحبونه فى مصر أم لا ؟

قلت :

— بل نحبه كل الحب !

قال :

— اننا لم نحب زعيما من خارج بلادنا مثل حبنا لديدجول
كما أحبنا أنور السادات •

وكم فرحت بما قاله السائق وقارنت بين هذا الذى يقوله وبين
ما كنا نسمعه قبل ذلك حين كنا نلم بباريس وخرجت من المقارنة بشعور
طاع من الاعتزاز برئيسنا أكرم الله مثواه •

ان انسانا لم يستطع أن يشغل من صفحات التاريخ الحديث
ما شغله السادات بعناوين المجد والسموق • فالعالم لم يسمع عن دولة
تنهزم هزيمة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ثم تستطيع فى مدى سنوات ست
ان تقلب هذه الهزيمة الى نصر لم يشهد التاريخ له مثيلا أيضا •

والعالم لم يشهد انسانا يواجهه وينفذ ما يعتقد أنه الصواب على
رغم كل التحديات الا أنور السادات • والعالم لم يشهد زعيما يضحي
بنفسه لينقذ وطنه ضاربا عرض الأفق بالدعايات والشعارات الجوفاء
الفارغة الا أنور السادات •

وتمر السنوات • ويتبارى الذين وجهوا اليه سبهاتهم المسنونة
لينالوا بعض مانال فيخذلهم الطريق • وهم فى غيهم بدلا من ان يعترفوا
بالخطأ الذى وقعوا فيه يزدادون عدا للرجل حتى وهو فى مثواه الأخير •

ولست أدري أى مصير كان ينتظرنا اذا نحن لم نستظل بالسلام
وكيف يتصور انسان أن عدونا كان سيسكت على الهزيمة لتكون نهاية
علاقته بمصر وهى الدولة الوحيدة التى تستطيع أن تحاربه • والعدو
يعيش فى المنطقة تحت شعار القوة وحدها • والقوة مازالت كما كانت
فى العصر الحجري هى الحقيقة التى تحكم علاقات الدول بعضها ببعض •

ولو لم تكن اسرائيل مذعورة من أمريكا الطرف الثالث من معاهدة
السلام لما خنعت ولافتعلت ألف سبب لتدخل فى حرب مع مصر •
رحم الله السادات فى عليين • أدرك — رحمة الله — هذا جميعه وأصر ان
تكون أمريكا شريكا ثالثا فى المعاهدة وبهذا الإصرار اكتسبت المعاهدة
قوتها وجبروتها استطعنا أن نعيش السلام الذى نعيشه اليوم • والجريه
التي نحياها الآن • واستطعنا ان نفرغ لأزمات جرها علينا حكم الطغيان
لمدة تقرب من عشرين عاما • وفرضتها علينا سنوات الحرب التى تواصلت
منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ •

ومع أن هذه الحقيقة ساطعة لا شك فيها نجد المغرضين والأفاكين
والجبناء والنهازين لا يتركون فرصة إلا اهتبلوها لينالوا من الزعيم
الأسطورة .

ويظهر كتاب موسى صبرى وكأنه لم يظهر ويستطيع الشيوعيون
والناصريون بما لهم من أصوات صارخة وعلى رغم قلتهم الضئيلة أن
يفرضوا الصمت أو شبه الصمت على الكتاب ولو ظهر لطفل منهم صفحة
من كتاب للمثوا الدنيا ضجيجا وعجيجا فهو الكاتب الأوحى . وهو هو
العبقرية والخلود . وهو هو المجد التليد . والفن الأصيل . والرفعة
التي لا تدانيها رفعة . والسموق الذى يعلو اليه سموق وسبحان الله
العظيم من قبل ومن بعد .

وأجد فى كتاب السادات الأسطورة شيئا ربما حلا لى أن أعلق عليه
فقد أعاد الى شخصيا ذكريات لا تنمحي من ذهني فقد جاء فى الصفحة
١٨٠ من الكتاب هذه الواقعة أرويا كما جاءت . وهذه الواقعة حدثت
فى معتقل الزيتون حيث كان المؤلف معتقلا وحيث التقى لأول مرة بالزعيم
السادات .

وذا صباح طلبنى جلال الدين الحمامصى للتحدث معه فى غرفته
ثم أغلق الباب بالمفتاح .

وقال : سأفنى اليك بسر سياسى خطير . وحذار من البوح به
للأى انسان .

قلت : خيرا

قال : هل لفت نظرك شىء فى أخبار الصحف .

قلت : لا

قال : هناك خبر هام . ان النائب ابراهيم دسوقي اباطلة (باشا)
عضو الأحرار الدستوريين قدم استجوابا للحكومة عن سوء معاملة
المعتقلين السياسيين .

قلت : وما أهمية ذلك .

قال : لقد فكرنا هنا بأن من واجبنا الوطنى أن ندعم هذا الاستجواب
قلت : وكيف ؟

قال : هذا هو السر • لقد قررنا أن يهرب عدد من المعتقلين هنا
ووقع الاختيار عليك من ضمن من تقرر هربهم •

وشرح لى جلال الحمامصى التخطيط الكامل للهرب وباب الحجرة
مقفل بالمفتاح •

ويمضى المؤلف بعد ذلك شارحا قصة الهرب من المعتقل ذلك الهرب
الذى دبره الزعيم السادات والذى نجح •

وانما أروى هذه الواقعة لأذكر ما لم يذكره المؤلف عن ذلك
الاستجواب الذى قلّمه أبى • والواقع ان المؤلف لم يكن محتاجا فى
واقعة الاستجواب الا الى هذا الجزء الذى أورده فلا لوم عليه ولا تشريب
انه لم يمض فى الواقعة الى نهايتها •

فالذى حدث أن حكومة الوفد اختارت اليوم الذى ستناقش فيه
الاستجواب المقدم من أبى لتعتقل فى ذات اليوم المرحوم مكرم عبيد
باشا • وهكذا وقف أبى على المنبر وبدلا من أن يناقش الاستجواب قال
اننا متضامنون مع مكرم باشا فى كل ما فعله ولتفعل بنا القوة الغاشمة
ماتشياء •

وجن جنون الحكومة الوفدية وفوجئنا فى بيتنا بعد منتصف الليل
بقوات ضخمة من الشرطة تحاصر البيت ثم تقنصحه وتعلن أبى أنها
ستفتش البيت وعرفنا أنها كانت تبحث عن الكتاب الأمود الذى أصدره
مكرم عبيد باشا فى ذلك الحين بمعاونة من الأستاذ جلال الحمامصى وقد
كنا فعلا نوزع هذا الكتاب من بيتنا ولكن أبى بعد أن ألقى كلمته فى
مجلس النواب توقع ان يدهموا البيت ليبحثوا عن الكتاب أو المنشورات
الأخرى التى كانت توزع فى هذه الأيام فى ظل الحكم العسكرى
والصحافة المكّمة فهربنا كل ما كان لدينا من نسخ وجرى التفتيش
وحسبنا نحن أهل البيت ان هذا الذى يحدث شئ بربرى بعينه كل البعد
من أى معنى كريم •

واليوم حان لى أن أشهد أن التفتيش الذى تم كان تفتيشا هينا
لينا شريفا اذا نحن قارناه بما كان يحدث بعد ذلك فى سنوات الطغيان
الغاشمة • وأين بضع شرطة يمسون بالغرف أو يفتحون الدواليب
والأدراج المغلقة من تلك العواصف التى كانت فى عصر الطغيان تدمر
البيوت تدميرا حتى اذا انحسرت لم تترك إلا ترابا مهيلا وفناء ماحقا •

ذكريات ومالنا لا نذكرها اليسست الذكرى تنفع المؤمنين •

١٩٨٦/٢/٩ م الأهرام

عالى الصوت لم يزل

رأيته شابا يافعا فى أروقة حزب الأحرار الدستوريين • لم تكن
سنه قد بلغت العشرين بعد وكان متحمسا للحزب حماسا جنونيا مندفعاً
حتى لقد كان رجالات الحزب لا عمل لهم معه الا كبح جماحه • والحد من
اندفاعه • وكان فى الاجتماعات هو دائما البادى بالهتافات وكان يظل
يهتف حتى يضطر الخطيب الى أن يرجوه أن يعطيه فرصة ليكمل خطابه •

حتى اذا انتهى الخطباء تجده وقد بح صوته حتى لا تستطيع أن
تسمع منه كلمة الا اذا ملت بأذنك حتى تلتصق بفمه •

وفى هذا السبيل الجارف من التحمس المندفع المتدفق عرفنا أنه
يذهب الى الهيئة السعدية وأنه يبدى من الحماس لمبادئها نفس ما يبديه
لمبادئ حزب الأحرار الدستوريين وأنه يهتف لزعماء الهيئة السعدية
كما يهتف لزعماء حزب الأحرار الدستوريين •

وكان الحزبان مؤتلفين فى الوزارة وأغلب الأمر بل من المؤكد أن
أعضاء الهيئة السعدية عرفوا أمر اتصاله بحزب الأحرار الدستوريين.
كما عرف حزب الأحرار أمر اتصاله بالهيئة السعدية •

ومن المؤكد أيضا أن رجالات الهيئة كانوا يكفكون من غلوائه
ويعقلون المندفع من تهوره •

وظل هذا حاله حتى سقطت الوزارة المؤتلفة وتآلفت الوزارة
الوفدية وكان الفتى قد أصبح فى الجامعة فاذا هو فى سهولة ويسر يهجر
حزب الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية جميعا وينقل تحمسه الى
الحزب الوفدى فهو عضو فى لجان شبابه وهو هو المتزعم للهتاف حتى
يبح صوته وهو هو المتصدر فى احتفالات الحزب - وما أكثرها - يوزع
الأدوار على الهاتقين ويؤلف كلمات الهتاف ويخص كل وزير من الوزراء
بفيض من الثناء • ويغمر كلا منهم بمنفور من المديح •

والفتى مرن على الهتاف مرانا قل أن يجيده أحد فى مثل سنه
وتلك ميزة ليست قليلة الشأن فى مكان توجد به تجمعات أو اجتماعات
أو خطباء .

وكان الفتى يستفيد من هتافاته هذه فوائده ليست بالهينة الشأن
ولا الضئيلة العائد فهو قد حصل على مدى سنوات هتافه على كل الاعانات
التي تقدمها الوزارات لمن ضاق عليهم الرزق .

نال من وزارة الأوقاف ومن وزارة الشئون الاجتماعية وعمل فى كل
صحف هذا الزمان لا كمحرر فلا شأن له هو بالتحريير وإنما عمل كمورد
للإعلانات من الحكومة وناهيك بإعلانات الحكومة من مورد لا ينقطع
سيله ، ولا ينضب غمره ، ولا يغيض ماؤه .

وقد كانت أغلب الصحف والمجلات تكاد تعيش على هذه الإعلانات
وهكذا استطاع الفتى أن يصلح شأن نفسه ، أما شأن ذويه فهو غير مسئول
عنهم فقد كان أبوه موظفا ضئيل الدخل هزيل المرتب وكان له أخوة
ثلاثة فلم يفكر يوما أن يعين أهل بيته بما يجعل الحياة معقولة أو ممكنة
بل انه يرغم أباه على أن يشتري له الملابس أيضا . أما أنه يطعم بالبيت
فهذا أمر يراه طبيعيا فما دام أبوه قد أتى به الى الحياة فهو مسئول أن
يطعمه حتى يتخرج . وهو لا يرى أن هذه القاعدة يمكن أن يرد عليها
استثناء مهما يكن هو موفور الدخل ، ومهما يكن أبوه مجهدا قليل المال
كثير النفقة .

ومع المران والأيام صار يسافر الى بلدته يبحث عن طلاب الحاجات
ويتشفع لهم وينال من جدواهم ما يعتبرونه رشوة وما يعتبره هو حقا له
لا شك فيه ولا مناقشة .

وما هى الا زيارة أو اثنتان الى البلدة حتى أصبح الفتى مقصدا
قريته والقرى المجاورة جميعا . وأصبح أمره مشهورا وأصبحت أسعاره
معلومة لا يجهلها أحد . وما لقصاده لا يكثرون وكل من يقصده بمعضلة
يحلها له فشباعته عند ذوى الشأن مقبولة وهو دائما عندهم موضع
ترحيب .

وإذا كان الصفة معروفة واضحة المعالم . يستجيب الوزير للشفاعة
من الفتى ويهتف الفتى باسم الوزير فى حفلات الحزب . ومن الناحية

العكسية لا يستجيب الوزير لشفاعة الفتى فلا يهتف الفتى باسم
الوزير .

وحتى أكون صادقا مع نفسى ومعك لم يكن كل الوزراء فى العهد
الوفدى أو غيره من العهود يهتمون فى كثير أو قليل بهتافات الفتى
أو صراخه فإذا استجابوا لشفاعة منه فهى استجابة حزبية كبير لشباب
من شباب الحزب والفتى لا يهمه الباعث عنده الوزير وإنما كل ما يهمه
أن يحقق ما كلفه به دافعو الرشاوى وليكن الباعث بعد ذلك ما يكون فهو
لا شأن له به .

واحترقت القاهرة .

وراحت الوزارة تنتقل تائهة من عهد الى عهد فما استقرت على
رئيس ولا تريت عند وزير . وزاغت أعين الفتى فأصبح لا يدرى باسم
من يهتف . ولا بمن يصل أوشاجه ولا الى أى كرسى يمد حباله .

وجاءت الثورة واتضحتم المعالم ووضحت له الأمور وضوحا تاما .
كان صوته بالمران والممارسة أعلى الأصوات فى الهتافات وتنتقل
التهتاف من رئيس الى رئيس فى مثل السهولة واليسر التى كان ينتقل به
من حزب الى حزب فيما قبل الثورة .

وحين استقر الحكم كان الفتى الذى أصبح شابا ذا خبرة واسعة
بمعرفة الطريق الذى يختار أعظم الهاتفين شأنا وأعلامهم صوتا .

انضم الشباب الى هيئة التحرير وما هى الا لفظة زمن حتى أصبح
من أعظم أعضائه نشاطا . فكان طبيعيا أن يرشح نفسه لمجلس الأمة وكان
غريبا أن ينتخبه الذين قضى مصالحهم فهم ينتخبونه على الرغم من أنهم هم
أنفسهم كانوا يقدمون له الرشاوى فى جميع العهود .

وحين أصبح فى هذا المكان المرموق رفع أسـمـه فى القيام
بالشفاعات . ثم ضاعفها عدة أضعاف وقال - ووجد من يصدقه - انه
لا يأخذ لنفسه وإنما هو يشرك معه الكثيرين الذين يعاونونه فى قضاء
الحاجات .

وبصورة تلقائية انتقل الشاب من هيئة التحرير الى الاتحاد
القومي . ورفع أسعاده مرة أخرى .

ثم أصبح في مقدمة العاملين في الاتحاد الاشتراكي . وكان من
المعقول جدا أن يصبح عضوا في التنظيم الطبيعي .

وكان عضوا في المجلس الذي رقص للهزيمة . وكان تصفيقه
يومذاك واضح المعالم بين السمات .

وذهب عهد بأكمله وجاء عهد آخر . تسلل اليه في أناة وخبرة
فاذا هو عضو في منبر مصر ثم هو عضو في حزب مصر ثم هو عضو في
الحزب الوطني . وهو دائما عضو بمجلس الشعب . وهو دائما يحصل
على أعظم الأصوات من الناخبين .

وما دام قد صفق للهزيمة فقد أصبح من الطبيعي بل من الحتمي أن
يصفق تصفيقا مضاعفا عشرات المرات للنصر الرائع الذي لم يشهده
العرب له مثيلا في العصر الحديث وصفق في حماس لا مثيل له لما أعقب
النصر من خطوات السلام الخالدة .

ولكن العجيب في أمره أنه اذا جلس في جماعة يهاجمون
كامب دافيد وافق المهاجمين في رأيهم .

فاذا انتقل الى جماعة يؤيدون كامب دافيد كان أشد منهم حماسا
في تأييدها .

ظاهرة عجيبة هذا الفتى .

أم ترى لم يصبح ظاهرة ولا عجيبة . لست أدري ؟!

وتسألني أو لا شك أن ستسألني من هو ؟

أهو هذا الرجل أم هو ذاك وكيف لي أن أعلم ربما كان هذا وذاك
جميعا فقد تشابه الخلق علينا .

ومن أين لي أن أدلك عليه وأنا أروى لك قصة تمتد جذورها نيفا
وأربعين عاما . وأما أحسب أنني مقصر فالملامح المحددة قد انماعت في عيني

ولم يبق أمامي منها الا الخطوط العريضة أقدمها اليك وأنا واثق أنك أنت . أنت أيها القارئ ستعرف الملامح بكل وضوح وستتبينها بكل دقة . فان ذاكرتك أنت دائما أكثر نشاطا وأعظم تركيزا . فما على بأس أن أترك لك أنت أن ترى من المحت اليه وأن تتعرف أنت على اسمه . وسماته . بل اننى واثق أنك ستصل من الأمر الى أبعد من ذلك ، فانك قادر لا شك أن تذكر لى اسم أمه وأبيه ، واسم زوجه وبنيه ساروا فيه جميعا من دروب وما ارتادوا من طريق فانت دائما أيها القارئ أعظم الناس . علما بمن حولك وما حولك . فشأنك وهذا الفتى الذى أصبح شابا ثم صار كهلا يأخذ طريقه الى الشيخوخة ولكن بخطوات نشطة وصوت عال مرتفع الضجيج لم تنل السن منه وما أوهنته السنون .

١٦/٢/١٩٨٦ م الأهرام

حتى أبطال أفغانستان

ليس شيء بغريب على الشيوعيين • وقد تعودنا أن يطلعوا على الناس في كل يوم بلون جديده من الجراة على الحق • والاساءة الى مشاعر الناس قاطبة • والتهجم على العدل الواضح الذى لا يختلف حوله اثنان ما دام ليس بينهما من هو صاحب غرض ، أو مائل مع الهوى ، أو حائد عن الطريق القويم الذى لاشك فيه •

ليس شيء على الملحد بغريب • وما من شيء منه يدعو الى الدهشة وأى تصرف يمكن أن يثير العجب من قوم باعوا دينهم بالمال ، وتخلوا عن أوطانهم ورضوا أن يكون وطنهم بلادا أخرى • وانسلخوا عن جماعتهم ليخلصوا ولاءهم لجماعة أبعد ما تكون عن مقدسات جماعتهم ومثلها • وقيمها وأخلاقها •

ليس شيء بغريب من قوم هذا دأبهم • ولكننى مع ذلك فجعت دهشة وعجبا وأنا أتابع الحملة الجديدة التى يشنها الشيوعيون على أبطال أفغانستان • وزادت فجيعتى وهم يطلقون على الشعب الأفغانى الذى يقاوم الاستعمار متمردين أياكون المدافع عن حقه متمردا ؟! ماذا يقول هؤلاء الملاحدة ؟

انهم لا يشنون حملتهم على الجيوش الغازية المعتدية • ولا على الحكيم العميل السفاح • لا • ليست على هؤلاء حملتهم •

وانما حملتهم على المجاهدين الأبطال الذين يقفون بأيد عزلاء أمام الوحوش الضارية التى تغزو وطنهم •

ترى أتولك العجب أيها القارئ ؟ •

أعرفت فى حياتك وقاحة مثل هذه الوقاحة • وما أضعف الكلمة فى وصف هؤلاء المصريين - أو الذين يقولون أنهم مصريون - وهم يؤيدون الاحتلال والغزو والجبروت وسفك الدماء والاعتداء على أمن الدول وسلامتها بلا وأزع من ضمير أو حياة •

لا يشك أحد ان الأوامر قد صدرت لهم من حزبهم بشأن هذه الحملة
الرعناء الظالمة الهوجاء على قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له
وأن محمدا رسول الله لم يرمون بأنفسهم الى أتون الهول الذى فتحه
عليهم الغزاة •

ولا يشك أحد أن هذه الاوامر كانت مشفوعة بالمغريات وبالتهديدات
فى وقت معا •

ولكن ألم يبق للشيوخيين فى مصر بقية مهما تكن هينة من خجل ١٩

أو ظل مهما يكن واهنا من حياء ١٩ أو اثاره مهما تكن واهية من
الحفاظ على مشاعر المسلمين الذين يعيشون بينهم • بل لا يبالون بمشاعر
المؤمنين جميعا • لكم قرأنا كتابات فى أزمان مختلفات وفى عصور
عديدة • فما وجدنا كاتباً واحداً يدافع عن الاحتلال والقهر وعزو الدول
المطمئنة الوداعة • فأى كتاب هؤلاء الذين طلع علينا بهم الزمن الأخير •
وفى أى مداد يغمسون أقلامهم الا ان تكون الدماء هى مدادهم والمال
المنهوب والرشوة باعثهم المنهمرة والذى تنكسر أمامه كل مشاعر
الانسانية التى أودعها الله فى نفوس البشر •

يشهد غزو أفغانستان اليوم العام السابع له • بعد أن بدأت
روسيا هذا الغزو بجيش قوامه ثمانية آلاف وخمسمائة جندي وثمانمائة
دبابة وثلاثمائة طائفة •

وما أضخم هذه الأعداد فى مواجهة شعب أعزل ليس بيده الا بنادق
عتيقة الصنع • ولأن روسيا لاتعرف معنى الايمان فقد حسبت ان الغزو
لن يستغرق أكثر من بضع ساعات من نهار أو ليل •

ولكن روسيا تجهل ان هؤلاء الضعاف أجساما هم العمالقة نفوسا
وان هذه الأجساد الهزيلة الضئيلة تملك قوة أعظم من أسلحة العالم
أجمع •

ان قوتهم هى ايمانهم • انها (لا اله الا الله) التى تخفق بها
قلوبهم • وان محمدا رسول الله التى تجرى بها دماؤهم فى العروق وبهذا
الايمان صد هؤلاء العزل الزخوف الغازية • وبهت الذى كفر واذا الغزاة
الجبابرة يطلبون المدد ويتوالى المدد ارسالا فاذا جنود الغزو ترتفع أعدادها

ارتفعوا مذهبلا • فالآلاف الثمانية لاتصبح عشرة أو عشرين
أو خمسين، أو مئة •

بل تصبح مائتين وثلاثين ألف جندي • وإذا الدبابات التي تحارب
اليوم في أفغانستان تصبح ثلاثة آلاف دبابة وإذا الطائرات تصبح
سبعمئة طائرة •

كل هذه الجيوش تحارب الحق والحق وحده •

ومع كل هذه الجحافل الضخمة لا يستطيع الغزاة أن يستولوا على
أكثر من عشر مساحة أفغانستان • ويظل المجاهدون المؤمنون محتفظين
بتسعة أعشار أرضهم •

وترغم الحكومة العميلة الجيوش الأفغانية النظامية أن يصابوا
آباءهم وأخوتهم وأبناءهم • ويحاول بعض منهم أن يرفض هذا القتال
المفروض عليهم مع ذوى قرباهم وأصحاب الأرض والحق • فإذا بالحكومة
العميلة ترغمهم أرغاما ساحقا أن يستمروا فى حرب أنفسهم وتطلع علينا
وكالات الأنباء بخبر عنوانه اعدام عشرين جنديا أفغانيا رفضوا القتال
ضد الشوار •

وتستمر الحرب سبع سنوات والجيوش الزاحفة بكل جبروتها
محاصرة بالايام حولها وتصبح كمن مشى الى رمال متحركة تبتلع كل
قادم اليها ولاتركه حتى يموت خنقا فيها •

ويزداد السعار وتتحول الجيوش السفاكة المغلوبة المدحورة من
حرب الرجال الى محاربة الأطفال فإذا هم يعذبون الأطفال ويقتلونهم أمام
أنظار آبائهم وأمهاتهم • ويذكر الأفغانيون ما شاهده أتباع الرسول من
كفار ذلك الزمان الجاهلى ويزدادون اصرارا على التمسك بايمانهم
وبأرضهم •

وقد يقول قائلهم ولكن عتاة مكة والمجرمين من أهل الكفر لم يعذبوا
الأطفال أمام والديهم • ثم ما يلبثون أن يرتدوا الى ايمانهم • اذن فبشرانا
فبقدر الهول الذى نشهده يكون اكرامنا عند العدل المطلق عالم الغيب
والشهادة •

هذه الوحشية التي لم يشهد أى تاريخ لها مثيلاً يباركها الشيوعيون فى مصر بإعاز من شياطينهم وتتوالى مقالاتهم فى أكثر من مجلة تؤيد الغزو ونتمدح به وتذكر أفضاله وأثاره العظيمة على البلاد . وهم فى حمأة اندفاعهم فى المديح لا ينسون ان يقولوا : ان الغزو يعمل على نشر التعليم جميعه والتعليم الدينى خاصة ولا يذكرون ان الهاربين من جنات الاحتلال بلغوا فى باكستان وحدها ثلاثة ملايين نفس . ولا يهمهم ما تتناقله وكالات الأنباء عن السرقات والرشى والاعتداء على الحريات التي تمارسها القوات الغازية على أفغانستان جميعا حكومة وشعبا .

مالهم هم وهذا ؟ ان الأوامر قد صدرت لهم أن يمدخوا . وأن يقولوا ان الغزو حمل معه الى أفغانستان الحياة السعيدة الهائلة وأنه طبق قوانين الاصلاح الزراعى . ومبادئ ماركس الخالدة . ووهب الشعب المكاسب الاشتراكية . وتتزايد جرأتهم على الحق فيصبون سخيتمهم على السادات الزعيم الخالد انه سلم أسلحة روسية للمجاهدين ويرون ان هذا الذى صنعه السادات عمل من أعماله الجديرة باللوم فهم اليوم يرون أن كل ما صنعه السادات سيئ . حتى مساعدة أصحاب الأرض ان يستردوا أرضهم .

ويقول قائلهم ان الروس اكتشفوا البترول والغاز وفتحوا لهم العيادات الطبية وجهزوها . وأنشئوا مصانع للسيارات بل انشئوا مصانع ونشرت الجيوش المعتدية المحبة والسلام فى ربوع البلاد الى غير هذا من المآثر والأفضال التي تعود الاحتلال أن يدعى انه يفعلها فى الأراضي المحتلة . وكلها أكاذيب لا ظل لها من الحقيقة وما يقولها قائل الا نال ثمن قولها .

أحسب أن الغيظ قد تملكك مما تقرأ . ولكن ما يهم المهم أن يمتدخوا بالغزو والاحتلال والقضاء على الدين والايمان وحق الانسان الطبيعى أن يعيش آمناً فى وطنه مطمئناً .

وقد أسمع من يقول : واى عجيبة فيما يصنعون ؟ أنسيت أنهم أيدوا احتلال اسرائيل لفلسطين هاتفين بحياة روسيا التي كانت الدولة الثانية فى العالم فى الاعتراف بالدولة الاسرائيلية لم تسبقها فى ذلك الا أمريكا التي مازالت الوطن الأم لاسرائيل حتى اليوم .

وهم هم أنفسهم اليوم الذين يلصقون بالسادات العظيم كل ما فى قاموسهم من سفالات لأنه وقع السلام مع اسرائيل .

وهم هم أنفسهم أعلى الناس صوتا فى الدفاع عن فلسطين وعن القضية •

متى كان لهم رأى يقفون الى جانبه • أو مبدأ يشبتون عليه الا الالحاد بالله ورفض الانتماء الى الوطن •

ولا يكتفون بالقول بل هم يشفعونه بالعمل ويؤلبون العمال فى المحلة وفى شركة أسكو • بعد أن خاب سعيهم فى تجمعات الطلبة • يريدون لمصر أن يتحطم فيها الانتاج وأن يعمها الخراب لأن تربتهم هم هى الأرض الخراب •

ولولا أن رئيس مصر مسلم قوى الايمان ، مصرى عميق المصرية لطالبوه أن يستدعى الجيوش الغازية فى أفغانستان لتنشر فى مصر الخير والبركات والسعادة والهناء التى لا يخجلون أن يقولوا ان الجيوش الغازية قد نشرتها فى أفغانستان •

ليقل الشيوعيون ما يشاءون • ولكن أحسب أنه ينبغى أن يقف بهم الأمر عند الكلام • فاذا تعداه الى العمل والى التسلل فى الجماعات من عمال الى غير عمال فاننا لهم بالمرصاد • فان الأمر جد لا يصلح معه الهزل • واذا كانوا يركبون الحرية ليقتلوا بها الحرية فليكن هذا فى الكلام فقط وهم فى هذا الميدان يمرحون ما شاء لهم المرح حتى لقد طغا صوتهم فى أجهزة الاعلام على كل صوت • وهم يقولون فى مجلاتهم وفى الصحف القومية ماشاءوا أن يقولوا • ولكن الفرق بعيد بين صيحاتهم هذه وبين أن تصبح هذه الصيحات عملا وفتنة تأليب المخابيل البلهاء على الديمقراطية والحرية التى تنعم مصر بها اليوم •

واذا كانت الحكومة قد وسعت لهم مجالات الاعلام جميعها من صحف الى مجلات الى اذاعة الى تليفزيون فان على هذه الحكومة نفسها أن تمنعهم ان يثيروا الفتنة ويشعلوا الثورات •

واذا كان وجودهم الواضح بالاعلام يهدد الاقتصاد المصرى تهديدا عنيفا تدريجه الحكومة كل الدراية • فان الفتنة التى يريدون اشعالها هى القضاء الكامل على هذا الاقتصاد الذى لا يحتمل اليوم أقل هزة فحسبه ما يعانى وحسبنا نحن المؤمنين الله فانه نعم الوكيل •

من طوايا الحياة ••

ماذا أصاب قومي في مصر ؟ أين الأيام الخضر ؟ وأين عصير الحياة العذب وأين ذلك الاشراق المضيء • وأين انطلاق الحديث ينتقل مرحا من قلب الى قلب ومن صديق الى صديق • ومن ابن أبيه • ومن أب الى ابنه • ومن أخ الى أخيه • بل أين المودة بين الزوج والزوجة وأين بينهما الذكريات والأمال • حتى الحب الجديد أصبح لا يولد حرا . كما كان حرا ولا هو اليوم يعرف ذلك الاندفاع المتدفق لا يعوق دفاعه عائق ولا يجرد مائع أن يمسك عنانته • أين هو : هادرا صاخبا • وأين هو جدول من غير سلس المجرى لؤلؤى المياه • يجري في ضفتيه لأنه حب وكفى •

يا لشقاء الحب في وطني اليوم • الضفتان اليوم مال جامد حقيق مسعور : ويبحث عن مسكن بعد أن نضبت المسابكن في بلدي • لا هدير للحب اليوم بل هو معتقل في حبال شديدة الأسر من التفكير المدعور من هول الغد • الفتى يبحث عن فتاة تكون ذات مال • أو ذات عمل • ولم يعد الغنى يبحث عن هواه وحبه في شريكة الحياة التي يريد الله أن تكون له في غده سكيننة لا مسكنا ومودة لا منفعة •

أصبح يريدنا الفتى ذات شقة لا ذات عاطفة وذات مال لا ذات رقة •

ماذا صنعت بك الأيام يا بلدي •

أين أنسام النيل وكانت رخاء وسماحة • أين انطلاق الريف وكان هناءة وجمالا • ما للريف اليوم قد كشر عن أنساب المال • وزمجر عن صوت العنيف الصارم •

كان الريف يمشى الأيام صفاء ونعومة • فأصبح يقضم الأيام قضم الوحوش ويكسرهما ويحطمها • فلا الناي يعزف في ريفنا ولا الأذان تصغي الى شدة الكروان والبلبل والعصفور ولا النديم في ريفنا يعرف ندماء

ولا حلقات السمر فى أمسيات الحقول تتخلق تضيئها ألسنة اللهب من نار كنار إبراهيم فهى برد ودفء وهى سلام لا يحرق وإنما يشيع فى نفوس البشرية حوله طمأنينة وهناء قدسية الاطناب الأمن وسادها وحب الله والناس وجميع المخلوقات عمادها وأركانها •

ماذا صنع بك الحقد يا ريفنا • أين أريحك المعطار • وأين أديمك المسامح • وأين أجواؤك التى ما عرفت الا الحب والنقاء والسعادة والصفاء •

ماذا صنع الأمس باليوم • وكيف استطاع الحقد الآخذ الويليل أن يعصف بجمالك هذا كله يا مصر •

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ وكيف استطاعت السخائم السوداء الفاتمة أن تسحب الغيوم والسحاب الكثرة وتثبتها على أقطار بلدى وفى أنحاء سماتها التى كانت صافية مؤرجة بالعطر النقى والهواء الشريف •

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ كيف استطاعت الكراهية والبغضاء الحقود أن تبدد أنوال الحب فى نفوس المصريين وقد كانت من قبل تنسج الهوى والتعاطف والرضا • والكبرياء فى غير صلف • والعزة فى غير تعجرف والأمانة فى غير افتعال • والترفع عن الدنيا • والبعد عن الصغار • والعزوف عن الآثام • فى طبيعة موالية وفى سجية نقية بيضاء •

أين أيام كان الابن يذوب طربا اذا سمع صوت أبيه وتسبح نفسه اذا سمع دعاء أمه •

أين أيام كان الأخ للأخ عوناً والأخت لأخيها ابتسامة هوى موصول لا تشوبه على الأيام شائبة •

هل استطاعت سنوات الحقد العجفاء الفاتمة السوداء أن تشق الابن عن أبيه وتنتأى بالفتى عن دعاء أمه وتجهل الأخ للأخ عدوا لدوداً والأخت لأخيها ناهبة للميراث الذى كان اليه سيؤول •

أضعيف هو الحب ؟!

أم قوى هو الحقد ؟!

أم أن الأمر أدهى من ذلك وأمر :

أترى الخير والستر قد انسحبا من طوايا الحياة ومن وشائج القربى وهى ثنيات الصداقة فأنكشف الوادى الأخضر الفسيم بالرضا عن غاية حمقاء مسعورة رعاياها ذئاب بشرية يأكل بعضها لحوم بعض فى غير رحمة ولا شفقة • ومن أين وطيوف الانسانية قد رحلت هى أيضا . مع سماحة الخير ومع كرامات الستر الحبيبة •

لقد دخل الخوف بلدى فى السنين العجاف • والخوف سريع مجتاح حين يدخل بلدا • ثم هو عند الارتحال متلكئ وبطء ثقيل الخطى •

والأمر بعد ذلك ليس ميسورا فهو كلما هم بالخروج من بلدى اجتاحتها عاصف يعيد الخوف الى الفرائص والذعر الى النفوس • وهكذا استقر الخوف فى السنوات الأخيرة يطفىء شموع الأمن ويحطم أركان السكينة •

تمثل يوما فى قرارات اقتصادية خرقاء دمرت الاقتصاد بعد أن كان يوشك أن يستقر • وكان علاج هذه القرارات بطيئا فازداد الأمر سوءا • وما زال الخوف يظل اقتصادنا حتى اليوم • المال المصرى يخشى الخروج الى النشاط ، والمال الأجنبى يخشى الدخول الى مصر • والمصريون فى الخارج حبسوا أموالهم فى البلاد التى يعملون بها بعد أن كانت تنثال فى رضا وطمأنينة الى المصارف المصرية •

وتمثل الذعر فى الأصوات الناعقة من الشيوعيين نشرها فى كل مكان من أركان الاعلام فهم فى الصحف القومية لهم صفحات ومقالات وصولات وجولات • هم فى التلفزيون يوشكون أن يستولوا على الأركان الأدبية فيه لم تفلت منهم الا الأحاديث الدينية وهم فى الاذاعة يمرحون ويسرحون ، لهم برامج ثابتة ولهم فى كل حين حديث أو لقاء • والأجهزة جميعها حريصة على أن تسترضيهم حتى لأعلم أن بعض الأحاديث التى تناقش نظريتهم منعته الاذاعة أن تخرج على الهواء • وليس انتشار الشيوعيين بالأمر الهين • فالأضرار الناتجة عنه أخطر مما يتصور المسئولون فانهم بصيحاتهم هذه لا يخيفون المؤمنين • فنحن واثقون من أن الشعب المصرى لن يلتفت اليهم ولن يآبه بهم • ولكن الخوف كل الخوف

أن تخيف أصواتهم رهوس الأموال فى خارج مصر سواء كانت مصرية أو أجنبية فليس فى العالم شئ أكثر جبنا وحذرا من المال • وهيهات لمال يأتى الى دولة يعلو فيها صوت الشيوعيين •

وهكذا يزداد الخوف تمكنا فى ربوع مصر ويأبى أن ينقشع ويتحدث الناس بصوت جهورى مرتفع فالتناس فى بلادى لم تعد تهمس وليس خوفهم اليوم من الحاكم فرئيسنا اليوم أعظم الرؤساء سماحة وبعدا عن العنف والجبروت وانما الناس تخاف من الأيام ومما يأتى به الغد •

• ويزداد الخوف رسوخا فى نفوس الناس •

ثم هو يقوى ويشتهد فيما نراه أخيرا من ظهور وجوه كانت اختفت يوم اختفى عنا عهد الطغيان والاعتداء على الاعراض والحريات والأنفس والأموال فقد علت بأخرة ، أصوات الفئة الباغية وعاد الى النعيق على نخل بلدى غربانه الخراب والهزيمة الماحقة فى كل الحروب تضيف على القمة الخائبة منها ٦٧ علامة لا يمحوها الزمن لعواقب الفساد والسرقات والاعتداء على انسانية الانسان وتحطيم الحرمات التى أمر الله أن يراعيها الحاكم فى الرعية • عاد عواء الذئاب فهاج جميع مكامن الخوف فى نفوس المصريين • ويقول كاهنهم الأكبر للناس انه بغيره لن يكون قرار ما حكيمًا • وكأنه ما كفاه ما شارك فيه من قرارات كانت كلها خرابا ما زالت مصر تعاني منه حتى يومنا هذا وستظل تعاني منه لسنوات أخرى قادمة الله وحده يعلم عددها • هذه الجوقة التى تمثل السرقات بادئة من مجوهرات أسرة محمد على الى آخر من صودرت أمواله أو وضع تحت الحراسة والتى تمثل الهزائم المتوالية بدءا من ٥٦ مرورا بحرب اليمن الى انفصال سوريا الى ٦٧ • عادت الى الظهور مع عازفها الأول ولا يجد الناس مفزعا الا القرآن الكريم أمنهم عند الكريهه ومفازتهم عند الذعر وجنتهم عند الملمات •

وينذكرون أن هذا العهد جميعه لم يكن يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وانه ليس ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى وبالآخرة هم يؤمنون •

• وهم واثقون من كفر العهد ورجاله ليس مما فعل العهد ورجاله بالبشر فحسب وانما بنص ما جاء صراحة فى كتب كاتب العهد وكاهنه الأكبر •

ويستجيب القرآن الكريم لفزع الناس وكيف لا يستجيب لهم الله وهو قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه • وتأتى الآية ١١٨ من سورة

آل عمران يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون • صدق الله العظيم والناس تعلم أن القائمين على الأمر اليوم من هؤلاء الذين يعقلون وان رئيسنا من هؤلاء الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه •

وتتجمع هذه المشاعر جميعا وتصخب في نفوس الشعب • ثم تنفجر فئة باغية جاهلة حمقاء تحرق أمن مصر وأمالها في جنون أرعن مأفون وتبحث مصر عن السبب أو الدافع فإذا هى تجده فى جيوب الخونة المخابيل متمثلا فى مبالغ متشابهة ذات أرقام متتالية تصيح بأعلى صوت لها أن أعداء مصر فى الخارج قد أعطوا أوامرهم لأعداء مصر فى الداخل وشفَعوا الأوامر بالأموال واستغل هؤلاء وهؤلاء حراس أمننا والأمناء على الطمأنينة فى بلادنا واستغلوا جهلهم ولا أقول فقرهم وغباءهم ولا أقول ضيقهم وصنعوا منهم قذائف حرق أول ما حرق أمن مصر والثقة التى تمكنت أن تشيعها فى نفوس العالم حولها •

وترفض مصر أن تصدق ما رفعوه من سبب لعدوانهم فلو كان ما أعلنوه ذا صلة بأى نوع من الصديق لكان من الطبيعى أن تكون وسيلتهم وهم رجال الأمن المجندون متمثلة فى شكوى يقدمونها أو تظلم يحمله عنهم قوادهم أو أى سبيل آخر يتفق مع الخلق •

ولكنهم لم يفعلوا ذلك وانما أذهلتهم الأموال التى تسربت اليهم فى خفية عن مصر وأصبحوا قنابل تحرق مصر • مصرهم التى رضعوا لبنائها وتفتتوا ظلها • والتى لا ملجأ لهم الا حقولها ومغانمها ولا مشرب لهم الا نيلها •

ان تكن سنة قد زيدت على تجنيدهم وهم بها ضائقون فالى أين يريدون أن يتجهوا اذا لم تزد ان لم يتجهوا الى مصر التى يحرقون •

لا ليست زيادة سنة صحيحا كان أمرها أو كان أشاعة – بالسبب الذى تقبله مصر • انما هو الخيانة والرشوة ومصر تتساءل اليوم ان كان الذين قبلوا الرشوة جهلاء حمقى فأين كان رؤسائهم • وهو سؤال ضخم وكل اجابة عليه محزنة تمزق النفس حسرة وألما وذهولا فاجعا مدمرا •

والعجيب العجيب وفى نفس الوقت العظيم أن شعب مصر الذى يتحمل ما يتحمل من عناء هو الذى يجمع الخونة ويصددهم ويرفض فى اجماع منقطع النظير اجرامهم •

ان هذا الشعب هو النبت الصالح الذى يخرج من الارض الطيبة .

وان ارض مصر العريقة عراقلة الزمن لا يمكن أن تنبت الا هذا
الشعب النبيل وصدق الشاعر :

وهل ينبت الخطى الا وشيخة وتزرع الا فى منابتها النخل

١٩٨٦/٣/٢ الأهرام.

هل هم منتهون ؟

للقلم وجمة • وبعد الحادثات يسود صمت فيه الم وفيه بقلير وفيه
عجب وفيه ذهول ويصيب القلم في ايدينا وجوم • فهو ذو نبض وذو حياة
ومن كان ذا نبض وذو حياة يصيبه الوجوم كما يصيبنا •

وماذا أنت قائل لقومك اليوم • أما الأحداث فقد تناولتها الأفلام
جميعا ولم يعد في جنباتها مجال للقول الا أن يكون القول وجوما وهموما
وحزنا •

ومن الوجوم يثور التفكير ويعتلى ، وتنظر في الجرائد القومية التي
صدرت بعد الحوادث فتجدها على حالها • وكأنها لم تشهد الايدي الخائنة
تحرك النفوس الجاهلة وتكاد تشعل الفتنة في أرجاء مصر جميعا •

أعداء مصر الملحدون • المنتمون لغير ترابها • الداعون لغير حبها
تنصدر صورهم وأحاديثهم بعض الجرائد القومية •

وكان لم يكن بالأمس القريب حريق هم مشعلوه بأحاديثهم
وكتاباتهم قبل أن ينشب • وهم الذين أشعلوه بخيانتهم وبمؤامراتهم في
الليل ، وسيلتهم اليه الرشوة الحقيرة ينهالون بها على نفوس مأفونة لا علم
لها يقف بها عن الشر • ولا خلق لها يردّها عن التمرد ولا كرامة لها تمنعها
عن الرشوة ، ولا وطنية لها تزعها عن اشعال الحريق في وطنها ولا عقل
يذودها أن تحرق نفسها في عمل انتحاري جماعي •

فما أحرق هؤلاء الغوغائيون الا أنفسهم وهل مصر الا هم لو كان..
يعقلون •

وتطالعي صفحات الشيوعيين في الجرائد القومية يحللون ويحللون..
ويفلسفون وينماعون وينافقون في غير حجل ويكذبون في غير حياء
ويقولون غير ما يعتقدون في تبجح لا يتأتى الا لقوم باعوا ايمانهم بالاحاد..
وباعوا أوطانهم بالخيانة •

ولا ألوام الجريدة التى تسمح لهم بهذا ، فالصحف اليوم فى مصر الحرية هى المسئولة وحدها لا تقف على كنفها سلطة ولا تتحلل أصابعها رقابة من خارجها • وانما ضمير الجريدة وحده هو الفصيل والحس والسياسى هو صاحب القرار •

فليقل الشيوعيون ما شاءوا أن يقولوا فى صحفهم وما هى بالقليلة العدد أما أن يفرضوا علينا فى جرائم تنتمى بجمعها الى مصر فتلك كبيرة لا تغتفر •

وهم يعلمون ان هذا الذى يفعلون أثار نفوس الناس فى مصر جميعها وأثار مخاوف المهتمين بشئون مصر فى خارجها سواء كانوا من أبناء مصر أو كانوا من الذين يفكرون فى القدوم إليها ليستثمروا أو ليجعلوا من ربوع مصر وآثارها مكانا لسياحتهم الآمنة أو لسياحتهم التى تريد أن ترى آثار مصر التى يعتبرها العلماء متحف العالم أجمع •

• هم يعلمون ذلك وكان من الطبيعى أن يصبودوا الى العقيل منهم والرشاد بعد هذه الفئة الباغية التى شهدت مصر • ولكن لا عقل لهم ولا رشاد ولا تزال صفحاتهم كما كانت قبل الفتنة بل هى أشد سوءا وأكثر سوادا أو احمرارا ولك أن تختار أى اللونين شئت •

كان عليهم أن يعلموا أن مصر ترفض هذه الفئة • وتحاربها • لأن مصر وقفت بجانب جيشها الشرعى ولم تقف بجانب المعتدين المجرمين الآثمين كما يتمنى الملحدون المنتمون لغير مصر •

ولو لم يكن الشعب المصرى يؤيده رئيسه ويتمسك به لكانت الفرصة أمامه مواتية أعظم ما تكون المواتاة • ولاهتاجوا مع المهتاجين ولا حرقوا مع المحرقين ولا أثلفوا مع المتلفين ولا دمروا مع المدمرين •

ولكن الشعب المصرى لم يحرق ولا هو أثلف ولا دمر والشعب المصرى أيضا لم يتخذ موقفا سلبيا ولم يبتعد عن الأحداث فى غير مبالاة • انما وقف المصرى عونا على المفتونين وعلى المحرقين وعلى المتلفين المدمرين •

الشعب المصرى اليوم يحس أن مصر بلاده وما كان ليشعر بذلك لو كان رئيسه جبارا طاغية منفردا وحده بالسلطان مبعدا الشعب عن أى رأى فى مصير البلاد •

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى انك لم تكن فى يوم طاغوتا ولا منفردا برأى ولا متباعدا عن الشعب ولا متكبرا عليه .

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى أنك لم تمسك على شعبك سلاحا ولا كنت عليه سوط عذاب ولا حاولت أن تخرق الأرض أو أن تبلغ الجبال طولاً .

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تصعر خدك للناس ولا ملئت عنهم تهاونا بهم أو كبرا عليهم بل أنت منذ عرفناك ذو تواضع فى غير ضعف . وذو كبرياء فى غير تكبر . وذو حديث سلس المجرى قريب المأخذ لا تقف فى مجراه صخور من الاقتعال أو التصنع أو التخلق بغير خلاقك بل أنت دائما على سجيته المصرية الأصيلة . أن ثرت فلمصر وليس على مصر ، وان غضبت فلشعب مصر ولم تكن غضبتك يوما على شعب مصر .

لم نعرف فى عهدك أن مصر يا زج به الزبانية العتاة الى معتقل وما سمعنا يوما أن شخصا قتل خفية عن الناس فى أطواء المعتقل حتى اذا سأل عنه ذووه قيل لهم هرب فهو مجهول المصير . ولم تستول حكومتك على أموال الناس ولم تتعرض سلطة فى عهدك لأحد تستلب كرامته فالعرض فى عهدك مصون . ولم نسمع ولم يسمع أحد أن كلابا أو آدميين اعتدوا على أعراض نساء أو رجال باسم الدولة فى عهدك المبارك .

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك أعطيت المعارضة الطريق المفتوح على مصراعيه وان كثيرا منهم خفروا هذا الطريق بالأكاذيب والأثارة وبعضهم دمره بالافتراء والتآمر والخيانة . فلم تغلق يوما جريدة معارضة ولا أنت حتى منعت جريدة قومية أن تقول كل ما يعن لكتابها أن يقولوا . بعد أن كانت الأصوات كلها تصدر عن بوق واحد .

ولقد حذرت ولم تهدد وبصرت ولم تصبادر : وكنت صادقا فى تحذيرك وتبصيرك . ولكن هل وعي الآخرون الدرس وهل ارعوى غاويهم أو رشد سادرهم . لا أظن ! . . .

أحسب يا رئيس الجمهورية إنك كنت ترى المستقبل يوم قلت مرات أخشوا العواقب واحرصوا على ألا تشعلوا فتنة لن تصيب الدين ظلموا وحدهم .

وهاج هائج المعارضة ، ووجه بعضهم حديثه اليك فى محاولات صبيانية للبطولة الزائفة وبدلا من أن يختاروا الصديق طريقا للرأى ،

والامانة وسبيلة للمعارضة راحوا يفسرون حديثك انه تهديد بزوال الديمقراطية والحرية .

وانسى لهم فهم لا يعقلون .

واشهد يا رئيس الجمهورية انك لم ترم مصر مصر الى شرك الحروب واهوالها ومصائبها بغير داع لها الا الامل فى زعامة عالمية او رغبة فى مجد شخصى مزيف . فاموال مصر فى عهدك امانة فى مستقرها وان عدا عليها لص أو متحرف كنت له بالمرصاد لم تحم يوما قريبا وان كان أخا ، ولا تسترت على معتد وان كان منك فى أقرب مكان . ولو ان الشعب قارن بين كل ما سرقه السارقون وما انتهبه المجرمون فى عهد الحرية وبين نفقات يوم واحد فى أى حرب من الحروب لكانت المقارنة وكأنها بين ابرة وصاروخ أو بين نقطة ماء ومحيط . هذا ان لم نذكر الدماء التى نزفت .
والتى هى أغلى ما عرفته البشرية .

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تكذب على الشعب فى يوم من الأيام ولم تخدعه ولم تعد وعدا أنت تعرف أنك لم تنفذه ولم تعير الشعب المصرى انه كان بلا كرامة ولم تحاول يوما أن تهون من عظمة شعب مصر . ولم تستخفه أو تستهن به .

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك منذ توليت وأنت تعرف انك واحد منا يسعدك ما يسعدنا ويضنيك ما يضنيننا . تحيا حياتك فى غير سرف ولا مظاهر ، فى كرامة تليق بانسان . تمشى على الأرض هونا فلا مختال أنت ولا أنت فخور ولا متأله أنت ، ولا أنت ذو شره .

لهذا يا رئيس الجمهورية كان الشعب معك لا عليك لانه يعرف عن يقين انك معه لا عليه . ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفخ من حولك ولما وقف حولك وحول وطنه يدود عن حياضه ويدافع عن أماله ويرد الخونة المعتدين فى اصرار وثبات وشجاعة وصمود .

ونحن يا رئيس الجمهورية اليوم ننتظر نتائج التحقيقات وليس لنا أن نقول ما لا نعلم ولكن من حقنا أن نفكر ، وأن نستنتج وأن نرى المقدمات لعلها تصل بنا الى الحقائق .

ان المتمردين مجرمون لا شك فى اجرامهم . ولكن المجرم الأكبر .
مازال خافيا عن العيون وان كانت بعض ملامح منه بدأت تطل علينا .

من بين هذه الملامح تلك الجنيهاات فى جيوب الفقراء الثائرين • من أين جاءوا بها ؟! وكيف توالى أرقامها تضيق أنها من مصدر واحد • ما المصدر ؟ • هذه واحدة من الملامح •

وبعض الملامح التى تدل على المجرم الأكبر جاءت فى واقعة عظيمة الدلالة • هذه السيدة المصرية العظيمة التى لم تقفل شبّاكها ولم تهرب الى العميق العميق من سراديب بيتها وانما وقفت فى النافذة تصور الأحداث وهى تعلم تمام العلم أن هؤلاء المجانين لو رأوها أو راعا واحد منهم لكان القتل هو أهون مصير لها هذا اذا لم يصحبه حرق لعمارتها كلها ولاهلها وذويها وجيرانها جميعا •

صورة من حب المصريين لمصر ، تحمل صورة للخيانة الذين لا يريد أن نصرح بما نستنتجه فى شأنهم وان كان أمرهم معروفا للجميع • ولكن الأمر فى يد العدالة فمن حقها علينا أن ننتظر كلمتها فى ثقة كاملة بأمانتها وذكائها فى وقت معا وبعد فمن حقنا اليوم أن نقول مع شوقى :

أرى مصر يلهو بحد السلاح	ويلعب بالنار ولذاتها
وراح بغير مجال العقول	يحلل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلاد	ولا همه القول عمرانها
فأين النبوغ وأين العلم	وأين الفنون واتقانها
وأين من الربح قسط الرجال	اذا كان فى الخلق خسرانها
لقد عيثت بالنياق الحداة	ونام على الأبل رعيانها

١٩٨٦/٣/٩ م الأهرام

لا نخاف الا الله !

توالت الأنباء من داخل المؤسسات الحكومية عن اللصوص والمرشسين . لم تجامل هذه الأنباء أحدا فهي حيناً تتناول وزيرا ثم هي ما تلبث ما تتفاقم وتصبح أحكاما نهائية على أربعة من كبار موظفي الدولة ولا تمثل هذه الأحكام الا جزءا يسيرا من قضايا مازال الجانب الأكبر منها متداولا في أيدي القضاة ثم تهب ريح من وزارة الصناعة تتهم جماعة كبيرة العدد بالرشوة .

وكل هذه الأنباء تعيد الى المواطن المصرى ثقته بحكومته أن الجميع عندها سواء . وانها لا تتستر على أحد مهما يكن ذا سطوة أو ذا قرابة . وان القضاة في مكانه الأسنى لا يعنيه الا الحق والحق وحده معصوب العينين عن قيمة المتهم ومكانته متفتح البصيرة في نظره الى العدالة المطلقة وما يؤيدها من أدلة وشواهد وشهود .

وليس شيء يدعو الى الثقة في دولة ما مثل القضاء الشريف ، وكاذب كل من يدعى أن مثل هذه القضايا تهز الثقة في الاقتصاد المصرى . فان هذه القضايا تؤكد الثقة في الاقتصاد المصرى . وان كانت الثقة في الاقتصاد المصرى لا تتأثر الا بالتغاضى عن المرشسين والتستر على اللصوص والسكوت على المجرمين فليذهب هذا النوع من الثقة الى أى جحيم يشاء . ولتظل مصر على ما تنتهجه من ردع المجرمين وتقديمتهم الى المحاكمة وليأخذ العدل مجراه وليكن بعبء ذلك من أمر الاقتصاد ما يكون القاعدة الثابتة ان الاقتصاد والصلاات المالية ان لم تتسم بالشرف فهي الى انهيار لا شك فيه .

ولكن العجيب المؤسف أن هذه القضايا جعلت الموظفين الشرفاء في حالة تجمد كامل عن اصدار القرار . أضغ على رأس هؤلاء الوزراء أنفسهم . فقد أصبح الوزراء - وهم يعلمون انهم شرفاء - يخافون من اصدار القرار . فالقرار الذى يستغرق اصداره يوما أو بعض يوم لا يصدره الوزير الا بعد عدة شهور . واذا كان الوزير خائفا فوكيل الوزارة هالعا . واذا خاف الوزير وهلع الوكيل فالسكرتير العام مذعور ومن يليه من

المسؤولين فى فرق مبين لا يملكون معه أن يضموا أصابعهم على قلم ليتحملوا به مسئولية رأى .

ما هذا الذى يحدث . . أمعقول هذا . ألا تواتى الجراة الا اللصوص . ويتجمد الشرفاء فى سجون الخوف والهلع المذعور والفرق المرتعش الآليم ؟

بمثل هذا يتجمد الاقتصاد . ومن مثل هذا يفر من التعامل مع الحكومة كل الشرفاء مصريين كانوا أو كانوا أجنب . أفراد كانوا أو دولا . هل يعقل أن يصبح تخريب اللصوص عندنا واسع السطوة الى هذا الحد حتى انهم استطاعوا أن يملوا أثرهم الخطير الى الوزراء وهم وزراء ؟

أخشى ما أخشاه الا يكون الوزراء واثقين من شرعية وجودهم على كراسى الوزارة . فان هذا الشعور مدمر فتاك . يفتك بمصالح الدولة ويدمر الوزير نفسه .

أحسب أن الوزير فى كل قرار يعرض عليه يظل يسوف التوقيع بانقاذ القرار موجهها نظره الى أعلى حينما يستمد الشجاعة حتى اذا افتقدتها وقلدها راح يقلب عينيه ذات اليمين واليسار يحاول أن يتلمس التأييد من معاونيه ومساعديه ومستشاريه . وأحسب أن الوزير بهذا يمد جميع هؤلاء بشحنة من الرعب لا يملكون معها أن يقطعوا برأى ومن أين لهم الرأى وقد أكلهم الذعر أكلا وانتهبهم رعب الوزير انتهابا ؟

اننا اليوم أحوج ما نكون الى وزراء واثقين بكل الثقة بشرعية وجودهم على كراسيهم . يؤدون ما يرون أنه الحق ويتوكلون على الله العلى القدير .

لا يخشون فيما يفعلون الا الله وحده المطلع على الضمائر لا يخفى عليه من شئ فى الأرض أو فى السماء .

ان المعارضة ستعارض . ولكن ما الباس . ان المعارضة هي روح الديمقراطية وأساسها الأول . وفى رفضها يستنير الناس ويعرفون تماما ما فى القرارات من محاسن وعيوب . ولن يجمع الناس على شئ أبدا فما أجمعوا على شئ من قبل . وانما الأغلبية هي صاحبة القرار وحسب من يصدر القرار أن تؤيده الأغلبية .

ولست فى حاجة الى القول أن صاحب القرار لابد أن يبذل أقصى جهده للوصول الى القرار الأمثل فعليه أن يبحث ويدرس ويستشير حتى إذا اطمأن الى القرار أصدره .

فان القرار الصادر فى عجلة وبغير دراسة وبال مستطير .

وفى نفس الوقت القرار الذى ينبغى أن يصدر ولا يصدر وبال مستطير .

وانه لمن المحزن أن تكون الديمقراطية مدعاة للخوف والهلع وهى النظام الذى يقوم على رأى الأغلبية وفى ظله يكون الخطأ نادرا لا يقع الا فى أضيق الحدود .

فى حين تنسم الديكتاتورية بالقرارات الرعناء التى لا يسبقها تدبر أو تفكير أو دراسة .

والديمقراطية تحتمى من الخطأ بحق الجميع فى المناقشة بينما لا حماية للديكتاتورية الا الارهاب فليس فى الديكتاتورية دراسة تسبق القرار ولا فى الديكتاتورية مناقشة للقرار اذا صدر وقديما قال الشاعر :

تلوا باطلا وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وانه لكارثة كبرى أن يخاف الوزير وهو فى حماية من المناقشة الحرة وتداول رأى .

ولا يخاف الوزير فى ظل الطغيان وهو بلا رأى ولا فكر فهو فى هذا النظام البغيض لا شئ الا لسان ينطق عن الديكتاتورية حتى ولو كان ينطق بغير ما هو مقتنع به .

ولا يجوز للوزير فى ظل الديمقراطية أن يخشى الكتاب الذين دافعوا عن الديكتاتورية وارتبطت مصالحهم الخاصة بسيفها الظالم السفاك لأن هؤلاء أصحاب هوى ولا أمانة لهم . وهم لن يؤيدوا الديمقراطية بقلوب خالصة أبدا .

وقد يقول هؤلاء ان السرقات قد كثرت وان هذا دليل على الفساد وهم يعلمون - ولكنهم لا يقولون - انه فى ظل الديكتاتورية قام الحكام بتأميم السرقات فلا يسرق الا أصحاب السلطان وحدهم والدليل حاضر

من قريب فحسبك أن تذكر جواهر أسرة محمد على والقصور المسلوقة
والأموال التي صودرت لحساب الدولة فانتبهها حكام ذلك الزمان .

هذه واحدة وأخرى أنه لم تكن هناك حياة تجارية في ظل الطغيان
فالأموال كلها كانت خبيثة مستورة تتخفى وراء الجدران وتباعد عن
الظنون وتنأى عن الحدس والتخمين . فما كان أحد ليفكر أن يستثمر ماله
خشية أن تنقض عليه الحراسة فتستولى على أمواله جميعا هذا إذا لم
تضم اليهم حريته وكرامته وعرضه أيضا .

فممن يسرق السارق ؟ وماذا يسرق ؟ وهل كان هناك مال حتى
يسرقه سارق ؟

ولا يجوز للوزير أو أى مسئول فى ظل الديمقراطية أن يخشى من
قضايا اللصوص المقدمين الى المحاكم فليس هناك دولة ليس فيها مرتشون
أو لصوص بمناصبهم .

ولكن الأغلبية دائما من الشرفاء .

كل ما فى الأمر أن هذه القضايا جديدة علينا بعد فترة طويلة لم
تكن لمصر فيها حياة اقتصادية على الإطلاق . وهذه القضايا تشكل موجة
ولكنها لاشك ستنتحسر . فلا ينبغي باى حال من الأحوال أن تمسك هذه
الموجة العارضة بأيدي الوزراء وأصحاب القرار أن يصدروا القرارات التي
يتعين عليهم أن يصدروها فان خوفهم هذا قد أصاب الأسواق المصرية
كلها بالرعب والتجمد . وكم يحزننى أن أرى العاملين فى حياتنا
الاقتصادية يصيبهم الظلم الفادح نتيجة الخوف من اصدار القرار العادل .

وكم يصيبنى الأسى لمصر وأنا أسمع من التجار أن الكثيرين من
زملائهم يفكرون فى انهاء أعمالهم التجارية .

وانك لن تسأل أحدا ممن يعملون فى الحياة الاقتصادية إلا قال لك
ان حركة السوق متوقفة تماما . وركود السوق خراب فما الخطب اذا
توقف !؟

ان الادواء الاقتصادية التى تعانيها مصر معروفة حتى لغير أساتذة
الاقتصاد • والدواء الوحيد لمواجهةها هو الشجاعة فى اتخاذ القرار •

فان احاط بنا الخوف فى القرارات الفرعية فويل لاقتصادنا كل
الويل حين يتحتم علينا أن نواجه القرارات الكبرى التى سترغمنا الأيام
على اتخاذها شئنا أم أبينا •

• فى مصرنا الخالدة ناشدى المسئولين فيك أن يلودوا بالجرأة فى
الحق لا يخشون الا الله وحده •

فهو وحده سبحانه القاهر فوق عباده • وهو أيضا الرحمن الرحيم
الغفور • جلّت آلاؤه •

١٦/٣/١٩٨٦ م الأهرام

بين النظرية والتطبيق

فى أهرام الجمعة ٧ مارس مقال للأستاذ السيد يسين رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام . والمقال يحمل على رأسه اسم المركز وهذا يوحى بشكل لا يقبل الجدل أن الأستاذ السيد يسين إنما يتحدث باسم مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية . وأعتقد أن فى هذا افتئاثا على المركز . فإن للأستاذ سيد يسين - إذا شاء - أن يكتب معلنا رأيه هو أما أن يكتب تحت راية المركز الذى يمثل الأهرام جميعه فأننا أرى أن هذا يؤدى الى نوع من الخلط بين رأى فردى ورأى جهة بأكملها فأننا أشرف بالإشراف على القسم الأدبى فى جريدة الأهرام ولكننى حين أكتب أنا أعبر عن رأى وحدى ولا يجوز لى أن أطبع شعار القسم الأدبى على مقالتي كما لا يجوز لى أن أضع شعار اتحاد الكتاب الذى أشرف برئاسته .

وبعد فهذا أمر يتصل بالشكل كان من الحتم أن أعرض له أما المقالة نفسها فتحمل عنوان « الديمقراطية والعنف والسياسة الاجتماعية » . والمقالة تحمل سمات المعارضة العنيفة ولا بأس على الأستاذ سيد أن يعارض ما طابت له المعارضة فنحن جميعا نعارض حيناً ونؤيد حيناً نتغيا المصلحة العامة ما وسعنا الجهد وما اسعفتنا الحجة .

وقد قلم الأستاذ السيد يسين أراءه فى إصلاح أحوال مصر من وجهة نظره وأنا لم أمسك القلم اليوم لأناقش هذه الآراء .

وانما ثارت نفسى وفزعت الى قلمى والى كتابة هذا الذى تقرأه الآن حين انتهى بى المطاف الى العنوان الفرعى فى آخر المقال ، وانى ناقل اليك ما قال بادية ذى بدء .

يقول الأستاذ السيد يسين تحت عنوان فرعى « إعادة صياغة السياسة الاجتماعية » ما يلى . . السياسة الاجتماعية فى بلد ما تترجم بشكل محسوس التوجيهات الأيدولوجية الأساسية للنظام السياسى ومن هنا تختلف السياسة الاجتماعية اختلافات جذرية فى النظم

الاشتراكية والرأسمالية • فى النظام الاشتراكى يعلو الصالح العام على حساب الصالح الخاص • وتتوجه السياسات الاجتماعية الى جماهير الشعب جميعا لكى تنهض بها من الناحية الثقافية والاقتصادية والسياسية ويظهر ذلك فى صورة برامج التعليم المجانية التى تسمح لأفقر العناصر الاجتماعية أن تبرز مواهبها وأن تكشف عن ابداعاتها ، وكذلك فى سياسات الدخول والأجور والتى لا تسمح للقلة أن تثرى - استغلالا - على حساب الأغلبية وهى التى تفتح أفاق الثقافة بلا حدود أمام كافة جماهير الشعب وتصل الى القرى والنجوع وهى أخيرا تدعم من ايجابيات الشخصية الانسانية وتكافح سلبياتها من خلال القدوة والتربية والتعليم والردع والاصلاح العقابى وعلى العكس تماما فى النظام الرأسمالى حيث يعلو صوت الصالح الخاص على حساب الصالح العام وتصاغ السياسات الاجتماعية أساسا لخدمة الأقلية والصفوة المختارة • وهى حين تتجه الى الجماهير العريضة فهى تتجه بقدر وبطريقة محسوبة ، والغرض الأساسى هو اشباع بعض الحاجات الأساسية لها تلافيا لعوامل السخط الاجتماعى وتقاديا لاحتمالات الصراع الطبقي •

وأكتفى بهذا القدر الذى يعلم الله كم قاسيت من جهد لأنقله وأنا أسأل الأستاذ السيد يسين هل ما زالت الشيوعية نظرية لفظية أم انها تجاوزت هذا الى التطبيق الطويل الذى يقارب اليوم نصف قرن من الزمان •

وما دام الأمر كذلك ألا يرى أن الأمانة العلمية تقتضى مناقشة التطبيق • وإذا كنا لا نناقش التطبيق بعد خمسين عاما من أعمال النظرية فمتى إذن ؟!

ومادام قد اختار أن يضع على رأس مقاله مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ألم يكن واجبا حتميا عليه أن يذكر رأى والرأى الآخر وبعده فلننتقل الآن الى ما قاله :

أيعرف الأستاذ حكومة فى العالم الحر جميعه تعمل لغير الصالح العام • أين تقع هذه الحكومة وفى أى دولة رأسمالية على وجه الأرض •

وكيف يصبح فى العقول أن حكومة ما تعمل لصالح أفراد ولا تعطى الشعب الا الفتات •

وهل ما يناله العامل فى امريكا يفارن بما يناله العامل فى روسيا •

وهل فكر الاستاذ السيد يسين فيما يتمتع به الانسان فى ظل
الحكومة الديمقراطية من حرية وديمقراطية وانطلاق وهل يستطيع
مقارنته بما يشقى به الانسان فى ظل الحكومات الشيوعية •

هل الثقافة متاحة فى الدول الشيوعية وغير متاحة فى الدول
الديمقراطية • أصدق هو هذا القول • فأين اذن أدباء الاتحاد السوفيتى
ومبدعوه •• أين ورثة تولستوى وديستوفسكى وتشيكوف وجوجل •
ألم يقتل النظام الشيوعى كل عبقرية حاولت التحرر من الخوف سواء
كان ذلك فى ميدان الفن الأدبى أو كان فى ميدان العلوم والأمثلة حاضرة
من قريب وهو يعرفها كل المعرفة • أليس النظام الديمقراطى يقوم فى
جوهره على أساس الحافز الشخصى !!

أو ليس هذا الحافز الشخصى هو الهاوية التى تردى فى فقدانها
النظام الشيوعى حتى لقد اضطر لينين روسيا نفسه أن يسمح بالملكية
الزراعية فيما يعرف بسياسة النيب (السياسة الاقتصادية الجديدة)
عام ١٩٢١ م ليحقق حافزا شخصيا للزراع بعد أن أصبحت روسيا التى
كانت مخزن القمح فى العالم تستجدى القمح من الدولة الرأسمالية
الكبرى أمريكا •

ألم تستبدل النظرية الشيوعية الحافز الشخصى الذى يتمشى مع
الطبيعة الانسانية بنظام « الردع والاصلاح العقابى » وهل يعنى هذا
التعبير شيئا الا القهر والنفى والقتل والمعتقلات •

أولا ليعنى هذا أن النظام الشيوعى يقول للانسان علانية وفى غير
خفاء سأقتلك وأهين انسانيتك وأدمر كل ما هو شريف فى حياتك لأجعلك
سعيدا رغم أنك فاذا لم تسعد فلك الويل ولك النفى الى صحراوات
الجليد ولك الاعتقال فى السجون • وإذا لم تسعد بعد هذا جميعا فلك
القتل • أليس هذا هو تطبيق النظرية يا استاذ سيد أم شيئا آخر •

أو ليس هذا التطبيق هو الذى جعل كل الدول التى فرضت عليها
الشيوعية تهرب منها وعلى رأس هذه الدول جميعا أضخم دولة فى التاريخ
ألا وهى الصين • وهى دولة عدد سكانها ألف مليون نسمة • وقد كان
يتبغى أن ينجح فيها النظام الشيوعى • فان ينال الفرد فى هذا الزحام

البشرى المروع لقمة عيشه أمر يدعو وحده الى التمسك بالنظرية ولكن النظرية فشلت فى أن تهب للانسان فى الصين حتى لقمة العيش ونجحت فى القهر وقتل انسانية الانسان فتركت الصين النظرية كلها واتجهت الى حرية الحياة ولاشك أن الدولة بحثت عن النظام الأمثل لمواجهة متطلبات ألف مليون نسمة بعد أن خذلتها النظرية الشيوعية خذلانا مبينا .

ولعل انتخابات فرنسا الأخيرة تعطيك مثلا آخر عن فشل النظرية حتى لم تتخملها فرنسا الا فترة انتخاب واحدة .

أو ليست روسيا تعيش بامتصاص دول الستار الحديدى كلها . وكل هذه الدول تحاول أن تتخلص من جنة الشيوعية فتجد أمامها الوحش السفاح يسوى بحث الأطفال والشيوخ والعجائز بالارض فلا تملك الا الخنوع فى ألم قتال . ولتذكر ان كنت لا تذكر ما حدث فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ولا يزال يحدث فى بولندا . ناهيك بالغزو الأخير لأفغانستان محاولة ضمها الى جنتها .

أترى يا أستاذ سيد أن كل الدول الديمقراطية التى تعيش فى حرية لا تعمل حكوماتها للمصالح العام .

أم ترى كل دول الستار الحديدى لا تعمل حكوماتها للمصالح العام حين تحاول التخلص من عبودية الجنة السوفيتية .

وبعد أيها الصديق هل ترى أن التعليم المجانى فى مصر خرج مثقفين ؟

أترك هذا لضميرك . بل وأتنازل عن آمالى قليلا وأسألك هل خرج التعليم المجانى فى مصر متعلمين . أم أن الأمر لم يزد عن لافتة على فراغ بعد أن أصبحت المدارس المصرية تعلم الجهل فتحسين تعليمه .

هل أفلح الإصلاح الزراعى فى مصر فى الارتقاء بالزراعة يا أستاذ سيد . اذن فاجعل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية يجيب على السؤال بالأرقام لا برأيك أنت .

هل ترى أن نظرية الخمسين فى المائة من الفلاحين والعمال نظرية مقبولة عندك وهل لها مثيل فى العالم . اجعل مركزك يجيب ولا تجب أنت .

هل القطاع العام بصورته الراهنة فى مصر خراب لمصر أم ازدهار
لإقتصادها • اجعل المركز يجب ولا تجب أنت •

وبعد يا أستاذ قلو مضيت فيما أخبرت فيه لما توقف القلم ولولا
أننى أردت عن المضى فى طريقه لما انتهى به الحديث الى مئات الصفحات •

وحسبنا الله ونعم الوكيل •

٢٣/٣/١٩٨٦ م الأهرام

أعجب وأعجب معى !

أعجب غاية العجب حين أمر بحرم الجامعة فأشهد صفوفها لا تنتهى
من السيارات من بينها سيارات فارهة يتناقل الناس فداحة أثمانها وتصل
هذه الأثمان الى عشرات الألوف • وأرى للشباب من تلاميذ الجامعة
يتقاطرون الواحد تلو الآخر ومن بينهم من هو فخور بسيارته ذات
الثمانين ألفا أو التسعين •

أهؤلاء يتلقون تعليمهم بالمجان !؟

أهؤلاء يحتاجون من الدولة الى دعم ليتعلموا به !؟

كره الله هذا والمؤمنون •

وعند بدء العام الدراسى أجد آلاف البيوت تسعى لادخال الأطفال.
البادئين الى المدارس الخاصة ، ويتخرج هؤلاء الآلاف فى المدارس الخاصة.
وقد حملوا فى أيديهم شهادة الثانوية العامة بذل آباؤهم وذووهم آلاف
الجنيهات ليتيحوا لهؤلاء الأبناء أن يحصلوا على هذه الشهادة ويحصلوا
معهها على لغة أجنبية تكون لهم سندا فى الحياة •• أعظم به من سند •

ويخطو هؤلاء الى الجامعة المصرية فاذا التعليم فيها بالمجانبة.

الكاملة !؟

فهل هذا معقول !؟

ينفق الطالب عشرة آلاف جنيه أو اثنى عشر ألف جنيه أو أكثر
ليحصل على شهادة الثانوية العامة التى تؤهله للدراسة فى الجامعة حتى
إذا أدرج اسمه فى كشوف طلبة الجامعة وأصبح يتلقى تعليمه من أساتذة
أغلبهم حاصل على الدكتوراه إذا كانت الكليات نظرية أو هو يكلف الدولة.
التي تئن وتتألم من قلة الموارد مبالغ طائلة ليتعلم فى الكليات العملية.

مثل الطب والهندسة دون أن ينفق مليما واحدا • كيف يسوغ هذا ،
كيف يدفع هؤلاء الطلاب آلاف الجنيهات للمدارس الخاصة ويتعلمون
تعليمهم العالى بالمجان •

ولماذا تهون الأموال وتقدم فى سماحة ويسر الى أصحاب المدارس
الخاصة والأجنبية • حتى اذا بلغت هذه الأموال أبواب الجامعة المصرية
التي تقوم الدولة بأعبائها جميعا أحجمت الأموال عن حرم الجامعة وتسربت
الى سيارات مجرمة وقحة لا حياء فيها ولا خجل •

احرام على بلايله الدوح حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل الا فى خبيث من المذاهب رجس

ان الجامعة أولى بهذه الأموال والدولة أكثر حاجة اليها من المدارس
الخاصة ومن السيارات التي لا تتقى الله فى فجور أثمانها •

ليكن التعليم فى الجامعة بالمجان • ولكن ليكن هذا مقصورا على
غير القادرين فقط أما هؤلاء الذين يحصلون على شهادة الثانوية العامة من
المدارس الخاصة ويبدلون الآلاف المؤلفة وأولئك الذين يشترون السيارات
ويقفون بها على أبواب الجامعة فليكن تعليمهم بالمصروفات الكاملة • بل
ينبغي أن تكون المصروفات منهم كافية لتقوم بشأن غير القادرين من الطلاب
فما قيمة المال اذا لم يكن عوناً لزميل محتاج أو لآخ ضئيل المصادر •

وليس يصلح حجة أن الدستور ينص على مجانية التعليم ففى ظل
هذا الدستور نفسه نشأت المدارس الخاصة • وفى هذا الدستور نفسه
تنقضى الجامعة الأمريكية المبالغ الفادحة نظير المصروفات •

ولم يحدث فى تاريخ العالم أن اجتمع فى بلد واحد نوعان من
القوانين يعارض كل منهما الآخر •

ومضى الآن تمر بطرؤف استثنائية وإذا لم نواجه مناحى الاتفاق
بالخزم وبالصدق وبغير محاولات رخيصة للتشديق بالإلفاظ فان مضيرنا
الى بوار لا يعلم الا الله مداه •

وأخرى •

فى أى بلد من بلاد العالم تلتزم الدولة بتعيين جميع الخريجين ،
يعلم الله ان هذا القانون صدر حين صدر لرشوة الخريجين وتسميم
الآبار أمام كل من يريد إصلاحا فى هذه الدولة .

ويعلم الله ويعلم الناس ان هذا القانون لم تبذل فيه أى دراسة ولم
يحظ بأى تعمق ولم ينل أى نظر رشيد أو غير رشيد الى المستقبل .

وهل أدل على ذلك من ان الخريج الآن يظل قابعا فى بيته السنوات
الطوال فى انتظار خطاب القوى العاملة حتى اذا جاءه هذا الخطاب تم
تعيينه بأربعين جنيها أصبحت لا تستطيع أن تواجه مطالب فرد وحيد
فما ظنك بأسرة كاملة قد يكون الخريج مسئولا عنها .

وهل هناك دليل على صدق ما أقول من هذا البيان الذى صدر منذ
قريب عن الحكومة انها ستسمح للموظفين بالقيام بأعمال أخرى فى غير
أوقات العمل الرسمية .

ما هى هذه الأعمال ؟

اذا لم تكن نعرفها فنحن نتعamy عن الحقيقة ونشيع عنها فى اصرار
على التجاهل ولا أقول الجهل .

ألا يعمل هؤلاء الخريجون كسائقين للسيارات الأجرة أو هم يعملون
فى الفنادق أو فى المقاهى أو عمالا فى المحلات العامة .

أكنا نعلمهم فى الجامعة لينتهى بهم المطاف سائقين للسيارات
أو عمالا فى المحال العامة .

وأى الطريقين كان أجدى عليهم أن يتعلموا فى الجامعة لمجرد الزهو
والتفاخر أم أن يتعلموا هذه الأعمال التى انتهت إليها مصيرهم .

أما كان الأول بهم أن يتعلموا الميكانيكا أو يتعلموا فى المعاهد
الفندقية بدلا من اضاءة سنوات حياتهم للحصول على شهادات لا يعملون
بها .

وأخرى .

ما قصة الخمسين في المائة من العمال والفلاحين • وما الاصرار عليها • ان كان ذلك للمحافظة على حقوق الفلاحين والعمال فالله يعلم. ومصر جميعها تعلم انه ليس بين ربوعها من لا يتصل نسبته بالفلاحين أو العمال •

ان جميع أبناء مصر بلا استثناء أبناء فلاحين أو عمال •

ليس في مصر طبقة تنتسب الى غير الفلاحين أو العمال • حتى طبقة التجار أبواها في أغلب الأمر من الفلاحين والندرة منهم من العمال • فما هذا التقسيم العجيب الذى لا يعرف بلده في العالم له مثيلا •

لا مثيل له في دولة شيوعية ولا في دولة اشتراكية ولا في دولة ديموقراطية •

هو في مصر وفي مصر وحدها دون سائر الأمم • وكيف يصح في الأذهان أن يختار الشعب أعضاء مجالسه التشريعية والمحلية من العمال والفلاحين الذين لم ينالوا الا أقل قدر من التعليم •

ان الفلاح أو العامل اذا كانت له قضية هيئة الشأن في محكمة قصد الى محام وأغلق عليه الأتعاب لأنه هو المختص في الشؤون القانونية •

والفلاح أو العامل ان شعر بألم في ضرر له قصد الى الطبيب ودفع ما يطلبه منه هذا الطبيب ليريه من ألم ضرره • فكيف يجوز أن تختار الدولة نصف المشرعين فيها من غير المختصين لمجرد انهم فلاحون أو عمال •

ما بعجيب اذن أن تصدر القوانين دون دراسة مستوفاة فقد قام بدراستها نصف الذين كانوا يجب أن يقوموا بهذه الدراسة •

ألا يدرك الفلاحون والعمال ان ضرر هذه القوانين الهزيلة يعود عليهم هم أولا وأخيرا • فما مصر كلها الا عمال وفلاحون أو أبناء عمال وفلاحين • لا أمستثنى في مصر أحدا •

كيف نقبل أن يتولى المختصون أعمالنا الخاصة الضئيلة الشأن اذا قيست بأمور الدولة • حتى اذا احتاجت الدولة جميعا والشعب كله الى تشريع أحلناه الى غير مختص •

ان قانون العمال والفلاحين الذى يحتم انتخاب خمسين فى المائة منهم
يشير من الأحقاد بين أبناء الطبقة الواحدة ما لا يستطيع أى قانون فى
العالم أن يثيره . فالفلاح أو العامل لا يرى أى غضاضة أن يمثله فى
المجلس التشريعى أى فتى من أبناء قريته أو من أبناء زملائه العمال فى
المصنع . . ولكنه لا شك يشعر بالغضاضة كل الغضاضة ان يذهب فلاح
مثله أو عامل مثله الى المجلس التشريعى . وحين يقول لنفسه أو للناس
فيم يزيد عنى ابن فلان هذا حتى يصبح عضوا بالمجلس التشريعى .
ولا يجد جوابا تتور فى نفسه نيران الجحيم . ولا لوم عليه .

ومن ناحية أخرى ما مصير العامل والفلاح الذى ينتخب فى المجلس
التشريعى لمدة دورة ولا يصادفه النجاح فى الدورة التالية . انه يلاقى
الهول الآخذ المبيد . فلا هو ظل فلاحا ولا ظل عاملا ولا ظل عضوا بالمجلس
التشريعى . ولا هو يستطيع أن يعود الى حقله فلاحا ولا الى مصنعه عاملا . .
وكيف له أن يعود وقد ظل سنوات وهو مشرّع بين المشرّعين لبس الحلة
وركب السيارة التى يسر له المجلس الحصول عليها وأصبح فى دنيا أخرى
ليس للفاس أو للنول مكان فيها .

● ليس فى مصر من لا يعلم ان هذا القانون انما كان تسميما
للآبار لجميع الحكومات التى تتولى الأمر بعد يوم صدوره .

وليس شئ يصنعه بشر مقدسا . انه لا تقديس الا لكلمات الله
وحدها ولشريعته . أما كل ما يصنعه الانسان فهو قابل للتفكير وللتدبر
وللتغيير . ومن المؤكد الذى لا شك فيه ان هذه القوانين البشرية جميعا
ليست مصنوعة فى السماء ومن المؤكد أيضا انها ليست مقدسة وانها
ينبغى علينا وجوبا أن نقلب فيها النظر ونمعن الفكر . فان تكن مصر قد
هزلت فى فترة طويلة من حياتها فقد جان اليوم لها أن تعدل عن الهزل
الى الجهد . ومن التهريج الى الصندق والتبصر .

ان شعبا انتصر على المستحيل فى حرب ٧٣ ليس كثيرا عليه أن
ينتصر على الخرافات فى بيته .

وما دمنا قادرين على أن نتصر على الأعداء فلا بد لنا الآن أن نتصر
على أنفسنا ونكف عن الهراء ليكون الجهد وحده هو طريقنا . فانه لا سبيل
لنا أن نخرج من أزمئتنا الا بمواجهة ما شاع فى حياتنا من هزل وترهات
والله من فوقنا هو ولى التوفيق .

لا يخلف الله وعده

أنا من المقتنعين كل الاقتناع أن رئيس التحرير هو وحده المسئول عن السياسة العامة للجريدة . وطبيعى أن رئيس التحرير يعنيه غاية العناية أن تحقق الجريدة التى يرأس تحريرها النجاح الأدبى والمادى معا . ولذلك فهو بطبيعة الهدف الذى يتغياها يبعد نفسه كل البعد عن اساءة استعمال الحق المخول له بالقانون وبالاعراف الصحفية .

وأشهد أن ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام من هؤلاء الذين لا يسيئون استعمال حقوق رئيس التحرير . ولعل القراء لا يحتاجون فى هذا الى دليل فنحن نكتب ما نشاء فى حرية تامة . ولكن يحدث — ونادرا ما يحدث — أن يتصل رئيس التحرير بواحد منا يطلب اليه فى أدب جم أن يخفف من حدة مقالة أو عبارة . أو قد يحدث مرة كل عام أو عامين أو أكثر أن يطلب رئيس تحرير الأهرام أن يكتب أحد كتاب الأهرام مقالا آخر غير الذى كتبه . وطبيعى أن يفضى الكاتب ولكن هذا الأمر حين يحدث إنما يتصل بالسياسة العامة للجريدة التى يقع على رئيس التحرير وحده واجب توجيهها وأنا أدري بما أعرفه من خلق ابراهيم نافع أى حرج يشعر به وهو يطلب الى الكاتب هذا المطلب العسير .

ولعلك سائل نفسك فيم هذا الحديث اليوم ؟ الواقع أن مقالة الأستاذ سيد يسين التى نشرت فى صفحة الأدب فى الأسبوع الماضى وصلتني متأخرة فبادرت بطلب جمعها وعزمت فى نفسى أن أرد على ما جاء فيها اليوم ، وكان طبيعى أن أخبر الأستاذ ابراهيم نافع بما تتجه اليه نيتي . فكلانا كاتب فى الأهرام ومن الطبيعى أن يكون رئيس التحرير على دراية بما يكتبه كل منا ردا على الآخر أو تعليقا عليه . وهكذا رأيت — ولأول مرة — أن أنبئ الأستاذ ابراهيم نافع بما أنتويه من اننى أجلت ردى على الأستاذ سيد يسين الى الأسبوع التالى فاذا هو فى أدب جم يرجو أن توقف النقاش عند هذا الحد .

وقد كان الأستاذ ابراهيم من الرقة والعدوبة بحيث لم أستطع مناقشته . وصبرت نفسى وقرأت المقال فاذا الأستاذ سيد يعطينى من

الرد تماما فهو لم يزد فى مقاله عن أنه صنفنى وصنف نفسه بالصورة التى يطيب له أن يطالع بها نفسه ولو كان الأستاذ سيد يسين قد تفضل فناقشنى ما جاء فى مقالتي لكنت عاودت الكرة ورجوت رئيس التحرير أن يسمح لى بالمناقشة .

ولكن الأستاذ سيد لم يناقشنى وانما صنفنى فيا استاذ ابراهيم نافع أنا أذن استجيب لطلبك وأكف قلمي عن الرد ولن أراجعك لا ولن أناقشك فانت وحدك المسئول عن مقدار الحجم الذى ينبغى للنقاش بين كتاب جريدتنا الكبرى .

فلنضرب صفحا عن هذا ودعونا نلقى نظرة على أمتنا التى تتجاذبها صراعات من الشعارات البعيدة عن الجدية فى وقت لا حياة لنا فيه الا بالجدية . والويل لنا أقصى الويل اذا ظللنا نمضع الالفاظ الجوفاء التى ألفت بهزلها وهزلها على كبريات المرافق فى حياتنا فاذا نحن نصير الى هذا الذى صرنا اليه .

ما بال أقوام يثور ثائرههم وتحمر معاطسهم وتبرق أقلامهم بالترهات، اذا ذكر كاتب أو نائب فى مجلس الشعب أو الشورى كلمة القطاع الصام .

أى عفريت كافر خبيث ألقى فى روعهم أن مصر تستطيع أن تستغنى عن القطاع العام - كل القطاع - هيئات . قسما ما ارتعبت مفاصلهم ولا وجلت قلوبهم الا بما يعلمون كل العلم ما جره القطاع العام بصورته الحالية من خراب ودمار على اقتصاد مصر . وأخلاق أبنائها الذين عملوا فيه فظنوا أنه مرتع للسرقة والاتلاف والرشوة والاختلاس .

أما القطاع الصام كفكرة فلا يمكن أن يلغى ففى الغائه انهيار لاقتصادنا لا شك فيه . ولكن ألا ينبغى علينا وجوبا أن نجعل منه مصدر كسب لا خسارة ومورد دخل لا مصرف انفاق .

واذا نحن لم نفعل فيما مصيرنا .. وما مصير علاقتنا بالدول التى تقدم إلينا الأموال معونات أو قروضا .

أما القطاع الصام فى ذاته فهو مبدأ معمول به فى كل الدول الديمقراطية وما من دولة فى العالم تخلو من القطاع العام . وقد درسنا فى كلية الحقوق نظام الريع الذى كان معمولاً به فى فرنسا وقد كانت

الدولة فى ظل هذا النظام تحتكر صناعة الكبريت • وفى ثلث القرن الأخير اتسع حجم القطاع العام فى فرنسا اتساعا كبيرا وشمل الكثير بل والكثير جدا من الصناعات الكبرى •

وكذلك الأمر فى إنجلترا وكذلك هو فى جميع البلاد التى تعمل فى نظام الحكم الحر أو الديمقراطى ولا أعرف دولة على وجه الأرض تستغنى عن القطاع العام أو ترفضه • ولو أننا استقصينا بالأحصاء لتأكد هذا الذى أذهب إليه •

وانما ندعو فى مصر الى أمر آخر بعيد كل البعد عن إلغاء القطاع العام جميعه ان كل ما نرجوه أن يبحث أئمة الاقتصاد وأسائذته فيما يجدر بالدولة أن تجعل منه قطاعا عاما وما يجمل بهيا أن تتركه للقطاع الخاص •

وأعتقد أن أحدا لا يستطيع أن يناقش أن الصناعات الكبرى لابد ان تكون من القطاع العام • مثال ذلك الحديد والصلب والغزل والنسيج وكل ما ترى الدولة بالنظرة الاقتصادية الواعية ، انه يحقق للدولة الفائدة الكبرى • وليس من الحتم ان تتمثل الفائدة فى الناحية المالية فقط • بل قد يكون بقاء هذه المؤسسات فى اطار ملكية الدولة أمرا يتصل بما هو أهم من المال • مثال ذلك الاذاعة والتليفزيون والتليفونات والسكك الحديدية •

ومن المؤسسات الهامة فى مصر على سبيل المثال لا الحصر شركات الأقطان التى فرضت بها الدولة ضريبة خفية تصل الى قرابة خمسمائة جنيه على القدان الواحد • وبطبيعة الحال أصبحت هذه المؤسسات ترد على الدولة مبالغ خيالية لا نستطيع بأى حال من الأحوال ان ننتقصها من ميزانيتها والا أنهار الاقتصاد المصرى كله •

وهكذا ترى أننا لا نفكر مطلقا أن ننظر الدولة المصرية الى الدول الأخرى فيما تبقيه فى قطاعها العام وما تعفيه منه • فليس فى العالم الحر - فيما أعتقد - دولة تستولى على محاصيل الأرض بالثمن الذى تفرضه الا فى مصر •

ولكن لا بأس فقد أصبح هذا ضرورة لا غنى عنها •

فولولة المنتفعين وأصحاب اللافئات وإبناء الشباعات كلما ذكر القطاع العام نوع من التهريج مرونا عليه وأصبح ذلك دأبهم ، مرضا أصيبوا به وليس لهم منه شفاء •

أذن فلنتجه بالحديث إلى الجانب الآخر من القطاع العام .

هل حققت الفنادق ما كان يجب أن تحققه من أرباح ومن طيب سمعة ومن اجتذاب سائحين . علم الله أن أميرا عربيا ينزل الآن بأحد الفنادق ويصرخ من سوء الخدمات في الفندق صراخا يكاد يصل إلى بلاده . يطلب الطلب وتمر الساعات وينسأه قبل أن يستجيب له المسئول . وترسل إليه الرسائل فتظل في حيازة من تسلمها من موظفي الفندق يوما ويومين قبل أن تصل ليد الأمير أو مرافقيه . والطعام في الفندق لا يسيغه أحد إلى غير هذا مما نعلم جميعا .

ولكن أبناء الشعارات يصرخون ، حذار أن يقترب أحد من القطاع العام أو يمس ذكره بكلمة . يناقشون الايمان وهو الايمان ويرفضون أن يمس أحد قدسية القطاع العام .

هل قدّر الله لك أن تدخل محلا تجاريا من محلات القطاع العام . لا شك أنك فعلت . واني أسألك بربك رجلا كنت أو كان القارىء سيده . هل شعرت أن مكانا ما من مناحي الحياة جميعا يمتحن انسانيتك كما يمتحن انسانيتك محل تجارى من محال القطاع العام . ولم لا والبائع لا رقيب عليه من ضمير وهو سينال مرتبه سواء اشتريت أو لم تشتتر . وليس من أحد في المحل جميعا يهجم أن يزداد البيع . فالمحل يفقد الحافز الشخصى فقدانا تاما .

وأذكر هذه المتاجر حين كانت بيده أصحابها وأذكر صيدناوى باشاء ضاحك محلات صيدناوى واقفا على باب المتجر الخارجى وتمر به امرأة خارجة من المتجر وهى فى الملاة الملقوفة وفى يدها طفلها ويقترب منها صيدناوى بمنتهى الأدب :

- لماذا لم تشتري شيئا يا سيدتى ؟

وتقول السيدة :

- لم أجد ما أريد .

- وما الذى تريدينه ؟

تقول له : لقد كانت تريد مترا من قماش معين رخيص الثمن فاذا الباشا يقول لها فى أدب :

— موجود عندنا • تفضلنى معى •

— ويذهب الى القسم الخاص ببيع هذا القماش ويجد لها ما تريد
وينزل عقابه على العامل الذى استهان بالسيدة وبمطلبها •

اذهب أنت اليوم الى متجر من متاجر القطاع العام وأطلب شراء أعلى
ما عندهم من أى بضاعة وستكون سعيد الحظ ان وجدت انسانا يكلمك
كأنسيان •

اننى أتصور أن تكون الدولة منتجة للصناعات الكبرى ولكن لماذا
تكون الدولة وسيطا بين المصانع والمستوردين والجمهور فى نظام يدعى
الحرية الاقتصادية •

لقد شهدنا الدولة المصرية تباع سندويشات الفول والطعمية وهكذا
الم يكن عجيبا ان تباع أيضا الكباب والفراخ المشوية •

أيهما اجدى على الدولة أن تكون التجارة حرة وتفرض ضرائبها
التصاعدية على التجار ويدخل الربح المؤكد الى خزائن الدولة أم أن تنزل
الدولة منافسا للتجار وتخسر الخسائر الفادحة التى أصبحت حديث الناس
فى العالم أجمع •

ويتباكى المتباكون على العاملين فى القطاع العام • لكم الويل يوم
يحشر المنافقون الى جهنم وبئس المصير • هل وجد هؤلاء العمال مكانا فى
القطاع الخاص وتركوه الى القطاع العام ان العمال جميعا يعلمون ان
دخلهم فى القطاع الخاص سيكون أضعاف ما يتقاضونه من القطاع العام •
واذا كانت الدولة فى القطاع العام تعين أصحاب الشفاعات فان القطاع
الخاص يجعل العامل يشعر بأهميته لأنه محتاج اليه فعلا بغير وساطة
أو شفاعاة •

وبعد فما هذا الا مثل أضربه ، له مئات الاشباه والأمثال وأسائذة
الاقتصاد وجهابذته أقدر منى على دراسة القطاعات الخاسرة جميعا وهم
أيضا قادرون — بعون الله — على جعل مصارف الخسارة موارد كسب للدولة

لو أننا رددنا عنهم الرعب الذى يثيره أصحاب الحناجر الكاذبة والشعارات.
الملفقة والذين لا عمل لهم الا تخريب الاقتصاد المصرى ليزرعوا أشجارهم
التى لا تنمو الا فى الأرض الخراب .

فليعمل الاقتصاديون بحرية العلماء وشجاعة الوطنيين وليكونوا
على ثقة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . بهذا وعد عباده ولا يخلف
سبحانه وعدا .

١٩٨٦/٤/٦ م الأهرام

الحرية مسئولية الفرد

ان أعباء الحرية على الفرد لا مثيل لها فى الديكتاتورية . ففي ظل الديكتاتورية يقول الديكتاتور للشعب بالعمل لا بالاعلان ، لا شأن لك أيها الشعب بدولتك . اعتبر نفسك مفضولا عنى كل الانفصال . أنت أيها الشعب بدولتك . اعتبر نفسك مفضولا عنى كل الانفصال . أنت لا غنى لك عنها حتى تبقى حيا على ظهر الأرض ، أما الدولة فلا شأن لك بها مطلقا .

أنا الديكتاتور المسئول وحيدى عن الدولة وعن أموالها أنفقها بالصورة التي تطيب لى وأنا وحيدى الذى أحدد صلات الدولة بالدول الأخرى فانا لى أن أسب الدولة ورئيسها وأنا لى أن امتدح دولة أخرى ورئيسها . ولى أن أسالم ولى وحيدى أن أحارب . وأنا وحيدى الذى أعلن هذه الحروب وأنا وحيدى الذى يعرف مدى فائدتها أو أضرارها . وأنا أعلم أنك أيها الشعب ستقدم لى أبناءك لأقتلهم فى ساحة القتال ولكن ما العجب فى ذلك أن الموت هو النهاية الطبيعية لكل المخلوقات فأى بأس أن أحدد أنا الموعد الذى يموت فيه من أشاء من أبناء شعبي . وأعلم أن الحرب سيتكلف الدولة أموالا لا طاقة لها بها ولكن أنا المسئول عن أموال هذه الدولة جميعا فقد أبيع أرضة الذهب بها وقد استبدت بالحارب . وقد أقبل السلاح المتخلف بأثمان السلاح المتطور . . . كل هذا شأنى أنا وحيدى وليش شأنك .

ومادمت قد سألتك فى استفتاء وقبلت أن أكون رئيسك فحتم عليك أن تترك لى وحيدى حق التصرف فى حياتك ومماتك ، ومادام الموت والحياة أصبحا من حقى . فإن حرية الأفراد - من باب أولى - من خالص حقى . أحبس من أشاء وأعتقل من أشاء وأثبت حكمى بكل الوسائل التي أراها صالحة لذلك وان أدى ذلك الى أن يعتدى أعوانى على الأعراض . ومادمت قبلت أن يعتدى أعوانى على الأعراض فمن الطبيعى - من باب أولى - أن أصادر أموال من أشاء وأمنع من أشاء عن العمل . ومن حقى - لا شك - أن أمنع أى انسان فى الدولة أن يفكر مادمت أنا أفكر . وما حاجتك أيها الشعب الى التفكير مادمت أنا أفكر لك . وأنا أفكر لك بموجب

الاستفتاء الذى خولتنى به هذا الحق • ولست أقبل منك أن تدعى أن هذا الاستفتاء قد تم بالقهر والقوة والجبروت • وأن أدعى أحد من الشعب ذلك فإن حقى أنا الشعب • فانا - كما تعلم - أنا الشعب أن أنزل به ما أشاء من عقاب •

وهكذا يصبح الفرد فى ظل الديكتاتورية متخففا من كل الأعباء • وهو لا يستطيع أن يقول رأيا حتى ولو حاول ذلك • ولهذا لم يكن عجب أن يلجأ الكتاب وهم صوت الإنسان ورواد الحرية فى كل العصور الى كتابة ما يريدون قوله بالرمز فى أى شكل يستجيب لهم وكم من مقالة كانت رمزا وكم من رواية وكم من قصة • أما الشعب فقد كانت لغته مختلفة عن لغة الكتاب • كانوا يطلقون النكتة ليعبروا بها عن رأيهم فيما يقاسونه من أهوال •

وكان الإعلام فى الدولة يصدر عن لسان واحد لا تختلف فى ذلك جريدة عن جريدة كما لا تختلف الصحافة عن الاذاعة المرئية أو الاذاعة المرئية عن الاذاعة المسموعة • كانت كلمة واحدة لكل يوم واينما قلبت وجهك لن ترى الا هذه الكلمة واينما حولت أذنك لن تسمع الا هذه الكلمة وكل كلمة يقولها الديكتاتور هى الشعار وهى الحكمة وهى الرأى وهى الأولى والأخرة وهى كتاب التفرد بالحكم ودستوره وآياته •

تلك هى الديكتاتورية • وكل ديكتاتورية الى زوال • لأن الديكتاتور مهما يكن عاتبا طاغوتا جبارا لا يزيد عن انسان يقع عليه ما يقع على الانسان فهو ليس بالأحد ولا هو بالصمد وهو يلد وهو يولد أذن فهو يموت وتجري عليه نواميس الحياة كما يجريها ملك الناس الى الناس القاهر فوق عباده •

وحيثما تعود الحياة الى الحرية وهى فى عودتها ذات صخب وضجيج وذات أصوات مرتفعة تكاد تحسب أنها لن تهدأ أبدا الدهر •

ومع الصخب والضجيج تنماع الحدود • ويصبح الانسان الذى عاش فترة من عمره مقصيا عن شئون الدولة مطالبا أن يتدخل فى كل شئ سواء عنده أن يكون عالما بما يتكلم فيه أو غير عالم • المهم أن يتكلم •

وهنا تتضح الحقيقة الكبرى • فإذا كانت المسئولية فى ظل الديكتاتورية على الديكتاتور وحده • فإنها فى ظل الحرية والديمقراطية مسئولية كل فرد من الشعب •

والمسئولية ذات أصول • لأن الحرية أصولا • والحرية بلا أصول
فوضى عارمة تؤدي بمصالح الدولة الى الخراب •

وأول هذه الأصول أن يكون كل فرد ملتزما بالقانون • والقانون
حق وواجب • فإذا حاول الفرد في ظل الحرية أن ينال حقه ولا يؤدي
واجبه هالت الموازين في الدولة جميعا •

ومن أصول الديمقراطية أن يحاسب الانسان نفسه على كلمة
يقولها أو يكتبها • لأنه بكلمته التي أصبحت حرة يخاطب الشعب كله بل
وشعوب العالم أجمع • فالدولة اليوم لا تعيش وحدها وإنما الذي يجري
بها يؤثر في مجريات الأمور في شتى أنحاء العالم • وتوجه هذا الحديث
الى بعض من الذين يحاضرون الناس ويعلنون أنهم يعبرون عن رأيهم
هم • ولا بأس بهم في ذلك ولكن لابد أن يكونوا على دراية وافية
بما يعلنون والا رفضت الحرية ما يقولون والحرية هنا هي الشعب •

أنا نحن كتّاب أحرار من كل القيود الخارجية ونحن في نفس الوقت
مقيدون بقيود نرفضها على أنفسنا هي في ذاتها أعظم ثقلا من قيود العالم
أجمع • أننا مقيدون بثقة الناس في أشخاصنا وفيما نكتب • ونحن نعلم
كل العلم أننا إذا كتبنا حرفا عن غير اقتناع شريف به عفيف فإن الناس
ستفقد ثقتها في كل ما نكتبه •

ونحن نعلم أن الثقة في الكاتب لا تتكون إلا في عشرات السنين وأن
هذه الثقة نفسها قد يفقدها الكاتب في لحظة واحدة يشجر القراء أنها
صادرة عن غير اقتناع نقي من نفوسنا •

فإذا قدر لكاتب منا أن يتولى منصبا فعلى الكاتب حتما أن يكون
رأيه مرتبطا بهذا المنصب فإذا أراد أن يسترد حريته عليه أن يستقيل •
فلا يقبل مثلا من مدير مكتب وزير الاقتصاد أن يحاضر في ندوة عامة
أو يكتب مقالا في جريدة يختلف فيه مع الوزير • مدعيا أنه يعبر عن رأيه
الخاص • فإن أحدا لن يصدق أن ما يقوله إنما هو رأيه الخاص • لقد
فقد الحق أن يكون صاحب رأى خاص معلن يوم قبل وظيفته في مكتب
وزير الاقتصاد • فإذا أراد أن يقول رأيه الخاص فعليه أن يستقيل أولا •
لأن رأيه هذا قد يقلب موازين الاقتصاد في الدولة كلها •

إن الحرية المتاحة في أمريكا واسعة فضفاضة ولكننا لم نسمع أن
موظفا عاما قال رأيا وادعى أنه رأيه الخاص وليس رأى المنصب الذي

يمثله • وإن قال فإن أحدا لن يصدقه وعلى كل فإن هذا لم يحدث قط
ولن يحدث أبدا •

فليس الأمر مجرد رأى يقال إنما هو سياسيات دولة يقوم عليها
اقتصادها ومستقبلها ومستقبل صلاتها مع دول العالم أجمع • ومستقبل
صلات الشركات العالمية بهذه الدولة وصلات الأفراد بها أيضا •

إن للحرية حدودا إذا اختلطت أصبحت فوضى • وإن الحرية تعطى
الشعور بالإنسانية لأفراد الشعب وتمنحه عظمة الاحساس بالانتماء للدولة
التي يعيش تحت سمائها وهى فى نفس الوقت تفرض عليه واجبات •

ولكل وظيفة حقوقها وواجباتها • فالذى نقبله من الموظف العادى
لا نقبله من القاضى مثلا • لا يستطيع القاضى أو أعضاء النيابة أن يظهرُوا
فى المحلات العامة بظهر غير لائق ولا يجوز لهم ما يجوز لغيرهم من لهو
ومتع • إن المجتمع الذى وهب لهم الاحترام فرض عليهم الوقار واحترام
الذات •

والطبيب الذى يدخل بيوت الناس إذا عرف عنه أنه صاحب نساء
مثلا سقط قدره •

وما يفعله كل انسان ممارسا لحرية لا يستطيع الانسان الذى
أصاب بعض الشهرة أن يفعله •

لكل وظيفة فى الحياة واجباتها وآدابها • ولكل وظيفة حدودها التى
يتحتم على شاغليها أن يقف عندها • ويظل دائما حرا كل الحرية • إذا
وجد أن القيود التى تفرضها عليه وظيفته أكثر مما يطيق فانه له بتوقيع
واحد منه أن يترك هذه الوظيفة إلى غيرها يستطيع أن يتحمل واجباتها
وقيودها • وكل ميسر لما خلق له •

١٣/٤/١٩٨٦ م الأهرام

تعليق

لا أتصور أن يمر هذا الأسبوع دون أن أقدم أصدق التحية للدكتور يوسف أدريس على مقاله الرائع فى يوم الاثنين الماضى بجريدة الأهرام حين ناشد أسرتى الرئيسين السابقين أن يتنازلا عن الأراضى الشاسعة التى ينتفعان بها دون ملكية بالمعمورة • والتى لا تستفيدان من وجودها • فى حوزتيهما أى فائدة • فلا هى متاحة للشعب أن يبنى فيها ولا هى تمثل للأسرتين الكريمتين شيئا ذا قيمة • وانى انضم الى الدكتور يوسف أدريس فى مناشدته وأدعو الكتاب جميعا أن يشاركوه فى هذه المناشدة • فإنه لشيء عظيم أن يحس الشعب أن الأسرتين الكريمتين منه يحسان بآلامه ويشاركانه فى أزماته • فهل من سميع •

لا اقتضان بغير ثقة

ان رئيس جمهورية مصر العربية رجل نادر المثل في طهارة اليد
وشرف الذمة والبعد كل البعد عن مواطن الشبهات •

أذكر أنني كنت يوما في مكتب أحمد الوزراء بالملكة العربية
السعودية فإذا أحد الجالسين يوجه الى الحديث •

— أسمعت ما فعله رئيسكم منذ قريب •

قلت :

— لا أعرف ما تقصده •

قال :

— لقد شاعت هنا قصة نتناقلها جميعا وكلنا اعجاب برئيسكم •
فقد قيل أن ابنه سافر الى فرنسا في رحلة دراسية فإذا أبوه يشتري له
تذكرة سفر سياحية في الدرجة الثانية بعد أن أجرت عليها الشركة
التخفيض الذي تمنحه للطلبة جميعا وسافر ابن رئيس الجمهورية دون أن
يحيط به أى مظهر من المظاهر التي تلحق بأبناء الرؤساء •

قلت :

— أنا لم أسمع بهذه القصة ولكنها ليست عجيبة على رئيسنا
فهكذا هو •

وحين عدت الى القاهرة تأكدت من صدق ما رواه لي المواطن
السعودي • وللناس همس مسموم • ولهم بينهم حديث يستعذبون فيه
الخوض في أقدار الناس وأمانتهم •

ومثلى يكاد يسمع كل ما يدور به همس وأغلب ان لم يكن جميع
ما يتناقله الناس في تنادهم •

وأقسم - وما أنا بحاجة الى قسم - أن أحدا لم يذكر الرئيس محمد حسنى مبارك الا وتحدث عن طهارة يده وبعده كل البعد عن أى مظنة لشائبة ولقد قلت اننى لست بحاجة الى قسم لأن هذا الذى أقوله سيؤيدنى فيه كل قارئ سواء كان مؤيدا للرئيس مبارك أو معارضا له .

كان من الطبيعى أذن أن تصبح الطهارة هى سمة العهد جميعه .
وأن تكون هى الصفة التى يتحلى بها كل من يجلس على مقعد ذى سلطان وإدارة .

ولكن - وأأسفاه - الهمس يدور فى كل مكان بكبائر التهم والناس تلوك كثيرا من الأسماء بشتى سرقات واحتيالات واستغلال للنفوذ وإهتبال للفرص واستيلاء على ما ليس لهم بحق وتستتر على لصوص وحماية لمن يستحلون أموال الدولة .

والهمس يدور أن كثيرا من الاتهامات حولت الى المدعى الاشتراكى .
وقد أكرمنا الله فى منصب المدعى الاشتراكى بقاض من أمجد القضاة ، وأشرفهم قصدا وغاية وتصرفا ، الى جانب علم وافر وقدرة فائقة على مواجهة قضاياهم ، فالذى لا شك فيه أذن مع ما يعرفه الجميع عن هذا القاضى أن جهازه ليس فيه العدد الكافى للاضطلاع بذلك الكم الوفير الذى يتدفق على محكمته .

وليس الأمر يسيرا فان وظيفة المدعى الاشتراكى تعتبر من أخطر الوظائف ان لم تكن أخطرها فى هذه السنوات التى نجتازها . ومصر فى أشد الحاجة الى هذه المحكمة لتواجه الفساد الذى يحيق بأجهزتها والذى حاق بها فى خروج مصر من الاقتصاد المغلق الى الاقتصاد الحر ، ومن عصر الحكم المفرد الى عصر الديمقراطية والحرية .

وان التقرير الذى طلع علينا به مكتب المدعى الاشتراكى يظهر بجلاء حاجة مصر الماسة الى هذه المحكمة . ولكن لا بد أن يتهيأ للمدعى الاشتراكى كل ما يتطلبه عمله الخطير من معاونين يستطيع بهم أن يواجه هذه الموجة الطاغية من الفساد والرشوة والسرقة واستغلال النفوذ .

ولا مجال للقول هنا ان وظيفة المدعى الاشتراكى وظيفة استثنائية فى السلطة القضائية . فان الحالة الاستثنائية لا بد أن تواجهها الدولة بقضاء استثنائى . والقائمون بالأمر فى مكتب المدعى الاشتراكى قضاة

جميعهم من السلطة القضائية وعلى رأسهم قاض من أعظم قضاة مصر
فمن الطبيعي اذن أن يكون عددهم كافيا لما استشرى في مصر من فساد ،
فانه لولا المدعى الاشتراكي لهربت من مصر أموال تزيد عن الأموال التي
هربت أضعافا مضاعفة • ولولاه لأقلت من العقاب مجرمون ارتكبوا أبشع
الجرائم معتدين على الأمن من بنى مصر • وشر عدوان لهم على اقتصاد
مصر نفسها •

ان مصر اليوم تعاني أعظم ما تعاني من شاغلي مناصب كبرى ثارت
حولهم وحول أقاربهم الأقربين تهم دامغة •

وتعاني مصر اليوم من قيادات تنحرف باتجاهها الى أسوأ ما واجهته
مصر من أهوال سياسية واقتصادية وخلقية واجتماعية •

وقد عاشت مصر فترة طويلة من الزمن فى ظل حكم حطم القيم
الأخلاقية والانسانية شر تحطيم • ونرى الكثيرين ممن عملوا فى ظل
هذا الحكم يتولون أخطر المناصب وأكثرها حساسية وفعالية •

وللسياسة والحكم رجال أولا وقبل كل شئ • فاذا فقد الشعب
ثقته فيمن يتولون المناصب الخطيرة فى دولته فكيف يمكن أن يثق باقتصاد
دولته وكيف يجوز لنا أن نطالبه أن يقدم أمواله فى المشاريع الاستثمارية •
وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر •
وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر ؟
ويرسلوا أموالهم الى مصر ودیعة • والودیعة لابد أن تكون وادعة آمنة
فمن أين يأتى الأمن الى نفوس المصريين فى الخارج وهم يرون المصريين
فى الداخل يخافون على أموالهم من هول الاشاعات التى تحيط بهم مع
الهواء الذى يتنفسون ومع الماء الذى يشربون وأين الأمان فى بلد تنعالي
فيه صيحات أقوام يشرفون على قطاعات هامة فى حياتنا نسمع فى رنين
صيححاتهم القضاء على الحرية الاقتصادية أو الحرية السياسية •

ان انصار الطغيان ودعاة الشيوعية أصبح لهم اليوم فى مصر صوت
مرتفع على الطبقات تؤيد كوارثهم بعض مناصب غاية فى الأهمية وعلى
درجة عالية من الحساسية •

والصوت المرتفع يستطيع أن يبتلع فى طياته الحقائق المؤكدة •
والذى لا شك فيه أن شعب مصر يكره الطغيان كما يكره كل شعب فى
أن يحكمه طاغية •

ولكن الأصوات المرتفعة التى هبها لها الاعلام المصرى أن تكون
صبيحات بعيدة المدى استطاعت أن تبتلع المبادئ الحقيقية التى يعتنقها
الشعب المصرى والتى يحافظ عليها حفاظه على الحياة وهى الحياة وهو
يؤكد ذلك بالأدلة الدامغة أقربها الانتخابات التى لم يستطع الشيوعيون
فيها أن يفوزوا بمقعد واحد *

ولم يكن عجباً أن يكون هذا دأب الشيوعيين فى كل مكان فى العالم
ولعل آخر ما بدأ من كراهية الناس لهم انتخابات السودان وقد كان
صوتهم فى السودان مرتفعاً عالياً هزيم كهزيم الرعد حتى لقد ظننا أنهم
سيفوزون بالأغلبية فى انتخابات المجلس النيابى وتتم الانتخابات وتظهر
النتائج فإذا هى حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها مقال تسفر عن نتائج
تؤكد أن الشعوب لا تطيق الشيوعية ولا تتصور أن تحكم بها * فحين
يفوز حزب الأمة السودانى بثمانية وثمانين مقعداً ويفوز حزب الاتحاد
بستين مقعداً ويفوز المستقلون بخمسة مقاعد لا ينال الشيوعيون إلا مقعدين
ربما نجحوا برغم أنهما شيوعيان لا لأنهما شيوعيان *

وهكذا الشعوب فى جميع أنحاء العالم من غربه إلى شرقه لا يختلف
فى ذلك شعب عن شعب ولا أصحاب دين عن أصحاب دين آخر *

وهكذا كان حتماً علينا أن ننظر فى أمر هؤلاء الذين يتولون مناصبنا
ولا بد أن يكون اختيارنا لهم مبعثاً للفوز بثقة الشعب فيهم * فإنه لا أمل
لنا أن ينتعش اقتصادنا إلا إذا استقرت الثقة كل الثقة بمن يتولون
عظائم أمورنا *

١٩٨٦/٤/٢٠ م الأهرام

حريق وكوب ماء !

أحسب . • أو أنا أخشى أن تكون الحكومة وقد أصدرت البيانات الطوال بضرورة الانتاج وحثيثة قد اطمأنت أن الناس سيسارعون الى الانتاج وأن كل شيء سيسير في نهجه الأمثل .

هيهات .

• أنا لم أجد في حياتي شيئا سوى الجهد المبذول فيه لا يأتي بثماره .
قدر هذا الذي يسمونه بالتوعية .

كم من أموال انفقت في سبيل التوعية بعواقب زيادة النسل والانفجار السكاني وما يصاحبه من أهوال في الغد ومن ضيق في العيش ومن تقتر في الرزق . • وكتم قالوا انظر حولك وانظر أمامك وانظر خلفك .
فكانت النتيجة مزيدا من الانفجار السكاني . • ولعل التوعية صنعت عكس ما أريد منها فقد كثرت متصرفا عن زيادة النسل فجعلته يزيدته حين كان لا ينوي أن يزيده . •

والناس لا تحب النصيحة . • والذي يستنصحك انما يريد أن تؤيده فيما استقر عليه هوامه فان كانت نصيحتك تؤدي الى غير ما يميل اليه . • بحث عن ناصح آخر يؤيد رأيه الذي اتخذه . • وأذكر محاضرة للشاعر عزيز أباظة قال فيها ان النصائح هي أثقل الطيبت على النفوس وهو محق . •

ولن تجد عاملا يستغل ما أتاحته له قوانين العمال من اجازات ومن تهرب ومن قعود على العمل يترك هذا جميعه ويسارع الى ما تفرضه عليه الأمانة وشرف المعاملة ويقبل على العمل الاقبال المفروض فيه . •

استجابة الى النداء الصادر من الحكومة أو من غيرها . •
لا شيء يرد السادر المنصرف عن الجدية في الحياة الى الطريق القويم الا القانون . • أما التي يسمونها بالتوعية فلا خير فيها مطلقا . •

ان العامل حين يتهرب من العمل ويدعى المرض ويستنفد أجازاته جميعا يعلم كل العلم أن الذى يصنعه لا يتفق مع الأمانة ولكنه يصنعه مع ذلك • وهو مستبعد أن يبذل نصحه لجميع الآخرين أن يقوموا بواجبهم خير قيام ولكنه يستثنى نفسه فالإنسان يعتقد أنه دائما استثناء من القاعدة العامة • وأن ما ينبغي للآخرين لا يسرى عليه • وما يجب أن يصنعه الآخرون إنما هو واجب عليهم لأنهم آخرون أما هو فاستثناء من القاعدة • انه هو • • وهل فى العالم أجمع مثله هو • • هو فلتة الطبيعة • وهو الاستثناء الوارد على مخلوقات الله • وهو يحق له ما لا يحق للآخرين •

فأى توعية توجه الى هذه الأنانية يعتقد هو أنها أصلا ثقالة للآخرين ولا تقال له هو • لأنه هو يعرف كل شيء ولا يحيط الإنسان ببناء عقله هو •

ولما كان الله هو الذى برأ النفوس وخلقها فانه يعرف مخلوقاته بكل ما يتذبذب فى جوانحهم من هواجس وهكذا أرسل سبحانه كتابه يحمل الى العباد الوعد والوعيد والإنذار والأمل •

لأنه يدري أن الإنسان لا يسير على الهدى إلا خوفاً وطمعاً •

والآيات التى تعد الإنسان بالفوز وبالجنة وبالنعيم كثيرة • والأخرى تتوعد الإنسان بالنار والعذاب كثيرة •

ولكني اختار من بينها قوله تعالى فى سورة الأعراف الآيات ١٦٥ وما بعدها « فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين يتهون عن السيئ واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون • فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين • واذا تأذن ربك ليمسحن عنهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم • وقطناها فى الأرض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسرات والسينئات لعلهم يرجعون » صدق الله العظيم •

والله سبحانه وتعالى كان يستطيع أن يضع مخلوقاته جميعا على الجادة ويلزمهم الطريق القويم ولكنه جلت مشيئته أراد أن يحمل الإنسان الأمانة ويختار وأرسل الى الناس رسلا يشيرون بكل ما فى الجنة من هناء لم تره وما سمعت بمثله اذن من قبل وينذرهم بالسبى والغسل والزقوم لمن لم يخش الوعيد •

فالبيانات اذن التى تدعو الى زيادة الانتاج ثرثرة فارغة لن يستجيب لها احد . فكل الذين يعطون الانتاج يدركون جريمتهم التى يرتكبون . وهم فى غير حاجة الى هذه الدعوة الى زيادة الانتاج ليزيدوه . ومالهم لا يستلبون من الدولة ما أباحه القانون من أجازات تزيد على مائة وعشرين يوما فى العام . وأغلبهم يعتقد أن ما يسرق من الحكومة والقطاع العام خلال مباح فمال الحكومة عندهم سائبة لا صاحب له .

ان القوانين التى تحكم العمال عندنا لا مثيل لها فى العالم .

وانى لأعجب كيف نريد أن تنهض الصناعة عندنا فى ظل هذه القوانين . وأقرأ ما يكتبه المتخصصون من أن عمال العالم أجمع يعملون ثمانى ساعات فى اليوم ومنهم من تصل ساعات عمله الى عشر ساعات . بينما لا يكمل العامل عندنا الساعة ونصف الساعة فى اليوم .

وكيف نريده أن يعمل وهو يعلم أنه لا رئيس له .

فى أى دولة فى العالم يفصل رئيس مجلس الادارة فى توقيع قلم ولا يفصل العامل المسئ الكسول غير المنتج بل ان الوزير وهو الوزير يعمله عن الوزارة فى غمضة عين بينما لا يستطيع الوزير أن يفصل أى عامل فى وزارته أو فى المصانع التابعة لوزارته .

الوزير تحاسبه المجالس النيابية والعمال لا حسيب عليه ولا رقيب .

وأذكر قصة رواها لى مدير عام مصلحة السكك الحديدية استقال منذ بضع سنوات وكان معروضا عليه العمل فى شركة أجنبية بمرتبة يفوق مرتبه عدة أضعاف . واستدعاه رئيس الوزراء ورجاه أن يبقى فقال المدير السابق .

— اننى من أجل مصر مستعد أن أترك المرتبة الضخم المعروض على فى العمل خارج الحكومة وأبقى ولكن بشرط واحد .

وقال رئيس الوزراء :

— ما هو .

قال :

— حين عينت مهندسا بالدرجة السادسة بمصلحة السكك الحديدية تسلمت دفتر جزاءات • فاذا وجدت أى تقصير أثناء تفتيحي للآلات والعربات وقعت الجزاء الفورى على العامل المقصر واليوم وأنا فى أكبر منصب فى المصلحة لا أطلب شيئا الا أن يكون عندى دفتر مثل الذى تسلمته وأنا موظف أبدا حياتى فى هذه المصلحة نفسها •

وقال رئيس الوزراء :

— هذا غير ممكن

واضطر المدير أن يقول :

— وأنا آسف لا أستطيع البقاء فى منصب لا مسئولية لى فيه الا أن أتمتع باللقب دون أى فعالية •

واستقال المدير العام • واعتقد أن كل إبلدين جاءوا بعده يريدون أن يقولوا نفس الذى قاله هو ولكنهم يعلمون أنه مستحيل التنهيد •

ان عهد الطغيان قدم الرشواوى من دماء مصر الى التجمعات الكبرى •

واليوم تغلق دوننا المسالك •

فاذا قلنا ادركوا المجالس التشريعية فى مصر وحافظوا على كرامة مصر ، بالغاء نسبة الخمسين فى المائة فى مجلسى الشعب والشورى وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا أن الاقتصاد المصرى قد دمر تدميرا تاما بالقطاع العام على صورته الراهنة والقوانين التى تحكم العمال وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا ان مصر قد تدهور التعليم فيها حتى أصبح جهلا وحتى صارت الشهادة العالية فيها لا تعنى أن صاحبها نال ما ينبغى من التعليم

وإذا قلنا أدركوا التعليم بالمال من القادرين .. من القادرين وحدهم
وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور .

ووسائل تغيير الدستور الواردة في الدستور نفسه فإذا لم يتغير
الدستور لإنقاذ مضمون فلأى شيء يتغير الدستور .

الامر الذي لا شك فيه أن هذا الدستور قد وضع من أجل المصلحة
العليا لمصر . فإذا لم يتغير من أجل المصلحة العليا لمصر فمتى يتغير .

ان الدستور قد وضع من أجل مصر . ولا يعقل أن نضحى بمصلحة
مصر من أجل الدستور . إذا كان ما نطالب به عدلا فالعدل أحق بأن يتبع
في الدستور أولا .

فالدستور هو أبو القوانين فإذا تحققت فيه العدالة فهيئات لها أن
تتحقق في أى ناحية من نواحي الحياة .

وان هذه الموضوعات التى نثيرها أساسيات فى حياتنا ونحن ندرك
الآن الأذى الطاحنة التى نواجهها فإذا لم نأخذ طريقنا فى شجاعة وفى
إصرار إلى الأساسيات فكل الذى يصدر من قرارات ومن قوانين لن يفيد
الا كما يفيد كوب ماء تلقىه على حريق يلتهم بلدا بأكمله . ويأبى الله
هذا . والمؤمنون .

١٩٨٦/٤/٢٧ م الأهرام

غربة الزمان والمكان !

ما هكذا كنا ولا هكذا كان الزمان ولا كانت مصر • ماذا دهانا وماذا
ألم بالزمان والمكان جميعا ؟ •

لقد عايشنا هذا الزمن • واختلط تراب مصر بكل ذرة من كيائنا
البشرى فاختلط بالقلب منا وبالمشاعر وبكل شهيق لنا أو زفير •

لا •• ما هكذا كنا :

لم يخل زمن من الأزمان من شرار الناس وخيائهم • وقد بدأت
الجريمة من عهد قابيل وهابيل • ولكن بدأت معها التوبة أيضا • وعرفت
الجريمة منذ ذلك الحين الأسف والندم • يقول سبحانه وتعالى فى سورة
المائدة فى الآيتين ٣٠ و ٣١ « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح
من الخاسرين - فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى
سوء أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوء
أخى فأصبح من النادمين » •

ولكن الجريمة اليوم أصبحت تتبجح فى غير خزى فلاهى تعرف
التوبة ولا الخجل ولا الندم •

كانت الجريمة تتوارى فى أستار الخفاء فإذا هى اليرم تسفر عن
وجهها فى ضياء العلن وفى وقاحة الاستهتار •

وكان المجرم ان ارتكب عملا ينافى ما استقر المجتمع على احترامه
يخفى فعلته ويوارىها كما وارى قابيل سوء أخيه فإذا هو اليوم يفضح
ما استتر ويكشف ما استتر • ولا يبالى أن يعرف الناس عنه ما ارتكب •

واتقنهذ مصر ضحفا تقبلم للقراء فى كل يوم ولفترة استطالت
أسابيع متصلة أحاديث واعترافات عن سفاح قاتل وكيف كان يقتل
ضحاياة وكيف كان يعدبهم • فلا المجرم السيفاح يخجل ولا الصحف تعود
الى الرشد منها •

وتشاهد مصر اللصوص ينتهبون الأموال العامة انتهابا ضاريا
لا يستحون فهم يصرخون فى الناس معلنين أنهم لصوص وانهم خانوا
الأمانة التى استأمنتهم عليها دولتهم والتى سلمها الشعب اليها . وانهم
ليس يعينهم أن يعرف الناس جميعا ما اختانوا وما استلبوا .

وان صراخهم ليتمثل فى السرايات ذات القلاع يسكنونها وأبناء
الشعب لا يجدون حجرة يظلم يظلم سقفا . وفى السيارات ذات الفجور
يركبونها ويغدون بها ويروحون فى رائحة النهار وفى مفضوح المجاهرة
وأبناء الشعب لا يجدون موضعا لقدم فى وسائل المواصلات العامة . وهم
يصرخون بأنهم بالملايس الفاخرة يرتدونها وبما يشسترون من أدوات
التسلية ذات الأسعار التى أصابها السعار .

لقد انقلب هؤلاء الأدميون الى ذئاب ضارية تنهش فى غير رحمة
وتسرق فى غير مبالاة وتقتلع جذور الانسانية فى وحشية لا تجرؤ عليها
الوحوشى وهى الوحوش . وقد تتوارى الوحوش وهى تأكل الفريسة فى
حين يعلنون هم نجرهم بكل وسائل الاعلان .

• وإذا الزمان غير الزمان • وإذا المكان غير المكان •

لقد كانت الأثمان تجعل المجتمع يرفض هؤلاء القتل ويحرقهم
ويرفض أن يوسع لهم مكانا أى مكان فى القمة منه أو فى القاع .

كان الناس يرفضون أن يعرفوهم أو أن تقوم بينهم وبين هؤلاء أى
صلة .

أما اليوم فهم القمة وهم الصدارة وهم بأموالهم المنتهبة ذؤابة
المجتمع وسادته لا يرفضهم أحد بما عربدوا وبما قتلوا من ضمير وما اجتثوا
من أشجار الكرامة والخلق الرفيع .

وكان المكان فى مصر يضيق بهم فتزحف أهوالهم التى سرقوها الى
رقابهم يختنقون بها وتصبح عليهم وبالا ونقمة غابت عنها نعمة الثراء .
وما المال بغير مجتمع يوقر صاحبه ويجعل من مكانته شيئا مذكورا .

أما اليوم فالمكان موسع لهم غاية السعة ، وهم فى كل محفل لهم
من المكان موضع الصدارة والناس تتصايح بأفضالهم وتتغنى بأمجادهم

وتسكب عليهم سيول المديح والاجلال والاكبار والمفاخر • التهليل لهم
- لا عليهم - يحيط بهم ويسبقهم في كل مكان •

ويل للزمان من الزمان وويل للمكان من المكان •

اصبح الشرف غريبا في مصر طريق الانبياء ومنازة الاديان ومصباح
الهدى وملهمة الوحي على مدى الأزمان وفي كل مكان •

كان الكتاب في مصر ثروتها وغناها وانشودتها وكلمتها • وكان
الكتاب مثلاً يقدرون حق الأمانة التي يحملونها وكان الكاتب اذا نافق
أو اعوج سيره أو مال به الطريق ينصرف عنه الناس غاضبين غصبا قد
لا يبدونه لغيره • فقد خذلهم وحطم الثقة التي شرفوه بها •

وانظر اليوم فأرى كثيرا من الكتاب يقولون مالا يفعلون • ويبشرون
بالطهارة وهم غارقون في العفن • ويدعون الى الأمانة وهم يخونون
أقلامهم • ويتصايحون بحب مصر وهم يظعنونها بأسلحة شرسة فتاكة في
صحف لا تصدر فيها • مستغلين النفوس الحاقدة على مصر مادين أيديهم
لأعداء لا عمل لهم الا عداوة مصر يتربصون بها الدوائر ويحلمون بأوهام
المخايل أنهم بما يفعلون سيتمكنون من حكم مصر التي هي مصر •
وما بالهم لا يحلمون مادام بعض الكتاب يباركون أحلامهم ويصورونها لهم
على أنها أفكار معقولة مؤكدة التحقيق •

ونسبح ان فئات من المصريين يعتقدون اتفاقات مع بعض المتهوسين
من الحكام أنهم سيمهدون لهم الطريق الى زعامة مصر ليصبحوا بعد ذلك
زعماء العالم العربي أجمع • ويقدم هؤلاء الخونة المصريون معسول الكلام
ويقدم أولئك الحكام أهوال شعوبهم التي فرضوا أنفسهم أوصياء عليها
بقوة السلاح وبغير شرعية حق •

واذا الزمان غير الزمان واذا المكان غير المكان •

ويرى الشباب هذا الهول ولا يجد المثل الأعلى الذي سمع عنه
بل يرى اللص يحيط به التمجيد والاجلال والخائن تصفق له الأيدي •

وتنقلب أمام الشباب أمل الغد موازين الامور •

والوقت عصيب والمال يسيطر على حياة الناس بشراسة لم يعرفها
التاريخ فحين يبارك المجتمع السرقة والخيانة وانعدام الشرف تصبح

الصورة أمام الشباب منظومة المعالم مشنوبة السمات فالشرف الذى عرفه من الكتب يراه مشوها فى الحياة وقد حلت مكانه كل نقيصه كان المجتمع فيما مضى يزديها ويرفضها فكيف نريد لهذا الشبّاب أن يكون عماد المستقبل ودعامة الآتى من حياة مصر •

لكل زمن مضى مفاخره ونقائصه • ولكن النقائص كانت تنزوى خجلا وتتباعد عن النهار وتتخفى فى اطواء الظلام • وكانت المفاخر شهيرة جهرة واضحة المعالم بينة المعارف يمتدحها المجتمع ويتغنى بها الشعراء والكتاب •

ولكن زماننا هذا انقلبت فيه المعايير • أصبح الذى يرتكب المعاصى يهتف بها ويصنعها وهو جهير الصوت فخورا سعيدا متفرحا •

وأصبح الشريف يتوارى خجلا •• انه يأبى أن يسرق • ويعف عن المال الحرام • ويمتّع نفسه أن تقبل ما ليس لها •

نحن فى زمان يشربون فيه الخمر علنا وقيمون فيه الصلاة سرا • نحن فى مكان يسرقون فيه وتهتف لهم المظاهرات والمظاهر • ويعفون فيه فى الخفاء وحتى لا يرميهم المجتمع انهم أغبياء سذج جهلوا الدنيا وضلوا طريقها الذى يؤدى بهم الى الثراء والعظمة والسعادة والهناء •

ان الدين الحنيف يأمر بالصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى • فلا وربك لا يرضينى التهوس الدينى والارهاب باسم الاسلام الحنيف وانما يرضى المجتمع حين يرى المعاصى تخجل والشرف يعلو وليس يرضى المجتمع حين يرى من يدعون الحفاظ على الاسلام يشبهون السلاح ويريدون أن يركبوا الدين مطية الى عرض الدنيا •

فلئن تعف نفس واحدة وتسمو عن المخازى أكرم ألف مرة من أن تتكون جماعات تريد أن تحكمنا فى دنيانا باسم ديننا الذى نفديه بالأرواح وهم أبعد ما يكونون عن الدين • وزمانهم أيضا • الدين الاسلامى صلة مباشرة بلا وساطة بين المسلم وربّه • حتى ليقول سبحانه لنبه ﷺ لست عليهم بمسيطر فاذا كان النبى ﷺ وهو النبى ليس بمسيطر فبأى حق يريد هؤلاء أن يسيطروا علينا وعلى مقادير أمورنا • ويل للزمان من الزمان • حتى الدين وهو الدين لم تتركه النفوس المشبعة وتريد أن تتخذ منه وهو الرحمة المطلقة سلاحا للعدوان والقهر والاذلال •

غرباء نحن فى هذا الزمان • وغرباء نحن فى هذا المكان ولكننا
سنصمد • وستنجلى الغمة • وعما قريب ستعتدل الموازين ويعود الشرف
الى قمته ويذهب الزبد جفاء • •
فان ربك لا يخلف وعده وهو غالب على أمره وهو ناصر دينه وما غرسه
هذا الدين من سموق وعظمة وكيرياء ؟

١٥/٦/١٩٨٦ م الأهرام

أطفال

لك الله وحده يا مصر يا أم الأمجاد ويا واهبة الحضارة للتاريخ
ويا مشرق العلوم والفنون والآداب .. أهذا الذى يحيط بك اليوم حتى
بعد أن زُكُنت وأُنكشفت عن سمائك سحب القهر والدمار .

ان أبناءك حتى اليوم لا يزالون يعيشون فى هذه الأيام المريرة من
حياتك تسيطر عليهم بالسلب حيناً وبالإيجاب حيناً آخر .

والا فما هذا الذى تصنعه بعض صحف وما هذا الذى به يعيشون .
أتراهم قد جهلوا أن هذا الهذر الذى يهدرون لا يصيب إلا مستقبل مصر
وحريتها وغدها وآمالها وآلامها .

هل هانت مصر عليهم فجعلوا منها لعبة لأقلامهم ..

لك الله وحده يا مصر ..

لقد غابت الحرية عن حياتنا فترة سوداء حالكة السواد . ثم عادت .
وكننا نحسب أنها حين تعود سنكون أهلاً لها وكفنا لأعبائها . رجالاً فى
حريتنا شداداً فى الحق مترفعين عن الصغار متأبين عن الهوى ، متعفين
عن السقوط .

فاذا ببعض ممن أتاحت لهم الحرية صدور الصحف يذكرنا بالطفل
الاهبل نال بعد طول الحرمان لعبة جديدة فلا يزال بها يستخدمها فى
غير ما أهلت له ويجربها فى غير طريقها ويقذف بها ذات اليمين وذات
اليسار حتى تتحطم . وينسى الطفل فى سذاجته وجهله أنه هو .. هو
نفسه سيكون أول الباكين عليها . ويذهل عن نفسه ذهولاً أرعن مأفوناً
ناسياً أن هذه التى حسبها لعبة قد تنفجر عن قنبلة تصيبه هو أول
ما تصيب ثم تصيب معه أهله وبيته أجمعين .

ما لهؤلاء الكتاب يلعبون ويلهون ويعبثون والوقت جد كل الجدد
والأمر خطير غاية الخطورة .. والشدة التى تمر بها مصر تحتاج الى العزم

كل العزم • والحزم كل الحزم • وهى فى غناء كل الغناء عن ثرثرة
المخابيل وهراء المهازيل •

انهم يريدون - وبكل الجهد يريدون - أن يزحزحوا مصر عن
حريتها • ويريدون - وبكل الجهد يريدون - أن تستعمل السلطة اجراء
استثنائيا ويسعون أشد السعى أن يصدر أمر بمصادرة أو آخر باعتقال • •
وهيات • • خاب سعيهم فهو الى بوار • لن يكون هذا •

أنهم اليوم أصحاب أصوات عالية وسيوف يحسبون أنها باترة • •
وأناشدهم الله والحق والوطنية • أين كانوا أيام المعتقلات تغفر
أفواهها لتلثم أبناء مصر فى غير مرحمة ولا مساءلة ولا حتى تفكير •

وانهم اليوم يهددون بالويل والثبور وعظائم الأمور • ويحسبون
أنهم بهذا الذى يهرفون يهزون أعمدة الديمقراطية التى لا تزال مصر
تهفو الى تثبيتها وتعميق أسسها • ولو ان رئيس الجمهورية شخص آخر
لما جأوا أن يقولوا ما يقولون ولا فكروا أن يكتبوا ما يكتبون • ولكنهم
يعلمون أن حسنى مبارك ثابت كالجبل الأشم • يكبر عن الصغار • ويعلمو
عن الوهاد • واذا مر كريما ، وان خاطبه الجاهلون قال سلاما •

يطالبون فيما يطالبون أن يترك رئيس الجمهورية رئاسة الحزب
ولعمري أى ديمقراطية تلك التى لا ينتسب فيها رئيس الجمهورية الى
حزب • فلينظروا الى ديمقراطيات العالم الرئاسية أجمع • اليس كل
رئيس دولة فيها ينتمى الى حزب من أحزابها • فأى عجيبة أن يكون رئيس
جمهورية مصر رئيسا لحزب مصرى •

ويقولون - ولا أدري أصدقون ما يقولون أم هو اللغو - أن الحزب
الديمقراطى لا يمثل الشعب - فكيف السبيل الى معرفة رأى الشعب أن
لم يكن بالانتخاب وان الانتخاب بالقائمة بالذات هو أصدق معيار على رأى
الشعب فى الحزب نفسه • فى حين نجد أن الانتخاب الفردى يختار
الشخص لشخصه فى أغلب الأمر دون النظر الى حزبه • والاختيار فى
هذا النوع من الانتخابات يتم للصلات الشخصية والمنافع الفردية وأقرب
مثال على ذلك يوم اتهم أحد أعضاء المجالس النيابية بالاختلاس وأدانته
المحكمة الابتدائية وتقدم الى الانتخابات فكان الناخبون يهتفون « حرامى
حرامى لكن بنجبه » الله الله • • أهذه هى الديمقراطية التى يريدون •

وان قالوا أن الحزب الديمقراطي ليس له تاريخ أو جذور فأبسط ما يقال لهم وكيف تريدون له جذورا أو تاريخا بعد أن انعدمت الديمقراطية وقتلت الأحزاب في مصر لمدة ربع قرن • وكيف كان يمكن للديموقراطية أن تعود الا بأحزاب جديدة •

وربما وافقتهم أن الحزب الجديد ينبغي أن تكون له مبادئ واضحة المعالم محددة السمات جليلة الملامح • ولكننا مازلنا في خطواتنا الأولى من الديمقراطية ولا بد - مع الأيام - أن يصبح للحزب الوطنى مبادئه ومعاليه وسماته •

ونسألكم أين أنتم من المبادئ وكيف تطبقونها وأنتم الحزب الذى نشأت دعائمه منذ أكثر من ستين عاما ؟

طلبت الحكومة رأيكم فى الدعم وكيف يصل الى مستحقه فنكصتم عن ابداء الرأى ولذتم بترهات وحجج منهارة دون أن تفكروا فى مصلحة مصر ولا فى موقفها الاقتصادى وأصررت أن تدخروا رأيكم وتحتفظوا به حتى تعارضوا أى قرار قد تتخذه الحكومة فى هذا الشأن • وكان الأخرى بكم أن تؤيدوا الحكومة كل التأييد فيما تفكر فيه لأن هذا المذهب الذى تذهب اليه الحكومة يتفق كل الاتفاق مع مذاهبكم وأرائكم التى تدعون أنكم تعتنقونها •

وحين تكلم أقوام عن مجانية التعليم فى المدارس والجامعات كان رأيكم غمغمة مبهمه وكلاما معجما يسوده العرص على المعارضة لمجرد المعارضة وليس المعارضة من أجل مصر •

وبدلا من أن تحاربوا الاصرار على بقاء الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين فى المجالس التشريعية ومجالس الادارات رحتم توجيهون أسهمكم الى الأشخاص وليس الى الأفكار • وتحسبون أنفسكم أبطالا دون بطولة فى الهجوم على رئيس الجمهورية وأنتم تعلمون كل العلم أنه لن يصادر لكم جريدة ، ولن يحبس قلما ، ولن يعتقل أحدا • فهكذا هو وهكذا تعرفونه وعلى الرغم من وثوقكم بهذا • أو لأنكم واثقون من هذا - رحتم تهاجمون بسيوف ورقية - وجعلتم من أنفسكم أضحوكة بين الناس •

ثم أنتم - ويا للعجب - تطالبون أنه بالغاء حزب الأغلبية • اليس لكم وازع من عقل أو منطق • كيف تظنون أنه يمكن أن يصدر أمر بالغاء حزب الأغلبية والابقاء فى الوقت نفسه على أحزاب الأقلية •

ألا تدركون أنكم بهذا الذى تطالبون تفتحون بابا واسعا لالغاء الديمقراطية جميعها . . أتراكم الى هذا تسعون ؟

احذروا أنفسكم واذكروا مصر . . فانكم بما تصنعون تعملون جاهدين أن تدمروا الديمقراطية تدميرا كاملا . ولو لم يكن رئيس الجمهورية كالجبال الرواسى لكان جوابه عليكم غير هذا الذى تشهدون .

بعض هذا الذى تصنعون بمصر فانكم الستم منطقيين مع أنفسكم ولا مع مبادئكم ، بينما أرى الشيوعيين والناصرين منطقيين مع أنفسهم ومع مبادئهم .

فهاتان الفئتان اذن تسيران فى الطريق الطبيعى للمادى التى تدينان بها . فالشيوعيون يعلمون ان لا حياة لهم مع الديمقراطية وان نادوا بها فما ينادون بها الا ليقتلوا ويجهزوا عليها .

والناصريون يريدون أن يعود الطغيان والجبروت والحكم العاتى ذو الظلام الدامس والارهاق والعنت ليعودوا هم الى السلطان وامتصاص دم الشعب واكله حيا أو ميتا .

الفئتان فى طريقهما الذى اختاراه .

أما أنتم فتسبرون فى عماية من طريقكم وعلى مبادئ غير التى تدينون بها وترفعون شعارات غير الشعارات التى ينبغى أن ترفعوها .

وقد عرفتكم الظلم وذقتم علقمه وطحنكم الطغيان فيما طحن فافيتوا الى الرشيد منكم وكونوا من الذين اتقوا والذين قال عنهم الله « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » (الأعراف - ٢٠١) .

ولا تنسو قوله سبحانه فى سورة الانفال ٢٥ « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » .

صديق الله العظيم .

١٩٨٦/٦/٢٢ م الأهرام

العمل الجيد منارة

كان شهر رمضان حافلا بالأعمال الدرامية • وقد كان العمل العظيم الرائع - الذى قدمته الكاتبة الاسلامية والدرامية القديرة أمينة الصاوى - جديرا بكل اجلال وامبار فقد استطاعت فى مهارة فائقة أن تمزج بين تاريخ التوحيد والتاريخ السياسى لمصر • كما استطاعت فى فنية باذخة أن تجعلنا نتتبع عملها فى تشويق وليفة • وقد رأينا فى هذا العمل الفنى العظيم الموحدين المؤمنين متفرجين سعداء لا ترين عليهم فترة الحزن ولا كآبة النفس •

فقد جرى العرف فى الأعمال الدينية السابقة أن يظهر المؤمنين وقد لبسوا قناعا شمعيًا من الغضب لا تختلج وجوههم بنأمة فرح • بينما الايمان هو السعادة المطلقة وكلما كان ايمان الانسان عميقا كان تفرحه وهناؤه غامرا • وأنا - فيما أكتبه الآن - أقدم اعجابى الشديد بما كتبه الكاتبة العظيمة أمينة الصاوى ولا أقيم العمل من الناحية التاريخية فليس هذا شأنى بل اننى أرى أن للكاتب الدرامى أن يمزج من أحداث التاريخ ما يشاء ليقدم عمله الفنى ، على أن العمل مع ذلك عرض على المتكئين فى التاريخ وأجازوه •

ومما زاد اعجابى بهذا العمل الفنى العظيم أن الفرصة فيه كانت سانحة غاية السنوح للخطب المنبرية والوعظ المباشر ولكن أمينة الصاوى استطاعت أن تجعل الأحداث هى التى تقول بما تريد المؤلفة أن تقوله دون ائثار على المشاهد أو عنف به •

وينبغى لى وجوبا أن أهنيء المخرج أحمد طنطاوى على براعته الفائقة التى قدمت العمل فى أحسن صورة يمكن أن يظهر بها فقد كان موفقا كل التوفيق فى كل لحظة من لحظات العمل التى قاربت الثلاثين ساعة •

كما أهنيء الممثلين جميعا لا استثنى منهم جميعا أحدا • فهم فى تناغم سيمفونى سامق استطاعوا أن يكونوا داخل أدوارهم دون أن يفرضوا على أدوارهم عنقا أو رهقا •

ثم أنا من بعد ابتعد تماما عن المسلسلين الآخرين اللذين قدما في القناتين الأولى والثانية فنحن في أيام أعياد ولا أريد أن أسىء الى أحد • وانما لا بد لي أن أهنئ الممثل العملاق صلاح قابيل الذى أدى دور الترنزى فى قدرة فنية شاهقة تصل به الى قمة يندر أن يصل اليها ممثل عالمي كما أهنئ الأستاذ كرم مطاوع ذلك الفنان الرفيع المشاعر المتمكن على دوره فى المسلسل الآخر فقد استطاع أن يقدم الشخصية المعقدة غاية التعقيد والتي تتصرف تصرفات حمقاء بعناء دون أى باعث انساني أو درامى فى موهبة لا تتأذى الا للقلة النادرين •

ولا يفوتنى ان أهنئ القمة صلاح ذو الفقار على دوره أيضا - فقد آداه بالروعة التي لا تنتظر منه أقل منها •

ولا أستطيع أن أغفل المسلسل الدينى « نور الاسلام » للكاتب. !لغة المتكمن الأستاذ محمود شعبان فقد كان الكاتب رائعا كعهدا به دائما فى كل ما قدم من أعمال سواء للإذاعة أو للتلفزيون •

أما مسلسل « الأفيال » للكاتب الكبير فتحى غانم فيمثل نموذجا فنيا شاهقا للأعمال التلفزيونية وكيف تستطيع أن تصعد الى قمة الفكر والفن جميعا ولكن من أين للتلفزيون بكاتب فى حجم فتحى غانم الذى أبى أن يترك روايته تمزق بين أيدي الآخرين وكتب هو لها السيناريو والحوار •

ولو أن الذين يكتبون تفاهاتهم للتلفزيون درسوا مسلسل الأفيال وكيف يستطيع الكاتب الكبير أن يكون كبيرا فى كل انتقاله لمشهد وفى كل حرف من حوار لعادت عليهم دراستهم هذه بالخير العظيم • ولكن هيهات فكل كاتب منهم يعتقد أن الله خلقه وحده وترك الآخرين • وكل صغير منهم يعتقد أن الكبار أصبحوا كبارا بالصدفة العمياء وليس بالموهبة الرفيعة وبالمدراسة الشاقة العنيفة •

اننى أهيب بالأساتذة فى المعاهد أن يدرسوا مسلسل الأفيال لتلاميذهم ليعرف التلاميذ ماذا يستطيع القمم أن يقدموا •

وإذا تركت الأعمال الدرامية وانتقلت الى البرامج الأخرى فانى أختار برنامج المربية الفاضلة السيدة نوال السجوى فقد كان برنامجا خليقا باستاذة فاضلة وانى أنتهز الفرصة لأتفق معها فى رأيها عن عمل المرأة فقد جرى البعض أن يجعلوا منه قضية قاطعة لا مناقشة فيها فرأى البعض

أن المرأة لا يجوز أن تعمل. ورأى آخرون أن المرأة لابد أن تعمل والأمر أيسر من ذلك . فالاسلام لا يمنع المرأة أن تعمل . ولكن على المرأة نفسها أن تقدر ان كان عملها خيرا لها أم بقاؤها في البيت هو الأولى بها . فان كانت بلا أطفال فما الذي يمنعها من العمل . وان كان أطفالها يذهبون الى المدرسة غما بقاؤها في البيت ؟ ولكن لابد أن تعلم أن تركها لأطفالها جريمة لا تغتفر . فليس في العالم انسان يعرض الطفل عن حنان أمه . وعليها أن تقدر أيضا اذا كان عملها أكثر مجلبة لخير بيتها أم لا . فان أجر الخادمة اليوم أصبح يتساوى مع مرتب وكيل الوزارة فهل اذا عملت المرأة ستستطيع أن تدر على البيت دخلا يقارب ما تنفقه في أجر الخادمة .

هذه كلها أمور لكل سيدة في البيت أن تقدرها وان تقرر على هدى تقديرها ان كانت تبقى في البيت أم تتركه الى العمل خارج منزلها وأذكر ان مائتين وخمسين ألف سيدة في أمريكا أضرين عن العمل والحجة الوحيدة التي سقتها ان العمل أفقدهن أنوثتهن . على المرأة المصرية أن تدخل هذا أيضا في حساباتها وهي تقارن بين البقاء في البيت والعمل خارجه .

ولكنني مع السيدة نوال الدجوى ان هذا الأمر لا يكون بحكم قاطع شامل ينطبق على الجميع .

ومن البرامج التي استمتعت بها طول شهر رمضان البرنامج الذي قدمه التلفزيوني القدير طارق حبيب . فقد كان عملا ممتازا يمزج بين التسلية والعلم والفن في باقة طريقة حببية قريبة الى نفس المشاهد . وأشهد أن بعض الأسئلة التي كان يقدمها كانت غاية في الصعوبة لا يستطيع معرفة أجوبتها الا متخصص في مادتها . ولكن ما اليباس فهو يريد أن يصل بهذه الاجابات الى المستمع عبر برنامج ولا يهم من بعد أن كان المتسابقون يعرفون الاجابة أم لا يعرفونها .

كان التلفزيونيون مزدحما بالأعمال طوال شهر رمضان حتى أن بعض الأعمال كانت تتوارى في الزحام . ولهذا أرجو من السيدة الفاضلة رئيسة التلفزيون أن تعمل على إعادة تقديم مسلسل (نور الاسلام) الذي كان يذاع في موعد أغلب المشاهدين كانوا منصرفين أثناءه الى القناة الأولى . ولذلك فقليل أولئك الذين شاهدوه وهو جدير بأن يشهده الجميع .

وبعد فليس هناك عمل فني يجمع على الإعجاب به كل المشاهدين . وان كنت في هذه العجالة قد أبديت اعجابي بأعمال معينة وحجبت رأئي عن أعمال أخرى فلا شك أن هناك غيري من يختلف معي في الرأي .

وانى أهيب بالسيدة الأستاذة سامية صادق أن تحاول المحافظة على هذا المستوى الجيد الذى حققه التلفزيون فى شهر رمضان المبارك فمادمنا نعرف الطريق فالطبيعى أن نسير فيه ولا نحيد عنه مهما تكن الأسباب فلا شئ فى العالم يساوى ان يتقن الانسان عمله ما دام يعرف كيف يتقنه • ولنضرب صفحا عن كل رجاء أو شفاعة • فان الرجاء والشفاعة فى العالم الفنى يكونان فى غرفة مغلقة والنتيجة السيئة منشورة على الدنيا جميعا •

وينبغى ألا يخاف التلفزيون قطاع الطرق فى الصفحات الفنية وغير الفنية بالصحافة فان مكر هؤلاء الى بوار ومهانة • ويبقى العمل الرفيع منازرة على طول الزمان • والجمهور يعرف الطيب من الخبيث • ويعرف النقد المغرض حين يراه • ويعرف الكلمة الصادقة حين يقرأها • والله من قبل ومن بعد يجزى العاملين المحسنين خير الجزاء •

١٩٨٦/٦/٢٩ م الأهرام

أعزك الله يا عزة !

جاء فى الأخبار تحت عنوان طفلة تنقذ ثلاثين مواطنا من الموت .. الخير التالى أسوقه كما ورد « كتب - محمد رجب - أنقذت طفلة فى الثامنة من عمرها ثلاثين مواطنا ومواطنة من الموت .. دخلت الطفلة عزة محفوظ مكتب العقيد أمين بهجت مأمور قسم الجيزة وأبلغته بأن المنزل المجاور لمنزلها خلف مبنى القسم على وشك الانهيار .. وانها سمعت والدتها ووالدتها يتحدثان عن سماع أصوات غريبة تنبعث من جدرانها التى تهتز وقالت ان والدتها قررا عدم ابلاغ الشرطة خوفا من سكان المنزل .. انتقل المأمور والضابط للمكان .. وحينما تأكدا من صدق الطفلة .. قررا اخلاء المنزل فورا من سكانه .. وبعد دقائق من الاخلاء انهار المنزل وبدأ التحقيق ..

كانت الطفلة ترتجف وهى تدخل من باب القسم .. لاحظ المأمور أن نظراتها يملؤها الفزع .. اتجه اليها .. سألها عما تبحث .. قالت له ان صديقتها الطفلة تسكن بهذا المنزل الذى سمعت من والدتها أنه سينهار بين لحظة وأخرى وانها تخشى على صديقتها من الموت .. وتخشى أن يعلم والدتها بحضورها للقسم .. تردد المأمور فى تصديق الطفلة وأمام الحاحها وبكائها المستمر اصطحبها ومعه المقدمان ماجد الباز وعمر الفرماوى رئيس المباحث .. وتبين أن المنزل متصدع الجدران ومائل قليلا فقرروا اخلاءه فورا .. وبعد دقائق انهار المنزل .. وتبين من المعاينة المبدئية ان أسقف المنزل من خشب النخيل ..

والى هنا ينتهى الخبر تقريبا ..

وانت يا عزة لا تدريين أبة سعادة غامرة أدخلتها الى قلوبنا .. فقد رأيت فيك أملا من بعد يأس قاتم خيم على حياتنا ..

فأنت يا بنية استطعت بعملك الذى صنعته عن فطرة أن تصبحين ابتسامة مشرقة على شفاه قوم طال بها الزمن وهى تحس المرارة والأسى ..

ان عزة لم تلتق بالشرطة من قبل • وواضح من الخبر انها كانت خائفة هالعة مرتعشة من الاقدام على هذه المخاطرة التى لا تدرى إلى أى مصير تقودها •

زادها خوفا وهلعاً ذلك الحديث البعيد كل البعد عن الانتماء الانسانى والذي بلغ مسامعها من أمها وأبيها •

وان كان الخبر لم يأت من الحديث الا بعجالة سريعة الا انه من المؤكد ان الحديث كان مستفيضاً متطاولاً • وماله لا يكون •• زوجان فى بيتهما والأحداث التى يمكن أن تكون مادة تسلية قليلة نادرة وهما هى ذى فرصة متاحة للحديث الوافر • تكلمتا عن الناس الذين يقطنون بالمنزل والشيوخ التى داهمت المنزل • ومتى داهمته وكيف سكتوا عنها • والولدان يرفضان ان يبلغا عن المنزل المتهالك ويطمئنا ضميرهما انهما انما يصنعان ذلك حتى لا يفضبا سكان المنزل من أصدقائهما •• اذن فالأبوان الكريمان يخافان أن يفضبا قوما ولا يخافان أن يقتلهم أجمعين • ولا شك أن الأبوين فى حديثهما تخوفا أن يذهبا الى القسم حتى لا يشغلا وقتهما ويضيعا يوما بأكمله فى الابلاغ ومصاحبة الشرطة الى المنزل •

ان الأبوين من ذلك الجيل الذى نشأ فى الأيام الداكنة من تاريخ مصر والتى جعلت الناس يشعرون أن مصر غريبة عن المصريين وهم عنها غرباء يوم قال الحاكم ان الوطن شأنى أنا وشأنكم أن تقبلوا رشوتى بالخبر الرخيص والتعليم المجانى فى جميع مراحلهم وان تهملوا فى مصانعكم ووظائفكم ما طاب لكم الأهمال ولن يمسكم أحد بسوء • بل ولكم أيضا أن تكون نسبة الجهلاء من فلاحين وعمال خمسين فى المائة ويشتركوا فى التشريع للبلاد وحكم الناس وقد كان التشريع يصدر من الحاكم المنفرد ويمر بالمجلس النيابى لاقراءه وليس لمناقشته •

جيل ساومه الحاكم واشترى منه حقوق المواطن الانسان ، ودفع له الثمن تخريبا للوطن وتدميرا لكرامة مصر واقتصادها •

انه جيل تعود ألا يكون صاحب رأى فى أى شئ يخرج عن نوع طعامه فى بيته وفى بيته فقط •

جيل بعيد كل البعد عن الحياة العامة وما يضطرب فيها وما يمس شئون الناس من ناسهم الذين يحيون من ماء نيلهم ويأكلون من أرض مصرهم •• شاه زمنا •

والقاطنون فى البيت ماذا نحن قائلون لهم أنلومهم انهم لم يبلغوا
عن الحال الذى صار اليه نيتهم ، من السهل أن نلوم ولكن أترانا كنا
نصنع غير ما صنعوا • أسرات بأكملها يضمها بيت متهاك ان تركوه فهم
نهب للتشريد والضياع فى تيه العالم أجمع •

ان سكان هذه البيوت جميعا أحياء وأمواتا ضحايا القانون الذى
أصدره الطاغية فى الستينيات لتخريب العلاقة بين ملاك البيوت وسكانها
وجعل الملاك يتوقفون منذ صدوره عن البناء توقفا تاما وها هى ذى النتيجة
اليوم • مقاتل جماعية لسكان البيوت المتهاكة أو تشريد لمن تركوا
لمنازل المتصدعة وضياع كامل للشباب الذى يريد أن يبدأ حياته ويكون
أسرة • هذا الضياع الذى أدى الى وحشية بعض الأبناء لتخلص لهم
بيوت والديهم •

أما عزة ابنة الأمل ونبت الأرض الحرة والهواء النقى فقد غالبت
كل هذا وذهبت وحدها الى القسم ترتجف ولكنها تغلبت على خوفها لتنقذ
صديقتها فى البيت المجاور فأنقذت معها سكان البيت أجمعين •

أنت يا عزة تشعرين أن الصداقة تستحق ما تعرضت له من خوف
وحرج وأنت يا عزة تشعرين أنك تنتمين الى الناس حولك الذين هم وطنك •
وأنت يا عزة ضربت المثل الرفيع لكل المصريين • فلو ان الوزراء
اتخذوا قراراتهم بنفس الجراءة التى اتخذت بها قرارك لصالح حال الاقتصاد
المصرى • واستقام المعوج من الأمر • فنحن الدولة الوحيدة فى العالم
التي تعرف أمراضها وتعرف دواءها ولكنها لا تحاول أن تستخدم الدواء
لتقضى على المرض • مازلنا نصر على مجانية التعليم الوهمية ونحن نعرف
الخراب المحيق بمصر وبالتعليم من هذا الداء ومازلنا نصر أن تكون نسبة
العمال والفلاحين خمسين فى المائة ونحن نعلم اننا بهذا نخرب التشريع
المصرى والكرامة المصرية بقانون لا مثيل له فى العالم أجمع • ونحن نصر
أن ينال الدعم الأغنياء مهما يتفاقم حجم غناهم • ونحن مصرون ألا يعمل
العامل ثم يظل فى عمله •

ولو أن أعضاء مجلس الشعب يا عزة أدركوا أنهم مسئولون عن مصر
جميعها وليس عن ناخبينهم وأقاربهم فقط ولو أنهم فعلوا مثلك فقدموا
الصالح العام على الصالح الخاص لكان حال مصر غير هذا الحال •

ولو أن الموظفين أدركوا أنهم ينبغي أن يتقنوا عملهم مهما يكن أجرهم
خشيا لأن القيام بالواجب فى ذاته قيمة عليا أدركتها أنت يا عزة لأصبح
وجه مصر جديرا بتاريخها العريض •

ولو أن كل فرد فى مصر يا عزة أحس انه مسئول عن أخيه كما
أحسست أنت أنك مسئولة عن صديقتك لاستطعنا يا عزة أن نعلو فوق
الملحن ونسمو فوق الأزمات ولغير الله ما بنا لأننا غيرنا ما بأنفسنا •

وبعد يا عزة ربما كنت فيما أقول حالما فى وادى الآمال • لكنك
أنت يا بنيتى قد فتحت لى الباب الى هذا الوادى • ومادامت مصر قد
أُنبتتكم فمالى لا أرجو أن يكون جيلك كله مثلك • فان صبح هذا الرجاء
فان لنا نحن المتفائلين أن نتوقع لجيلك هذا أن تكون أيامه كلها اشراقا •
ومالى يا بنيتى ألا أرجو فان لكل ليل صباحا وقد كنت أنت تبشير هذا
الصباح •

• ١٩٨٦/٧/٦ م الأهرام •

المبادئ ٠٠ والتطبيق

أصاب الوفد الدستور والديمقراطية بأمراض وهزال وكان هذا فى الفترة السابقة على قيام الثورة وكان من أهم العوامل التى عجلت بقيامها • فقد تصرف الوفد بغباء منقطع النظر فى فترة حكمه الأخيرة • وكانت فلسفته ان يكون رئيسه وأعضاؤه عبيدا ساجدين فى ساحة الملك العرييد حتى يظلوا فى الحكم أطول فترة ممكنة • ورأينا رفعة رئيس الوفد يقبل يد الملك المدنسة بكل ما هو وضعى ومنحط من مخاصرة للنساء الى لعب ميسر • ورأينا رفعة رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يؤم حزبه فى صلاة مؤلة قبلتها الملك فاروق فى «صيفه بكابرى • ورأينا القاهرة تحترق فى عهدهم • ورأينا مذبحة الشيوخ فى زمانهم وبهذه المذبحة دمروا الدستور وكرامة مصر جميعا •

ومن عجب أن بعضهم يدافع عن هذه المذبحة الدستورية بأن تعيين هؤلاء الشيوخ لم يكن بادئ ذى بدء بالطريق الدستورى والسؤال البسيط الذى يستطيع أن يوجهه لهم أى انسان عاقل فلماذا لم تعيدوا تعيين الأشخاص أنفسهم بالطريق الدستورى لتبقوا على الدستور قيمته وعلى مصر كرامتها •

وقد ورث حزب الوفد الجديد نفس الغباء بل أشد منه هوانا ولعلك لو قرأت المقالة الأخيرة التى هاجمتنى بها مجلة الوفد تدرك — ان لم تكن قد أدركت بعد الى أى حضيض من الغباء يتردى حزب الوفد الجديد •

فى عنوان المقالة جعلوا اسمى زروت بدلا من ثروت وأصروا على هذا الابدال للاسم فى المقالة كلها • أليس هذا غباء • أليس من الطبيعى أن أقلب اسم رئيسهم كما فعلوا باسمى فأسميه ظلام الطين مثلا أو غير ذلك وغيره كثير فاذا سألونى ما ذنب الرئيس أجبتهم ان المقالة بغير توقيع فالحزب اذن مسئول عنها جميعا وعلى رأسه زعيمه فالخطاب اذن لابد أن يتوجه اليه من باب الأدب ووضع الأمور فى نصابها • ثم ان مجلة الوفد صدرت فى يوم قريب بمقال فى صدرها بعنوان العين بالعين والرأس بالرأس فانا لم أستحدث جديدا بل هم الذين أحدثوا وفى هذا المقام وقيل أن أتركه الى غيره أجد المقالة تسبئ لضخامة جسمى وأتساءل أليس

هذا غباء منقطع النظير أم ترى كاتب المقالة أراد أن يسبب رئيس حزب الوفد عن طريقى والا فكيف يهاجم حزب رئيسه حضرة صاحب المعالي فؤاد سراج الدين باشا شخصا آخر لضخامة جسمه الا اذا كان يريد مهاجمة الطول فقط لا الضخامة كلها . وبعد أليس هذا أسلوب النساء اللواتى يفرشن الملات على قوارع الطريق ويعيرن الأخريات بالنحافة حيناً أو بالضخامة حيناً آخر . فى أى عرف سياسى رأى أولئك النسوة حواراً عقلياً يتجه الى معالم الجسوم وليس الى معالم العقول ومعالم الضمائر ومعالم الوطنية .

وبنفس الغباء يقول الوفديون اننى كاتب دساس أدس بينهم وبين رئيس الجمهورية . يا لهم من حقراء العقول . هل سمع أحد فى العالم ان دساساً يدس عند أى شخص ضد آخرين ويعلن دسه فى صحيفة الأهرام كبرى جرائد المشرقين جميعاً . وما حاجتى للدس وهم القائلون فى مقالهم الرئيسى العين بالعين والراس بالراس .

بهذا الغباء نفسه أصاب الوفديون الحياة الديمقراطية فى مصر بالمرض العضال ثم جاءت الثورة وشملت الفرحة مصر جميعاً من أقصاها الى أقصاها وقد كنت فى ذلك الحين شاباً صغيراً فى الخامسة والعشرين من عمرى ولكن ملازمتى لأبى جعلتنى ألزم فى هذه الفترة شلة من زعماء مصر من غير الوفديين وقد كانوا جميعاً سعداء بما تم ، فهم الذين أبدوا سخطهم على تصرفات الملك بعريضة الثلاثين الشهيرة .

وجاءت الثورة ورأينا أهدافها .

وانى اليوم أكتب ما أكتب لنرى معا ماذا حققت الثورة من أهدافها وكيف حققتها كان الهدف الأول « القضاء على الاستعمار وأغوانه » .

أما الاستعمار فطبيعى أن يكون المبدأ الأول لأى حكم هو القضاء عليه ولكن الاستعمار كان يلم أذياله من العالم أجمع حتى لقد ترك الهند التى كانوا يسمونها درة التاج البريطانى .

وكانت مصر قد وصلت مع بريطانيا الى معاهدة صدقى - بيفن التى تجمع الآراء السياسية انها كانت خيراً من المعاهدة التى خرج بها الانجليز من مصر .

أما أعوان الاستعمار الذين ورد ذكرهم فى المبادئ فقد ثبت من المحاكمات الثورية المتعاقبة ان أرض مصر الطاهرة لم يكن فيها خائن لبلاده

مطلقا . ولولا الحادث المؤسف الذى وقع فى ٤ فبراير وقبول النحاس باشا الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ولولا انحطاط شباب الوفد فى ذلك الحين الذين حملوا السفير البريطانى على اكتفاهم لظلت صفحة الوطنيين المصريين ناصعة البياض . ولظل الشرف الذى كان هالات نور حول الروس من أبطال ثورة ١٩ مضيئا متوهجا لا يغبض شئ من توهجه .

أما المبدأ الثانى فقد كان القضاء على الاقطاع .

وقد نفذت الثورة هذا المبدأ فعلا وقضت على اقطاع الأرض واقطاع العمارات . ولكن الثورة لم تستطع أن تمس الصلات الحميمة بين الناس بعضهم وبعض وظل المحترمون محافظين على احترامهم بين الشعب ولهذا عادت اليهم الثورة فى عام ٦٦ لتتكلم بهم أشد التكنيل بدعوى أنهم استعادوا أموالهم . وصاح بهم الشيخ الجليل خالد محمد خالد لقد كونوا ثرواتكم فى ظل قوانين ثورتكم ولكن هيهات . اعتدوا يومذاك على أعراض الرجال وعلى حياء النساء وفرقوا كل معنى من معانى الانسانية .

وبعد فهل قضت الثورة على الاقطاع أم قضت فقط على الاقطاعيين الذين كانوا يعيشون عند قيام الثورة . ان نظرة عابرة لا تحتاج الى امعان تظهرنا على الحقيقة القائلة وهى ان رجال الثورة واللائذين بهم والمنافقين لهم أصبحوا شرا من كل الاقطاعيين الذين قضت الثورة على اقطاعهم .

لقد استولى رجال الثورة على القصور والأموال واجتمع فى أيديهم كل السلطان الغاشم الذى لا يعرف القانون ولا الانسانية . وأذلوا مصر كلها شر اذلال فصاروا أشد وبالا على المصريين من الاحتلال والاقطاع جميعا . وإن ما أصدرته المحاكم فى عهد الحرية الأخير من أحكام لخير دليل على بشاعة ما شهدته مصر على يد الذين يدعون أنهم خلصوها من الاحتلال والاقطاع .

وجريمة أخرى لا تقل بشاعة ارتكبت فى ذلك الحين فانهم فى حماة حقدهم على كل مالك تدخلوا بين مالك المسكن والمستأجر فتوقف البناء تماما فى مصر وكانت النتيجة هذه الأزمة الطاحنة التى نشقى بها اليوم والتى يعانىها أشد المعاناة شباب مصر حتى لثرى الوحشية تتملك من قلوب بعضهم — وإن كانوا نادرين — فيحاولون التخلص من أبائهم لتخلص اليهم مساكنهم . وهذا الشباب هو الذى تدعى الثورة أنها علمته مجانا ولولاها ما تعلم ونسيت الثورة ان الكثيرين من قوادها كانوا فقراء بل كان بعضهم معنما ومع ذلك تعلم ولم تكن المصاريف المدرسية حائلا

ولا عائقا يرددهم عن التعليم . لقد أعطت الثورة الفتات للشباب متمثلا فى التعليم المجانى الذى أصبح اليوم وهما كاذبا واستلبت حقه فى الحياة وفى أن يكون صاحب بيت أو صاحب رأى أو صاحب حرية . ويا ليت ما ناله الشباب من التعليم كان تعليما حقا . علم الله ما هو الا ورقة تمثل شهادة ما تلبث عند الاختبار وملاقة الحياة والعلم الحقيقى أن تصبح هباءة لا تساوى قلامة ظفر .

أما المبدأ الثالث فهو القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال :

وقد حققوا هذا المبدأ بالاسنيلاء على مصانع مصر كلها وأقاموا القطاع العام . والنتيجة واضحة للعيان ولا تزال الدولة منذ عهد السادات حتى اليوم تحاول أن تصلح المنهار من القطاع العام فتتقطع منها الأنفاس ويتسع الفتق على الراتق وما أهون كلمة الفتق فى هذا المقام ولعل الكلمة المناسبة لم تعرفها اللغة بعد . . ربما كانت الاهتراء أو التمزق أو الاختراق . .

أما المبدأ الرابع فهو اقامة عدالة اجتماعية .

وهذه طبعا كان لا يمكن أن تتحقق . وكيف لها أن تتحقق وقد أزالوا طبقة وكونوا هم من أنفسهم طبقة أخرى أشد منها سعارا وأبعد منها سلطانا وأقسى منها قلوبا وأعتى منها ضراوة وهى من قبل ومن بعد أقصى ما تكون نأيا عن الانسانية .

ولقد أقاموا بدلا من العدالة الاجتماعية ارهابا شاملا واغتالوا كل معنى للعدالة : اجتماعية كانت أو غير اجتماعية .

أما المبدأ الخامس فقد كان اقامة جيش وطنى قوى وان الذى حدث فى عام ٦٧ يغنيننا تماما عن أى حديث فى هذا المضمار وان كان ينبغي ألا ننسى أن الجيش الذى كان قائما كان يستخدمه الطاغية لاستجلاب الأمجاد الشخصية لنفسه هو ولم يبال بشأن القتلى على جبال اليمن والكنغو وغيرها . ومادمننا نتكلم عن الأرواح فما يجوز لنا أن نذكر الأموال الضخام التى ألقيت فى ميدان هذه الحروب والتى أسهم القاؤها فى الخراب الذى نعانیه اليوم .

أما المبدأ السادس فهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة . وواقع الأمر أن الديمقراطية كانت تحتضر على يد الوفد قبل الثورة ولكنها كانت موجودة وكان الناس يعيشون فى ظلال منها لا شك فيها . وكان المنتظر

ان تقدم الثورة الدماء للديمقراطية فتصبح من بعد مرض وتزدهر من بعد
ذبول . ولكن الثورة رأّت أن أيسر شيء أن تقتل الديمقراطية قتلا تاما
فلم يكن لها وجود مطلقا ولم تعد الى الحياة الا على يد الزعيم الخالد أنور
السادات . ثم هي اليوم تشهد أزهى عصورها في عهد الزعيم العظيم
حسنى مبارك .

كم من مبادئ لها عند نطقها وقع في النفس رائع وجليل ولكنها
عند التطبيق تصبح ازهاقا لكل معنى كريم عرفته الحياة ؟ .

١٣/٧/١٩٨٦ م الأهرام

الى الدكتور النمر . . .

أهنتك يا فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر على جائزة الدولة
التقديرية واعتذر اليك عن هذا الذي قرأته في بعض الصحف لقوم تعودوا
أن يصوتوا ولا يقولوا شيئاً . ولا بأس عليك يا مولانا فانهم حشرات
تخرج من جحورها اذا سمعت صفير الأم صادرا من هناك من تلك البلدة
التي يحكمها مجنون فهي حكومة بلا عقل ، أو من هنا لك من تلك البلاد
التي يحكمها ملاحدة فهي دولة بلا دين .

وأعتذر اليك مرة أخرى عن ذلك المافون الذي اتخذ الحديث عنك
طريقا للنيل مني وقد دأب على ذلك وهو يستثيرني اليه بشتى طرق
ووسائل على أمل أن أرد عليه يوما فأجعل منه شيئاً مذكورا وما هو بشيء
حتى يكون مذكورا .

واني يا سيدى الدكتور أنصحك - ان كان لمثلى ان ينصح مثلك -
الا تفكر فى الرد على ما كتب فأنا قد أخذت على نفسى الا أرد وليس
موقفى هذا لأنى أذكر بيت المتنبى الخالد :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل

اضرب عن هؤلاء جميعا صفحا واطو صفحتهم وهي مطوية بطبيعتها
وهيا الآن الى كتابك الجليل الذى أصدرته منذ قريب والذى اعتقد أن
العالم الاسلامى أحوج ما يكون اليه اليوم .

ان كتابك « الاجتهاد » الذى أقرأه الآن من أعظم الكتب التى ظهرت
فى هذه الفترة الأخيرة وكم كنت موفقا حين كتبت تحت عنوان « الاجتهاد »
ضرورة من ضرورات الدين والحياة . كيف كان ! وكيف صار ! وواجبنا
الآن . . . »

واسمح لى يا مولاي أن أشد على يدك فى قوة لشجاعتك النادرة أن
أصدرت هذا الكتاب تواجه به فئات كثيرة لا ندرى أيها أكثر ضللا من
الأخرى . فهناك الجامدون المتحجرون الذين يابون أن يكون ديننا الحنيف

صالحا لكل زمان ومكان . وهناك المتكسبون بالدين ولا يريدون أن يتطور
التشريع عند الشرح ومواجهة الجديد في حياتنا والذين يأبون أن يقرأوا
التاريخ ويروا الشافعي وهو الشافعي يغير الكثير مما أثبتته عندما جاء الى
مصر . فاذا كان هذا الامام الجليل يغير آراءه حين استبدل مكانا بمكان
فكيف كان صانعا لو استبدل زمانا بزمان .

لأحسب يا سيدي الدكتور ان الائمة جميعا لو أنهم عاشوا زماننا
هذا لغيروا الكثير من آرائهم وتفسيراتهم واجتهاداتهم .

وأنت يا دكتور تواجه بشجاعة جماعات تريد أن تجعل الدين طوع
أمرها وتجعل منه سلاحا فتاكا تشهره على حياتنا وأمننا وكرامتنا والمستقر
الثابت من معيشتنا . يخيل اليهم في خيال وجنون أنهم بما يمزقون من
جنيات الحياة سيصلون الى الحكم ويصلوننا نيرانهم البعيدة كل البعد
عن الدين القيم .

واجهت هؤلاء جميعا بكتابك هذا الجليل وانه لطيب لى أن أنقل
هذه الفقرة الهامة التي جاءت في كتابك تحت عنوان « هل أحاديث الرسول
كلها وحى » وفيما تقول « يعنى : هل كل ما نطق به الرسول أو فعله
أو أقره انما كان بناء عن وحى ، أو حراسة وحى ، بحيث لو كان غير
سليم أو صحيح ينزل الوحي عليه ليصححه كما حصل في بعض الأمور .
بعض العلماء قال بهذا مستظلين أو مستدلين بقوله تعالى مدافعا عن رسوله
« والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى .
ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى » . الآيات واعتبروا النطق
عاما فهو لا ينطق ولا يقول الا عن وحى يوحى اليه . . ومثله الفعل . .
ومع ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد برأه الله من الميل الى الهوى
والغرض الشخصى فى كلامه وفعله اجماعا الا أنهم فى تفسيرهم انه لا ينطق
الا عن وحى فى أى موضوع يتكلم فيه . ولو فى شأن من شئون الحياة
العبادية ، ولو كان فى الزراعة ، أو الطب ، أو الحكم فى أمر من الأمور . .
كل كلامه الذى ينطق به عن وحى أو الهام من الله . . هكذا تصوروا
استنادا لهذه الآية . وهو استناد خاطئ . غفلوا فيه عن سياق الآية وسبب
نزولها فالآيات مسوقة للرد على المشركين ، الذين ادعوا أن محمدا يكذب
أو يفترى ويقول قولا يدعى انه من عند الله . وانه القرآن . وهم فى
هذا الادعاء يتجنون ويتجاوزون ما عرفوه عنه طول حياته . من أنه
لا يكذب . وانه الصادق الأمين ، وذلك حين أراد الله نفي اتهامهم له بالافتراء
فى القرآن أوما الى هذه التجربة فى حياته وقال : « ما ضل صاحبكم
وما غوى » فهو صاحبكم ومغاشركم منذ الصبا والشباب ولم تجربوا
عليه كذبا قط فكيف تتهمونوه بالكذب الآن بعد كل هذا النضج .

وتقول يا دكتور فى موقع آخر .. ونتيجة هذا كله أن الرسول
— صلى الله عليه وسلم — كان يجتهد أحيانا ويقول باجتهاده . وكان
اجتهاده قائما على القواعد العامة من القرآن » .

وهكذا استطعت يا فضيلة الدكتور ان تقدم أعظم دليل على ضرورة
الاجتهاد وعدم الوقوف بالآراء الشرعية عند آراء مضى عليها أكثر من ألف
عام . فإذا كان النبی — صلى الله عليه وسلم — وهو الموصول للأسباب
بذات الله العلية يجتهد أفلا يجتهد علماء الشريعة والفقه الاسلامى ونحن
نبدأ القرن الخامس عشر من ظهور الاسلام .

والذى لاشك فيه أن الله — سبحانه — فى علية سمائه قد أراد لنبيه أن
يجتهد وأن يناقشه أصحابه الرأى ولو لم تكن هذه مشيئته لأوحى لنبيه
بالرأى قبل أن يقول وبالعمل قبل أن يعمل فممن غيره — سبحانه — يعلم السر
وأخفى . ولكنه يريد الرأى أن يكون شورى ويريد لنبيه أن يشاور
أصحابه فى الأمر . بل ويريد لنبيه أن يكون انسانا من الناس يعتب
عليه كما تفضل سبحانه وتعالى وكما ذكرت أنت فى عتابه للرسول فى
أسرى بدر بقوله جل شأنه فى الآية ١٧ من سورة « الأنفال » .. « ما كان
لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله
يريد الآخرة والله عزيز حكيم » .

وكما عتب عليه سبحانه وتعالى فى أذنه السريع لبعض المسلمين
المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد وذلك بقوله جل شأنه فى الآية
٢٣ من سورة « التوبة » « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين
صدقوا وتعلم الكاذبين » .

وكما عتب أيضا فى اعراض النبی عن ابن أم مكتوم بقوله تعالى :
« عبس وتولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه
الذكرى » .

فالنبي اذن انسان يجتهد ويستشير ويشار عليه الا حين ينزل
عليه الوحي من السماء هنا تعنو لوجوه وتنحنى للحي القيوم ولا رأى هناك
ولا مشورة وانما نسمع ونطيع ونخشع وسبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله .

والنبي صلوات الله عليه وسلامه أدرى الناس بهذا بل هو فى خلقه
الرفيع يتواضع حتى لئراه حين يقبل اليه رجل يريد أن يسلم ويقف

يبابه وقد أخذه الرهب وتمتلكه هيبة الرسول يقول له في ايناس كريم
وفى عظمة لا تكون الا : لنبي ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد
بمكة . يا صلى الله عليه وسلم أهو هكذا فقط أليس هو نبي الله المختار
وحامل الرسالة وخاتم النبيين وسيد البشر أجمعين .

ومن أعظم الوقائع التى رويتها يا دكتور تلك التى حدثت من بربرة
التي أعتقها أهلها وكانت زوجة لمغيث العبد فحين ملكت أمر نفسها بالعتق
طلقت نفسها . وكان مغيث شديد الحب لها وكانت شديدة الكراهية له
فكلم مغيث رسول الله فى ذلك فكلما فى أن تراجع وتظل زوجة له فقالت
« أتأمرنى يا رسول الله » . قال « بل أنا شافع » فأبت بربرة أن تراجع
زوجها وردت شفاعة رسول الله . أى دين سامق شامخ سماوى رفيع
ديننا هذا . نبي اختاره الله ليتلقى كلامه من السماء يشفع لدى امرأة
كانت فى أمسها القريب جارية نباع وتشتري . . يشفع ولا يأمر صلى الله
عليه وسلم . وهى ترد الشفاعة . ثم هى لا تجد بعد ذلك من الصحابة
أى أعراض أو غضب عليها اذ ردت شفاعة رسول الله وسيد البشر
أجمعين .

فماذا ترى يا سيدى الدكتور اليوم من بعض أناس قد ورمت أنوفهم
ومسهم الكبر بزيفه يخيل اليهم أنهم سيخرقون الأرض أو يبلغون الجبال
طولا فاذا بلوتهم وجدت انتفاخ أوداجهم هواء ووجدت رعوسهم فراغا .

أهنئك يا سيدى الدكتور بكتابك هذا القيم وأرجو الله سبحانه
أن يستجيب العلماء فى مشارق الأراضى الاسلامية ومغاربها لدعوتك
ويقوموا مؤتمرا يتناولون فيه كل مسائل الفقه الخلافية حتى يقطعوا
الطريق على الجهلاء والمدعين والمتاجرين بالدين القيم .

وفقك الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

١٩٨٦/٧/٢٠ م الأهرام

من فيض الكريم

اقرأ هذه الأيام كتاباً من أعظم ما كتب كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقي • الكتاب بعنوان « من فيض الكريم » • وهو فعلاً من فيض الله سبحانه وتعالى على الكاتب •

والكاتب الكبير يحيى من هؤلاء الذين حين تستسمع إليهم تحس بشعور عميق أن الكاتب كثير التفكير يعمل عقله في كل ظاهرة من ظواهر الكون وهو لا يكاد يقلت خلجة من خلجات الحياة دون أن يوسعها تفكيراً وتقليباً لكل وجه من وجوها • وهو في هذا الكتاب مؤمن مستقر الإيمان مطمئن كل الاطمئنان انه لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله • ويطالعك هذا الإيمان المستقر المطمئن منذ العنوان الأول في كتابه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلماً » •

وتطالعك هذه المقالة بأعظم أنواع الإيمان • ذلك الإيمان الذى يمتزج فيه العقل بالروح والفكر بالشعور ، يقول فى مطلعہ •• « اننا فى الأغلب الأعم نرث ديننا • نشب على عقيدة آبائنا • فلو كنت مسيحياً مثلاً ثم أسلمت بعد بحث ومقارنة واختيار لحق لى ان أكتب هذا المقال تحت عنوان « لماذا أنا مسلم » فمن أجل الصديق وحده أجعل عنوانه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلماً » ولا أكتبه الا فى نطاق مبدأ عام : ان الأديان كلها طرق متباينة متفرقة ولكنها تؤدى جميعها الى ساحة واحدة • ومع ذلك فأنا سعيد لأنى ولدت مسلماً لأن الاسلام جاء للانسان بنظام يجد فيه فكره سموه لا انحطاطه ، راحته لا عناءه » •

ثم يمضى الكاتب الكبير فى مقالته التى أسمح لنفسى ان الخص ما حوته فهو يرى أن هذا النظام الذى آتى به الدين الأعظم يستند الى وحدانية الله سبحانه وكل تفكير لابد أن يؤدى الى وحدة الكون فى عقل الانسان • وازاء الكون الواحد لابد من اله واحد • هو خالق هذا الكون الواحد • وبما أنه خالق الكون كله فهو رب البشر جميعاً لا يختص به شعب الرسول دون بقية الشعوب • ويقول الأستاذ يحيى حقي فى نقلة أخرى انه ليس فى كتاب غير القرآن مثل هذا اللاحاح المفصل على الانسان

ليعمل عقله ويتدبر الكون ويفهم أسراره حتى لقد ارتفع طلب العلم الى مقام الفرائض . ثم يقول الكاتب الكبير ان العقيدة علاقة حميمة بين الخالق والمخلوق لا تحتاج لوسيط .

ويمضى الأستاذ يحيى فى مقاله على هذا النسق الرفيع من المنطق الذى يجعل الايمان أمرا يحتمه العقل ، واذا سرنا عمقا مع مقالة الأستاذ يحيى هذه لوجدنا أن الانسان الطبيعى غير ذى العوج فى المنطق أو الفهم . وغير ذى الهوى لابد أن يؤمن بوحداية الله وبعظمة الدين الاسلامى وسموّه وتمكنه . وان دعوة الكتاب المنزل للتفكير هى وحدها أعظم دليل على قوة الدين ومثاقته . وانك لتذكر آية واحدة من القرآن فلا تملك ألا أن تخر ساجدا للواحد الديان « وفي انفسكم أفلا تبصرون » سبحانه جل جلالك .

وتذكر هذه الصلة المباشرة بين الانسان وبين ربه فترسخ فى نفسك عظمة الخالق .

فالخالق وحده هو الذى يجعل نفسه موثلا لكل الناس وليس لفئة دون فئة ولا حتى لأتباع دين دون دين آخر .

وقد يطيب لى أن نتعمق معا ذلك العنوان الذى اختاره الأستاذ يحيى « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » فقد يدخل فى روع البعض أن معنى ميلادى مسلما انتهى لم يكن لى اختيار فى عقيدتى وانما هى فرضت على بحكم المولد . وهذا معنى مرفوض جملة وتفصيلا . فاننا نولد مسلمين ونظل مسلمين بحكم المولد حتى نصل الى مرحلة التأمل والفكر وحينئذ نتعمق ديننا وتلبث عليه مختارين بالحرية الكاملة وبالفكر البعيد عن كل مؤثر خارجى وان فعلنا غير ذلك تكن منافقين مخادعين لأنفسنا وللناس جميعا .

ويكون اسلامنا غير مقبول عند الله لأنه سبحانه فى علياء سماواته رضى لنا الاسلام ديننا على أن ندخله مختارين لا مرغمين . أحرارا لا تابعين .

والآيات كثيرة كقوله سبحانه لنبيه « كست عليهم بمسيطر » الغاشية آية ٢١ . وكقوله سبحانه « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » الرعد آية ٤٠ ، والآيات فى هذه المعنى متواترة .

فاذا عجبت فاعجب معى لقوم يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء ومسيطرين فى وقت معا ويريدون أن يكونوا مبلغين وما هم بمبلغين ومحاسبين وما هم بالهة .

فان لم يكن هذا هو المروق والفوضى فماذا يكون .

وانتقل فى ربوع الكتاب القيم « من فيض الكريم » للأستاذ يحيى حقى فاقف عند مقالة له بعنوان « لبيك اللهم » يقول فى مطلعها « نويت أن أصلى » نويت أن أصوم نويت أن أحج ، يتطلب الاسلام ممن يؤدى فرائضه ان يكون أول شيء يفعله هو أن يحزم أمره . ويعقد نيته على أداء الفريضة ولو سرا بينه وبين نفسه والجهر بها أفضل ينطق اللسان وتسمع الأذنان ويستقر فى الوجدان ويتجسم المعنى فى كلمات واضحة لها رنينها ومذاقها وأريجها فى عقد النية وإعلانها توفيراً لكل الضمانات على صدقها وقضاء على نوازع التشكك والتردد . وهذا هو التوقيع على صك التعهد والاحساس بالالتزام وإعلانه وقبول تحمل مسئوليته ، فهو يتطلب منه أن يتيقظ كل التيقظ لما هو قادم عليه من قبل أن يقدم عليه فلا يؤديه أداء آليا ، وذهنه سارح أو غافل أو مشغول بأفكار ومطامع .

الى أن يقول الأستاذ يحيى : « لا عجب أن بدأ البخارى بحديث شريف كأنه لحن افتتاحية ليسيمفونية عظيمة . لا حد لاجابى به ، وحبى له ولا ينقطع لسانى عن ترديده كأن كلماته فصوص من الماس » . الى أن يذكر الحديث الشريف وهو قوله عليه الصلاة والسلام . « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » .

وقد أعجبت بهذه المقالة فى الكتاب كل الاعجاب ورحت أفكر وما ليث أن ومض فى ذهنى خاطر مضى كأنه نور مشع . انما الاسلام كله مسئولية ونية المسئولية هى ظاهر الأعمال والنية هى الباعث الخفى . ونحن أمام البشر أجمعين ليس لهم منا وليس علينا لهم الا الأعمال أما خافية نفوسنا فهم لا يريدون منها شيئا وان حسبوا انهم يعلمون . أما نحن أمام الخالق فمحاسبون على العمل وعلى النية جميعا .

وقد نخطيء فى عملنا مع البشر فيحاسبنا البشر حسابا عسيرا لأنهم لا يعرفون ما تنطوى عليه ضمائرنا . اما ان أخطأنا عن غير قصد فى مسئوليتنا الدينية أمام الله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى والمطلع على طوايا النفس وأحناثها فانه يمحو عنا خطانا وكأننا ما أخطأنا . ولذلك فأننى أدهش حين أسمع قائلا يقول لآدمى « يا أخى اغفر خطأ فلان فان الله يغفر » وهذا منطق مقلوب ان الله يغفر لأنه الله . ولأنه الرحمن ولأنه الرحيم ولأنه الغفور ولأنه المطلع على خفايا الضمائر وأعماقها . أما البشرى

فما هو برحمن ولا هو برحيم ولا بغفور ولا هو بمطلع على الضمائر وان ادعى ذلك • ومن أجل هذا فانه لا يغفر الا القوم الأقربون الى الله جل علاه •

ومن هنا أعجب معى مرة ثانية وثالثة وألفا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قواما على ديننا • أين هم من ذلك • وهموا وضلوا وضللوا • وخاب سعيهم • وفشل رجاؤهم من أى تشريع أعطوه لأنفسهم هذا الحق • وما هو لهم حق •

أيحسبون أنفسهم آلهة • • أين هم من ضمائرنا ومن ايماننا الذى لا يدرىه الا الله وحده • والذى اختص نفسه سبحانه بالاطلاع عليه • أم يريدون أن يجعلوا الناس أمامهم يقومون بمظاهر الدين وما يبدو منه • أفهذا هو الدين عندهم • ساء ما يحكمون • ان الدين لله وحده • وهو وحده سبحانه موثقا وملادنا اليه صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا • وان لم تؤد هذه الفروض بالنية الخالصة لذاته – جلت ذاته – فهو وحده القادر على أن يردنا علينا غير مقبولة • فما هو بحاجة الى توحيدنا ولا الى صلاتنا ولا صيامنا ولا زكاتنا ولا حجنا • فانه سبحانه هو الغنى عن العالمين • فكيف هؤلاء المتطرفين أن يعرفوا عن أى مصدر فى نفوسنا نقوم بطقوسنا الدينية •

انهم يريدون أن يركبوا الدين وسيلة الى التحكم فىنا • وويل لنا كل الويل اذا تمكن منا هؤلاء • وأى فئة أكثر ضلالة من فئة تستغل دين الله وهو دين الله ليصلوا به الى مطامع دنيوية فانية • واذا كانوا لا يعرفون أن كل سلطان الى زوال الا سلطان الله • فما شأنهم بالدين اذن •

واذا كانوا لا يعلمون أن الدين انما هو احتقار للدنيا وسعى الى العليا • وعزوف عن الفانية نظرا الى الباقية • واذا كانوا لا يعلمون أن الانسان كادح الى ربه كدحا فملاقيه • فهم اذن أبعد ما يكونون عن جوهر الدين ولبابه •

فليتخذوا لأنفسهم ملعبا يلهون فيه وبه وليتركوا الدين لعلمائه وفقهائه وليتركوا الناس ليعبدوا ربهم الذى خلقهم والذى يعلم ما ظهر منهم وما بطن وهم له عابدون • حبا وأملا ورغبا ورهبا • وان الناس فى غناء كل الغناء عن قوم يريدون أن يفرضوا أنفسهم عليهم طواغيت وجبارين • والله سبحانه وتعالى جل أن يكون الجهلاء دعاة لدينه الأقوم ولكتابه الكريم ••

١٩٨٦/٧/٢٧ م الأهرام

انها مصر

كنت أشاهد فى التلفزيون فيلما أجنبيا تدور أحداثه فى الحرب العالمية الثانية • وبطل الفيلم يقوم بدور جندي من الجنود البواسل فقد الثقة فى الهدف الذى تحارب من أجله انجلترا وطنه •

وإذا ببطله الفيلم تطالعه بالنقد الشديد لتصرفه وفى منولوج رائع تذكره بأن الهدف هو انجلترا ذاتها • وفجأة وجدت نفسى أصبحو الى حقيقة مصرية دامية • ان أغلب الشعب المصرى جنود هاربون من الميدان فى وقت مصر فيه تواجه حربا سفاكة ضارية •

ان مصر تحارب أخطاء أربعين عاما أورثتها الفقر والانهيار فى كل مرافقها والنقص فى ضرورات حياتها • ولكن أدهى ما تواجهه مصر فى هذه الحرب هو هرب أبنائها من الميدان • فقد أصبح أغلب أبنائها يفكرون فى الشئون التى تدور فى حجرات بيوتهم ولا يفكرون فى شأن مصر على أنها الوطن الأكبر الذى لولاه ما وجدت هذه الحجرات التى يدورون باهتمامهم فى داخلها وينصرفون كل منصرف عما يحدث فى خارجها من معاناة شعب هو شعبهم وأمه هى أمتهم • انها مصر •

مصر هى تلك الصلة الحميمة بين الأم وابنتها • لا ليست صلة فرد لأمه • وانما تلك العلاقة الالهية الرفيعة الجبارة التى تصل الأم بابنها : وهذه الصلة الشامخة الخفية • الصارخة الهامسة • التى تصل بين قلب الأب وكل نبضة حياة من نبضات الابن •

هذه العلاقة وتلك الصلة فى معناها المجرد والأسمى وليس فى مفهومها المحدد الضيق الذى تضعه الأسماء فى اطار له طول وعرض • انما أريد المعنى المطلق للأومة والأبوة • هذا المعنى الذى لا ينتهى الى نهاية ولا تشمله معالم بيئة الحدود • انها علاقة الأم بوليدها وعلاقة الأب بابنه طليقة لا تقيدها أسماء أو أشخاص أو اطرار بذواتها •

مصر هى صلة الانسان بكل شجرة نشأ فى ظلها وغرست جذورها فى صميم مشاعره وفى الأعماق البعيدة من كيانه • كل شجرة وجدها

أمام بيته أو على ضفاف الجدول الذى يجرى فى حقله أو فى طريقه وهو طفل الى المدرسة أو تلك الشجرة التى سمح مع حفيف أوراقها همسة حب أو كلمة حنان • أو تلك التى رأى تحت أغصانها نظرة وفاء • أو تلك التى أحس وهو مستند الى جذعها ناظرا الى الماء الرقاق يجرى تحتها لحظة رضا عن الدنيا وإقبال على الحياة •

انها مصر بكل ذرة أنبتت مطعمه • أو سار عليها فشعر بالحنان يتصاعد الى قلبه دفئا فى الشتاء ونفحة هواء رطيب فى حر الصيف • بكل ذرة استنشقتها فشم فيها حزن الأم الرؤوم •

انها مصر بكل نسمة عبير استأفها شهيقا وأعادها الى وطنه زفيرا يشارك الوطن نضج عرق يروى الحياة فاذا الجاف من الزرع يضحي أخضر خضلا يهب للحياة دماها ومعناها •

انها مصر بكل صلاة فرض من فروض الله • وبكل آذان يتعالى فى أنعائها وبكل تسبيحة حب وشكران للخالق الوهاب • الرحمة المطلقة والغفران العريض يلف التقى فى سبيله والمعاصى •

انها هى بكل كلمة صدق خطها قلم كاتب وكان مداده دماء القلب • وكان هدفه الأعلى خير مصر • انها هى بكل نغمة جميلة رددتها شوارع مصر وحواريها وأزقتها وحقولها وشواطئها • مصر بكل لمسة ريشة لفنان رسم بها خلجة من خلجاتها ووجها من وجوها ولوحة من جنانها وشاطئها من بحارها وغديرها من خلجانها •

مصر بكل ضربة فأس أنبتت الحياة وشقت ظلام الفقر عن نور الوفرة • مصر بكل لحظة جهد مقدسة يبذلها عامل فى مصنع • بكل خطوة مشاها شرطى فى سبيل أمنها •

مصر بكل قطرة دم جاد بها محارب فى سبيلها • وبكل ما ضحى به الأبناء تركهم آباؤهم ليستشهدوا من أجلها • وبكل ما ضحى به الأمهات والآباء وهم يرون أبناءهم الذين هم أعز عليهم من أنفسهم يصعدون الى السماء فى عليين ويتركونهم صرعى ، حيارى ، الموت عندهم أجمل من الحياة ، يتخبطهم الحزن ويأكلهم الأسى ثم لا يجدون الصبر الا احتسابا من أجل مصر •

مصر بكل بيت شعر قاله شوقي أمير شعراء العربية منذ عرف الناس
الشعر العربي حتى اليوم • وبكل بيت قاله شاعر مصرى سبقه أو شاعر
مصرى لحق به •

مصر بكل نبضة حب طهور بين فتى وفتاة وبكل خلجة تعاطف ورحمة
بين زوجين • وبكل ايثار يبذله أخ لأخيه أو صديق لصديقه •

بكل سماحة علوية يعفو بها أخ أكبر عن أخ أصغر • وبكل خطرة
مودة يسعى بها أخ أصغر الى أخيه • بكل وشيجة وفاء بين أبناء الانسانية •
بكل كلمة سلام فى ثورة غضب • بكل تحية معطرة كريمة يحطم بها عدو
سياج عداوة ليقيم مكانه بناء مودة وحب •

مصر بكل قمة مجد تسنمتها منذ مشرق التاريخ وقبل التاريخ •
بكل منارة علم قامت باسمها فى أنحاء الدنيا العريضة • وبكل أهزوجة
فن طارت من أهرامها الى أنحاء العالم •

مصر بكل لحظة هناء فى حياة مصرى أو مصرية • بكل فرج من
بعد ضيق • وبكل يسر من بعد عسر • بكل برهة عناء كشفه الرحمن
عنها بكل هنيهة شقاء رادفتها سعادة • وبكل خلجة قلق واكبتها مشاعر
أمن وسكينة واطمئنان •

مصر هذه تحتاج اليك لتكون جنديا فى الساحة • سلاحك من حب
وركابك من عزم • والعاقبة فى حربنا هذه مؤكدة لا شك فيها • فليس
غير النصر فى انتظارنا • فان الله ينصر من ينصره • وان مصر التى تعودت
دائما أن تعطى لا يضيع عندها أجر الصادقين المحسنين العاملين •

١٩٨٦/٨/٣ م الأهرام

الكاتب حق

قد يحسب بعض الأسباب من الكتاب ان الكاتب ثورة دائمة • ورفض مطلق ، وتلك نظرة سطحية فجأة • ان الكاتب أولا وأخيرا كلمة حق • انه صدق مع نفسه ليكون عند الناس صدقا • وان لم يكن الكاتب عند الناس ثقة وحقا فهو لا شيء وليس يجدى أن يكون له مصفقون وهتافون ودعاة بين الصحفيين • فكل هؤلاء لا يستطيعون أن يجعلوا القراء يحترمون الكاتب في دخيلة أنفسهم •

ليس الكاتب مجرد ضجة في الحياة • وليس هو طلقات مدافع في الهواء • فذلك شأن أصحاب السرك والبهلوانات وليس شأن الكاتب • ان الكاتب لا عمل له في الحياة الا أن يكون موصول الوشائج بالجمهير • يخاطب عقولهم • ويهز عواطفهم • ويوصل الى الخوافى البعيدة عن نفوسهم • ولن يستطيع كاتب أن يبلغ من هذا شيئا اذا لم يصل الى مكانة شريفة عند القارئ • فان القارئ لن يفتح عقله وقلبه وعواطفه الا لمن يثق به ويقدر مكانته • قد يختلف معه في الرأي ولكنه يحترمه • ومادام يحترمه فانه سيناقش رأيه ويواجه كل حجة بحجة • وكل رأى برأى فاما أن يقتنع بما يقول الكاتب أو يرفضه ولكنه على الحالين يوقر الكاتب وينزله من نفسه منزلة التقدير والاكبار والاجلال •

والقارئ الذى يستحق لقب قارئ لا يأبه بحفلات الزفاف التى تقام لأى كاتب وليس يعنى بالموكب التى يصطنعها أصدقاء كاتب ما لأعماله ولا يأبه القارئ الجدير بهذا اللقب بطلقات النار التى يطلقها الصغار فى زفة الصحافة مصوبة الى الهواء • انما القارئ يعنى فقط بما أنتجه الكاتب من عمل • مقالة كان هذا العمل أو رواية أو قصة أو كتابا أو كان العمل قصيدة أو ديوانا •

قد تصلح هذه المواقب أن تجعل الكاتب شهيرا • ولكن ان كانت الشهرة وحدها هى ما يسعى اليها الكاتب فهذا أتفه من أن يكون كاتباً وأحقر من أن يحمل قلما • انما الشهرة التى يصيبها الكاتب أثر جانبي يتم له دون أن يسعى اليه • فليس الكاتب مهرجا يوزع اعلانات الحفلات ولا هو طبالا يضرب طبوله ليعلو منها الصوت ثم لا تقول شيئا •

انما الكاتب رأى • والرأى منطق • والمنطق ثقافة • والثقافة جهد وبحث وعناء • وان حاول الكاتب أن يستغنى عن هذا جميعا بادعاء الثورة على مجتمعه • أو بالتظاهر برفض كل ما هو مستقر من قيم جماعته وأمته • فانه قد يشتهر أمره بين الناس حيناً ثم ما يلبث أن يخبو منه الضوء فما هى الا عشية وضحاها حتى يصبح بين الناس أضحوكة • أو يصبح على الأقل نسياً منسياً • وان دام حوله التهليل وان علت باسمه الطنطنة فانه سيظل عند الناس غير ذى مكانة ولا احترام ولا توفير •

وقد تسألنى ما حديثك هذا عن القارئ الجدير بهذا اللقب • • ومن حقك أن تسأل • فقد يظن بعض الناس أن كل من يقرأ قارئاً وتلك أغلوطة ما أبعداها عن الصواب •

ان القارئ هو الذى يقرأ للكاتب وليس القارئ من يكتفى بأن يقرأ عن الكاتب • وانه كثيراً ما تكتب الصحف أخبار الكتاب • وأنباء ما يشهدون من ندوات أو ما يذيعون من مقابلات بالاذاعة والتليفزيون • وكثيراً ما تتناول الصحف والمجلات أنباء طريفة عن بعض الكتاب قد تكون مسلاة للقراء • أو قد تروى الصحف والمجلات أخباراً عما يعد للكاتب من روايات فى السينما أو الاذاعة أو التليفزيون أو المسرح • ولكن الكاتب ليس هذه الأخبار • وانما الكاتب هو ما يكتب وما يقول لا ما يكتب عنه من أخبار وما يقال عن أعماله من أنباء •

ولا بأس بالقارئ أن يطالع هذه الأنباء ولكنه ان لم يقرأ ما كتبه الكاتب من انتاج أدبى فهو ليس قارئاً وانما هو واحد من الناس الذين يريدون أن يتسلوا بالحديث عن أنباء الكتاب •

القارئ الجدير بلقبه هو هذا الذى يتابع الكاتب فيما يكتب وليس فيما يحيا من حياته الخاصة • وهؤلاء القراء نادرون •

أذكر اننى كتبت بجريدة الأخبار مقالة نقدية عن عمل لأستاذنا نجيب محفوظ وفى يوم ظهور المقالة وكان ذلك منذ عشرين عاماً ونيف - طهر بالصفحة الأخيرة من الأهرام خبر عنى أننى دعوت ممثلة كانت مرشحة لدور فى فيلم عن احدى رواياتى الى بلدتى بالشرقية وأننى قدمت لها الفطير المشلتت • وأذكر فى ذلك اننى لم ألق أحداً من الناس الا حدثنى عن خبر دعوتى للممثلة الى بلدتى غزالة • ولم ألق أحداً حدثنى عن المقالة التى نشرتها بصحيفة الأخبار • كل هؤلاء الذين لقيتهم فى هذا اليوم لا أعتبرهم قراء • انما هم مطالعون يبحثون عن الأنباء المسلية ليملاؤا فراغ يومهم فهم يتسلون بنا ولا يقرءوننا •

وأذكر اننى دعيت الى ندوة عن رواية لى بقصر الثقافة بالاسكندرية
بمناقشة رواية لى كانت قد عرضت بالتلفزيون . ولكن الندوة كانت
لمناقشة الكتاب طبعا لا العرض التلفزيونى . فأنا مسئول عن كتابى
الذى أوقع عليه ولست مسئولا عن أى عمل ينتج عن رواية لى سواء كان
ذلك فى السينما أو التلفزيون أو المسرح أو الاذاعة .

وقبل الندوة جلست بحجرة رئيس قصر الثقافة ليقدم لى فنجان
قهوة . وبينما أنا فى هذه الحجرة قدم الى أستاذ ذو وقار ووجاهة وقدم
نفسه لى فاذا هو أستاذ أدب عربى باحدى الجامعات فرحبت به واستقبلته
بما يخلق بأستاذ جامعى . وجلس الدكتور الى جانبى وراح يمتدح روايتى
موضوع الندوة ويبدى إعجابه الشديد بها وفى سؤال عابر لم أكن أشك
فى اجابته بل ربما دعانى الى طرحه ذلك الارتباك الذى أشعر به دائما
اذا طالعتى المديح مواجهة . فأنا حينئذ لا أجد شيئا أقوله الا غممة ليس
لها معنى وهممة لا تكاد تبين . وجمعت كلمات سؤالى بصعوبة باللغة
وقلت للدكتور .

— طبعا حضرتك تتحدث عن الكتاب .

وصعقت وأنا أسمعه يقول فى بساطة بلهاء .

— لا والله فأنا لم أقرأ الكتاب وانما شاهدته بالتلفزيون . وطبعا
لم أكمل الحديث معه والتفت الى الآخرين الجالسين معنا ورحت أتحدث
اليهم وكان الدكتور غير موجود . انه ليس بقارئ فكيف يكون أستاذا .

والكاتب لا يعنى بهؤلاء الذين يقرءون عنه وانما يهتم اهتماما بالغا
بمن يقرءون له .

والكاتب أيضا ليس يعنى بمن يسببه لمجرد السباب أو يمتدحه لمجرد
المديح . وانما يعنى كل العناية بمن يعارضه رأيا برأى وحجة بحجة .
ويعنى كل العناية ويحمد غاية الحمد أولئك الذين يمتدحونه عن بيئة
ووعى مقدرين فنية العرض عنده وعمق المعانى التى يعبر عنها والأبعاد
التي تنبعث من أعماله .

· ولا يستطيع كاتب أن يرضى الناس جميعا . وأذكر فى عام ١٩٥٨ م
أن ناقدا تناول عملا لى بنقد قاس عنيف فى احدى المجلات العربية .
ووجدت نفسى وأنا أقرأ المقال أثور ثورة عارمة وأعد نفسى للرد عليه .

وفى غضبتي طلبت أستاذنا نجيب محفوظ لأشهد على هذا النقد الجائر
الذى كتبه ذلك الناقد فاذا نجيب يشعر بالثورة التى تعتمل بنفسى ويقول
فى هدوء رزين •

— الله •• ماذا جرى يا فلان • وهل تنتظر أن يرضى عنك كل
الناس • اننا اذا أرضينا نصف قرائنا نكون قد حققنا نجاحا ساحقا •

ونزلت كلماته على ثورتى ماء قراحا ووجدت نفسى سسعيدا بعد
غضب هادئا بعد فورة • اذا كان نجيب محفوظ يقول هذا فانه يصيح
حتما على من الجحتم الا اغضب لنقد أبدا • ومنذ ذلك الحين لم أرد على
ناقد لعمل لى قط وما أحسب أننى سأرد على ناقد لى أبدا • وفلسفت هذا
الموقف لنفسى بأننى اذا كنت اليوم حيا وأستطيع أن أناقش ناقدًا فماذا
أنا صانع فى غد حين أكون بجوار رب كريم وينقد ناقد كتابا لى • واقتنعت
أيضا أنه ما دام الناقد قد كون رأيه عن كتابى على النحو الذى نشر به
نقله فذلك شأنه • فانه اذا كان صادقا مع نفسه فهو يعبر عن موقع عملى
فى نفسه تعبيرا أمينًا • أما اذا لم يكن صادقا مع نفسه فما حاجتى اليه
وما حيلتى فيه •

أما الذى يسببنى دون نقد فاننى أجد نفسى كإنسان مسوقا الى الرد
عليه لأبين له على الأقل أن السباب أيسر الأمور وأنه اذا كان يبيع هذا
لنفسه فعليه أن يتحمل ما أبيعحه أنا أيضا لنفسى •

أما اذا كان السباب من تكرات يحاولون به أن يتواثبوا على أكتافى
فاننى أحرهم من تحقيق أملهم ولا أذكرهم وكأنهم ما قالوا وما كانوا •

والكاتب صاحب رأى ولكل صاحب رأى معارض • وكم اختلفت مع
أبى الروحى وزعيم كتاب العرب توفيق الحكيم وكم احتدم بيننا النقاش
ولكن هذا الخلاف لم يستطع يوما أن يمس شعورى نحوه بالبنوة وشعوره
نحوى بالأبوة وهى بنوة وأبوة لا تقف عند المشاعر بل وتعدوها الى أنه
يعتبرنى المسئول الأول عن كل ما يمكن أن يطلبه أب من ابنه فى مألوف
حياة الأبناء والآباء •

وكم اختلفت مع أخى الأعز الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى •
وقد كتب كل منا رأيه المعارض للآخر فما نلت منى كلمة تمس احترامى
اه واكبارى وما خط قلمه فى معارضتى الا كل حب وعفة •

واذكر اننى عارضت رايًا له فى مجلس الشورى معارضة عنيفة
ثم خرجنا معا من الجلسة بعد انتهائها وجلسنا فى استراحة الأعضاء
نتبادل الحديث ونرتشف القهوة • ويمر بنا اخواننا الكرام أعضاء المجلس
فيصيبهم الدهشة والعجب • كيف عارض كل منا الآخر داخل الجلسة
ثم خرجنا وكأن كلا منا يؤيد الآخر • ولم يدهش الأعضاء بعد ذلك حين
رأوه ورأونى يؤيد كل منا الآخر داخل الجلسة فى كثير من الآراء • فان
المعارضة بيننا هى فى ذاتها عارضة وليست أصيلة • وهى أيضا لا تجرؤ
أن تمس تلك الصنلة الحميمة الحبيبة العميقة التى تربط الصديقين
الأخوين منه ومنى •

الوحيد الذى لم أختلف معه قط هو أستاذنا نجيب محفوظ على طول
سنوات الصداقة الحميمة بيننا وهى صداقة تزيد عن صلات كثير من
الأخوة وقد زادت - أدامها الله - عن أربعين عاما • والعجيب أن توافقنا
فى أعمال أدبية كثيرة صدرت له ولى فى أوقات متزامنة •

وبعد فانا لا أعرف أننى - والحمد لله - لا أحمل عداوة لأحد من
الكتاب ومهما تختلف بنا الآراء فأننى أكن له الاحترام مادام كاتبًا حقًا
ولييس مزيفًا وأعتقد أو ربما يحلو لى أن أعتقد انه هو الآخر يحتفظ لى
بتنفس هذه المشاعر •

١٠/٨/١٩٨٦ م الأهرام

الفضل لا يضيع !

قرأت منذ قرابة أسبوعين فى عمود فكرة للصحفى الكبير الأستاذ مصطفى أمين مقالا هن مشاعرى وجعل الأفكار تنثال الى ذهنى فى ترسل بعضها يعض النفس وبعضها يملها بالاشراق والسكينة .

قال الأستاذ الكبير فى فكرته ، كانت هوايته أن يخدم الناس ، كل الناس . السجين يفك أسره والمظلوم والمقهور يفك ضيقه . الباكي يجفف دمه . الجريح يضمه جراحه . الواقع على الأرض يأخذ بيده . وشاء قدره أن يكون بقرب أحد الحكام وتصور الناس ان يريق السلطة سوف يغيره وان هيلمان النفوذ والسلطان سوف يبدله . واذا به يزداد قربا من الناس وتفانيا فى خدمتهم واصرارا على رفع الظلم عنهم . وكثيرا ما ضاق به الحاكم . كل يوم يراه يجده يحمل على رأسه المظالم والشكاوى والالتماسات .

ويروى الأستاذ مصطفى أمين بعد ذلك أن الحاكم ضاق بنا يحمل به اليه من مظالم وماس وحاول أن يتنيه عن هذه الخصلة التى من شأنها ان تجعل صدر الحاكم غاضبا حرجا فلما أبى ان يثبني فعمى فى طريقه يرفض ان يرى ظلما ويسكت عنه أو قهرا ولا يحاول ان يرفعه أو فقتا يحيق بانسان ولا يسعى أن يكشفه . فلم يجد الحاكم بدا من ابعاده عنه .

ولم يعد يقابله كل يوم فى الصباح والمساء كما كان يفعل فى أول عهده . وأصبح يراه مرة كل أسبوع ما لبثت أن أصبحت مرة كل شهر ثم مرة كل عام والرجل مع ذلك لا يكف عما دأب عليه فان لم تسعفه مقابلة الحاكم لجأ الى الخطابات يرسلها اليه .

وينتهى الأستاذ مصطفى أمين بكلمة حزينة دافعة ليس الحزن فيها أو الدمع من أجل الرجل وانما من أجل الوفاء والانسانية جميعا . يقول الأستاذ مصطفى أمين .

« ثم مات الرجل وفوجئت ان أحسدا لم يشترك فى جنازته أو يحضر مأتمه أو يعزى أسرته » .

أنا لا أعرف هذا الرجل الذى روى عنه الأستاذ الكبير وأنا أيضا بطبيعة الحال لا أعرف الحاكم الذى يشير اليه الكاتب . ولكننى أعرف اننى لم أشعر بعجب من تكوص الانسان عن أداء واجب العزاء فى رجل قضى حياته فى خدمة الانسان وأقصى عن الصدارة من المقاعد التى تحف بالسلطان من أجل الانسان .

وتذكرت أبيات شوقى للأميرة أم الحسينين التى تبرعت بمجوهراتها لإنشاء جامعة القاهرة وقد وقعت بينها وبين الملك فؤاد جفوة فمنع استقبالها وهى عائدة من الحج فقال شوقى :

برى الرفق من السيف الذى منى مع الأم ملاقة البنين
حجب النعمة حتى وجدت بينها سدا وبين الشاكرين
رب يوم عدت فينة من منى ومن الخيف ومن دار الأمن
من دنيا من ركبك العالى به أب فى القرية معدوم القرين
نسيت روعته فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين

فإذا كان هذا يحدث للأميرة وهى أميرة والناس تعلم ان الشقاق بينها وبين الملك ما يلبث ان يزول فالملوك دائما كالبحر القلب لا يدوم لهم رضا ولا يكتفون على غضبه . وانهم فى أغلب أحوالهم يحبون بلا مبرر ويكرهون بلا سبب وينطبق عليهم البيتان القديمان .

لا تمدحن ابن عمار اذا نديت كفاه يوما ولا تدممه ان حرما
فانها خطراته من وساوسة يعطى ويمنع لا بخسلا ولا كرما

إذا كان الناس يعلمون ذلك ومع هذا يمسكهم الرعب ان يهتوا الأميرة على عودتها وهى على قيد الحياة . فهم اذن أكثر منطقا مع أنفسهم ان يردهم الحذر من السلطان ان يشنعوا من بذل حياته من أجلهم الى مقره الأخير مخافة أن يسمع السلطان بسعيهم هذا الى التوديع فيقبض عنهم رضاه ان كان راضيا أو ينزل بهم سوط عذابه ان لم يكن عنهم راضيا .

وذكرنى مقال الأستاذ مصطفى أمين بقوم دأبوا الا ان ينتقموا من أولئك الذين أغدقوا عليهم الخيرات اغداقا . فأنا أعرف بعض الناس كان

لهم أصدقاء قريبون من بيوت الحكام • فكانوا يلجأون اليهم ليستطيعوا ان يعيشوا وكان أصدقاؤهم يلبون رغباتهم وكانوا بهذه التلبية يمكنونهم من العيش • ثم انقلبوا عليهم أعداء ذوى شراسة وحقد وكراهية لا تتأذى لاعدى الأعداء •

أعرف واحدا كان يتعلم على نفقة قريب له وأصبح هذا الفقير ذا سطوة وبطش وسلطان فاذا هو يتقصد قصدا ان يهين قريبه هذا ويحاول ان يذل أبنائه بكل وسائل الاذلال ولولا ان صاحب الفضل كان أرفع من الهوان ولولا ان أبنائه كانوا ذوى كرامة وشموخ لتمكن منهم قريبهم هذا الذى لم ينل شهادته الا بفضل بيتهم •

ولا أنسى حوارا بين الكاتبين الكبيرين يوسف السباعي - رحمه الله - وعبد الرحمن الشراوى - أطال الله عمره ووهب له الصحة والعافية - منذ أكثر من عشرين عاما • يقول يوسف : - يا أخى هذا الفتى يشتمنى ويسبى فى كل يوم بالجرائد مع اننى قدمت له خدمات لا أول لها ولا آخر وبعضها كان له أثر ضخم فى حياته •

فاذا الشراوى فى ذكاء وظرف ومعرفة بنفوس الناس يقول :

طيب انت يشتمك لأنك صاحب أفضال عليه فلماذا يشتمنى
أنا وأنا لسبت صاحب فضل عليه •

وهذان المثالان أقدمهما الى الناس والى الكاتب الكبير نموذجين عابرين فى حياتى أسعفتنى بهما الذاكرة ولو أننى تقصيت أمثالهما لما نضب القلم ولملاث مثاث الصفحات •

ان الكراهية التى رأيتها من المفضلين على المتفضلين كراهية تتقاصر دونها كراهية أشد الأعداء لهدا وأعمقهم خصومة وأبعدهم حقدا •

كانما يحاول هؤلاء الجاحدون ان ينتقموا من الزمن فى أشخاص المحبسين اليهم وكأننى بهم يريدون أن يقتلوهم ويفتوهم حتى لا يبقى على ظهر الدنيا من يعرف انهم كانوا يوما فى شدة وانهم مدوا أيديهم واحتاجوا فى فترة من فترات حياتهم •

ولا أستطيع أن أنسى ذلك الشاب الفقير الذى سعى الى موظف بوزارة الأوقاف لتقرر له الوزارة راتبا شهريا من الخيرات • واستطاع الموظف

أن يحصل للطالب على هذه الأمانة • ويتخرج الفتى منحميا • ويذهب اليه صديقه بأوراق قضية خطيرة في حياته ويقبل المحامي أوراق صديقه في ترحاب وفي تظاهر بالفرح أنه سيتمكن أخيرا من رد بعض أفضال صديقه •

لا لم يطلب منه أتعابا ويا ليتة فعل • وانما باع أوراق القضية المخصوص وخسر صاحب الفضل دعواه وكانت حصيلة الدعوى آلافا من الجنيهات وكانت الأموال تخصصه وتخص اخوته معه • وحتى لا أثبت الحزن في نفس القارئ أبادر فاذكر أن الخصوم كانوا أشرف من المحامي الخائن وتصالحوا في الدعوى صلحا عادلا •

ولا تعجب اذا قلت لك ان صاحب الفضل أبى الا أن يظل صاحب فضل ورفض أن يتقدم بشكوى الى نقابة المحامين في تقية منه لله ان يضيع مستقبل المحامي ضياعا كاملا •

ولا تعجب أيضا ان قلت لك ان هذا المحامي لم تمر عليه الا فترة قصيرة في المحاماة ثم رفع اسمه من الجدول دون أى تدخل من صديقه الذى أثر أن يظل كريما الى النهاية •

وبعد فهل يصنع الانسان ذو النفس الكريمة المصروف ويتنظر الجزاء • عند من يمد لهم العون •

انا واثق ان الأمر ليس كذلك • ان الذى يقدم الخير للناس ينال احسن الجزاء وأفضله وهو يقدم هذا الخير • لا شيء فى الدنيا يساوى ما يشعر به الانسان حين يحس أنه رفع ظلما عن مظلوم • أو أنه أتاح من الحياة فرحا لقوم سدت دوتهم منافذ الحياة • أو استجاب لأمل علقه به ضعيف لا حول له ولا طول •

ان لحظة السعادة التى يحسها صاحب الفضل وهو يقدم فضله لا يعادلها شيء فى العالم أجمع • وهو لا يفكر ولا يدور بخله أن ينتظر ممن قدم له الفضل عرفانا بالجميل أو ردا للفضل • أو شكرا على ما قدم • ان سعادته هي أكبر من كل عرفان انه يشعر فى دخيلة نفسه أنه أرضى نفسه قبل أن يرضى الآخرين • وان فرحه بأنه استطاع ان يقدم فضلا

لاى انسان لا تعادله فرحة فى العالم • بل وأحسب انه حين يقدم الفضل
لهو له تصبح سعادته مضاعفة اضعافا •

وأعتقد ان من حقى الآن ان أقول للصيفى الكبير مصطفى امين
لا تحزن على صديقك الذى مات بغير وداع فقد نال من الخير الذى قدمه
أنواعا من السعادة لا يستطيع كل من وقف الى جانبهم ان يقدموها اليه •

وناهيك بما هو ملاقيه عند رب السماوات والأرض الذى يمجى الربا
ويربى الصدقات • سبحانه •

١٧/٧/١٩٨٦ م الأهرام

المتاجرة بالعدم !

يبدو ان الحالة التي تمر بها مصر ليست واضحة المعالم فى اذهان البعض . ولا أستطيع ان أقول ان مصر هانت على كتابيها ؛ ولكن الذى أشاهده يجعل الانسان المصرى فى محنة مروعة لما تقاسيه مصر من تصور الأمر هزلا لا جد فيه . فهم ينتهزون الفرصة ليمارسوا باقلامهم مهنة الخطابة الجوفاء ووضع اللافتات على الفراغ واللهو بحاضر مصر والتسلية بالالفاظ ضاربين عرض الأفق بالمصلحة الكبرى لمصر وأبناء مصر .

قرأت فى الأسبوع الماضى مقالين لكاتبين يهاجمان فى ضراوة أولئك الذين يدعون الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة .

والكاتبان يعلمان حق العلم ان أحدا لم يدع الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة أو فى غير الجامعة .

والكاتبان ينشدان نشيدا واحدا عن الطبقات الفقيرة وكيف ان الأثرياء يريدون ان يستلبوها الحقوق المقدسة التى حصلت عليها .

وتلك مضحكة أخرى تدعو الى البكاء على حال القلم عندنا وما أصبح يستخدم فيه .

ان الذين كتبوا ضد مجانية التعليم فى الجامعة لم يطالبوا بالغائها بالنسبة لغير القادرين وكل ما قالوه أن يدفع القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين .

وأعيد الجملة مرة أخرى . ان يدفع القادرون . . وثالثة أقول : القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين . . يعنى الطبقة الفقيرة . يعنى الطبقة الكادحة لا تدفع . ويدفع الأثرياء . . الأغنياء .

فهل هذا استلاب من الفقراء . وهل قال أصحاب هذا الرأى انهم سيأخذون هذه الأموال ويضعونها فى جيوبهم أم قالوا ان القادرين يجب

ان يدفعوا للدولة ماداموا قادرين حتى تستطيع الدولة ان تعلم غير القادرين
فما هذا اللهو الذى يلهو به بعض الكتاب : ان الامر خطير : واكبر ملايين
المرات من التناحر بالشعارات والتنازع بالأحزاب والترامى بالفقر والثراء .
انها مصر كلها وما هى فيه من أزمة اقتصادية طاحنة . ان الوقت متمسح
بعنه ذلك . امام أصحاب الشعارات ان يرفعوا عقائدهم بما يحلو لهم . ولكن
اليوم دعونا نبحث عن المصلحة العامة لمصر وننسى الخلافات الحزبية
والعقائدية وننسى - ولو الى حين - الأوامر القادمة من الخارج والمغلفة
بما لا يعلمه الا الله .

كيف يسوغ فى الأذهان ان يستطيع أب ادخال أبنائه فى المدارس
الأجنبية ويدفع لأبنائه مصاريف تبلغ آلاف الجنيهات فى العام مضافا
انها ما ينفقه هذا الأب القادر على الدروس الخصوصية حتى اذا حصل
أبنائه على الثانوية العامة خملت الدولة وحدها عيه تعليم أولاده دون أى
عون منه . وتقول الإحصاءات ان التعليم فى الكليات النظرية يكلف الدولة
مبلغا ضخما لكل طالب ولكن هذه المبالغ تتضاعف ثلاثة أضعاف أو أربعة
اذا كان الطالب يدرس فى كليات عملية مثل الطب أو الهندسة .

اليس من الطبيعى ان يساهم الأب القادر فى عبء التعليم الجامعى
مادام قد أغدق أمواله فى التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يأتى الطالب الى الكلية بسيارة يتراوح
ثمنها بين عشرة آلاف جنيه وخمسين ألف جنيه ويدخل مزهوا فخورا مدلا
على زملائه ثم يقبل هو ويقبل أهله أن يجلس الى الأستاذ يتلقى تعليمه
دون ان يدفع مليما للدولة التى تقدم له هذا العلم .

ان هؤلاء القادرين يدخلون فى منافسة غير شريفة مع زملائهم من
الفقراء ، لأن الأثرياء يستطيعون أن يدفعوا أجور الدروس الخصوصية
المبالغة الإرتفاع فى حين لا يستطيع الفقراء . ولكن النبوغ على كل حال
لا يعرف الفقر ولا الغنى ولا يعرف الشعارات الجوفاء ولا يعرف اللافعات
المقامة على الخواء . وانما يعرف ان يكون الطالب جادا يؤدى واجبه بإخلاص
واتقان . وان نظرة منك واحدة على المتفوقين تقنعك أن النبوغ يكون حيث
يكون الاخلاص والاتقان فانا لم أقرأ أن متفوقا كان يستعين بدروس خاص .

جميعهم يعتمد على نفسه ويؤدى واجبه فيتفوق .
وهكذا يصبح كلام المدافعين عن الفقراء استغلالا لغير موجود ومناجاة
يعلم . فالذين يدعون الى دفع المصاريف فى الجامعة انما يدعون الى ذلك
بالنسبة للأثرياء لا للفقراء .

وأخرى • هل حسب هؤلاء أن الدولة حين تدعم أيا كان موضع دعمها إنما تقدم أموالاً من جيوب الوزراء أو من حسابات الأثرياء •

إن هذه الأموال التي تستهلكها الدولة إنما تأخذها من أموال الشعب من كدح الكادحين ومن عرق العارفين • ليس هذا المال سائبة ولا هو قادمة من السماء • فالخطب المستفيض للبقاء على الدعم إنما تدمر على غير وعي الأموال التي تملكها الدولة والقطاع العام • فالدولة تدعم الشعب من أموال الشعب ولا مجال هنا للمزايدة والمتاجرة •

وثالثة الأساقي • أرى هؤلاء المدافعون عن مجانية التعليم أن يظل التعليم الجامعي مجانياً مهما يسقط الطالب • ليس من الطبيعي أن يحرم الطالب الفاشل الذي سقط تلك المنحة التي تهبها له الحكومة ليعطي فرصة لطالب آخر فالحق أن يأخذ مكانه • أم إن الدولة ينبغي أن تنفق على الناجحين والساقطين والفاالحين والفاشلين والجادين والهازلين •

أفيقوا إلى ما تكابده مصر فليس الأمر هينا ولا يسيراً ، إنه تراكمات عشرات السنين تحملها اكتاف مصر في هذه الفترة من حياتها ويتحتم علينا نحن المصريين أن نقف صفاً واحداً متراصاً فالمصير مصيرنا جميعاً وإذا نحن لم نبتكاتف فستترغمنا الحياة أرغاما على مالا نحب ولا نرضى • فعالم المال عالم بغيض صلب المشاعر ، جامد الحس ، وليس يعني إلى أي مصير يلقي ضسحاياء •

وهو عالم لا يعرف الخطب الرنانة ولا الكلام المتشائب ولا يعرف نفاق الجماهير على حساب الجماهير • ولا يعرف التظاهر بغير الحق ولا التشديق بغير علم •

ومصر اليوم تعتمد على ثقة الدول • والثقة لاتأتي عفواً وإنما لابد أن يربأها العالم تسيير في الطريق الأقوم والاقتصاد الأنشلى • وهيهات أن تقوم ثقة من فراغ أو من خطابة لا تعنى شيئاً أو ألفاظ لا تتسم بالمنطق أو العقل أو الفهم الصحيح •

ومصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي تقدم التعليم المجاني في الجامعة لا يمانلها في ذلك دولة شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية • ونحن مع ذلك لا ندعو إلى إلغاء هذه المجانية إنما ندعو أن تحجبها الدولة عن القادرين الأثرياء حتى تطيق أن تتيحها لمن لا يتمتعون بالسبعة والغنى •

ومصر هي الدولة الوحيدة التي تتحمل تعيين جميع الخريجين في وظائف أصبح الخريجون يزدرونها حتى لقد رأيت بعيني خريجين تخرجوا في الجامعة يعملون خدما في المنازل • لا في الفنادق • ومع ذلك لا تزال الدولة مصر أن تعين جميع الخريجين وقد نتج عن هذا بطالة في داخل الوظيفة وتحميل لميزانية الشعب بما لا يطيق ولا يعنى هذا الا ضـمـور الأموال التي ينبغي أن تنفق في مواضعها الصحيحة وانهيارا في المرافق العامة وذلك الانهيار على ما فيه من ارهاق للمواطن المصرى يحمل في طواياه تدمير ثقة القادمين اليها بأموالهم مصريين كانوا أو أجانب وفي طواياه أيضا ما فيه من آثار محطمة لصلاتنا الاقتصادية بالدول التي يهملنا كل الإهمية ان تتوثق صلاتنا الاقتصادية بها •

ومصر هي الدولة الوحيدة في العالم شرقه وغربه وشماله وجنوبه التي تجعل نصف المشرعين فيها من العمال والفلاحين • وهو أمر لا تأخذ به روسيا دولة البروليتاريا ولا أى دولة أخرى في شعارها وطبيعا لا تأخذ به دولة حرة في العالم • وفي ظل هذا النظام هيهات لنا أن نتـمكـن أن نصل بمصر الى ما يجدر بمصر حتى تواجه أزمته الاقتصادية • والذي لا شك فيه انه لا أمل لنا أن نصل الى الطريق الاقـوم الا بالمواجهة دون ريب أو خوف أو تهريج أو هتاف حناجر •

وان الله سبحانه الذي يمحى النفاق لا يبارك الا الصادقين مع ربهم ومع أوطانهم ومع أنفسهم •

١٩٨٦/٨/٢٤ م الأهرام

الشريف الغريب !

.. نشأنا فى جيل كان شأنه عجباً • كان يقول ان الانسان لابد ان يكون شريفاً حتى لا يخيتره الناس • وان الانسان ينبغي ان يحافظ على كرامته وان يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين حتى يقبله المجتمع النالى ، وكان يقول ان الانسان ان خادع الآخرين فترة ما فما أسرع ما يكتشف الناس أمره ويصبح بينهم مهينا محاطا بكل الوان الاحتقار والازدراء وينصرفون عنه •

وكان فى جيلنا الكاتب يكتب ويترك للناس ان تحكم على ما يكتب فى غير تمويه ولا دعاية كاذبة نجوفا ودون ان يصرف همه الى الانحشاء هينا وهتسائى على مكاتب الصحفيين لينشروا عنه كاذب الأنبياء ومختلق الأقاويل • ونشأنا نرى أنه ليس هناك شرف يعدل شرف الكاتب • وكان الكاتب يعرف قيمة الأمانة التى يحملها بقلمه • وهكذا كان الناس يحلون الكاتب أرفع مكان من قلوبهم ومن ضمائرهم ومن مجتمعهم •

كان جيلا عجباً ، الشرف فيه هو الأصل • والحيانة استثناء • والإمانة مفروضة فيمن يتلون الوظائف العامة • وخيانتها نادرة • فما أن تقع حتمه يرتفع لوقوعها ضجيج ضخم • والذين أشيع عنهم أنهم قبلوا الرشوة كانوا قلة يعرفهم المجتمع ويتجنبهم الناس فلا يدعون أحدا منهم الى بيوتهم ولا يوسعون لهم فى مجالسهم •

تقدمت سيدة أشيع عنها مالا يرضاه الخلق الرفيع الى محمد باشا محمود وذكرت اسمها له ومدت اليه يدها ليصافحها فاذا به وهو الرجل الذى تلقى علومه فى لندن التى تقدر التقاليد وتحترم السيدات غاية الاحترام •

اذا بهذا الرجل يضع يمينه خلف ظهره ويأبى أن يصافح السيدة وهى من أعرق عائلات مصر • ثم يستدير لها ويتركها ذاهلة •

وجاءت سيدة كانت حريصة ان تذكر المجلات أخبارها فى صفحات المجتمع الراقى الى وزير جليل وكان صديقا لأبيها وقصدت الى الوزير

على أمل أن يجيب رجاءها الذى تحمله إليه بما كان من صداقته لأبيها
فاذا بالوزير يطالعها بصراحة لم تسمع مثيلا لها فى حياتها :

— هل أنت سعيدة أن تنشر الصحف عنك فى كل يوم خبرا وأنت
دعوت فلانا وفلانا ودعاك فلان من الناس وفلان • لقد كان أبوك رجلا
عظيما وأنا واثق انه لو كان حيا ما سمح لك أن تصنعى هذا الذى تصنعينه
الآن من اساءة لنفسك ومن امتهان لذكرى أبيك • عودى الى بيتك يا ابنتى
وكونى فى المكان الطاهر الذى تركك أبوك فيه •

ولم يستجب لرجائها ولم تستجب هى أيضا لنصيحته فكان جزاؤها
أن جفاها المجتمع وحطمها وماتت بعد ذلك بعد أن سحقتها الحياة • فقد
كانت الحياة تسحق أولئك الذين يحاولون أن يستهينوا بمقدسات المجتمع
وقيمه •

كان جيلا عجيبا • ثقافته كتاب ، وحديثه حول كتاب ، ومبتداه أدب
رفيع وشعر سامق حلو الرنين عذب اللفظ كريم العطاء •

إذا أراد أن يسع فام كلثوم وعبد الوهاب فى القمة ومعهم أسماء
لامعة متألقة تشق أصواتها ظلام الحياة بالنور والامل والسعادة والهناء •

يختارون شعر أغنياتهم من أعظم شعراء العربية ان أرادوا شعرا
ومن أعظم كتاب الكلمة المصرية ان مالوا الى الأغنية المصرية •

وبأصوات هؤلاء أصبحت اللغة المصرية عالمية بين الناطقين بالعربية
جميعا توازرها المسرحية المصرية والفيلم المصرى • فان أراد العرب ثقافة
فكتاب مصر وشعراؤها • وأن أرادوا طربا وغناء فعلى القمة دائما أم كلثوم
وعبد الوهاب وكل من نشأ فى ظللتهما ومن أراد أن يشتهر أمره من المغنين
العرب فمصر مسرح شهرته ومضمره إذاعته يعلمون جميعا أن الصوت الذى
لا يسبقه (هنا القاهرة) لا يسمعه أحد •

وغنى الشعب أشعار شوقي وحافظ وعزيز أباظة وإبراهيم ناجي
وعلى محمود طه وأحمد فتحي وأحمد رامى وأبى فراس الحمداني
وعبد الفتاح مصطفى وصالح جودت ومصطفى عبد الرحمن .

وغنى لامام الزجل المصرى يريم التونسى وكتب شوقي الكلمة العامية
وقتها لها الشعب وكتب رامى وجودت الأغنية التي تسمو كلماتها الى
أرفع ألوان الشعر وجاء من بعدهم الجيل المتألق من الذين رحلوا عنا منذ
قريب ومن الذين مازالوا معنا أطال الله حياتهم حسين السيد ومرسى جميل
عزيرى وعبد الوهاب محمد وأحمد عبد المجيد وأحمد شفيق كامل وأخوانهم .

كان جيلا عجباً . بدا فيه رغيل العمالة ألوانا من الأدب لم يسيقهم
فيه سابق . جيل طه حسين وهيكى والعقاد والمازنى والزيات وأحمد أمين
وتوفيق الحكيم وتيمور ويحيى حقي . كان جيلا كتب المقالة والقصة
والرواية والمسرحية والتاريخ والنقد . فلم يكن عجباً من بعد أن يأتى جيل
التخصص نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعى
وعبد الحميد جودة الشجار وعبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبد القدوس
وأمين يوسف ويوسف جوهر وباكثير ومحمود البدوى . ولم يكن عجباً
أن يلحق بجيلهم الجيل الثانى .

كان جيلا عجباً . اذا أراد ان يضحك شاهد الريحاني وان تواضع
فالكسار . وجاء جيل المهندس ومندوبى وعبد المنعم ابراهيم وزملائهم وظلوا
يقدمون على المسرح الفن الرفيع بلا اسفاف ولا استخفاف بعقلية الجمهور
ولا بكرامته .

هذا الذى حدث ؟ وما هذا الذى فشا فى اعراق الحياة وفى
أنحائها .

ما الذى حدث ؟

كيف صارت السرقة والرشوة فى الأصل . وكيف أصبح المجتمع
يقبل المجرمين ويضعهم فى الصدارة من أبهائه . كل من سرق أموال مصر
أصبح عظيماً وكل من مص دماء الشعب أصبح عند الناس علماً . أمسى
المجتمع لا يعاقب أحداً بل غداً المال وحده هو السيد .

لم يصبح الشرف فى ذاته قيمة . فإذا لم يصحبه المال فهو عند ناس
اليوم خيبة وجهل بالمسالك وغيباء للطريق وانحراف عن معرفة الحياة .

أصبح خريج السجون خيراً من خريجى الجامعة . وأرى بين الناس
من يتباهى بأنه متافق وبأنه جبان وبأنه صانع كل عهد ومسح كل خداء

وقبل كل يد وجلس على كل مائدة فإن لم يجد حولها كرسيًا التقت الفتيات
كما يفعل الكلب الذي لا صاحب له • ذليل قيده من داخله • ضئيل •
فرض هو صغاره على نفسه ولم يفرضه عليه أحد •

كنا في جيل يبدأ الاحترام فيه من احترام الإنسان لانسانية نفسه
هو ويفرض بهذا احترامه على الآخرين • وأصبحنا اليوم نسرى السفلة
المنافقين يسدون من الحياة آفاقها • ويصفق لهم المجتمع وتهلل لهم

أصبح الشرف غريبًا في حياتنا يتخفى عن العيون حذر السخرية
وخوفًا من التندر به • علا صوت اللصوص وطغى تسلطهم حتى أصبح
لهم كتاب يمجدونهم ويتغنون بدناءاتهم لا يغيثهم أن يحقرهم النبلاء •

إذا أراد الناس أدبًا فما لا يفهم من الأدب وممن لا ثقافة له • وفيهم
يجهدون أنفسهم وما هي إلا انحناءة هنا وضعها وشوة ومذلة هناك ومعها
دعوة حتى يصبح أمرهم شهيرًا جهيرًا وإن كانت شهرتهم من فراغ واسفاف
وغموض وتفكك وانحلال للمشاكل والمضمون معا •

وإذا أراد الناس أن يسمعوا فتلك الأغاني التي يرفض القلم أن يذكر
من كلماتها كلمة ، بلة جملة •

وإذا أراد الناس أن يضحكوا فهذه الروايات التي يؤلفها الممثلون
بالتعاون مع الجمهور على خشبة المسرح • وصفعة وبركلة وبهلوأية وسخف
وهذاء وتنابد بالشتائم ومباريات في الاحتفاظ أيهما أشبه أفولاً وأعظم
تدهورًا •

غريب هو الشرف في دنيا الناس اليوم وغريب هو السقوط في عالم
القرن اليوم ، ترى ماذا يقول الأمس إذا أطل علينا من غيابات الماضي •

لأحسب أن سيحمد الله أنه أصبح أمسًا وأنه لن يعود إلى
الحياة أبدًا •

١٩٨٦/٧/٣١ م الأهرام

المشيمة

... كان لأحد وجهاء الزيف محصنول من القطن باعه الى أحد التجار .
وكان القطن في تلك الأيام نوعين : أحدهما اسمه زاجورا وهو الأرخص
والآخر اسمه سكلاريدس وهو الأغلى ثمنا .

وباع الوجهة قطنه على أنه سكلاريدس وقبض العربون وحبل يوم
الاستلام وجاء التاجر وفتح الوجهة بمخزنه وطالع القطن التاجر .

- ما هذا يا سييد بك ؟

- قطن زيا جتاج مسهود .

- أعرف أنه قطن ياسيد بك ولكن هذا ليس سكلاريدس .

- بل هو السكلاريدس بعينه شئت هذا أم أبيت .

- يا سييد بك هذا موضوع ليس فيه مناقشة . هذا القطن زاجورا .

- بل هو سكلاريدس .

- من قال لك هذا ؟

- أنا لا أحتاج لأجيد أن يقول .

- كيف ؟

- القطن قطنى أنا وأنا وحدى صاحب الحق فى تسمية قطنى .

وضحك الواقفون جميعا وفسارت هذه الواقعة أمثلة عندنا فى
الشرقية يرويها جيل عن جيل ، وكانت الأجيال وهى ترويها تعلم طبعا ان
الوجهة صاحب القطن يعرف الحق ولكنه يحيد عنه قاصدا متعمدا ليمزج
مع صديقه التاجر ولينتفع أيضا بفارق العربون الذى كان أكبر من عربون
الزاجورا . وقد تم له ما أراد وسلم قطنه بثمان الزاجورا بعد أن ضحك
ملء قلبه من صديقه التاجر .

وظلت هذه القصة تثير فى نفس الضحك كلما خطرت على ذهنى
وظللت أرويها على أنها ضحكة من ضحكات الحياة وربما كتبتها فى الأهرام

قبل اليوم • ولكن الذى ذكرنى بها اليوم اننى تأملتھا تأملا جديدا على ضوء أو على ظلام ما تشهده فى حياتنا فنأيت فيها عجباً •

تأملتھا فى الساحة الأدبية فاذا بى أجد أن كثيرا من النقاد يفعلون فعل الوجيه سيد بك فى حكايته هذه التى مر عليها ما يقرب أو ما يزيد عن ستين عاما •

ان كثيرا من النقاد يرفضون الكتاب دون ان يقرأوه وهناك نقاد كثيرون آخرون جرأة يرفضون الكتابين دون ان يقرأوا لهم • وتناقشهم فلا حجة لهم الا :

— هذا رأى وأنا حر فيه •

— ولكن على أساس بنيت هذا الرأى ؟ •

— أنت لا تملك أن تسألنى فرأى لى وحدى وأنا وحدى صاحب الحق فى القبول أو الرفض •

وهذا الحوار طبعاً مؤلف فان نقادا على هذه الشاكلة يخطئ كل من يحاول أن يناقشهم •

أذكر أن أحد هؤلاء النقاد وهو أستاذ جامعى ومتخرج فى أعظم الجامعات قال لى يوما :

— أتدرى لماذا لا نكتب عنك •

والنون هنا ليست للتعظيم وان كان هو صاحب غرور منقطع النظر • انما النون تعنى القوم الناقدين الذين يدينون بغيره ويلتفون حول مذهبه • والحقيقة اننى كنت أدري كل الدراية لماذا لا يكتبون عني • بل أن كتابتهم عني بغير المهاجمة أمر لم أتوقعه فى حياتى وأحسب أنه يعام أننى أدري ولكنه أراد أن يضيف الى الأسباب التى تردهم عن الكتابة عني سببا لا أدريه • قلت :

— ربما كنت أدري ولكنى أحب ان أسمع منك •

فاذا هو يقول :

— اننا نرفض الكتابة عنك لأن طه حسين كتب عن أول رواية لك ••

ماذا هل ولدت عملاقا كالتليفزيون •

وأذكر أنني ضحككت فرحا إن كتابة العميد أحد الأسباب التي
تعجب عني كتاباتهم . وأنا باليقين اعتبر أن حرفا واحدا مما كتبه عني
العميد يبدل بل ويفوق كل ما كان يمكن أن يكتبوه عني وإن كالوا لي
المديح الوافا وأشكالا على الصورة التي تعودوا أن يكتبوا بها عن الذين
ينتمون إلى دينهم ومذهبهم .

وأذكر قصة أخرى لا أستطيع أن أنساها . وقع خلاف بين أحد
الرائيين وبين أحد النقاد واحتدم الخلاف وتطايير منه الشرر . وتصادف
أن كنت جالسا مع الناقد فاذا هو يقول في غيظ شديد .

— والله ليرين كيف يكون عقابي عندما تصدر له رواية جديدة .
ماذا يظن اليس رواثيا ولا بد أن يكتب رواية جديدة .

ولم أعلق ولم يعلق أحد من الجالسين معنا وبماذا يمكن أن نعلق
أنه يرفض رواية لم يكتبها الكاتب بعد ويتوعددها بالويل والثبور وبعضا
الأمور وحتى لا نعدو الحق لابد أن نذكر أن الناقد قال ما قال في فورة
غيظ وغضب والمرء لا يحاسب على قول قاله في فورة غيظ . ولكن الذي
دهشت له ومازلت أدهش الفكرة التي راودت الناقد . وكيف أنه يتصور
أنه يستطيع أن يرفع ويخفض دون موضوعية ودون تعمق للعمل .

وثالثة كنت أشارك أحيانا في الاذاعة في ندوة لمناقشة كتاب
أو رواية . وكم من مرة شهدت نقادا يشتركون معنا في الندوة دون أن
يقروا العمل موضوع المناقشة .

كان هؤلاء يذكرونني بصاحب القطن الزاجورا الذي يرى من حقه
أن يجعله سبلا لريدى . فهم يسمعون الحق بالباطل في جراءة منقطعة النظير
وإن كان صاحب القطن يمزح بما صنع فهم — للأسف — يظنون أنهم
جنادون .

وظللت أحسب أن هذا الصنف من الناس موجود في ساحة الأدب
وحدها حتى أذن الله للحرية أن تعود إلى مصر وظهرت الجرائد المعارضة
.. ياسبحان الله .. ما هذا الذي يطالعوننا به ؟ إذا كان الأدب فنا والناس
فيه تعتمد على ذوقها فإن السياسة شأن آخر .. أنها شأن دولة .

لقد بدءوا معارضتهم بالشتيمة وكان لها حين بدأت وقع في نفوس
المصريين ، فقد ظلوا قرابة عشرين عاما لا يقرءون في صحفهم إلا تمجيد

الحكام ورفعهم الى سماوات الآلهة • وظلوا قرابة عشرين عاما يهمسون بالنكتة وان قروا فى صحفهم نقدا فمخلف بالرمز متنكرا بالفن القصصى أو الروائى •

فالشتيمة فى أول أمرها كانت نعمة جديدة على مسامع القراء • ولكن كل جديد من شأنه أن يصيبخ قديما • وان رجب الناس فترة بالجديد فانهم بطبيعة النفس البشرية سرعان ما يملون • ثم سرعان ما يزهدون • ثم ينصرفون والذي لاشك فيه ان الشتامين المعارضين يدركون ذلك كل الادراك ولكن يبدو أنها البضاعة الوحيدة التى يملكون •

ولكن المعارضة أسمى من ذلك وأرفع • وبغير معارضة لا ديمقراطية ولكننى أحسب أن الديمقراطية تستطيع أن تقوم بغير الشتائم •

فالشتائم أيسر شئ كتابة • وهى لا تليق بأصحاب الراى • فكيف اذا صارت هى عمادهم الوحيد •

وقد يكون الشتم مظهرا للجراة والشجاعة اذا كان رئيس الجمهورية سفاكا ظالما يعتقل معارضيه ويحطم أفلام الكتاب الذين لا يؤيدونه ويفلق الجرائد التى تهاجمه ويشرد الجماعات التى ترى غير رأيه وتسير فى غير نهجه •

وكم يمض النفس ويملوها حسرة أن الرئيس لو كان كذلك لأصبح الشتامون مداحين والمهاجمون مصفقين والمعارضون مؤيدين يرقصون على طبول الحكام ويهتفون بأبواقهم •

ولكن رئيس الجمهورية لا يصنع هذا الصنيع وما هو بجبار فى الأرض ولا بالظالم العتى ولا هو من المنتقمين • فأى بطولة يجدونها فيما يكتبون ؟

وان لهم من الكتاب العلماء أسوة • وهم أيضا معارضون ولكنهم شرفاء لا يتاجرون بأقدار مصر ولا يحاولون ان يعتدوا على الحق بالسباب ولا يفكرون ان يقيموا من أنفسهم أبطالا مزيفين بائعين فى سبيل ذلك • مستقبل مصر وبلا ثمن • ومن أمثال هؤلاء الشرفاء وعلى رأسهم أستاذنا العلامة الجليل د • وحيد رأفت مالهم لا يتخذون منه مثلا أعلى ولست أقصد بذلك الوفديين وحدهم وانما أوجه حديثى الى المعارضين جميعا بدلا من هذه المشيمة التى يبذلون أقصى الجهد ان يرسموا بها من أنفسهم زعماء

وقواد سياسة أو قواد حروب • ان كثيرا مما أقرأ لكتاب المعارضة كلمة واحدة لا تتغير فنى عدد عن عدد آخر • أترأهم لا يحسون مقدار الملل الذى يستقبله به قراؤهم ؟

يا أبناء مصر • أذكروا مصر • ان المعارضة هى أهم جلامح المعارضة وبغيرها لا ديمقراطية • وما أوسع المجال للرأى المعارضة على ان يكون رأيا لا شتما • وحجة لا سبأ • ومناقشة لا هجمة •

انها مصر وهى تواجه فترة من أشد أوقاتها عسرا أجوج ما تكون الى الرأى • الا تدركون هو عصب هذا الزمن الذى نمر به ، اننا نصانى الازمة العالمية ومعها تراكمات ثلاثين عاما من التجهيد والعنت والحروب والمؤامرات الخارجية التى كانت مصر تصدرها الى العالم فى الستينات وأصبحت اليوم مسرحا لها من أعدائها •

أتحتمل مصر هذا جميعا مضافا اليه الشنائم والسباب والهجوم بدون مناقشة والاعتداء بغير حجة •

علم الله ان مصر لا تحتل اليوم الفتنة التى تثيرون • والفتنة - كما لابد انكم تعلمون - لا تصيب الذين يشعلونها وحدهم بل هى تحرق ولا تفكر ، وتندلع ولا ترعوى ، وتفسو ولا تترث •

اتقوا الله ، وأذكروا مصر ...

الصفتح: أجمعتم

حاولت بكل الجهد ان اصرف نفسي عن هذا الموضوع فتحت على
الحاحا اعرفه منها اذا انشبت فكرة اظاfrها فيها فهي لا تنثنى ولا ترعوى.
ولا بردها عما تريد كتابته شيء .

الكاتب الذى اريد أن اناقشه من أحب الكتاب الى نفسي ومن أحب.
الى القراء ونحن أبناء جيل واحد واتصلت أسسببى به منذ ما يزيد عن
ثلاثين عاما كلها ود وحب وإخاء . لم نختلف الا فى مقالين كتبناهما قبل أن
نتخارف فكانا سبب صداقتنا بعد ذلك . ولذلك فانا أرغم القلم ارغاما
الا يذكر اسمه ولا أكاد اسيطر عليه .

وحتى هذه اللحظة يبدو أننى سأتمكن من انجام القلم من ذكر الاسم.
وأرجو الله أن اظل قادرا عليه حتى أنتهى من كتابة هذه المقالة بسلام .

فانا لا اشك فى ان الكاتب الكبير حين كتب ما كتب كان واقعا تحت
تأثير لحظة من لحظات الضيق الشديد التى تعيط بنا نحن الكتاب ولا نجد
لنا عونا بعد الله اقلامنا نزع اليها لعلها تفرج عنا بعض كربنا أو لعلنا
نبشها ما يعالج فى حنايا نفوسنا من شدة وسخط .

وأنا لا اشك ان شخصا ما كان السبب فيما ألم بكتابتنا من كروب
ووقفت بينه وبين هذا الشخص سندود تذوده عن أن يذكر اسمه حراقة
فانزل سنخطه على الناس أجمعين لا يستثنى أحدا . حتى نفسه ما استثناها
ولا هو اعفاها وكانما يعاقبها لأنها غضبت ولأنها تردده عن انزال غضبه.
بمن يستحقه .

بدأ كاتبنا مقاله: بمثل شعبى يقول: (ان كان لك عند الكلب حاجة:
قل له ياسيدى) وهو مثل يرفضه كل انسان شريف وما جرى على السنة

الناس الا على سبيل النكتة والفكاهة والممازحة . وكل من يقول للكلب ياسيدى يصبح أقل من الكلب شأنًا . ولكن كاتبنا الكبير لا يكتفى بهذا بل هو يصر على صدق المثل ويبادر قائلا وهو مبدأ صحيح فى العلاقات السياسية والتجارية بين الدول والأفراد وهو يرى أن المعهدة لا دين لها ويقول « نحن كلاب أسياذ كلاب » والحقيقة أننى رفضت أن أجد الأهرام يشتمنى على الصبح ويشتم معى الانسانية جميعا دون ذنب جنيته أو جناه أحد من بنى الانسان . بل اننى غضبت لصديقى الكاتب نفسه وأبيت له ان يشتم نفسه ثم يستييع ان يشتم الناس أجمعين مادام قد مهد بشتيمة نفسه . وليست العلاقات السياسية علاقة كلاب بعضها ببعض ولا علاقات الأفراد علاقة كلاب بعضهم ببعض .

وليست العلاقات التجارية علاقة كلاب . فالتجارة مهنة من أشرف المهن فى التاريخ والعلاقات بين التاجير والناس علاقة منفعة متبادلة . ولولا هذه المنفعة المتبادلة بين الناس لأصبحوا - فعلا - كلابا يتخطفون مطالبهم بلا شرف ولا عقل ولا منطق ولا خلق . فالكلاب وكل الحيوانات لا تتبادل المنافع بينها ولكنها تأخذ ما تريد غصبا وبغير حق الا حق القوة والمزاحمة ، ولهذا فهى حيوانات ولهذا لم يكرمها الله وكرم الانسان ولم يجعل من الناس كلابا ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » الاسراء آية - ٧٠ . فالانسان لن يكون كلبا الا اذا اختار لنفسه هذا وكم طلب ناس من صديقى الكاتب أنواعا من المعروف وكم أجاب وما كان الناس حين طلبوا كلابا وما كان صديقى . وانما كان حين يستجيب لرجاء انسانا فى أرفع درجات الانسانية . وما الانسانية ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجة ، وتفريجا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحياة .

وصديقى الكاتب من هؤلاء الذين لا يخيب عندهم رجاء وقد جربته فى كثير من الأمر فكان عندما أعلمه عنه .

أخى الكاتب الكبير لقد ضقت بواحد من الناس ذرعا ولم تدر كيف
تقول عنه انه كلب فشتمت نفسك لأنك لم تعبرف كيف تشتمه وحدهم
ثم أفرغت غضبك على الناس أجمعين •

ولكننا نحبك ويحبك القراء الذين شتمتهم • فما ذنبهم عندك •

الله ان أظل قادرا عليه حتى أنتهى من لحظات الضيق الشديد التى
تحيط لما بعض كربين أو لعلنا نبثها ما يعتلج فى وانما كان حين يستجيب
لرجاء انسانا فى أرفع درجات الانسانية • وما الانسانية ان لم تكن
تواصلًا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، وإشاعة
للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجة ، وتقريبها لكربه ،
وتخفيفا لأعباء الحياة •

والناس يا أخى حين تتواصل انما يجرون على سبنة الحياة التى
أرادها لهم الله فى علياء سمائه وهو جل علاه يقول فى سورة الحجرات ••
« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » سورة الحجرات.
آية ١٣ •• هكذا أراد لنا العليم الخبير • وإذا كان قد جعلنا شعوبا
وقبائل لتعارف فمن الطبيعى ان نتراحم وان نتواصل وإذا كانت هذه
حكمة الله بين الشعوب فلا عجب ان تكون المودة هى أساس الصلات بين
الأفراد فى هذه الشعوب •

والشاعر القديم يقول :

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وهم حين يفعلون انما يمارسون معنى من أكرم معانى الانسانية
وأشرفها وأرفعها مكانا وأعلاها مرتبة •

والحطيئة يقول :

من يصنع الخير لم يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

وانت يا صديقي من هؤلاء الذين يصنعون الخير . وانت يا صديقي
لم تعلم جوازي هذا الخير . وانت يا سيدي كريم حين صنعت الخير وكريم
حين استقبلت جوازيه مشكورا حين صنعت ، مباركا حين استقبلت .

وانت يا اخي الكاتب تكتب للناس فليس يقرؤك الكلاب . وقد
اكرمتم حين اجتهدت جهدا وبذلك في تثقيف نفسك . وما كنت
لتفعل لو لم تكن تحمل كل الاجلاك والاحترام لقارئك . وقد جازوك عن
هذا جبا واقبالا واعجابا .

اخي الكاتب الكبير . لاشك ان بين الناس كلابا ولكن الناس تحتقرهم
حين تعرف كلبيتهم وتسقطهم من قوائم الاكيمين وتنزلهم منزلة احقر من
منازل الكلاب الذين خلقهم الله كلابا .

فحين يدلل الرحماء الكلاب ويهيئون لهم الطعام والمشراب تراهم
يحتقرون كلاب الناس ويقيضون عنهم صداقتهم وودهم .

فكلاب الناس كانوا يشرأواختاروا لانفسهم ان يكونوا كلابا حين
لا يملك الكلب ان يجعل من نفسه يشرأ ولو يملك ما نكس ولما استأجر
ولبادر وسارع .

وهناك أيضا نوع آخر من الكلاب ذكره ابن الرومي في بيتين شهيرين
له اظنك تعرفهما وربما كانا من محفوظاتك وهي وفرة .

يقول ابن الرومي :

ان للحظ كيمياء اذا ميا
مس كلبا حاله ايسيايا

يفصل الله ما يشاء متى شاء
كيا شاء كائنا ما كانا

ولاشك ان الحظ مشغول بكيميائه فى ايامنا هذه مشغلة عظيمة فهو
دائم الدوران بين أسافل الكلاب يحيلهم اناسا ولكنهم مهما يتكاثروا يظلوا
فى الناس قلة قليلة ويظل الانسان هو الأصل وهو الأغلبية الساحقة .

أخى الكاتب الكبير أرجم من أهاجك ما طاب لك الرجم ولكن اياك ان
تقسو على نفسك هذه القسوة التى أنزلتها بها .

أو الصفيح وأنت به أولى . وكم نسييت وكم نسينا وكم صفحت
وكم صفحنا . وما هى إلا لمحة من زمن ثم نجد أن الصفيح كان أحلى فى
نفوسنا من النعمة . وأن النسيان من أعظم متن الخالق على الانسان .

١٤/٩/١٩٨٦ م الأجرام

حرية خصمى حرىتى

طالما ضقنا ذرعا بأولئك الذين يآبون علينا أن نتكلم فى السياسة نحن الأدباء • وكم عجبنا أن تكون السياسة متاحة للجميع لا يردهم أحد عن الحديث فهى موضوع من لا موضوع له وهى النقل بين المتنادمين وهى الشراب بين المتسامرين ، حل ماح للجميع أن يقول فيها ما يشاء وان خلا قوله من منطق وان جهل التاريخ القريب والبعيد • ومع ذلك نجد من يرسل لنا الخطابات مالمكم أنتم الأدباء وما للسياسة وعجبنا • أنكون لسان المجتمع ونبضه ومشاعره وأمله وغضبه ورضاءه بعيدين عن السياسة فى حين يسومها كل جاهل بها •

احرام على بلايه الدوح

حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل الا

فى خبيث من المذاهب رجس

وبعد فقد كنا من قولهم هذا نعجب ، وكنا نقدم عجبنا بين أيديهم حتى فوجئت فى الأسابيع الماضية بخطابين من شيخين ، أما أحدهما فيناقش الدكتور عبد المنعم النمر فيما رآه من وجوب الاجتهاد ولا بأس على الشيخ ان يناقش الموضوع بما يراه من حجج اما الخطاب الآخر فان الشيخ يرفض منى أن أتدخل فى شئون الدين • ولو كانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها هذا الرأى لصرفت عنها القلم ولم أشغل نفسى ولاشغلت القراء بها •

وأنا لا أدري ماذا يريد الناس من الأدباء اذا كانوا لا يرضون لهم الكلام فى السياسة ولا الدين ؟! أنا أفهم ان نمتنع عن الافتاء فى المسائل الدينية الشرعية التى استأثر بالعلم فيها المشايخ الاعلام والتى اختلفوا حولها اختلافا بعيدا حتى اننا نجد للمسألة الواحدة ما يزيد عن خمسين رأيا • ولكن ألا يحق لنا أن نناقش مشايخنا فى أمور ديننا ونعمل المنطق فيما يصدرونه لنا من فتاوى فى الأمور الخلافية من ديننا القيم الذى أرسل به سيد البشر وخاتم الأنبياء للناس كافة •

إلا يسمح لنا المشايخ أن نكون ناسا من هؤلاء الناس مادامنا نقف
خاشعين مخبتين عند الفرائض التي لا يجادل فيها إلا ملحد أو زنديق .
والتي لا مجال فيها لأعمال رأى أو لاجتهاد .

أما الموضوعات التي اختلف حولها الأئمة الكبار وعلى رأسهم الأربعة
الاعلام ، إلا يجوز لنا أن نسأل في شأنها وقد احتدم فيها الرأى بين مئات
العلماء ثم صدر فرمان بإقفال باب الاجتهاد لا نعلم من هذا الذى أصدره
ولا نعلم من الذى جعله مقدسا لا يجوز مناقشته . ثم ها هو ذا شيخ من
أعلام مشايخ المسلمين يزيل عن هذا فرمان قداسته ويطرح الموضوع كله
للمناقشة . فإذا أيدناه وجدنا من يقول لنا ما شأنكم أنتم بالدين فتزداد
الأمور استبهاما علينا . أريد بعضهم من الكتاب أن ينفى عنهم وظنيتهم
ويريد البعض الآخر أن ينفى عنهم عقيدتهم . فماذا يبقى للكتاب بعد ذلك
إذا حرم عنهم الكلام فى السياسة وهى عماد وطنهم وفى الدين وهو
عصام عقيدتهم .

وكان مما أدهشني أيضا هذا الأسبوع خطاب من سبهاج من فتي
لن أذيع اسمه حتى لا أجعله بين ذويه أمثلة وانى أضخ صورة الكتاب بين
يديك . فإذا كان الفتى لا يعرف كيف يكتب مادة قرأت فكيف يريد لنفسه
أن يكون كاتباً والفتى يتهمنى إننى لم أقرأ أعمال الماستر ومع ذلك أرفضها .
الحق يا بنى أننى قرأت بعض ما وصل الى يدي من أعمال الماستر ولن أناقش
هنا قيمته فأنا لم أرفضه . وانما أكبرت اتحاد الكتاب أن يكون بين
أعضائه أولئك الذين لم ينشروا شيئا ورفضت اعتبار طريقة الماستر
وسيلة من وسائل النشر فمنذ ظهرت المطبعة كف الناس أن يعتبروا بهذه
الطريقة وسيلة من وسائل النشر . وقانون اتحاد الكتاب ينص على ألا يقبل
بين أعضائه الا من كان له عمل أدبى ملحوظ . وانى أسأل أصحاب الماستر
هل أصبح أى عمل لهم أدبيا ملحوظا . وإذا كان هذا الذى أرسل لي خطابه
نموذجا لكتابهم أيرضون لاتحاد الكتاب أن يضم بين أعضائه من يخطئ
أخطاءا املائية بالغة السذاجة الى هذا الخد حتى يكتب قرأت بهذه الصورة
المضحكة التي تدل على أنه لم يقرأ فى حياته شيئا فإذا كان لم ينته بعد
من مادة قرأ يقرأ قارىء فكيف يريد أن ينتقل الى مادة يكتب يكتب فهو
كاتب وعضو أيضا فى اتحاد الكتاب .

ومن الظلم القديم الذى تعرضت له حكاية مضى على وقوعها أكثر من
عام ولم أشأ أن أرد عليها فى حينها لما توسمت فيها من هوان الشبان
وكم كنت بعيدا عن معرفة قومي يومذاك .

نشرت إحدى الصحف العربية خبراً مؤداه أن ثروت أباظة طالب بصفحة رئيساً لاتحاد الكتاب أن تمنح مصر دخول الشعراء نزار قباني إلى الأراضي المصرية .

وتولاني العجب قالخبر مختلق جملة وتفصيلاً . فانا - أولاً - لست بواباً على مداخل مصر وليس لي الحق أن أطالب بخروج أحد أن بدخوله .

وأنا في هذه المرة التي زعموا فيها أنني تقدمت بهذا الطلب لقيت الشاعر الكبير نزار قباني في جريدة الأهواام ورحبت به بكل الترحيب ودعوتُه أن يتناول العشاء في منزلي على عادتي كلما لقيته في القاهرة . وطلب إلى يومذاك أن أنظره حتى يستقر به المقام وكان هو قد دعاني إلى بيته في بيروت حين كانت بيروت لا تزال على قيد الحياة . وإن صلتني بالشاعر الكبير كلها حب متبادل وأعجاب متبادل . وأنا في هذيلة نفسي لا أحاسب الشعراء على آرائهم السياسية وأمثال لقوله تعالى عنهم « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » واتهم يقولون مالا يفعلون » الشعراء الآيات ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، وأفتتحت في شأن الشاعر نزار بقول المثبني :

فإن يك الفضل الذي حسناء واحداً فاق بحاله الملائي سورن اللف

ولا بأس عليه أن يغضب فيقوله فهو ما يلبث أن يعود فيرضى ويقول أيضاً . هذا هو موقفى من الشاعر نزار قباني الذي أعتبره علاقة من العلاقات الكبرى للشعر . في العصر الحديث والذي أكبر موهبته الغدة واستعذب شعره الأصيل واستمتع به .

لهذا جنيحاً كففت نفسي أن أكذب هذا الخبر السخيف الذي نشر عني وتوقعته أن يكذبه نزار القباني نفسه ولكنه لم يفعل والتمست له العذر قلت ربما لم يعلم به . ولكنني فوجئت بالجرائد والمجلات العربية كلها وليس لها حديث إلا هذا الخبر . وكيف يمنع ثروت أباظة الشاعر القباني أن يدخل البلاد المصرية . وأقرأ وأزداد دهشة وعجبا .

وكتب صديقى وجاء النقاش مقالاً يسيل رقة ويقطر سما في مجلة « النخلة » يغيدنى أنه أفعل هذا الذى يظن أننى فعلته ويذكرنى بأننى « ابن دسوقي أباظة الذى لقب بأبى الشعراء فكان ملائهم وموئلهم وراعيهم »

وازداد عجبى فرجاء يعرفنى ويعرف اننى أبعد ما أكون عن مثل هذا الصنيع . ولكنه لم يكتف بهذا بل زاد أننى أطلب مصادرة الكتابات الشيوعية فكانت هذه بداية حملة أخرى شنها الشيوعيون كيف يجوز لرئيس اتحاد الكتاب أن يطالب بمنع الكتاب من قول رأيهم . وقد تمكنوا من اختلاق الأكذوبة ومهاجمة الشخص الذى الصقوها به ووجدوا من يصدقهم . ورئيس تحرير مجلتهم رآنى أذافع عنهم فى المجلس الأعلى للصحافة لأن الأمر المطروح كان يتعلق بالحرية وبالعدالة ومع ذلك استباحوا لأنفسهم أن يرمونى بهذه التهمة حين طالبت أن تكون لكل صحيفة فى مصر سمات واضحة ولا تكون الجرائد متميعة الرأى مختلطة المفاهيم . وهم قبل رأونى فى اجتماع هام خطير طالب بعض الجاهلين فيه بإغلاق جريدتهم أعارض هذه المطالبة فى حسم قاطع وأرفضه بكل الرفض . وأنا لم أصطنع موقفى هذا من مكانى فى اتحاد الكتاب وإنما الحرية هى عقيدتى التى أدين بها بعد الاسلام . وهل الإسلام إلا الحرية . وإذا خنت حرية خصمى خنت حريتى وخنت نفسى وأنا والحمد لله أعتقد اننى ما خنت نفسى قط . ولا دعاء لى الا أن ألقى الله قبل أن ترغمنى الحياة أن أصنع ما لا أرى لنفسى من صنيع . وأنه سبحانه قادر أن يبلغنى هذه النشيدة . فانه هو القريب وهو هو تقديست أسماؤه يجيب دعاء المخلصين من عباده جل علاه .

١٩٨٦/٩/٢١ م الإهرام

هم والآخرون

من عجب أن الانسان يأبى أن يستفيه من تجارب الآخرين • ولو أن كل جيل انتفع بتجارب الجيل الذى سبقه لأصبحت الانسانية فى مستوى غاية فى الرفعة ولأصبحت الحياة نعيما لا مثيل له •

وهذا الرضى لتجارب الآخرين قديم قدم البشرية فان يكن آدم قد أخطأ فأكمل من الشجرة المحرمة • وان يكن قابيل ارتكب الخطيئة الأولى فى حياة البشر فان أبناء آدم أصبحوا جميعهم خطائين وان تفاوتت بينهم درجات الخطيئة •

ثم تعاقبت الأجيال وكل انسان يعتقد أن ما حدث لغيره لا يمكن أن يحدث له • وأصبح كل مجتمع يظن أن ما حاق بالمجتمع السابق لا يمكن أن يخيق به • ولو أن الأجيال المتعاقبة أخذت العبرة من التاريخ ما تغاقب الأنبياء • ولما أرسل الله سبحانه وتعالى الى الأرض الانبياء واحدا • ولكن كيف وكل أمة فى التاريخ تجاهلت ما وقع للأمة السابقة ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم • ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين • واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين • ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم » الأنعام الآيات من ٨٣ - ٨٧ صدق الله العظيم •

فهو سبحانه أرسل كل هؤلاء الذين جاء ذكرهم بالآيات الكريمة لأن أقوام هؤلاء الرسل جميعا لم يعتبروا بما وقع للقوم الذين سبقوهم الى الحياة والى الموت أيضا • ولم يتدبروا العظة فى اهلاك الله للقوم الكافرين على مدى السنوات الطوال التى أرسل فيها هؤلاء الرسل • وقد كان العقاب من الضخامة والهول بحيث أن بعضا منه كان كافيا أن يردع الأمم التى بعده ، ولكن هيهات فما قمعهم الاهلاك بالرياح ولا بالعواصف ولا بالحواصب • لا شئ أجدى معهم • حتى شاء سبحانه أن يختم رسالاته

الى الأرض فأرسل سيد الأنبياء وخاتمهم بالكتاب الكريم المعجزة الخالدة.
الباقية حتى اليوم لأن كل المعجزات البصرية لم تكن ذات جدوى مع الأمم
التي خلت . فما نفع معهم سفينة نوح ولا نار ابراهيم ولا عصا موسى
ولا احياء الموتى من الانسسان والطير . فجاء القرآن . فهل من مدكر .
هيئات . قليلا ما يذكرون .

ان القرآن الكريم هو الرسول الخالد على الأرض . ولكن الناس
أبعد ما يكونون عن روحه السامية الرفيعة . فهم لا يأخذون من تجارب
الأمم قبلهم ما ينفعهم في حاضر أيامهم وقابلها .

والعجيب الأعجب ان الدولة وهي الدولة لا تنظر الى تجارب الآخرين
ولا تفيد منها وتحل بها الأزمة الاقتصادية الطاحنة فتغض النظر عن
الأدواء السفاكة التي تنشب أظافرها في كيائها وتروح تبحث عن الدواء
في شتى مظان ومختلف سبل وتأبى كل الاء أن تعمل الدواء الوحيد
الذي ينقذها والذي تعلمه غاية العلم ومع ذلك تتجاهله .

في أى دولة من دول العالم صدر قانون يجعل الفلاحين والعمال
يمثلون على غير أساس من علم أو ثقافة أو حتى دراية الخمسين في المائة
من المشرعين في الدولة والخمسين في المائة من مجالس ادارات الشركات
فتكون النتائج فادحة الخسران بالغة التدهور . وهل سمع أحد في العالم
أن دولة ما بها أربعة عشر ألف قانون سارية المفعول في وقت واحد .
صدر أغلبها بغير بحث ولا استقصاء ولا دراية ولا خبرة .

وتكون النتيجة أيضا قطاعا عاما يمتص في شراهة سرطانية أكثر
من مليار جنيه سنويا ونجد محلات بيع مملوكة للقطاع العام ، الأمر الذي
لا نشهد له مثيلا في أى دولة حرة . ولا في أى دولة اشتراكية . ذلك
ان المحلات في الدول الاشتراكية جميعها مملوكة للدولة فهي كلها قطاع
عام فليس لها منافيس من القطاع الخاص مثلما الأمر عندنا والنتيجة
الطبيعية انهيار هذه المحلات ويدفعها الى الهوة عمال بها لهم وجوه ذات
جهامة وكثرة ، وكبود ذات غلظة وقسوة ، غير منتمين هم الى مصادر
رزقهم وما يعجبهم منهم الا أن ينتموا لوطنهم ولا يشفقوا على مواطنيهم
في الخطاب على الأقل وفي اللسان الرطب . وما لهم لا يغلظون وهم
يعلمون أنهم بالقون مرتبهم أول الشهر فقايضوه حتى وان قبضوا أرواح
الزبائن وما لهم لا يعنفون بالمشتريين وهم يعلمون لا عقاب هناك بل
ولا حساب ولا مساءلة . هكذا قانونهم وهكذا قوانين جميع العاملين في
القطاع العام .

وأعجب معى الدولة تستطيع أن تخرج الوزير فيها والمدير فى غمضة عين ثم تقف عاجزة أمام كل العاملين فيها .

لا عبرة عند الدولة فلا هي تنظر الى يمين من دول ولا الى اليسار . فالدول ذات اليمين تفصل عمالها . والدول ذات الشمال تنزل بعمالها المهملين ألوانا من العقوبات لا حدود لها ويكفيك أن تعلم أن القتل من بينها بما يقف فى حظيرة من نفى وسجن وما يلى ذلك من عقوبات .

ويتوقف الانتاج فى القطاع العام أو يكاد ولا تنظر الدولة الى ديننا السماوى القيم الذى يعد المحسنين بالجنة وأنهار من عسل ولبن لم يتسنه وخلوا أساور من ذهب ويتوعد المخطئين بالنار وتشتجرة الزقوم ونماء من خمير لا يموتون فيها ولا يحيون . ولا تنظر الى القول المأثور أن الله يزع بالسultan ما لا يرزع بالقرآن .

والدولة تبنى أن تستفيد بتجارت دول العالم من يمين ويسار نفى التعليم فتسمح للطالب القادر الفاره الغني أن يستلب من أموال الدولة آلاف الجنيهات يتعلم بها دون أن يبذل للدولة بعض حقها عليه وليس يخل أن يقصد الى معاهد الدراسة بالسيارات الفاخرة اشتراها له ذوهه بالأثمان التى لا يطيقها إلا أولو الثروة الخالية الباذخة .

يسرقون نخل أنفسهم اسرافا لا تحجل فيه ولا قصده وينتهبون الدولة بغير حياء ولا خلق . وما لهم لا يفعلون والنولة تفسح لهم من الطرق أوسعها ليسوموا أموالها الخسف والانتهاك .

والمعارضة لا تتخذ من الماضى القريب غير فتعتبر ، فإذا هى اثاره للفتن وتهجم على كل ذى كرامة . وتتسايىز بالالقاب وتدمير للمعناتى الشريفة . لا عمل لهم الا السخرية دون الثقة والهنم بغير بناء والاساءة خلعت من العقل ، والتمزيق الفاحش لكل انسان ، لا يراعون الله ولا يفكرون فيما قد تجره عليهم الفتنة من وبال وجحيم .

وإذا كان هذا شأن الدولة والمعارضة فما بعجيب أن يكون هذا شأن الأفراد من وزراء ورعية .

فأما الوزراء فكثير منهم يفكر فى قول الحكيم : (لو دامت لغيرك ما آلت اليك) ، فهم يعضون على كراسيهم بالنواجذ وهم فى عضهم هذا :

يخشون أن يوقعوا قرارا أو يصيبوا أمرا محبين هم حيونهم تدور في
رؤوسهم خوفا على كراسيهم وذعرا من المعارضة ومن غير المعارضة .

ولو أن كل وزير منهم استلهم ضميره ونظر الى ربه الى صوالج
وطعه وأصدر ما يرى أنه الحق من القرارات لما كان هذا حالنا . فما لهم
يخشون الناس ولا يخشون الله ، والله والوطن أحق بالخشية .

وإذا كان هذا شأن بعض الوزراء فما بعجيب أن نرى الأفراد
لا يعتبرون . بما وقع على أمثالهم عبر الحينة معتقدين أن ما حدث للغير
لا يمكن أن يحدث لهم ، فكل مجرم منهم يحسب أنه أوتي من الذكاء واليقظة
ما لم يتأت لأحد قبله . وإن كان المجرمون من قبله قله حل بهم العقاب
فلأنهم لم يكونوا في مثل ذكائهم وفطنتهم ولباقتهم وعلمهم بآبواب السرقة
والنهب والفجور .

ان جميع المجرمين والمنحرفين تزخم نفوسهم بالغرور ويظنون أنهم
يستطيعون أن يماكروا الله والقانون والمجتمع . ويرفضون أن يصدقوا
أنهم بشر من البشر وأن العقاب الذي حل على من قبلهم واقع عليهم
لا محالة . وأن الله سبحانه وتعالى هو خير الماكرين .

خطاب كريم

جاءني هذا الخطاب الكريم من الأستاذ العالم عدنان أسعد .

كاتبتنا الكبير الأستاذ ثروت أباظة — دام تحية وبعد :

في مقالكم بالأهرام تحت عنوان (الصلح أجمل) ذكرتم بيتا
لشاعر قديم هو :

الناس للناس من بدو وحاضرة . بعض لبعض وإن لم يشعروا
(خدموا) بقولكم (خدموا) في آخر البيت على أنه فعل ماض . .
والصواب هو (خدم) على صورة جمع التكسير ، جمع لخدام .
والذاكرة قد تخون أحيانا في المحفوظ صوصا إذا صح الوزن وصح
المعنى .

وقلتم كذلك (أخى الكاتب الكبير أرجم من (أهاجك ما طاب لك
الرجم) ، والمعروف لغة أن الفعل (هاج) ثلاثى متعد بنفسه فيقال
(هاجه) ولا يقال (أهاجه) .

هذا ولولا أستاذية الكاتب الكبير ومكانته بين محبيه من القراء ،
لما ذكرت هذه الهنات الهيئات ، فللأستاذية مسئولية القيادة . ولكم
تقديري والسلام .

تعليق : أشكر لك كريم تصحيحك وكريم رأيك واستاذنك اننى
وجدت أهاج بالقاموس فيقول أهاجت أهاجة الريح النبت : ايبسته فأرجو
أن أكون مبصيا وأكرر شكرى .

١٩٨٦/٩/٢٨ م الأهرام

خواطر ونقد

كم من خاطرة راودتني في هذا الأسبوع وكم أردت أن أصبح بأقوام
أن اسكتوا عن باطلكم حتى يتاح لنا أن نسكت عن حقنا . فويل لزمان
يعلو فيه صراخ الباطل ويتخافت فيه صوت الحق ، وويل لزمان يجعل
المشرق مغربا والمغرب مشرقا . ويجعل الهوان مجدا والمجد هوانا ويل
لزمان يتواثب فيه الزبد على أكتاف الجوهر . والخبث على أعمدة السموق
وكم قاسيت من نفسي وكم قسوت عليها أن تكف عن المضي في هذا السبيل
الذي أصبحت أضيق بالكتابة فيه زهدا واجلالا للقراء أن أجعلهم يقرءون
عن أمر هم به محيطون . وبعضهم اصطلح أواره وبعضهم به من أثاره
جروح دامية لم تزل وما أحسب أن دماءها ستنضب . وكم كفت نفسي
حتى لا أقول ما يعرفه جميع بني آدم أن كرامة الانسان وعرضه هما أثمن
ما في الانسان ، وأن الانسان هو سيد المخلوقات . ولا شيء في العالم
يعوض الانسان عن سحق الآدمية فيه . ولا شيء في العالم يعوض الشعب
عن اذلال وطنه في ساحات الشرف وامتهان عقيدته وهي طريقه الى السماء .

أيها القلم فلتكف فورا عن الاسترسال فاني أعلم انني اذا لم أقمعك
بعزم ستمضي لا تقف .

مل بنا الى ديوان شعر جديد ظهر لصديق قريب الى نفسي قرابة
أخ وحى ديوانه معي فان هذا لا شك أحب اليك من حديث تمقته وأين
حلاوة الشعر من مرارة الأسى .

أما الديوان فهو « لا تسأليني » وأما الشاعر فهو العالم الأديب
الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف . وما عبد العزيز بغريب عن قراء
العربية عامة ولا عن قراء هذه الصفحة خاصة فهو من عمدها .

هذا الديوان فيض شعور فهو أشبه ما يكون بلحن جميل متناغم
المقاطع عذب اذا قرأته انتشيت واذا أعدت قراءته أعجبت ، اقرأ معي :
كنت ألقاها صباحا فتلاقيني العشية
ثم تأسو لي جروحي بالأغاني العبقريّة

آه من لفظ حبيبي في أغانيها الشجية
آه من جرح قديم قد تولت هي ريه
وتنأى ذات يوم مثل أعراض التحية

كم هو جميل قوله مثل أعراض التحية . ولا أحسب أن الدكتور
عبد العزيز قد ذكر الأبيات الجميلة عن التحية حين ألهمته شاعريته هذا
التعبير الشعري المشرق أما أنا فتذكرت تلك الأبيات القديمة .

بيضاء باكرها فصاغها يلباقة فادقها فأجلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي . ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذوبة . من بعض رقيتها فقلت لعلها

وما أجمل الشعر الذى يذكرك بالشعر الجميل وهكذا استطاع
عبد العزيز أن يجعل هذه الأبيات الرائعة تثب إلى خاطري . ونعود إلى
الديوان ونمضى بين بساينته الفواحة العبير . ونقف عند نفثه :

ضاقبت بى الدنيا كأنى خصمها يا قلب واللقيا طوتها الأنجم
صحبى وحبى والكرامة كلها مما أعاهد بالوفاء واكرم
ان الوفاء سجية لك هل ترى تدع السجية للشكاة وتحجم
وأنا الذى قد عافها ، ومقاله ما زال ينضح بالسلام ويبسم
آثرت بالحب الذين وددتهم ما بالهم ظلموا ولم أك أظلم

وأن أجمل ما فى هذه الأبيات أنها تجمع بين البساطة الحديثة وبين
الأصالة العربية العربية . وأعجب معنى لأقوام يقيمون موازين للجمال
من صنعهم ما أنزل الله بها من سلطان . ان الشعر الجميل جميل فى
كل عصر . وان أثره هو أثره منذ الجاهلية الأولى وحتى اليوم وانه ليتسرب
إلى النفس فيشيع فيها اسمى معانى الانسانية وأشرفها حتى كان الانسان
يدف بجناحين ملكا فى السماء بعيدا عن الأرضية وكل ما فى البشر من
شرور .

وقد أحسن الدكتور شرف صنعا بذلك الفصل الذى أضافه إلى
الكتاب بعنوان « مع النصوص الشعرية » بقلم الدكتور كمال اسماعيل
والفصل من أعمق البحوث التى قرأتها عن الشعر . وحين يتكلم الدكتور
كمال عن عبد العزيز شرف يقول فى أول حديثه : زعم أحد المثقفين ان
الدكتور عبد العزيز شرف رومانسى وتساءل هل نحن بحاجة إلى مزيد من

الرومانسيين • وأترك الدكتور كمال اسماعيل يجيب اجابة مفصحة
وأتناول هذه القضية التى يثيرها بعض النقاد حين يصنفون الشعراء والكتاب
عامة الى رومانسيين ورمزيين وواقعيين فتلك من المضحكات المبكيات فالشاعر
أو الكاتب لا يعبر هذه التصنيفات أى التفات • وانما هو يلتقى مع نفسه
ويكتب فيه وليس يعنيه فى قليل أو كثير هذا التصنيف بل اننى أحسب
انه لا يعنى أحدا •

واسمحوا لى الآن أن أقدم رواية قراتها فما دمت قد أمسكت قلم
الناقد وظفت به فى بحور الشعر فمن حق الرواية على أن أتناول ربوعها
بالحديث وأنا منها وهى منى على وشيعة من القربى وعلى آصرة من الحب
لا تجيزان لى أن أسأها اذا أنا ولجت من باب الناقدين •

الرواية من أعظم ما قرأت فى السنوات الأخيرة وكاتبها الناقد العالم
المتمكن العميق الدكتور نبيل راغب • وليس نبيل غريبا على الرواية فقد
مارسها سنوات ناعدا وأستاذنا ودارسا ثم كتب بعد ذلك عدة روايات
فاستطاع أن يفلت من أسوار النظريات الى ساحات الفن المترامية الأطراف •

وروايته هذه التى قراتها أخيرا هى « دوب الشوك » وقد استطاع
نبيل فيها أن يمزج فى براعة فائقة بين التاريخ القريب وبين الابداع
الفنى حتى لقد ظن كثيرون ممن قرءوها أنها وقعت وأنه انما يروى وقائع
ولا يبدع فنا • ويوشك كثير من القراء أن يردوا كل اسم من أساء الرواية
الى اسم انسان عرفه الشعب المصرى وذاع أمره فيه •

وأشهد اننى لم أقرا عملا مشابها لرواية الدكتور نبيل راغب قبل.
هذا وأشهد أنه وفق غاية التوفيق فى هذا المزج الرائع بين التاريخ القريب
وبين الفن الروائى •

وأما الرواية من الناحية الفنية فهى شائعة السرد • ولا يزال
التشويق من أهم مقومات الرواية وإن رغمت أنوف •

وانهى أهنى الأستاذ الدكتور نبيل بروايته هذه وأهنئه بلغته
العربية الجميلة المتدفقة فى طبيعة وفى غير قسر ولا اصطناع وأرجو أن
يضيف الى مكتبة الرواية كثيرا من هذه الأعمال الرائعة •

١٩٨٦/١٠/٥ م الأهرام

الحياء قوام الحياة

ما أكثر الأقلام التى حاولت أن تزيف التاريخ فاذا التاريخ يدفع زيفها ويكشفها ولا يبقى على صفحاته الا الحق أبلغ ناصعا نقيا . وما أكثر هؤلاء الذين كتبوا التاريخ من أغوار مصالحهم الشخصية ، ومن ثنايا عواطفهم ، ومن أعطاف منافعهم ومن كشوف حساباتهم فى البنوك . والتاريخ من هؤلاء جميعا بمرقب عتيد . . فهو بعين نافذة ، وبصيرة تخترق الحجب يصل الى البعيد القصى من أغوار الحقيقة فلا يصح عنده الا الصحيح وينهب الزبد جفاء تذروه الرياح وكأنه ما وجد .

وكم من أقوام حاولوا أن يمسخوا الدفوف فى زمر المناقبين وكم تباروا أن يرفعوا أصواتهم لتلتهم أصوات الحق فبحت منهم الأصوات وسجل الحق صوته على صفحات التاريخ وذهبت دفوفهم ومزاميرهم ادراج الرياح كأنها ما كانت .

ولقد نشهد اليوم أقواما منهم يكتبون عن أكتوبر ولا يذكرون السادات العظيم ، وهم فى عماية منهم وحمق يحسبون أنهم يستطيعون بذلك أن يقصوا السادات عن التاريخ . . وهيئات . . فان أعمال السادات الخالدة قد حفرها الزمن فى سجل التاريخ وما قدره الله كان ولأراد لمشيئة الحق سبحانه تعالت أسماؤه وتقدسست .

ان السادات هو صاحب قرار أكتوبر ، وهو الذى صنعه ، وهو الذى اختار قواد جيشه عن علم منه وإخلاص ، كل الاخلاص لمصر دون نظر الى هوى ودون ميل عن القصد . ثم هو - وقد وثق بوطنيته وعظمتهم - أطلق أيديهم ليجهزوا جيوشهم ليوم اللقاء . فكان نصر أكتوبر الذى يبقى على الزمان حتى يرث الله الأرض وما عليها .

ولقد يسقط الحياء عن وجوه بعض الكتاب فيقولون انه لولا اندحار يونية الذى لم يعرف العالم له مثيلا فى الذل ولا شبيها فى الهوان ولولا ما تلاه من هزائم منكرة تزيد البلاء فداحة والجروح عمقا والخيبة مرارة والفشل احباطا . . ولولا ما كان من حرب الاستنزاف التى بكى لها المصريون

بالنكتة الحزينة الملتاعة والتي سخر منها العالم والتي مع ذلك زادت
قتلانا عددا وجراحنا ألما ومصيبتنا سوادا ونفوسنا أسى وحزنا وفجيعةتنا
ثقلا .

لولا حرب يونية الماحقة لكرامتنا ولولا العاب الاستنزاف واكاذيبه
وأضاحيكه التي كان ثمنها أرواحا هي أرواح أبناء وآباء وأخوة استهان
بها الحكام من أجل تمثيلية حقيرة أكثر ضالة وهوانا من أن نقول عنها
انها هازلة .

لولا هزيمة يونية وما تلاها من صمود واستنزاف خائبين لما كان
لنصر أكتوبر معنى ولا قيمة .

أيستطيع الحياء أن يغيب عن الوجود الى هذا الحد . ان الحياء هو
قوام الحياة . وبلا حياء لا حياة . وما الانسانية كلها الا الحياء والا صار
البشر شأنهم شأن الحيوانات التي لا عقل لها والتي تصنع كل صنيع
فى علن فى حين يتخفى البشر حين يأتون ما يخدش حياء الآخرين .

وإذا كان الحياء هو قوام الحياة لسائر الناس فهو عند الكاتب
حياته كلها وقيمه ويغير حياء الكاتب تسقط حياته جميعا لأن الكاتب
يعلن الناس بوقاحته على الحق .

وحين يفعل يكون واحدا من اثنين لا أدري ولا يدري أحد أيهما شر
من صاحبه . فهو اما أن يصارح الناس بأنه خلع أثواب الحياء وليس
يعفيه أن يمشى بينهم بغيرها أو هو يجابه الناس أجمعين والتاريخ أيضا
بأنهم أغبياء وأنهم لا يفهمون وأنه يستطيع أن يخادعهم ولا يكشفوا خداعه
ويماكرهم ويقصروا عن الوصول الى حقيقة أمره .

وكلا الأمرين أكثر فجورا من صاحبه .

إذا قلنا انه لولا هزيمة يونية لما كان نصر أكتوبر . لجاز لنا اذا
أصاب شخص آخر فى مقتل وجاء طبيب فانقذ المصاب المشفى على الموت.
أن نصفق للقاتل لا للطبيب البارع . فانه لولا أن القاتل رمى المصاب فى
مقتل لما استطاع الطبيب أن يحقق المعجزة التي حققها .

بهذا المنطق الأخرق المأفون يتحدث عبيد الطغيان عن أكتوبر والأدهى
من ذلك والأمر انهم يريدوننا ان نلغى عقولنا وعقيدتنا ومشاعرنا ونؤمن
بهذا السخف الذى يحاولون أن يفشوه بين الناس .

ولكننا نذكر قول الله تعالى « أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى
من دونى أولياء أنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا » سورة الكهف آية ١٠٢
وصدق الله العظيم .

لقد كان السادات رجل التاريخ وإن رغمت من الأنوف أنوف .
ولقد خط اسمه على مشارق الأرض ومغاربها . وحقق النصر الذى أعاد
الكرامة لمصر وللعرب أجمعين . وجعل الأعزة حماة مصر يشعرون أن مصر
مصرهم لا مصر فئسة ولا جماعة . وانها هى الأم والنشيدة . وانها
أسسهم ويومهم وغدهم وغد أبنائهم وأحفادهم حتى تقوم الساعة .

وبإيمان عميق بالله العلى القدير القاهر فوق عباده وبحب
صادق مبارك من السماء لمصر . انتصر العمالقة الاعلام من بعد هزيمة
كانوا فى مواجهتها محجوبين عن أبواب السماء . وكانوا حين وقعت بهم
أبعد ما يكونون عن مصر لا يشعرون أنهم يملكون من أحضانها أملا ولا من
أحنائها ضلعا ولا من أحنائها ركنا . فكانت الهزيمة . فاذا قالوا الله أكبر
أظلمهم الله برعايته وإذا قالوا مصر لنا انقلبت شرارة حبها فى كيانهم .
وكان النصر .

وأصبح السادات نصر الجرب بنصر سياسى لم يشهد التاريخ له مثيلا
فكان أن شق صخور اللهو والشعارات الفارغة والصراخ الأجوف والهزل
المائع واتخذ سبيله أمما الى بيت المقدس ووقع الصلح الذى تقطع الأنفاس
اليوم من الذين عارضوه ليصلوا الى قصاصة منه فتغلق دونهم المسالك
وتقفل الأبواب ويحيط بهم القفل والاحباط .

لقد أنقذ السلام أرض مصر من الضياع . وأوقف تدفق السماء التى
سالت من أبناء مصر على مدى ثلاثين عاما . وحول مجرى المال الذى كانت
تبتلعه صحراوات الحروب المتتابة الى مرافق مصر المتهرئة المنهارة .

وانى لأسأل ولن أجده من يجيب . الى أى مصير كانت ستلقى مصر
لو أنها ظلت الى اليوم فى حروب لا تنتهى .

وإذا كنا فى ظل السلام نعانى هذه الأزمة الطاحنة التى نشقى
بها فماذا كنا ضائعين إذا كنا لا نزال فى حالة حرب تنتهب فى وحشية
ضارية كل أموال مصر مخضبة بدماء الأعزة الأبرار من الشهداء .

ويل لهؤلاء الذين يحاولون أن يفضوا من شأن السادات العظيم .
ويل لكتاب أسقطوا الحياء عن وجوههم وأقلامهم .

فان قلم الكاتب قبسة من نور السماء ونفحه من روح الأنبياء
فليكرموا ما حياهم به الله • أو هم أكثر ضلالا من ابليس وأعظم مقتا عند
الله والناس من الجن والشیاطین •

ان فی أعطافهم وعلى لهواتهم وفيما تخط أقلامهم شرور كل وسواس
خناس يوسوس فی صدور الناس من الجنة والناس •

وبعد فلقد نرى بعض الناس يطلبون الينا أن نكتب أدبا •• واني
اليوم أستحلفهم بكل مقدس عندهم • ان لم يكن هذا الذي نكتب أدبا
فما هو الأدب وحسبنا الله ونعم الوكيل •

١٢/١٠/١٩٨٦ م الأهرام

المسرح والسلطان

شعاع الأمل حين يشق سحابات اليأس يكون فى النفس فرحة لا مثيل لها وإشراقا ضاحيا . وقد شاء لى المولى الرفيق بعباده أن أقصد الى المسرح القومى يوم الاثنين الماضى لأشهد مسرحية « لعبة السلطان » . وكنت شهدت من قبلها رواية « ايزيس » . وما دمت اليوم سأحدث اليك عن الرواية الجديدة فالعدل يقتضى أن أقدم أعظم اعجابى للفنان العظيم كرم مطاوع . فقد استطاع فى رواية ايزيس أن يقدم عملا رائعا فى اخراج مبهر ذكى دون أن يعلو بالاخراج على النص . وقد كان أيضا ممثلا عظيما شأنه دائما وكانت سهر المرشدى فى القمة وكذلك كان كل من شارك فى تقديم هذا العمل الرائع .

لم أكتب عن ايزيس يومذاك خشية أن تكون هى الأولى والأخيرة فى هذا الانتاج الرائع المشرف . وقلت فى نفسى فلتكن فرصتى حبيسة حتى يصبح الأمل حقيقة .

وظهرت بعد ذلك رواية مجنون ليلى لشاعر العربية الأول أحمد شوقى وأبت ظروف الحياة أن تتيح لى رؤيتها . ثم جاءت لعبة السلطان ورأيتها .

مؤلف الرواية كاتب من أعظم الكتاب الذين يكتبون للمسرح اليوم . فهو يتمتع برصيد ضخم هائل من الثقافة العامة والثقافة المسرحية على السواء .

وهو يملك حسا فنيا مرهفا . وحبيب الى نفس مثل ان يشهد عملا لكاتب له ما للدكتور فوزى فهمى أحمد من أصالة وثقافة وفن .

وصدقنى شعورى ورأيت لعبة السلطان فاستطاعت كل جملة حوار فيها أن تمدنا بسعادة ومنتعة غامرين .

والحوار فى الرواية حوار شعري قريب كل القرب من النفس لا تجد فيه كلمة واحدة تستعصى عن الفهم .

وقد استطاع المؤلف أن يجمع فى الرواية بين الأصالة والمعاصرة •

فالرواية تبدأ فى القاهرة فى عصر المماليك أو ما يشبهه وينتهز المؤلف هذه الفرصة فيطرح قضايا مصر المعاصرة فى فكاهة حبيبة تجعل مرارة المشكلة مكسوة بالضحكة المنطلقة من أعماق الصدور •

ثم هو فى مهارة فائقة ألقى بزمان الرواية الى عصر الرشيد وطرح مشكلة الحكم فى هذا العهد المزدهر المليء بالأحداث والأمجاد والمظالم فى وقت معا • وفى ثقافة ثرية عميقة بعيدة الغور ناقش آراء المعتزلة • والأفكار الشرعية فى عدالة الحكم • ومدى حرية الحاكم • وإلى أين ينبغي أن تنتهى حريته وأقرأ معى هذا الحوار :

الأشرس : الله لا يرضى بظلم

الرشيد : أنا لم أظلمك •

الأشرس : اذا وقع ظلم منك على الرعايا أو من عمالك فتلك مسئولية اختيارك •

وأقف هنا قليلا بالقضية التى تثيرها هذه الجملة غاية فى الخطورة والأهمية معا • فالحاكم وصاحب المسئولية فى أى مكان ليس مسئولاً عن عمله وحده ولكنه مسئول عن كل شخص اختاره ليقوم بعمل • فإذا ظلمنى عامل فى مكتب رئيس فليس الظلم واقعاً منه وإنما واقع من الرئيس • وإذا ظلم وزير فالظلم وقع من الذى اختاره للوزارة • وعلى هذا المنطق الطبيعى الذى لا يقبل رأياً آخر يجرى القياس فى كل أعمال أعضاء السلطة التنفيذية وبهذا المنطق الذى لا يقبل رأياً آخر ينتفى أن يدافع بعض المفرضين عن أخطاء الطغاة بأنهم لا يعلنون بالطغيان الذى يحيط بالناس من عمالهم • فانهم هم الذين اختاروا عمالهم وهم الذين فرضوهم على الناس فرضاً لا مشورة فيه • وهم فى اختيارهم لهم لابد قد تحروا أن يكونوا مثلهم طغاة ان كان الرؤساء طغاة •، لصوصاً ان كان الرؤساء لصوصاً ، عادلون ان كان الرئيس عادلاً ، شرفاء ان كان الرئيس شريفاً ، فالذى أصدر الأمر بالتعيين يحمل مسئولية الأعمال التى يقوم بها كل من عينهم • وأذكر البيت الشهير :

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة •• أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وأعود الى حوار المسرحية •• ونختار موضعاً آخر من الحوار لعله

سابق بعض الشيء عن هذه الجمل التى اخترتها •

- الأشرس : مولاي الست الامام •
 الرشيد : أوتشك ؟
 الأشرس : بل أجزم غير أن العصمة لا تثبت عليك •
 الرشيد : إنا امام بالبيعة •• أنا للمسلمين حجة •
 الأشرس : وأيضا عليك تجوز الشبهة •
 الرشيد : افصح •
 الأشرس : ألسنت تفعل تخطط وتقدر • ألسنت حرا في اختيار ما تنفذ • لك اذن مشيئة وإرادة ولك استطاعة وقدرة •
 الرشيد : لك الله •• اكمل •
 الأشرس : ويغنى مولاي الرشيد من الامامة أن يعود الصلاح على الكافة أم أن تلك منك للبشر افاضة •
 الرشيد : كلا •• كى أريح عند الله الثواب •
 الأشرس : فالوعد والوعيد لكل منا يا مولاي ، على كل حر أفعاله والجزاء وفاقا لما قدمه البشر المكلف ، فى كفره وإيمانه ، وفى المعصية والطاعة • ذاك عدل الله وأنا من دعائه •
 الرشيد : اذن فأنا حر يا ابن الأشرس فى أفعالى •
 الأشرس : انت يا مولاي حر • وبالعقل حصنت فكلفت •
 فإذا كنت معصوما فأنت لأفعالك لا تملك اختيارا • وعندئذ يسقط التكليف عنك حيث لا ثواب على لا شيء •
 الرشيد : لا عصمة اذن فى أفعالى •
 الأشرس : الله وحده المعصوم وأنت بشر لا تفعل أفعاله سبحانه •
 الرشيد : اذن فأفعالى يا ابن الأشرس حكمها مرجأ لله وحده يوم القيامة •
 الأشرس : الأرجاء يا مولاي فلسفة الملوك والحكام كى يبقى حال المظلوم فلا يغضب ، يقبل دون تدمير حكما الهيا لا ينقض • ويحلم بالعدل يوم البعث والبلسم هى الجنة •
 : واكتفى بهذا القدر من الحوار • فأنت لا شك - قد استطعت أن تلمس هذه الأعماق البعيدة التى يستمد الكاتب المسرحى العظيم فنه منها •

ولا أستطيع الا أن أحمده الله الذى من علينا بالديمقراطية التى قضينا
بها على فكرة الحاكم المعصوم وأصبح لا يوجد الا الحاكم الطاغية ولا يكون
طاغية الا حين يلغى الديمقراطية وينفرد بالحكم . وهكذا أصبحت فلسفة
الأرجاء لا معنى لها فالشعب ان سكت عن طاغية فهو انما يسكت مقهورا
لا مختارا وهو فى سكوته مجبر لا اختيار له وهو بالقطع واليقين لا يفكر
بفلسفة الأرجاء التى روجها الحكام الذين ادعوا العصمة .

وبهذه الفلسفة العميقة يضع فوزى فهمى مشكلة زواج العباسة من
جعفر البرمكى على المسرح ويجعل منها بؤرة الأحداث ويناقشها من جوانبها
الشرعية والعنصرية والانسانية جميعا .

وبعد فأنا أهنيء الكاتب العظيم وأودع بين يديه أملا كبيرا فى مسرح
رفيع يطلع به هو وأبناء جيله الذين أناروا لنا شعاعا رائعا فى ظلمة سواء
يئس أو شك ان يكون خانقا .

ولا بد لى أن أهنيء المخرج العملاق نبيل الألفى الذى أصبح اليوم هو
ورعيله روادا للمسرح الحديث وأساتذته وأعلامه .

وقد استطاع أن يقدم النص فى اتقان رفيع دون افتعال وتكلف
واستطاع أيضا أن يقدم لنا مسرحا متطورا عظيما فى غير جلبة ولا صراخ .
وما هذا جميعه بغريب على من كان فى قدرة نبيل الألفى وفنيتة وثقافته .

أما عن التمثيل فحدث عنه ولا حرج فقد شهدنا سيمفونية من الفن
الرفيع المايسترو فيها هو الألفى والعاظون جميعا قمم وأعلام شاهقة .
مرحبا بالنجم العظيم نور الشريف فى بيته من المسرح وما أعظم عبد الرحمن
أبو زهرة وما أرفع موهبته ضاحكا وباكيما وما أروع وهو يقوم بدور
المهرج وما أعظمه وهو يقوم بدور الواعظ وعلى نفس القمة تقف عايدة
عبد العزيز ومحمد وفيق وأشرف عبد الغفور حتى لقد خرجنا من المسرح
عاجزين تماما أن تفضل واحدا منهم على الآخر فقد كانوا جميعا على أعلى
مستوى من الفن لا أقول المسرحى المصرى أو العربى وإنما أقول وأنا فخور
بهم على المستوى العالمى .

وبعد فقد شهدت المسرحية كما قدمت فى يوم الاثنين وقصبت أن
أذكر اليوم . فى يوم الاثنين من الأيام التى تخلو فيها المسارح عادة ولكن
المسرح كان موشكا على الاكتمال .

اذن فالجمهور يحب الفن الرفيع ويقدره •

اذن فلماذا لا نعود بمسرحنا الى شموخه القديم ويعرض مع الروايات
الرفيعة الجديدة مثل لعبة السلطان روايات العملاقة الاعلام « شوقي
وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم وباكثير ومالنا لا نعيد الى المسرح الأعمال
العالمية الكبرى التى كانت وجها مشرقا عظيما فى تاريخ المسرح العربى •

وما أعظم أن يكون المسرح القومى هو ميدان الأعمال السامية التى
تبقى على مصر ريادتها الفنية الباذخة •

وبعد فأننى أهنى السيدة الفنانة العملاقة سميحة أيوب مديرة
المسرح القومى بهذا الجهد الرفيع الذى يتفق وتاريخها الفنى العريض •

١٩/١٠/١٩٦٨ م الأهرام

السيف والذهب

صورة قلمية

قد يطيب للحياة بين الحين والآخر أن تؤلف قصة فنية تلتزم فيها بجمع قواعد القصة التي وضعها النقاد . وهذه القصص الفنية نادرة في مجموعات الحياة القصصية . فأغلب قصصها بعيدة عن المعقولية التي يلتزم بها القصاصون فهي لا يعنيتها في شيء اقناع المطلع على ما تكتب ولا يعنيتها أيضا رضاؤه أو عدم رضائه . ولعل شوقي هو أعظم من وصف قصص الحياة الضارية في قصيدته الخالدة مصاير الأيام . وإن الحياة حين تؤلف قصصها تبدو لبنى الأرض كأنها ظالمة لأن الإنسان لا يعرف إلا عدالة ضيقة الحدود ضئيلة المعالم . أما عدالة السماء فتشمل الكون كله وهو سبحانه وحده يعلم وليس غيره يعلم ما هو خير لعباده فهو يطبق عدالته تقدست أسماؤه بالصورة التي تمكن العدالة أن تتاح لجميع عباده وهو حين يطبقها يشفعها بكرمه ولطفه ورحمته التي كتبها على نفسه .

فشوقي حين كتب أبياته هذه الخالدة التي ساروينا لك سجل ما تجرى عليه الحياة في ظاهر أمرها ، لأن الله وحده هو الذي يملك ما وراء أحداث الأرض من عدالة تشمل الجميع . وقد أعجبت بأحصاء قامت به سيده أمريكية أثبتت به أن الناس جميعا يتمتعون بأنصبة متساوية من السعادة تقابلها أنصبة متساوية من الشقاء فكل إنسان حظي بقدر من السعادة يعدل ما أصاب الآخرين وناله قدر من الشقاء نال مثيله الآخرون ، والله وحده يعلم مداخل السعادة والشقاء في نفوس أبناء البشرية . فقد يقع الحدث الهين ولكن الشقاء به في نفس من وقع عليه يكون فادجا . وقد ينال إنسان ما خيرا ضئيل الشأن ولكن سعادته به تفوق كل سعادات الدنيا .

يقول شوقي :

قطيع يزجيه راع من الدهر ليس بلين ولا صلب
أهابت هراوته بالرفاق ونادت على الجند الهرب
وصرف قطعانه فاستبد ولم يخش شنيئا ولم يرهب

أراد لمن شاء رعى الجديب وأنزل من شاء بالمخصب
وروى على ريهما الناهلات ورد الظماء فلم تشرب
وألقى رهوسا الى الضاربين وضمن بأخرى فلم تضرب
وليس يبالي رضا المستريح ولا ضجر الناقم المتعب
وليس يميّز على الحاضرين وليس ببسك على الغيب
فيا ويجهم هل أحسوا الحياة لقد لعبوا وهى لم تلعب

هكذا الحياة اذن حين تؤلف • ولكن القصة التي سارويها لك اليوم
كاملة الخطوط لن ترى فيها عوجا ولا أمّتا وان كنت سترى فيها أموال
مصر كيف اتمهنت • وأقدار الناس كيف ضاعت • وسترى فيها الرعب
وكيف فشا في حياتنا في عهد الطغيان الأسود والجبروت العاتى •

كان أستاذنا في الجامعة وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا فكان •
وكان قد استطاع على مدى أيام حياته أن يبنى لنفسه ولبنيه عمارة يسكن
بها هو وأولاده ولم يترك بالعمارة شقة خالية لابنه حين يتزوج مطمئنا
الى القانون الذي كان ساريا في ذلك الحين ان من حق صاحب العمارة أن
يخلي شقة في ملكه أو أكثر اذا كان الاخلاء من أجل أبنائه أو بناته عند
الزواج •

ولكن هذا القانون ألغى فجأة ودون مناقشة وبأمر قاطع باتر
لا مراجعة فيه ولا تدبر •

وبلغ ابنه سن الزواج • ووجد العروس ولم يبق الا ان يجد
العروسان سقفا يضمهما •

ووقع الوزير في حيرة • ووجد بين سكان عمارته شخصا فردا
يستأجر شقة ولكنه لا يقيم بها وإنما له غيرها فظن في سداجة أنه يستطيع
أن يفاوض صاحب هذه الشقة أن يتركها لابنه • ولكن كيف ؟ ومتى كانت
الانسانية عاملا ذا قيمة في دنيا الجشع •

رفض الرجل وراح يرسل البرقيات الى كل ذى سلطان • أن الوزير
يريد أن يخرج من مسكنه وأنه يستغل منصبه •

وملا الرعب قلب الوزير المسكين ، وانطوى قطا هالعا • وتذهب الى
صاحب الشقة يعلنه أنه تنازع عن رجائه وأنه لا يريد الشقة وأنه ليس

من الضروري أن يتزوج ابنه على الاطلاق • فلا بأس أن يظل الابن بلا زواج
إذا كان في زواجه سجن الأب وسحقه • فقد كان الوزراء من أساتذة
الجامعة أكثر الناس قربا إلى الهوان والتدمير إذا ما غضب عليهم السلطان
أو أحد الأمراء المقربين للذات العلية •

ولكن هل سلم الوزير •• هيهات • كان كليلما لقي وزيرا من أمراء
الزمان طالعه في جهامة ؟

— ما حكاية الشقة !!

ويقول الوزير المغلوب على أمره •

— لا •• شيء •• لقد صرفت النظر عنها •

كان الوزير أستاذ الجامعة السابق يدرى كل الدراية أن العلم الذي
يحملة يجعله عرضة للتمزيق والتحقير • ففي عصر الجهلاء يصبح العلم
تهمة وتصبح الثقافة جريمة لا تغتفر • فأبشع أنواع الجهل العلم الناقص
ورحم الله شوقي أيضا حين قال :

كل تعليم تراه ناقصا سلم رث إذا استعمل خانا

وفى يوم اجتمع مجلس الوزراء برئاسة القطب الأعظم وجرى الحديث
من فرد واحد يلقي الأوامر لتصبح نفاذا !!

ولاحظ الدكتور والوزير أن الذات العلية مشيخة عنه فأوجس كل
شروع الدنيا وانتهى الاجتماع ونظر السلطان إلى الوزير المدعور •
— لا تنصرف قبل أن أراك •

— أمرك •

— ستعرف متى ألقاك حين أرسل اليك •

— أمرك •

ودلفت الذات العلية إلى حجرتها الخاصة •

وظل الوزير مرتجفا في انتظار طال ثم جاء له السادن حامل الاختام
وقال له :

— ما هذا يا دكتور الذي صنعته •

— ابني — لعنة الله عليه — أراد أن يتزوج •• وهل تأتي المصائب
إلا من الأبناء هل كان لابد له أن يتزوج • وهل ستخرب الدنيا إذا لم
يتزوج • سخف وخماقة أنصبت على دماغى • وعلى كل حال أنا اعتذرت

لصاحب الشقة. وسحبت رجائي الذي توجهت به إليه ولا داعي أبدا أن يتزوج ابني .

— اسمع انت ستدخل الآن الى السلطان قبل أن تدخل حجراته ستجد كوب ماء وأقراص فليوم للتهدة خذ قرصا . . أو لعل من الأحسن أن تأخذ قرصين وادخل ولا تناقش واسمع فقط .
— أمرك .

وتوجه الوزير مرتعش الاطراف وفتح بابا فوجد الأقراص والماء فتناول ثلاثة أقراص . وانتظر لحظات يقرأ الآيات القرآنية لعلها تثبت بعض قلبه الذي أصبح وكأنه بين مخالبا طائر يهوى في السماء صعدا . . ثم قرأ الفاتحة وبسمل وببهد توشك على الشلل فتح الباب وطالعه الهول الآخذ والرعب المبين .
— ما هذا يا دكتور .

وصمت الدكتور وقد أصبح فقدان الوزارة أملا له في تلك اللحظة . فهو إنما كان يخشى ما يلي هذا الفقدان من سجن وعذاب وتمزيق أعراض وأجساد أو كان يخشى التشريد في أقطار مصر بلا مأوى ولا ملجأ ولا أمان . صمت وظل البركان نائرا حتى إذا استوفت الثورة وبلغت قممتها قال السلطان :

— مر غلى الساذن حامل الأختام قبل أن تغادر الى بيتك .
واستطاع الوزير أن يستجمع لسانه ليقول :

وخرج وذهب الى السادن حامل الأختام منتظرا أن يصدر اليه الأمر بأن يلزم البيت ويترك الوزارة ولكن أمرا عجيبا حدث قال السادن حامل الأختام :

— مثل هذه الأمور لا تكون هكذا . . كان عليك أن تخبرنا ونحن نتصرف .
— لم أكن أعرف .

— على كل حال خذ هذان : مفتاحان لشقتين مفتوحتين على بعضهما البعض من شقق الحراسات في أفخم عمارة في القاهرة واخذ الوزير المفتاحين وهو لا يصدق نفسه .

ولم يجرؤ الوزير وهو يركب سيارة الوزارة في طريقه الى البيت أن يفكر ولو لحظة واحدة أكانت الحراسات قد وضعت على الناس

لتصبح أموالهم ملكا خاصا للذات العلية والأمراء والسدنة وحملة الأختام
والقماقم .

لقد كان التفكير جناية عقوبتها فى تلك الأيام لها من الشراسة
والفجور ما يجعل الاعدام معها رحمة وشفقة ولطفًا .

ومع ذلك مازالت هناك السنة تلهج بمدح تلك السنين السفاكة
النى أنقذنا منها الله بواسع فضله وغامر نعمته جل جلاله وسبحانه وتعالى
عما يشرك به الطغاة المشركون . . له الحمد وله الشكر فانه لا موئل
للانسان الا كريم وجه !

٢٦ / ١٠ / ١٩٨٦ م الأهرام .

الكاتب وإبليس

أقرأ فى كتاب الأجوبة المسكنة وقد وجدت فيه حوارا أعجبت به غاية الإعجاب . فقد كان الحجاج يستعمل كاتباً له اسمه أبو العلاء يزيد ابن أبى مسلم . وكان من شأن الكاتب أن يكون موضع سر الأمير الذى يعمل له وكان من الطبيعى أن يكون مقرباً إليه أثراً يعرف خاصة شأنه ، وكان من الطبيعى أيضاً أن يكون الكاتب ذا شفاعاة مقبولة .

والحجاج بن يوسف الثقفى من أكبر عتاة التاريخ ومن أعظمهم ارتكاباً للمظالم ولعل تاريخ العرب لم يعرف فى عصوره الأولى - وليس فى العصر الحديث - طاغية فى مثل طغواه . وله الجبروت والفجور أحداث واحداث حسبك أن تعلم منها انه وهو المسلم هاجم الكعبة واستباح حرمتها ليحارب عبد الله بن الزبير وابن أسماء ذات النطاقين وكانت على قيد الحياة حين اقتحم الحجاج الكعبة وأسر عبد الله بن الزبير وقتله وعلقه مقتولاً امعاناً منه فى التمثيل به .

ولو مضينا فى الرواية عن جبروت الحجاج ما وقف بنا القلم . فلنتركه جانباً فان أمره شائع ذائع لا يحتاج الى مزيد من تفصيل .

ومات الحجاج لأنه انسان مهما يبلغ به البغى أقصاه فهو يموت . وهو لا يستطيع أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا وزعموا أنه قال وهو يموت : « اللهم اغفر فقد زعموا انك لا تغفر » وهكذا أقر بكفره وهو يموت أيضاً فهما يكن فجوره فهو يعلم أن الله يغفر الذنوب جميعاً الا أن يشرك به .

ولا تقتصر أنواع الشرك على القول وحده بل ان ألوانا من الشرك أبشع وأفدح . فحين يشارك انسان الله فى ملكه فيقتل فى غير ذنب . ويعذب دون سؤال ، ويندفع فى الحياة اعصاراً من الهول الويل ، يصبح مشركاً بالقول والفعل جميعاً . لمثل هؤلاء تفتح جهنم أبوابها . ومهما يحاول الحجاج أن يوقع بين الله وعباده فان الله مبطل مكره . فهو من يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

مات الحجاج اذن وجرى عليه ما يجرى على كل بنى آدم .
وتولى بعد فترة سليمان بن عبد الملك الخلافة وكانت قد أصبحت
أشبه بالملك منها بالخلافة . وأراد سليمان بن عبد الملك أن يتخذ كاتب
الحجاج أبا العلاء كاتباً له وأراد أن يحتضنه ويقربه اليه ويصبح كاتم
سره وأمين عرشه . والكاتب حين ينال هذه المكانة يصبح ذا شفاعة عند
الملك مقبولة ، وذا رجاء مجاب ، ومن كان هذا أمره استطاع أن يكون
عاصفة ضارية فى شتى مجالات الحياة .

ولعل هذا الحوار الذى أنقله اليك يعيننى على تفصيل ما أجملت .
حين أراد عبد الملك أن يختار ذلك الكاتب ويحتضنه ، عارضه فى
الأمر خامس الخلفاء والمثل الأعلى فى العدالة عمر بن عبد العزيز - رضى الله
عنه - ولم يكن قد ولى الخلافة بعد بطبيعة الحال وقد نصحه بالعدول عن
أبى العلاء ذاك وقال له :

- أناشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تعيد ذكرى الحجاج بن يوسف
وتحجى سيرته باستكتابك كاتبه وجعله أمين سرى .
فقال له أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك :

- يا أبا حفص انى كشفت عنه فلم أقف له على خيانة فهو لم يسرق
فى أيام الحجاج دينارا ولا درهما .
فقال أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :
- أنا أدلك يا أمير المؤمنين على من هو أعف عن الدرهم والدينار
من كاتب الحجاج .

فقال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك . .
- من هو يا أبا حفص ؟ .

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :
- هو إبليس لقد أهلك الحرث والنسل وأشاع الضلال والفساد
فى الأرض ولم يلمس درهما ولا دينارا .
فقال سليمان بن عبد الملك :
- لقد تركناه بعد أن لزمنا الحجة .

والى هنا ينتهى الحوار الذى نقلته نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب
الأجوبة المسكتة ورحلت أفكر فى الأمر .
اذن فالكاتب الفاسد الضمير بجانب العاتية معدوم الضمير أشد هولا
على الناس من إبليس وهو إبليس .

فابليس واضح المعالم جلى السمات قال سبحانه وتعالى فى سورة
« الحجر » « فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع
الساجدين • قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين • قال لم أكن
لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • قال فاخرج منها فانك
رجيم • وإن عليك اللعنة الى يوم الدين • قال رب فانظرنى الى يوم
يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • قال رب
بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم
المخلصين » الحجر الآيات من ٣٠ : ٤٠ صدق الله العظيم •

فابليس اذن واضح مع نفسه أخذ على نفسه العهد أن يغوى الناس
ويجبد بهم عن الصراط المستقيم وهو قى حضرة رب العرش وقد أنظره
سبحانه وتعالى وأمهله الى يوم البعث بمشيئة الالهة فما من شئ فى الكون
يحدث الا بمشيئته سبحانه فابليس اذن يقوم بالعمل الذى رصده نفسه له
منذ أبى أن يسجد لآدم مع الساجدين •

أما الكاتب المخادع فهو بشر من ابليس ، وأشد وبالا لأبه حين أصبح
كاتبا انما أصبح كذلك بثقة أولاهـا اياه القراء وبهذه الثقة أفسحت
له الصحف صدورها ، وبهذه الثقة قد يختاره السلطان ليكون كاتبا
وكاتم سره ونجيه • وهو — لا شك — سيسأله المشورة فان لم يكن بعيدا
عن الهوى • يخلص السلطان الرأى ويقدم له النصيح بعيدا عن الرأى بريئا
من النفع الشخصى تقيا من الغرض فهو اذن كارثة لا مثيل لها ومضیبة
لا دفع لأهوالها •

وحین يقترب الكاتب من السلطان ويصبح قربه منه شهرا بين الناس
معروفا ، يصبح لكتاباتـه وقع آخر غير الواقع الذى يثيره الكتاب الآخرون
عند عامة الناس من القراء بل وعند الخاصة أيضا •

وحین يشتهر قرب الكاتب الذى خلا من الحياء والذى تجرد من
الضمير يصبح موئل نفاق عند الناس • وتصبح كل مطالبه مجابة بل هى
قد تصبح أوامر لا تقبل المراجعة • فالحاكم الطاغية يصبح كل من حوله
طغاة • والكاتب فيهم هو أوسعهم طغيانا وأبعدهم فجورا لأن صلته بصاحب
السلطان معلقة بكل وسائل الاعلان • وهو أيضا يعمل بكل جهده على
اذاعتها حتى لا يصبح أحد فى العالم جاهلا بها •

وهذه الصلة فى عصرنا الحديث جسور ممتدة الى جميع أنحاء العالم •
فوسائل الاعلام فى كل مكان يهمها أن تنشر كل ما يتاح لها عن رؤساء
الدول • فإذا وقعت على كاتب محترف كان لصيقا لكل ملتصق برئيس
دولة فهذا الكاتب طلبتهم وبغيتهم ونشيدتهم وهدفهم يوسعون له مجالات

النشر ويغدقون عليه الأموال اغداقا لا يمكن أن يتاح لهذا الكاتب لولا هذه الصلة الحميمة من رئيس دولة .

ولما كانت الطيور على أشكالها دائما تقع . فاننا نجد الطغاة يختارون أصفياءهم وكتابهم وذوى الراى عندهم وأصحاب المشورة من المنافقين حتى لا يعارضوا ، ومن السفلة حتى يحمدوا الظلم ، ويمجدوا الأخطاء ، ويحمد الجرائم ، ويباركوا ألوان الحسف والجبروت التى ينزلها الطاغية على عباد الله . ومن الحتم أن تكون هذه البطانة من الذين لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة ، لأن المؤمن بالله يخاف عقابه . والمؤمن بالآخرة يخشى نيرانها وجهنمها وبئس المصير .

وهكذا ترى أن الكاتب المعلوم الضمير شر من إبليس . لأن إبليس أعلن أنه سيغوى الناس ، بينما الكاتب المنافق يعلن للناس انه سيرشدهم الى الحق ثم يروغ به الى الباطل . ويقول لهم فى العلن انه سيقدم اليهم الهداية ثم ينحرف بقرائه الى الغواية .

فما كان أعظم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين نصح سليمان ابن عبد الملك ألا يتخذ كاتب الحجاج كاتباً له ، لأن هذا الكاتب الذى استخلصه الحجاج لنفسه طالما مدح الطغيان وهون الجبروت وجعل من فجور الحجاج فخرا ومن ظلمه عدلا ومن قبحه جمالا ومن كفره ايمانا .

ومثل هذا الكاتب اذا كان سليمان بن عبد الملك اختاره وختم له بالوظيفة لأمسى وبالا عليه ولجعل الناس يتوقعون من سليمان بن عبد الملك حجاجا آخر مسلطا على أقدارهم وأرزاقهم وكراماتهم وحريرتهم وحياتهم .

ما أعظم عمر بن عبد العزيز خامسا للخلفاء الراشدين وما أعظمه وهو بعد لم يصبح أميرا للمؤمنين .

١٩٨٦/١١/١٢ م الأهرام

« البحر لا يحترق » ..

والجيل الذى يحترق

مازال الواقع المتغير أبدا يفرض ظله الثقيل على الكاتب فلا يجد
جدا من التوقف عنده والاغراق فيه .

غير أن الواقع يتخذ فى كل جيل شكلا جديدا ، فاذا اتخذ عند
طه حسين فى « شجرة البؤس » الشكل الحضارى ، حيث كانت تواجه
مصر فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن مجموعة من المتغيرات التى
تنعكس فى الدين والعادات والتقاليد ، فإن هذا الواقع يتخذ عند ثروت
أباطة فى أحدث رواياته « البحر لا يحترق » مجموعة من المتغيرات التى
تنعكس فى شكل الحياة وطبيعة تصاريدها .

فاذا كان الحاج طه حسين حضاريا اجتماعيا كان الحاج ثروت أباطة
اجتماعيا فى المقام الأول واذا كنا مضطرين الى مقارنة « شجرة البؤس »
و « البحر لا يحترق » ، فلان العنصر الدال منها يتحدد عند تطور الأجيال ،
فضلا عن تشابه الأحداث الا قليلا .

اننا فى « البحر لا يحترق » أمام التاجر لمبرو وزوجته التى تساعده
فى إحدى القرى المصرية ، حتى اذا ما رحلت يسعى لمبرو اليونانى الى
سويلم ليساعده عوضا عنها ، ويسعى سويلم بدوره - وهو لم يجاوز
العشرين - الى العمل مع لمبرو ويتزوج ويلعب طيلة النص دورا محوريا ،
فهو يسعى بمعسول كلامه الى الحاج محمد بن تاجر الحمزاوى فيوثق علاقته
به ، وهو يسعى ليزوج ابن الحاج فؤاد بابنة عمدة الفؤادية - وهيبة -
وهو يجنى صنيع عمله ، وأمانته من الخواجة الذى يترك له كل أمواله
قبل وفاته . فاذا بسويلم ، وقد أصبح تاجرا مرموقا ، يجرى الى
القاهرة ويقيم مع الحاج وابنه لتتكون الأسرتان (أسرة سويلم وأسرة
فؤاد) فيشتريان العقارات وينجبان الأولاد (سويلم / مجدى ، فؤاد /
فكرى ، والهام) ، وحين تهيأ أسرة فؤاد لتزويج ابنتها من ابن سويلم
يرفض أبناء الجيل الجديد مثل هذا الاقتران الموعز به فى وقت يمضى
الزمن فيه بمجدى فيستقيم فى دراسته وعمله ويتزوج من أخرى أحبها ،

أما فكرى ، فانه يلحق ببعض رفاق السوء ويؤثر طريق المخدرات والرقيق الأبيض ويقترب من غانية ، ويستيقظ مجدى فى أحد الأيام على رجاء زميل له بالعمل لينقذ ابنه من هذه العصابة التى تضم فكرى ، فيقنع الزميل ابنه ليستنقذه بإرغامه على السفر ٠٠٠ ويذهب مجدى الى أسرة فؤاد بالفعل ٠٠٠ وحين يخلص فؤاد الأب وزوجته النصيح للأمين هو لا يلتفت إليهما ، ويكون على الأب أن يضع أمواله كلها - كما فعل لمبرو مع سويلم - فى أيدي مجدى الأمين ليعيدها الى الأب فى حالة واحدة بعد رجيله أم عودته للرشد ، ففى كل جيل دائما « الشرفاء وغير الشرفاء » .

على هذا ، فان العنصر الدال فى الرواية يظل تطور الأجيال سحيث يحدد فيه الأجيال الفعل ، ففى حين يمضى جيل الى الأمام فان ثمة جيلا آخر يمضى الى الخلف ، فالجيل الأول يمضى كالبحر « لا يحترق » والجيل الآخر يقضى بأن يحترق حين يحكم عليه بالبتر ، وهو المصير الذى اختارته أم فكرى لابنها العاق « ان العضو الفاسد اذا لم يبتتر يقتل » .

وفى هذه الحالة الأخيرة ، فان المقابل ، لتطور الأجيال ، فى جانب منه ، يكون ، الفعل الردى ، وهو قرين الشر الذى يوجد دائما فى كل جيل ، ويوجد دائما معه سلاح الحسم القادر على البتر من أجل القصاص والاصلاح والتغيير .

الرواية على ما تحمله من رؤية اجتماعية ، فان التطور الداخلى فيها يفوق التطور الخارجى ويطغى عليه ! ، فالرمز يتطور فى أحشاء الحدث بطيئا لا يعلو الى طفرة التحول الكبير المباشر ، والرؤية الاجتماعية تتحدد حول ردود فعل أفراد فى المجتمع دون أن تضع هذا الفعل فى موضع التساؤل والدهشة ، فكان التغيير هنا يظل أسيرا للداخل (الانسان) وليس للخارج (وتطور المجتمع وتداعبه) لفعل الفرد وليس لفعل هذا الواقع الكابوس .

وهو ماخذ لا تفلت منه أغلب الأعمال الابداعية الآن ٠٠٠ فالحاضر يرصد جيدا دون سبر أغوار وتكشف بواعث التغيير فيه مما يحول بيننا وبين التنبؤ بالمستقبل أو الهجس به .

وثمة أمر آخر لا يمكن اغفاله ، فان الرؤية التى تستمد خيوطها من الحاضر لا تلتزم بضمير الحكى الروائى الذى التزم به صاحبه دائما ، وانما شهدنا خروجاً غير مبرر ، كأن يعلو صوت سويلم فى اللوحة الثانية بضمير المتكلم ، أو أن يعلو صوت الهام فى اللوحة السادسة عشرة ، دون

أن يبرز أيضا خروج الضمائر وتباينها ٠٠٠ وعدم ذوبانها في النسيج
العسام ٠

غير أن هذا كله لا يجب أن ينسبنا الاشادة باللغة الجزلة والأسلوب
الطبيعي الذي يميز نسيج الحكى الروائي ، وهو ما يمكن أن يلحظ أكثر
في الحوار الذي لم يفادر العربية الفصحى بآية حال ٠٠

مما يكن ، فان رواية « البحر لا يحترق » حرصت على أن تؤكد أن
الجيل هو البطل ، كما جعلت من عقد السبعينيات وامتداده محورا أساسيا
من مجاور العمل في حدود الحاضر دون وضع هذا الحاضر موضع تساؤل
أو تفسير كبير ٠

١٩٨٦/١١/٦ م الأهرام

تعقيب على المسئولية

قدر لى أن أشهد بالتلفزيون فيلما عن حياة ايزنهاور . والفيلم يبدأ بايزنهاور حين تولى قيادة جيوش الحلفاء تمهيدا للهجوم الشامل على أوروبا . ذلك الهجوم الذى بدأ من الشاطئ الفرنسى وأدى الى نهاية الحرب بهزيمة جيوش المحور .

والفيلم من الناحية الفنية غاية فى الروعة . وانك لواجد فى أغلب مشاهدته مواقف انسانية تهز المشاعر فى قدرة حوارية فائقة .

وقد استثنائى الى الكتابة عن هذا الفيلم فقرتان من الحوار رأيت أنهما يمثلان معنى الديمقراطية فى أعظم صورها . بل هما يمثلان فلسفة الحكم فى كل أشكاله ونظمه .

ففى أحد مشاهد الفيلم يحدث لقاء فيه كثير من العنف بين منتجمرى وايزنهاور . بعد هزيمة ساحقة للقوات الأمريكية فى أفريقيا .

ويقول ايزنهاور :

— لقد نجحت القائد الذى كان مشرفا على العمليات الحربية وعينت آخر بدلا منه .

ويقول منتجمرى :

— فإذا كان شيئا مثل الذى نجحته ماذا أنت صانع ؟

— أنجيه وأتى بغيره .

ويقول منتجمرى فى لهجة ساخرة قاسية .

— انى لأعجب أيها الجنرال من سينجيك أنت اذا أخطأت .

ويبتلع ايزنهاور الالهانة على مضض ويصمت .

وفى حوار آخر نشاهد ايزنهاور يتفقد ميدان القتال ويحس بالآلم المزوع من رؤية الشباب القتل .

ويقول لرفيقه فى المسير .

— أتمنى ألا ينظر هؤلاء القتل الى هذه النظرة المتهمة النافذة ..

ويقول رفيقه •

ـ ان قوادك لم يحسنوا معاونتك •

ويقول ايزنهاور فى شجاعة منقطعة النظر •

ـ أنا الذى اخترت هؤلاء وأنا وحدى الذى أحمل المسؤولية •

وسواء كان هذا الحوار منقولا عن ايزنهاور وهو الذى قال هذه الجملة أم أن كاتب الحوار ألفها فهى تمثل قاعدة أساسية فى الحياة السياسية •

فالشخص الذى يختار يحمل مسؤولية من وقع عليه اختياره • وخاصة اذا كان الاختيار ليس نتيجة انتخاب من عدة أشخاص •

فى النظام الديمقراطى حين يتقدم حزب بأسماء الأعضاء الذين يمثلونه فى الوزارة يصبح الحزب مسئولاً عن كل وزير مسئولية تضامنية • فاذا أخطأ الوزير أصبح الحزب كله متهما ولا بد أن يتخذ الحزب اجراء حاسما وقد يستقيل كل وزرائه من الوزارة اذا كانت التهمة فادحة الأثر •

وفى نظام انتخابات القائمة يكون الحزب مسئولاً عن كل عضو رشحه الحزب فى قائمته • بل هو يحمل نفس المسؤولية فى الانتخاب الفردى لأنه حين يرشح شخصا ما لعضوية المجلس النيابى فهو انما يعلن بذلك ثقته فى هذا الشخص •

فاذا خذله النائب واتضح أنه لم يكن جديرا بهذه الثقة يقع فى ضمير الحزب جميعه أن يتخذ اجراء ضد هذا النائب الذى خان الأمانة ولم يرع ما علقه به حزبه من ثقة حين رشحه ولا ما أولته اياه دأثرته من تأييد حين انتخبته •

وفى النظام الرئاسى يعين رئيس الدولة الوزراء جميعا بمعاونة رئيس الوزراء ولا شك أن الرئيس حين يصدر المرسوم بالتعيين يكون قد جمع فى يديه المعلومات الوثيقة التى تؤكد له أن هذا الاختيار الذى يقدم عليه اختيار موفق • وأن الوزير الذى يختاره جدير بأن يحمل الأمانة الملقاه على عاتقه • فاذا فشل الوزير فى القيام بالعبء • واذا لحقت بتصرفاته أو ضار الشك التى ترقى الى اليقين • واذا أصاب صوالح الدولة بالضربات القاتلة يكون الرئيس الذى عينه هو المسئول أمام الشعب عن هذا الاختيار ، لأن هذا الوزير لم يتقدم فى قائمة حزب ولم يختره للكرسى

أعضاء جماعة بذاتها • وانما اخناره الرئيس • فالاختيار أولا وأخيرا بيد رئيس الجمهورية الرئاسية • وطبيعى أن يقلل الرئيس ذلك الوزير وطبيعى أيضا إذا فشا فى الوزراء الضعف والتردد والعجز عن مواجهة المسئولية التى أقسموا اليمين أن يحملوها أن تستقيل الوزارة أو تقال وليس هناك فى الحكم الرئاسى فارق بين الاقالة والاستقالة •

الا أن الرئيس وزيه الأول يعلن غضبه عليه ، وحين يأمر رئيس الوزارة فى خفاء عن الناس أن يستقيل يكون حينذاك راغبا أن يجعل غضبه على وزيه الأول طى الكتمان غير معلن اعلانا رسميا • ولكن الغضب واقع فى الحالى فليس من المعقول أن يكون رئيس الدولة راضيا عن رئيس وزرائه وفى نفس الوقت يطلب منه أن يستقيل •

والرئيس فى الدولة الرئاسية فى مواجهة غير ذات قناع مع الشعب • فهو وحده يحمل مسئولية كل تقصير يقع فيه أى وزير من الوزراء • لأنه هو الذى اختار هؤلاء الوزراء • وهو وحده الذى وضعهم على كراسى الحكم وأسلمهم أزمة التحكم فى أقدار الشعب • وأصبح يقع فى ضمايرهم أيضا سمعة الدولة التى يمثلون فيها السلطة التنفيذية وهم المسئولون أن يرفعوا دولتهم الى قمة الثقة بها عند الدول الأخرى • فليس فى العالم دولة تستطيع أن تحيا الا اذا ظفرت بثقة المجتمع الدولى • وهم أيضا المسئولون اذا تردوا بدولتهم الى حضيض الاحتقار فى نظر الأمم الأخرى حكومات وشعوبا فى وقت معا • والرئيس حين عينهم يعلم علم يقين أن بيدهم أن ييثوا فى نفوس الدول والشعوب الثقة بدولتهم وبيدهم أيضا أن يحطموا كل ثقة بها •

والرئيس حين يختار يعتمد على ما يتقدم اليه من بيانات فاذا اتضح له أن الوزير الذى اختاره لم يكن جديرا بهذا الاختيار أصبح من الحتم أن يعيد رئيس الدولة النظر فى هؤلاء الذين قسموا له المعلومات التى اعتمد عليها فى هذا التعيين • فانه يستحيل على رئيس الدولة ان يعرف كل الجديرين بتولى الوزارة وهذه الاستحالة واقعة بصورة مضاعفة آلاف المرات عند اختيار المرشحين للمجالس التشريعية • فالاختيار اذن يتم بناء على معلومات من جهات ومن أشخاص • وهؤلاء يمثلون أخطر أجهزة الدولة فانه بناء على ما يقدمون من حقائق يختار الرئيس معاونيه من الوزراء • والوجه الصالحة لتمثيل حزبه فى المجالس النيابية •

فاذا كان هذا الجهاز وهو يضم - لا شك - مؤسسات وأفرادا فى وقت معا ، غير صالح • واذا كانت المؤسسات فيه لا تحسن تقصى الأنباء

عن المرشحين ومعزفة أخلاقهم وتاريخهم في داخل الدولة وخارجها ، اذا كانوا قد عملوا خارج الدولة . واذا كانت هذه المؤسسات يديرها أشخاص يتميل بهم الهوى الى الظلم . ويهوى بهم الغرض الى قلب الحقائق أو اختلاق المحاسن أو المثالب بغير حق . أصبح من الحتم ازالة المؤسسة جميعا وانشاء أخرى لا تتحرى الا الأمانة والصدق والعدالة . أفرادها كلهم لا هوى لهم الا دولتهم ولا عرض لهم الا الصالح العام .

و اذا كان بين المستشارين الذين يأنس الرئيس الى رأيهم ، من يقدم رأيه بناء على صداقات في الماضي وطيدة ، أو آمال عريضة غير مشروعة في المستقبل . فالمستشار هنا غير جدير بأن يكون صاحب مشورة ، لأن الرأي في أمور الدولة اذا قام على غير العدل والعدل وحده فهو كارثة الكوارث .

فاذا تبين للرئيس - وما أيسر ان يكشف هذا - أن الذي يستشيريه صاحب هوى أو باحث عن منافع ذاتية أصبح من الحتم ان يستبعده عن المكان الذي يتيح له أن يقدم رأيا أو أن يكون من أهل المشورة .

ان أى رئيس انسان . والانسان لا يستطيع الا بغيره في خاصة شأنه وفي مألوف حياته . فكيف بهذا الانسان وهو يحمل على كتفيه أقدار الملايين من عباد الله في حاضرهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم . فاذا لم يتهيا لرئيس الدولة أصحاب مشورة يصدقونه عند الرأي ويخلصونه عند المشورة . فويل كل الويل . للشعب ولصائره جميعا .

هذا الحديث لا يصلح الا للدول التي تتخذ الديمقراطية واجهة للحكم فيها فانه لولا الديمقراطية ما علا صوت من رأى ولا كتبت وجهة نظر . وما الديمقراطية ان لم تكن قولا شريفا وقلما حرا لا قيود على سنده ، ورأيا متخففا من قبول الديمقراطية بريثا من قيود الطغيان .

فبحق هذه الديمقراطية يكون هناك الرأي وتلتمس المشورة ويسعى رؤساء الدول الى من يتوسمون فيهم الصدق والأخلاق ليعرفوا منهم الحق والباطل والعدل والظلم .

أما الديكتاتور فلا رأى هناك الا ما يرى . ولا قول عند اعتنايه الا النفاق وزور القول وما يطيب لغبائه أن يسمعه وما يحلو لوحشيته أن يصغى له .

فالديكتاتور خلية سرطانة من البشر وحسبك نظرة الى بهلوان ليبيا
أو فرعون سوريا وما أسرع ما تعود اليك نظرتك بالاشفاق على الشعوب
التي يحكمها الفرد والآسى على البشرية التي يمثلها أولئك الطغاة الذين
لم يفلت أحد فيهم من الخيال والتخبط وتخبط من به من الشيطان مس
ان هؤلاء الذين يحكمون بالقهر والعذاب يتعرضون لحلقة شيطانية تصيبهم
بالجنون المسعور . فهم يرتكبون الآثام والمخازى . وهم يدمرون البشرية
ويحطمون كل نبالة فى الحياة ويمزقون كرامات البشر .

وبدلا من أن يسمعوا كلمة حق ترددهم أو تحاول أن ترددهم الى بعض
ضوآب ينسكب عليهم المديح والتمجيد ارسالا . وكيف لا والناس تعلم
ان الذى يصمت عن تأليه ذواتهم الشيطانية مصيره أن يمزق عرضة
ويشتت أهله ويصبح الموت بالنسبة اليه أملا يحلم به ولولا خوفه أن
يذهب الى الآخرة كافرا لسعى اليه جاهدا سعيدا .

فالطغاة اذن استثناء من القاعدة البشرية العامة انما هم خلايا
سرطانية تفنى الخلايا التي حولها ولكنها أيضا - ودون أن تشعر - تفنى
نفسها وتكسب لذكراها على التاريخ الاحتقار والإكراهية والمقبت الشديد
حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما أعظم شوقى حين قال :

وعند الذى قهر القيصرين مصير الأمور وأحيانها
ويختلف الدهر حتى يبين رعاية العهود وخوانها

١٩٨٦/١١/٩ م الأهرام

فما معك أحد

كان أحد الأمراء يلعب مع صديق له النرد حين قدم الى مجلسيهما رجل ذو هيئة فى منظره ، فهو طويل القامة عريض المنكبين أنيق الملبس .
ودحىب الأمير بزائره وتعرف على اسمه وأذن له بالجلوس وأخرج من جيبه منديلا وألقاه على النرد والتفت الى الضيف يحييه ثم سأل :

– هل الشيخ من العلماء ؟

قال :

– لا .

– فالشيخ اذن محدث .

قال :

– لا .

قال الأمير .

– فالشيخ اذن شاعر .

قال :

– لا .

قال الأمير .

قال :

– اذن فالشيخ راوية

قال :

– لا .

قال الأمير .

– فالشيخ أديب .

قال :

• لا •

قال الأمير •

• فالشيخ اذن من اهل التجارة •

قال الشيخ •

• لا •

فالتفت الأمير الى صديقه الذى كان يلعب النرد معه وقال له بعد
أن رفع المنديل عن النرد • لعب فما معك أحد •

واستأنفا اللعب •

ترى لو أن هذا الأمير عاش فى زماننا هذا ماذا تراه كان يفعل اذا
وجه استئلته تلك الى كثير ممن يتولون أعلى المناصب فى مختلف مناحى
الحياة •

علم الله ان الأمير لو فعل لظل يلعب النرد طوال يومه وأمسه ولما
وضع منديله على النرد أبدا •

فكم نرى المناصب مشغولة وكأنها شاغرة من فرط الفراغ الذى
يتسم به شاغلوها • وهم من فراغهم هذا فى ذعر هالغ تدور رهوسهم
حواليهم يحسبون كل صرخة عليهم • حتى لقد سمعت أن أحد أفراد
الشعب من أصحاب الحقوق ذهب الى وكيل وزارة وعرض عليه ظلامته
فاذا بالوكيل يقول :

• انك صاحب حق لا شك فيه •

فقال صاحب الحق •

• فأكتب هذا على الورق المعروض عليك •

• لا يمكن •

• كيف ؟

• اذا أنا وافقت قالوا عنى اننى وافقت لأننى أخذت منك رشوة •

ويذهل صاحب الحق •

• مادمت صاحب الحق فلماذا أقدم رشوة •

- وهل أنا الذى أقول هذا • انهم هم الذين سيقولون •

- من هؤلاء •

- من أدرى ومن لا أدرى • صحف المعارضة وزملائي الذين يطمعون
فى الكرسي الذى أجلس عليه والمرءوسون الذين قد آكون قد أوقعت بهم
الجزاء لتقصير أو تدليس أو تأخير وآخرون ممن لا أعلمهم والله يعلمهم •

- اذن يضيع حقى •

- وأنا أليس من حقى أن أحافظ على نفسى •

- لا يحول ولا قوة الا بالله • اذن فأكتب على الورق انك ترفض •

- وأيضا لا أستطيع •

- ماذا ••• حتى هذا لا تستطيعه ؟!

- لا بالطبع لا أستطيع •

- لماذا بحق السماء ؟ ••

- لأنك صاحب حق فادا كتبت على الورق بما يفيد الرفض
فسيقولون اننى لم أوافق على مطلبك لأننى طلبت منك رشوة ولم تقبل
أن تستجيب لى •

- شىء واذن ••

- لا اذن-ولا يخزنون • ليس أمامى الا طريق واحد هو أن أضع
الورق فى درج مكتبى وينتظر حتى يأتى غيرى ويتحمل المسئولية •
هل هذا معقول ؟

- وهل ترى شيئا معقولا حولك حتى تلتمس المعقولة عندى •

أنا لا أعرف صاحب الحوار هذا وانما نقله عنه ناقل فيما يسمر
به الناس • وقد ظلمت طول ليلى صاحبا مفتاح العينين حزينا أو قل مفجوعا •
ما مصير بلادنا اذا كانت مقدراتها فى أيدي قوم مثل هذا الموظف •

والأهم من ذلك هل هذا الموظف محق أم مخطئ • لقد أصبحت
الاتهامات تلقى جزافا لا تفرق بين اص وشريف أو بين ظالم وعادل والعجيب
أن اللص ذو جراءة على الحق فهو يتصرف والشريف أحيانا يكون ذا رعدة
فهو يتوقف عن التصرف •

ولكن الشريف العادل الذى يمتنع عن اعطاء الحق يصبح لصا وظالما •
بل يصبح شرا من اللص والظالم فى وقت معا •

والشريف العادل الذى يصنع ذاك هو ذلك الرجل الفارغ ذو القامة
الفارغة والأكتاف العريضة الذى لا يحوى كيانه شيئاً والذى دخل الى
الأمير فأنصرف عنه .

أصبح هذا الرجل هو السمة الغالبة على أصحاب العقد والحل فى
مصر قاطبة . الموظف يرفع الى رئيسه والرئيس يحيل الى رئيسه حتى
يصل الورق الى الوزير بغير رأى فيه ولا مشورة . وحينئذ يصبح الورق
الذى تقدم الى الوزير هلعاً ورعباً وخوفاً وتتوالى الحيرة الآخذة وتدور
رأسه فى الجهات الأربع أو الجهات الثمانى ان شئت وتدور عيناه فى
المحاجر . ولا يجد خروجاً من المازق الا بأن يعيد الورق الى من أصعبه
اليه ليبدى رأيه لينزله الآخر الى من رفعه اليه ليزيحه الآخر الى من أحاله
عليه . وهكذا يصدق على هذا الورق بيت الهجاء القديم .

لن الله صاعداً وأباه فصاعداً . وبنيه فنازلاً واحداً بعد واحد .
ويظل الورق اما قعيداً كسيح الحركة فى أحد المكاتب أو متحركاً
فى تخاذل كمرضى أشفى على الموت . ثم يموت وتموت معه حقوق وآمال
وتصاب مصر أشد ما تكون الاصابة فى اقتصادها وفى سمعتها فى الخارج
وفى الداخل على السواء .

فلو أن كل مسئول كان يتمتع بنصيب مهما يكن ضئيلاً من الثقة
بالله ومن الثقة بالنفس ومن التوكل — لا التواكل — على الواحد الحق
لصدرت القرارات وسارت الأمور فى الطريق الأقوم الذى ينبغى أن
تسير فيه .

لا أمل لمصر فى أزمتها الا المواجهة .

مواجهة من السلطة التنفيذية ، قوامها الجراة فى الحق والحسم كل
الحسم فيما يعرفون أنه العدالة ومصلحة مصر ومصلحة مصر .
دون خوف ودون تحسب للغوغائية والهتافات الهوجاء المجنونة
الفارغة .

ومواجهة صادقة أمينة من السلطة التشريعية فتصدر عنها القوانين
الحازمة الأمينة ، لا يراءون فى ذلك صوت ناخب مغرض وغير باحثين عن
تفجع شخصى فليس أقتل للرأى الحر من النفع الشخصى .

ان مصر هى البلد الوحيد فى العالم التى تعرف أدواها وأمراضها
كما تعرف دواها ومصادر شفاؤها ، وتقف مع ذلك عاجزة عن تناول
الدواء والسير فى طريق الشفاء .

وإن الداء الأول هو تجنب الحق إلى الزيف والميل عن الطريق.
الأقوم حذر أقوال المخربين والهازلين والزاعقين والصارخين والفارغين.
وأولئك الذين يصيبون النفع من الدول والأفراد على السواء .

وإن الله لن يكون معهم إلا إذا كانوا هم مع الله فإنه لا يفلح
إلا الصادقون المؤمنون .

مصرى مؤمن

قال لى صاحبى العالم الطيب العظيم وهو يحاورنى :
- هل كان الخلفاء الراشدون يحتفلون بالمولد النبوى
وادركت لهجة الاستنكار فى سؤاله وقلت :
- لا .

فقال وكأنما وصل الى مبتغاه :
- شكرا هذا كل ما أردت أن أعرفه .

ولم تتح لى الفرصة أن أكمل الحوار فقد كنا فى جماعة توشك على
الانصراف ولم أستطع أن أقول ما أردت أن أقول . وحمدت الله . فلو أننى
كنت أجبت لغنيبت بأجابتى الشفوية التى كانت - لا شك - ذاهية ادراج
الرياح ولما أعددت نفسى لكتابة هذا الحديث اليك واليه والى من يشاء
أن يقرأه .

لم يكن الخلفاء يقيمون إحتفالا بالمولد النبوى هذا حق ، ولكن
الإحتفال بأى ميلاد لم يكن معروفا - فيما أحسب - فى عهد الخلفاء .
أما فى العصر الحديث فأغلب الناس يحتفلون بأعياد ميلادهم - ويسعدون
به فأى عجيبة أذن فى حضارتنا الحديثة أن نحتفل بعيد ميلاد سيدنا
وسيد البشر أجمعين ، النور الهادى ، حامل رسالة السماء الأخيرة الى
الأرض .

النبى الأمى الذى اختاره الله فى رفيع سماوته ليبلغ قرآنه المبارك
الى دنيا الناس فقدم للبشرية المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى
خلدت بأمر الله بها أن تحفظ بسر كلمة (كن) فى آيته الكريمة « أنا نحن
نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » فاذا الذكر محفوظ بأمره وإذا أمره يتم
على أعيننا وفى عصرنا والذكر اليوم فى مصاحف مطبوعة بالآلة ولم تكن
تلك الآلة معروفة يوم بدأ هبوط الوحي بآدنا بالأمر الإلهى المقدس
« اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان علق » اقرا وربك
الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يكن » سورة العلق
الآيات من ١ : ٥ .

وهكذا شاء الله تقديس أسمائه أن يكون القلم • والعلم أول شيء يذكره لنفسه بعد معجزة الخلق التي أوجد بها الإنسان •

النبى الأمى حمل هذه الرسالة التى هى القرآن ويقول عنه جل علاه سبحانه « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » الاسراء آية ١٠٥ • تباركت يارب السماوات انه يبشر عباده ببشرين لا واحدة البشرى الاولى انه أنزل بالحق ، وهل الحق الا اسم من أسمائه •

وأخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدينية اليكم أيها البشر كما أنزلها الله • وأصبحت هذا القرآن نزل بالحق وأبلغه من نزل عليه وحيه بالحق أيضا •

أفلا يستحق الأمين الذى حمل الأمانة أثقل ما تكون الأمانة وبالحق أبلغها أصدق ما يكون الحق أن نحفل بعيد مولده •

وأخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدينية أيضا فى مولد المسيح وجعلوا حياتهم وأيامهم مؤرخة بتاريخ مولده • فأى بأس علينا نحن المسلمين أن نذكر الله ونصلى ونسلم على نبينا فى عيد مولده - صلى الله عليه وسلم - فيقول سبحانه : « ان الله وفلائته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » الأحزاب آية ٥٦ •

وبعد فما أحسن عالمنا الطيب العظيم حين سأل ما سأل واستنكر ما استنكر ، ألا يريد أن ينتقد فحسب • وإن للنقد فى أفواه الناس حلاوة لا يجدونها فى المديح • فالنقد يظهر المتحدث وكأنه فى المكان الأعلى ناظرا الى عباد الله فى مضطرب حياتهم نظرة تنصب على الخطأ ولا تريد أن ترى الى الصواب •

دأب الناس فى ذلك كدأب بعض الكتاب المصريين فى أيامنا هذه فهم فى اعتداء على الحق يمزقون كل شرف ويحطمون كل جميل ويدمرون كل أمل •

وكان أخرى هؤلاء الكتاب أن يتغيروا المصلحة لا النشويش • وينشدوا النفع للوطن لا الركوب على أزماته وما يعانیه ليظهروا بصورة الأبطال ناسين أنه لا بطولة هناك • فما تنتظرهم السجون وماتهم بهم الأيدى الفراسة الطاحنة من أعداء البشرية الذين مزقوا الأعراس فى عهد الطفيان ولا تلتقمهم أفواه الكلاب المسعورة التى شهد بها الأبرياء من المعتقلين •

لا بطولة أذن اليوم فيما يصنعه بعض الكتاب •
انما البطولة الحقة أن يذكروا الداء والدواء • فالطبيب الذى يذهب
اليه المريض فيخبره أنه مريض بكيت وكيت دون أن يذكر له الدواء يكون
وبالا على مريضه لا شفاء له •

والمريض اليوم هى مصر أم الجميع لا تفرق هى فى أمومتها وعظمتها
بين أحد من أبنائها وآخر •

يقول بعض الكتاب فيما يقولون اهدموا القطاع العام ألا يعقلون •
ان القطاع العام ركيزة لا يستغنى عنها الاقتصاد المصرى وهيهات أن
نستطيع ان نهدمه فى طرفه عين •

فأولى بهؤلاء الكتاب ثم أولى بهم أن يقولوا أقيموا المعوج فى القطاع
العام ثم على الحكومة من قبل أن تنظر فيما لا يجوز أن يكون قطاعا عاما
فتبنيه لينصلح ما فسد منه وما انهار من بنيانه •

والأمثلة قريبة • ان كل المحلات التجارية لا يجوز أن تكون قطاعا
عاما وليس فى أى دولة مثيل لهذه المحلات ، لأن القطاع العام هنا قليل
ولا يملكه قطاع خاص أما الدول الشنيوعية فكل المحلات التجارية فيها
كانت الى الأسبوع الماضى ملكا للدولة لأن الفرد فيها لا يجوز أن يملك
ما يغل ، وقد بدأت الصين تصفى القطاع العام فيها ليعود على الأفراد
بالربح ويدفعوا عن أرباحهم الضرائب فيصبح الكسب مؤكدا للدولة
لا مشاكلة فيه ولا شك ولا مضاربة ولا مخاطرة وبالأمس القريب تبتعتها
روسيا •

والدولة الديمقراطية لا تتصور أن يكون هناك محل تجارى تابع
للدولة فليس من عمل الدولة أن تتاجر على بنيتها •

فالأجدر بمصر أن تبيع كل المحلات التى تعمل وسيطا فى السوق
مثل عمر أفندى وصيدناوى والصالون الأخضر وشيكوريل وكل المحلات
المشابهة لها مما نعرفه ومما لا نعرفه من محلات تبيع الفول والطعمية
والسمك وغير ذلك مما يجعل الدولة تاجرة من الطبقة العاشرة ومما يحقق
لها خسائر فادحة بفضل التهاون الزرى الذى تدار به هذه المحلات

وبفضل المعاملة الظالمة الجائرة التي يعامل بها البائعون فى هذه المحلات
عباد الله الذين كتب عليهم أن يدخلوا الى ساحاتهم غير المقدسة •

قال لى أحد الاقتصاديين والعهدة عليه ان مصر لو باعت هذه المحلات
لاستطاعت أن تسدد ديونها جميعا •

ولقد نعلم أن القطاع الخاص لا يمكن أن يشتري هذه بما تحمله
ميزانياتها من أعباء فادحة من تزامم العاملين بها من غير عمل يؤدونه •

وبالطبع لا يستطيع انسان فى قلبه ذرة من الرحمة أن يطالب الدولة
بإبعاد هذه الجموع الحاشدة من الموظفين عن موارد رزقهم •

ولكن ماداموا هم لا يقومون بأى عمل فى موطن عملهم الحالية فأى
بأس أن ينقلوا الى موطن أخرى من القطاع العام ويظلون على حالهم أيضا
من البطالة • ان التوقف عن أداء عمل حين يصبح وظيفة معتبرا بها
لا يضيره فى شىء أن ينتقل الى أى مكان • فانهم يستطيعون أن يمارسوا
عدم أداء العمل فى أى مكان وتظل مرتباتهم جارية عليهم كما كانت تجرى
وحينئذ تصبح هذه المحلات متخلفة من أعبائها وتستطيع أن تحقق ربحا
لمن يشتريها • وهو حين يربح ستربح الدولة لأنها – باليفين والقطع –
ستحصل الضرائب عن أرباحه ومثل هذه الدور التجارية الكبرى لا تستطيع
أن تتلاعب فى أرباحها أى تلاعب فالرقابة عليها ميسورة وأصحابها
لا يفكرون مطلقا فى تشويه حقائق الأسعار فى البيع أو الشراء •

لو أن هؤلاء الكتاب بحثوا هذا الموضوع وقدموا عنه الدراسات
الوافية المستفيضة البريئة من الغرض البعيدة عن المهاترة لأدوا الأمانة
وأصبحوا أطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء •

ولو أنهم أرادوا أن يلبسوا ثوب البطولة حقا فمالهم لا يلبسونه فى
قضية العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية على الأقل اذا
كانوا لا يستطيعون أن يتحدثوا عن العلاقة بين المالك والمستأجر فى
المساكن أيضا •

الأمر فى الزراعة واضح لا يحتاج الى مزيد من الحديث وحسبك
نظرة الى هؤلاء المساكن الذين حكم عليهم الزمان ان يكونوا ملاكا لخمسة
أفدنة أو عشرة أو حتى لعشرين فدانا • وانظر اليهم فى بؤسهم لا يطيقون
أن يواجهوا العيش فى مآلوف حياتهم اليومية وأبك معهم حين تلم بهم

كارثة من الكوارث التي كانت فيما مضى أفراحا وسعادة وهناء • أبك معهم اذا جاء لابنتهم خاطب يريد أن يتزوجها • أو شب ابنتهم الى طوق الشباب وأراد أن يتزوج من فتاة أحبها أو فتاة اختارها • الأفراح في بيوتهم حزن وعنت وآلم وضيق •

وويل لهم كل الويل اذا فكروا أن يبيعوا فدانا مما تقول سجلات الشهر العقاري أنهم يملكون • يقف لهم المستأجر الغنى المتكبر لا بيع هناك فان كان من المحتم أن تبيعوا فلي نصف الثمن وقد أفكر فيما هو أكثر من النصف • فكان هؤلاء الملاك الضعاف من جنس لا ينتمى الى بنى الانسان • أو من وطن عدو ليس هو مصر على أى حال من الأحوال •

أما فى السكن فلاضرب المثل بنفسى وأحس قلمى يبكى وأنا أقدم ما أعانيه أنا • وأنا لست من نفسى كمستأجر لا كمالك • فقد استأجرت من رجل طيب الخلق عفيف النفس شقة فى الاسكندرية فى عام ٦١ على ما أذكر • وهى على البحر ومكونة من ست حجرات وبها حمامان وكنت أدفع ايجارا حين استأجرتها سبعة عشر جنيها أصبحت أربعة عشر أى أننى أدفع فيها مائة وثمانية وستين جنيها فى العام كله • بينما الكاينة فى المتنزة ارتفع أجرها من مائة وعشرين جنيها فى العام الى ألف وثلاثمائة جنيها فى العام • وهى أقل من حجرة وأقل من حمام وأقل من شرفة •

فالحكومة أباحت لنفسها أن ترفع أجور مساكنها الى أكثر من عشرة أضعاف ضعف ما كانت عليه ولولا أننى أستأجر الكاينة أنا وأخوتى أجمعين ما أطق البقاء فيها • وفى نفس الوقت حرمت الحكومة أن يرفع ملاك المساكن مليما واحدا على قيمة ايجاراتهم •

ادفع للمسكين صاحب العمارة أجره وقلبي يبكى من أجله ونفسى تنقطع حشرات •

فليكتبوا فى مثل هذا وليقترحوا له الحلول الاقتصادية وليحاولوا أن يفسحوا العدل فى ربوع الوطن بدلا من أن يفسحوا أسراراً أمر الله بها أن تستر ان كانت صحيحة وأمر بقائلها أن يقتلوا ان كانت كاذبة وأغلب الأمر فيها أنها كاذبة •

أعارض أنا أم مؤيد • لا أدري • ولكننى واثق اننى مصري وأننى مؤمن •

١٩٨٦/١١/٢٣ م الأهرام

المحافظات وفلسفة الاعلان

خرج علينا العالم الغربى بنظرية أدبية ذات أسماء كثيرة منها العبث ومنها اللامعقول وكلها تؤدي الى معنى واحد هو البعد كل البعد عن المنطق والعقل .

وسار فى ركب هذه النظرية كثير من شبابنا ووقع فى أحابيلها جيل كثير بالغ فى الاعجاب بها حتى لقد أنشأ بعضهم مجلة خاصة لهذا العبث لم تستطع أن تقيم فى الحياة أكثر من عشرين أو ثلاثة ثم اختفت تماما . وأذكر أننى حاولت أن أفهم شيئا من هذه المجلة فاستعصى على الأمر . ولكننى كنت أشاهد كتاب هذا اللون يقرءون لبعضهم البعض ويتبادلون عدم الفهم مع تبادل الاعجاب .

وقد كتب فى هذا الشكل أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فجنحنا الى طريق آخر فقد استطاعا أن يجعلوا المعنى الاجمالى لأعمالهما واضحا وإن كانت سطورهم غير واضحة . وبهذا وصلا الى المعقول عن طريق اللامعقول . وقد أغراني هذا الذى صنعاه فكتبت فى هذا الشكل قصتين أو ثلاثا لا أذكر .

وطغى هذا الشكل طغيانا كبيرا على المسرح وكثرت الأعمال فى ميدانه وتكاملت له مدرسة .

وكان لى فيه رأى : انه يصلح أن يكون موضوعا لعمل أو اثنين أو ثلاثة ولكنه لا يستطيع أن يكون نظرية أدبية ثابتة تستمر على مدى أجيال . وأحسب أن ما توقعته قد حدث فعلا وماتت النظرية وعدل عنها روادها بعد أن اختانت من حياة الشباب فترة غير قصيرة من حياتهم الأدبية .

ومجمل النظرية فيما أحسب أن هذه الحياة عبث وأن التعبير عن العبث لا يكون الا بالعبث . وكما ترى تصلح هذه القالة أن تقال وتسمع مرة أو اثنتين أو ثلاثا . ولكنك ان ظللت تقولها فى كل عمل عرفت عنك الذوق الأدبى ورفضت نفوس المستقبلين أن تستجيب لك .

وهكذا ماتت النظرية حتى لم يعد أحد يسمع عنها شيئاً .

ماتت النظرية فى أدب القصة والرواية والمسرح واتجه روادها الى الأعمال الأدبية المعقولة . بل لقد بالغ بعضهم ورضى أن يكتب الرواية البوليسية وهى أقل الروايات شأنًا فى ميزان الأدب وأرتأى هذا البعض أن الرواية البوليسية أكثر قيمة بالنسبة اليه وللقارىء جميعاً .

ماتت النظرية أذن قبل أن تعيش وانصرف عنها كتابها مادام الكتاب توقفوا عن كتابتها فالنتيجة الحتمية أنها أصبحت بلا قراء . فلا يمكن عقلا ان يكون هناك قراء لشيء ليس له كتاب . وربما كان هذا القول يعكس مثالا رائعا لأدب العبث . وقد رأينا فى ظل النظرية من يقرأ ورقا أبيض لا كتابة فيه . أو ساعة بلا عقارب أو غير هذا مما لا يسيغه منطق أو عقل .

ماتت النظرية فى الفن الأدبى ولكنى أراها لا تزال تعيش أقوى ما تكون الحياة فى شتى مناحى حياتنا العامة .

والا فبربك أذكر لى سببا واحدا يجعلنى أرى فى تلك الاعلانات التى تنشرها المحافظات أمرا معقولا يسيغه منطق أو يرضى به عقل .

ما هذا الذى تصنعه المحافظات ومن أى أموال ينفقون على تلك الاعلانات التى ينشرونها فى الصحف اليومية .

وقد اسينخ ان تحتفل المحافظات بعيدها القومى فى حفل وسمير يعيد الى أبناء المحافظة ذكرى أمجادهم وأمجاد أبناء المحافظة من العظماء .

وقد يصلح ان تختلق المحافظة الأسباب للترفيه عن بنيتها فى وقدة الحياة الثقيلة الخطى الشديدة الوطأة . فالنفوس فى أيامنا هذه تحاصرها أنواع من الهموم شتى وتحيط بها ألوان من الأسى لا يقف لها عدد أو تنتهى بها حدود . وحسبك ما نعانى من ضيق الطريق عند الموارد واتساع الطرق وانفساحها عند المصارف والانفاق ، فلعل حفلا أن ينسى هما وان كان من المؤكد انه لن يزيحه .

فلسفة الحفلات اذن قد تجد لها عند العقل مبررا أو هى واجدة باليقين عند النفوس .

ولكن ما قصة هذه الاعلانات التى نراها فى الجرائد اليومية . الذى أعرفه أن الاعلان يكون فى أغلب الأمر صادرا من تاجر يريد أن يبيع بضاعته أو مالك لعقار أو منقول يريد أن يستبدل بالمال السائل قال :

ويكون الاعلان فى حالات قليلة من مشترك يبحث عن شىء لا يجده فى
مالوف حياته اليومية ويريد أن يعلن عن حاجته وليشتري هذا الذى يريد
شراءه منقولا كان مبتغاه أو كان عقارا .

هذا هو ما أتصوره فى الاعلانات . ولكننى - كمادتى دائما اتشكك
فى كل معلومة أنا غير متخصص فى شأنها . وأنا فى باب الاعلان لا أعرف
شيئا على الإطلاق فتلك صناعة أنا بعيد عنها كل البعد ومن أجل هذا
لم أطبع لنفسى كتابا على نفقتى الخاصة قط . وما أظن أننى فاعل ذلك
أبدا . وقد جعلتنى شكى فيما أعلمه عن الاعلان الجأ الى الأستاذ الأخ
الصدى « أبو السعود إبراهيم » أمين مكتبة الأهرام استعينه أن يرسل
الى تعريفنا عن هذه المادة . وانى ناقل اليك ما أرسل .

الاعلان وفلسفته : هو عملية اتصال تهدف الى التأثير من بائع الى
مشتر حيث يفصح المعلن عن شخصيته ويتم الاتصال من خلال وسائل
الاتصال العامة أو هو فن اغراء الأفراد على السلوك بطريقة معينة تؤدى
الى اتمام الصفقات المنشور بشأنها الاعلان .

هذا ما يعرف به الاعلان اذن . فانا غير بعيد عن فلسفته . وما أحسب
أحدا يتعد عن هذا المعنى فيما يدريه هو بخبرته عن الاعلان .

اذن ما خطب هذه المحافظات المعلنه . وعن أى شىء تعلن . أنه من
الطبعي والمعقول أن تنتهز المحلات التجارية فرصة عيد المحافظة لتعلن
عن نفسها وتروج بضائعها . وانما سؤالى . وعجبنى عن الاعلان الرئيسى
للمحافظة تصدر به اعلانات التجار جميعا .

أليس هذا الاعلان يثبت أن نظرية العيب وغير المعقول مازالت
تسيطر على بعض الناس .

انه من المؤكد أن المحافظة لا تنوى أن تبيع نفسها لأى مشترك مهما
يكن شأنه .

وهى باليقين ليست سلعة . بل هى باليقين أيضا لا مالك لها .
فهى جزء من دولة ذات دستور وسلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية
ويسرى عليها ما يسرى على ربوع هذه الدولة فى حدودها الأربعة .

فمن أى شيء تعلن المحافظة اذن ؟ •

أتراها تريد أن تعرف الناس بها • فتلك اذن مصيبة لا كاشف لها
الا الله القاهر فوق عباده • أم تراها - وأنا لا أدري - تعلن عن نفسها
لتعرف الناس باسم محافظها •

وإن كان الأمر كذلك - وما أحسبه الا ذلك - فأى فائدة تعود على
السيد المحافظ أن يقرأ الناس اسمه فى اعلان •

ان الناسى تحب أن تقرأ أسماء الناس حتى المحافظين - حين يقومون
بعمل يستحق أن يذكروا من أجله • ولا يحب الناس - وهم محقون -
أن يقرءوا أسماء الناس لا لشيء الا لأنهم فى وظيفة معينة •

فأنا اذا ما ذكرنا اسما دون أن نذكر له فعلا معينا نكون بهذا قد
كتبنا جملة غير مفيدة نقش فيها المبتدأ دون أن يذكر الخبر • ولا يمكن
أن تستقيم جملة بغير مبتدأ وخبر • فأى معنى يمكن أن يصل الى عقولنا
« نعمان » مثلا ولم نقل ماذا فعل نعمان هذا لنذكره • وأكتب نعمان
ما شاء لك هواك من عدد المرات فانك مهما تكتب تظل غير مفهوم عند من
تخاطبهم وكأنك لم تقل شيئا الا أنك زدتنا بنعمان جهالة •

وقد أرى فى هذا الاعلان أن المحافظ يرفع الى السيد الرئيس تهنئاته
واجلاله ودعائه •

وغريب أن يكون المحافظ - وهو بدرجة وزير وقد لقي الرئيس
عدة مرات - على غير علم واف بأخلاق رئيس الجمهورية •

أبعد ما يكون حسنى مبارك عن الرغبة فى التآليه • وأكثر الناس
عزوفاً هو عن تحية تقدم بغير داع أو تهنئة تسعى اليه بلا مناسبة •

متواضع هو كل التواضع • انسان عميق الشعور بالانسانية •
أزهد ما يكون فى البريق وفى المظهر • أعرف الناس أن منصبه جهد وعمل
ومسئولية ومشقة • وليس منصبه - كما يتخذة آخرون - وسيلة لدعاية
أو استجلاباً للمديح أو طريقاً الى تكبر •

يعرف رئيس الجمهورية الدافع خلف كل هتاف فردى • الباعث
الذى يتخفى وراءه أى تبجيل • بل ويعلم أن بعضى الناس يطلبون أن
يقابلوه لمجرد أن يقولوا فى مجالسهم أنهم قابلوا الرئيس • ويعرف أن
هناك أثرياء وذوى ثراء باذخ أصابوا من المال ما شاءوا ولم يبق لهم الا أن

يتخذوا سمت أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة فهم يحسون - وهم محقون - أن المال وحده لا يصنع للفارغين قيمة . ويعرف الرئيس أن كثيرا من هؤلاء يحاول أن يلقاه ليقنع نفسه أنه بلغ من الحياة تلك القيمة التي يفتقدها في ذاته فيفقددها .

فقيم اذن يحاول المحافظ أن يقدم التحية للرئيس . علم الله أن الرئيس يرى أن انتاج وحدة واحدة من سلعة مصرية أحب إليه من ألف تحية لا معنى لها . ولو أن المحافظ أنفق الوقت الذي بذله في تدبيج التحية والمال الذي أنفقته من الخزنة العامة فيما يعود على أقليمه الذي هو جزء من مصر بشيء من الخير لكان هذا أجدى له وأنفع . ولكن فعله حبيبا الى رئيس الجمهورية في حين يكره الرئيس أن يتخذ المحافظ من اسمه وسيلة لإعلان عن لا شيء . فان الرئيس حسنى مبارك يعمل نهاره وليله ليحطم اللافتات المرفوعة على الفراغ ليحل مكانها عمل وجهه واتقان وجدية وصدق وشرف والله على ما أقول شهيد .

١٩٨٦/١١/٣٠ م الأهرام

السلطان والبهلوان

هذه قصة طوتها يد النسيان من قصص ألف ليلة وليلة . ربما رواها الرواة ولكنها لم يكن لها حظ الاثبات بين دفتي كتاب . ولست أدري أسمعناها فأرويناها أم شديتها فأحكيها أم تخيلتها كما يتخيل المؤلفون فسنعيت اليك بها . . أقصها عليك فيما تعودت أن أقص عليك .

يحكى أنه في زمن من الأزمان ولي الحكم سلطان طاغية جبار . لا يظيب له الحكم الا بالخديعة النار . يقتل الناس لأهون الأسباب . ويغتصب الأموال فهي له أسلاب . ويستحل كل حرام . ويعامل الناس بالاجرام . نشر جواسيسه في كل مكان . وبث عيونه بجميع الأركان . والويل والثبور لمن قال « الا اله الا الله » فالموت ينتظر كل أهله وذوى قرابه . أمر السلطان ألا يغادر أحد البلاد ومعه أمواله . فاضطر كل فرد في الشعب أن يرضى بحاله . واقفل جميعهم معه . حتى لا يريق الجبار دمه . وصار الناس لا يتكلمون الا همسا . فإذا مررت بالديار فلن تسمع حسا . وامتنع عن الاجتماع في الأماكن العامة . فقد كانوا يخشون اذا اجتمعوا أن تقع عليهم الطامة . وكان المكان الوحيد الذي يضطرون أن يحتشدوا فيه هو السوق . وهو مكان مرموق . لا يخرج فيه أحد أن يتكلم في غير التجارة . فقد كانوا يعلمون ان الجواسيس قد تكون في جداره . وأن عيون السلطان تحصى أنفاسهم . تكاد تمسك الكلمة التي تدور في أذهانهم .

وكان للسلطان وزير على شاكلته . يحبب اليه كل ظلم ويحمل له كل قبيح . فاذا حرم الله فهو يبيع . وأن منع الشرع فهو يتيح . كان كلبا عقورا . ويظل طول ليله مخمورا . حتى اذا صبحا الصباح لا يشعر به الوزير اذا لاح . فهو من خمر الامس سكران . وان بدا كأنه يقظان . فهو مفتوح الاجفان . ولكن بعقل نعسان . يلوح لمن يراه كأنه يفهم ما يقال بينما هو من السكر في شر حال .

نزل السلطان والوزير الى السوق متخفيين . يريدان أن يريا الناس رأى عيان . ولم يطل انتظارهما . فسرعان ما شهدا الناس لا تقول

الا ما يسر الطاغية • وما يجعل نفسه راضية • ولم يحاول واحد منهما أن يشهد الحزن الذى يتحرك فيه الناس • ولا البؤس الذى يسيطر عليهم من شدة اليأس • فعين الطاغية ومعاونيه • لا ترى الا ما يرضيها ويرضيه •

وبينما السلطان والوزير يتخذان من مكانهما ستارا خفيا • رأيا بهلوانا يطوى السوق طيا • ويقف الى جانب حصان هزيل • له صاحبه اشد منه هزالا فهو فى وقفته يميل • واقتربت رأس البهلوان من المالك المتهالك • ثم اعتدل الراسان وقد وضحت امامهما المسالك • وبدأ البهلوان يصيح • مفتريا صفات البطولة للحصان القبيح • فهو الأسد الواثق • وهو فى الميدان هو الغالب • وتقاطر الناس من كل حذب • وتجمعوا حوله من كل صوب • وراح هو يجعل الحديث فى كذب مفضوح ويسويه • حتى وجد الحصان من يشتره • وفرح البائع أى فرح • وأعطى البهلوان نصيبا من الثمن فأكرم وسجج •

ثم رأى السلطان البهلوان ينتقل الى حمار شأنه شأن الحصان الواهن الضعيف ويقول عن الحمار فيزيل من هزاله والى قوته يزيد ويضيف • ويباع الحمار ويجنى البهلوان الثمار • ويتكرر فعل البهلوان والسلطان والوزير مندهشان •

قال السلطان لوزيره :

— أريد هذا البهلوان •

وقال الوزير :

— لك الأمر وعلى الطاعة ولكن هل لى أن أسأل سؤالا حائزا فى نفسى لا يجد اجابة •

وقال السلطان :

— القاعدة الاصيله أنك لا ملك السؤال فهو ليس حقا ولكن وقد قلت ما قلت فانك أثرت فى نفسى حب الاستطلاع •

فأسأل سؤالا على سبيل الاستثناء لا القاعدة • والاستثناء كما تعلم لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه •

— فبم تزايد هذا البهلوان الحقيقى ؟ وهو انسان لا قيمة له لم نسمع منه الا كذبا • ولم يقل الا الزور والبهتان •

- كنت أحسب أنك فهمت •
- لا وحياتك ما فهمت •
- لو لم تكن طول ليلك سكران ما فاتك ما قصدت له ولا غيبت ما هدفت إليه •
- أنا الآن على الأقل لست فى حالة سكر •
- بل أنت فى حالة خمار دائم من مخلفات السكر ومما تصنعه بك الخمر • فشراب المساء تبدو عليك أثار منه شديدة فى الصباح •
- لا أستطيع أن أعارضك •
- ولا يستطيع أحد •
- ولكننى مازلت لا أدرى فيم تريد البهلوان ؟ •
- ألم تر كيف هو ماهر فى اتمام الصفقات •
- ولكنك يا مولاي السلطان لا تعقد صفقات فانك اذا أردت شيئا من ملك غيرك أخذته بالأمر من غير شراء وان أردت أن تبيع فرضت الثمن ونلته فقيم انتفاعك بالبهلوان وانت لا بيع عندك ولا شراء ؟
- ومن قال لك أننى أريده لبيع أو شراء •
- فقيم أذن ؟ •
- اذا خالط هذا البهلوان الناس • ودخل الى البيوت وراح يمدح السلطان جعل الناس يصدقون مديحه ولا يكرهون السلطان ولا يبغضونه •
- ومنذ متى يا مولاي تهتم برضاء الناس أو سخطهم •
- اليس من الأحكم أن أصنع بهم ما أشاء ومع ذلك أجعلهم يمدحون بدلا من أن يذموا •
- وهل يجوز أحد على ذمك •
- انهم جميعا يذمون السلطان فى دخيلة نفوسهم •
- وماذا يهمك من دخيلة النفوس •
- أن تكن راضية خيرا من أن تكون ساءة •
- وهل تظنها سترضى •
- ربما •
- أيستطيع هذا البهلوان أن يصل الى خافية الصدور •

- يستطيع على الأقل أن يجعلهم يلتمسون العذر لأنفسهم فلا تبدو نفوسهم أمامهم مهينة ويهيئون لأنفسهم أنهم يقبلون حكى وهم به راضون وأنهم ليسوا جبناء ولا ضعافا مهازيل .

- قلت الصواب يا مولاي السلطان .

- فالتمس لي هذا البهلوان .

- سأحضره من فوزه . ولكن هل أخبره من يريده .

- بل اكتم خفيقتى عنه .

- فماذا أقول ؟

- قل تاجر من كبار التجار واسع الثراء موفور المال .

وانصرف الوزير الوسنان من فوره . وما لبث ان عاد بالبهلوان ووضع بين يدي السلطان .

- ما أسمك أيها البهلوان .

- عبدك يا مولاي .

- أو عرفته .

- منذ شرفت السوق يا مولاي .

- يالك من داهية .

- دهائي كله ملكك .

- اذن فانت تعرف فيم أريدك ؟

- اذا لم أكن قد عرفت من أول وهلة فلسنت جديرا باستدعائك لي .

- فهل تستطيع أن تقوم بما انتدبتك له .

- وأكثر .

- قبل أن تذهب الى الأكثر قل لي فيم أردتك لأختبر مقدار ذكائك .

- تريدني أن أجعل الناس يمتدحونك في دخيلة نفوسهم كما

يطيعونك في جهير أقوالهم .

- أصبت فهل تستطيع .

- لك أن تجربني .

- وما الأكثر .

- ان أجعلك انت دائم السرور موفور الحبور .

- بالكذب والتحايل *
- بل برواية دخائل الناس ومخبوء أسرارهم وكل ظريف طريف من أحوال معيشتهم *
- هل أنت أيضا صاحب حكاية *
- لن أقول لا أو نعم حتى تشهد لى *
- ولكنك لم تقل ما اسمك *
- خادمك الأمين حسونه هندأوى *
- ومتى تبدأ عملك *
- لقد بدأت فعلا يامولاي *

وضحك السلطان فى سرور واستظراف * واستأذن حسونه فى اللطاف * وما لبث أن بدأ العمل فى غير تأخر ولا مهل * وراح يندس بين الجموع * ويختلق المحامد للسلطان ويذيع * ولم يلحظ الأبله الموهوم * ان الناس تستمع اليه فى وجوم * وأنها تدعو للسلطان فى الظاهر * لأنها لا تملك أن تقول ما يدور بالخاطر * وكما فشا حسونه فى الشعب * أضحك السلطان من القلب وجهل أنه قد يستطيع أن يضحك سلطانا * ولكنه لا يستطيع أن يخدع انسانا *

ومر الزمان واستدار * وجاء موعد السلطان لللاقاة الجبار القاهر فوق عبادته * والذى لا يخرج شئ عن مراده *

وانقلب الحال الى حال جديد * وانتهى زمن حسونه والوزير غير الرشيد * وذهب الوزير الى كسرة من زاوية النسيان * ولكن حسونة أراد أن يغالب الزمان * فنزل الى الناس فى السوق * فاذا هم يضربونه ضربا لم يذقه مخلوق * وهو يجرى أمامهم مذعورا * ويتخاضع لهم مذولا مدحورا *

وأصبح دأب حسونه منذ ذلك اليوم * أن يظل قابعا فى بيته بعض الوقت ثم يعود الى الناس أملا فى أن يكونوا قد نسوا ما أحاطهم به من نهم * ولكنهم كلما عاد اثخنوه ضربا وشتما وحملوه ما يطيقون ولا يطيق غما وهما * وظل هذن حاله وسنته * حتى توارى فى تربته *

وهكذا ترى أن دولة الظلم ساعة * ودولة الحق الى قيام الساعة * قصة وقعت فى يدي بعد أن أخطأت طريقها الى مؤلفي ألف ليلة وليلة * سلتها اليك راجيا رضاك أملا أن تقع من نفسك فى خير مكان *

١٩٨٦/١٢/٢ الأهرام

ان النفاق قديم

خرج جماعة من العرب في زمن الجاهلية يريدون العراق بتجارة لهم • وكان كسرى يحكمها • وحين اقتربوا من العراق قال قائلهم :

انا من مسيرنا هذا لعل خطر • فلقه قدمنا على ملك جبار • ونحن ندخل بلاده دون اذن منه • وما أحسب أننا نستطيع أن نتجر في هذه البلاد • والرأى عندي أن يذهب واحد منا بالتجارة • فان قتله الطاغية كسرى فنحن براء منه دمه وان غنم فله نصف الربح •

وتقدم شاعر جاهلي اسمه غيلان بن سلمة الثقفي وقال :

— أنا لها •

فلما دخل بلاد كسرى وضع كثيرا من الطيب وليس ثوبين أصفرين • وهذا عجيب في ذاته فقد كشف علماء الألوان بعد هذا الزمان بأزمان ان اللون الأصفر من أكثر الألوان اجتذابا للأنظار وهكذا تجد أن للمنافقين موهبة خاصة يعرفون بها كيف يصلون الى الأماكن الخفية من مواطن الارضاء عند الناس •

جلس غيلان بباب كسرى وقد أصبح أمره بين الناس شهيرا • وأخيرا اذن له كسرى • وخرج اليه الترجمان وقال له :

— يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذن •

فقال :

— قبل له لمست من أهل عداوة لك • ولا أبيتك جاسوسا لخصم من اصدقاءك وانما جئت بتجارة تستمتع بها فان اردتها فهي لك وان لم تردّها وأذنت في بيعها لرعيّتك بعثها • وان لم تأذن في ذلك رددتها •

وبيتما هو ماض في حديثه سمع صوت كسرى فاذا به يهوى ساجدا • ويدهش كسرى والترجمان ويسأل الملك •

— لم سجدت ؟

فاذا هو يقول في دربه المنافق الاصيل •

— سمعت صوتا عاليا في القصر • وليس من المعقول أن يعلو في
القصر صوت الا صوت الملك فعلمت أنه بمقربة مني فسيجدت اجالا
واعظاما لصوت الملك •

وطبعاً استحسن كسرى ما فعل وأمر له بمخدة توضغ تحته في
جلسته فحين أمسك بها غيلان وضعها على رأسه • فضحك الملك وقلن
بالشاعر الجهل والحمق وقال : عن طريق ترجمانه •
— انما بعثنا بهذه لتجلس عليها •
فقال غيلان :

— أعلم هذا ولكنني رأيت عليها صورة الملك فلم يكن من حق منلي
أن يجلس عليها ولكن كان حقها التتظيم فوضعتها على رأسي لانه أشرف
أعضائي وأكرمها على •

ما أحسب الا انك عرفت النتيجة المحتممة لهذا النفاق العظيم فان
للمنافق الى العتاة مسلكا لا يخيب وطريقا لا يكسب وسبيلا لا يخطئ •

لقد اشتري كسرى التجارة من غيلان بأضعاف ثمنها وكساه وبعث
معه بنائين من الفرس ابتنوا له قصرا بالطائف • فكان أول قصر شيد
بالطائف •

أرايت • قديم هو النفاق قديم • • موغل في الزمن الى الأعماق
الغائرة من أوائل التاريخ • وان كان هذا الذي حملته الينا أنباء الرواة
قد حدث في الجاهلية فهناك مما لم يروه الرواة ما يخطئه الحصر وما يعجز
عن الالام به ذكر أو رواية •

سمعنا أنباء النفاق أحاديث ورأيناه رأى العين • واحتقرناه فلم
يعبأ بالاحتقار وسخرنا منه فلم يلق أى عناية بالسخرية •

وعلى الرغم من أن النفاق قديم الا اننى أعجب من شأنه ككل العجب
فهو واسع الانتشار حتى يوشك أن يكون هو الأصل • وما لى لا أقول
انه أصبح هو الأصل حين انكمش الصدق خزيان خجلا وكأنه هو الخلق
الشائن المعيب •

ولا ننسى واحدا من زعماء المنافقين في العصر الحديث سأل طاغوته
عن أمر يشغله فاستأذنه المنافق أن يتيح له بعض الوقت حتى يعود اليه

بالرأى الأسيد الرشيد • وىروى المنافق نفسه فىقول انه راح يدور فى
الماشى ويلوب حول نفسه وىروى أنه راح يصعد ويهبط ويتهم وينجد
حتى أوحى اليه الشيطان ما أوحى واقتنع هو انه الرأى لا رأى مثله حتى
إذا فرغ من الهامه نصب • والى مولاه الطاغية رغب • فىقول له فى سعادة
غامرة ، وفى هناة طاغية ، وفى جدل مسرور مجبور •

— ما كان لنا ان نقول لك رأيا فأنت وحدك صاحب الرأى • فانت
ملهم يصل اليك الرأى من حيث لا نعلم فكيف لمثلنا من البشر أن يفكر
فى امر انت تفكر فيه •

وقد كان المنافق وطاغوته كلاهما لا يؤمنان بالله • فالالهام الذى
قصده اليه زعيم المنافقين الهام هابط من مكان آخر غير السماء ، وهو وحده
الذى يعرف هذا المكان ولا يعرفه سواه •

ان يحدث هذا كارثة بشرية بالغة الحقارة • فاذا وقع سرا دون أن
يعلم به أحد كان فى ذاته عارا أما أن يرويه صاحبه فى كتاب ويفاخر به
ويزهى كما يزهى ويفاخر انه وسيدته لم يكونا من المؤمنين بالله فذلك
هو الفجور أو هو أمر أعظم فداحة من الفجور لم تستطع لغة فى العالم
بعد أن تجده له لفظا •• ولكن ربما — ومع انتشار النفاق — تجده له فى
الغد القريب وصفا يحيط بمدى سقوطه وهوانه •

والمجتمع لم يوقع على المنافق جزاء • بل هو يكرمه •• وهو أيضا
يوسع له فى المكان •

وأرى من بعده أنواعا شتى من المنافقين •• أشباههم بعينى
يتقافزون فعل القردة • ويسجدون فعل العبيد •• ويجعلون من رؤسهم
مواطىء أقدام لينالوا منصبا كبيرا مرموقا أو يهتبلوا مالا •

وأعجب •• انما يطمع الانسان فى المنصب ليكون بين الناس ذا
كرامة ووجاهة وجاه • فكيف يمتهن كرامته ويمزقها ويحقر ما أكرمه الله
به حين جعله انسانا • وينسلخ عما وهب له المولى من عزة الأحرار من
أجل أن يكون بين الناس ذا كرامة •

أيشترى المنصب بالكرامة وهو فى ذاته جانب قليل من معنى
الكرامة •

كيف يقبل انسان عاقل رشيد أن يبيع الكل فى مقابل الجزء .
والقليل التافه فى مقابل العظيم النبيل . كيف يقبل انسان أن ينحدر
الى هاوية الهوان ليكون أمام الناس فى قمة العزة .

تناقض لا يسيغه منطق : ولكننى أرى المناقذين فى كل مكان .
وما بعجيب أن ينالوا ما يسمعون اليه : ففى كل انسان ضعف الى
المديح وكم رأينا الصلب العنيد عنه الاشادة به وتعظيم شأنه يلين
ويسجح ويقسم ما كان يمنع .

وما بعجيب أن ينالوا ما يسمعون اليه : فان لهم لاجابة لا تنتهى .
فالمناقى بطبيعة تكوينه صفيق الوجه ساقط الحياء . فهو يستطيع أن
يلج بصورة لا يستطيعها غيره . فان الحياء وحده هو الذى يرد الانسان
عن كثرة اللجاج . فمن ضاع حياؤه وجف ماء وجهه فأى شئ يمكن أن
يرده عن المبالغة كل المبالغة فى اللجاج .

والنفس ذات ملالة وكثيرا ما يصاب من بيده شغل المناصب بالملل
من شدة النفاق ومن كثرة الطلب . والانسان - من قبل ومن بعد - انسان
ولعله قائل لنفسه فلاضعه فى هذا المنصب الذى يكاد يموت شوقا لبلوغه
وهو - على أية حال - ليس شرا من غيره .

وما اليأس أن نجربه فاذا لم يرتفع بنفسه الى مستوى المنصب
عزلناه وكل ذى منصب لابد يوما أن يعزل .

وينسى الانسان ان فى رفع الدليل الى منصب رفيع اهانة للمنصب
وحطاله عن كرامته وسفولا به عن مكانته .

ولا عجب أن يكون انسان من الناس ذليلا ولكن شين أن يشغل
المكان الكريم انسان ارتضى أن يمحى كرامته ويمحو حيائه ويريق ماء
وجهه حتى يجف .

ان يكن التاريخ قد روى لنا قصة غيلان بن سلمة الثقفى مع
الطاغية كسرى فان التاريخ نفسه لا يهمه شأن غيلان وما استطاع أن
يناله من مال كسرى . لأنه مال كسرى كان يمكن أن ينفق فى أى مصرف
من مصارف البلخ الأرعن المجنون التى يرمى فيها الطفاة بأموال شعوبهم .

ولكن أن يصل انسان بلا كرامة الى منصب له مسئوليته فتلك اذن
هى الطامة الكبرى . لأن المنصب ليس جاها فحسب ولا هو وجاهة وكفى .

• وأما هؤلاء خيالة أقوام وصوالجهم • فلن يبد صاحب المنصب مستقبل
جماعات وأقوام وأسرار وبيده أيضا حاضرهم وعيشتهم وحياتهم

والدليل في المنصب عنوان كرية لكل من يعرف حقيقته • وإذا
استطاعت الحقيقة من أمره أن تتخفى عن سائر الناس قبل صعوده على
أربع إلى منصبه فإن هذا المنصب نفسه سيجعل الخفى من أمره معلنا
والمتستر من هوأه شهيرا جهيرا •

وبعد فإن النفاق قديم كما قد علمت • وهو يتجدد مع كل يوم من
أيام الحياة لا ينتهي أمره ولن ينتهي •

وتسألنى فقيم اذن تكتب ما تكتب ماكنت تعلم أن النفاق سيبقى
ما بقيت الإنسانية •

انما أكتب لانه لابد أن يجد المنافق من يقول له انك منافق • ولابد
أن نطل نقول ان النفاق هوأ واذلال للبشرية ومحور للكرامة وتمزيق لكل
ما هو شريف نبيل في حياتنا •

لعلنا - من يدري - لعلنا أن نمنع مشروع منافق أن يصبح منافقا
كاملا • • فإن الطريق الى النفاق - للأسف الشديد - مليء بالاغراء
والطريق الى الشرف - للأسف الشديد أيضا - محشود بالصعاب :

والجنة - كما نعرف جميعا - محفوظة بالمكابر • والمقايض على دينه
كالمقايض على الجمر • كان الله فى عون الشرفاء المؤمنين • •

١٤/١٢/١٩٨٦ الأهرام

الحطيئة في عصرنا

أما الحطيئة فشاعر من أعظم شعراء جيله إذا وضعناه في ميزان الشعر وحده أما إذا انتقلنا به إلى ميزان الأخلاق فالأمر مختلف كل الاختلاف . وحتى أغنيا عن التفصيل أرى لك بعضا مما ذكره عنك المؤرخون .

قيل فيما قيل انه لقي الزبرقان بن بدر وهو رجل من وجوه عصره وسمى بابن بدر لحسنه وجماله وجهه . وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه وأقره أبو بكر في مكانه لم يغيره وتوفي الزبرقان أيام معاوية .

لقي الحطيئة وعرض عليه أن يستضيفه فرحب بذلك كل الترحيب ولم يكن الزبرقان متجها إلى بيته وإنما كان في بعض شأن له سيبعده عن داره بضعة أيام فكتب خطابا إلى أمه وأعطاه للحطيئة وطلب إليها في الخطاب أن تحسن إلى الشاعر وتكرمه وتكثر له من التمر واللبن . وكان الحطيئة دميما لا تحترمه العين فلما رآته أم الزبرقان احتقرته وقصرت في شأنه .

واهتبل أعداء الزبرقان من بني بغيض الفرصة فما زالوا يغفرون الحطيئة أن يترك ضيافة ابن بدر إلى ضيافتهم حتى استلان لهم وقبل عرضهم وراح يملحهم .

ثم راحوا يطلبون إليه أن يذم الزبرقان والحواء عليه حتى قال أبياته الشهيرة .

لما بدا لي منكم عيب أنفسكم	ولم يكن لجراحي فيكم أس
أزمت يأسا مبينا من نوالكم	ولن ترى طاردا للحر كالإياس
ما كان ذنب بغيض أن أرى رجلا	ذا فاقة حل مبيتوعر شاسي
جارا لقوم أطالوا هون منزله	وغبادروه مقيما بين أرماس
هلوا قبرا وهزته كلابهم	وجرحوه بأنسياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه نرى مرح فقال عمرو بن العاص
لا يذهب العرف بين الله والناس ما أظلت الخضراء ولا أقلت

ولم يجد الزبيرقان ماذا يلجأ إليه من هول هذا الهجاء إلا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه . وقد يعجب قراء هذا الجيل أن يلجأ شخص إلى
أمير المؤمنين وإمام المسلمين وأعظم من أقام في التاريخ عدلاً ليشكو إليه
شاعراً نال منه بضعة أبيات .

وقد يجهل قراء هذا الجيل أن الشعراء في ذلك الزمان كانوا
التليفزيون والاذاعة والصحافة والسينما والمسرح والندوات أيضاً .
وكان يكفي الحظيئة أن يقول أبياته حتى يتناقضها الرواة فما هي إلا أيام
قلائل حتى تصبح على كل لسان ناطق بالعربية في العالم أجمع .

فليس عجيباً أن يفزع الزبيرقان إلى عمر بن الخطاب وليس عجيباً
أن يستنشد عمر الأبيات ويرويها له ويقول عمر :

— ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة .

فقال الزبيرقان : ...

— أو تبلغ مروءتي إلا أن أكل وألبس .

فاستقدم سيدنا عمر حسان بن ثابت وسأله :

— أترأه هجاء .

فقال حسان :

— لقد هجاء شر هجاء .

فأمر عمر بالخطيئة فحبس وراح الخطيئة يكتب الشعر لأمير
المؤمنين لعله أن يصفح عنه وكتب له فيما كتب هذه الأبيات الشهيرة :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كأسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقيت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

وبكى عمر فان عمر أواه حليم . بكى وهو يسمع « ماذا تقول لأفراخ
بنى مرخ » فقال عمرو بن العاص « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء
اعدل من رجل يبكي على تركة الخطيئة » وقال عمر « ما أراني إلا قاطعاً
لسانه » ثم قال « على بالطنيت » ثم قال « على بالسكين » ثم عاد فقال

« لا بل على بالموسى فهو أسرع » فضج الحطيثة وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وأمرأتى ونفسى وتبسم عمر ويقال فماذا قلت قال « قلت لأبى » :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
وقلت لأبى :

تنحى واجلسى منى بعيدا أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المتحدئينا
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسير العالمينا
وقلت لأمرأتى :

أطوف ما أطوف ثم أوى الى بيت قعيدته لكع
وقلت لنفسى :

أبت شفتاى اليوم الا تكلمنا بسوء فما أدرى لمن أتأ قائله
أرى لى وجهها شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

فقال الذين مع عمر « أصفح عنه يا أمير المؤمنين ولن يعود الى هذا أبدا » وأشاروا الى الحطيثة أن يقول انه لن يعود فقال « لا أعود يا أمير المؤمنين » فقال عمر « كانى بك عند فتى من قريش قد بسط لك وسادة وكسر لك أخرى وقال أنشدنا يا حطيثة فرحت تنشده بأعراض الناس » .

ويكمل رجل اسمه ابن أسلم القصة قائلا « فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيثة عنده عبيد الله بن عمر قد بسط له وسادة وكسر له أخرى وقال أنشدنا يا حطيثة فراح ينشد بأعراض الناس فقلت له « أتذكر قول عمر !؟ » ففرع وقال « يرحم الله ذلك المرء ، أما انه لو كان حيا ما فعلت » .

ولعلك اليوم تسألنى فيما رويت لك مارويت . وما تذكرى لشاعر من شعراء صدر الاسلام . وانى لأسمح لنفسى أن أسألك أنت . ألم يذكر ما رويته عن الحطيثة بما تراه اليوم ، اننى فى زمان الحطيثات فيه ملء الدنيا لو كنت بعيدا عن مجالات الصحافة والمجالس التشريعية فانك لن تعرف ما دفعنى الى رواية ما رويت الى قول ما أقول عن الحطيثات وهو جمع لا أدرى مدى صحته للحطيثة .

انى أرى بعينى كثيرا من الذين يكتبون فى الصحافة يهددون كل من بيده مسئولية سواء كان ذا شأن فى التلفزيون أو الاذاعة أو المسرح اذا هو لم يستجب لما يفرضونه عليه من أعمال هزيلة حقيرة تافهة شائنة لهم

أو لأصدقائهم أو لمن يقدم إليهم الرشاً فانهم سيُشهرُون به ويرصدُون
أعداءَهم الغليظة وأقلامهم الخائنة لحربه واختلاق السوء عنه إذا لم يجدوا
من الحقيقة ما يسمعونهم ولقد رأيت رأى العين المسئولين وهم حيارى لا يدرون
ماذا يصنعون • إذا هم قبلوا ما يفرضه عليهم هؤلاء السفاخون من حيلة
أقلام حليقة الدليلة •

قدموا للناس أعمالاً غثة تثير عليهم ثائرة الناس وغضبهم • وإذا
هم رفضوا خرجت عليهم الأعمدة الثقال تتهمهم بالحق والباطل وتلقى
عليهم ظلالاً كثيفة من شكوك وتختلق عنهم الأكاذيب وتشوه أمام الناس
صورهم بلا حسيب من ضمير أو وازع من شرف •

وقد أرى ما هو أدهى من ذلك وأشد وطأة حين أجده الأسئلة
والاستجوابات وطلبات الاحاطة تنهمر على الوزراء من أجل مطالب
شخصية •

فأين المقرر ؟

وأين لنا بعمر بن الخطاب ؟

يلي لقيده أحسب أن عمر وهو عبير إذا عايد لمعجز عن مواجهة هذه
اللزمة الأخلاقية الطاحنة • ومالي لا أظن هذا الظن وأنا أذكر ما كان من
أمر عمر بن عبد العزيز حين سأله أستاذه في خطاب أرسل به إليه •
« ماذا تريد أن تصنع بعبدك الناس هذا الذي تفرضه على الناس » •

فقال يرد على خطابه :

« أريد أن أكون مثل جلي عمر بن الخطاب » •

فكتب إليه أستاذه يقول : « لن تستطيع وإذا استطعت تصبح أعظم
من عمر بن الخطاب نفسه • لأن الذين حول عمر كانوا يعينونه على هذا
العبدية ويؤيدونه ويؤازرونه أما أنت فإن الذين حولك سينيحونك
ويجاريونك ويقاتلونك وقد يقتلونك » •

وهذا جلس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتم
سنتين من حكمه •

ويل لنا إذن من زماننا وقد أصبح حيلة الأمانة هم حيلة الظلم
والابتزاز •

وأراك تسألني عن أمل وارى نفسى تبكى وقد تمزقت ليس من أمل
الا فى وجه الله وان سألتنى فلماذا أكتب فأننى مجيبك اننى أكتب
لأننى لا أملك الا أن أشكو العاتية الى نفسه لا أرجو أن يشوب الى فضل
من نبالة وانما أرجو أن يعلم ان أمره ليس على الناس سرا . وما هذا
ينافع أيضا ولا شافع فان الذى يعتو لا يعنيه فى شيء أن يظهر أمره
للناس . ثم هو يتحصن منى ومن غيرى بأننا لا نملك الدليل . فالتهديد
غير مكتوب فى عقد مشهور وانما هو كلمة تقال فى السر فاذا لم تصب
من الذى يهدده مواطن خوف وفزع نشر المبتز ما عن له من هجوم ضار
واعلنه على الناس وصوره لهم على انه رأى برئ من كل غرض بعيد عن
كل غاية :

والنتيجة كما نرى . اعلام هابط . واقتصاد متفوز خائف .
وعضد مرتعش وأجف . وحسبنا الله وحده فانه نعم الوكيل .

١٩٨٦/١٢/٢١ الإهرام

مصر المنارة

الأبناء أجمل ما وهب الله للإنسان ، هم حياتنا ... بل انهم أعز علينا من حياتنا ... يسعدنا أن نموت من أجلهم . نسعى في الحياة سعينا ونشقى ، وتؤودنا الأيام بشتى أنواع العنت ، وتلاقينا بمختلف صنوف الجهد لنوفر لأبنائنا الهناء ونجنبهم كل ما يمس سعادتهم ورغد عيشهم وأمن نفوسهم .

الابتسامة على وجه أبنائنا أعظم ما يثير لنا الحياة . وجوه كل الأبناء عند أبويهم هي أجمل الوجوه وأنضرها . وهي الحفقة السعيدة من قلوبنا . إذا اتخرف بهم طريق ، جزعنا كأننا نواجه عواصف العالم أجمع . وإذا استقام سبيلهم فكل ما نلقاه من أحداث الحياة محتمل . إذا جحدوا التمسنا لهم المعاذير ، وإن جنحوا لقسوة اختلقنا لقسوتهم الدوافع أكرم ما تكون الدوافع .

نغضى عن خطاياهم حتى كأنها ما كانت ونحتفى بحنانهم بالغما ما بلغ حنانهم من هوان الشأن .

نلتمس عندهم نظرة رضا . وقد نكون أعزة على أنفسنا نشمخ بأنوفنا على القمم والهامات العالية ولكننا عند أطفالنا أطفال . نسعد بأوهى ما يعطون ، إذا أعطوا . وماذا يمكنهم أن يعطوا الا كلمة فيها حنان . أو سؤالاً عند مرض . أو مشاركة باللفظ عند شدة حاطمة .

هؤلاء الأبناء . هناؤنا وشقاؤنا . عزنا وحرصنا . أمننا وفزعنا . غاية الغاية لحياتنا . هم نهايتنا وبدايتنا .

فماذا حدث في العالم اليوم . ماذا صنع البشر بالبشر . وكيف سمحت الحياة لنفسها أن تخرج علينا صبيحة أحد الأيام تعلن اليها أن أبوين في لبنان عرضاً أبناءهما للبيع . ماذا صنعت القوة الفاشمة بالانسانية هناك .

إن ما فعله الأيوان ليس قسوة منهما على أبنائهما وإنما ما فعلاه أبشع من انتحار كل من الأيوين . ولكن كليهما كان ممزقا بين جوع

أبنائه فى ظله وعريهم وهوانهم وذلمهم فى حماه • وبين أن يبنعدوا عنه
كل البعد مكتفيا أن يطمئن انهم على قيد الحياة • مرتثيا أن حياتهم فى
رعاية غيره ينالون عنده غذاء مهما يكن قليلا وعناية مهما تكن غير حانية •
حنو الأب • خير لهم من حياتهم فى بيته جوعى مهزولين يقتلهم البرد
أو يحرقهم الحر وأجسادهم بلا كساء •

وادرک کل من الابوين أنه لو انتحر فقد دينه وفقد معه مستقبل
أولاده وهرب من واجبات الأبوة فاقدم على هذه الخطوة التى ما أحسب
الا انها زلزلت كل من قرأ عنها أو سمع بها •

أى عذاب تعرض له كل من الأبوين حتى انتهى الى هذا القرار •
اتراه يوم اتخذه وأعلنه خرج من حيرته الى طمأنينة أم زاد حيرته هلعا
وذعرا واشفاقا على بنيه •

هل تملك الانسانية أن تلوم الأبوين أم هى تقف واجمة مستخزية
حسرى ازاء ما صنعه الأيوان أو ما صنعت بهما الانسانية •

هل هى الانسانية التى صنعت أم الوحوش الضارية التى صنعت
لبنان وفرقتها شيعا وحطمتها جذاذات قاتلة سفاكة ! وأأسفا على لبنان
بلاد الجبال السماء تعممها الثلوج كأنها مصابيح الشيوخ الائمة والجداول
الرقراقة صفا نميرها وطاب منها المجرى والرأى والمشرب • بلاد الأرز
الاشم يغطى السهول منها والوديان كأنه أيد مرفوعة بالدعاء والشكر لمن
جعل لبنان جنات النعيم وطريق الخلد كما كان يراها خاله الشعر العربى
أحمد شوقى •

الى أى مصير ألقى بها التعصب والغناء والأصدقاء والأعداء • أصبحت
جبالها كالمجرمين العتاة الزنادقة واستثيرت الجداول منها هادرة فهى
أنهار صاخبة من الدماء الحمراء القانية • وتهللت الأيدي المرفوعة من
الأرز واسترخت فى استسلام الموتى ويأس المطحونين •

وما أخال الجبال والجداول وأشجار الأسي الأصارخة اليوم فى
عويل طويل مقجوع من هذين الأبوين أحدهما فى شمال لبنان والآخر
فى الجنوب يعلنان الرغبة منهما أن يبيعا كبودهما لمن يشتري •

اذن فهكذا يصنع التعصب والتطرف بأصحابه • أترانا سنسمع فى
قريب عن أبناء وأمها يبيعون أبناءهم فى ايران •

وهل يمكن أن تنتهى هذه الحرب هناك الا بهذا الفتك بأسمى
العلاقات الإنسانية وأشرفها معدنا وأنبأها أصرة .

أريد الارهابيون هنا أن تتمزق نحن أيضا كما تمزق الارهابيون
لبنان وكما يمزقون اليوم ايران !

أريد المتطرفون فى مصر أن يوقعوا بين الأخوة حتى ينتهى بنا
الأمر الى بيع أبنائنا ؟

ألا من مذكر ٠٠٠ ويجهم ألا يعقلون ؟! ويل لهم ألا يبصرون أم على
القلوب منهم أقفالها ؟

إن المتطرفين من شتى الأنواع والنحل تعاقبت منهم الأيدي واتحدت
الطرق وأصبحوا حربا على كل قيمة يحاولون أن يحطموا مصر أول
ما يحطمون .

أريدون أن ينتهى بنا الأمر أن نبيع أبنائنا كما صنعوا فى لبنان ؟

إن الذى يحدث اليوم فى لبنان هو المصير المحتوم لكل بلد يحاول
فيه المتطرفون أن يفرضوا أنفسهم على الحكم على أى لون كان تطرفهم هذا
وعلى أى عقيدة أو ملة أو مذهب .

وبذلك الأقلام التى لا تنفك إلا سماء ولا تكتب إلا خزيا ولا تخط
الا سفولا ، أما أن لها أن تدرى أن الطريق الذى فيه يسرون يتجه بوحدة
مصر الى تمزيق ؟

لماذا يتاجرون بالأمن ولا يحاولون أن يخففوا منها . ولماذا يزيidon
أوجاعنا أو صابا ولا يحاولون أن يكونوا دواء لداء . وهم يدعون أنهم أبناء
مصر ويزيدون أنهم هم هم وحدهم الأبناء المخلصون .

أما أن لهم أن يرعوا الله فيما يصنعون ؟

كره الله هذا والمؤمنون .

إنما الله سلام . وأمن وطمأنينة . وهو سبحانه يرى الفتنة أشد
وبالا من القتل . فما لكم ترفعون اسم الله وتشيعون الفتنة بين عباده .
وما لكم تلصقون الوطنية وتفتشون الفرقة والتبايد والأحقاد بين أبناء

الوطن • وما لكم ويلكم تجعلون صحفكم سوداء بالسخيمة غبراء بالكراهية
قائمة بالسباب الى اين وماذا تريدون ؟

أتراكم قرأتم من بيع الالباء لبنيتهم • أو تراكم فزعتم كما فزعتم
الانسانية جميعا على شتى ألوانها وصنوفها ومعتقداتها وأديانها • أم انكم
أنتم بلا انسانية ولا معتقدات إلا الخراب ولا دين الا التمزيق والحرق
والتدمير ؟

ستبقى مصر • ولن نبيع أبناءنا ولن نبيع قيمنا ونبالتنا وأن تكن
منا فئة عاجت اليوم عن الطريق أو حادت عن الشرف فان وجه مصر المشرق
بتاريخها الذى كان بكر الحضارات وأولها • وبدينها الذى ظل عماد
الحياة فيها وأسسها • وبخلقها الذى ورثته عن أعظم ما فى الحياة من
سجايا سعيه المعوج الى الطريق والحائد الى السبيل وستبقى مصر كما
أراد لها الحى القيوم كنانة الله فى أرضه • اختارها سبحانه مسرى أنبيائه
وطريقهم واختارها أن تكون مثدنة العالم العربى ينطلق من مناراتها :
الله أكبر فيرددها من ورائها كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها •
واختارها أن تكون الضياء الغامر للعالم العربى أجمع •

هكذا كانت وهكذا هى وهكذا ستظل وان رغمت من المارقين الأنوف
والله سبحانه غالب على أمره •

١٩٨٦/١٢/٢٧ الأهرام

واغوثاه

لابد للدولة أن تعيش • ومهما تكن الصعاب والعقبات والعراقيل
فإن الدولة تجتازها وتعبورها الى الحياة •

فالدولة أصل • ولئن يمنع الدولة أن تصل الى الرأى السديد لافتات
على فراغ • أو شعارات جوفاء • أو نداءات تصدر عازفة بشقشقة فارغة
أو الفاظ غنائية •

وما أرى الا أن مصر اليوم تؤجل ما ستضطرها الأيام أن تتخذه من
قوانين • وعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة •

إن الرشاوى غير المنطقية التى قدمت بها بعض الحكومات الى فئات
من هذا الشعب الطيب لابد أن تصدر القوانين بالعدول عنها •

فالرشوة بعيدة كل البعد عن العدالة • والعدالة فى النهاية هى
صاحبة الكلمة العليا • لأن العدالة ليست الحق وحده وانما هى أيضا
تمكين صاحب الحق أن يناله • وكل حق يقابله واجب • فالحق والواجب
وجهان لعملة واحدة • ولئن يستقيم فى العقول أن تكون عملة ما ذات
واجهة واحدة •

وحقوق مصر مهددة عند كثير من الفئات • هذه الفئات لم تؤد
واجبها ونالت أكثر من حقها • فالعدالة اذن بينها وبين الدولة غير قائمة
بل هى منهارة •

إن العالم جميعه يدهش أن تكون فترة العمل اليومية فى مصر
سبعا وعشرين دقيقة • وإن جامع حروف هذه المقالة سيجدنى كتبت عدد
ساعات العمل بدلا من فترة العمل ثم شطبتها وكتبت فترة • لأن الجملة
لم تستقم فى ذهنى • ففترة العمل عندنا لا تحسب بالساعات شأنها فى
جميع دول العالم وانما تحسب بالدقائق • التى لم تصل الى الثلاثين
دقيقة •

فكيف تستطيع هذه الدقائق اقالة اقتصاد مصر مما يتزدد فيه .
وما هو موقفنا أمام العالم وهو يستخر من هذه الحقيقة الموجهة الأليمة ومالى
لا اقول المضحكة وشر البلاء ما يضحك .

ليس فى العالم أجمع دولة تماثلنا فى هذا . ذلك لأن الجزء رفع
تماماً عن العامل .

فحين نجد الدول الشيوعية تعاقب المتكاسلين من العمال لا بالرقت
وحده . وانما بالسجن والنفى وما لا يعلمه الا الله من وسائل التعذيب
نجد العمال متحصنين فى مصر من أى عقاب مهما يكن هينا . ونحن دولة
تتخذ الديمقراطية التى هى حكم الأغلبية عنوانا لحكمنا . بينما ترفع
الدول الشيوعية شعار حكم الطبقة العاملة لافتة على نوع الحكم فيها .

فاذا كان حكم الطبقة العاملة يوقع الجزء أشد ما يكون الجزء على
العامل الذى لا يؤدى واجبه أليس من الأولى أن نعيد نحن النظر فى قوانين
العمال عندنا حتى ينال الكسول والمهمل وغير المبالى جزاءهم .

وهل من العدالة فى أى شرع أو منطق أن يتساوى المحسن والمسىء .
والجاد والهازل . والخامل والنشيط .

ان قوانين العمل التى نحاذر اليوم أن نأتى بذكرها وكأنها ذات
مصونة لا تمس لن تستطيع أن تواجه الأزمة الطاحنة التى تعيشها مصر .
ويأتى حين على الدولة تشبعر أن الأمر جدهلا يحتمل المراوغة . وحين يأتى
هذا الحين تصبح الدولة ولا خيار أمامها . فاما أن توجد أو لا توجد
واما أن تعيش أو لا تعيش . والدول دائما تعيش على الرغم من كل
اللافتات .

وحينئذ تتخذ سبيلها قصدا الى الصنحيج من الأمر . ويقول القائل
يومذاك المثل العربى القديم « مرغم أخاك لا بطل » . فقبل أن نكون هذا
المرغم لابد لنا أن نفىء الى الرشد . وأن نقيق الى الهول الذى يحيط بنا .
فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة .

وقوانين التعليم المجانى ذات اسم عريض على غير المسمى . فانه
بفضل الالفتات التى رفعتها والشعارات التى اصطنعتها نجحت كل
النجاح ان تجعل الاسم المطلق على هذه القوانين اسما على غير مسمى .
وانشودة بلا صوت . وجعجعة ولا طحن .

لم يعبد في مصر تعليم • والمدارس والكليات في مصر ليست مجانية •

وليصرخوا بأعلى صوت لهم • ليس في مصر اليوم تعليم •

والانتساب الى دور العلم الموجودة الآن ليس مجانيا •

أين المجانية مع هذه الأرقام الهائلة التي يدفعها الأباء المطحونون في الدروس الخصوصية • وأين التعليم في بلد نرى فيه خريجي الجامعات لا يقيمون جملة صحيحة بلغة بلادهم •

وكم نادينا أن يدفع القادر أجرا لنعين به غير القادر في التعليم وهباء راح نداؤنا ، وتصايح هواة اللافتات ، اصطرخ أبناء الشعارات ، وتهافت الجبناء الحريصون على الخراب •

ان التعليم حق • هل ننادى بأن يدفع القادر الا لكي نؤدى هذا الحق لأصحابه •

ان التعليم حق • فهل ناله أبناء مصر ؟! علم الله انهم لا ينالونه الا من دروس خاصة يبذلون فيها دماء آبائهم •

ويعلن بعض رؤساء الجامعات انهم هياؤا مواقف لسيارات الطلبة تتسع لآلاف من هذه السيارات • اشتراها أصحابها بالعشرات الكثيرة من الألوف وأصحابها في داخل الكليات يعتصرون دماء مصر المازومة ويزيدون الرهق الذي تعانيه • وبعض هؤلاء الطلبة نال شهادة الثانوية العامة وتلقى تعليمه الاعدادي والابتدائي بل والحضانة بمدارس أجنبية كانت المصروفات فيها آلافا مؤلفة دفعها الآباء عن رضا وطيب خاطر طوال سنوات الدراسة دون أن يقول واحد منهم كلمة معارضة أو احتجاج حتى اذا نال أبناؤهم الشهادة الثانوية استباحوا لأنفسهم أن يتلقى أبناؤهم تعليمهم العالي وهو العالي مجانا على نفقة مصر •

ويتدهور التعليم في المدارس والجامعات • والتهافت بمجانسة التعليم يعلو ويتفاقم • وهيئات •

لن يصحح الا الصحيح •

وها نحن أولاء نصيح • ادركوا الأمر وأنتم بعد في نهاية الطريق من الاختيار قبل أن ينغلق دونكم الاختيار ويقول القائل • مرغم أخاك لا بطل فعزیز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة •

أنا مؤمن إيمانا وثيقا انه لا سبيل الآن الى إلغاء القطاع العام فان
فى الغائه سحقا للاقتصاد المصرى •
ولكن الا من نظرة أمينة اليه •

ما معنى أن يشغل القطاع العام نفسه بالتجارة فى دكاكين انما
نعرف أن يكون القطاع العام فى الصناعات الكبرى • وقد يكون من
المعقول أن يتصدى للصناعات المتوسطة •

أما أن يكون عمر أفندى وشيكوريل وصيدناوى والصالون الأخضر
وأشباه هذه المتاجر قطاعا عاما فتلك عجيبة من عجائب الزمن •

وأسمح أخيرا ان بعض هذه المحلات العمامة تؤجر الأركان فيها
للقطاع الخاص • ما هذا ١٩ • وأى نوع من الاقتصاد ذاك ١ • أهو
عام أم خاص أم هو خليط شائه مضحك لم يعرف العالم له مثيلا •

ويقولون أين يذهب عماله الذين تكاثروا بصورة سرطانية
وأصبحوا يقبضون مرتبات دون أن يقدموا عملا • ونقول لهم انقلوهم
بدرجة البطالة التى يشغلونها الى أى مكان وازيحوا أوزامهم عن هذه
المتاجر التى تستطيع - ان هم زحزحوا عنها - أن تصبح قطاعا خاصا مربحا
لمن يشتريه ومربحا للدولة فى وقت معا •

فالبخسارة فى هذه المتاجر ليست ناتجة عن العمالة الزائدة اضعافا
مضعة فحسب وانما هى بادىء ذى بدء من انعدام الحافز الشخصى الذى
اعترفت به الدول الشيوعية نفسها •

فلو أن لهذه المتاجر أصحابا لعرفوا كيف يستخلصون منها أحسن
ما يمكن أن تعطى • وهم بعد سيدفعون عن أرباحهم ضرائب للدولة خالصة
بغير جهد من الدولة ولا نصب •

أما الدكاكين التى تباع فيها الدولة الفول والطعمية والكباب فتلك
فى ذاتها مسرحية من المسرح الهزلى العابت وأنا لا أستطيع أن أصدق
انها موجودة حتى ولو كانت فعلا موجودة •

واليوم الذى يتحتم فيه على مصر أن تواجه هذه الخسائر أن لا شك
أت • ان لم يكن قد أتى فعلا • وستضطر مصر مرغمة أن نقيم القواعد

على الأسس الصحيحة • لأنه - ودائما - لا يصح الا الصحيح وكم نرجو
أن تحزم الدولة أمرها قبل أن يصيح صائح مرغم أخاك لا بطل • فعزیز
على كل مصرى أن یرى مصر مرغمة •

وبعد فما أسوق الا أمثلة قليلة من أشباه كثيرة سيأتى اليوم عاجلا
لا أجلا نجله أنفسنا فيه مضطرين أن نتخذ القرار الأمثل بغير هتاف
ولا لافتات ولا تهريج ولا مغالطة • فقد تصلح هذه الأشياء بعض الخين
ولكن ما أقل هذا الخين • ثم سرعان ما ينجلى عن الحق الذى لا حق غيره •
وسرعان ما يستبين الصواب ويصح الصحيح • فادركوها • فانها اليوم
تصيح بكم واغواثاء • ولم يبق أمامكم الا أن تستجيبوا لأصراخها فانما
تستصرخ بניהا ولا يصرف الأبناء أذانهم عن الأمهات الا ان كانوا صما
أو كافرين بحق الأمومة وما نحن بصم وما نحن بحق الأمومة بكافرين
ودائما والى الأبد عزیز على كل مصرى أن یرى مصر مرغمة •

١٩٨٦/١٢/٢٨ الأهرام

سنة ١٩٨٧

جفاء ٠٠ لا يمكث

كان قدرى ان أعيش مع الناس منذ البواكير الأولى من حياتى . فقد ولدت وأبى عضو مجلس النواب . وعضو مجلس النواب لابد أن يعرف كل البلاد التى انتخبته فله فى كل بلد أصدقاء منهم التاجر ومنهم الفلاح ومنهم شيخ البلد . وهو باليقين يعرف عمده هذه البلاد جميعا وعلى صلة وثيقة بهم وكل عمدة منهم يظن انه الأثير عنده النائب . وفى هذا الحين من الزمان كان بيت النائب مثابة لأهل دائرته جميعا والدوائر المجاورة أيضا . وإذا احتاج بعضهم ان يبيت بضع ليلال فى القاهرة فانه يكرم النائب ويبيت فى بيته فلا يصح ان يكون بيت النائب موجودا ويبيت زوار القاهرة من أبناء المنطقة فى فندق أو عند قريب لهم أو نسيب .

وكان أبى أيضا محبا للشعر والشعراء حتى لقبوه بأبى الشعراء . فكان بيتنا منذ وعيت لا يخلو من الشعراء .

واتصلت أسبابنا بذوى الحكم والسلطان وهكذا قدر لى ان أعرف جميع فئات المجتمع وأن تقوم بينى وبينهم أواصر ألفة ومودة .

فأنا أرضى من الناس بما لا يرضى به غيرى . أقبل الالاح فى الطلب وأقبل الازعاج فى غير وقت العمل . واسترضى أولئك الذين يتظاهرون بالغضب لأهون الأسباب ولاكثرها تفاهة . وأذكر البيت القديم :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربہ
مرنت على أن أقبل الناس على ما فيهم من عيوب . وأغضى عن عيوبهم
عينا تعرف ما بهم من شوائب . فمن غلبت فضائله على مثالبه قبلته . ومن
غلبت مثالبه على فضائله قطعته وكاننى لا أعرفه . وأذكر حكمة ماثورة
مؤداها « نصف الفطنة تغافل » وأعمل بها ما وسعنى الجهد ولكن الجهد
قد ينفد . وقد لا تسعفنى سعة الصدر . وقد يضيق بى التغافل فاثور
ولكن ما أقل ما تدوم ثورتى وما أسرع ما أثوب الى سكينه النفس وهديء
الطبع .

ولكن هناك بعض صفات فى الانسان لا أستطيع أن أغتفرها فيما اغتفر
من مثالب .

لا أطيق الذى يحسب أن الناس أغبياء وهو وحده الذكى ولا أطيق
الكذب الذى لا تستطيع ان تعرف منه حقا . قد أغضى عن صادق اضطرته
الظروف الى الكذب أحيانا ومن فى الناس لا يضطر الى ذلك . وغفر الله
لابن الرومى حين قال .

وانسى لذو حلف حاضرا
إذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جناح على مؤمن
يدافع بالله مالا يطيق

أما أن يكون الكذب هو الأصل فى الانسان والصدق صدفة فتلك
خلة لا أستطيع أن أعرف صاحبها ولا أقبل أن يعرفنى .

وأذكر واحدا ممن عملوا مع أبى كان مصابا بداء الكذب حتى إذا
أراد أن يقول الصدق عصاه لسانه وقال الكذب وكان أبى يقول عنه انه
لو عرف أن الصدق سينقذه وأن الكذب سيحيطه بالمهالك كذب وفاء منه
للكذب وحرصا عليه .

أما أبشع من عرفت من الناس فهو ذلك الذى يتظاهر بما ليس فيه
فهو شخص يعلن على الناس انه ليس راضيا عن نفسه كما هى فهو يحاول
أن يصفى عليها ما ليس فيها .

وفى هذه الحماة من المهانة يقع الذين يعشقون المظاهر الكاذبة
فتراهم وقد انتفخت أوداجهم وورمت أنوفهم وعلت صدورهم . وتراهم
يصطنعون دواعى العظمة . فان كانوا من ذوى سلطان استكثروا من
الحراس واختاروا من السيارات أكثرها اجتذابا للأنظار .

مساكين هؤلاء انهم لا يهدأون أبدا إذا أرادوا أن يسلموا على صديق
رسموا لأنفسهم شكل السلام . وان أرادوا أن يبتسموا فكروا طويلا فى
صورة الابتسامة وان أرادوا أن يمشوا شكلوا خطاهم ، وان أرادوا أن
يجلسوا تحيروا كيف يجلسون فى عظمة وكيف تجتفل بهم الأنظار وتحيط
بهم الأصدقاء وتتخلق حولهم الاهتمامات حتى لا يصبح أحد فى الجالسين
ذا شأن الا هم . وقد يكون فى جلستهم من يسمو عنهم منصبا أو مؤثرا

يعلم عليهم علما وشهرة ومكانة ولكنهم مساكين يحسب كل صغير منهم انه
مركز الكون وانه لولاه ما دارت الأرض ولتوقفت الحياة .

كم هو هزيل ذلك الأدهى من هؤلاء وكم تضيق به الحياة على سعتها
وكم أريد ان أصبح به كن انت ايها الانسان فانك مهما تتخذ من أبهة فارغة
ومن مظاهره كاذبة لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا .

هؤلاء الناس يحسبون ان أى منصب أقل من عبقريتهم الباذخة ومن
شخصياتهم العلوية السامقة . يحفرون بأيديهم المهاوى لخطواتهم لأنهم
يطمعون ان ينالوا من الحياة أكثر مما تستطيع الحياة ان تعطيههم يتمثلون
قول المتنبي :

أريد من زمنى ذا ان يبلغنى

ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

ناسين ان المتنبي - على عظمته - مات حثف غروره وكان موته نهاية
طبيعية لسعيه المجنون الى اماره أو بعض اماره .

وهؤلاء الصغار لا يقف بهم طموح . وويل كل الويل اذا ولوا من
المناصب كبيرها . فانهم بعد ذلك يلهبون ظهر الزمن لينالوا المنصب الذى
يليه . هيهات ان ينتهى جنون العظمة عندهم الى غاية أو يبلغ بهم الى مرفأ .
فان ملكوا الأرض طلبوا السماء : يقتلهم صغارهم . ترددهم تفاهتهم .
تتضى عليهم رغبتهم المشتعلة ان يحيط بهم الاهتمام والتكبير والتعظيم .
وانك لترى العاملين معهم يؤلهونهم فى ذلة وهوان فان غفلوا لحظة عن
التملق لهم . والتمدح بالانهم ومآثرهم استحثوهم ان يمدحوا وأرغموهم
على التغنى بقدراتهم الخارقة . وهؤلاء الصغار الذين يتخذون ملايس الكبار
لا يرضون ان يكون نبوغهم فى جانب واحد من الحياة أو فى ناحية واحدة
من التفوق فهم يتوهمون انهم علماء وأدباء وساسة وأصحاب وسامة وجمال
ورشاقة وانهم على كل شىء قادرون والذين حولهم لا يقف بهم نفاق عند
حد وهم - والعياذ بالله - بلا حياء ومن فقد حياءه زاد نفاقه لأنه بلا كرامة
ترده وبلا خلق يردعه . والذى يصدقه أشد منه وقاحة وأكثر منه جهلا .

مصير هؤلاء معروف . فان الحياة ترفض من يريد ان يخلق لها
ناموسا غير ناموسها أو يحاول أن يضع لدورانها دستورا غير دستورها .
وسبحان الذى قال « فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث
فى الأرض » . ومثل هذا النوع من الانسان زبد فهو جفاء وهو لا يمكث ؟

١٩٨٧/٢/٢٦ الأهرام

نصيفي

للسيوعيين - والعياذ بالله - نوع من الخلق ينفردون به عن سائر المخلوقات في العالم - وهم - في أنماط أخلاقهم هذه يتشابهون حذوك النعل بالنعل في كل جماعة لهم لا يختلف رهط منهم عن رهط ولا تجمع لهم عن تجمع .

فهم جميعا ينطقون عن لسان واحد والحجة التي تجدها عند أحدهم تجدها عند الآخر وإن تباعدت بين الاثنين الأماكن . . . وإن شبط مستقر أحدهم عن مستقر الآخر . والمراقب لهم يدرك من فوره أن جميعهم أبواق لصدر اذاعي واحد . وإن جميعهم صدى لصوت أمر ينطلق من هناك وينقله حجر منهم في شكل انسان . أو أن شئت فقل في وعاء انسان الى حجر آخر يتخذ هو أيضا شكل الانسان . .

· وتصبح أصواتهم جميعا وكأنها نقيق ضفادع يتعالى منها الصياح وتصوت جميعها في وقت واحد لا تستطيع اذنك ان تميز صوت ضفدعة منها عن أخرى . وإنما تنطلق الضفادع جميعا بصيحة واحدة . والعجيب العجيب في شأن هؤلاء الشيعيين انهم اذا صمتوا . . صمتوا جميعا في لحظة واحدة ويسود سكون ينبيء ان الأصوات الى عودة . وتكون العودة دائما بنفس الضجيج كثيرون هم يتصاخبون وجميعهم يقول مايقوله الآخر .

تصاعدت أصوات ضفادعهم في الفترة الأخيرة موجهة نقيقتها الى شخصي ، وغاية ما أسفر عنه صياحهم انني كنت ضد حرية الرأي في ساحة فخامة رئيس الجمهورية حين اجتمع بالكتاب وهو يفتتح معرض الكتاب .

وان لهم لصفاقة هيهات والاف هيهات ان تتأني لغيرهم . وقد رموني بتهمة لم أصنعها والشهود على صدقي وكذبهم أكثر من مائة كاتب كانوا يشهدون اللقاء وقد استمعوا الى كل كلمة قيلت فيه ولو كانوا على ذرة من حياء لخرجوا ان يفتروا فريتهم تلك والشهود جميعا يعرفون كذبهم واختلافهم واعتداءهم على الحق .

أما الواقعة كما حدثت فهي أن عالمهم محمود أمين العالم طلب الكلمة من فخامة الرئيس فأعطاه إياها فراح يلقي حديثاً طويلاً لم يجعل له عنواناً وإنما كل كلمة فيه تطالب بأن تطبق مصر النظرية الشيوعية الماركسية .

ولم يفجر المتحدث أن روسيا وهي روسيا بدأت باخرة تتخلى عن كل ما كان ينادى به سيادته ويريد تطبيقه .

وزاح الرئيس يستمع ويناقش في هدوء وفي أدب جم نعرفه فيه جميعاً واستمر النقاش حتى سأل الرئيس في هدوء :
- يعنى ماذا تريدنا أن نفعل .

وقلت أنا فى محاولة طبيغية لوضع عنوان لحديث الأستاذ محمود أمين العالم :

- انه ياسيادة الرئيس يريد أن يطبق النظرية الشيوعية الماركسية على حكم مصر .

وارتج على الأستاذ محمود أمين العالم وكأنما لم يكن يتوقع أن يعلن واحد من الحاضرين عنوان الحديث الطويل الذى ألقاه ولم يجد شيئاً يقوله الا جملة متلهثمة مترددة :

- لا لا النظرية الشيوعية لا لا هذه موعدها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة .

وانتهى النقاش .

وخرج جميع الشيوعيين من ججورهم . ما كان لرئيس اتحاد الكتاب أن يمنع أحداً من ابداء رأيه وثروت أباطة يصادر الرأى . والمدافع عن الحرية يتصدى للحرية . وتجاوبت أعمداتهم ومجلاتهم متناوحة تحمل نقيضاً واحداً الا كاتبا منهم هو الأستاذ عبد الستار الطويلة الذى أكن له احترام الخصم فى الرأى الذى يمنعه كرم نفسه أن يخلط خصومته بدخل أو كذب أو ادعاء باطل .

فقد كان شريفاً فى حديثه عنى وما أحسب التهمة التى وجهها الى إلا سوء تفاهم لا ألومه عليه وأشكره فى ذات الوقت على نبيل رأيه فى .

وما هذه هي المرة الأولى التي يخلق فيها الشيوعيون الأكاذيب عنى
ثم يصدقونها ثم تتوالى مقالاتهم فى مهاجمتى من أجل الواقعة التي يعلمون
هم علم يقين انهم اختلقوها . ولكن هذا دأبهم فما رأيت فى حياتى أجراً
على الحق منهم . وما العجب ؟ والمذهب بأجمعه يقوم على انكار الحق وهو
الحق سبحانه وتعالى عما يشركون .

قال قائلهم ونشر بجريدة عربية تصدر فى دولة عربية: ان ثروت أباظة
طالب بمنع دخول الشعاع نزار القباني الى مصر . فى هذه الزيارة التي
أدعوا فيها اننى أريد ان أمنع دخول الشعاع الى مصر التقيت بالشاعر
فى « الأهرام » ودعوته ان يشرفنى ببيتى فى غداء أو عشاء فنحن صديقان
قديمان ولقد طالما شرفنى ببيتى والتقيت به أكثر من مرة فى بيت عمى
عزيز أباظة باشا الذى كان يصر على دعوته كلما جاء الى القاهرة . وقد دعانى
نزار الى بيته أكثر من مرة . فكيف تنوطد بيننا هذه العلاقة . وكيف
أدعوه الى بيتى وفى نفس اليوم أطلب بأن يمنع من الدخول الى مصر .

هذه واحدة وأخرى . من تضب رئيس اتحاد الكتاب يونابا على مداخل
مصر . وبأى صفة يحق لى ان أطلب بادخال أى شخص أو بعدم دخوله .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يطالب رئيس اتحاد الكتاب وهى نقابة
حملة القلم باتخاذ اجراء تعسفى ضد واحد من شعراء العصر أو أى حامل
للقلم .

كانت القرية مضحكة واضحة الهزل والضحالة فأوليتها أذنا غير
صاغية وأهملت شأنها .

ولكن الكذبة سمعت بأصوات الضفادع الى أركان الأرض العربية
جميعا وتصايحت أقلام الشيوعيين من كل حذب وصوب ترفض موقفى
الذى لم اتخذه ولم أفكر فى اتخذه ولم أتصور ان من حقى أو من واجبى
ان أقفه .

وجاءنى محرر من الجريدة العربية التى نشرت الخبر أول ظهوره
فبادرت بتكذيب ما اختلقوه اختلاقا ونشر المحرر الأمير الخبر ووضعت
الجريدة مشكورة فى مكان واضح من صفحاتها .

فهل أجدى التكذيب هيهات . . مازال الشيوعيون حتى الأيام الأخيرة
الماضية ينددون بالموقف الذى لم اتخذه ولم أفكر فى اتخذه .

ونزار قباني شاعر من أعظم شعراء جيله • ونحن لانحاسب الشعراء على مواقفهم السياسية • ولو فعلنا لتعرض أغلب الشعراء من الجاهلية الى يومنا هذا لرفض شديد • ولكن المتنبي أكبر شعراء العربية بعد شوقي أكثر الشعراء تعرضا للمحاسبة وانما ينبغي ان يكون دأبنا مع الشعراء ما وصفهم به الخلاق العليم في محكم قرآنه « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون » • صدق الله العظيم •

ومالنا أن نحاسب نزار على تقلب رأيه بشأن نقده لمصر أو مديحه لها وبين كتاب مصر الذين ينتسبون بأبائهم وأمهاتهم وعظام أجدادهم الى مصر من باعوها حين ذهبوا الى الدول العربية بيع السماح أو بيع اللثام وراحوا يكيلون الشتائم لمصر وحكام مصر ويتقاضون أجر أعراسهم ثمنا دنسا حقيرا •

ثم هاهم أولاء اليوم بين ربوع مصر يقولون آراءهم مديحا ونقدا كأنهم ما باعوا مصر بأموال مازالت حتى اليوم تملأ خزائنها • وغفرت لهم مصر ومن يغفر اذا لم تغفر الأم • وغفرنا نحن أبناء مصر ما أساءوا ومن أولى بالغفران للأخ من أخيه •

وها هو ذا الشاعر الفنان نزار قباني يعود الى مصر منشدا لها تشييد الحبيب العائد الى حبه • وما زالت مصر هي حب العرب أجمعين • يحبونها على أى حال هي عليه • وقد يضيقون بما تعانيه ولكنها عندهم أجمل من أمريكا التي يجدون فيها آخر ما وصل اليه الانسان لتدليل الانسان • ولكنهم لا يجدونه فيها أو في غيرها دفع الأخوة العربية ولن يجسدوا • ولا يجدون فيها ولن يجدوا ما يلتقون به في مصر من فن يخاطبهم ويخاطبونه ويناجيهم فيفهمون نجواه •

فمرحبا بنزار الشاعر المطبوع الذي اعتبره أنا ويعتبره كل منصف واحدا من علامات جيله في الشعر العربي • ومرحبا به في بيتي الكبير مصر • ومرحبا به في بيتي الصغير الذي ظالما زاره والذي اعتقد أنه يعتبره واحدا من أقرب البيوت الى نفسه بين البيوت الكثيرة التي ترحب به في مصر •

١٩٨٧/٣/١ الأهرام

الأيدى الفصيحة

أحسب ان هذه الكلمة ستظهر وقد انتهى كل نبا فى شأن المرشحين الى مستقر .

ومع انتهاء الأحزاب من اختيار قوائمهم سنرى وجوها راضية وأخرى عليها من الغضب فترة . . ولا علينا من هؤلاء ولا من هؤلاء فكل من تظلم نفسه للتشريع يظن انه مكتسح خصومه وان الناس لا تحب أحدا قدر حبها له . وسبحانه وتعالى هو وحده الذى يعلم الإللوب وهوأها فى سخطها ورضأها .

لم يكن الناس على أية حال راضين عن المجلس المنحل ولذلك نرى الشعب جميعه مقتنعا لأول مرة فى تاريخ الاستفتاء بصحة نسبة التسعين فى المائة . فهى نسبة تمثل اتجاه الشعب حقا فى غير افتئات عليه .

وكره الناس فى أعضاء المجلس القديم انصرافهم عن مصالح الوطن العليا وسعيهم الحثيث لتحقيق المصالح الخاصة . وكره الناس كثرة التصنيق والتهليل . وكره من المعارضة الصوت المرتفع الجهر الذى لا يقول شيئا . وكره منها ادعاء البطولة فيما لا بطولة فيه . وكره الناس تصاذم المنصة مع الأعضاء وحجبها للأسئلة والاستجوابات وهى الوسائل الجادة للمعارضة التى يستطيع بها المعارض ان يقدم رأيا ذا قيمة وتستطيع الحكومة عن طريقها ان تبين وجهة نظرها ان كانت سليمة أو العبدول الى الطريق الأقوم ان لم تكن سائبة فيه . وكره الناس من أعضاء المجلس القديم حرصهم على اثبات أسمائهم لينالوا مكافأة الحضور ثم انصرافهم بعد ذلك عن الجلسات ليسعى كل منهم الى شأن يغنيه . وكره الناس خوف الأعضاء من مواجهة كبريات الأمور وأمهاات المسائل والخطر الخطير من شئون الدولة . وكره الناس من المجلس جميعه منصبة وأعضاء حرصهم غاية الحرص ان يحجبوا القوانين عن مجلس الشورى وهم يعلمون كل العلم انه يجمع بين جنباته عقولا باذخة تشرف بها مصر بل يشرف بها كل فرع ثقافى بمثلونه فى أنحاء المعمورة .

وكره الناس ان تخرج احصائية مخجلة تثبت ان أكثر من مائتى عضو لم يفتحوا فما بكلمة واحدة وتساءل الناس وانى معهم أتساءل ما حرصهم اذن على مقعد فى مجلس نيابى وهم يكلم الأفواه فصحاء الأيدى • فهم عن الكلام معرضون وهم الى التصفيق يتسابقون • ولقد نعلم - وبئس ما نعلم - ان التصفيق الذى يرتكبونه هو على صغاره وهوانه أشرف ما تصنعه أيدي البعض منهم مهما يكن هذا البعض قليلا • وكره الناس تجمع نواب الشعب والرقباء على السلطة التنفيذية حول الوزراء فى معاملهم وبأيديهم مطالبهم أو مطالب أصدقائهم • وجميعنا يعلم ان كل وزير يخصص لأعضاء مجلس الشعب والشورى أياما محددة فى الاسبوع ليلتقى بهم وينظر فى مطالب دوائرهم •

وكره الناس من أعضاء المجلس الماضى ان نواب الشعب رفضوا ان يتحرروا من ربة الناخبين وقد كانت انتخابات القائمة كفيفة ان تجعلهم نوابا لمصر جميعها وليس للدائرة التى يمثلونها وحدها • وهذا هو الأصل الدستورى الذى تقوم عليه عضوية المجالس التشريعية • كما ان الأصل الدستورى أيضا ان عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب • ولا يمنع هذا النائب ان يرفع ظلما عن ابن دائرته اذا وقع عليه ظلم أو ان يرد عنه غائلة الحياة اذا ما غالته الحياة على ان يكون عمله هذا بجانب واجبه الأصل الذى تفترض الديمقراطية انه انتخب من أجله نظرا فى التشريعات ومساءلة للحكومة •

وكره الناس ان تتحدد صلات أعضاء مجلس الشعب بالوزراء على أساس الخدمات الشخصية التى يقدمها الوزراء لممثل الشعب ودويهم ومن يلوذ بهم ومن يجعل منهم وساطة الى الوزير • فاذا أجابهم الى مطالبهم مهما تكن جائزة صفقوا له وأجسوه وان أبى الا الحق انصرفوا عنه وكرهوه •

واليوم تلك هى القوائم وأولئك هم المرشحون فى الدوائر الفردية • وهذه هى الانتخابات قد بدأت فهل يدرى المرشحون ماذا ينتظر الشعب منهم كمرشحين ثم ماذا ينتظر منهم اذا قدر لهم النجاح وأصبحوا ممثلين للأمة •

أحسب انهم يعرفون • ولكن لم أخش ان يضربوا صفحا عما يعلمون • الوعود البراقة • والكلمات الممسولة • والألفاظ الرنانة والجلسات الهامسة • والعلاقات الدفينة • والايمان الكاذبة • والتلطف الذى لا يخدع

أحدا • والعزاء في كل ميت • والتهنئة لكل مناسبة ولغير مناسبة •
والبرادقات واللافات والهنافات والطبول والزمر • كل هذا لن يفيدهم
شيئا ، ان من مجاسن انتخاب القائمة ان الناخب ينبغي له ان ينتخب
المبدأ لا الشخص • ويعطى صوته للقائمة التي لا تضم بين أعضائها من
يعلمون عنه ما يخدش الشرف أو يجرح الأمانة •

فاذا فاز من فاز ، أفيدري ماذا عليه أن يواجه •

كبريات الأمور لا صغائرها •

ومصير أمته ومستقبلها •

لم تعد مصر تستطيع أن تصبر على ما ابتلاها به الزمن من قوانين
هائلة ، ومن شعارات كاذبة ، ومن مقولات فارغة • أدت بها إلى هذا
الانهيار الاقتصادي الذي لا بد لنا أن نواجه مواجهة صادقة لا ميوعة فيها
ولا مهادنة •

سيواجه المجلس الجديد القوانين الظالمة الغاشمة التي تجعل العامل
الكسول الحامل ينال نفس الحقوق والحوافز التي يتسلها العامل المجتهد
الأمين الصادق • هذا الخيف القاتل للانتاج يقع في غيبة الجزاء والثواب •
غيبه لاتعرفها دولة في العالم من شرقيه الى غربيه •

سيواجه المجلس موقفا حاسما مع العاملين في القطاع العام الذي
بلغت جملة أرباحه المتدهورة واحدا في المائة بنسبة لا يعرفها التاريخ •
ولم لا والعاملون فيه يشعرون انهم سينالون رواتبهم وعلاواتهم وحوافزهم
ومكافئاتهم وبدائل طبائع العمل والوقت الاضافي والأجازات المدفوعة الأجر
مهما تكن الشركة التي يعملون بها خاسرة خسارة فادحة قاتلة مهينة •
وما لهم الا تنماع نفوسهم وهم يحرقون الآلات بملايين الجنيهات لأنهم
لم ينالوا حوافز الخسارة التي حققوها والخراب الذي أحلوه بالبلاد •

المجلس القادم سيواجه هذا واما أن يأخذ موقفا حازما واما ان
تضطر مصر ان تأخذ هي الموقف • فالدول لامتوت ولكن يموت فيها من
لا يؤدى واجبه بالصدق الذي ينبغي له وبالأمانة الخليفة بأعضاء مجالسها
التشريعية •

المجلس القادم سيواجه وحتم عليه ان يواجه مشاكل التعليم
أو ان شئت فقل مشاكل عدم التعليم في مصر ولا تقل الدستور فالدستور

قانون أم • والأم رحيمة بأبنائها • نعمة هي وليست نعمة، خنان هي وليست تدميرا • في ظل لافتة مجانية التعليم لابد ان يحرم من المجانية كل طالب يرسب في الامتحان في أى سنة من سنوات الدراسة سواء كانت ابتدائية أو اعدادية أو ثانوية أو جامعية • وفي ظل مجانية التعليم وجدت المدارس الخاصة ينفق فيها التلاميذ آلاف الجنيهات حتى اذا أصبحوا تلامذة في الجامعة حجبوا أموالهم وكنزوها واشتروا بها لأبنائهم السيارات الفارهة تتبجح في صفوف أمام الجامعات حتى لقد أعلن أحد رؤساء الجامعات انه أعد لهم الأرض الشاسعة لتكون مرتعا لسياراتهم • أتقف سياراتهم بالخارج ويدخلون هم الى المدرجات والمعامل يتلقون تعليمهم مجانا بلا مقابل •

أى دستور يقر هذا وأى عرف وأى أمانة وأى شرف • سيواجه المجلس القادم أهوال القطاع العام جميعا • سيواجه حالة فريدة في أنحاء المعمورة • دولة في قطاعها العام المحلات التجارية والذي تعرفه الدول ان تكون الصناعة قطاعا عاما وما عرفت الدول ذات الاقتصاد الحر محلات بيع في اطار القطاع العام قط • وان كانت الدول الشيوعية تعرفها فهي ذى تتخلص منها •

سيواجه المجلس الشعبى القادم ان يقول كلمته وان يحسم الراى في القطاع العام الخاسر الجائر الذى يبتلع أموال الدولة وعليه ان يقر الراى الاقتصادى الذى لا رأى غيره الا يبقى الا القطاع العام الأكبر الذى لابد للدولة ان تقوم بعبئه وان يصفى القطاع العام الخاسر مع الانسانية كل الانسانية بعمالة فما يقبل مجلس نياى أن يضيع حق فرد من أفراد الشعب • وانما كما تراعى الدولة الناحية الانسانية فى معاملتها لأبنائها لابد من الناحية الأخرى ان يراعى أبناؤها الناحية الانسانية فى معاملتهم للدولة • وانما الدولة هي هؤلاء الأفراد كلهم ومعهم أبناؤهم وأزواجهم وآباؤهم وآمهاتهم وكل ذويهم •

فى أى عرف فى العالم تبيع الدولة الدبوس والفول وتبيع الطعمية • أى مهانة للدولة ان تتصدى لمثل هذا • والعجيب المضحك المفجع انها أيضا تخسر حين تبيع الفول والطعمية •

ونسبح وويل لنا حين نسمع ان متاجر القطاع العام مثل عمر أفندى والصالون الأخضر وصينداوى وغيرها كثير تؤجر للقطاع الخاص أركانها فيها ليبيع القطاع الخاص منتجاته •

ويل لدولة تتحايل على نفسها وويل لقانون يتستر على قانون وويل لنا
من أنفسنا اذا نحن لم نواجه الحقيقة المؤكدة من انهيار القطاع العام
بالحق الذى لا حق غيره • بالقانون نواجه الزيف وبالجرأة نواجه الجبن •
وبالصراحة نواجه الاحتيال وبعون الله يكتب النصر للمفلحين الذين على
ربهم يتوكلون والذين اذا عرفوا الحق لزموه غير مخادعين ولا محاذرين
ولا مجانبين •

على المجلس القادم ان يواجه هذا ويواجه الكثير من أمثال هذا المين
والخداع والغش ويدعو الله من أعماق القلوب ان رب أهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين •

وحينئذ يسيقول شعب مصر جميعا أمين •

١٩٨٧/٣/٨ الأهرام

مصريون *** مصريون

مصريون ** مصريون نحن بكل قطرة من دمائنا ** بكل مسرى من مجرى دمائنا ، مصريون بأعراقنا التي ورتناها عن آبائنا ، ومصريون بأعراقنا التي تختلج بها قلوب أبنائنا . آمالنا كلها تطوف بأرض مصر وسمائها ومسالك الهواء في أجوائها ومجرى الجداول من نيلها وأمواج البحرين على ضفافها .

وغاياتنا ان يكون الرغد والرخاء والأمن والنماء أحضان مصر وحياتها وتربها ونبتها من الشجرة اللفاء عريقة الجذور الى أعواد الزروع الحديثة الاخضرار .

وفي يوم من الأيام هتف قائل محموم لا يكفي أن نقول مصر حتى تنحني الرؤوس ويله يوم نادى هذا النداء ** ما أعظم ما تبجح وما أبغض ما فجر به . كان في ذلك اليوم ذا منصب واتخذ من منصبه جنة يستجن بها ليهاجم مصر وهو مصرى من القاف حنايا مصر ** جعل منصبه دريئة ودربا ليطلق صيحته الرعناء الجمقاء التي لا أشك ان مددها كان مالا دنسها تسرب اليه في ليل من الحاقدين على مصر والشائنين من أقزام الدول . وحسب الأحق أن صيحته ستبتلعها أفناء مصر ولا تلتفت اليها ويكون هو قد زاد خزائنه مالا وزاد ذمته بالمالية المتجردة من الأمانة ثراء بالنقود وليس يعنيه من بعد ان تزداد فقرا الى الشرف والكرامة والوطنية والانتماء .

ويحه ماذا قال ** وأى شاية تغيا ** وأى هدف تقصده ** اننا نحن أبناء مصر اذا سمعنا كلمة مصر خشعت منها القلوب ووجفت مناحيب الأفئدة وخضعت منا الحياة .

فان يكن هناك يسار فليكن يسارا مصريا أو يمين فليكن يميناً مصرياً .

وان تزيا اليسار بالاشتراكية أو تسربل اليمين بالتطرف الدينى فلا بد للقلوب ان تظل مصرية أصيلة عميقة الايمان بمصريتها .

ليس مصريا يسار يمد يديه خارج مصر ليصبح ان العالم كله وحدة
وان الوطنية شعوبية وان الوفاء للدولة تفريق بين أبناء الانسانية .

فمن أحضان الأم تنبت الانسانية فى العالم ومن عبير تراب الوطن
نشعر بالوجود البشرى ومن لم يعرف كيف يحب أمه جهل كيف يحب
وطنه ومن لم يعرف كيف يحب وطنه جهل كيف يحب الانسان فى كل
مكان .

كاذب ذلك الذى يدعو الى خير البشرية قبل ان يدعو الى خير وطنه .
وهو يتقاضى من أجل ذلك أموالا هى أحقر ما يصيب انسان من مال على
وجه الأرض .

بل ان الذين يلعبون الى عالمية الفن يدركون كل الادراك ان عالمية
الفن لا تكون ولن تكون الا من محلية هذا الفن ونمائه فى أحضان وطن
تغذى من لبنائه وشب من بين أحضانه ومضى شأنه الى العالم بجناحين راشهما
الوطن الذى ولد فيه ونما وشب .

وما أصبح الكتاب العالميون عالميين الا لأنهم كتبوا عن مواطنهم وكانوا
على أوسع علم يخفاها وبالبعيد البعيد من أسرارها . كان هؤلاء الكتاب
بين كل اثنين يتناجيان . وفى كل جماعة تتنادم . وفى كل رهط يسمر . .
ومع كل عامل فى دكانه وبيته أو حجرته . وكان يتعرف على الأسرار الخبيثة
فى بيته . وكان مع كل فلاح يفلح أرضه . كان الكاتب فاسه ومنجله وكان
معه وأبنائه به يتحلقون أو يتقاضبون . . كان يعرف آمال كل فرد فى
شعبه كما يعرف آلامهم وكان فرحتهم وحزنهم وابتهاجهم وغضبهم ورضاهم
وسخطهم . وبهذا الامعان فى المحلية أصبح تولستوى ودستوفسكى
وبسترنك وشكسبير وديكنز وهاردى وهيجو وبلزاك وزولا ودوديه وجيته
وهمنجواى وستاينبك ومورافيا وكل من بلغ مكانتهم عالميين .

ان العالمية بنت الوطنية . والمحلية هى الأساس الأول ليجوب اسم
الفنان أنحاء المعمورة .

فحين ينادى اليساريون أو غيرهم ممن لف لفهم بالتخلي عن الوطنية
انما يفترون فرية عظيمة تحضهم عليها الدول الشيوعية التى تريده ان تمتص
كل ثروات الدول الأخرى .

وحين ينساقون بأن الدين هو أفيون الشعوب . . وانه لا يؤمن
الا الرجعيون الجامدون تضحك منهم البشرية — وتسخر من جهلهم . .

فان الأديان هي حضارة البشرية وهي الفكر التقدمي الذي جاء ليهدي الرجعيين السلفيين الذين يتجمدون كالصجارة التي كان آباؤهم يعمدون ولو كان الشيوخ يقرأون القرآن لقراوا الآيات الكثيرة التي تذهب الآيات الكريمة .

« أم أتيناكم كتابا من قبله فهم به مستمسكون » بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة انا على آثارتهم مهتدون .. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية الا قال مترفوها ! انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارتهم مقتدون قال أولو جفتكم باهدي مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » . صدق الله العظيم .

ولعرفوا ان الرجعية هي الالحاد . ولكنهم لا يريدون ان يعرفوا . أو لا يريدون ان يعلنوا انهم عرفوا أو يعلنون هذا فتقطع عنهم الأموال التي تنهل عليهم من كل حذب وصوب .

انما نرفع شعار مصر ليرتد عنا المتطرفون الشيوعيون الملحدون بالله والوطن خاسرين حيثما وجدوا لا قبلة لهم الا الخزي ولا عاقبة لهم في الدنيا أو الآخرة الا الفشل والبوار .

ونرفع شعار مصر لقوم آخرين يريدون ان يتخذوا الدين مطية ليصلوا بها الى حكمنا فيصبح أمرنا على أيديهم فرطا .

فهم قرأوا القرآن ثم أبوا ان يتدبروه . نسوا قوله تعالى « هل كنت الا بشرا رسولا » ونسوا « لست عليهم بمسيطر » ونسوا « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » وقوله تعالى « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين » وقوله تعالى « ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » .

فاذا كان الله جل وعلا رفيع الدرجات ذو العرش لم يقدر لرسوله وهو رسوله وسيد البشر أجمعين وصلة السماء بالأرض الا ان يكون رسولا فقط ومبلغا فحسب ونفى عنه ان يكون مسيطرا فكيف تريدون انتم لانفسكم ان تفرضوا علينا عصاكم قهرا ، وكبرا وطغيانا تا لله ما تريدونها الا عوجا . وتبغونها نارا تضرمون لهيبتها . وما أضرم انسان نارا بالباطل الا اكلته أول مأكول وكان هو أول حريقها وحطبتها .

اننا نرفع شعارا .. ينادى منادينا في كل منتدى مصر .. واسألکم يا أبناء مصر الخالص الشرفاء .. أتعرفون نداء أجمل في القلوب . أو أعذب في الآذان أو أسعد للنفوس من هذا النداء .

اننا نرفعه شعارا لأننا نعرف ان هناك فئات من الناس انتمت
مصالحتها الى غير صالح مصر . . ونعرف ان مصالح هذه الفئات أصبحت
مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يجر على مصر الخراب والهوان . وهيئات
ألف هيئات لن يصل الخراب الى مصر مهما يجهد بهم السعي وهيئات
ألف هيئات فلن يمس الهوان نسمة من أجواء مصر . انها كنانة الله في
أرضه ونحن أبناؤها دماؤنا حصنها دون أي عريضة يحاول ان يمس ذرة
من ترابها بهوان هذا شعارنا نرفعه ونموت دونه ويرفعه معنا أبناء مصر
قاطبة من أقصى بحرها شمالا الى أقصى أسوانها جنوبا ومن حدود صحرائها
في المغرب الى حدود صحرائها في المشرق .

لن يخلصنا فاجر كافر ملحد ولن يزايد بديننا تاجر بضاعته زيف
وحيثه مين ووسيلته خلداع .

والله سبحانه سيفتح بيننا بالحق فانه جل علاه بالحق أنزله وبالحق
نزل ونحن نرفض كل من يعاديه كما نرفض من يتخذ منه في الدنيا
تجارة ومكتنا لغير ما يرضى الله تقديست أسماؤه وعلا وتباركت الأوه .

١٥/٣/١٩٨٧ الأهرام

اتقوا الله فى الحرية

ان الامر جد لاهزل فيه • واللاى يجرى الآن على الساحة المصرية
أمر خطير كل الخطورة وأحسب أن السكوت عليه تأمر صريح على مستقبل
مصر ومستقبل الديمقراطية فيها • وانى لأخشى كل الخشية أن يشغل
اللاعبون الفعل النار فى مستقبلنا ومستقبل أبنائنا الى مدى لا يدرك
الا الله وحده نهايته وأبعاده وأعماقه جميعا • انها فتنة يمددها بالمال أعداء
مصر من الدول العابثة بأقدار بنيها والحريضة كل الحرص على احراق
مصر •

ليس الأمر هتافا وتعصبا أحرق ومتأجرة بالدين وانما هو حريق
يشب فياكل كل ما نما فى بلادنا من حرية وديموقراطية وما ثبت فى
أرجائها وعلى طول تاريخها من ألفة دينية ووافق بين الأديان فى ربوعها •

ان الذى يجرى الآن تحايل هازل مضحك • فهو مخالفة صريحة
للدستور واذا لم يكن الدستور ذا قيمة فعلى البلاد السلام • ان كل
دستور لابد أن يكون مقدسا مادام قائما ، وان لك أن تطلب تغييره ولك
أن تختلف معه فى الراى ولكن ليس لك أن تحطمه بأى حال من الأحوال
وعلى أى صورة من الصور وليس لك أيضا أن تتحايل على نصوصه وهذا
التحايل يجرى الآن فى علانية صريحة بتعاون حزبين قائمين على أسس
قانونية مع جماعات دينية ليس لها أن تكون حزبا وليس لها أن تكون
ممثلة فى المجالس التشريعية • ان الذى يحدث ينافى المنطق والدين وقانون
الأحزاب فى قيام حزب على أسس دينية !! السنا مسلمين نحن ؟! اليس
الاسلام عقيدتنا التى نعبد بها الله الأحد فمن أعطاهم الحق أن يكونوا
قواما علينا فى صلة مقدسة بين الانسان وربه ؟! ومن نصيهم أوصياء
على ديننا ومعتقداتنا ؟! واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لنا الخيرة
فيما نعبد فما بالهم هم يشهرون علينا أسلحتهم وان تصرفاتنا فى ديننا
ودنيانا هى الأمانة التى عرضها سبحانه وتعالى على السماوات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملناها نحن الانسان ثم نحن
الى ربنا كادحون واليه جل علاه منقلبون فتجرى كل نفس بما قدمت لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تظلم فتىلا •

ايضعون أنفسهم آلهة علينا بالسلاح هيهات • والله الذي لا اله الا هو لن يكون هذا أبدا •

ان دستورنا كان صريحا جاء في المادة الخامسة منه :

يقوم النظام السياسى فى جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الأحزاب وذلك فى اطار المقومات والمبادئ الأساسية للمجتمع المصرى المنصوص عليها فى الدستور وينظم القانون الأحزاب السياسية •

وهكذا يصبح القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بنظم الأحزاب السياسية قانونا مكملًا للدستور وتصبح مخالفته مخالفة للدستور وفى المادة ٣/٤ :

عدم قيام الحزب فى مبادئه أو برامجه أو فى مباشرة نشاطه أو اختيار قياداته أو أعضائه على أساس يتعارض مع أحكام القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى أو على أساس طبقي أو طائفي أو فئوي أو جغرافى أو على أساس التفرقة بسبب الجنس أو الدين أو العقيدة •

وقد كان الدستور والقانون جميعا حصيلتين غاية الحصانة فى رفض أن تقوم الأحزاب على أساس دينى • وهذا المذهب الدستورى تطبيق لقوله تعالى فى سورة النساء « يا أهل الكتاب لاتغفلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » •

ثم لقوله تقديست أسماؤه مرة أخرى فى سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لاتغفلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » •

سبحانك جل شأنك كانما نزلت هذه الآيات لهؤلاء الذين يحاولون اليوم أن يفرضوا علينا بأنفسهم بالطغيان والجبروت وبالجهل فشابين جماعاتهم وانك سبحانك تخاطب أهل الكتاب أفلا يعقلون أم على القلوب منيم أقفالها •

ألا يدركون أنهم بهذا التعصب يثيرون فتنة طائفية ، الله وحده يعلم مراقبها وآثارها ، وبيننا وفى كل ناحية من حياتنا وفى كل ناحية من مصرنا

اخوان لنا احباء يدفع الله عنهم ويحميهم ويقول تباركت آلاؤه » ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ! ان الله لقوى عزيز ٠٠ » .

ثم يذكرهم سبحانه وتعالى مرة أخرى فى محكم قرآنه بقوله « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمننا فاكبتنا مع الشاهدين » سورة المائدة الآيتان ٨٢ و ٨٣ .

ألا يدرك أولئك المتعصبون أى كارثة يعرضون لها البلاد بما يفعلون انهم أصبحوا أحزابا لا شك فى ذلك وأنهم يتقدمون الى الانتخابات بهذه الصفة وليس يجديهم هذا التحايل الذى يصطنعونه من لبس عباءة أحزاب أخرى قامت على أسس قانونية ولكن ليس لها فى الشارع المصرى حليف أو نصير .

فهى اذن صفقة تبيع الجماعات المتطرفة تطرفها الدينى الذى تخادع به المسلمين عن حقيقة دينهم فى مقابل أن تنال الأحزاب المتحالفة معها مفهدين للرئيسين فى مجلس الشعب .

فالدين أصبح سلعة والأحزاب المتحالفة أصبحت خدعة والمشاعر الدينية المقدسة أصبحت بفعل المتطرفين ثمنا فى الصفقة الباطلة .

ويكتب بعض كتاب أن هذا قد يؤدى بمصر أن تصبح لبنان أخرى وما هذا بواقع وهيهات له أن يكون .

فما أمس لبنان على حال من الهول والويل والحريق المناجع والتمزيق المروع الا لأنها كانت بلدا بغير جيش وكان السلاح بها فى يد عصايات ترفع شعارات وتشابكت الأهواء وعميت الأبصار وتجمدت الأفئدة فهى أحجار واقتتل الأخوة وصدق فى شأنهم قول البحترى :

شواجر أرماع تقطع دونها
شواجر أرحام ملوم قطوعها
إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

ولكن لبنان أصبحت دماء بلا دموع وسلاح بلا قلوب ورجالا بلا أوطان
ومخلوقات بلا هوية وبشرا بلا انتماء •

ولن تكون مصر هكذا •

ففي مصر أقوى جيش في الشرق الأوسط والذي نخشاه كل
الخشية لها أن تصبح مثل لبنان •• فمثل لبنان لن نكون أبدا • وانما
الذي نخشاه ان يضطر جيشنا ان ينزل الى الساحة •

وان حرية الوطن وما بلغناه من الديمقراطية أمانة في أعناقنا فان
ثمن الحرية يدفعه كل فرد من أفراد الشعب وحرية كل فرد في الوطن
تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين ومن يعتدي على حرية الغير حتم عليه أن
يتوقع اعتداء الغير على حريته •

أيها المتطرفون فيثوا الى رشد من دينكم وعودوا الى أحضان
أوطانكم واتقوا الله في أبنائكم وإخوانكم وذويكم واحذروا أن تلهبوا
اللسنة النار في حرية رأينا الحياة بغيرها جحيما من الجحيم ووبالا ونكالا
وغصصا وهموما ثقالا •

والله من فوقنا وفوقكم هو حسبنا وهو العدالة المطلقة اليه عاقبة
الأمور وحسبنا جل علاه موثلا ووكيلا •

الأهرام ١٩٨٧/٣/٢٢

مصباح فيهديه

جاء في كتاب قصص العرب حكاية رواها فقيه من فقهاء الشافعية اسمه أبو حامد الأسفرايني واننى سأروى لك القصة فى صياغتى أنا فانما أريد أن أخرج منها بحديث أهفو ان أطرحه عليه يقول فدوى القصة أنه كان يوما عند فخر الملك وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن الشاعر الذى اشتهر باسم الشريف الرضى فأعظمه وأكبره ورفع من منزلته • ترك ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن أنصرف •

ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم • فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام •

وتشأغل عنه برقاع يقرؤها وتوقعات يوقع بها ، فجلس قليلا ، وسأله أمرا ففضاه ثم انصرف •

ويقول أبو حامد أنه تقدم الى الوزير وسأله :

– أصلح الله الوزير • هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب العلم وهو الأمثل الأفضل منهما • وانما أبو الحسن شاعر فقط •

– انتظر حتى يخلو بنا المجلس فأجيبك •

وخلا المجلس • ومده الوزير يده الى أبى حامد بخطاب كان يحفظه بين أوراقه وقال :

– هذا كتاب الشريف الرضى • اتصل بى أنه قد ولد له ولد فأرسل اليه ألف دينار وقلت هذه للقبالة – فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء الى أخلائهم وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال – فردها وكتب الى هذا الكتاب فاقرأه •

ويقول أبو حامد انه قرأ الخطاب فوجده اعتذارا عن الرد وأنه يقول فى جملته « اننا – أهل بيت – لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة وانما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساكننا • ولا تتقاضى عجائز بيتنا أجرة ولا يقبلن صلة » •

ثم يقول أبو حامد أن الوزير قال له بعد أن قرأ الخطاب :

— وأما المرتضى فأننا قد قررنا على الأملاك ما يشبه الضريبة في مقابل حفر نهير . وكان المبلغ المقرر على المرتضى عشرين درهما وقد كتب الى من أجل الدراهم العشرين هذا الخطاب لأرفعها عنه .

ويقول أبو حامد الخطاب ناذا هو أكثر من مائة سطر كلها خضوع وخشوع واستمالة والجاح في المسألة ليسقط عنه الوزير هذه الدراهم .

حتى اذا تم أبو حامد قراءة الخطاب قال له فخر الملك :

— فايهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل . هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحده ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر الا بالشعر وحده . ونفسه تلك النفس ؟ فقال أبو حامد :

— وفق الله الوزير فما زال موقفا وما وضع الأمر الا موضعه ولا أحله الا في محله تلك هي القصة رويتها عليك وقد أذكرتني بيت المتنبي الخالد .

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

وعجبت غاية العجب أن يقول أبو حامد هذا الذي لا أعرف من شأنه شأن أن الشريف الرضى ليس الا الشاعر . وهل أعظم من أن يكون الانسان شاعرا فنانا خلّاقا . ان الأديب الخلاق يصدر المرسوم بتعيينه خلّاقا من فوق سبع سماوات . وتستطيع السلطات في الأرض أن تعين من تعين فيما تشاء من وظائف الأرض جميعا . ولكن لا تستطيع قوة في الأرض أن تصدر مرسوما بتعيين انسان ما كاتباً أو شاعراً .

انها قوة اختص الله بها نفسه سبحانه وتعالى وليست تجوز لغير الذات الالهية جل شأنها وتقدس آلاؤها .

والفنان الحق هو الذي يعرف قدر نفسه وما اختصه به الله من موهبة لم يتحها لأحد غيره . فحين يقول سبحانه عن نفسه « فتبارك الله أحسن الخالقين » لا نتصور نحن عباد الله وجود جميع الخالقين الا هؤلاء الذين وهب الله لهم منحة الخلق الفني . ولا تجرؤ صفة الخلق أن تنصرف لغير الفن على أي لون له . ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين « يا أيها

الناس ضرب مثل فاستمعوا له ٠٠ ان الذين تدعون من دون الله
لئن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ٠ ضعف الطالب والمطلوب ٠ الحج ٧٣ ٠ والحديث كما ترى للناس
كافة على كل مذهبهم ٠ والمقارنة هنا معقودة بين الانسان وبين ما يسلبه
الذباب من الانسان وليس حتى بينه وبين الذباب ٠٠ الا ما أهون
الانسان ٠ وما أعظم غروره وما أشد ادعاؤه ٠ وهو يدري كل الدراية
أنه حين يمسسه الضر ذو دعاء عريض ٠

عجبت اذن من أبى حامد هذا واحتقاره لشأن الشعراء ثم ما لبثت
أن ارتددت عن العجب الى ادراك الحقيقة ، فقد أهان الشعراء أنفسهم ٠
والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من نفسه ذليلا أو ذا كرامة ٠

وليس الفقر بمستطيع أن يذل انسانا ٠ وكم من فقراء قبلوا الجدوى
وظلوا مرفوعي الرأس موفوري الكرامة ٠ وما قد رأيت المرئى يذل
ويرخص نفسه من أجل عشرين درهما وهو لم يجد غضاضة أن يستجدى
بالتناق والكذب اعفاه من دريهمات لا قيمة لها ٠

وليس بين الناس ممدوح لا يعرف الحق فى المديح الموجه اليه ٠
ولكن بين الناس من يضعف أمام المديح ويخادع نفسه يومئذ أنه بهذا
المديح جدير ٠ حتى اذا خلا بنفسه وخلت به أدرك الحق من صفاته ٠
وربما خيل اليه أنه ذكى عرف كيف يمكر بالمادح ويجعله يظن به هذه
الصفات الكريمة التى أضفاها عليه ٠

بينما المادح المتناق يظن بنفسه هو أيضا أنه واسع الحيلة جم الذكاء
وأنه لفق المديح عن الممدوح وفاز منه بما قدر لنفسه من عطاء أو من
مسألة أو من منفعة ٠

وكلاهما يعرف الحق عن نفسه وعن الطرف الآخر ٠ وكلاهما
يخادع نفسه بقدر ما يخادع شريكه فى السذاجة التى يظنانها خبثا وفى
الهيل الذى يحسبانه ذكاء ومكرا وسعة حيلة وحسن وسيلة ونحن اليوم
فى الموسم ٠ فحذار ٠

الناخبون لا تجوز عليهم حيلة ٠٠ وليس يفوتهم من المرشحين نفاق
أو افتعال ٠ فقد كنت فى بلدتنا غزاة منذ أيام واجتمعت بأبنائها فاذا هم
كعادتهم ساخرون أذكاء يعرفون الحق من الباطل والصدق من الزيف
فالجموع لا تخادع نفسها وليس من اليسير أن يخدعها أحد أو جماعة

يقول أبناء بلدتي : ان جماعة ممن يدعون الحفاظ على الدين قد زاروهم في مواكب من الأطباء لأن كبيرهم طبيب ويقول أبناء بلدتي انهم طالعوهم بالحق الذي وجه له المنافقون .. أين كنتم .. وما متجيثكم اليوم فقط .

امن أجل الانتخابات تمررن بنا لتوهموننا أنكم حريصون على صحتنا وعلى مصالحتنا . وأبناء بلدتي مسلمون عميق اسلامهم اذا نودى للصلاة من يوم الخميس لا تجده في شوارع القرية أحدا . وكلهم صائم في رمضان ، وأغلبهم يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع وكل من تجب عليه الزكاة يؤديها ، وكل من استطاع الى الحج سبيلا أدى الفرض بل ان كثيرين من حجاج بلدتنا أزهقوا أنفسهم ارهاقا شديدا ليحجوا الى بيت الله الحرام . وبين بلدتنا من حج منذ قرابة ثلاثين عاما على جمل وليس بالباخرة لأنه لم يكن يملك أجر الباخرة . وهو الحاج حسن أبو عويضة رحمه الله .

فحذار أيها المرشحون .. حذار .. والتحذير موجه اليكم كلكم على جميع صنوفكم . ان الشعوب في غاية الذكاء .. فلا تظنوا بانفسكم ما ليس لكم بحق من المكر والدهاء فما ينطلي مكرهم على الناخب ولا يجوز ما تحسبونونه دهاء على المجموع ورحم الله عزيز أباطة حين قال :

شعور الشعب ياجعفر	حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج	مصباح فيهديه
يميز بوحي فطمرته	عداه من محبيه

٨٧/٣/٢٩ الأهرام

ويل للكبار من الصغار

حين يجلس صغير على كرسى كبير يصبح أمره عجباً • تراه زائغ البصر ، ضائع البصيرة ، كثير الحركة ، قليل الفكر ، متخدر العقل ، ضامر العزيمة ، مسلوب الإرادة ، لا قرار له فى مكانه ولا قرار له يصدره فيما يعرض عليه من أمور •

وكلما أحس الصغير مقدار صغره وكلما رأى ضخامة الكرسى الذى يقتعبه ماعت نفسه وراح ينفخ أوداجه ويوسع من صدره فيزداد دون أن يدري صغراً ويزداد الكرسى اتساعاً ويتضاعف شعوره بالهزال فيصبح فى كرسیه مهزلة • والمهزلة مجلبة للضحك • ومن الضحك ما يكون قهقهة عالية ومنه ما يكون مكتماً •

والقهقهة معلنة ويمكن للمضحوك عليه أن يناقشها أما المكتمة فمؤلمة لمن يثيرها موجعة ولا يستطيع أن يناقشها بل هو لا يحاول أن يعلن أنه رآها أو أدركها أو أحسها •

ويزداد الصغير ارتباكاً ويحاول أن يوارى اضطرابه بمزيد من الاستئساد المثير لا عمق السخرية ويصير مخلوطاً لا يصلح لشيء • والقرارات التى تعرض على الكراسى الواسعة خطيرة ذات تأثير ضخم على الحياة فى الأوطان ، ولكن هيهات لمثل هذا الثمل من الحقارة ، الضائع فى كرسیه ، المثير للسخرية فى أهون التصرفات وأبسطها ان يصدر قراراً •

فالصغير على الكرسى الكبير أشد الناس حرصاً على هذا الكرسى فهو يعض عليه بالنواجذ • ويتمسك بوثير وسادته بكل ما يملك وما لا يملك من هوان نفس ، وضالة شأن ، ويبدل كل ما يملك من ماء وجه • وجميع ما وهب الله للإنسان من كرامة •

والصغير فى الكرسى الكبير • متكبر بلا كبرياء • ذليل فى ثياب مهرج يمثل دور ذى القدر الرفيع وهو يدري فى دخيلة نفسه أنه بلا قدر على الإطلاق •

ومادام الصغير فى الكرسى الكبير لن يستطيع ان يتخذ قرارا فى جليل الأمور وخطيرها فهو يبحث فى حرص جاهل على توافه الأمور وهيئها فيصدر فيها القرارات العاجلة والحاسمة حتى اذا وقعها خادعت نفسه صاحبها وأوهمته انه قام بالأمر العظيم ، وحسم كبريات المشاكل •

وتنتظر الأمور الخطيرة من ينظر فيها • ويطول بها الانتظار • وتمتعل صوالح الناس ويقف دولاى العمل • ويزداد حال البلد وبالا • وتختل الأسس التى كانت متماسكة أهون تماسك • ويدخل الوطن فى فى حلقة شيطانية مفرغة لا ينتهى وبأها • السبى يتفاقم سوءا والحسن القليل النادر ينحسر وتتصدع الجدران القليلة التى كانت باقية بعد أعصار الطغاة ، وبعد الحروب الطاحنة ، وبعد السرقات الفاحشة • ولا يبقى لمصر من ملاذ غير الله وحده وغير رئيس جمهورية يريد كل الخير لبلاده ثم لا يجد من يعينه على عظيم نواياه • ومن أين له بالمعين • والصغار • واقرأ الكلمة هذه المرة بفتح الصاد - يسيطر على المناصب التى لا يستقيم المعوج من أنحاء مؤسساتها الا بالقرار الحاسم الجامع المانع • ولكن الصغار - واقرأها هذه المرة بكسر الصاد - لا يصعدون قرارا ذا قيمة ولا يصعدون عن رأى سوى • ولا هم حتى يبحثون عنه فى رؤوس الكبار •

فالصغار لا يعترفون بالكبار - لأنهم فى هوان شأنهم يحسبون أنهم هم الكبار ماداموا يشغلون من المناصب كبيرها • ومن الكراسى فاخرها ومن الحجرات فخمة • وحسب مصر الله ونعم الوكيل •

ومصر التى مسها شظف العيش • والتى تعاني من فقر المال من أغنى البلاد بالرجال الكبار •

فى مصر الأفاضل العظماء • ولكن هؤلاء أصحاب كرامة • يعتزون بما وهب الله لهم من علم • وبما حصلوه من درس ومن خبرة • وهؤلاء ليس يعنيههم فى شىء ان ينالوا منصبا • أو يقتعدوا كرسىا أو يشغلوا حجرات من حجرات الصغار - وفى هذه المرة أقرأها كما تشاء بكسر الصاد أو بفتحها •

وهؤلاء الكبار لا يبحثون عن مكانه لأسمائهم فى صفحات الجرائد أو عن ذكر لهم فى الاذاعات أو عن صورة تظهر لهم على شاشات التليفزيون • وهكذا يظل هؤلاء مجهولين تردهم مكانتهم العلمية عن تقديم انفسهم للناس •

• ويرتفع بهم كبرياؤهم عن اسنجداء الشهرة • ويقف بهم احترامهم
لذواتهم ان يعرضوا أنفسهم للعمل العام •

ولكن فى مصر جهات كثيرة تعرفهم كل المعرفة • وتدرى قدرهم وتقدر
عظمتهم • فما لهذه الجهات تطوى سـجـلاتهم ! وتخفى انباءهم ! وتتستر
على ما ينبغى أن يذيع من فضلهم !

ألا تدرى هذه الجهات أنها حين تخفى شأن الكبار تفسح الميدان
للصغار •

فالمناصب لابد أن يشغلها شاغلها • فإذا غاب الشفوخ يسود الهوان •
وعودا الى العنوان •

ان هذه المناصب التى يشغلها الصغار تسيطر على كثيرين من
الكبار • ولهذا أبكى فان الزمان لا يفرج انسانا فى عمله بشر من معاملة
الصغار • فما الخطب اذا كان الصغير ذا رئاسة مفروضة له فرضا بحكم
القرار الذى وضعه على هذا الكرسي وفى هذه الحجرة •

ويل يومذاك للكبار • • • ولى ويل •

انهم يقومون بما تفرضه عليهم ضمائرهم • ويؤدون واجبههم أحسن
أداء • ولكن الصغار فى صغارهم يحسبون أن رضاءهم عن رؤوسهم
منقصة لا تنبغى لهم • فهم يمثلون دور العظماء • ولما كانوا ليسوا
بعظماء • فهم لا يدركون أن من مقومات العظمة أن تعطى لكل ذى حق حقه •
وأن تكون مقسطا اذا حكمت لا قاسطا ولا ظلوما •

وهم لا يدركون أن شكر المحسن على اتقانه واجب مخنوم على الرئيس
مثله مثل توقيع الجزاء على المقصر سواء بسواء •

واذا لم ينل المحسن حقه من الشكران كما ينال المسئء حقه من العقاب
يختلط الأمر ويصبح فوضى تضرب بأطنابها فى أنحاء العمل جميعه •

والمحسن انسان يرضى ويسخط اذا أصاب وأتقن ولقى التكران
بدلا من المكافأة والجهود بدلا من العدالة أدى عمله فى غير اقبال ومال عن
الجهد الى الزهد فى العمل وعدل عن النشاط الى الكسل وعن الهمة
والاهتمام الى القعود وعدم المبالاة •

وفى غد يكون الانتخاب والانتخاب اختيار وأنت فى غد تختار من يكون لك فى مجلس الشعب ممثلاً وأنت حين تكون لك قضية هيئة الشأن تهروح تسأل كل من تعرف ومن لا تعرف عن أحسن من توكله فيها وأنت فى غد تختار وكيلك فى قضية الوطن جميعاً .
ومن هؤلاء الذين ننتخبهم يتكون وجه الأمة وتستبين ملامحها .

وهؤلاء الذين ننتخبهم فى غد هم الذين سيحاسبون الصغار والكبار على السواء فى كل وظائف السلطة التنفيذية بدءاً من الوزير على قمة الوزارة الى الساعى الذى يقف على أبواب الموظفين . فان الوزير مسئول عن وزارته جميعاً بكل من فيها من عاملين وحين تكون الرقابة شريفة صادقة لا تخشى ولا تحابى . يدرك كل موظف فى الدولة ان طائلة العقاب له بالمرصاد لأن فى الوطن نواب شرفاء .

فاذا اخترت فحاذر أن تختار من رشح نفسه لنفع شخصى أو ليناك منصباً وجاهاً انك أيها الناخب تختار فى غد وكيلاً عنك وعن الأمة جميعاً من أسوانها الى ثغرها طولاً وعرضاً وان شرفك لفى الميزان .

والوطن يمر بفترة من أحلك فترات تاريخه والكثير الكثير من العاملين فيه صغار تسيطر عليهم الخشية حيناً أو السخافة حيناً آخر فاذا صلح وجه المجالس التشريعية استطاعت هذه المجالس أن ترغم الخائف الراعد أن يتنحى أو يتصدى وتمكنت أن تجعل السخيف يقىء الى رشده أو يهتفى من دنيا الصدارة الى غيايات المجاهيل يجد فيها مرتعاً وموتلاً وملذاً مع كل الهزلاء الذين يريدون أن يمروا بالحياة وكأنهم ما وجدوا وإذا اخترت فاختر رجلاً لا يتاجر بالدين على الدنيا ولا يبيع آخرته بيومه ولا يشتريه الحاقدون على مصر من الدول الهزيلة .

ادعوا الله أيها الناخبون أن يهيبكم لكم من أمركم رشداً وأن يوفقكم الى التغلب على ما يوسوس به الشيطان الى نفوسكم من الجنة كان هذا الشيطان أم كان من الناس وفقكم الله .

١٩٨٧/٤/٥ الأهرام

مناقشة

أرسل الأستاذ صلاح شادى مقالا الى الأهرام وكنت أنوى أن أنشره وأناقشه لولا أن الصفحة فى الأسابيع الماضية كانت لا تستطيع أن تتسع لمقالته الطويلة . ولم البث أن وجدت الأستاذ صلاح ينشر مقاله فى جريدة حزبية فأصبح الذى يقع فى ضميرى أن أناقش ما نشره دون حاجة الى نشر مقاله كاملا وأحسب أن التارىء سيدرك مما سأقتبسه من مقاله فحواء جميعا .

يتساءل الأستاذ صلاح « لماذا ينافى المنطق أن تكون هذه الجماعات الدينية ممثلة فى المجالس باختيار الشعب ؟ » .

والواقع يا أستاذ صلاح أننى لم أقل أن تمثيلكم فى المجالس التشريعية ينافى المنطق . فمنافاة المنطق أو الاتفاق معه مسألة خلافية تحتمل القبول أو الرفض .

انما الأمر الذى لا مناقضة فيه ولا شك انها تخالف الدستور وليس فى هذا خلاف . وهذا هو الذى ذهبت اليه . وتمثيلكم فى المجالس التشريعية. وقيام حزبكم بأدىء ذى بدء يقتضى تغيير الدستور وهذا ليس رأيا يحتمل المناقشة وانما هو نص دستورى قانونى لا شك فيه ولا شبهة ولا خلاف .

واسمح لى والأمر كذلك أن أستشهد بالآلة التى سقتها فى هذا السياق وهى قول الله تعالت أسماؤه « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وأحسب أنك لا تخالفنى أن العدل يتم من القاضى اذا طبق القانون الذى يحكم فى ظله . والعدل يتم من الفرد اذا وضع القانون نصب عينيه وهو يدلى برأيه فيما يعرض له من أمور الحياة .

أما لماذا اعتبره تحايلا على القانون فأمر لا يحتمل أن تستعمل فيه كلمة اعتبار التى اخترتها . هو تحايل على قانون قائم لا شك فى ذلك ولا شبهة .

وتسأل يا سيدى : « فهل ترى أن مجرد النداء بتطبيق الشريعة الإسلامية يقع تحت بند من هذه البنود » تقصد التى وردت فى القانون رقم ٣٣ سنة ١٩٧٨ .

وجوابى عليك يا سيدى « اللهم نعم » .. « اللهم نعم » .. « اللهم نعم » لا شك فى ذلك .

وهو أيضا ينافى قانون الأحزاب فى مادته الرابعة فى فقرتها الثالثة . وهو أيضا ينافى الدستور فى المادة الخامسة منه التى تحيل على القانون سائر الذكر .

وانى أسئلك يا سيدى فيم تخالف القوانين القائمة الشريعة الإسلامية الا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا .

وأنا يا سيدى أرى أن الإسلام أعظم وأضخم وأكرم وأرفع وأسمى من أن يكون مجرد عقوبات .

وانى أسألك يا سيدى وأرجو أن تجيب بهدوء المؤمنين وبسلامهم وبإسلامهم .

حين حث القرآن الكريم على الشورى هل جعلها الزامية للحاكم أم هى استطلاع رأى ثم للحاكم بعد ذلك أن يتخذ الرأى الذى يريد ؟ .

أو ليس أقرب الى روح الإسلام الرفيعة العالية أن تكون الشورى ملزمة للحاكم . فهل ترى التمسك بحرفية النص أقرب الى روح الله القدس وقرآنه المعجزة أم التوسع فى النص وجعل الشورى عصاما للحاكم .

وأخرى حين شرع النبى عليه الصلاة والسلام حد الزنا للمحصن جعله الرجم حتى الموت .

كيف كان الوضع الاجتماعى فى ذلك الحين ؟ .. ان زواج الأربعة فى الإسلام يا سيدى جاء قيلا لا إباحة .. فقد كان الزواج قبل نزول الآية اشريفة مطلقا بلا أى حدود كان للرجل أن يتزوج من أى عدد من النساء . وجاء الإسلام فسمح بزواج أربع نساء مجتمعات .. أربع نساء يا سيدى .

فهل ترى المجتمع أو طبيعة الحياة التى نحيهاها تسمح بزواج أكثر من واحدة . ولعلك تعلم أن نسبة المتزوجين من أكثر من واحدة فى مصر جميعا هى نصف فى الألف .

وكانت في أيام الرسول إباحة أخرى أشمل وأوسع . . . وهي أن
الرجل كان يستطيع أن يشتري من يشاء من النساء بغير حدود . . .

في ظل هذه الإباحات العريضة رأى النبي العظيم أن الذي يزني
بعد كل الإباحات يستحق القتل .

أربع نساء . . . وعشرات من ملك اليمين ثم يزني . . . ؟ إن القتل
أذن قليل بالنسبة إليه . . .

واني أسوق المثل من حد الزنا فهو مجرد مثل وليس إحاطة بكل
الحدود .

وروح الاسلام ترفض الرق . وهو أول دين جعل عتق الرقبة تكفيرا
من التقصير الديني أو الدنيوي .

أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين حين تطبق الشعار
الذي ترفعه أنت وصحبك من تطبيق الشريعة الإسلامية ؟ .

أم أنك ستطبق أشياء وتتفاوض عن أشياء ؟

بربك يا سيدي أتريد لأكرم كتاب أنزله الله الأعظم بدينه الأكرم
أن يكون وسيلة لأفراد أن يتحكموا في الرقاب ويعتلوا كراسي الأمراء ؟ .

لقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة سنة .

وحكم به النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد البشر أجمعين .
وهو المعصوم . وهو الملهم . فهو استثناء من كل البشر . يتفرد عنهم
بحمل الرسالة . والالهام والعصمة . وبأنه على خلق عظيم .

ثم حكم به أبو بكر الصديق فكان عدلا وحزما وكان مثلاً أعلى كريماً
على الناس والزمان وكيف لا وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار . وهو
الصديق .

ثم حكم عمر فكان رمز العدالة على مدى التاريخ . لم يعرف الزمان
له مثيلاً مضى وما أحسب أنه سيعرف له مثيلاً في آتى الزمان .

ثم حكم عثمان ولا تملك إلا أن تقول : . أنه ذو النورين ثم حكم علي
فكان عدلاً مطلقاً .

وانتظر الزمان بعض حين وحكم عمر بن عبد العزيز فكان خامس
الخلفاء الذين طبقوا الشريعة الإسلامية فأكرموا تطبيقها . . .

دع هؤلاء اذن يا أستاذ صلاح والقي نظرة على الملوك ومن أسموا
أنفسهم بالخلفاء وأنظر كيف ظلموا وكفروا وتجبروا وعتوا • وادعوا مع
كل معاصيهم أنهم طبقوا الشريعة الإسلامية •

أذكر معاوية وكيف أخذ البيعة ليزيد بعد السيف وكيف قتل عليا
والحسن والحسين وكل آل البيت المطهرين •

وأذكر يزيد العريبي السكير الذي لم يستطع أحد أن يطبق عليه حد
السكر مع أنه كان - فيما يروى عنه - لا يفيق •

وأذكر المنصور ، وأذكر السفاحين جميعا ، وأذكر من أطلق الحجاج
يقتل حفيد الصديق ويقتحم عليه الكعبة ويقتل بغير حساب عباد الله
المؤمنين •• ان كل هؤلاء يا أستاذ صلاح ادعوا أنهم كانوا بالإسلام
يحكمون •

أترضى عنهم • أم أنت واثق أن الزمن سيخود بمثل أبي بكر أو عمر
و عثمان أو علي • أو خامسهم ابن عبد العزيز ؟

على مدى ألف وأربعمائة عام والملوك والخلفاء يدعون أنهم يحكمون
بالإسلام • فإذا هم يجعلون الشريعة وسيلتهم الى كل ما تعرف أنهم
صنعوه بعباد الله الأبرياء المسلمين وغير المسلمين •

وأذكر هارون الرشيد وسرفه • وأذكر المأمون وفقهاء الإسلام
وما صنع بهم من أجل قضية كلامية •

وبعد يا أستاذ صلاح فأنظر الى الخميني الذي قتل من بني وطنه
المسلمين في سنوات ست اثنين وثلاثين ألفا بأحكام أعدام ، غير مئات
الألوف أو الملايين الذين قتلهم في سباحة الحرب من مسلمي إيران والعراق
جميعا • وهو هو الذي يرفع شعار الحكم الإسلامي •

وفي السودان قطع الطاغية من الأيدي بحكم الإسلام في بضعة أشهر
ما لم تقطعه الشريعة على مدى ألف وأربعمائة عام •

ألا تخشى أن تضاع قرآن الله بين أيدي طغاة يستغلونه أسوأ
استغلال ؟ •

ألا ترى أن دين الله الأقوم ينبغي أن يظل صلة بيننا وبين الله سبحانه
وتعالى بغير قسر منكهم ولا اجبار ؟ •

وإذا كان الله يقول لنبيه فى آيات شريفة كثيرة عليك البلاغ وعلينا
الحساب .

فمن سمح لك يا سيدى أن تبلغ. وما أنت بمبلغ أو أن تحاسب
وما أنت بآله .

ان المتطرفين من المسلمين فى مصر . قتلوا أحمد ماهر والنقراشى
والقاضى الحازندار ووضعوا القنابل فى تجمعات الأبرياء تصيب من تصيب
فى غير دين وأنت تعرف أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض
فكانما قتل الناس جميعا .

وان كان هذا ماضيا راح واندثر .

أليسوا هم من قتلوا فى أيامنا هذه الشيخ الذهبى وهو من هو
خلقا وعلما .

ثم قتلوا أعظم زعيم عرفته مصر السادات . الذى انتصر فكان
انتصاره لمصر وللإسلام . والذى أفضى السلام فحقق دعوة الله وهو سبحانه
من اختار اسم الإسلام ليكون آخر رسالة له من رفيع سماواته الى عباده
فى الأرض .

وبعد يا سيدى فأراك تقول فى آخر مقالك عنى :

فهل نسى كاتبنا حديثه السابق عن هؤلاء الأطهار فماذا حولهم اليوم
الى مرءة وشياطين . أهى لعبة الانتخابات أم تراك نسيت ؟ .

وهانذا أجيبك اليوم وقد انتهت الانتخابات فلا لعبة هناك ولا هنا
وأما أنا فلا وحق الحق ما نسيت .

انما هم أطهار اذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة فى جريمة
شروع فى قتل لم تتم ولم تثبت .

وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة
كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان . بينهم البرىء وبينهم حسن الطوايا
وكلهم أبناء أو إباء ويكره الله والحق أن يرمى بهم الى السجون زمرا
بلا محاكمة .

ولكن الله يكره أشد الكراهية القاتل منهم ويحكم فى محكم آياته
أن الذى يقتل فردا بغير حق فكانما قتل الناس جميعا .

وقد استعمل كثير منكم القتل وسيلة لتخويف الآخرين واستعمل
كثير منكم الارهاب بكل وسائل الارهاب . بل كان لكم فى الانتخابات
الأخيرة هذه سلاح مشهور وأنياب حديد . واشاعة للذعر بين الناس .

ولا والله لستم اذا فعنتم ذلك باظهار . وأشهد أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله . وأن كلمة الله هى العليا مهما تحاولوا أن تجعلوا
منها طريقا الى حكم فى الدنيا . وعليك السلام حيث كنت . . بالاسلام
ندين وبالسلام تكون بيننا التحية . . والسلام هو الرباط بين قوم
يؤمنون .

١٢/٤/١٩٨٧ الهجرى

خطاب ٠٠ واجابة

جاءنى هذا الخطاب من الاخ الأستاذ محمد جمال وقد كنا زميلى دراسة فى مدرسة فاروق ٠ وقد أرسل الأستاذ صلاح شادى بطاقة مع الخطاب يقول فيها ما معناه : أن الأستاذ جمال يعبر عما كان يريد هو أن يقوله وانى حين أنشر هذا الخطاب فانما أنشره للاتنين معا كما يجيب خطابى عن رأيهما مجتمعين ٠

حياك الله ٠٠ وبعد ٠

قرأت لكم بجريدة الأهرام يوم ١٢/٤/١٩٨٧ تحت عنوان (مناقشة) فى ردكم على مقالة الأستاذ صلاح شادى اننى لم أجده الفرصة لقراءتها الا اننى اكتفيت بما جاء بمقالكم الذى لخص المقالة والرد عليها ٠

ونظرا لأهمية الموضوع أرجو أن تعتبرنى طرفا ثالثا يعشق الوحدة وينبذ الفرقة التى مزقت الأمة فهانت هواننا لم يسبق له مثيل ٠

وقد أعجبني فى ردك أنك أنصفت الأستاذ صلاح ورفاقه حين قلت : [انما هم أطهار اذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة ٠٠ الخ وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان ٠٠ الخ] ٠

كما أعجبني احترامك الشديد للحكيم الاسلامى فى عهد ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ٠

كما أعجبني حرصك الشديد على ألا يحمل هذه الراية المقدسة الا من كان على مستوى حمل هذه الأمانة التى تفوق طاقة معظم البشر فى هذا الزمن ٠

وحينما انتقدت حكم معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وهارون الرشيد والخيلى ونميرى وغيرهم ، فلا أتصور أبدا أنه قد غاب عنك أن الاسلام شئ والمسلمين شئ آخر ٠٠ وإذا تعمقنا فى التاريخ فقد نجد أن

حجم الايجابيات لبعض هؤلاء أكثر من حجم سلبياتهم كما قد ترون سيادتكم أن ثورة ٢٣ يوليو حجم ايجابياتها أكثر من حجم سلبياتها .. وقد كان الأستاذ صلاح شادى ضمن من مهدوا لها قبل أن يكون لها سلبيات .

أخى العزيز : ان شدة حرصك على نقاء الحكم الاسلامى جعلت البعض يظن أنك تميل الى النظم العلمانية التى تفتقر الى الوجدان الدينى والتشريع السماوى .. ولا أظن أن تاريخ الحكم العلمانى فى مصر يغريك على أن تقف مدافعا عنه وان تهب له اسمك ومكانتك الأدبية الفكرية فى عصرنا هذا .. ولست أنت ممن يخفى عليهم أدق التفاصيل .. خصوصا وأن الصحافة وهى أداة التفاصيل تتمتع اليوم بحرية أكثر مما مضى .

ولكن لى بعض الملاحظات الأخرى كالآتى :

قلت للأستاذ صلاح : (من سمح لك يا سيدى بأن تبلغ وما أنت بمبلغ ، أو تحاسب وما أنت باله ؟)

وأقول اليك برفق : ان الأستاذ ثروت أباطة مكلف أيضا بمقتضى الآيات القرآنية الكريمة أن يحمل الرسالة بالقنوة والموعظة الحسنة فى حدود امكاناته وطاقاته .. وليس هذا تكليفا مقصورا على رجال الدين الموظفين لذلك .

وقلت له : (أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين ؟ حين تطبيق الشعار الذى ترعاه أنت وصحبك من تطبيق الشريعة الاسلامية ؟)

وأقول : انك تحترم قطعاً دستورنا الوضعى الذى جعل الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .. ولا أتصور أبدا أنه بمستوى فكرك وفكر الأستاذ صلاح ان يعود (ملك اليمين) بتطبيق الشريعة الاسلامية التى يحترمها دستور الدولة .

وقلت : - [فم تخالف القوانين القائمة الشريعة الاسلامية الا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ؟]

وأقول : كان ينبغى توجيه هذا السؤال الى اللجان المختصة فى الدولة والتى تعالج جوانب الاختلاف فى القوانين القائمة عما تنادى به الشريعة الاسلامية .. ولو كان الأمر سهلا وبديها لأعلنت هذه اللجان

جهودها على ضماننا .. وانت خير من يعلم ان الشريعة الاسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الامر الواقع والعدالة مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع .. واننى أعتز بشهادة قادة اخواننا الأقباط فى هذا الشأن ابان عهد عمرو ابن العاص .. ذلك هو الكم الاسلامى الذى يقضده الأستاذ صلاح .

وقلت : [ان المتطرفين من المسلمين فى مصر قتلوا بعض الأفراد من المسئولين فى الدولة] .

وأقول : هؤلاء المتطرفون لم يمارسوا الحكم الاسلامى فى مصر يوما واحدا .. كما ان الأستاذ حسن البنا مؤسس تلك الجماعة أعلن رايه فيهم قائلا عنهم [انهم ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين] .. وان الاسلام شئ وأخطاء المسلمين شئ آخر .

وقلت : [ان العدل يتم اذا طبق القانون الذى يحكم فى ظله] :
وأقول : ان العدل شئ وجدانى يتصل بالضمير .. وقد تعلمنا فى دراسة القانون ان القاضى العادل يستطيع أن يصدر حكما عادلا بقانون ظالم بين يديه .. ان سلطان العدل هو الذى ينجح دائما فى تغيير القوانين لتحقيق عدلا أفضل .. ان القوانين كلها وما تستند اليه من دساتير فمع احترامنا الشديد لها فكلها متغيرات يسيطر عليها العدل أخيرا وان غلبته أحيانا ..

وقلت : ضاربا المثل بالثورة الخمينية والثورة النمرية ..

وأقول : أرجو الا تسقط من حساباتك الدور الرئيسى الذى تقوم به الدولتان العظميان وهما مختلفتان فى كل شئ الا شيئا واحدا وهو هدم حضارتنا وعقائدنا .. وقد حدث فعلا ..

وقلت : [انهم كان لهم فى الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد وإشاعة للذعر بين الناس] .

وأقول : ويجب عليهم أن يحاسبوا أنفسهم ان كان ذلك صحيحا ولكن أرجو أن تقارن عدالتهم بين طاقتهم الضئيلة وطاقة الدولة بكل إمكانياتها فى هذا المجال ، ومدى صحة ما قيل فى الصحف .

وقلت : [ان كلمة الله هي العليا مهما حاولوا أن يجعلوا منها طريقا
الى حكم الدنيا] .

واقول : لقد كانت أعظم جملة تختتم بها مقالاتك ، واننى على يقين
من انك تتفق معى فى أن عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر
ابن عبد العزيز - التى سجلت اعتزازك بها كل الاعتزاز - كانت كلها
أمور دنيا وحكم دنيا ممتزجة بالقرآن الكريم ولن يختلف معك الأستاذ
صلاح وصحبه فى هذا الشأن .

محمد جمال الدين

واليسك

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد فشكرا لله ما أرضاك من حديثي وما أعجبك منه ولأنتقل الى
ما حاولت ان تجعله ملحوظاته بعد ذلك . واسمح لى بادى ذي بدء ان
أقول ان خطابك وملحوظاتك لا تناقش فى شيء ما ذهبت أنا اليه . وانما
هى خواطر استدعاهما الى ذهنك ثم الى قلمك ما قرأته لى .

وعن هذا سوف أغضى ثم أمضى معك الى آخر الطريق .

كانت عجيبة منك يا اخى أن تظن - وأعيزك من بعض الظن - انه قد
غاب عني ان الاسلام شيء والمسلمين شيء آخر . فما كان هذا ليغيب
عني أبدا وكيف له ان يغيب بل وكيف لك ان تفكر هنيهة من لحظة انه
يمكن ان يغيب عن أى انسان .

الاسلام - يا سيدي دين الله .. وليس لنا ازاؤه الا أن نؤمن به ونخضع
ونخشع .

انه مرقى الانسان من عبودية الأرض الى ملائكية الملكوت الأعلى ،
فهو تنزه وسما ان يكون لحيه وجلبابا وخفا وشاحا وهو خير ما عرفته
البشرية وكيف له الا يكون وهو هدى الله تعالت أسماؤه للناس وهو ختام
آياته التى وعد بها بنى آدم حين قال : يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا فمن اتقى وأصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون . الاعراف .

أما البشر يا سيدى فهم الخطاءون : وهم الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى « أنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا » الأحزاب .

فالإنسان يا سيدى هو ذلك الظلوم الجهول . وكل الذين انتقدتهم بشر من البشر وإنسان من الإنسان الذى وصفه ربه بأنه ظلوم جهول . ولا عاصم للناس منهم الا الديمقراطية والحرية التى لا يعرفها الطغاة .

وكم أخشى يا سيدى ان يتفرد الظلوم الجهول بالحكم مدعيا انه بكتاب الله يحكم فيسرف فى الأرض ويبغى ويعتو ، كما أسرف وبغى وعتا معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وكل من تفرد بالحكم فى قديم أو حديث الا من رحم ربك وما أنذرهم ، وانى للبشر ان يطلع عليهم أبو بكر أو عمر أو عثمان أو على ، أو شبيههم عمر الأشج بن عبد العزيز .

أما قولك انت اننا اذا تعمقنا فى التاريخ قد نجد حجم الايجابيات لبعض الطغاة أكثر من حجم سلبياتهم فعجبية تذهل لها العجائب .

تعمق انت يا أخى التاريخ ما شاء لك التعمق ، ولكن الناس عندى ليسوا فئران معامل يجرى عليها الطغاة تجاربهم فيسرقون ويقتلون وينهبون ، ثم يقول عنهم التاريخ ان ايجابياتهم كانت أكثر من سلبياتهم . وإن قتل انسان واحد بغير حق ينسف كل حسنات ذلك القاتل . فان الله من فرق سبع سماوات حكم عليه . انه كانما قتل الناس جميعا . وما أظنك يا سيدى بقاتل للناس جميعا .

أما الثورة يا سيدى فأمرها ليس مطروحا للمناقشة فى هذا الحديث مطلقا . ولا يعنينى ولا يعنى الناس فى شيء أن يكون الأستاذ صلاح الدين من مهدوا لها أو لا يكون . ويبدو ان هذه الجملة جميعا قد أرغمت ارغاما على أن تساق فى خطابك هذا .

أما قولك يا سيدى ان الحكم العلماني والنظم العلمانية تتفق مع ميلى ، فتلك هى الأخرى عجيبة تذهل لها العجائب .

متى حكمت مصر حكما علمانيا وكيف تقول هذا وفى مصر الأزهر منذ ألف عام . والحكم والأحوال الشخصية فى مصر يتبع مذهب أبى حنيفة منذ قديم . وكل قوانين مصر المدنية متفقة فى الأساس الجوهري منها مع الشريعة الربانية . وان اعتبر بعض الفقهاء فرائد البنوك نوعا من الربا

فان بغضا آخزين من عظماء الأئمة لهم فى ذلك رأى آخر ، وعلى رأسهم الشيخ الامام محمد عبده . والربنا كما تعلم معاقب عليه بين الأفراد فى قانون العقوبات المضرى . فأين هو هذا الحكم العلمانى الا انكم ترفعون لافتات على غير مكانها وشعارات هى أبعد ما تكون عن واقع الأمر .

وأما قولك اننى مكلف بمقتضى الآيات أن أحمل الرسالة بالقدوة والموعظة فهذا حق ، ولكننى يا سيدى أصدر فى ذلك عن رأى أنا ولست فى ذلك مبلغا ، فكلمة مبلغ فى سياق مقالتي تعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وحده ، وما ينبغى ان يرقى الى هذا المكان فى البشر أحد من بعده فهو الخاتم .

وهو صلى الله عليه وسلم كلفه الله بالبلاغ وحده وأمره جل علام أن يترك الحساب له وحده ، فهو وحده العدالة المطلقة ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما يتاح هذا لأحد من الناس بل انه غير متاح لسيد البشر قاطبه محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه صلى الله عليه وسلم والمشفع عنده فى الخلق أجمعين .

أما أنتم ياسيدى - أو المتطرفون منكم على الأقل - فاحسب أنكم تريدون - بما نشاهده من أشياعكم فى مصر - ان تبلغوا رسالة لم يكلفكم الله بها فما كنتم ولن تكونوا رسلا . ثم تريدون ان تتهموا ولستم مؤهلين من الله بذلك . وتريدون أن تحاسبوا والحساب لله وحده ، وتريدون أن تنفذوا أحكامكم . وكبر هذا عند الله . وأعيذ نفسى وأعيذكم ان أصف هذا الذى تريدون أن تفعلوا بما يستحقه من وصف .

أما ما ذكرته عن القاضى والقانون فهو ما أخشاه فأنا لا أخاف من الشريعة ، وإنما أخاف من الانسان الذى يطبقها . فالشريعة كلمة الله والانسان ظلم جهول ، وأما ما تراه يا سيدى من أن الشريعة الإسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع ، فهو أمر اتفق معك فيه كل الاتفاق ، بل اننى أعتف به وأناذى . فماذا يريد اذن الأستاذ صلاح وشيعته من المتطرفين ممن يصرخون بغير هذا ، ويمتد بهم المتطرف الى القتل وسفك الدماء والجبروت . وما لهم لا يتركون لمن ذكرتهم من القضاة والمشرعين ان يصدروا فى أحكامهم عن هدى القرآن دون تعسف منكم أو عدوان .

أما دفاعك عن المتطرفين الذين قتلوا فأمر لا أسمح لنفسى بمناقشته ، فما كنت لأتصور ان مسلما يدافع عن شارب خمر فكيف به ان يدافع عن قاتل نفس : أشهد الله انى برىء مما تزعمون .

واما ان الاسلام شيء وأخطأ المسلمين شيء آخر فتلك مقالة عدت لها ، ولهذا أسمح لنفسى ان أعود . . ان المقارنة بين الاسلام وهو شرع الله وبين البشر لا يجوز أن ترد بذهن انسان ، فكيف سمحت لنفسك يا سيدى ان تفكر فيها وتكتبها أيضا . هيهات . . . لا مقارنة .

فما دار لى هذا بخلد وانما أخشى يا سيدى من أقوام يريدون ان يفعلوا فعل أنصار معاوية فيرفعوا المصاحف على أسنة السيوف ، ويصبحوا متحايين يرفعوا حقاً ويريدون به باطلا .

فالمصحف حق . أما الوصول عن طريق رفعه على السيوف الى كراسى الحكم فباطل يا سيدى . باطل وحق الله . . . باطل بطلانا مطلقا لا سبيل الى تصحيحه ، أما حديثك الباقي يا سيدى عن الدولتين العظميين فأمر أراه أيضا دخيلا على ما نحن بصددده فما أحسب يا سيدى انكم تندرون الذهاب الى أمريكا أو روسيا لترفعوا عليهما الشعارات التى ترفعونها هنا علينا ، فأرجو يا صديق الصبا ان تعفينى من مناقشة هذا الحديث ، وأشكر لك ما حسن من ظنك بى داعيا الله سبحانه ان يهديك ويهدينا الى ما يحبه ويرضاه . وان يرحم مصر ويقيها من كل عادية ؛ سبحانه كتب على نفسه الرحمة وسبحانه وحده هو الملاذ فى الشدة يدرأ عن عباده المؤمنين عادية أنفسهم وعدوان الظالمين . . . جلا علاه .

١٩٨٧/٤/١٩ م الأهرام

بين الغلو والهوان

فى كتاب بلوغ الأرب هذه القصة التى ساقدها بين يديك . ولقد حاولت أن أدافع هذه الرغبة فالتحت على الحاحا شديدا . فظلمت بها وينفسى أتعلم كلا منهما حتى وجدت نفسي ممسكا بقلمى بأسطى صحائفى ناظلا اليك ما طالعنى من هذا الكتاب العظيم . وأنا فيما أنقل ما فى القصة من طرافة ولست بمستبعد أن تكون القصة من غير واقع الحياة وإنما اختلقها شاعر ذكى ودفع بها الى مجالس المنادمة والسمير فسارت طريقها فى التاريخ حتى أدركها قلم كاتب فائتها وبقيت حتى ظهر أعظم كشف عرفه الانسان وكانت المطبعة وسعت اليك القصة اليوم فى العصر الذى اعتلينا فيه الأقباء ونسمعنا عن ذلك الأمريكى الذى قال أنه سمع الآذان يتردد فى آفاق السماوات العليا وهو فوق سطح القمر .

ألم أقل لك أن المطبعة هى أعظم كشف فى التاريخ . كيف كان يمكن أن تلتقى هذه القصة البالغة القدم . بعجائب هذا الزمن الذى نعيش فيه فى بوتقه واحدة هى رأسك ورأسى إلا بما خلدته المطبعة من تاريخ الأقدمين .

ولا تعجب أن يساورنى الشك فى صدق القصة التى أقدمها اليك . فقد كان العرب لا يعرفون القصة التى يبدعها القصاصون اليوم . وإنما كانت القصة عندهم قصا للأثر والنبا وتنبعا للحدث . وحين قال القرآن الكريم « نحن نقص عليك أحسن القصص » فإن الكلمة هنا تعنى التاريخ الصادق الذى لا يأتية الباطل أو الاختلاق من أى ناحية له .

أما البشر اذا قصوا فهم يتزيدون ويكذبون ما شاء لهم الكذب ويبتدعون ما شاء لهم الابتداع من الأحداث ولكنهم يوهمون السامعين ان ما يرونه انما هو الحق . ولو كانوا عرفوا القصة التى تؤلف نحن اليوم أحداثها ما احتاجوا الى الكذب وما كان هناك ذاع أن يزوروا على سامعيهم ويدعوا أن القصة التى اختلقوها انما هى خبر وقع وليس حدثا أنشأه خيالهم .

واليك القصة • ولنا بعد نقلها اليك حديث آخر •

« صحب زجل كثير المال عبيدين فى سفر ، فلما توسطوا الطريق
هما يقتله ، فلما صح ذلك عنده قال : أقسم عليكما – اذا كان لابد من
قتلى – أن تمضيا الى دارى وتنشدا ابنتى الاثنتين هذا البيت ؟ قال :

من مبلغ بنتى أن أباهما لله دركما ودر أبيكما

فقال أحدهما للآخر ما نرى فيه بأسا •

فلما قتلاه جاءا الى داره وقالا لابنته الكبرى : ان أباك قد لحقه
ما يلحق الناس والى علينا أن نخبركما بهذا البيت فقالت الكبرى : ما أرى
فيه شيئا تخبرانى به ، ولكن اصبرا أستدعى أختى الصغرى •

فاستدعتها فأشدها البيت فخرجت حاسرة بلا خمار على رأسها
وقالت : هذان قتلا أبى يا معشر العرب ، ما أنتم فصحاء ، قالوا : وما الدليل
عليه ؟ قالت : المصراع الأول يحتاج الى ثان ، والثانى يحتاج الى ما يكمله ،
ولا يليق أحدهما بالآخر • قالوا : فما ينبغى أن يكون ؟ قالت ينبغى أن
يكون :

من مخبر بنتى ان أباهما أمسى قتيلا بالفلاة مجتلا

لله دركما ودر أبيكما لن يبرح العبدان حتى يقتلا

« فاستخبروهما فوجدوا الأمر على ما ذكرت » •

والى هنا تنتهى القصة التى رواها التراث • ولا شك أن شكا مريبا
اعتمل فى صدرك كهذا الشك المريب الذى اعتمل فى صدرى • ولكن
لا شك أيضا أنك استمتعت بالقصة مثلما استمتعت •

والشك يعتمل فى العقل والمتعة تنداح فى النفس •

والعقل يتساءل • كيف يتسنى لرجل معرض للقتل من عبيده أن
يؤلف بيتا يعرف انه لا يعنى شيئا الا اذا أكملته ابنتاه • وكيف خطر له
وهو فى هذا الكرب العظيم ان ابنتيه ستكملانه بما يفيد أن العبيدين
قتلاه • وما لهما لا تكملانه بأن العبيدين أكرمهما فيما يسبق الوفاة • فان
كان الأب والاثنان يعلمان أن العبيدين لثيمان ولا أمان لهما • فلماذا

اختارهما الأب ليكونا رفيقَي طريقه الذي لا يصاحبهم فيه آخرون . ولماذا قبلت الابنتان ان يخرج العبدان مع أبيهما وهما لا يتمتعان بالثقة الكاملة منهما ؟ ولماذا أدركت البنت الصغرى ما لم تدركه الكبرى الا أن يكون ذلك مبالغة في محاولة الإبهار وإثارة العجب في نفوس المستمعين حين كانت القصة تروى شفاهاً ثم في نفوس القراء حين أصبحت القصة في شكل حروف مكتوبة ثم مطبوعة . والا أن يكون هذا جرياً على عادة مختلعي القصص في ذلك الحين من جعل الأصغر دائماً هو الأكثر ذكاء وفصاحة والأعظم ارتفاعاً في الخلق ونقاء في السخيلة والتصرف . ومن هذا المورد تجد أن ألف ليلة وليلة استنبعت طريقتها في القصص والحكاية . مع اختلاف جوهري . ان ما كان يرويه العرب كانوا يدعون انه حق وقع وحدث وأنهم له ناقلون لا مختلفون . وان رواة ألف ليلة وليلة لم يدعوا هذا الادعاء ولا كان يعنيه أن يدعوه كما لم يكن يعنيه أن يصدقهم الناس أو لا يصدقون .

وعودا الى تلك القصة . ولنحاول ان نفكر في انسجام التصرف عند العبدین . فالقصة التي يكتبها القصاصون اليوم تحتم أن يكون التصرف متسقاً مع الشخصية التي تقوم به . فكيف لقاتلين سارقين لا أمانة لهما ولا شرف ولا ذمة أن يحملوا رسالة غير مفهومة الى بنتى الرجل الذي قتلاه .

ان حمل الرسالة نوع من الأمانة النادرة . فهما تجشما العودة الى ديار القتل خصيصاً ليؤديا أمانة كلامية كان من الطبيعي أن ينتهبها مع ما انتهبها من حياة الرجل ومن أمواله جميعاً .

القصة اذن مختلقة . ولا بأس على العرب في نديهم وسمرهم أن يستمعوا الى المختلفين من القصاصين . ولكن العرب كانوا أذكاء غاية الذكاء وكانوا يفضون الطرف عن القصص الجيدة السبك التي يجدون فيها ذكاء في القصص وفي الموضوع واذا تحلى هذا أيضاً بشعر جميل فأنعم به وأكرم .

ولكنهم كانوا يرفضون الهزيل من القصص . حتى أن رجلاً كان اسمه خرافة كان يسير بين أحياء العرب ينقل اليهم ما يدعى أنه أخبار رأها أو سمعها . ولكنه كان لا يجيد بناء خبرة وتمويه قصته فأصبح بين العرب سخريه وأصبح حديثه بين أحياء العرب هزلاً لا جد فيه . حتى لقد أطلقوا اسمه على كل كلام لا معنى له وأصبح صفة واشتقوا له الفعل والمصدر واسم الفاعل فيقال خرف الرجل تخريفاً فهو مخرف ولا يقول الا خرافة هكذا كان الأمر .

وأعود اليوم الى نفسى • ما الذى جعلنى أجبرها على أن أنقل اليك
هذه القصة • أتراه ما شعرت به من متعة فى قراءتها بعثتنى أن أشارك
معى فيها بما كان الأمر كذلك •

ولكننى أحسب ان دافعا آخر أهم بكثير من مجرد المتعة استحثنى
أن أنقلها اليك •

لقد رأيت بأخرة بعض الكتاب الذين يظنون أنفسهم كبارا وهم
أصغر من الهوان يقدمون الى الناس أحاديث يسوقونها على أنها تاريخ من
التاريخ وصدق من الصديق وحق من الواقع •

ويقراء الناس ما يقولون فيجدون الكاتب يجعل من نفسه الها متفردا
يدور العالم كله على ركيزته • وتلف الكرة الأرضية حول دماغه • والعجيب
أن التاريخ الذى يزورون ، عليه أن هذا الذى يرويهِ الكاتب الكاذب
الغيبى الأحق ما هو الا حديث خرافة ، وان كان خرافة فى زمانه يلف
كذبه بغشاء واه من الحقيقة ليموه الحدث على سامعية فان الكتاب الذين
يزورون الحق اليوم أعظم وقاحة ألف مرة من خرافة وحكاياته السخيفة
الهائلة •

والعجب العجيب أن هؤلاء الكتاب ينصبون أنفسهم بتاريخهم المزور
معلمين للناس أجمعين فلا رأى الا رأيهم ولا قول الا قبولهم ولا أدب
الا أدبهم •

وهم بوجه جامد صفيق يدعون أنهم يعرفون كل شئ فى أى شئ
فهم علماء القانون والطبيعة والمجتمع والأدب والفن وما شئت أو لم تشأ
من المعارف الانسانية •

وليس بعجيب أن ترى هؤلاء الصغار يهاجمون كل عظيم فى حياتنا
سياسيا كان هذا العظيم أو كان عالما أو كان أدبيا • ويحاولون ان يرفعوا
كل خامل خافت الصوت هزيل العمل •

لأنهم واثقون ان العظماء يعرفون حقيقة أمرهم • وأنهم على علم دقيق
بخفايا كذبهم وخفايا حياتهم والحقير الدنى من تاريخهم العفن •

والكاتب عند الناس اما أن يكون صدقا أو لا يكون • وليس كاتباً
من يحاول ان يخادع الناس حتى وان لجأ فى خداعهم الى تملقهم والهتاف
بما يهتف به الغوغاء منهم والجهلاء والمضللون الذين يضللون الناس أو

المضلّلون الذين أضلّهم الملقّون واستغلّوا سداجتهم أو جهلهم أو غباءهم
أو هذه جميعا .

وكل كاتب لا يراعى الله والحق مع النفس ليس جديرا أن يحمل
لقب كاتب . فالكاتب فى عصرنا الحديث أمره يختلف كل الاختلاف عن
عصور ما قبل المطبعة . حينذاك كان الشعر فى أغلب أمره تكسبا للمال .
وكان الكتاب يصوغون ما يريد الحاكم أن يقول :

ولكنهم منذ ظهرت المطبعة أصبحوا هم لسان شعوبهم ونبض قلوبهم
وصيحتهم فى وجه الظالمين وحريقهم للضلال ونورهم الذى يكشف الزيف
وأملهم الذى يردد المستقبل .

ولعل أعظم مثل فى عصرنا الحديث هو عباس العقاد . الذى لم
يحاول يوما أن يصانع الغوغاء أو ينطق بهتافهم أو يجرى وراء الجهلاء .
ولم يقبل أن يمدح الا اذا اقتنع ان الممدوح جدير بأن يخط العقاد
اسمه . ولم يكن عجيبا ان يحاول الطغاه أن يحولوا بينه وبين الصحف
فاذا اسم العقاد أعظم دورانا وانتشارا من أى صحيفة أو أى وسيلة من
وسائل الاعلام .

. وحين يعوزه المال . وينضب منه وعاءه يرفع قلعه الى أعلى ويرفض
أن يذله من أجل كسرة خبز ويقبل ان يكون اعلانا لآلات الطباعة من دار
الهلال ليعيش من ثمن الاعلان ولكن هيئات ان يكتب كلمة هى غير صادرة
من صميم وجدانه ومن صادق مشاعره ومن شريف نفسه .

وفى نفس الوقت كان ينتهب أموال مصر والعرب أطفال لا يصلون
الى نعل حذائه ولا يصلحون أن يكونوا قراء لقرائه .

ولكن التاريخ لا يفلت من صدقه أحدا ولا يفضى عينه عن مخادع
أو منافق أو كذاب ويبقى الصغار الذين هانوا على أنفسهم فكانوا عند
الناس هوانا صغارا ويبقى العقاد عقادا اسمه هو الشموخ وهو الصدق
وهو الخلود .

١٩٨٧/٤/٢٦ م الأهرام

شوق قبيل الرحيل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • نعود اليكم بعد أن شاء الله لنا
أن نغيب عن هذه الصفحة شهر رمضان المبارك •

ويشاء العزيز أن أكتب هذه المقالة وأنا أعد نفسي للسفر الى الصين
بدعوة كريمة من اتحاد الكتاب الصينى •

والشقة بعيدة ، والسفر طويل ، ولكن الرغبة فى أن أشاهد بلاد
السحر والطلاسم والأصول العريقة والخلق الرفيع تدفعنى دفعا لأغالب
الاشفاق من الرحلة والبعاد •

وكيف لا أسعى الى دولة يمثل ساكنوها نصف البشرية • لا مناص
وأسافر فى غدى باذن الله وفى النفس حنين بدأ يدب فى خلجان قلبي •
وشوق الى مصر وأهل وأهلها وأنا بعد لم أغادر الوطن •

ولكن مجرد تصورى أننى سأكون فى النصف الآخر من العالم
يملا جوانحي شوقا الى كل مصر • وأنا بعد ما زال فى ربوعها لم أبارحها •

وكم أخشى أن ينفرد بى ذلك الحنين فى آسيا وأذكر ما تركت فى
مصر من حب وما تركته فيها أيضا من حقد • وما خلفته فى جوانحها من
عظمة وشجوخ وما خلفته أيضا من صغار ومن نفوس هانت فهان مقصدها
وصغر مطلبها وهامت بالتوافه دون العظام وأصبح هدفها حقيرا وصار
أمرها فرطا •

يا الله يا مصر • على رأس الحكيم فيك رجل قل مثله فى الرجال •
هو من أعظم الناس حبا لمصر ، ومن أنقى الناس ضميرا ، ومن أشرف
الناس يدا وقصدا ومتجها وذمة •

فما للعاملين فى مصر لا يجعلون منه نبراسا ، ولا يتخذون من قبلته
قبلة ، ولا من ديدته ديدنا •

ما لهم لا يتخذون قرارا وان اتخذوا فعلى حرف وهم راعدون وعلى وجل وهم خائفون ، أترى يعترئهم كل هذا الذى يعرفهم حرصا على منصب ، وضنا بالكبرى ، وعضا بالنواجذ على سيارة ذات تليفون وحرس بجانب السائق وتحية شرطى عند مرور .

هانت الدنيا وهان مظهرها وهان من ينظر الى مثل هذه الصغائر ويفارق بينها وبين مصلحة وطن ومستقبل أمة ، وخير شعب ، وحاضر اخوة ، ومستقبل أبناء . ورحم الله المتنبيء وهو يقول : وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم ما للدولة وكأنها فى خمار لا من سكر وانما من خوف . وما لكبارها لا يواجهون لهو اللهى ، ولا عبث العايب ، ولا اعتداء المعتدى ، ولا اهمال معدوم الضمير ، ولا تحايل خرب الذمة ، ولا سارق أموالها ، ولا ناهب مقدراتها ، وما لقوم يتاجرون بمحكم القرآن وهو القرآن وبرفيح الدين وهو الدين ويعتدون ولا يردهم اسلامهم عن العدوان ويتجبرون ولا يقف بهم دينهم عن جبروت . والله رحمة وغفران ودينه حب وسلام ونبيه كان على الناس عزيزا طهره مولاه أن يكون للخلق عنقا . وكان صلى الله عليه وسلم بشرى للعالمين وكان رسولا وبلاغا لا مسيطرا كان ولا كان حسيبا .

ما لهؤلاء يعيشون فى البلاد ولا يجدون فى مراحلها قمعا ولا ردا ، وما للصوص أمن وسارقى أموال ومحطى أخلاق ومدمرى قيم يفشون بيننا كوابى ولا علاج ، وكطاعون ولا مصل .

أين نجد ما بين الأخ وأخيه من حب ومرحمة وتسامح ووفاء حتى كان الاثنان انسان واحد .

أين حب بين الناس . أين بينهم تراحم وإيثار وعون عند شدة واستجاح عند مكنة ، وكرم بلا مبخله ، وعطاء بلا من ، وإنجاز بلا فخر ، وعمل بلا شقشقة .

أنا فى طريقى الى الصين . وفى السماء سوف أدعو وهناك فى الغربة سوف أدعو فالغريب ضعيف بلا نصير الا الله وهو سبحانه أقرب للضعيف يوسع له من رحمته ويفسخ له من كرمه .

سوف أدعو لمصر جميعا .

١٩٨٧/٥/٣١ م الأهرام

عودة ونشار من الخواطر

عودة الى مصر • فانا اكتب هذا الآن فى أحد فنادق بانكوك منتظرا موعد الطائرة المصرية التى أصبحت بفضل محمد فهيم ريان علامة مشرقة فى جبين مصر والموعده يحين فى الموهن الأخير من ليل بعد غد • وأنا الآن على موعد مع الستين فى هذا الشهر فمن حقى أن أحمل بين جوانحي خوفا من طول السفر ويعلم الله ما على حياتى أخاف فما خفت عليها وأنا فى باكر الشباب فكيف بى وأنا رجل فى السنة الستين من عمرى • ولو اننى خفت عليها فيما مضى من سنواتها ما كتبت ما كتبت ولا صنعت ما صنعت • فقد عشت عمرى أتحسب وجه الله الكريم ولا أخاف الا يوما أنا فيه ملاقيه سبحانه وتعلم يومذاك ما قدمت نفسى وما أخرت • وانما أخشى من طول السفر وندرة الرقاد ، وقلق النوم ، وبعد الشقة ، ومتاعب الجسم ، الذى عاش هو أيضا ستين عاما ، يعلم الله وحده مع الطغيان ، ورفض لكل ما تأباه نفسى من حاكم سفاح أو جماعة كافرة أنا وروحي وجسمي من معارك مع الأباطيل وصراع مع الأراجيف ، وحروب مع الطغيان ، ورفض لكل ما تأباه نفسى من حاكم سفاح أو جماعة كافرة بالله والوطن وحق الانسان فى الحرية أو ثلة من الآخرين اتخذت الدين تجارة وستارا للصعود الى الحكم الدنيوى على سلم رث متهالك من ادعاء التقوى ودفاع عن حق الله فاذا هم اعصار من الطغوى • والله رحمة ، وعزيف من المقت والكراهية والقتل والارهاب • والله يقول فى محكم كتابه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » سورة مريم ٩٦ • يا سبحانه يا عظيم يا خلاق يا من تدرى وحدك ما تخفى الصبور • فالود اذن عندك سبحانه هو الجزء الأوفى لمن آمنوا وعملوا الصالحات • فهؤلاء الذين يدعون أنهم حماة دينك يحاكمون الناس وما نذبهم أحد للدعاء ، ويحكمون عليهم وما خولهم أحد القضاء ، وينفذون أحكامهم قتلا ورميا بالرصاص ، وما هم أولياء دم ولا هم - ولن يكونوا - أولياء حكم ولا ذوى سلطان •

خواطر تواكبت على قلبي وأنا اكتب اليك فى انتظار السفر الى القاهرة من بعد غد وفى انتظار الستين من عمرى فى هذا الشهر •

وإذا قدر الله لى العودة فى الموعد المنتظر أكون قد غبت عن مصر
سنة عشر يوما • وأنا الآن أحس أنى بعدت عن مصر دهرًا بأكمله •
فالأيام لا تقاس بعدد ساعاتها وإنما بما حدث فى هذه الساعات • فهل
ترانى محدثك عما عرض لى فى هذه الأيام التى هى عندى من الزمان دهر
إذا قدر للانسان أن يعيش من السنين دهرًا •

أى وحقق • قد تكون اللحظة دهرًا •

فالغياب عن مصر لحظة هى عندى دهر •

وفى كل بلدة زرتها واجهت لحظات كانت كل لحظة منها عندى
دهرًا •

والغياب عن ابنتى وابنى لحظة وليس عندى عنهما نبا دهر •

كانت دهرًا دهرًا تزد إلى قلبى وقد بلغ معى البستين أيضا أن
حياتى لم تكن عبثًا وإن ما كتبت ما كان باطلا وأن جهادى فيها لم يضع
فى هذه الدنيا سدى •

كانت دهورًا من السعادة وما أقل ما نلتقى بلحظة من السعادة
ومن الرضا وما أندر ما ترضى منى النفس عنى • ومن الطمأنينة أننى
صنعت فى حياتى شيئًا وما أكثر ما تخلج الشك فى نفسى أننى صنعت
شيئًا يستحق الذكر •

أأروى لك ؟ أم يخلق بى أن أكرم ما طالعنى به الحياة من تكريم
فى بلاد لم أزرها فى حياتى • خشية أن ترانى ما دحا نفسى ؟ •

أنا من أمرى فى حيرة واجفة • إذا لم أقل • ضاقت نفسى وإذا قلت
خشيت أن يمسنى زهو • وأن ألقى منك أذنًا غير مصغية • أو عينا غير ناظرة •
أو نفسًا غير مقبلة •

أحسب أننى سافض عليك • ولكن ما أحسب اليوم موعدنا • فأنا
بعد ما أزال فى غمرة من تكريم الناس ولما أملك من أمر نفسى ما أحب
أن أملكه حين أكتب إليك •

والى موعد لا أحده أقص عليك فيه ما تتوق نفسى أن أقصه عليك •

وان كنت على غير ثقة اننى فاعل ذاك • فانى سأقلب الأمر على كل
جانب • وقد أخطرك بما التهيت إليه إذا غرمت نفسى أمرها أن تقص
عليك • وقد أضرب عن الأمر كله صفحا وكأننى ما قلت شيئًا •

وماذا على وأنا على مشارف الستين أن أجعل منك أخا لى أو ابنا
أبدلك المشورة • لا بأس عليك ولا ضير على •

دعنى الآن أحدثك عن زميلى فى الرحلة • فالحديث عن الغير أيسر •
وأنا عنده أملك من الأمر ما أحب أن أملكه اذا كتبت اليك •

ولكن فلينتظر الصديقان الكريمان صاحباى فى رحلتى حتى أهنىء
مصر بممثلها فى كل البلاد التى زرتها •

سلمت مصر وبقيت غنية أنت برجال أن أغتنى غيرك بالمال •
عظماؤهم أبناؤك • شرف هم لمصر وللانسانية جميعا على كل مستويات
الانسانية •

كان أول سفير لقنيتة الدكتور العظيم ايهاب سرور سفيرنا فى تايلاند
ومعه السيدة الرائعة زوجته •

لم أكن أعرفهما الا يوم استقبلنى السفير • هكذا مصر ورجالها
العظماء يبذلون كل جهدهم ليرتفع اسم مصر الى السماء ولا يرجون من مصر
جزاء ولا شكورا كذلك كان ايهاب سرور فى تايلاند وكذلك رأيت سفيرنا
العظيم ابن العظيم أحمد سليم والسيدة الفاضلة الكريمة زوجته • وكذلك
رأيت قنصلنا العام فى هونج كونج نبيل فهمى والسيدة المشرفة العظيمة
زوجه •

دع عنك ما تفضلوا به جميعا قبلى •

تعال فانظر كيف توطدت العلاقات بين ايهاب سرور وجميع السفراء
فى تايلاند سواء كانوا سفراء دول عربية أم سفراء الدول الكبرى والدول
الغربية • ان كل سفير منهم يعتقد أنه الصديق الأول للسفير المصرى القادر
المتحضر الموفق دائم الابتسام عذب الحديث المتمكن من الانجليزية تمكبه
من العربية ايهاب سرور سفير مصر فى تايلاند •

وتايلاند التى عاصمتها بانكوك هى محطة الطائرات الداهية الى
الصين أو اليابان لسفيرنا فيها رجل ما أحسب أن أحدا من السفراء مضطرب
اضطراره الى الاهتمام بكل الداهيين الى هذين البلدين الكبيرين وكل
العائدين منهما الى القاهرة • ولا يدري عدد هؤلاء وضخامته الا من قام
بهذه الرحلة وشهد ما شهدت من تقاطر المصريين الذين لا يفكر أحد منهم
أن يعبر بانكوك دون أن يقيم فيها بضعة أيام ثم يكمل سفره ذاهبا أو عائدا
أو ذاهبا وعائدا معا •

تحية اعجاب وحب الى هذا السفير راجيا أن يعفيني من شكره على ما تفضل هو وزوجته الودود الرائعة من اكرام لي ولزوجتي . وإن كنت لا أستطيع أن أعفي نفسي من شكره على مصاحبتى فى لقائى لرئيس مجلس الشيوخ التايلاندى الدكتور أوكرت وهو الشخص التالى لملك تايلاند ثم دعوة هذه الشخصية العظيمة مع سفراء الدول من أمريكا الى أمريكا اللاتينية الى بلدان أوروبا الى افطار خاص على شرفه وعلى شرفى . ولا أستطيع أن أغضى عن شكره على تفضله الى دعوتى الى افطار مع سفراء الدول العربية على شرفى أيضا فكانت فرصة رائعة أن تعرفت بأخوة كرام أعزة .

وأنتقل الى الصين ويلقائى فى مطارها السفير العظيم أحمد سليم ويغمرنى يفيض من كرمه وأفاجأ بدعوة أن ألقى نائب رئيس الجمهورية الصينية أنا والوفد المصرى فيكون السفير القدير فى اللقاء ونذكر كم يحظى بالاحلال والاكبار من الرجال الرسميين . وأجله نائب رئيس الجمهورية شخصية عظيمة على علم بأحوال مصر فأدرك أن سفيرنا هناك خبير بشئون عمله طب بها . ويدعونى مع الوفد الى عشاء فاخر مع اخوة مصريين .

وقبل أن أترك لقاءنا بنائب رئيس الجمهورية لابد لى أن أذكر أن الرجل كان سعيدا كل السعادة وهو يخبرنى أنه كثيرين من الأفراد العاديين فى الشعب الصينى أصبحوا يعاملون البنوك ويودعون بها أموالهم الخاصة التى ربوها من أعمالهم وأعلم من سفيرنا أن الحكومة فى الصين سمحت للفلاحين أن يبيعوا محاصيلهم للتاجر الحر . وأن النتيجة كانت زيادة المحصول عشرة أضعاف ما كانت عليه حين كان الفلاح ملزما ببيع المحصول الى الحكومة وأن الحكومة اضطرت أن تدخل السوق مشتريه بأثمان أعلى من أثمان الأفراد التجار وأن الفلاح اليوم أصبح يبيع الى الحكومة بيع سماح واقبال والمحصول يتضاعف .

وربما ينبغي لى أن أذكر هنا للمتشدقين بمكاسب العمال وحقوق الكادحين وتلك الأقوال الهلامية التى خربت اقتصاد مصر . ان مجلس الشعب فى الصين لاذكر فيه لنسبة الخمسين فى المائة المضحكة المخزية التى يجرى عليها الحال فى مصر وإن الجامعة هنا لا تعلم الطلبة مجانا .

أشياء ذكرتها . . كان لابد أن أذكرها والا انفجرت نفسى بما يعتمل فيها من آلام لهذه الرشاوى الجماعية التى قلصها حكم أرعن مافون وما زلنا نحن نعانى بلواها حتى اليوم .

وأعود الى سفيرنا العظيم ابن الأستاذ العظيم • فسفيرنا فى الصين
ابن أستاذ مؤرخى الآثار المصريين المرحوم العلامة العالمى سليم بك حسن •
أما السيدة الرائعة زوجته فهى حفيدة مولانا الفقيه المتمكن الشيخ حسنين
مخلوف أطال الله حياته ونفع به وبعلمه • وهكذا لم يكن عجيبا ان تسعد
نحن والوفد المصرى فى بيت يجتمع فيه أمام المؤرخين لمصر الفرعونية ممثلا
فى ابنه والشيخ الجليل الشامخ وأحد الأئمة الثقة فى ديننا الحنيف
ممثلا فى حفيدته رعاها الله •

وأعرج وزوجتى الى بانكوك الى هونج كونج فالقى القنصل المصرى
العام بها وأعجب به غاية الإعجاب وأعجب بزوجه الإعجاب نفسه •
فنبيل فهمى على صلة خبيرة متصلة بهذه السوق العالمية التى يمثل مصر
فيها وهو وزوجه على وعى كامل بشئون الوظيفة التى يشغلها وليعفينى
من شكره على كريم لقائه الذى تفضل به على وعلى زوجتى ولتعفينى أيضا
السيدة الفاضلة زوجته فالحديث حديث عام لا دخل للعاطفة فيه •

وأعود الى زميلى فى الرحلة • الدكتور الجليل المتمكن العميد حسين
نصار والأديب الفذ المتميز عبد العال الحمامسى •

لحقا بى فى بانكوك ونحن فى طريقنا الى تلبية الدعوة فى الصين •
وركبنا الطائرة معا الى بكين ثم لم نفترق الا حين اعتذرت أنا من اكمال
الرحلة فى سائر البلدان التى اختارها لزيارتنا اتحاد الكتاب الصينى
وعدت أدرجى أنا لاكتب لك هذا ولأعفى بنفسى من أسفار لا يحتملها من
يستقبل الستين وصحته مثل صحتى •

أما الدكتور حسين وعبد العال فقد أكملوا الرحلة وأحسهما سيقرا
هذا المقال معنا هنا فى القاهرة •

ما هذا العلم الوافر الذى يفيض به أخونا الدكتور حسين نصار •
لقد كان مشرفا وكان لمصر فخرا فى كل لحظة قال فيها كلمة • وكان
يتدفق بالعلم والرأى فى ثبات وتواضع وهدوء وثقة •• ان فى مصر
رجالا •

وكذلك كان أخى عبد العال يلقى برأيه فى عمق وأصالة وثبات •
وقد لا يعلم الكثيرون أن عبد العال الحمامسى من أكثر الناس عمقا ومعرفة
بالسياسة المصرية وخفاياها وله فيها آراء يحسده على ذكائه فيها كثيرون
أعرفهم يعملون بالسياسة •

ولم يشتر الدكتور حسين الا هدايا قليلة لحفيدته • أما عبد العال
فأحسب سوق الصين ستغلق أبوابها بضعة أسابيع حتى يمكن أن تقوم
المصانع بتعويض المتاجر التي أصبحت بمرور عبد العال بها قاعا صفصفا •
كان في الشراء ريحا عاتية لا تبقى ولا تذر •

وبعد فهذه نثار خواطر أنت ترى أنها أخذتني متلاصقة أخذا بعضها
برقاب بعض أقدمها إليك • ولا يعلم الغيب الا الله • وربما أعود إليك
مرة أخرى بحديث آخر عن نفس الموضوع وربما اكتفيت •• لا يعلم الغيب
الا الله •

١٤/٦/١٩٨٧ م الأهرام

فى هذا فاكتبوا أو فاصمتوا

طالعنى جريدة اسلامية بمقالين متتاليين لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغنى الراجحي • فقرأت عجباً • فما حسبت يوماً أن يحتاج كلامى الى من يشرحه لقارىء ما فكيف بى وأنا أرى ما كتبت يستبهم بل ويستغلق على شيخ جليل القدر أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر •

ويقول الأستاذ فى بداية مقاله الثانى « تناولنا فى حديثنا السابق مع الأستاذ ثروت أباطة الرد على ما زعمه من أن الحدود الإسلامية عقوبات فيها قسوة والانسلام لا يجوز أن يكون فيه قسوة » واكتفى بهذا • وأطرق محتسباً رب العرش العظيم فهو وكيلى وأنعم به حسيباً ووكيلاً •

وأعوذ بالله من سوء التأويل والادعاء على بغير ما قلت • من أنا حتى يتهم حدود الله بالقسوة • حنانيك أيها الشيخ الجليل • وكيف جاز عندك اننى أناقش الحدود وهى حدود الله فى محكم كتابه وفى كريم تنزيله • الذى نزل به الحق • وبالحق نزل •

فرق كبير بين أن أقول أن العصر الذى نعيش فيه عصر تخلف عن حدود الله ونكص عنها وبين أن أناقش الحدود فى ذاتها •

أنا حاولت أن أناقش محاولة تطبيقها بين أقوام لا شرف عندهم ، ولا ذمة ولا ضمير ، ولا خلق • وضربت بالملوك والخلفاء مثلاً • واستثنيت الأئمة الهداة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعمر بن عبد العزيز •

فكيف جاز لك يا سيدى أن تتصور اننى أناقش الحدود وهى حدود الله • وإنما كل خشيتى من أقوام يطبقونها فيميلون بها عن العدل الى الجور • وهؤلاء سيزعمون أنهم يطبقون الحدود الشرعية بينما هم يحتالون بها ليحققوا مصالحهم الشخصية فيصيبون بالحدود خصومهم فى الراى ويعفون منها منافقيهم والسائرين فى مواكبهم •

هيهات • هيهات : وأنا المؤمن شديد الإيمان أن أجرؤ على حد من حدود الله • فوالله الذى لا اله الا هو ما خفت الا من بشر لا شرف عندهم

ولا ذمة ولا خلق يحرفون كلام الله - جل وتعالى - عن مواضعه ويجعلون منه أداة ظالمة جائرة لحكم ظالم جائر .

فانا يا سيدى أوافقك فى كل كلمة شرحت بها حدود الله . ولكن اسمح لى أولا أن أروى اليك قصة عمر بن عبد العزيز التى رويتها عدة مرات ولم أر لها أثرا فيما يساف من حجج فى الرد على .

أرسل أستاذ عمر بن عبد العزيز اليه وهو خليفة يسأله « الى أى هدف تقصد بكل العدل الذى تقيمه » .

فرد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قائلا : أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب . فأرسل اليه الأستاذ يقول « لن تستطيع وإذا استطعت تكون أعظم من عمر لأن الذين كانوا حول عمر كانوا يعاونونه على العدل أما الذين حولك فسيحاربونك على هذا العدل وسيقتلونك ان أصررت عليه » وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز ولم يكمل سنتين فى الحكم .

فالناس اذن هم العامل الأساسى فى تطبيق الحدود . وبذلك الحدود التى لا يجوز للبشر أن يناقشوها حكم الخلفاء الأربعة وتبعهم خامسهم ابن عبد العزيز فكانوا عدلا حيث حكموا . وكانوا مقسطين غير قاسطين . شرفاء غير ظالمين .

وبكتاب الله وحدوده التى لا يأتيتها الباطل من أى جانب لها ادعى خلفاء لا حصر لهم ولا عدد أنهم حكموا . فكانوا جورا حيث حكموا وكانوا وبالا على الاسلام والناس جميعا .

هذا يا مولانا ما أناقشه وحاشاى واستغفر الله العلى القدير أن أجرؤ على التفكير فى مناقشة حدوده وهى حدوده .

انما أناقش الزمان الذى نحن . . . ولا أناقش ولا أجرؤ أن أفكر . فى أن أناقش كتاب الله الباقي الخالد من الأزل الى الأزل .

فكل ما كتبه يا سيدى لم يكن له بالنسبة لى أى داع ولا أحب أن أقول عنك - وأنت الفقيه الذى يفترض فيه انه محقق لا يكتب كلمة الا بعد أن يضعها فى ميزانها الدقيق - انك ظلمت ، لم تنصف ، وجرت ولم تقسط ، وتجاوزت ولم تعدل .

واسمح لى يا سيدى أن أورد بعضا مما كتبت واسمح لى أن أناقشك فيه وما أظن أننى اذا ناقشتك أكون قد جاوزت مكانى .

ليس تفسير الحدود والتشريع جميعا ظل مطرحا على أهل الفقه منذ مئات السنين . فما البأس به أن أناقشك ولو على سبيل الاستفتاء ومثلى والناس جميعا من حقهم السؤال . ومثلك والفقهاء من اخوانك عليهم جميعا أن يفتوا بما يعرفون اذا عرفوا أو بالقول أنهم لا يدرون . فانه قيل : من قال لا أدري فقد أفتى .

أليس للشيخ الامام محمد عبده رأى فى فوائده البنوك ؟ وما لى يا مولانا الا أحترم رأى الامام وهو الامام .

دع عنك هذا وبنا الى الفقرة التى وردت فى بعض ما كتبت .

قلت يا مولانا بالحرف الواحد « انه كما تنزل العقوبات الدينية بالناس للمعاصى يقتربونها وللأعراض عن هدى الله الذى أنزله فيغير الله تعالى نعمه عليه من العزة والكرامة والقوة والسعادة الى الذلة والمهانة والضنك والشقاوة . فكذاك فى المقابل بسبب الطاعات والالتزام بهدى الله احكامه تهبط عليهم الرحمات ويرفع الله عنهم الضنك والعيش المجهن والحياة الرديئة » .

واكتفى بهذا منك وأسألك يا مولانا من أعطاك علم الله وكيف عرفت عدالته العليا والنبي نفسه وهو النبي يقول ما معناه :

« بين الناس من يبدو فى عمله فى الدنيا أنه من أهل الجنة بينما هو من أهل النار ومنهم من يبدو فى الدنيا من أهل النار وهو من أهل الجنة » ما أصدقك وأعظمك يا رسول الله . ولكننى يا رسول الله أشكو اليك علماء فى زماننا هذا جعلوا أنفسهم مكان الله ذاته وأفتوا ثم حكموا . ولا حول ولا قوة الا بالله .

ماذا أنت قائل أيها الأستاذ الدكتور فى اقوام بغير دين على الاطلاق اترى أنهم وهو أكثر من ألف وثلاثمائة مليون جميعا تعساء .

وماذا ترى يا سيدى العالم الجليل فى عالم متحضر لا يدين بالاسلام الا ترى معى أنه أولى بك ثم أولى أن تردد معى قول الامام محمد عبده انه رأى فى بازيس الاسلام وان كان أهلها غير مسلمين وإنه رأى فى مصر مسلمين ولكنه لا يرى الاسلام .

ألا ترى معي يا سيدي إن لله وحده الحق في اسعاد من شاء واشقاء من أراد حتى يرد اليه كل انسان كادحا فيلقاه ويومئذ تعلم نفس ما قدمت وأخرت •

أترى يا سيدي كل الدول التي يختلف الأمر فيها بين الالحاد الكامل بفكرة الأديان وبين اعتناق الدينين السماويين الآخرين وبين الدول التي تؤمن بالله من البشر مثل بوذا وغيره • أترى أن هؤلاء ينزل عليه الله في حياتهم اليوم سخطا : فكيف اذن هم سعداء •

أليس ما هم فيه اليوم لحكمة يعلمها الله سبحانه وبتقدير منه جل شأنه سبحانه ، فكيف سمحت لنفسك يا مولانا أن تحكم هذا الحكم المطلق العام •

إن عدالة السماء لا يعرفها الا الله وحده • وهو وحده الذي يحدد لها الثواب والعقاب وبالصورة التي يحددها هو وحده سبحانه والقول يغير هذا تجاوز لحدود العبد المؤمن وافتئات على المنطق واغفال للأمر الواقع الذي نراه في روسيا الملحدة وأوروبا المسيحية والصين واليابان وأغلب دول آسيا التي تعبد مخلوقا ، هذا غير أديان كثيرة يدين بها أهلها أقليات كانوا أو كانوا كثيرا من بينها من يعبد البقر وهو البقر • وكل بما يدين به مؤمن •

كيف يا سيدي الأستاذ تحكم على سعادة هؤلاء في الدنيا جميعا حكما مطلقا جامعا مانعا انهم ماداموا لا يدينون بالاسلام الخفيف فهم أشقياء في دنياهم تحيط بهم الفواجع والمصائب • أترى هذا واقعا • أو ترى هذا من حقا •

إن الدين عند الله الاسلام • لا شك في ذلك ولا نقاش • أما عقاب الله ومثوبته في الدنيا والآخرة فأمر يختص به نفسه وما أحسب أنك تفكر أن تشارك الله فيما يختص نفسه به •

وبعد يا سيدي فأنت ناقشت ما ناقشت وقلت فأسهبت ولكنك لم تعرض للأمر الأساسي فيما أكتب •

هل من حق أقوام أن يفرضوا علينا رأيهم بدعوى أنهم يدافعون عن الدين • وهل من حقهم بموجب هذا الادعاء ان يقتلوا الناس بغير محاكمة وهل من حقهم أن ينصبوا أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين وقتلة •

أترى هذا اسلاما • أتراه حقا ؟ فى هذا فأكتب ؟

أترى أن تصبح جماعة تدعى أنها مسلمة ذعرا فى طول البلاد وعرضها تقتل بغير حساب وتطلق الرصاص بلا سؤال منهم لمن يتقصصونه فيثيرون بذلك الخوف والهلع فى نفوس اخوانهم من البشر • أو ترى أن الاسلام يبيع لهم أن يكونوا قتلة مجرمين وسفاحين بلا ضمير • أو ترى من حقهم أن يرفعوا راية الاسلام الحق • الشريف • الأسمى • السلام على اجرامهم ورماصهم وجرائمهم •

فى هذا فأكتب يا مولاي •

وفى هذا فليكتب كل شيخ يرعى الله ودينه القيم وشرعه الحنيف •
أترضى الفتنة يا مولانا تضطرب فى البلاد •

أترضى الخوف يا مولانا يملك قلوب المسلمين وغير المسلمين •

أترضى أن يصبح الأمر فوضى •

فى هذا فليكتب اليوم كل عالم من علماء الاسلام •

فى هذا يا مولانا فأكتب •

وفى هذا ينبغى أن يكتب كل مسلم اليوم •

من جعل هؤلاء السفاحين مسيطرين والله لم يرض لنبيه سيد البشر أن يكون مسيطرا وهو حامل رسالته وخاتم أنبيائه وعلى لسانه نزلت آخر كلمة من السماء الى الأرض •

واذا لم يكتب فى هذا • • وفى هذا وحده • • فليصمت فانه خير له وللإسلام ألف مرة أن يصمت من أن يميل عن الجذ الى الهزل • • وعن خطير الأمر الى هينه وتأفئه •

ان الفتنة تطل على البلاد من وراء ستار يدعى مثيروها أنه اسلامى • وعلم الله أنهم يفترون على الدين ما ياباه ويرفضه يل ويحاربه واذا لم يتصد لهؤلاء السفاحين علماء الاسلام • • فواضيعتا اذن لديننا عند علمائه وفقهائه والأئمة منهم المفروض فيهم أنهم المصابيح والهداة •

فى هذا فليكتبوا • • أو فليسكرتوا ولا يقولوا شيئا مطلقا وحسب الاسلام وحسبنا نحن المسلمين المؤمنين بالله وانه سبحانه نعم الحسب وانه نعم الوكيل •

١٩٨٧/٦/٢١ م الأهرام

آين أنتم من النبي صلى الله عليه وسلم

الخوف من أيشع المشاعر الانسانية • فان النفس الانسانية بلطف من الله الرحمن الرحيم تستطيع أن تواجه الشدائد حين تقع • والانسان فى مواجهة البلاء له من عون الله ملجأ ومرتفق • وله من اشفاق اللطيف سبحانه مرفأ وما من وجنة • وللانسان فى هجير الحياة واجة من ايمانه وله من يقينه فى عزيف الرياح الهوج حوله حصن وسياج •

ولكن الانسان عنده الخوف مذهب العقل ذاهل الفكر • ضاع رشده واختل حكمه • عصر الرعب مشاعره فاذا هو حطام وبتايا •

فالخائف لا يدري قدر الكارثة القادمة • ولا هو يعلم كيف ستحل به • ولا فى أى جانب من جوانب حياته ستصلعه •

ولهذا يقول الرحمن جبل وعلا وهو الرفيق بعباده الغسفق « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتمسون » البقرة ١٥٥ - ١٥٦ •

وأنت ترى أن الله حين يختبر عباده يبلوهم بشئ من الخوف وليس بالخوف كله • وبعض الخوف هذا أشد وقعا وفتكا من الجوع وهو الجوع ، ونقص الأموال بل هو أشد فتكا من نقص الأنفس وهى الأنفس •

فالموت يهون اذا نحن قارناه بانتظاره •

هكذا هو الله جل وعلا •• رحمن رحيم رؤوف شفق عطوف حان حنانا لا تعرف البشرية له مثلا •• ضئيل كل الضلالة حنان الأم على وليدها اذا نحن ذكرنا معه حنان الله • وهزيل غاية الهزال اشفاق الأب على بنيه اذا نحن تمثلنا معه اشفاق الله بعباده •

هذا هو الله •

فمن اين أتت هذه الطغمة القاتلة السفاحة بقسوتها تلك ومن اين استوحيت جبروتها وطغواها • وكيف أذنت لنفسها ان تدعى نسبا الى روح الله وهو رحمة • والى دين الله وهو حنان • والى كتاب الله وهو الهدى • والى أحكام الله وهى عدل وقسط وقسطاس مستقيم •

وكيف تفجرت هذه الجماعات بيننا ذعرا وعلعا وجبروتا • تفشى الخوف وتدفع به دفعا الى أفئدة الوادعين من شعب طيب النفس كريم العنصر مؤمن جميعه بروح الله ورحمته وهدايه •

وكيف سمحت لنفسها أن توجه التهمة فى غيبة الاتهام وتحاكم المتهم فى غيبة المتهم وفغيبة كل مدافع • وتصدر الحكم فى غيبة الضمير وتنفذ الحكم فى غيبة الايمان منها وفى غيبة العدالة وفى خفاء عن رجال الأمن الذين لا يجوز أن ينفذ حكم الا بأيديهم بناء على حكم صادر من قضاء ينظر القضية مثنى وثلاث ورباع •

أبدين الله يدين هؤلاء ؟ لا ورب الكعبة • لا وبیت الله • لا وحق الكتاب المنزل بالحق •

أيتوهمون أنهم ماداموا قد أطلقوا لحاهم أصبح لهم حق قتلنا باسم الدين وبشرع الله ؟ ضلوا والله وفسدوا وأفسدوا وجنح بهم الطريق كبل الجنوح •

أيتوهمون أنهم وقفه لبسوا جلابيبهم مسوخا وزيفا أصبحوا قوما على المسلمين يرعون أمنهم ويقتلون بريتهم ويجتاحون شوارع مصر يصيبون من يتقصدون ومن لا يتقصدون • أطفالا وعابري السبيل ومن لا شأن لهم بالقضية الباطلة الهازلة الحزينة الدموية التى نصبوا أنفسهم زورا وبهتانا رعاة لها وملعين وقضاة ومنفذين ؟ ... خاب رأيهم وضلوا وحق الله ضلالا مبينا •

ان الفتى من هؤلاء يقف أمام المرأة فلا يرى شيئا • فراغ هو حيث وقف • لا وجود له وان كان ذا وجه وجسم ويدرك الفتى أنه ليس له معنى ولا أعماق وانه يمر بالناس حين يمر فكانه ما وجه •

والفتى غريب • والرأس فارغ • والعقل هزيل خواء لا أثر فيه لعلم • ولا نصيب له من وسائل تفكير •

والفتى يحب أن يشعر به الناس اذا هو بدا للناس . والغالبية الكاثرة من الشباب تحسن التفكير وتعلم ان قدر الانسان انما يكون بمخبره لا بمظهره وبعلمه لا بمتكره . ولكن الفتى الغرير الجاهل فارغ الرأس هزيل التفكير يريد أن يصبح شيئاً مذكوراً . بلا جهده عقلي وان كان على استعداد أن يقوم بجهده جسدي شأن البهم والدواب والوحوش .

اذن ليحل لنفسه أن يقول تشبها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، خستت أيها الفتى . وأين أنت من هذا الرحاب ؟ وأين الثرى من ثريا البشرية وكوكبها المفرد وحامل أعظم رسالة من السماء . ومن هو على خلق عظيم . ومن أدبه ربه فأحسن تأديبه ؟

خستت أيها الفتى . وجل النبي عن هذا وصلى الله عليه وسلم . وصلى عليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وسلموا تسليماً . جل متسوداً على البشرية أن يكون التشبه به في لحية أو جلباب انما التشبه بقيمة البشرية وذوايتها يكون في الايمان سما حتى السحاب وما فوق السحاب . . في الخلق العذب . . في الرحمة بالناس . . في حب الشر . . في الايناس في أدب السماء . . اذا مر باللغو مر كريماً واذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً .

أما اللحية يامن ترتلون اللحية نفاقاً وجهلاً فقد كان يلتحي بها أبو لهب الذي تبت يدها وتب . وكان لعنة الله عليه يلبس الجلباب أيضاً ، وكان كل كفار العرب يطلقون لحاهم ويلبسون الجلابيب فقد كانت اللحية والجلباب سمة العصر . وكان النبي صلى الله عليه وسلم بشراً رسولاً . هكذا بعثه ربه وهكذا سار بين الناس . لا يختلف عنهم في مظهر أو هيئة أو ملابس . انما المعجزة فيه أنه بشر رسول لم يحي ميتاً ولم يلق بعصاه لتلقف أفكاره . هو بشر يحمل المعجزة ألم يقل عنه ربه جل وعلا « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » أو لم يقل سبحانه « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فان مت فم الخالدون » أو ألم يقل تقدست أسمائه « قل سبحانه ربي هل كنت الا بشراً رسولاً » .

هكذا أراد ربه . أراد بشراً يحمل معجزة السماء . والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم هذا كل العلم ويحرص عليه كل الحرص ويقول للناس انما أنا بشر مثلكم أكل واشرب وأمشى في الاسواق . وكانت اللحية سمة البشر فالتحي النبي وكان الجلباب ملابس العصر فارتهاه . يشراً كسائر الناس معجزته أودعها ربه صدره وأعلنها للناس لسانه وفعله .

فما لكم لا تتشبهون بالنبي في أخلاقه العظيمة وأنه لعل خلق عظيم -
ولماذا لا تتأثرون بسيرته في أمانته وتتأثرون بلحيته • ولماذا لا تأتسون
به في عدله وشرفه ورحمته وعفته وصبره وتواضعه ونزاهته وطهارته •
وتأتسون به في لحيته وجلبابه ونعله • وأين أنتم من نعله • واللحية
والملبس والنعل عارض والخلق هو الأصل وهو الحقيقة • ألم يقل الله
عنه في سورة التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » •

فأين •• أين أنتم من عنت اخوانكم ذوى أرحامكم وأين أعزازكم
لهذا العنت ؟

وأين حرصكم على المؤمنين وأنتم تثيرون بينهم الرعب وتشيعون
القتل وتفشون الهمار ؟ ضل سعيكم كم تفسدون •

وأين رأفتكم ورحمتكم ؟ أهى قتل الناس ممن تقتصدون بغيا
وعدوانا أم أصابتكم من لا تعرفون من الأطفال والمارة قاتلين أو محطمين
أو ممزقين ؟ أم تحسبون الرأفة والرحمة نعلا تنتعلون ؟ خاب رأيكم كم
تضلون •

وما أكثر اللهى الصالحة المشرقة بنور الله وما أكثر اللهى
الفاسدة المفسدة وما أكثر الجلايب على جسوم ضالة وما أكثر النعال فى
أقدام تسير فى طريق عاج عن الهدى وابتعد عن الايمان وشط به الفساد
وكانت الرذيلة نبراسه وأمامه ومهواه •

لو أن النبى سيد البشر صلى الله عليه وسلم شهد التليفزيون
والمذياع لكانا وسيلتيه لإعلان الدعوة • ولو أنه شهد الطائرة لركبها
لينشر الرسالة • لقد كان النبى قمة الذكاء • وكيف لا والوحى يأتيه من
الخالق الأوحى الفرد الصمد •

ولكن أين أنتم من طريق الله ؟ وأين أنتم من الرسالة ؟ وأين
أنتم •• أين من الرسول الكريم ؟

ما ذكرونى الا بقول ابن الرومى لأحد أغنياء عصره ممن كانوا
يتنكرون باللحية عن حقيقة غبائهم :

ان تطل لحية عليك وتعرض فالمخالى معروفة للحمير
علق الله فى عذاريك مخلاة ولكنها بغير شعير

وان كنت - أستغفر الله - ان تمثلت بالبيتين فشتمت الحمير .
والحمير لا تقتل ولا تخيف الأمن ولا تشيع الفساد ولا تحطم الطمانينة
ولا تقشى الرعب بين الناس .

فمعدرة للحمير حيث لامعدرة لكم ولاسلام عليكم ولا رحمة وانتظرو
أمر الله فانه سبحانه بالظالمين محيط .

١٩٨٧/٦/٢٨ الأهرام

انها لكبيرة

ومن عجب أن اقرأ لأساتذة أجلهم واقدريهم . . ان بعض الناس يخافون على الاسلام ! ويجهن هؤلاء الخائفون الا يعقلون . ماذا يظنون بالاسلام ؟ انه اعظم اديان العالم . انه المعجزة الوحيدة من معجزات الأديان كلها التي بقيت خالدة على الزمان انه الدين الذي ارتضاه الله للبشرية جميعا وفي كلمات كريمات يعلن الله فيها ان المشركين الكافرين قد يئسوا من ديننا فلا خشية منهم ولا خوف . . اقرأ قوله تعالى في الآية الثمانية من سورة المائدة « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام . ما شأنهم ؟ وكيف يجوز لهم أن ينصبوا أنفسهم حراسا على الاسلام والله من فوق سبح سماء ومنذ ألف وأربعمائة سنة يعلن المسلمين جميعا من أبناء عصر التنزيل الى يوم القيامة أن الكافرين قد يئسوا من ديننا . وان سعيهم في محاربته قد خاب وآكدى وفشل . وان على المؤمنين أن ينبذوا أمرهم نبذ النواة فلا تنشغل أفئدتهم الا بخشية الله .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام . وبأى منطق أو عقل قواعد ورفح بناءه ، وأعلى صوته يجوب الأفاق والسنوات والتاريخ يخشون ، والله هو الحفيظ للاسلام . وهو الذي ثبت دعائمه وأرسى قواعد منذ ألف وأربعمائة عام في أسماع التاريخ والزمن والأجيال والأحقاب والناس يصدع مناوئيه ويمحق محاربيه ويبقى بأمر كن من خالق الأكوان وتعلو الكلمات القدسية الالهية على الأيام والأحداث والمرجفين الكفار الملحدين فاذا هم تذهب بريحهم وتدمر تدبيرهم وتمحق كيدهم وتبيد ما يمكرون وتدحض حجته وتنفذ غزلهم انكاسا وتفري كبودهم كمدا وغیظا وهوانا . ولم لا والله من فوق سدرة المنتهى ومن عرشه ورفيع سماواته يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

كانت عندما حملها النبي صلى الله عليه وسلم كلمة ربانية ووعدا للمسلمين ووعدا للكافرين . وهى اليوم حقيقة اكتملت . ووعد تم انجازه ووعد حاق بالكافرين واحاط بهم فما لهم عليه من سبيل .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟ وما قيمتهم عند الاسلام
وماذا تشأنهم بدين أئمة الله وأمر المؤمنين الا يخشوا عليه بعد يوم مر
عليه ألف وأربعمائة عام . وما هم ؟ الا ما أهون حرصهم وما أجددنا ان
نستخر منه . أيخشون هم على دين نزل الله ذكره وتعهده هو بحفظه حتى
تقوم الساعة . وقد فعل وهو من بعد فاعل بما كتبه على نفسه عز وعلا .
ان القرآن معجزة السماء الباقية والتي ستبقى .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟

ان الانسان لا يخاف الا من قادم الأيام وقابل الأحداث . أما الماضي
فقد وقع . وقد نشقى به ولكننا ابدا لا نخشاه ولن نخافه فانه لا يستقيم
فى العقول أن يخشى الانسان مما حدث فعلا الا اذا كانت آثار الماضي لم
تتم فصولا وكان لها خفايا المستقبل آثار وعقاييل فأين هم اذن من
الاسلام .

ان الاسلام واقع تم وحاضر شاهق عميق عريق الأصول ثابت
الرواسى رفيع الهمامات رأسه فى السماء .

هكذا كان ، هو الآن ، وهكذا هو فى المستقبل بأمر من الله تم
نفاذه على مدى أربعة عشر قرنا ويتم نفاذه الى يوم يبعثون . ويوم يخالجنا
فى ذلك خلجة من شك نصيبه أبعد ما نكون عن الايمان بالله الواحد
القهار الحق الصادق فهو دائما والى الأبد منجز وعده . واذا كان المسلمون
فى عهد النبوة قد آمنوا به سبجانه منجزا للوعد بوحي من ايمانهم وحله ،
فنا نحن أبناء هذه الأيام التى تتسم القرن الخامس عشر من أيام الاسلام
نؤمن بقوله سبجانه لأننا مؤمنون أولا ثم لاننا شهدنا الوعد منجزا قد
أصبح حقيقة ثابتة رأيناها وعاصرها التاريخ على مدى ألف وأربعمائة عام
وما زلنا نحن نعاصر الذكر الذى نزل الله والذى أعلن سبجانه ووعد
انه له حافظ . فقد حفظه فعلا وها نحن أولاء نقرأ الذكر فى صباح
ومساء وظهيرة وأصيل وعنده غروب ويقرأه معنا أبناء كوكب الأرض فى
كل الأفاق . بل ان صاعدا الى القمر يسمع الأذان هناك فوق القمر ويعلن .
سيظل الاسلام ثابتا على الأيام شامخا عاليا رفيعا حصينا يكلؤه ويرعاه
ويحفظه ويحميه الخالق . وكفى به حافظا .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟

ما أشبههم بشخص متخلف العقل غائب الفهم يذهب الى حصن
تحميه القنابل الذرية والطائرات الحربية والمناجيع الثقيلة والقادة الحربيون

السداد ويقف هو ومعه خنجر من صفيح صديء ويصيح : أنا أجمع هذا الحصن .

وأعجب ما أعجب له أنهم يدعون أنهم يخافون على الاسلام من الغزو الحضارى . خستتم ما أنتم وما تدعون .

ان الاسلام هو قمة الحضارة وهو الذؤابة العليا من الادراك الرشيد السليم . وما كل هذا التقدم الحضارى الا أسرار الكون العليا هى عند الله ، يتيح كوامن خوافيها للبشر حيناً بعد حين .

ان العلماء فى أنحاء العالم أجمع لا يخلقون قوة وانما يكشفونها فقط ثم هم لا يعرفون سرها ولا يدرون من الذى أودع فيها خواصها الا أن يقولوا هو الله جل وعلا وتباركت ألوّه . ويصيح بهم القرآن والمسلمون : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

ان الغاز الذى اخترق به الانسان طبقات الجو العليا وبلغ به القمر من صنع الله وليس من صنع البشر . وصل الانسان الى سره وركب مكونات من عناصر هى من خلق الله وليست — وما كان لها أن تكون — من صنع البشر . فما الحضارة فى أسمى مراقبها وأعلى مراتبها الا قوة كونية ، الله هو خالقها كما خلق كل شئ وهو وحده من أذن للانسان أن يصل الى أسرارها وخوافيها بأمر كن منه وحين أراد هو ولحكمة لا يعلمها الا هو .

وان الذى أودع الروح فى الانسان وجعله سيد مخلوقاته هو وحده الذى خلق كل عناصر الحياة . من غاز الى نبات الى حيوان الى دواب وما الانسان العالم الا أداة شاء الله فى كرسيه الأسنى أن يتيح له سرا من أسرارهِ . وخافية من وسيع علمه وقبسة ضئيلة من أنواره العلوية كانت مسترة عن العلم فأعلنها . وكانت فى مطوى علمه وأذان لها أن يعرفها الناس .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام .

انهم قوم سمحوا للملحدين أن يفرضوا أنفسهم على صحفنا ويتكلموا مقارنين بين العلم والدين وكأنما العلم أصبح مستقلاً على الدين . أو كأنما العلم كافر والعلماء ملحدون .

ان هذه الحجج الواهية التي يصطنعها الشيوخ الأجلاء لا تصلح
أن تستر ما ينبغي أن يتصدوا له من هذا العبث المجرم السفاح الذي يلهو
به فتية لم يؤمنوا بربهم وانما آمنوا كل الايمان بدينهم وبالأموال التي
تنهمر عليهم انهمارا من أعداء مصر وأعداء الانسانية وأعداء الدين قبل
كل شيء .

ان المشايخ الذين يدعون أنهم يخافون على الاسلام انما يخافون على
أرواحهم والله على ما أقول شهيد .

أين أيها المشايخ الاسلام من فتية مخابيل يطلقون الرصاص الأحمر
على من يريدون ومن لا يريدون .

أين أيها المشايخ الاسلام من فتية يريدون أن يروعوا الأمن
والطمأنينة في الحياة وان يقضوا مضاجع السكينة والاستقرار في مصر .
أين أيها المشايخ الأجلاء الاسلام من عابثين كفرة يرفعون شعائر الاسلام
لافتة كاذبة ويقتلون كل ما هو كريم شريف في حياتنا من أمان .

أين الاسلام من القتل والله يحكم أن من قتل نفسا بغير نفس
أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا .

أين الاسلام من الذين يثيرون الفتنة والله يحكم أن الفتنة أشد
من القتل .

وأين الاسلام من قوم مألوا عن طريق الله الى طريق الرشوة
والضلالة . وعملوا على حرق الوطن بأموال أعدائه ورصاص الحاقدين
عليه .

لا ، ما على الاسلام خفتكم ولكن على حياتكم والا فأين أنتم ؟

أين فتاواكم وأنتم تنثرون الفتاوى كل يوم في ضامر الأمور
وهزيلها وفي أحقر ما يمر بحياتنا اليومية . وأشهد الله ان كثيرا منكم
يعتسف الفتوى اعتسافا ويختلقها اختلاقا .

فما لكم لا تفتون في الذين يقتلون الناس ظلما وعدونا وبهتاننا
وزورا وافكا وضلالة .

أين فتاوى مصباح الألف عام ازهرنا الشريف • أين رجاله الأكرمون • أين علمهم الوضاح : أين فتواهم فيما يحاول هذه الفئة الضالة أن تصنع بمصر •

وبعد هؤلاء •

أين الحزب الوطنى ؟

اتراه يحسب أن دعايته للرئيس محمد حسنى مبارك هى التى ستجعله يفوز فى الانتخابات • لا وحق الإله إذعظم •

إنما الصلة بين مبارك والشعب صلة مباشرة لا يد للحزب فيها ولا فضل • بل اننى أعتقد اعتقاد يقين أنه سينجح رغم دعاية الحزب له •

إن الشعب المصرى لم يحب زعيما واستمر على حبه له فى الزمن الأخير قدر حبه لذلك الرجل • والشعب لا يعرف عنه الا كل ما يزين الرجال ويرفع قدرهم • الشرف عند الوعد ، والتعفف كل التعفف عند أى مغنم • يمر باللغو فلا يمر الا كريما وإن خاطبه الجاهلون قال سلاما •

وقد أعطى الشعب حبا ، والشعب من طبائعه الوفاء • فكيف لا يكافئه حبا بحب • واعزازا باعزاز واکراما باكرام •

بأمر من الله الذى يطيعه حسنى مبارك ولا يخرج فى أى فعل له عن طاهر ساحته سينجح حسنى مبارك •

على الرغم من دعاية الحزب •

فما للحزب لا ينصرف الى صنع مبادئ يلتف حولها الشباب حتى لا يجتذب الأبرياء منهم كل ضليل محتال افاك لص من شيوعى ملحد أو من ارهابى يدعى الاسلام •

أيها المشايخ فى هذا فاكتبوا أو فاقبلوا منا أن تثور حولكم بنفوسنا ما يثور من صفات نجلكم أن نذكرها ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نقمعها فى نفوسنا •

وأيها الحزب الوطنى • بهذا فانشغل أو انك لا شغل لك فانه لا أحد يجهل أن الحزب يعتمد فى كيانه ووجوده وانتخاب الناس له على حسنى مبارك •

فإذا كان الناس ينتخبون الحزب من أجل مبارك فكيف يسوغ في
العقول أن ينتخبه الناس مبارك من أجل الحزب ؟ انما الحزب أما أن يكون
صاحب مبدأ واضح أو هو بلا وجود الا كيانا مؤقتا لا يدوم والله يوفقكم
ويرعى خطاكم اذا أنتم على الطريق وضعتم خطاكم .

١٩٨٧/٧/٥ الأهرام

زمان وزمان

الى غير رجعة يا زمن الاجماع المزيف • والى غير عودة يا عهد الهمس
والصراخ • إن انتخاب الرئيس اليوم من القلوب لا من الحناجر ، ومن
الاقتناع لا من الرعب • ومن الاختيار الحر لا من الأمر الذى يعلم مخالفه
أنه مسلق الى الموت وقد أصبح الموت لله أملا ، أو الى السجن والتعذيب
والاعتداء على كل المقدرات • زمان قال فيه الشاعر :

جلسوا صارما وتلوا باطلا وقالوا صدقنا فقلنا نعم
وقال فيه شاعر آخر :

على الذم بتنا مجعنين وحالنا من الرعب حال المجعنين على الحمد
وقال فيه المتنبي :

كفى بك داء ترى الموت شافيا وحسب الأمانى أن يكن أمانيا

زمان كان فيه الموت سعادة وهناء • زمان اعتدى على أعراض الرجال
والنساء فى خسة لم تعرف لها الانسانية ولا الوحشية مثيلا • زمان دمر
كل معنى للقيم وحطم كل رمز للطهارة ومحق كل نبضة حب تصل بين
الابن وأبيه أو الزوج وزوجه أو الأخ وأخيه • زمان تجرد من النور •
وانفصل عن مسار الأيام ليصبح وحده قطعة من حياتنا مجردة من كل
تعاطف أو مودة • كل لحظاته قهر وحطم وجبروت زمان غاب عنه وجه
الايمان ليطالع الناس فيه وجه ملعون مكشّر عن أنياب شيطانية بشعة •
الخوف قوامه ، والرعب أساسه ، والتمزيق للجسم والروح ديدنه
وسبيله • زمان تحكم فيه غول من الجبان له أعوان من القردة وبنى
الإنسان يتقافزون ، اذا ضحك ويتوارون هلعا ان احمرت عيناه •

زمان بلا رأى • ألغى فيه صاحبه العقل أن يفكر الا فى خدمته
والكلمة أن تقال الا لنفاقه • والصوت أن يصوت الا بحمده • والشفاه
أن تنبس الا بما يشتهى •

زمان السيد الواحد والعبيد الراكعين الساجدين له لا لوجه الله
أو الوطن •

زمان أبى للحياة أن تحيا أو للانسان أن يأنس أو للسكينة أن تلم
ببيوت الناس • أو للرحمة أن ينبض بها قلب بشر •

زمان أنخرس جبار • زمان صم • ليس فيه الا صوت واحد جهير
مخيف يثير الفرع على أنحاء مصر من أسوانها الى نجرها • فاذا الهواء نار
وجليده واذا النسيم فى أعصاف الوادى رياح ذات شرة وعزيف فهى
أعصار ذو لفحات هوج طائشة تدمر حيث تهب فلا تبقى ولا تذر •

زمان اعتصر أبناء مصر فاذا هم آلات • واذا كل بيت له نائب يمثله
فى السجن أو المعتقل تنصب عليه ألوان العذاب فنونا مبتكرات • يعتدى
فيها على عرضه فيحطم كل معنى موجود فى كيانه • أو على جسمه فيدمر
وعاء الروح فيه • أو على روحه فاذا الموت عنده أمل ورجاء •

ويبقى من هذا الزمان ذكرى • هى أصوات نكيرة تذكر به ونحن
نريد أن ننسى • وتعبه ظلاله الدنسة الى أذهان من عاصروه فتتعالى
اللعنات على الزمان وذاكره • وتنصب على من يرفعون شعاره كل ألوان
المقت والسخط والكراهية •

فالذاكرون ماذكروه الا لأنهم من أعوانه وخدمه ومن زبانيته
ومناصريه •

وناصريه ومنتفعيه أيضا خابوا زبانية ومناصريه • وناصرين
ومنتفعين •

أيعودون الى أبواقهم اليوم والحرية تملأ الحياة حولنا •
ها هى ذى انتخابات الرئاسية تتعالى فيها أصوات المعارضة فتثبت
أن مصر فيها رأى آخر • وإن المعارض فيها - حتى وإن كان باطل -
يستطيع أن يجاهر برأيه • فى أمن هو غير خائف ولا هو مذعور •

وينتهز بعض كتاب المعارضة هذه الفرصة ليركبوا خيولا من الوهم
ويشبهوا سيوفا من الورق ويصرخوا بكل الأكاذيب ولا يسمهم من الحكم
ارهاب •

أين كان هؤلاء وأين كانت شجاعتهم • علم الله انهم كانوا فى
مواكب الفساق زمرا • وكانوا المنشدين فى مواكب الهوان أو كانوا
المترجمين فرائص وقلوبا •

خرج الذين كانوا فى السجون يرتدون الملابس الزرق وأصبحوا قادة وزعماء وبدلاً من أن يدلوا بأرائهم بريئة من الغرض بعيدة عن الهوى هاجموا فى ضراوة وحجبوا ثقتهم الملى حين هاجموا بعيدين عما يعرفون أنه الحق حين حجبوا •

وانتفض الذين كانوا يتعرضون للاعتداء على أعراضهم وجسومهم وأرواحهم وأصبح لهم حزب تجمعوا فيه وصحف يملأون أنهارها بالكفر والالحاد وكراهية الوطن وعهد الحرية والكرامة المصونة والعرض السليم •

وخرج الارهابيون ممن اتخذوا الدين وسيلة ليصلوا به الى مناصب الدنيا وانتشروا فى جنبات مصر ثقيلاً وذعراً فلقبهم بالحكم بالحزم الرفيق بالمواجهة لا بالارهاب •

أيريد المعارضون أن يعودوا الى السجون والمعتقلات والاعتداء على الأعراض والأنفس والجسوم •

فليتقوا الله فى أنفسهم إذا هم كانوا أهون من أن يتقوا الله فى دينهم وفى وطنهم وفى أبناء شعبهم وليتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا وحدهم • فانهم هم سيكونون أول الأعواد التى تلقى الى حريق هذه الفتنة إذا هم أضرموها ••• ما لهم الا يعقلون ؟

انهم جميعاً ونحن معهم كادحون الى ربنا كدحاً فملاقونه • ويل يومئذ كل الويل لمن لا يؤتى كتابه يمينه هاؤم اقرءوا كتابيه • أنى ظننت أنى ملاق حسابيه •

١٦/٧/١٩٨٧ الأهرام

انه جـد لا هـزل فـيه

لقد أذن الله لمصر ان يتولى أمرها رئيس يتحلى بأكرم ما يتحلى به الرجال . شريف هو صادق الوعد أمين لا يقطع على نفسه عهدا الا اذا كان واثقا انه قادر على انفاذه . ليس فى سجاياه كبر ولا هو عاتية او غليظ القلب وانما سلس المأخذ هو قريب المورد ، يحرص على دينه كل الحرص فى غير حرص على ينياه . بعينه كل البعد على المظهر الكاذب ، والزينة الفارغة ، فى ملبس أو مسكن أو مركب . يعلم كل العلم ان المنصب الذى يتولاه عبء فادح وليس تشريفا ولا جباها ولا مظهرا . أطيّب الناس هو نفسا لا شرة له ولا قسوة فيه . لا ينتقم ولا تمر فكرة الانتقام بذهنه . ترك الأطفال من هواة ألعاب البطولة السركية يقحمون اسمه فى المقالات فما تنازل يوما أنه يتخذ منهم موقفا مثل الذى يتخذ كل العاملين فى الحياة العامة من رفع الدعوى أمام القضاء لقمع الكاذبين والمدعين بغير حق والذين يرمون الشرفاء عن كيه أثم ومكر سييء بلا تدبر أو رعاية لأمانة الكلمة أو اقدار الكرام .

تفتح اذاعات ليبيا وسوريا عليه كل منافذها مطلقة كلابها النابحة الجرباء فما يفكر رئيسنا أن يواجهوا بمثل ما يرتكبون . فهو رجل ديدنه فى الحياة انه اذا مر باللغو كريما يمر واذا خاطبه الجاهلون قال سالما .

ومحمد حسنى مبارك لا يقيم بينه وبين الشعب أعوانا ولا أنصارا وانما يذهب هو الى الشعب وكم كان يتمنى أن يأتى الشعب كله اليه . وما دام ذلك غير متاح فهو الذى يذهب الى التجمعات الشعبية ويسأل الأفراد عن أحوالهم ما استطاع الى ذلك من سبيل ثم هو يزور البيوت بلا تفرقة ويتحرى أن تكون زيارته للفلاح الضارب بفأسه فى الأرض أو للصانع الذى يعمل بيده على الآلة ليشعر كل فلاح وعامل فى مصر انه جدير بزيارة رئيس جمهورية مصر .

ورئيسنا ذو أناة فى القرار لا يتخذ الا اذا قلبه على كل جانب له بعيدا فى تفكيره عن كل غرض شخصى أو غاية ذاتية وانما يسأل الخبرا

ويتبين رأيهم ويجرى بينهم النقاش حتى تلتقى الحجة بالحجة والرأى
بالرأى .

والرئيس محمد حسنى مبارك أبعد ما يكون عن اتخاذ أفراد من
الناس يجعلهم مقربين اليه ليتاجروا بأسمه أو يتخذوا من صلتهم به
وسيلة لجاه لا يستحقه صاحبه أو مال يستلبه عن غير طريقه الشرعى .

أصدقاؤه الخالص الذين وصلته بهم حياته الخاصة لا يسمح لأحد
منهم أن يتحدث عن شخص مسئول بحديث مرسل أو بإشارة فيه انتقاص
أو مديح . فالرئيس محمد حسنى مبارك يعرف خطورة المكان الذى
يشغله ولا يسمح لأصدقائه أن يجعلوا من صداقتهم به وسيلة لرفع من
لا يستحق أو لقدح فيمن لا يستوجب أمره انتقاضا .

وهكذا فنحن أبناء الشعب لا نعرف أسماء هؤلاء الأصدقاء لأن
صداقتهم به بعيدة كل البعد عن الحياة العامة فى مصر سياسية كانت
هذه الحياة أو اقتصادية .

والرئيس محمد حسنى مبارك لا تجوز عنده الأقاويل ولا يأخذ
بالظن ولا يصدق بغير دليل .

وهو يدرك المنافقين حين ينافقون ولا تختلج نفسه بمديحهم فهو
يعرف ماذا يقف وراء مديحهم والانسان الشريف لا يطرب لمديح ينطلق
عن تزلف أو يندفع الى منفعة شخصية يتغاياها المادح المنافق .

لم يسمع أحد عن محمد حسنى مبارك الا ما يشرفه ويزينه
وما سمعنا عن أسرته جميعا - رعاها الله - الا ما يشرف الأسر الكريمة .

السيدة الفاضلة زوجته تهتم بما لا خلاف حوله من الحياة الاجتماعية
وأمر الطفل وثقافة المجتمع مما تتفق حوله كل الآراء مهما تتباين
المعتقدات السياسية أو الدينية والفكرية .

وابناء - أكرمهم الله فيهما - موفقان كل التوفيق فى حياتهما
تخرجا متقدمين ويمارسان حياتهما بعيدا كل البعد عن الحكومة حريصين
كل الحرص أن يخرسا أى لسان يحاول أن يمس سمعة واحد منهما
مقدرين كل التقدير المكانة التى فرضت عليهما فرضا لا يد لهما فيه فهما
يتحلمان قدرهما فى الدائرة الضيقة كل الضيق التى يتيحها لهما منصب

والدهما راضيين بأن يحرمنا من كل ما يتمتع به اخوانهما في مصر وفي
أنحاء العالم أجمع من حرية وانطلاق .

وبعد فالله يعلم أنني مهما أمدح هذا الرجل فأنا مقصر في شأنه لم
أبلغ ما يستحقه هو وما تستحقه أسرته من تقدير واجلال .

وبعد فالله يعلم أنني سألقى من هذا الذي أقول عنتا أى عنت
وسيدعون أنني منافق وأننى أمدح بالرئيس زورا وبهتانا ولكن هؤلاء
سيعجزهم أن يجدوا سببا لنفاقى فهم يعلمون أنني أولا وقبل كل شيء
كاتب والكاتب لا يحتاج لمخلوق فى جميع حياته فأنا لا أستعين الا بالله
وحده فى علياء سمائه تقديست أسماؤه . عيله أنا فى رحابه . وليس لى
فى غير رحابه مارب أو مطمح .

وانه لجبن غاية الجبن أن نحبس الحق من المديح خوفا أن يقال
عنا منافقون . كما هو جبن غاية أن نحبس نقدا نعرف انه الحق خوفا
من طاغية أو ظالم والذين تتبعوا حياتى يعلمون أنني - والحمد لله -
لم أكن يوما جبانا ومن لم يكن جبانا هيهات هيهات أن يكون منافقا .

وبعد مرة ثالثة فقيم هذا الحديث عن الرئيس ؟ الحق أنني إنما
وجهه الى الحزب الوطنى أرجوه بكل ما أملك من صدق أن يقف بين
الشعب والرئيس فالشعب لا يحب الزخوف المصطنعة ولا التأييد المدبر
ولا المبايعات المفتعلة ولا اللافقات الرخيصة .

ان محمله حسنى مبارك عظيم . وكريم المكانة ومكين عند الشعب
والشعب يكره كل الكراهية الصخب والصجيج الذى لا داعى له . فهذا
اللون من التأييد الذى ابتلعه حزب الوفد قبل الثورة وتبناه الاتحاد
الاشتراكى والتنظيم الطليعى وهيئة التحرير ومالا أدري من أسماء لا تدل
على شيء . . هذا اللون الغوغائى الرخيص أنزه تأييد حسنى مبارك أن
يتسم به .

ان حب محمله حسنى مبارك مكين عميق الجذور فى نفوس أفراد
الشعب وهذا الصخب الذى نراه يظهرنا وكأننا نحن محبيه نخاف
الا يختاره الشعب .

ولماذا لا يختاره الشعب وهو لم يكن يوما الا حبا وما كان فى يوم
من الأيام قهرا أو عنفوانا أو ظلما وجبروتا .

واستحلف الأخ العزيز صفوت الشريف أن يمنع أى محاولة لتأليف أغنيات عن حسنى مبارك * فإن القلوب حين تغنى بحب رئيس دولة تكره أن تفرض عليها أغنيات من الحناجر * لأن الأغاني التي تؤلف وتلحن عن الرؤساء لا تكون الا فى دول ديكتاتورية الحكم فيها مطلق وليس فيها الحرية التي ننع بها فى مصر *

لقد صان الرئيس محمد حسنى مبارك الأمانة وحملها فى جديده
لا هزل فيها ولا لهو ولا عبث *

فيا حزبي الوطنى كن جادا مثل رئيسنا وابتعد - بحق الله والوطن - عن الهزل واللهو والعبث * حتى يدرك الشعب انك تقف على نفس الأرض التي يقف عليها رئيسنا أعانه الله وأيده خطاه وسدد يمناه *

١٩/٧/١٩٨٧ الأهرام

والد وما ولد

بطل هو اليوم يدبج المقالات النارية يحاول بها أن يخادع الناس عن حقيقته وماله لا ينتقد ويبالغ في النقد وماله لا يؤجج الحماسة في نفسه فيتجاوز النقد والرأى الى الهجوم والسباب * لعل الناس أن يقولوا عنه صنديد فارس ، وجرىء * مقدم ، والناس تعلم كما يعلم هو ان شرا لن يمسه مهما يببالغ في الهجوم ومهما يتجاوز حده النقد الى منطقة التنايز بالألقاب واصطناع الكلمات الفخام والالفاظ الضخام وما شاء له هواه من صيال وتجوال عبدا في ثوب عنترى ضئيلا في ثوب الكبار *

والصورة التي أقدمها اليوم صورة مزدوجة ليست له وحده وانما له ولأبيه على السواء وقديما قال الناس كل اناء بالذى فيه ينضج وقديما قيل أيضا الأصل غلاب كما قيل لا تله الحية الا حية * وشدد الياء الثانية حتى تتضح الصورة وتبين *

كان أبوه يعيش في مدينة من مدن مصر وكان يستأجر بيتا من صاحبه ولم يكن أبوه فقيرا أو معوزا أو متكفلا للرزق * وانما كان موظفا في زمان كان يقال فيه ان فاتك الميرى تمرغ في ترابه فالحياة بالنسبة اليه في ذلك الحين لم تكن عننا ولا محلا ولا يابسة *

وانما كان هو كما سأروى لك *

ظل الشهور الطوال لا يدفع أجرة البيت وكانت في ذلك الزمان قروشا أقل من أن تعد * ولما ضيق عليه صاحب البيت الخناق فعمل عجبا *

كان الانجليز يومذاك يحتلون الوطن المصرى وكانوا يفرضون عليه نظاما ظالما قاهرا * وأى محتل عدل ! *

كان النظام يسمى الحماية وبمقتضاه لا ترفع الدعوى من مصرى على انجليزى أو أى أجنبى الا أمام محكمة خاصة كانت تسمى المحاكم المختلطة وكان قضاتها معروفين بالظلم والحيف والميل كل الميل الى

الأجنبي والميل كل الميل على المصرى • وكانت الاجراءات أمام هذه المحاكم تجعل المصرى يأنف يائسا أن يتقدم اليها بظلامة • وكانت الاحكام فى مجملها تزيد يائسا أن يفكر فى رفع الدعوى أمامها •

وهكذا تفتق ذهن والده البطل الذى اروى لك قصته عن أمر عجيب فلقد كان يستأجر بيتا بأكمله لا شقة وهكذا ترى انه لم يكن فقيرا من المال وسترى من فورك انه كان الى الخلق والى الوطنية افقر خلق الله أجمعين •

جاء صاحب البيت الى بيت والد البطل ليطلبه بالأجرة فرأى عجبا ••• رأى الوالد الحقير يرفع على قمة البيت علما من أعلام الدول الأوروبية التى يتمتع رعاياها بالحماية فى مصر •

وادعى المصرى المسلم ابن الأرض المصرية والفلاح المصرى انه من رعايا هذه الدولة ومن ثم لا يجوز رفع الدعوى عليه الا أمام المحاكم المختلطة • وهيهات لحق أن تحكم به المحكمة المختلطة لمصرى على أجنبي •

باع المصرى وطنه ومصريته من أجل قروش زهيدة ليأكل حق صاحب البيت ما أهون الوالد وأحقه ! وما أرخص ما باع مصره ومصريته •

ولم يجد صاحب البيت مناصا من أن يرجو المستأجر الوضع أن يترك البيت ولا يدفع شيئا •

وكانت البيوت فى ذلك الحين تبحث عن مستأجرها وكانت البيوت خالية فى كل مكان وقد ظلت كذلك حتى أراد عهد جائر جاهل أن يوافق المستأجرين فتدخل بينهم وبين الملاك فتوقف البناء فى مصر وطمت الأزمة التى تنشأ أظافرها الحادة اليوم فى شبابنا وفى أمالهم ومستقبلهم •

لا عليك ولا علينا • انتقل والده البطل الى بيت آخر وأقام فيه ما حلا له أن يقيم رافضا أن يدفع أجرا وكان المالك قد فطن الى ما صنعه آنفا فأصر أن يكتب والده البطل فى العقد أنه مصرى الأصل والجنسية ولم يجد بدا من الاذعان فكتب وأصبح ممتنعا عليه أن يرفع علم دولة من أعلام الحماية •

ولكنه حين ألح عليه المالك أن يدفع أجر البيت عمد الى بعض أثاث قديم من بيته كان يعده للحريق فألقى عليه كميات ضخمة من الماء وأعلن المالك انه أجر له بيتا متهالك السقف وان الامطار انهمرت على أثاث بيته

فأفسدته وهدد المالك انه سيرفع عليه دعوى تعويض عن الأثاث قيمتها
أضعاف الايجار فخاف المالك المسكين وظل والد البطل النصاب يقيم فى
البيت دون مقابل .

وهكذا كان الأب فى أيام الاحتلال فماذا صنع الابن فى أيام القهر
والعدوان وفى زمان الطغيان المصرى لا الأجنبى .

كان محاسبا لشركة كبرى وضعت تحت الحراسة وقصد اليه
أصحاب الشركة أن يقسم حساباتهم لتثبت حقوقهم الشخصية التى
لا تخضع للحراسة الظالمة المفروضة فاذا هو ينكل عن هذا ويعلم الوثائق
ويهرب من أن يذكر اسمه وتكرر منه مواقف الجبن الراعد والضمير
الغالب . حتى يجىء عهد الحرية فاذا هو يشرع القلم ويستل السيف
الورقى ويهاجم فى سفالة ونذالة وصغار . وما العجب فانه فتى نشأ على
ما كان عوده أبوه لقد باع الأب وطنيته من أجل قروش وباع الابن ضميره
ومازال يبيعه بالمال حيناً وبادعاء البطولة دائماً وبدلاً من أن يمتدح الحرية
ويطالبها بما يرنو اليه وطن انهارت الأركان فيه وجفت موارده بصب
الرعيه ابن الخائن جام غصيه على الحرية وعلى النظام الذى أتاح لها
ما لم يكن متاحاً لهم أقل لك ان الحية لا تلد الا حية أو لم اطلب اليك
أن تشدد الياء الثانية حتى تتضح الكلمة وتبين معاملها .

١٩٨٧/٧/٢٦ الأهرام

هيهات لموت أن يناله

لا أعرف أحدا بذاته أعزى في وفاة توفيق الحكيم وإنما أعزى فيه الأدب العربى جميعه قديمه وحديثه وأعزى فيه الانسانية فى شتى معانيها ومختلف صورها .

ثم بعد من أى جوانب توفيق الحكيم يبدأ الحديث . ان الأمر يستغلغ على الكاتب اذا اتسع الموضوع فاذا هو محيط لا يدرى الكاتب من أى شاطئ له يبحر والى أى شاطئ له يرسو .

ان توفيق الحكيم ملأ العالم جميعه بأدبه وفنه السامى الرفيع حتى أصبح علامة مشرقة على الأدب العربى فى شتى أنحاء العالم لا يضىء بجانبه الا قلة من الأنبياء أمثال شوقي وهيكل وطه حسين والعقاد .

وقد كان توفيق الحكيم فنانا مبدعا عميق الفكر يقدم اليك أعظم الآراء الفلسفية فى مسرحية يقرأها القارئ الساذج فيراها قريبة منه ميسورة وكلما ازدادت ثقافة القارئ زاد اعجابه بتوفيق الحكيم .

فقد كان موسوعى الدراسة قرأ فى كل الآداب وفى كل الفنون ودرس جميع الفلسفات ، وألم المام العالم الخبير ، وقدمها فى روعة المسرحى الفنان القدير المتمكن عميق الجذور مشرقة اللفظة فى حوار لم تعرف له العربية مثالا من قبله .

عرفنا توفيق الحكيم نحن أبناء جيلنا فى نفس اللحظة التى عرفنا فيها أن هناك شيئا اسمه الأدب وعشقناه يوم عشقنا القراءة وأمسك بيدنا جميعا فى حنان الأباء ليصل بنا الى الأدب الكبير دون أن نتقطع منا الأنفاس أو يشق علينا الطريق .

كنت اذا أمسكت كتابا لتوفيق الحكيم لا أغلقه أو أنتهى منه حتى اذا اضطررتنى الحياة أن أغير ملابسى لخروج كنت أضع كتاب توفيق الحكيم بحيث أستطيع مواصلة قراءته ثم أنا أصعب الكتاب حيث أذهب

حتى أفرغ منه • ولا أذكر أنني قرأت كتابا له مرة واحدة فقد تعلمنا القراءة وكتب توفيق الحكيم فى المكتبة لا تزيد على أربعة كتب أو خمسة أو ربما أقل وكنا نظل نرنو الى أبواب المكتبة فى انتظار الوافد الجديد من ابداعه الفكرى الشامخ وقرأنا مسرح المجتمع والمسرح الموع وهما ينشران أجزاء منجمة فى الصحف • ثم قرأنا المجموعتين الكبيرتين مرات ومرات وهما كتابان ضخمان •

أما توفيق الحكيم الانسان بالنسبة لى فان لى به صلة تمتد على مدى سبعة وثلاثين عاما كنت قبلها أعرفه ولا يعرفنى ، وانما كان يعرف أبى وقد تعرف به يوم تولى أبى وزارة الشئون الاجتماعية وكان أستاذا توفيق الحكيم مديرا لمصلحة الفنون بالوزارة وكان أبى شديدا لالعجاب بتوفيق الحكيم وكانت ثقافته الفرنسية تتيح له أن يصل الى أعماق أغوار توفيق الحكيم •

وقد دعاه مع الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى لتناول الغداء ببيتنا بالعباسية وكنت فى ذلك الحين قد بدأت أنشر مقالاتى بمجلتى الثقافية والرسالة ولكننى مع ذلك خجلت أن أرحب بالكاتبين الكبيرين مرتثيا أنني لا يجوز لى بعده أن يعرفنى واحد منهما • ولم يكن هذا الخجل يتولانى وأنا أرحب بالوزراء أو رؤساء الوزارات أو الأمراء اذا هم جاءوا الى بيتنا • لقد كان مكان الأدبيين الكبيرين فى نفسى أكبر من كل هؤلاء الذين ذكرت • واكتفيت أن أراهما وهما ينصرفان سائرين على الأقدام يعتمله كل منهما عصاه فكانت عصا الكاتب منهما أعظم عنلى فخامة من أروع أنواع السيارات التى تقل الحكام والأمراء •

وكان توفيق الحكيم يجلس فى المقهى المقابل للبنك الأهلى فكنت أعبر الشارع وأقف عند البنك الأهلى وأكتفى بالنظر الى الكاتب الأسطورية وهو جالس بمقهاه •

وكنت أذهب فى ندوة الخميس بلجنة التأليف والترجمة والنشر وكنت أظل صامتا وتمر السنون ويأتى يوم أخرج من الندوة لأجد العملاق واقفا فى ممشى الدار الخارجى ونظره الى المبنى فى شكل يقطع بأنه ينتظر خروج شخص من الدار فحسبت انه ينتظر صديقا له فاذا هو يبدأنى بالحديث •

— هل أنت فلان •

فاقول :

— نعم •

— يقول : اننى أستمتع الى تمثيلياتك فى الاذاعة وأعجب بها ويوم
أعرف ان لك تمثيلية لا أخرج من البيت حتى أسمعها .

وهيهات أن يدرك أحد مقدار النشوة التى شعرت بها يومذاك .
وانما حسبك أن تعرف أننى اليوم وأنا فى الستين وقد نلت ما أشكر الله
عليه من تكريم فى مصر وفى خارج مصر ولكننى قط لم أشعر بخفق
الفرح فى قلبى الذى أحسست به فى تلك اللحظة الا مرة واحدة أخرى
يوم امتدح لى عميد الأجيال طه حسين روايتى « هارب من الأيام » ثم كتب
عنها مقالة بجريدة الجمهورية .

بدأت معرفة توفيق الحكيم بى من منذ ذلك اليوم . وتواصلت
العلاقة . . بيننا هو منى دائما بمكان الوالد وأنا منه مكان الابن .

وأنا اليوم أكتب ما أكتب وأنا مريض بالاسكندرية يمنعنى المرض
أن أستقبل فيه العزاء ولا أعزى فيه فأنا لا أعرف أحدا أجدر بالعزاء منى
بعد ابنته أطال الله عمرها .

وبعد فما هذا الذى أكتبه ولن أكتبه . وماذا قلت ولن أقول وماذا
يقيه القول أو ماذا تقيه الهموع . انما هى نفوسنا تموت شيئاً فشيئاً
فلا صبر يجدى ولا جزع يقيه ولا عزاء ينفع ولا بكاء يستطيع أن يعدنا
بالصبر ولا هلع يطبق أن يمدنا بعون وانما هى الحياة تحمل فى حروف
لفظها الموت أيضاً فكلنا نجيا يعنى اننا كلنا نموت . ولكن توفيق الحكيم
توارى بشخصه ولكن توفيق الحكيم خالده بفننه يصدق عليه معنى الحياة
وهيهات للموت أن يناله .

١٩٨٧/٨/٢ الأهرام

ألوان من الحقد

لحكمة لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى قضي أن يكون اعتمادي فيما أكتب على وجداني وحده لا استنبح الكتب ولا أنقل منها ولا أترجم عنها .
وأذكر كلمة للعقاد العظيم يقارن بين كاتبين قال عن أحدهما انه اذا كتب فانما يحك رأسه أما الكاتب الآخر فيحك رأس الآخرين . وقد أراد الله لي أن أكون من صنف الكاتب الأول فما أذكر أنني حككت رأس أحد .

وأنا اليوم عازف عن الكتابة في السياسة وكثر عزوفا عن الكتابة في الأدب وأحب أن يكون حديثي اليك عن الناس . وحين أتحدث عن الناس فانما أتحدث في السياسة والأدب جميعا .

ويثور بنفسى اليوم أن أتحدث عن الحقد وقاك الله شره وجنبك لفحه وأبعدك عن وقده .

فما أعرف داء هو أفتك بالانسان من الحقد . وأذكر أنني كنت صغيرا الى درجة أنني كنت واقفا بسيارة أبي حين هو مع صديق له يستقلان السيارة في سفر له وأذكر أن أبي قال لصديقه في ذلك اليوم .

— أنا ما حقدت في حياتي على أحد وما غضبت عمري من حاقده على ولا تمنيت له شرا وإنما أنا دائما راحم له مشفق عليه من النار التي تأكل صدره وطالما قلت لنفسى كفاه ما هو فيه من محنة حقدته على الناس .

فالحاقد لا يرضى مهما تهب له الحياة من نعم . وهكذا نجد الله سبحانه وتعالى حين يعلو عبده ويبيشره بقوله جل علاه لنبيه « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فهو تقدست ألوه يعلم — ومن غيره يعلم — ان النعمة ليست في أن ينال الانسان وإنما النعمة الحق في أن يرضى بما نال . تلك هي السعادة التي لا تقاربها سعادة وذاك هو الهناء الذي لا يشبهه هناء .

أما الحاقد فلا يرضى أبدا . وهكذا نجد الحقد عند الأغنياء كما نجده عند الفقراء ونجده عنده ذوى الجاه كما نجده عند من لا جاء له .

فلا المال الغامر يرد الحقد عن النفس ولا المنصب الرفيع يدوده
ولا الشهرة تمنعه . فالحقد داء وبيل يتسرب الى النفوس فيقلب النعمة
عندها شقاء وأسباب العز نقمة ووبالا .

فأما ذو المال الحاقدا فإنه لا يرضى مهما يبلغ به الغنى . بينما قد
تجدهم الفقير راضيا قانعا سعيدا . فقل لى بربك أيهما أهنأ حالا غنى
لا يرضى فهو لا يعرف السعادة أم فقير يرى ما عنده على قلته - وفرة
ونعيما .

ولا حدود للمال والأرقام لا نهاية لها وصاحب المليون يحقد على
صاحب المليونين وهكذا دواليك الى ما لا نهاية فما للأرقام مدى تقف
عنده ولا مرفأ ترسو اليه .

وهكذا ينقلب المال نقمة ووبالا مع أن الله جعله إحدى الزيتين
وقدمه سبحانه على البنين .

ولكن الغنى الحاقدا مسكين أنزل الله عليه سخطه وغضبه حين
وهب له المال ولم يهب له الرضا .

أما ذو المنصب من الحاقدين فهو شر حالا والعن مالا . فمصيبتة
ليست مقصورة عليه وحده وإنما هي تشمل كل من يسعهم منصبه
وجاهته .

والجاء هو أيضا لا يعرف قصدا فالمدبر الحاقدا يريد أن يكون وزيرا
والوزير الحاقدا يصبوا الى رئاسة لوزراء ورئيس الوزارة أو من مائله يريد
أن يكون الحاكم المطلق .

والويل كل الويل لشعب يرأسه حاكم مطلق يملأ الحقد جوانبه
ويأخذ عليه مسالك حياته . فإن الحاكم حينئذ يحقد على كل فرد فى
شعبه نال مالا أو نال شهرة أو نال علما أو أصاب قيمة ترفع فى الحياة
ذكره . والرئيس الحاقدا اذ تفرد بالحكم لا يكتفى بحكم شعبه وإنما تمتد
مطامعه للشعوب الأخرى يريد أن يحكمها ويتولى أمورها ويتمكن من
مقدراتها . وحينئذ يصبح شعبه هو أول ما يلقي على منضدة المقامرة .

أما صاحب الشهرة الحقود فكأثرته هو أيضا عميقة الجذور بعيدة
المدى . فهو لا يكتفى أن يكون مشهورا فى دولة واحدة أو عدة دول
وإنما هو بحقدده يصر أن تتسم شهرته حتى يصبح اسمه على كل لسان

العالم وهكذا تجده أشبه ما يكون بالبهلولان فى السرك يتقافز حين ينبغى
له الوقار ويقف على رأسه حين يجمّل به أنه يقف على قدميه فيصبح دون
أن يدري أضحوكة للقوم وهو يجاهد أن يكون عندهم ذا شهرة ومكان •
والحقود صغير النفس يشقى بصغاره شر ما يكون الشقاء •

ومن عجب أن ترى الحقّد فاشيا بين الأصدقاء وأبناء المجال الواحد
ولكن أقبح صورة وأكثرها انحطاطا وأبعدها فحشا حين تراه بين الأقارب •
وهى صورة قديمة بعيدة الغور فى أعماق الزمان يصرخ بها الشاعر العربى
القديم •

وان الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقّد القديم عليهمو فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

رعى الله ذكراك أيها الشاعر القديم كم من محقود عليه يردد أبياتك
تلك فيجد فيها مقنعا وشفاء

بل رعى الله ذكراك أيها الشاعر القديم فان مصر الكبرى تردد هذه
الآبيات فى مواجهة بنى أبيها وبنى عمها من العرب أجمعين • وانها لتجد
فيها مقنعا وشفاء •

١٩٨٧/٨/٩ الأهرام

المستقردون

هذا اشتقاق لم أعرف أن أحدا قاله قبل اليوم . فالذى لا شك فيه أن اللغة العربية لم تكن محتاجة اليه ولا احتاج اليه العرب قبلا . فقد عرف العرب اناسا حاولوا أن يتشبهوا بالأسد وهم بأخلاق الفيران أو الكلاب فقال عنهم العرب استأسد الفأر أو استأسد الكلب . وعرف العرب بعضا آخر حاولوا أن يظهروا بمظهر النمر وهم بأخلاق القطط فقال عنهم العرب تنمر الهر أو القط واختر ما شئت .

ولكن العرب لم تعرف ولا عرف أحد غيرهم على مدى تاريخ البشرية ناسا من البشر الذين رفعهم الله وجعلهم سادة المخلوقات حاولوا أن يتشبهوا بالقردة عن علم منهم بما يفعلون متقصدين هدفهم فى وعى به وإدراك له .

أنهم بعض انسان أعرفهم وأعرف أنهم على قدر من الثقافة والدراسة ولكنهم يتعجلون الشهرة ويضربون ظهور الأيام بالسياط لتصل بهم الى المنصب الرفيع . والذكر المنتشر والقدر العزيز ، وظنوا أن خير طريق لهم أن يتقافزوا على الجبال فعل القردة ويتواثبوا على أوراق الجرائد فعل النسناس ليعلو بهم الصيت ويلقى فلان من الناس فلانا ويسأله هل قرأت للقرد ما كتب اليوم أو ما صرح به فى منتدى من الناس .

هؤلاء وجدت نفسى مضطرا أن اشتق لهم فعلا ما عرفته البشرية من قبل هو استقرد وفاعله مستقرد وجمعه مستقردون .

وكم يحز فى نفسى أنهم – كما انتهيت اليك من قبل – على قدر من الثقافة كان جديرا أن يصل بهم الى المكان المرموق والتقدير والاحترام . ولكنهم اهتموا ثقافتهم وعلمهم ، وسحقوا جهدهم الذى بذلوه فى الدراسة والتحصيل ليستبقوا الشهرة وإن كانت رخيصة وليذيع أسمهم وأن كان بالانحطاط يذيع . جهلوا أن الشهرة إن لم يصحبها التقدير فهى فضيحة وأن الذئوع اذ لم يحط به الاجلال والاكبار فهو انهيار الى حماة سحيفة من الخمول والضياح والفقدان .

وهؤلاء المستقردون أهون شأنًا من القردة فهم مهما يحاولوا أن يقلدوا يظلوا مقلدين لا أصلاء . فهم حين يتقافزون ويتواثبون لا يصلون في هذا المضممار الى مدى المهارة التى خلق عليها القردة ، لأن القردة تصنع ما تصنع عن سليقة وهبها الله لها غير مكتسبة ولا هى مفتعلة .

وحين يدق المستقردون صدورهم ليتخذوا مظهر الأبطال الصناديد يشبهون القردة ولكن تظل القردة هى الأصل ويظلون هم مستقردين لا مقلدين ولا أصلاء .

وإذا كانت حركات القردة جميعا تثير عند البشر مكان الضحك والتسلية والسرور فإن حركات المستقردين تثير عند خلق الله الاسى والاشفاق والاحتقار لدى هذا فى كتاب يكتبون فى بعض الصحف لا عمل لهم الا الشتيمة ولا أقول النقد والسب ولا أقول الرأى والتناول ولا أقول الحجة .

ولأنهم مستقردون ولأنهم يريدون أن يسبوا فانهم يختارون لسبهم أرفع الناس مقامها وأعلاهم قدرا ومالهم لا يفعلون ماداموا واثقين أن يدا من البطش لن تمتد اليهم بل لن تمتد اليهم يد باى سوء . وأشهد الله أننى فى زمان القهر شهدتهم فترانا مذعورة متهاكة يحاول كل منهم أن يبحث عن جحر أو مهجر يتوارى فيه . وأشهد الله أننى رأيتهم يستأسدون إذا آمنوا ويصبحون خرافا هالعة إذا طالعهم من الطاغية ناب يتوهمون انه على صلة به أو ظفر يحسبون أنه قريب من قريب له .

أصبحوا اليوم ليوثا ضارية وملثوا الصفحات سبابا وسخيمة ووقاحة وسفولا .

مستقردون هم وليسوا قردة لأن القردة حين تختار حبالها تجيد الاختيار ولا تثب بالحبل من شجرة الى شجرة أو تثق كل الوثوق ان الحبل سيصل بها الى الهدف المنشود والغاية المرجوة .

أما المستقردون فيختارون حبالهم من خيوط رثة متهرئة تسقط فور امسакهم بها وتنهار بهم أول الطريق فهم فى هوة من سخريه الناس ومن احتقارهم مرشعون .

مستقردون هم وليسوا قردة .

ومن عجب - وقد أصبحنا نعيش فى دنيا الأعاجيب - ان الاستقراء - والكلمة كما ترى مصدر لا محيد عنه - لم يصبح مقصورا على أفراد من الأغبياء شغلوا ببشريتهم وانحطوا بانسانيتهم .

وانما أصبحنا نرى حكام دول تستقر وتتناقض فعل القردة والنسنان
وقد كانوا الى أمسى القريب اثنين فقد صاروا بعد احداث الحجيج
ثلاثة .

والمستقرد الأخير رجل ادعى زورا وبهتانا وافكا أنه من رجال الله
والاسلام فاذا هو يفجر الدماء فى البيت الحرام وفى الشهر الحرام وفى
الأيام المباركات التى قدسها الله أن تكون للمسلمين اجتماع كلمة وألفة
بين شعوب المسلمين فى العالم وبين أفراد المسلمين يقضون هناك فى
الرحاب الأظهر سواسية لا يفرق بينهم عرق ولا مال ولا طن ٠٠ لبيك
اللهم لبيك ٠٠٠

واذا حكام ايران يلبنون للشيطان ويرمون أبناء وطنهم للموت
ويعرضون الحجيج جميعا للهلاك ويصبح المستقردون ثلاثة واحد فى ليبيا
وأخر فى سوريا وثالثهم فى ايران ولله فى خلقه شئون .

حيا الله عاهل السعودية خادم الحرمين الشريفين كان حازما فى
المواجهة وقضى على الفتنة الوافدة فى صدق وأمانة وأخلاص .

جدير هو أن يكون خادم الحرمين ٠ الأراضى المقدسة فى ظل حكمه
مطمئنة قريرة ٠ وما صدق منه وإيمان أمده الله بعونه وثبت يمينه وأيد
على الحق ملكه ٠ والله غالب على أمره وهو سبحانه يختار لمشيئته
المخلصين من عباده الصادقين فى عبادته جل علاه .

الأهرام ١٩٨٧/٨/١٦

هم أصحابه ومجرموه

فى ذلك الحوار الرائع الذى يتصدر خالدة شوقى كليبواترا نرى
أثر الغوغائية فى مخاطبة الجماهير .

حابى - اسمع الشعب ديون كيف يوحون اليه
ملاّ الجو هتافا بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من بغياء عقله فى أذنيه
ديون - حابى سمعت كما سمعت وراعتى
ان الرميّة تحتفى بالرامي
هتفوا بمن شرب الطلى فى تاجهم
وأصار عرشهم فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئا
ولو استطاع مشى على الأهرام

وقد وصل شوقى الى أعماق الحقيقة فى أبياته تلك . فالهتافون
لا عقل لهم وانما هم حناجر تنشق عن غير فهم ودون تفكير . فى مظاهرة
بكلية الآداب راح قائد المظاهرة يهتف والحناجر تردد هتافه وفجأة أحس
القائد بلذعة برد تحيط به فصاح وكأنما يخاطب نفسه « الدنيا برد »
وانشقت الحناجر من ورائه « الدنيا برد » .

ومازال الغوغاء يشقون حناجرهم وراء كل صوت عريض جهر دون
أن يعملوا فكرا أو رأيا وبغير أن يتدبروا قولهم ويتقصوا الحق فيه والباطل
ومصر اليوم تتكاثر فيها الأصوات العالية ويندر فيها التبصر والرؤية
ونحن اليوم نعرف أدواءنا كلها . والحكومة القائمة تعرف هذه الأمراض
وتعرف وسائل علاجها تمام المعرفة وليس العلاج محتاجا الى عبقرية نادرة
وانما يعرفه كل الناس .

فليس فى دول العالم جميعه من شرقيه الى غريبه دولة تعرف أن القطاع العام فيها مدمر خراب وتبقى عليه • والحكومة تعرف ذلك فما هو بسر ولا هو بشئ هكتم متخف على أحد • ولكن الحكومة أيضا تعلم أن الغاء القطاع العام بقانون واحد يودى الى انهيار اقتصادى لا مثيل له • وأحسب أنها تتدبر الأمر وتحاول أن تصل فيه الى العلاج الأمثل والأمر يحتاج الى كثير من الوقت ويحتاج أيضا الى بلوغ الطريق الأمثل لمواجهة الشعب والعاملين فى القطاع العام والمتفعين منه والسارقين لأمواله والناهبين لحقوقه التى هى فى الواقع حقوق الشعب •

وليس فى دول العالم دولة تدعم السلع للفقير والغنى على السواء الا مصر • فلا الدول الغنية ولا الدول الفقيرة تتيح أن يحصلوا على السلع بأثمان أقل من أثمانها الحقيقية الا مصر • وليس فى دول العالم دولة تخدع نفسها كما تفعل مصر حين تدعى أن بعض شركاتها تكسب مصطنعة لذلك حسابا وهميا لا يقبله عقل أو ضمير مثل هذا الذى يحدث فى صناعة الألومنيوم التى تستهلك من الكهرباء المدعمة ملايين الجنيهات ثم تدعى أنها تكسب غير محتسبة الخسائر التى توقعها بأموال الدولة حين تحصل على قوة كهربية بأقل من عشر تكلفتها ومثل هذا يحدث فى شركة الحديد والصلب التى تكلف الدولة الملايين من أجل هتاف غوغائى أن لدينا شركة للحديد والصلب •

وليس فى العالم أجمع دولة كمصر يعمل فيها العامل سبعا وعشرين دقيقة فى اليوم بفضل القوانين الهازلة المتسببة التى يعمل فى ظلها عمال القطاع العام • والحكومة تعرف ذلك وتعرف أنه لا صلاح للانتاج فى وطننا أو تصبح قوانين مصر مثل أى قوانين فى دول العالم شيوعية كانت هذه الدول أو كانت حرة •

وليس فى العالم مالك محطم كالمالك فى مصر سواء كان هذا المالك يملك أرضا زراعية أو بناء • والكلام فى شأن مالك البناء ينصرف بطبيعة الحال الى ذلك الشقى الذى ترك له أبوه عقارا قبل الفجور الذى حدث فى أثمان العقارات فى السنوات الأخيرة •

أولئك الذين أخنى عليهم الدهر بكلكله وحكم عليهم أن يكونوا مالكين فى زمن أسود اعتبر أن المالك ليس مصريا ولا انسانا فاتهال عايه بقوانين مجرمة سفاحه جعلته اليوم لا يجد قوت يومه وأوقفت البناء فى مصر أيقافا تاما نتج عنه هذه الأزمة الطاحنة فى المساكن والتى هصرت آمال الشباب أن يجد مأوى يأوى اليه بأسرة جديدة ينشئها - ونتج عنه ما نسمعه مما يمزق وجه الانسانية ويدمر أواصر الرحم المقدسة من أبني يقتل أباه أو أخو يقتل جدته أو أب يطرد أبناءه • الى غير هذه

الحيوانات الشرسة التى فجرتها فى حياتنا قوانين الاسكان العاتية المجنونة . وليس فى العالم برلمان يتمتع خمسون فى المائة من المشرعين فيه ببعدهم كل البعد عن العلم كما هو الحال عندنا فى مصر . وليس فى العالم دولة تقبل أن يقوم فيها مجلس نيابى يضم صفوة العقول وكبار العلماء وتحرمه مع ذلك من ممارسة حقوقه التشريعية مثلما تفعل مصر . والدليل على انهيار المجلس التشريعى الواحد المتمتع بالخمسين فى المائة من غير المتعلمين ما حدث أخيرا فى شأن قانون النقابات الفنية . أنها لطخة حقيرة فى وجه المجلس التشريعى الواحد . وكيف لا وهو يصدر قانونا يموت قبل أن يحيا ويقضى نحبه وهو جنين لم يتشكل ولم يتخذ فى الحياة سمنا ولا رسما ولا هيكلًا .

فلو أن هذا القانون عرض على القمم الأعلام فى مجلسى الشورى لما سمحوا لهذه المهزلة أن تتم . وكم نصيح أن القوانين تستطيع أن تعرض على مجلس الشورى دون تغيير فى الدستور وأن الدستور الحالى يحتم عرض بعض القوانين ويتيح لكل القوانين أن تعرض على مجلس الشورى ولكن مجلس الشعب يعرض على القوانين بالنواجز يصر على أن تعرض عليه وحده ثم هو اذا عرضت لا يناقشها وانما يجعلها تمر فى هزلها وهزلها ونظل نصيح ولكن :

لقد أسمعنا اذ ناديت حيسا ولكن لا حياة لمن تنادى ونلقى نظرة على كل هذه المصائب التى تشقى بها مصر فنجد ان زمان الطغيان مازال يحكمنا بها . اننا بقوانين القطاع العام والمالك والمستأجر وقوانين العمال والخمسين فى المائة من العمال والفلاحين لانزال نحكم بحكم الستينات . ولانزال بحريتنا العظيمة التى نلناها نحاول أن نرفع هذا المقت عنا وما نزال نخاف ذلك البغاء الذى وصفه شوقي بأن عقله فى أذنيه .

وأعجب معنى ما شاء لك العجب حين ترى رجال الستينات الذين عضوا على هوان الشعب واذلاله والذين كانوا أعوان الطاغية فى طغواه هم الذين اليوم يشقون الجيوب ويلطمون الخدود ويثيرون الثائرات غضبا على ما بلغه حال مصر . ويحهم أحسبوا أننا نسينا أن الخراب الذى نرزح فيه والذى نعانى فى أزالته ما نعانى انما هم أربابه وصانعوه وانما هم .. هم وحدهم أصحابه ومجرموه .

هيهات لم ننس وهيهات لنا أن ننسى . ونما نقول ما يقول المؤمنون المحتسبون لا حول ولا قوة الا بالله .

الأهرام ١٩٨٧/٨/٢٣

بريء دين من فتنة

هيئات هيئات أن يحسب هؤلاء السفاكون أن الدين يرضى أن يكون ستارا لاجرامهم يتخذونه ذريعة ليرتكبوا هذا الفجور الذي يرتكبون .

الدين هو قوام الدنيا والآخرة وهو ميزانها القسط وهو الرحمة كتبها الله على نفسه نفتتح برحمته القرآن وكل آية نتلوها من كتابه المنزل . فهو الرحمن الرحيم وهو العدالة المطلقة وهو جل علاه يرفض في فيض رحمته المعتدى والآثم والظالم والفاجر ويسفل عن هؤلاء جميعا القاتل الذي يحل نفسه مكان الخالق الأعلى الذي يملك النفوس يخرجها الى الحياة ويقبضها اليه وهل نحن الا ملك يمينه نولد بمشيئته وننتقل الى جواره بمشيئته وحده . وهؤلاء السفاحون لا يملكون ولا يملك غيظهم من بنى آدم ان يخلق شيئا وأقرأ معى قوله عزت الأوه .

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » فالخلق قدوة الهية لا يملكها الا الواحد الأحد الذى لا اله الا هو أما القتل فما أيسره وما القتل الا اعدام الوعاء الذى أنشأه الله ليحمل سره الذى ينفرد بعلمه من الروح . فالحيوان فى الغابة يقتل والميكروب الذى لا تراه العين المجردة يقتل والهواء يقتل وشعاع الشمس . ولكن كل هؤلاء لا جناح عليهم ولا لوم . فالحيوان يقتل لياكل أو ليدافع عن نفسه مما يتوهم انه خطر يواجهه والميكروب يقتل ليعيش وقد جعله الخالق سببا من الأسباب التى ينهى بها حياة الانسان الذى يكدح الى ربه كدحا فيلاقية والهواء يقتل ليدرك الانسان أن موته يمكن أن يحدث بأهون الأشياء وشعاع الشمس يقتل ليعلم الانسان أن موته قد يكمن فى حياته . فبغير الهواء وبغير الشمس ليس للانسان حياة . وهكذا يرينا سبحانه وتعالى ان فى حياتنا موتنا .

أما القاتل السفاك من بنى الانسان فيقتل اعتداء على الحياة وهو يرتكب جريمته مختارا لأنه من ذلك الانسان الذى قبل ان يحمل الأمانة وهي ما عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها .

فان يقتل هؤلاء المجرمون انسانا ويجعلوا من أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين أمر لا يقبله منطق أو شرف أو عقل وجل الدين وتسامي أن يكون حجة لأمر يرفضه المنطق والشرف والعقل جميعا . أما هؤلاء الذين حاولوا أن يعتدوا على الوزير السابق نبوى اسماعيل فأمرهم أعظم هولاً وأكثر سفولاً وأشد حقارة .

لا . . أنهم ليسوا مجرد قتلة مجرمين يريدون أن يعتدوا على انسان يكون له الحق والبعضاء .

بل أنهم يريدون أن يندروا فى مصر فتنة ، ويجعلوا الأمن يضطرب فى جنباتها . ويبعثوا الفوضى تضطرم فى ربوعها . ويفجروا القلاقل تهشم الأمن فى أنحائها ، وتثير الذعر والهلع بين أبناء الشعب . فالقاتل الذى يريد أن يقتل شخصيا بعينه لا يطلق الرصاص بصورة عشوائية رعناء على بيت يسكنه غير مبال ان يصيب الرصاص من يصيب من قوم ليس لهم أى شأن بالوزير السابق وليس لهم أى شأن بالقضية التى يدعى المجرمون أنهم يدافعون عنها .

وأثارة الفتنة فى مصر هيئات ان تكون عقيدة لأبناء مصر . وإنما هى أمل أعداء مصر ممن يتحكمون فى مصائر دولهم ظلما وعسفا وجورا وجبروتا وقهرا من أمثال الأسد الذى ليس بأسد والقذافى الذى شاء الله أن تخيب كل قذائفه حتى السخيفة منها ولاخومينى الذى قتل الشعب الايرانى وقضى عليه قضاء مبرما .

هؤلاء الذى أطلقوا النار على بيت الوزير عملاء لا شك فى عملتهم مدفوع أجركهم . ويعلمون أنهم لن يصلوا الى ما يريدون فراحوا يطلقون الرصاص العشوائى بغير هدف الا أن يظهروا لمن دفع لهم المال أنهم ينفذون أوامره وأنهم يقدمون عملا - ساء عملهم - مقابل مال تعبس مالهم .

انهم يصوبون رصاصهم على مصر جميعا على كل فرد فيها . . على كل أمجادها ومستقبلها . . على أمنها وسلامتها .

الشعب جميعا هو من يريدونه ضحية لهم فليس عجبا ان يكرههم الناس ويمقتوا لحاهم وطلعتهم البغيضة . ان هذه اللحى ليست تمثالا بنى الرحمة . . جل النبى أن يكون مثلا أعلى لهؤلاء وهو حامل الرسالة : وأمين الذكر الذى أنزله الله بالحق وبالحق أبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عدد انبياء الهواء وعدد كل شهيق للانسان أو زفير .

رسول هو من أنفسنا ما أعظم ما كرمه الله فُقال له « وَاِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ » وقال لنا عنه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

هؤلاء يعرفون قدر النبي ؟ فإين هم من ممشى نعاله أنهم ليسوا بعزیز عليهم عنتنا أو جهدنا أو متابعينا وما هم بحريصين علينا ولا على وطنهم ولا على أخوانهم ولا على أهلهم من أب يثكلهم وهم على قيد الحياة وأم تفتقدهم فتفقدهم وهم على ظهر الأرض وما يعرف هؤلاء بالمؤمنين رافة أو رحمة .

انما لحي هؤلاء هو لحي أبى جهل وأبى لهب والخومينى وكل عدو زنديق من أعداء الاسلام .

كبر مقتا عند الله وعند الناس ما يرتكبون وسيرى الله عملهم ورسوله وأنهم لمردودون الى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون .

١٩٨٧/٨/٣٠ الأهرام

تكلمى يا منارة الأزهر

فكرت كثيرا أن أجعل عنوان هذا المقال « وا أزهره » ثم رددت نفسى فهذا نوع من الألفاظ لم يعد أحد يكتب به اليوم . مع أنه لفظ لا يغنى عنه غيره . ففى نبراته الاستصراخ وطلب الغوث والافتقاد والحزن واللهفة والمناشدة . ولا تستطيع لفظة واحدة فى عريية اليوم ان تموج بكل هذه المعاني . فقد أصبح العالمون بأسرار اللغة قلة نادرة . وأصبحنا نحن الذين نكتب والذين أحببنا لغتنا وأعجبنا بها نرد أنفسنا فى كثير من الأحيان الى ألفاظ ليست هى التى نريد كتابتها . وليست هى التى تعبر عما يجيش بنفوسنا وما يتردد فى جوانحنا .

كنت أريد أن أصبح بالأزهر القديم أين أنت . أين أيام كنت فيها منارة الدين والدنيا جميعا . لقد طحنك الطاغوت فيما طحن من القيم العليا ومن الخلق الأسنى ومن كل معنى كريم فى حياتنا .

كان الأزهر الشريف منارة الأجيال فى العالم أجمع . وحسبك أن كرسى الأزهر المتواضع القابع بجانب أحد أعمدته نشأت عنه كلمة كرسى الأستاذ فى جميع أنحاء العالم وفى كل جامعات المعمورة كم هو جليل وأصيل هذا الكرسى ليس ذا زينة هو ولا هو بصاحب حلى ، ولكنه كان فى تجرده وأخباته شامخا على الذروة رفيع المكان أشبه بالشيخ الزاهد يعطى ولا يأخذ ويهب ولا يستوهب ويغدق ولا يسترفد .

محاه الطاغية وحطم منارة الأزهر ليجعل منه جامعة تشبهها جامعات العالم أجمع . كان لا يدخل الى الأزهر الا من حفظ القرآن الكريم . وكان حفظ القرآن الكريم حصنا للدين ان يعيث به العابثون وحصنا للغة العربية أن يستهين بها الماجن والهازل ومن لا صنعة له .

وها نحن أولاء نجنى الثمار المرة الغضة التى خلفها غياب الأزهر ولم يعد فى ساحته الشريفة الأقل من العلماء الذين أخذوا عنه فى أيام ازدهاره وتفرد .

وخلت منابر المساجد من المشايخ الاجلاء الأقل لا تغنى وإنفرد
الجهال بالمنابر وراحوا يفسرون الدين على هواهم • وينشئون فى شريعتهم
السمحة الغراء ما تاباه الشريعة وما ينفر منه الدين كل نفور •

وها هم أولاء بضعة منهم اتخذوا الارهاب صناعة ويريدون ان يخذوا
الدين - وهو الدين - حجة لارهابهم وفجورهم وأطاعهم الدنيوية الحفيرة
جل دين الله أن ييسج لهم ما يمكرون •

وهم أجهل خلق الله بالدين وزعماؤهم يغريهم المال أن يتنكروا
للآخرة • • ويميلون بأطماعهم عن سبيل الرشاد • فهم ينتهزون الفرصة
المتاحة من غياب العلماء الاجلاء فيفتكون بعقول شباب غرير علاؤا عقله
الخاوى بالجهالة والاجرام وجعلوا منه فئة ارهابية تدمر المجتمع تدميرا •

وأصرخ بالأزهر الشريف • أو بما بقى من الأزهر الشريف ان يعلن
رأيه فى هذا الذى يجرى فى أرض مصر • ولكن الذى بقى من الأزهر
الشريف يأبى أن يسمع • وكأننى ما تكلمت أو كأننى لا أكتب هذا الذى
أكتبه فى أكبر جريدة ناطقة باللغة العربية فى العالم أجمع •

وشيوخ الأزهر رجل جليل له مكانته وهيئته • شريف هو حين يتكلم
له فى نفوسنا جميعا كل توقير وتعظيم • وهو أمامنا ونحن نرضاء لديننا
أماما • فما باله لا يقول رأى الدين وهو الامام الأكبر فى هذا الذى يجرى
من الارهاب وهذا الذى يحاوله الصبية المخابيل من جعل الدين شعارا
لما يرتكبون من اعتداء على حياة الأبرياء وعلى سلامة مصر وأمن أرضها
واطمئنان النفس والمال فى ربوعها •

اننى أقدم بكل الاجلال والاكبار بين يدي امامنا الأكبر قصة سمعتها
عن أحد الأئمة المصابين •

كان الشيخ سليمان العبد على خلاف مع الامام محمد عبده وكان
الخلاف بينهما فى أمور فقهية • وكان الخديوى عباس يضيق كل الضيق
بالامام محمد عبده فحين مات أرسل أحد رجال القصر الى الشيخ سليمان
العبد • وكان الشيخ فى ذلك اليوم يصارع حمى شديدة الوطأة •
واستقبل مندوب الخديوى وهو فى فراش مرضه وقال مندوب الملك :

— ان مولانا الخديوى أرسلنى لأسأل عن صحتك •

وتعجب الشيخ سليمان وقال :

— شكر الله له •

وضمت المندوب بعض الحين ثم قال :

— أخيرا مات الزنديق •

— أى زنديق تقصد •

— الشيخ محمد عبده •

وانتفض الشيخ جالسا كالأسد :

— كيف تجرؤ أن تقول هذا عن شيخ عالم جليل •

وتخاذل المندوب وقال :

— لا اعتذر اليك ولكن مولانا قد أرسلنى لأرجوك ألا تسير فى

جنازته •

ونزل الشيخ سليمان من فراشه وهو يقول :

— الآن وضح الأمر فكم مرضت قبل اليوم فما عادنى من القصر

عائد ولأسأل الخديوى عن مرضى • فهو اليوم يرسلك لتمعنى أن أسير

فى جنازة الشيخ الامام لا للسؤال عن صحتى • انى مريض كما ترى

ولم أكن أنوى أن أشيع جنازة الشيخ أما وقد جئت بهذا الأمر الخديوى

فانى ذاهب •

وقال المندوب فى استحياء :

— ألم تكن تعارضه يامولانا وزار الشيخ •

— وماذا تفهم أنت فى شأن الفقه الذى أناقش فيه الشيخ محمد

عبده وماذا يفهم الخديوى ومن سمح له أو لك أن تتكلم فى شئون الدين

والفقه والشريعة الاسلامية وأنتم أجهل الناس بها •

وصاح الشيخ بخادمه :

— جهز البغلة يابنى •

وعلى مشهد من مندوب الخديوى نزل الشيخ سليمان العبد الى

بغلته وزكبتها وهو لا يكاد يقيم جسمه عليها • ولم يكتف بذلك وانما مر

بجميع المشايخ الذين يعرفهم يلح عليهم أن يصحبوه ليشيعوا جنازة الامام

محمد عبده وكان الشيخ سليمان العبد يسكن فى الحلمية بجوار السيدة

زينب وكانت جنازة الشيخ محمد عبده فى عين شمس قريبا من مصر

الجديدة اليوم •

بين يدي مولانا الامام الاكبر أضع هذه القصة وأقدمها أيضا الى

كل المشايخ الأجلاء الذين يعرفون عظمة الأزهر وسموqe أضعها بين أيديهم،

ثم انحنى اجلالا • ثم اصمت •

١٩٨٧/٩/٦ الأهرام

الاصمت جعيم

اكتب هذا من لندن وقد جئت اليها اجمع من نفسى ما مزقته الواجبات الرسمية والاجتماعية فى مصر . وكنت أضمر أن أستمنحك اجازة أفرغ فيها لكتابة رواية اذا تسنى ذلك أو أفرغ لمشاهدة جزء من أجزاء العالم الأوروبى .

ولكن مصر هيهات أن تفارق دماءنا وخلجات نفوسنا ونبضات قلوبنا وخطوات عقولنا ، نحن فيها مهما تبعد الشقة ويشط المكان - وهى فينا حيثما حللنا .

وقد شاهدت بالأمس مسرحية روابط خطرة ، وهى رواية فرنسية عالمية . وظللت طوال المسرحية التى تدور أحداثها فى زمان غير زماننا أفكر فى مصر . وفى الأدب المصرى وفى المسرح المصرى . وحين عقدت المقارنة بكت نفسى . فانه لا سبيل الى المقارنة بين شعب احتفل بوفاة آخر أمى بين ربوعه كلها منذ قرابة عشر سنوات وبين شعب يصير دستوره على أن يجعل غير المتعلمين يمثلون خمسين فى المائة على الأقل من أعضاء البرلمان وهو الهيئة التشريعية التى تعتبر أهم سلطة فى الدول الديمقراطية . وأوشكت وأنا فى المسرح أن يعلو بى نشيج البكاء . من عهد ارتضى له ضميره أن يشرع هذا التشريع فيسمح لغير المتعلمين أن يشرعوا للمتعلمين .

ولكن على أية حال ليس هذا ما أريد الحديث عنه اليوم وان كنت أحسب أن لى اليه رجعة فى يوم من الأيام وأغلب الأمر أن يكون هذا بعد عودتى الى مصر .

أما الذى أفسد على ما أضمرت من الاجازة فهو ما قرأته فى أهرام السبت للأستاذ الكبير د . لويس عوض . والمقال وان كان بقلمه الا أنه لم يكتب فيه الا مقدمة فى سطور قلائل لخطاب شخصى من استأذنا كبير كتاب العصر الحديث توفيق الحكيم الى الدكتور لويس عوض .

وقد أحسست من نشر الخطاب أمرا دفعني دفعا أن أعود إليك وأكتب ما أكتبه الآن • فأننى أخشى أن يظن الدكتور لويس عوض أو غيره أن حربنا على التطرف والارهاب الدينى تعنى بعدنا عن الدين • هيهات انما نحارب التطرف حبا فى الدين وحرصا عليه وتمسكا به •

فالأصل فى الانسان أن يتمسك بدينه • بل ان الانسان حين عبد الأصنام والشمس والنار وغيرها كان يبحث عن دين يتمسك به •

والغالبية العظمى من العالم المتحضر متمسكة بدينها بل اننى أعتقد بيقين راسخ أن الدكتور لويس عوض من المتمسكين أشد التمسك بدينهم وأخشى أن أقول انه من المتطرفين فيه والقلم سلاح يقتل قتلا أدبيا حين يقتل السلاح الآخر قتلا ماديا ولا أحد يعرف أى القتلين شر من صاحبتها • والذى حمى الدكتور لويس • أن يكون قاتلا أنه اختار لقناله أشخاصا غير قابلين للقتل الأدبى • بل ان من يحاول قتلهم يزيدهم حياة وعظمة وجدلا • ولأضرب مثلا من الأموات الأفغانى الذى حاول الدكتور أن يقتل ذكراه فأحيها أعظم ما يكون الأحياء •

ومثلا آخر من الأحياء الأستاذ الكبير محمود شاكر الذى حاول الدكتور لويس أن يصارعه فى حلبة هو صاحبها وأحد السادة الكبار الشامخين فى ميدانها فكانت النتيجة أن ازداد الأستاذ شاكر عظمة ورفعته وشموخا •

واليوم يحاول الدكتور لويس أن يجتذب عملاقنا توفيق الحكيم بعد وفاته الى فرع من التفكير هو أبعد الناس عنه • والذى لا شك فيه أن العلمانية فى عرف توفيق أمر أبعد ما يكون عن العلمانية عند د' لويس عوض •

فالدين الاسلامى عند توفيق الحكيم مقدس مثلما هو مقدس عندنا جميعا • ومثلما الدين المسيحى مقدس عند الدكتور لويس عوض •

اننا نأبى جميعا أن يتخذ بعض المأجورين والمخايل والمهازيل والهازلين الدين وهو أكرم ما عرفته الانسانية على الاطلاق وسيلة لهم ليصلوا الى الحكم وويل لنا كل الويل اذا حكمنا المأجور والمخبول والمهزول والهازل •

وأخرى يا دكتور لويس ما الذى تعنيه بقولك أن الفكر الانسانى هو الفكر العقلانى • كيف نزعنا الانسانية عن الفكر الدينى • مع أن الفكر

الدينى هو أعظم ما عرفته الانسانية • وأن المعانى السامية جميعها لا تستطيع واحدة منها أن تعيش بمعزل عن الفكر الدينى • وما رأيك يا دكتور فى الوصايا العشر أليست فكرا دينيا هى • وما الفكر الانسانى اذا لم يكن ما جاء فى هذه الوصايا العشر •

اننى استحلفك يا دكتور لويس يا عوض أن نعطى توفيق الحكيم من محاولاتك هذه وان تبعد به أن يكون واحدا من سدنة أفكارك •

فتوفيق الحكيم كتب فى حياته ما يجعل فكره يستعصى فى عظمة وشموخ عن أى محاولة لأصاق أشياء لم تجل بخاطره وبفكره • • لقد كتب الرجل فكره فى مسرحيات ورويات قصص ومقالات بل كتب فكره فى كتاب مستقل هو التعدلية فأى محاولة بشرح ينتزعه من آرائه الى آراء أخرى مقضى عليها بالفشل الكامل • واذا لم يكن الذى كتب رأيته فى مسرحيات وروايات وقصص ومقالات ثم فى كتاب فكرى قائم بذاته واضحا جليا لا شبهة عليه ولا شك فى آرائه فمن يكون الواضح اذن •

وان مقالات توفيق الحكيم الأخيرة فى الأهرام قاطعة اتجاه رأيته فى تمسكه بدينه وحفاظه عليه وانى واثق أن الدكتور لويس لا يحاول مطلقا أن يقول أن توفيق الحكيم حين ينشر مقالا غير توفيق الحكيم حين يكتب خطابا خاصا •

وكم كنت أتمنى لو أن الدكتور لويس نشر خطابه هذا فى حياة توفيق الحكيم • اذن لأغنانا الحكيم من شرح عوض •

وانى واثق أن الدكتور لويس لن يحاول أن يشرح توفيق الحكيم على غير حقيقته كما فعل مع أستاذنا نجيب محفوظ حين جعل منه شيوعيا فى روايته السمان والخریف مع أن الرواية ومؤلفها العملاق أبعد ما يكونان عن الشيوعية فالدكتور لويس ينبغي أن يعلم أن تكرار المحاولة المؤكدة للفشل أمر غير حبيب الى الناس •

وبعد فأننى أحب أروى فى هذا الحديث أمرا رأيته رأى العين من أستاذنا الحكيم • فقد تعودت أن أصحبه الى بينه فى سيارنى عند انتهاء جلستنا الصباحية فى الاسكندرية وكان الطريق الى بيته يحتم أن نمر بجامع سيدى بشر ويكون الحديث متصلا وغالبا من جانب واحد فقد كنت اتخذ موقف المستمع وأفاجأ ، ودائما أفاجأ بالأستاذ توفيق يقطع الحديث ويصمت وأنظر اليه فأجده يتمم بكلمات فاتحة الكتاب تحية منه لصاحب مسجد سيدى بشر •

أليس هذا أمرا يستحق أن أرويه على الأقل بعد مقال الدكتور
لويسى عوض وقد سألته أول مرة •

— هذا أمر قل أن يلتفت إليه أحد • فأنت تعرف أنني مؤمن
شديد الايمان ولكننى لا أستطيع أن أحرص حرصك على قراءة الفاتحة
لسيدى بشر كلما مرت به •

فقال :

— بل اننى فى العيد أذبح لفقرائه خروفا أيضا • هذه عقيدتى •
وليكن فكرى حرا ما طابت له الحرية • ولكن هذه هى عقيدتى • لا حياة
لى بغيرها •

ان الرجل لم يتركنا الا منذ أربعين يوما وما أقل هذه الايام حتى
نبدأ معه لعبة الأحياء مع الأموات • ولكن لا بأس بالدكتور لويس مادام
ولدا أخيه سارعا الى المحكمة يطلبان مسكنه وهو مستأجر وأوسمته
وانى أشكر الأستاذ صلاح منتصر لكلمته الطيبة فى عدد الأهرام نفسه
وأعده أن أنفذ اقتراحه • ولكن أمر القلادتين عجيب فان أحدهما لا تعرف
السيدة كريمته مكانها والآخرى لم يتسلمها بعد من رئاسة الجمهورية •
وأرجو أن يتسلمها اتحاد الكتاب عنه ويفتح بها متحف أوسمة الأدباء •

وبعد فما أدري هل أنا بعد هذا الحديث سأنفذ ما أضمرته من
اغتنصاب أجازة أم أننى سأجد دائما ما يدفعنى الى هذا العناء لكم أرجو
من القراء أن يقدروا ما يشقى به الكتاب • فالكلام بالنسبة اليهم جهد
وعذاب • ولكن الصمت جسيم وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٧/٩/١٣

المستوزرون

هم فئة ثابتة الوجود فى كل عصر وكل عهد وكل زمان يتغير
أشخاصها ولا يتغير كيانها •

ويحوى وعاء هذه الفئة السخيف والتافه • وقد يحوى أيضا العالم
المثقف الذى يبلوه الله ببلاء الاستوزار • وهو مرض - والعياذ بالله -
يجعل المريض به يقيم حياته كلها على أمل أن يصبح وزيرا •

والوزارة منصب ذو بريق فى العالم أجمع • ولكنه فى مصر بخاصة
شديد الوهج حتى ليصبح المريض بالاستوزار أعمى لا يرى ولا يفكر
ولا يعيش الا بأمل الوزارة •

أعرف رجلا من أيام العهد الملكى أصابه هذا المرض • فكان مستعدا
بالردنجوت على سبيل الدوام والاستمرار • وإذا ترك البيت أمر خادمه
ألا يبرح التليفون بمظنة له مضحكة بلهاء انه سيسعدنى ليحلف اليمين
بين لحظة وأخرى • وكانت الحالة تلازمه سواء كان هناك تغيير وزارى
أو تعديل أو لم يكن •

كان هذا الرجل فى زيارة لأبى وكان من أدب هذه الأيام أن تصحب
الضيف الى سيارته • ونزلت مع الرجل لأودعه ووقفنا على الباب الخارجى
لمنزلنا • فاذا الرجل يقول لى •

— يا أخى قل لأبيك يجعلنى وزيرا •

وأصابنى الوجوم الشديد • فانا فى ذلك الحين طالب بكلية
الحقوق وراعى أن يتشفع بى شخص ما ليكون وزيرا • ولم يكن ذلك
الرجل ضئيل الشأن فان له تاريخا فى الوظائف وكان عضوا بمجلس
النواب لفترات طويلة • ويصلح أن يكون وزيرا ولا عيب فيه ولا ضير
على من يختاره ليكون وزيرا • وأحسب أن هذا الرجل لم يصل الى الوزارة
لشدة رغبته فى الوصول الى الوزارة حتى لأذكر أن أحمد باشا عبد الغفار
قال له مرة •

يا فلان لقد أصبحنا وزراء لأننا لم نسع إلى الوزارة فكف عن السعي
لها فقد تأتي هي إليك •

ولاشك أن كلمة أحمد باشا نصيحة غالية • فان المريض بداء
الاستوزار يصاب أول ما يصاب بضيق الكرامة فهو مستعد أن يكون
بهلوانا رأسه في الأرض وقدماه إلى أعلى ليصبح وزيرا • ومستعد أن
يقوم بكل ما لا يتفق مع الرأي السديد والفكر الرشيد ليصبح وزيرا •
فمرض الاستوزار يذهب بما وهبه الله للمستوزر من نعمة التفكير •

والنفاق أبسط ما يقدم عليه المستوزر من سقوط • ألم أقل لك
أنه يفقد كرامته ؟ وهل النفاق إلا لون من ألوان الكرامة الغائبة !

وفي حميا الرغبة في الحصول على كرسى الوزارة يحسب المستوزر
أن جميع لناس غافلون عما يقوم من تصرف أحمق ومن قول سخيف وأنه
بمقدوره أن يأتي ما يأتيه من صغار دون أن يسخر منه الناس ويجعلوا
منه أضحوكتهم وسخريتهم ويجن جنونه المستوزر حين يرى بعض أمثاله
يصلون في غفلة زمن إلى كرسى الوزارة فيزداد هو تفاهة ونفاقا وهوانا
على نفسه وعلى الناس •

والمستوزر أعمى لأنه يفكر في الفترة التي يقضيها في الوزارة
ولا يفكر فيما سيكون عليه أمره حين ينسحب الكرسى من تحته ويصبح
وزيرا سابقا • ويرى العبوس في الوجوه التي كانت ضاحكة • والتجهم
في اللقاء الذي كان مرحبا • وهو بطبيعة الحال لا يعرف البيت العربي
القديم الذي صرخ به غنى صار فقيرا فقال هذا البيت الخالد :

وكان بنو عمى يقولون مرحبا فلما رأوني معدما مات مرحبا

وأغلب الناس شأنهم مع الوزير السابق شأن أبناء العم هؤلاء حين
انتقل حال الشاعر من الغنى إلى الفقر •

فان الإنسان إن لم يكن هو نفسه جديرا بالاحترام لذاته لا لمنصبه •
ولمكانته الإنسانية لا لكرسى مؤقت يجلس عليه فانه يشقى بالمنصب حين
يتركه المنصب شقاء لا يعادله شقاء • وانى لمعجب بما قاله أحد الوزراء
الذين سعت اليهم الوزارة ولم يسعوا اليها من ان الوزير يفقد نصف
عقله حين يصبح وزيرا ويفقد النصف الآخر حين يترك الوزارة •

وقد كثر المستوزرون فى أيامنا هذه • وقد أرى هؤلاء يدبجون المقالات فى هوانه وصغار • ويتقافزون فى كل مكان يظنون بعض الظن انه قريب أن يصل أمره الى شخص قريب من آخر قريب من آخر قريب الى رئيس الجمهورية • وأن الرئيس حين يسمع بما يصنعون سيعينهم من صباحهم فى الوزارة • أن وزارة • لا يهم •

وانما المهم أن تكون وزارة والسلام •

قرأت فى الصحف لأمثال هؤلاء وقرأت عن أشباههم • وأنا فى لندن وجنيف التى وجدتھا هذا العام شديدة الحرارة حتى لم أطلق أن أفيم بها الفترة التى كنت أعددت نفسى لها وجاء ما قرأت وزادت وطأة الحر عنفا • وسارعت الى بلدى • فهى أولى بي أن أجد من نسمة النيل ما يرفع عنى قيظ البلاد التى كان مفروضاً أن تكون باردة ، وأجد من هذا الحديث الذى أسوقه اليك ما يهون على ما أجده فى نفسى من احتقار للمستوزرين واستهانة بعقولهم •

وانى أطمئن هؤلاء أن اليأس أحرى بهم واعدام الأمل أولى بهم ثم أولى • وضياح الرجاء بهم أخلق •

اطمئنهم أن رئيس جمهوريتنا محمد حسنى مبارك من أذكى الناس الذين عرفتهم فى حياتى وإن له لحاسة لماحة • يدرك بها أسرار الحديث الذى يساق اليه ويدرى خوافيه وسراديه ، وطرائقه ، ومدارته وهو كل الادراك نغمة النفاق ونغمة الصدق • وهو بموهبة الهية وبوعى صادق يدرك الى أين تترامى الجملة وأين مستقرها ومن أى نبع تخرج •

وهو لا يزهييه مديح كاذب ولا يلين جانبه لنفاق • وكلما كان الحديث ممعنا فى النفاق سقط صاحبه عنده • فليعلم هؤلاء المستوزرون أنهم الى سعى فاشل • وإلى جهل ضائع • وإلى أمل معدوم • فليصرفوا سخفهم وتقافزهم الذى يجعلهم كما القردة الى شئ قد يصيبون منه ما يرد عليهم الجهد والتفافز والسخف وحسبهم وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٧/٩/٢٧

الأزهر أكبر من كل اعلام

مولانا الامام الأكبر :

أكرمك الله قدر ما أكرمتنى ، وشكر لك جميل ظنك ونبيل قولك . .
وسامق خلقك . . وبعد . .

فوقى الله الأزهر عادييات الزمان . ووهب له الصمود فى وجه
الرياح القاصفة . والأنواء العاصفة ، والطغيان الفاجر ، والالحاد الكافر
وكم كنت أرجو يا مولانا الامام أن يخطوا الأزهر ألفه الثانية ، وهو فى
مثل جلاله الذى ألفه منه العالم أجمع فى ألفه الأول ، ولكن الطغاة أدركوا
أنه حصن الاسلام الشامخ وقلعته الوطيدة الراسية ، فلفقوا الاسماء كما
تعودوا أن يلفقوا ، ورفعوا اللافتة الكاذبة الماجنة ، وزعموه اصلاحا
للأزهر ، وكانت النتيجة الفاجعة أن أصبح الأزهر مثله مثل آلاف الجامعات
الأخرى ، بعد أن كان منارة الاسلام وضيائه الوضاح ، ونوره الوهاج
يضئ أنحاء العالم الاسلامى أجمع ، وألفوا شرط حفظ القرآن للممتسبين
اليه ، وقال قائلهم زورا ومينا بهتاناً .

ان الصحابة ما كنو حافظين للقرآن . ونسوا أن الطباعة لم تكن
وجدت فى عهد الصحابة ، ومولانا الامام الاكبر يعلم كل العلم ، أن حفظ
القرآن شرف لمن يحفظه ، وما الله بحاجة الى حافظين له بالسنتهم
أو بقلوبهم ، فهو سبحانه بكلمة « كن » حفظ القرآن الى أبد الأبدين ،
وبقوله جل قوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل ،
انما حفظ القرآن يمنح حافظيه والمتعلمين على أيديهم روح الدين الصحيحة ،
فلا تزوغ قلوبهم ، ولا تخرج على الطريق الذى هدى اليه القرآن الكريم ،
ويهب لهم استقامة اللسان العربى ، وسلامة البيان ، واللغة كما تعلم
يا مولانا الامام هى وعاء القرآن ، تستمد عظمتها منه ، وتستنبع جلالها
من جلاله ، وحين اعتدى الطغاة على جلال الأزهر ، أصبح أمره بين رجال
الصحافة والدولة والاعلام فرطاً ، فاستيسروا أن يمنعوا ، كلمته ، وأن
يوهنوا بنيانه ، وبطامنوا من شموخه ، ولكنه بكلمة الله العليا التى
يستوهب قوتها منه ، يظل بين الناس شاهداً ، فحين تقدمت الى منارته
أن تقول ، كنت على وعى كامل بمكانة الأزهر فى النفوس ، ليس فى مصر
وحدها انما فى العالم أجمع .

فان يكن الازهر قد طالب بإعادة المساجد الى المدرس ، وان تكن اللجنة العليا للثقافة الاسلامية ، قدمت مشروعا ، ولم يلتفت اليه أحد ، وان تكن الصحافة على اختلاف مستوياتها ، ونوعياتها واتجاهاتها ، قد أغفلت أنها أداة تثقيف وتعليم وانها ان تكن قد ردت العلماء والكتاب أن يدلوا برأيهم في قضايا الساعة الحادة والجادة ليرشدوا الضال ويهدوا الحائر دون توغل في مسالك التيه الذي تمتلأ به الصحف من تشكيك في العقيدة ، وتعرض للإسلام بأقبح الفكر وأشدّه فسادا وضلالا ، ان تكن قد فعلت ذلك ، فالأزهر أكبر من الصحافة وأكبر من الاعلام ، وبيان منه رسمي سيجهل مكانه في أنحاء العالم أجمع ، ان لم يجد مكانه في الصحف المصرية ، وأقرب مثال على التشكيك ، ما قال به أحدهم من أن القرآن ، لم ينزل الى الناس كافة ، وكان دليله المنهار المائع انه نزل باللغة العربية ، وكان أبسط سؤال يوجه اليه بأى لغة كنت تريد أن ينزل بها القرآن ليكون للناس كافة ؟

وان شأنه لأهون وأحق من أن أرد عليه بما جاء في القرآن ذاته ، من أنه موجه لجميع الناس .

مثل هذا الالحاد كان خليقا بأن يجبهه ويواجهه بيان صريح للأزهر يصدر ، فإذا امتنعت عنه الصحف المصرية ، فان جميع صحف العالم من شرقه الى غربه كانت ستتلقف هذا البيان ، وتنشره في أكرم مكان .
وهان الاعلام المصرى أن يزد الأزهر عن مكانه أو المشايخ الأجلاء من أساتذته عما ينبغي لهم من توقير وتعظيم ، الا أن أمر هؤلاء الأجلاء اختلط بالجهلاء ومدعى العلم من غير القارئ أو الدارسين ، أو الحافظين للقرآن ، لأن الأزهر الشريف لم يجمع هؤلاء ، ولم يصدر بيانا بمن يجوز له أن يفسر لنا الشريعة السمحة الغراء ومن لا يجوز .

وفى عماية الخلط بين العالم والجاهل ، وبين الدارس والمدعى ، خفت صوت الأزهر الذى كان ينبغي أن يظل مجلجلا الى أبد الأبدين .

ولقد كان عظيما مولانا الامام حين طالب بتدريس الدين الاسلامى دراسة وافية شاملة فى المدارس ، ولكننى أستأذنه فى سؤال يظل حائرا ولا يجد جوابا : من هؤلاء الذين سيدرسون الدين ؟ فافنى أراهم قد أصبحوا قلة نادرة أخشى معها أن يصبح تدريسهم تجهيلا ، تعليمهم بعيدا عن الدين فتصبح هدايتهم ضلالة ووعيهم جهالة ، ولكم سمعت يا مولانا

الامام من هؤلاء فى الاذاعة وغيرها من وسائل الاعلام فتاوى تضحك التكللى ، وتبكي المؤمنين الصادقين على ما صار اليه اصحاب الراى والفتوى فى شئون الدين ، فلا سبيل اذن يان مولانا الامام الى تعليم الدين ، الا ان يكون معلموه ، على حظه وافر من الدراسة والفهم والتمعق ، وغياب هؤلاء أدى الى وجود المجرمين ، السفاحين ، السفاكين فى الساحة يقتلون الأبرياء باسم الدين ، ويسعون للدنيا ، على حصان الآخرة ، وقد كان عظيما مولانا الامام حينما وصم أعمالهم ، بأنها كافعال غيرهم من الأشقياء المطاردين مثل خط المنيا الأخير وعصابتة .

وليسمح لى مولانا الامام الاكبر ، أن أتلمس العذر ، لمن وصفه بأحد السادة الكتاب ، حين قال : أن العلماء ومنهم كبارهم ، قتلة بالنوايا فما قال هذا الذى قال ، الا حين وجد الأزهر الشريف الشامخ العملاق ، حصن الدين وجنته يصمت ، حين يقتل الأبرياء باسم الدين ظلما ، وزورا وبهتانا ، وتعديا على الدين ، قبل أن يكون تعديا على روح الانسان .

وبعد يا مولانا الامام الاكبر فما أصبح الأزهر شامخا ، الا برجاله الشامخين ، وانت بالشموخ جدير ، وان مولانا الامام ، لاشك يذكر الامام الاكبر الشيخ مصطفى المراغى ، حين وقف ، عملاقا وصاح فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، والانجليز يحتلون مصر ، وهم الطرف الاكبر فى هذه الحرب : « ان هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » . وزكزل العالم زلزالا ، ولكن الشيخ ثبت كالطود الأشم ، غير هياى للملك يحكم فى ظل الانجليز ، ولا لمحتل يفتصب أرضنا بقوة السلاح ، هذه المواقف يامولانا الامام وأمثالها ، لا تستطيع أركان الاعلام أن تغض منها ، فان كلمة منك أكبر من الاعلام كله ، وان ما شرفت بنشره لفضيلتكم بجريدة الأهرام ، كان له من الأثر على المجرمين والأشقياء المدعين انهم يحافظون على الاسلام — ما يتضاءل بجانبه كل ما قيل فى هذا المضمار .

وفق الله مولانا الامام الاكبر ، وأيده بروح من عنده . فانه سبحانه وتعالى ينصر من ينصره ، وهو العزيز ذو القوة المتين .

والسلام عليكم وحة الله .

١٩٨٧/١٠/٤ الأهرام

بسمه حديد

● وصلت الى خطابات عديدة تعليقا على موضوع ازهر وقد اخترت هذين المقالين من شيخين جليلين ورايت اننى اذا حجبت رأيهما أكون مقصرا غير أمين وانى أنشر المقالين وأرى انهما لا يحتاجان الى اى تعليق منى أو مناقشة وأرجو أن يجد فيهما القارئ ما وجدت من صدق واخلاص وحرص على أكبر منارة إسلامية فى التاريخ .

الكاتب الكبير والاديب المبدع الأستاذ ثروت أباطة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . يصلنى (الأهرام) يوميا لأقرأ ابداعاتك واليوم هزنى مقالك بتاريخ ٨٧/٩/٦ (تكلمى يا منارة الأزهر) قرأت كلمتك لأتزود من أدبك العالى وفكرك الرفيع . اننى حين أقرأ لك فكانما أقرأ فى تراثنا الخالد المجيد وحين تطلب الى منارة الأزهر أن تتكلم فكانما تستنطق الأطلال .

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

أخى الأستاذ الأديب الكبير :

لقد طالما والله كلمت منارة الأزهر وكلمتنى وطالما جبت أروقتى وساحاته وشملت منها عبق الماضى وعبير المجد وكنت عضوا فى مجلس الأمة الذى طور الأزهر بل كنت فى اللجنة التى باغتها بأمر واضح وترتيب مبيت وكان على رأس اللجنة فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مامون شيخ الأزهر الأسبق وكان عضوا فى المجلس ورفضت اللجنة بالاجماع التطوير وسهرنا بالمجلس ليلة للفجر نبكى حين أعلنوا أن المجلس أصبح لجنة وهو الذى يقر التطور . وقصة التطور طويلة شاهدها الله تعالى وعلم المؤامرة المدبرة وتفصيلها عندى لا يتسع لها المجال هنا .

لقد صحت بالأزهر القديم كما صحت أين أنت وكنت مذكورة للرئيس جمال عبد الناصر ورفعتها اليه عن طريق الأستاذ الجليل المهندس عبده أحمد الشرباصى عضو مجلس الرئاسة وقتها اقترحت فيها اعادة

ما ذكرتم من عادة كرسى الازهر المتواضع القابع بجانب أسد اعمدته واستدعاء العلماء الأجلاء الذين أحيلوا الى المعاش ليعيدوا نظام الحلقات على المذاهب الأربعة ويحضر الطلبة من جميع الافاق يحملون فى أيديهم ملازم التراث القديم الصغراء حتى لا تموت رسالة الازهر بعد جريمة تطويره * جزى الله المهندس الشريصى خيرا فقد رحب بالمذكرة التى أبعث لكم بصورة ما نشر عنها بجريدة الاخبار * أما حكايتكم الطريفة عند الشيخ سليمان العبد الشيخ محمد عبده فأذكركم فى ايجاز حكاية تقاربها وهى أن أحد مدرسى الازهر من مدرسيه القدامى جاء الى تلاميذه يبكى * ظن الطلبة أن شيخهم قد أصابه مكروه فى أسرته أو أهله فزاد بكأؤه وقال رفعوا مرتباتنا بعد ادخال النظام الجديد وكنا نتقاضى ثلاثة جنيهات فى الشهر فسوونا بموظفى الدولة والويل لنا بعد هذه التسوية . وما ذكرتم عن يمارسون الارهاب باسم الدين فما أبعدهم عن الدين وما أبعد الدين السمع الكريم عنهم * وكلما قرأت لكم ذكرت الأدب العالى والابداع الرفيع فى تراث عزيز باشا أباطة رحمه الله وفيما تكتبون وتبدعون ولا يسعنى الآن إلا أن أسجد لله اجلالا وأدعو لكم بكل خير وأصمت *

عيد الرحمن البنا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .. فقد أطلعت على مقال المرائد الهادف تحت عنوان (تكلمى يا منارة الازهر) بديباجته الصافييه .. وجرسه الهادى الأليف .. يلامس قلب المؤمن .. وضميره الحى .. ووجدانه السليم .. اشفاقا على الازهر العريق .. لما أصابه من وهن .. وما اعتراه من ذبول .. وإيقاظا للهمم .. وتنشيطا للعزائم .. للعود به الى الازدهار والشموخ .. ورغبة صادقة خالصة فى الحفاظ على صرحه العالى العتيق .. والنهوض به الى المستوى المنشود .. بعد أن أخذت فى ازاحة الستار عن وجهه الشاحب مع مقارنة بين ماضيه المجيد .. وحاضره الحزين .. وواقعه الأليم .. وأشارت الى ضرورة حفظ القرآن الكريم .. والرجوع الى النظام القديم .. الذى ارتوى منه أبنائه وقتذاك .. فخرجوا الى الحياة هداة مرشدين .. وعلماء نافعين .. ومما لاشك فيه أن الازهر على وضعه الراهن قد ضعف مستواه .. وتعثرت خطاه .. بعد أن تغير مجراه .. نتيجة ما طرأ عليه من تطوير وتغيير .. فأصبح الاهتمام بالشكل قبل الموضوع .. وبالمظهر دون الجوهر .. واستبدلت بالالفاسط العربية أخرى أجنبية .. فذابت الشهادة العالمة والعالمية والاستاذية الى النسيان وماجستير ودكتوراه .. فتغيرت معالم العلماء

الدينية أنبثاقاً من فطرتهم الربانية الطاهرة ٠٠ آية ذلك انهم اذا التقوا
بعالم جليل انطلقت اسئلتهم اللاهثة جريا وراء المعرفة ٠٠ وما سبب
انحراف بعض الشباب الا تهافتهم على أشباه العلماء بعد أن خلت الساحة
من العلماء الحقيقيين ٠٠ فتاثروا بهم وانقادوا لهم دون وعى او تفكير ٠٠
وأما عن عدم تعاون أجهزة الاعلام مع العلماء ٠٠ فأقول : ان أجهزة الاعلام
لا تضمن بسطورها وصفحاتها ووسائلها ولم تغلق أبوابها فى وجه العلماء
اذا وجدت منهم قضية عادلة ٠٠ أو فكرة واعية ٠٠ أو دعوة هادفة بعيدة
عن الثرثرة والتكرار ٠٠ وأما عن المساجد فهى فى حاجة ماسة الى دروس
رائدة ٠٠ ومواعظ نيرة ٠٠ وتوجيهات رشيدة ٠٠ وعلماء نابهين ٠٠ من
أهل الايمان والتقوى واليقين ٠٠ وأن واحدا من هؤلاء لجدير بجذب الناس
والتأثير فيهم ٠ تربيتهم وتربية سليمة قوية ٠ سواء فى ذلك الرجال
والنساء ٠٠ والشيوخ والشباب ٠٠ فهل الى ذلك من سبيل ٠٠٠ ؟

اننا كأزهريين كثيرا ما نقف حيارى أمام واجب الرسالة السامية
التي حملنا أمانتها ٠٠ وأمام اللوائح والقوانين التي تحجبنا وتجعلنا
جاحدين ٠٠ ننتوى على أنفسنا - لا عن عجز أو تقصير - بل مرغمين ٠٠
نبتلع الغصة الكاوية ٠٠ لنتحول الى زفرة لاهية ٠٠ وأنفاس لاهثة ٠٠
ثم نشكو الأمر لرب السماء ٠٠

جابر حمزة فراج

المدير العام السابق للاعلام بالأزهر وأستاذ الشريعة بالمعهد
الدبلوماسى بالرياض

١٩٨٧/١٠/١١ الأهرام

وجـوم ***

أما العارض الصبحى الذى ألم بى فهو لا شىء وأحمد الله سبحانه
فما أشكو فيما يتصل بسلامة الجسم شكوى ذات شأن • ولا أحسب
أحدا فى مثل سننى يرجو خيرا مما أنا فيه •

أما العارض الآخر الذى أعانى منه أشد المعاناة فهو ما أصابنى فى
الاسبوع الماضى من أنباء لم أجد ما ألقاه بها الا الوجوم ، ولن أجد كلمة
تعبر عما أوجهه الا الوجوم وقد بحثت فى القاموس عن مادة : وجم
فوجدتها اللفظة التى خلقت لما أنا عليه اليوم •• وجم يجم وجوما : عبس
وأطرق وسكت عن الكلام لشدة الحزن •

وها أنذا عابس كسيف وها أنذا أريد أن أسكت عن الكلام •
وها أنذا شديد الحزن •

ما العبوس فلا محيد عنه •

أما السكوت فتلك هى الكارثة • فما تعودت السكوت عن حق
أؤمن به • بل عشت عمرى أقول ما أعتقد أنه جدير بأن يقال لم يمنعنى
عن القول شىء منذ أمسكت القلم • وحين جثم على مصر الطاغوت اخترنا
لما نكتب طريق الرمز نستغنى به عن الكلمة الصريحة التى حرمتها
الديكتاتورية والحكم الفرد • وقلنا وفهم الناس ما نقول فكان الرمز
أعظم بيانا من التصريح ، وكان أشد نفاذا من القول المباشر • ولم تختف
الكلمة الشريفة حين الجبروت يسد أقطار الحياة • ويفلق على الانسانية
منافذ الوجود •

٢٤٥

واليوم تشهد مصر فى عهد حسنى مبارك ما لم تشهده من الحرية
فى أى عهد من عهود الحكم فى مصر • لا أستثنى فى ذلك ما قرأناه
وسمعناه عن أبائنا وأجدادنا من تاريخ ، أو ما شهدناه معايشة وعيانا
ومشاركة •

٥٣٥

فكيف اذن يسوغ أن نسكت وعلى أطراف اللسان ما عليه من
قول يكاد القلب ينفجر به غيظا وحزنا وخذلانا واخلاف ظن وبعدا عن
التوقع وعلى سن القلم كلمات تتجمد ولا تستطيع أن ترسم حروفا كما
تعودت أن ترسم على مدى أربعين عاما وتزيد .

كيف ونحن في أعظم العهود حرية يملك الوجوم أقلامنا ونفوسنا
والسنتنا .

وأذا لم نجم فماذا نقول .

وأذا لم نصمت فكيف نقول .

حديثنا اليوم وجوم وصمت .

وأقلامنا اليوم جفاف وأطراق وحزن .

اليوم لا يصلح الرمز طريقا لأقلامنا .

واليوم لا سبيل للكلمة الشريفة أن تجد منفذا الى الحياة ماتت
الكلمات على الألسنة . ووثدت الألفاظ على أسنة الأقلام .

حتى ما نستطيع أن نصرح فيم الحزن منا والأطراق والأسى والوجوم
وحتى لم نعد نملك حتى الإشارة المبهمة .

ومن يقرأ حديثي اليوم من الكتاب الاشراف يدرك عمق البكائية التي
أشعر بها . فالكتاب الشرفاء يعلمون حق العلم مدى الشقاء الذي ينوء به
البكاتب إذا أجم الكلمة، ووأم الحق وسكت لا قهرا من حاكم وإنما لأن
الكلمة التي يريد أن يقولها لا تستطيع أن تكون معلنة للناس مشهورة
للكافة .

فصمتنا اذن الى أن يأذن الله لجرح أن ينديل ولنفس أن تطيب
ووجوما اذن الى أن يقضى الله أمرا كان مقعولا . وحسبنا الله ونعم
الوكيل ؟

١٩٨٧/٢٠ / ٢٨ الأهرام

الرجال ثروة مصر

إذا اختال علينا ذو مال وصاحب غنى بماله وغناه فأننا نحن المصريين
نباهى بثروة لا يستطيع أن يباهى بها إلا القليل النادر من الدول والجماعات .

رجالنا على مدى التاريخ هم الكنز الذى لا يفنى وهم القمم التى
لا مثيل لرفعتها وسموقها .

لنا في ميادين السياسة الرجال الكبار كتبوا تاريخ مصر وعرفه
التاريخ باسمهم وأذكر ثورة ١٩١٩ وأذكر رجالها كل رجل منهم أمة
في ذاته .

وأذكر جهادنا ضد المحتل ووقفنا نصد عتوه وجبروته حتى
لتعتبرنا الهند مثلاً أعلى لها .

ولنا في ساحة الدين الأئمة الهداة . ولنا الأئمة الشريف يرسله
اشعاعه المبارك الى كل مسلم في أنحاء العالم .

ولنا في ميادين العلم الأئمة وحسبنا ما قال شوقي يكرم
د . علي باشا إبراهيم .

ابتغوا ناصية الشمس مكانا

وخذوا القمّة علما وبينانا

واطلبوا بالعقريات المدى

ليس كل الخيل يشهدن الرهانا

ابعثوها سابقات نجبا

تملا المضمار معنى وعيانا

وثبوا للبعز من شهواتها

وخذوا المجاز عنيانا فعينيانا

ولنا فى دنيا الأدب وانفغانة المنارات الشامخة • كان الأدب فى القرن الماضى لعبا باللفظ فهو لهو ومهارة حواة • فاذا جيل العباقرة يظهر فى الوجود يقود كوكبته فى الشعر أحمد شوقى من بعد ارهاصات من محمود سامى البارودى ويكن واسماعيل صبرى •

ويشرق شوقى أعظم شاعر عرفته العربية فى تاريخها كله وخلفه يقف حافظ ابراهيم و خليل مطران وتتوالى المواكب محرم ونسيم وعلى محمود طه و ابراهيم ناجى ويعيد عزيز أباظة أمجاد شوقى فى المسرح الشعرى الذى لم يعرفه العالم العربى الا من هنا •

ويقود كوكبه البرعيل العملاق الباذخ طه حسين • ونحن فى ذكراء فى هذه الأيام ويسير الموكب الفذ الذى لم يشهد جيل له مثيلا د • محمد حسين هيكل والعقاد وأحمد أمين وتوفيق الحكيم والمازنى وتيمور والزيات وزكى مبارك • وأحمد زكى • وزكى نجيب محمود واذا الأدب العربى الذى عرف المسرح الشعرى على موسيقى شوقى يعرف من هؤلاء الرواية والقصة القصيرة والمسرح الانسانى العظيم •

ويتخرج الأدب العربى الحديث على يدى عميده د • طه حسين وعلى أيدي أساتذة الأدب من جيله السابق •

وتتوالى أجيال المبدعين وقد لققوا الرايات من أساتذتهم وثبقي مصر وقد زال عنها المال المصنوع هى أغنى الناس فى الرجال وفى البشر •

وتتعلم الأجيال من هؤلاء أن الأديب شجرة ضخمة وليست ظلا لأحد وانما هى التى تمتد الناس بالظلال •

وان الكاتب قيمة فى ذاته لا يحتاج الى قيمة أخرى من خارجه • ويثبت فى الأذهان أن الانسان يستطيع أن يعين الحكام والأمراء ولكن الكاتب لا يكون الا بأمر الله وحده فى علياء سمائه •

ان الكاتب كلمة من كلمات الله وهكذا فالكاتب كلمة والكلمة عرض • فاذا أباح الكاتب كلمته للبيع والشراء فى أسسواق النخاسة فقد أباح عرضه وسقط عن مكانته ، وأصبح عند الناس بقية من شئ بلا قيمة بعد ان كان عندهم اسمى من انسان •

لقد أشرق طه حسين في سماء الأدب العربي أجمع نورا يبهز العالم كله ، وإن كان هو لا يرى إلى النور المادي فقد كانت في داخله شلالات من ضياء وبهذا رفع رأسه عاليا وجعل من صاحب الكلمة صاحب جلالة وما أعظم خليل مطران وهو يقول عن البارودي وكأنني به ينظر إلى طه حسين •

إذا وسع الكون فكر امرئ

فلا بأس بالطرف أن يخسرا

على الشمس أن تهدى المبصرين

وليس على الشمس أن تبصرا

لقد نشأنا نحن في ظلال هذه الغابة المعطاء • وعرفنا أن قيمة الكاتب أعظم من أية قيمة • فكل سلطان إلى زوال إلا سلطان الكلمة • اختارها الله جل علاه لتكون معجزته الخالدة على الأرض ، وحسبها ذاك مجدا •

وفي الغابة تنبت حشائش تدوسها الأقدام وتسقط أوراق جافة حطمها الذبول وتتداولها الأرجل ، وفيها أيضا نباتات متسلقة لا تصلح إلا بغيرها ولكن الأشجار العالية تظل شماء أصلها ثابت وفرعها في السماء •

١٩٨٧/١١/١ الأهرام

الكلمة « ضمير »

حين يأذن الله لواحد من عباده ان يكون كاتباً يقضى ان يلقي هذا الكاتب فى حياته عناء أى عناء • ولكنه أيضاً يلقي فى حياته هناء أى هناء •

فالكاتب يشقى بالفكرة حين تومض فى ذهنه وتظل به ويظل بها يجذبها وتجذبه ويقلبها وتلهيه ويدفعها حيناً فتلاحقه أو تروغ منه فيغيرها فهو فى أمواج متلاطمة تعلو به حيناً وحيناً تهبط وتغرقه ساعات أو تطفو به وهو فى دفاع التيار لا يملك من نفسه أمراً • وملاك الأمر جميعه فى يديه •

وويل له أى ويل اذا كانت الفكرة الواضحة موضوع رواية أو قصة أو مسرحية فكل لون من هذه الألوان يحتاج الى تركيب خاص • وبعد ذلك كل رواية لها مداخلها الخاصة بها وتناولها الذى لا يصلح لغيرها • وكذلك الأمر فى القصة القصيرة أو المسرحية وما يصلح لواحدة من الروايات أو القصة أو المسرحية قد لا يصلح لغيرها • وما تتبلور به واجبة قبله يطمس أخرى •

أما الهناء فيلتقى به الكاتب حين ينتهى من عمل ويحس انه صنع شيئاً تسرى فى أوصاله الحياة •

وبين الفكرة وهى بداية • والرواية وهى رواية أهوال وأهوال • وصنوف من العذاب والسعادة وألوان من الحزن والفرح • ودروب من الحيرة والهدى • ومن الضياع والوصول الى المرفأ • ومن الشد والجذب • ومن الاقبال فى تحمس والنفور فى رفض •

أما اذا وصلنا الى ميدان المقال فأهوال أخرى • أما الأفكار ففي مألوف الحياة وفي مسراها اذا ألبت وسيرها اذا أشرق بها نهار •

والكلام - بطبيعة الحال - عن المقالة • غير الجامعية التى تشمل بحثاً أو دراسة • فان الجهد فى هذا اللون من المقالات من نوع آخر •

• وانما الحديث عن المقالة المرسلة مثل هذه التي ابتليت أنا بها
فما أنا بأستاذ في الجامعة حتى أكتب مقالة بحث أو دراسة وانما أكتب
مقالة رأى •

• ولم يجمع الناس على رأى قط منذ بدء الخليقة وما أظنهم سيجمعون
على رأى حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وقد أخذت نفسى منذ بدأت كتابة المقالة منذ نيف وأربعين عاما أن
أكتب رأى أنا • ولا أنظر الى ارضاء أحد أو جماعة أو اغضاب آخر أو
آخرين •

• هذه كلمتى وليكن رأيك أنت ما يكون •

فهيهات هيهات ان ترضى الناس جميعا وفيهم الذكى والغبي والمخلص
والخائن والصغير والكبير والشريف واللص والصريح والمنافق والمتزن
والمخلوط •

• وهكذا جعلت قبلتى ربي وضميرى •

• وربى هو عالم الغيب والشهادة وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين
وما تخفى الصدور •

• وأنا أدري ان ضميرى واحد لم يتغير ولم يتلون ولم يتخذ له صبغا
ليرانى الناس أو يداجى آدميا على وجه الأرض •

• وضميرى هذا يضاجبني فى نومى ويظظبني وفى غدوى وزواجى
عنيف بى غاية العنف لا ذو رحمة هو ولا غفور ولا يترك لى لحظة من حياتى
أرتاح فيها منه •

• فليس أمامى من سبيل الا أن أرضيه •

• ولا يزال يلج بى فى اصرار • • قل كلمتك ولا تتركها بل قف الى
جانبها ولا ضير عليك مما يلحق بك • فانه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
فعلى الله توكل وليكن ما يكون •

• واننى حين أمدح أعلم أنهم قائلون عنى انى منافق وان كانوا يعلمون
اننى أبعد ما أكون عن النفاق • ولكن الذى يكتم الشهادة هو المنافق •
سواء كانت الشهادة مديحا أم ذما • فالذى يكتم شهادة المديح ينافق الناس
الذين سيقولون عنه منافق والذى يكتم شهادة التفتيد منافق يخشى الحق •
ولا أدري أيهما شر من صاحبه •

وإذا أنا هاجمت صاحب سلطة • وسيقال عني أنني أبتغي إلى
البطولة سبيلا •

فلا أنا بمفلت من الذم إذا مدحت ولا أنا بناج من النقد إذا عارضت
أما ربى فهو العليم •

وأما ضميرى فهو وحده من يعنينى بعد الله • ولو عرف الناس
ما معنى أن يكون الإنسان كاتباً صادقاً مع ربه ونفسه لما زاغت قلوبهم
ولأدركوا أنه ليس فى العالم لقب يسمو إلى لقب كاتب •

ورحم الله العقاد حين قال :

أغنى البرية عن حلى لقب

من كان يشرف باسمه فردا

وما أحسبه — بقيت ذكراه — الا كان يعنى نفسه بهذا البيت وكل
من سار على دربه من صدق مع الضمير الذى لا يتغيا الا ان يكون عند الله
صادقاً • ومن كان عند الله صادقاً فانه عند جمهور الناس وعند كل
الشرفاء صادق أمين •

شقاء هى الكلمة أى شقاء ولكنها حين تصدر صادقة مؤمنة تصبح
سعادة لا يعرفها الا من عرف قلبه الايمان أعمق ما يكون الايمان بالله جل
علاه • وهل الحق الا اسم من أسمائه وهل العدل الا واحد من صفاته
تقدس أسمائه وتعالى صفاته •

الأهرام ١٩٨٧/١١/٨

فما الدنيا اذن؟

يستطيع أى انسان فى العالم ان يسمع الانباء من أى مصدر لها أو يقرأ الصحيفة اليومية ويستطيع ان يرضى ويستطيع ان يغضب ما شاء له الغضب ثم يقلب شفته ويلقى الجريدة ويقول لنفسه •• لا شأن لى •• ما دام الذى أغضبه لا يدخل فى خاصة عمله ولا يعسده على أمر يتصل بنفسه أو بماله أو بولده ثم يضطرب بعد ذلك فى الحياة ما شاء له الاضطراب بعيدا كل البعد عن هذا الذى أغضبه فى النبأ الذى سمعه أو قرأه •

الا الكاتب فهو مسئول عن كل ما يجرى فى بلده مسئولية ينبغى ان تبتعد كل البعد عن ذاته فى حياته أو ذوات ابنائه أو اخوته أو أهله الأقربين •

فالكاتب اذا كان شريفا ينبغى عليه وجوبا الا يكون قلمه سلاحه ليدافع به عن أغراضه الشخصية أو منافع الخاصة •

فان الشعب قد عينه وكيلا عنه • ورضى قلمه مدافعا عن صوالحه العامة ولا يرضى القارئ منه ان يحول قلمه الى الدفاع عن حوائجه الخاصة أو تلك التى تتصل بالمقربين منه •

والكاتب الذى يتحول الى محارب عن هذه الحوائج الخاصة يسقط عند الناس ويصبح غير ذى قيمة عند القارئ وهو الشعب أو عند صاحب السلطان المتصرف فى أقدار الناس وحوائجهم •

فما حب من الناس وثقة من القراء بقلم الكاتب وضميره يمتنع عليه ان يتاجر بحبهم هذا وبثقتهم به •

والكاتب ينال هذا الحب وتلك الثقة بالجهد الجهد والزمن ليديد والمواقف الثابتة الصلبة لا تميل مع هوى أو منفعة ولا تلين مع تهديد أو ارهاب وان رصد له العتاه أسباب البطش والوان الجبروت • والكاتب

يفقد هذه النفقة في لحظة اذا هو مال عن الطريق وصاحب السلطان ييده
السيف والذهب . فان كان جبارا طاغية فسيهه طائع لهواه يهوى على
رأس من يخالفه الرأي في غير تدبر أو مريحة يرفض في شأنه الشفاعة
ويأبى كل الآباء ان يستمع الى رجاء بعفو أو سعى بعفران .

ولهذا كره الطغاة الكتاب الأحرار واصطنعوا لانفسهم الأقلام التي
لا يملك أصحابها من أمرها شيئا إلا ان يحركوها على الورق ناظرين في
كل حرف يخطونه الى سيف الطاغية وذهبه .

ولكن الطغاة يموتون . والكلمة تبقى . وتظل خزيا للكاتب على مدى
الأجيال واذا شاء الله وعاش الكاتب بعد الطاغية تظل الكلمات المرائية
المنافقة الكاذبة تلحق بالكاتب ما طالبت به الحياة ثم هي لاحقة به بعد ان
يعبر الحياة وينقضى منه الجسد ولم يبق منه الا الذكرى وقد لطحها نفاقه
بالقدر الأبدى .

ومن الكتاب من تعود الا يعيش الا في ظل الطغاة يدايجهم بالمديح
وان سفل وبالتعظيم وان حقر يرجو فيض نائلهم أو يتقى تقطيعه في
وجوههم .

وهؤلاء الكتاب لا يستطيعون العيش في ظل حاكم شريف لا ينزل
سخطه بكاتب ولا يقصف بغضبه قلما .

وهذا هو محمد حسنى مبارك ما بسمعنا يوما انه عصف بكاتب ان
غضب عليه . والمؤيدون والمعارضون عنده سواء . ولكن قد يصلح الحاكم
ولا يصلح الكاتب ما دام هذا الكاتب قد نشأ وربى وشب هينا على نفسه
وعلى الناس . ومن لا يكرم نفسه هيات هيات ان يكرمه رئيس أو مؤوس .

وأعرف من هؤلاء النفر من الكتاب بعضا لا يكتبون الا لينعشوا
أموالهم أو ليفجروا حول أسمائهم ضجيج الشهرة أشبه ما يكون بلعب
الأطفال التي تخرج أصواتا تملأ السمع ثم لا تصيب من الناس بعد ذلك
الا السخرية المريرة مليئة بالاحتقار والزراية والهوان .

وهؤلاء النفر لا يتصورون ان يكتب كاتب رأيا الا سغيا وراء منفعة
تتمثل في أذهانهم العفنة مالا أو منصباً أو جاهاً . ولا يمر باخيلتهم
المريضة الضامرة ان هناك شرفاء يكتبون ما يكتبون لأنهم شرفاء . فالشرف

معنى بعيد كل البعد عن كاتب يلهث لهات الكلب وراء مال دنس أو شهرة زائفة .

والكتاب الشرفاء اذا تحسبوا آراء هؤلاء الساقطين حبسوا كلمتهم خشية ما قد يكتبه عنهم هؤلاء اللاهثون .

ولكن الكلمة أمانة والكاتب يحمل هذه الأمانة ويعلم مدى ثقلها ويدري كل الدراية ما هو ملاقيه عند غير الشرفاء . فان جعله هؤلاء يميل عن القول الى الصمت فقد نجحوا ان يجعلوه يروغ عن الحق الى الهوى . وهان هؤلاء ان يجعلوا كاتباً شريفاً يميل عن الحق الى الهوى فان الحق هو الكاتب واذا تخلى عنه اثارا الى الدعة وطلباً للعافية فانه بذلك يخون الأمانة . ويتيح للعييد ان يخلو لهم الميدان وتصبح الحياة غير جذيرة بأن تعاش .

فما قيمة الحياة ان تمكن المغرضون ان يسكتوا الاتقياء وما الدنيا ان استطاع الملوثون ان يفرضوا الصمت على الاتقياء . ولماذا يعيش الكاتب اذا لم يستطع ان يصيح بأعلى صوت له مال الميزان حين يميل الميزان . وحطمت القيم اذا انحطمت القيم . ولماذا يحمل قلمه اذا لم يدع به الى الشرف والخلق الاسنى وطهارة الذيل .

وما وجوده اذا هو لم يكن صوتاً متصلاً بالسماء يمجده ما يرضى الله عنه ويمحق بسن قلمه ما يغضب الله ورسوله والمؤمنين .

ان الكتاب الشرفاء هم ظل الأنبياء فى الأرض . ولو ان محمداً عليه أزكى الصلاة والسلام خاف المشركين ما انتشر الاسلام فى ربوع العالمين لقد عرضوا عليه - صلى الله عليه وسلم - الملك فسخر منهم وصاح بهم بل ان الشمس اذا أمسكتها يمينى والقمر ان استقر بشمالى عاجزان كلاهما ان يغريانى عن الدعوة الى الله العلى القدير .

وبما ايمانه أبلغ رسالة الرحمن بالحق كلمات خالداً على الزمان الحلال فيها بين والحرام فيها بين . فهى الفرقان وهى القرآن وهى الاسلام دين الهداية والطهر ، والشرف والنقاء .

١٩٨٧/١١/١٥ الأهرام

طفولة الرجال

ماذا أصاب العصر • وما للرجال أصبحوا أطفالا • وما للأطفال
لم يصبحوا أطفالا • ماذا أصاب العصر • وماذا دهاهم حتى أصبحنا ونحن -
بعد - لم نبلغ من العمر أزدله نعيش غرباء في عصرنا مستوحشين في
أوطاننا •

لم تصبح الرذيلة رذيلة • لا ولا الفضيلة أضحت فضيلة • اختلط
الخير بالشر • والقمة بالحضيض • والبهاء بالدماة • والسماحة
بالخدعة • وتخلق الرجال بخلق النساء والأطفال فما أصبحنا ندرى هل
نحن نتعامل مع رجل أم امرأة أم طفل صغير ضئيل الآمال منههار
الشخصية •

حسبك فانظر بعض أصحاب الوظائف ذات الإدارة والامارة •
وحسبك فانظر كيف يعضون عليها بالنواجذ حتى لكأنهم أطفال بله
يمسكون بلعبة يتلهون بها • وانظر كيف تتمثل الوظيفة الكبرى ذات
المسئوليات الجسام في ذهن القائم عليها • • وحقك ليست عنده الا تحية
الساعي ومركب السيارة واحترام السائق أما جذور الوظيفة ولبها •
وأما صوالح الناس وأعمالهم • فآخسر ما يفكر فيه هذا البعض التافه
الكبير الصغير • الشيخ الطفل • العجوز الصبي •

أين الرجال • وماذا دهاهم • • وماذا أصاب الرجولة فيهم •

وما الذي زلزل أركان الجد في نفوسهم • • فقلبيهم أطفالا يلهون •

رأينا والعهد قريب محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة
يقدم تقريره الى مجلس النواب رافضا ان ينال كريم ثابت خمسة آلاف جنيه
بغير وجه حق من أموال مستشفى المواساة لا سند له في نيلها الا أمر
صادر من الملك ويصبح محمود محمد محمود - أطال الله عمره - لا ، ليس
هذا من حق كريم ثابت ولا من حق الملك • انها أموال دولة • ويزلزل
أركان المجالس التشريعية • ويسعى اليه من يسعى • ان الملك يريد ان
يمنحه رتبة الباشوية فيقول نفي غير جليلة وفي غير تظاهر بالبطولة :

شكرا له • ولكن هذا لا شأن له بالآلاف الخمسة • ويصر وهو يعلم كل العلم ان اصراره معناه ان يترك كرسيه وقد كان كرسي وزير في ذلك الزمان وحين أبى المسئولون ان يستجيبوا لما طالبهم به قدم استقالته في تواضع شديد وفي غير جلبة ولا ضجة ولا صياح •

ووقف مصطفى مرعى يزلزل أركان مجلس الشيوخ باستجوابه عن الأسلحة الفاسدة والاستجواب موجه الى الوزارة في شكله ولكنه نافذ كالسهم الى العرش والجالس عليه واللائذين به والدائرين حول فتاته •

ورأينا مصطفى مرعى نفسه حين لم يرض عن تعبير قاله رئيس الوزراء الذى يعمل معه يقدم استقالته الشهيرة المضيئة فى التاريخ السياسى والانسانى • ورأيناه نفسه يضرب عرش الملك باستجوابه عن اليخت فخر البحار قائلا ان كان هذا اليخت ملكا للدولة فعلى الدولة ان تصلحه على الا يستعمله الملك • واذا كان اليخت ملكا لصاحب العرش فعليه ان يصلحه وله من بعد ان يستعمله • وكان أجر الاصلاح نصف مليون من الجنيهات •

ورأينا يومذاك بدايات العصر الأنكد الذى يحيط بنا صغاره وهوانه وبلواه ورأينا حكومة ذلك الزمان تطيح بأكثر من عشرين شيخا من مجلس الشيوخ متسترة خلف الدستور فاذا بالستر يفضحها ويتأبى ان ينصاع لشهوات الحكومة وسيدها الملك فى ذلك الحين •• ومن بين هؤلاء الشيوخ رئيس المجلس القطب الأدبى والسياسى العتيد د • محمد حسين هيكل باشا • ومن بينهم أيضا مصطفى مرعى •

ورأينا قبل هذا جميعه الموظفين المصريين فى ثورة ١٩ يتجمعون فى حلف خطير • والمحتل يومذاك أسد هصور ضار لا تغيب الشمس عن دول امبراطوريته • ولكن أبناء مصر يزأرون فيرتجف الأسد ويبدأ الموظفون بالاضراب عن العمل ثم يبدأ أحدهم بالاستقالة بعد أن دوخ المحتل بتحقيقات تظل حتى اليوم منارة مشرقة فى تاريخ التضحية والفداء وشجاعة النفس • وتتوالى بعد ذلك الاستقالات من الموظفين المصريين وتزلزل استقالاتهم أركان الامبراطورية زلزالا مروعا •

ونعود - والحسرة تعتصنا - الى عصرنا هذا • أليس رجال اليوم هم أبناء رجال الأمس •• فما لرجال الأمس كانوا منارات ومالهم كانوا رموز شرف وأصالة وشموخ ؟ وما لرجال عصرنا تنماع رجولتهم حتى

ما ندرى من أى الجنسين هم • وحتى ما ندرى أرجال هم بلغوا الرشد
منهم أم هم ما زالوا أطفالا صغارا يلهون والدنيا من حولهم تجد وتكشر
عن أنياب لها قاسية شرسة •

اننا اليوم فى حرب مع أنفسنا وهى أشد ضراوة من الحرب التى
خاضها آباؤنا مع المحتلين •

نحن فى حرب طاحنة مع ضعف الانتاج ومع اللصوص ومع السفاحين
ومع اذعياء الدين ومع الملحددين ومع الارهابيين ومع تجار السموم ومع
المتاجرين بأقدار الدولة ومصائرهما • ومع المستفيدين بحرية الديمقراطية
والمنتفعين بأيام الطفيلان والجبروت •

حروب لا نهاية لها وليست حربا واحدة •

وأرى بعض الرجال - ولا أقول جميعهم - يحاولون الهرب من واجبهم
وأرى بعضا آخرين - ولا أقول جميعهم - يستمسكون بمناصبهم حتى
ولو كانوا قد بلغوا المعاش وان لهم ان يتيحوا الفرصة للقادمين بعدهم •

وأرى من أحسبه رجلا يخون الأمانة ويفشى ما تستودعه من سر
ويضرب فى تيهه الجبن المرتعد الهزيل ويبيع الشرف بالدلة والكرامة
بالبهوان •

وأرى - فيما أرى - الشباب غر جاد هو ولا هو حازم •

منه - ولا أقول كله - من يتخذ ملابس النساء وحليهن • أو يتخلق
بخلق الطفل فى تفاهته وضمور عقله أو منه - ولا أقول كله - من يتنكر
وراء اللحي مدعيا الدين والدين منه براء • أو منه ولا أقول كله اذا أراد
أن يختار فأخر الملبس جعل ملبسه الجيش الأزرق الحقيق الذى لا يصلح
ان يكون خرقة لتنظيف الآلات • ما هؤلاء ولا أقول من هؤلاء فقد تعلمنا ان
لفظة من لا تقال الا للعاقل • أو عقلاء هؤلاء أو ينتسب أولئك الى أبناء البشر
هيهات •

أى عصر هذا الذى كتب علينا ان نعيش فيه • غرباء نحن نعيش
وما أعظم الوحشة التى يحس بها الغريب وويل لنا كل الويل اذا
استوحشت بنا الغربة ونحن بين رهوع وطننا الذى نشقنا غيره منذ نحن

ففى المهد ومن ذراته اكتملت جسومنا • ومن أمواهه جرت دماؤنا • وفى
ترابه ثوى آبائنا وأجدادنا •

فاذا شعرنا هنا اننا غرباء فأين بنا المرفأ وأين لنا الملاذ أم نحن
غرباء على الزمان • فأى قبلة نوليها • وأى زمان نرتجيه •

اللهم يا الله ياذا العرش والمنكوت • اليك وحسبك الوجهة وإلى
ساحتك القدسية المهرب والملاذ • سبحانك تعاليت لا اله الا أنت فانك
بارىء النفوس فالهمها الرضا يارب العالمين أو الهمها الرشاد أو فاطو بنا
الحياة لنلقى وجهها لا يخيب عنده رجاء • ولا يرتد عنه قاصد يفنى كل حى
ويبقى هو الى ما بعد الأزل ذا الاجلال والاكرام •

١٩٨٧/١١/٢٩ الأهرام

النطهير لا التشهير

ماذا أصاب الزمان • أين ذهب المجتمع المصرى • ما شأنه • ماذا يشغله عن نفسه • ما الذى جعل الأفراد كأنهم فى يوم الحشر يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ومن صاحبتة وبنيه ، فيمسى لكل انسان شأن يغنيه • أنكون على مشارف الساعة ونحن لاندرى • أ يكون الزمن قد بلغ المنتهى • ووافت منيته • وانقضت أيامه ١٩ •

والا فما هذا الذى يطالعنا من جماعة الناس • مالهم وقد أصبحوا بغير رباط يجمعهم • ولا رأى ينتهون اليه • المحسن منهم يحسن الى نفسه • والمسيء منهم يسيء الى ناسه جميعا • وماذا عليه ان يمضى فى سبيله مادام المجتمع لا يصيح به حسبك فق • اسأت فارجع ومال بك الطريق فعد • وجمع بك المركب • وعاج بك الدرب • وانفلت بك الزمام • فاستقم أو تريت • أو أخرج من جماعتنا مذموما مدحورا ملعونا • ابليس أنت • وما نرضى فى مجتمعنا ابليسا •

الحسن لا يفكر ان يحسن الى الناس مهما يكن فى فيض من النعم ، وفى وفرة من الغنى ، وفى سعة غاية السعة من الأمر • يثير حوله الأحقاد ولا يحاول ان يكسر حدة الحسد بأية العطاء ولا يفكر ان يعين من خاصته الأقربين ما يرد عنهم كيد زمن ، أو شدة أيام ، أو مسيس حاجة • يلهو اللاهى منهم بالمال فى أرض العاهرات وفى تقيع الخمر • وفى مساحيق الخدر • وفى دخانه • ولا يمر بباله أقارب يطحنهم الزمان وتمخضهم الأيام وتضرب بهم الأرض فى مذلة الجوع وفى هوان العرى •

وأرى الى هذا العرييد المافون فى زحام الناس • فأجد المجتمع يفسح له كل تكريم واجلال واكبار •

أين جزاء المجتمع • كان هناك زمان يخشى السارق فيه ان يسرق حتى لا يحتقره المجتمع الذى يعيش فيه ويحاذر فيه الانسان ان تشيع عنه الرذيلة أو يشتهر أمره بين الناس بالمجون والعريضة حتى يبقى على احترام الناس له •

فما لهم اليوم يثيهُون فخرا انهم لصوص • ويملاهم الزهو انهم
فجيرة ويشرفون غاية الشرف انهم عرايبد خمر ومساحيق يمتلعونها
أو يشمونها أو يدخنون •

لقد أصبح المجتمع أبعد ما يكون عن توقيع الجزاء • وأصبح يغدق
بفضله على من ينبغي أن ينبذهم نبذ الهواة • ويقصيه عن احترامه ويلقى
عليهم احتقاره وتقززه •

ان المحاكم لاتستطيع وحدها ان تقوم بشأن المجتمع • وكم من جرائم
يرتكبها الانسان ولاتجريم لها في قانون العقوبات •

الثرى الذى ينفق ماله على المظاهر الحقةرة التافهة ويترك الفقراء
حوله لايعين معوزهم ولايرد الجوع عنهم ولايكسر معوزهم أشواك الحياة •
غير مجرم فى مواد القانون • ولو كان المجتمع واعيا مدركا لحقه بل
لواجبه • لاعتبر فعله جرما يستحق تشديد العقوبة الاجتماعية مادامت
العقوبة القانونية قد اثنت عنه •

ولكن المجتمع يحترمه ويجله ويوقره • لقد أصبح المجتمع عبدا ذليلا
للمال • وللمال وحده •

هذه الأموال المنهمرة فى أسواق الجوارى وفى شراء المخدرات
ينفقها أصحابها وهم يعلمون كل العلم انها أموال ذامبة الى تجار لن يدفعوا
عنها أى ضريبة • وكيف لها ان تكون ذات ضريبة وصفقاتها تعقد فى أستار
الظلام الدامس وفى كهوف معتمة أبعد ماتكون عن ضوء الشرف
أو مشروعية السبب •

هذه الأموال لو أنفقت فى سداد ديون مصر لثم السداد فى لحظة من
الزمن • ولكن أصحاب هذه الأموال انتهبوها من دماء بشر وهيهات لشارب
الدماء ان يفكر فى أمر وطن •

فليلق بماله اذن فى متاهات الدعارة وفيما يقضى على كيانه المادى
فانه أصلا بغير كيان آدمى • وليمتع هذا المال الذى يقتل به نفسه أن
يحىي به وطنه أهواءه ورعاه ومد له أسباب الثروة ومناهل الغنى •

كيف لحقير مثله ان يفكر فى شأن وطنه ؟؟

.. لو ان المجتمع حطم أنفه ورفض أن يكون مثله فى نسيجه ومزق ما يصله به . لعاد صواب وارتد الى بعض عقل أو بعض حياء .
ولكن المجتمع لم يعد يوقع عقابه على أحد يرحب بالغنى مهما تكن أسباب غناه .. ويرحب بالموفور حتى وان كان يرمى بماله فى أسفل ما يستوعبه مال .

أرى هؤلاء الأثرياء السفلة فى كل دعوة . يتصدرون الأفراح ويسدون أقطار المجتمع جالسين فى المقدمة . ودائما فى المقدمة . والنقابات . وهى المجتمعات الصغرى . لاتتخذ أى اجراء ضد أولئك الذين ارتموا فى حماة الرذيلة وفى مهاوى العفن . بل والعين من ذلك - أرى بعض الناس تصدر عليهم من القضاء وهو القضاء أحكام . ثم أنظر فأرى اعلام الرسمى يوسع لهم فى جنباته ويرحب بهم فى شاشاته وصحفه وإذاعاته .

وأرى فيم أرى من أصبح بعيد الصيت فى غير الشرف ومن علا شأنه فى دنيا الخمر والفجور يتصدر موائد الاجلال والاكبار والتوقير .

هل أصبح المجتمع بلا خلق هو أيضا . هل أصبح المجتمع مخمورا مخدورا متاجرا فى أسواق الرقيق . اذن فواضيعتنا للحياة . لاسبيل لنا ان نطلب الطريق الشريف اذا لم يرسم المجتمع هذا الطريق . والمجتمع يبدأ بالاعلام وماكنا لنطالب الاعلام بالتشهير وانما نطالبه فقط بالتطهير . فليبعد عن ساحاته كل عريبد ذاع اسمه فى ميدان المهانة البعيد عن الشرف . فان البوهيمى العريبد لايحترم الناس ولا يعبأ برأى المجموع فيه . فليس أقل من ان يرفض المجتمع ان يحترمه . ولا أقل من ان نطالب المجتمع الا يعبأ به فهو فرد والمجتمع أمة .

ولا صلاح لمجتمع أو لامة ان لم يرفع الاعلام فيها شأن الشريف ويرفض أن يمجد المناكيد العاربيد الذين باعوا كرامتهم فى أسواق العبيد . فكل من غلبت عليه أخلاق الحيوان عبد لشهواته . وكل من تناول المخدر أعلن على الناس أنه يبيع وعيه بالغبوبة ويبيع عقله لأنه عنه فى غنى وانسان بغير عقل شر من الحيوان فالانسان كان ذا عقل واختار ان يتنازل عنه أما الحيوان فقد فرض عليه البارى المصور الخالق ان يكون بغير عقل فلا لوم عليه ولا تثريب .

اننا لا نطلب الا الطهارة غيمن لتصدر أسماؤهم أفاق الاعلام
والمجتمعات .

ولا نطلب الا أن ينال المجتمع حقه ممن أتاح له المكانة من الغنى
أو الجاه أو السلطان . وحق المجتمع أن يكون نجومه شرفاء يعرفون واجبه
ماداموا قد نالوا حقوقهم أو انتهبوا فان الله سبحانه لا يدخل في رحمته
من زين لهم سوء أعمالهم وهو رجل علاه لا يهدى القوى الكافرين .

١٣/١٢/١٩٨٧ الأهرام

بين الهدف والطريق

لا بد من هدف لكل انسان • أو ينبغي ان يكون لكل انسان هدف • ولكن يبدو ان هذه القاعدة تبددت اليوم • فالشباب بعد ان يحصل على شهادته ينقطع ما بينه وبين الهدف فى الحياة فيصبح هباءً فى أجواء الحياة تتقاذفها الرغبات المفاجئة وتلتقطها الأيدى المغرضة وتجعلها تسير وفقا للأهواء والمطامع الخاصة والشهوات الملتاثرة والأفات النفسية القاتلة • وربما كان انعدام الهدف مبتدئا مع الشباب منذ هو حاصل على شهادة الثانوية ويسعى سعيه للانتساب الى الجامعة • فقد يكون من الذين يرجون ان يصبحوا من حملة شهادة الثانوية أو شهادة التجارة أو شهادة الزراعة أو شهادة العلوم ولكنه يجد نفسه نهبا لما تلقى اليه به التنسيقات الحكومية فيوطد نفسه الا يجعل لنفسه هدفا ولا غاية ، ويصبح بعد ذلك نهبا لكل ما يريده الآخرون اذ • وقد تنتاشه الجماعات الضالة أو تتكالب عليه برائن من الشيوعيين أو تسنول عليه قوى خارجية مجنونة ذات ثراء •

ولكن حديثى اليوم عن أولئك الذين نجوا من هذا البلاء • وأصبح لهم فى الحياة هدف يسعون اليه ويحثون له الخطى •

وقد يكون الهدف واضحا جليا • وقد يكون شريفا • فلا بأس ان يطلب الانسان الغنى • فالغنى قدرة وقوة ومرفأ ومنتجع وأمان وطمانينة ولا بأس بالفتى ان يطلب الغنى ويسعى له سعيه وقد يكون الهدف هو ارتفاع الذكر وعلو القدر والحصول على المكانة وقد يكون الهدف هو السلطان وتولى شئون الناس والقيام بالأعباء الجسام • وليس طلب السلطان بالأمر الكريه فى ذاته فكل انسان يريد لنفسه أحسن المناصب وأعظم الكراسى فى دنيا الناس وهيئات هيئات ان يلم تعداد بأهداف الناس وأحلامهم وآمالهم وما يرجونه فى يومهم لغدهم • وانما أضرب أمثلة ضئيلة لأنواع من الأهداف ليس لها نهاية ولا حصر •

وانما يشغلنى كيف يسعى الناس الى آمالهم تلك • واعتقد ان الطريق الى الهدف هو أهم ما يكون صورة الانسان فى ضمائر مواطنيه

فالذى يسعى الى الغنى تتشعب أمامه الطرق وتتكاثر . قليل منها قليل ما هو شريف نقي . وكثير منها كثير ما هو دنيء وضعيف . ان اختيار الانسان لطريقه هو الانسان .

والذى يسعى الى السلطان أمامه الطرق شتى . فالكلمة النبيلة والتصرف الجريء المخلص والعمل الدائب والثقافة الواسعة والسعي الكريم كلها طرق نبيلة وضيئة ينيرها هدى السماء ويحف بها اكبار الملائكة واعجاب الناس .

والنفاق الوضيع والدس للآخرين والوقية بين الرؤساء والمرؤوسين واصطناع الرشاوى بالمال وأداء الخدمات الوضيعة وامتهان الذات والقيام بأحق الأعمال لارضاء ذوى الجاه وغير ذلك مما سمعنا عنه وما لم نسمع كل تلك الدنيايا طرق وقد يلتمسها صاحب الهدف وأسمع فيما أسمع أن بعض هؤلاء كانوا يعملون قوادين فى سوق الوظائف ويقدمون للنساء فيما يقدمون ليصعدوا على أجسادهن العفنة الى سناء الهدف . والى كرسى المكان الرفيع .

هذا الطريق الذى يختاره صاحب الهدف هو معالم الانسان وهو ملامحه . وهو حكم الناس عليه أولا ، واحتقارهم له أو اعجابهم به بل - وأعجب معنى - فى دنيا العلم والثقافة والدرجات الجامعية أسمع ان منهم . . بل ان كثيرا منهم يختار فلا يختار الا الغش والخديعة وسرقة أعمال الآخرين والانتفاع بجهد المجتهدين بغير حق والدس للزملاء والوقية بينهم وتاليب القوى عليهم . . مثل هذا الحقيير قد يصل ، ولكنه يظل عند عارفيه آفة اجتماعية وضيعة وصلت فما وصلت الا الى احتقار الناس وامتهانهم لشأنه .

وبعد فما قدمت الا أمثلة للطرق وهى الأخرى لا يطبقها عد ولا يحيط بها حصر بل ان السفلة يخترعون من الطرق الدنيئة مالا يخطر على بال الشريف ورحم الله الشاعر الذى وصف مجتمعه بقوله :

نشأت فى أحقر البيئات ديدنها

خلق المعاصى التى ليست بمعروفة

وأرى بين أبناء زماننا الكثيرين . بل أرى الكثيرين جدا من الذين اختاروا طريق الدنس ليصلوا به الى أحلامهم . وقد يعجب صاحب المنطق

السليم كيف يصل صاحب الهدف المشروع الى هدفه عن طريق غير مشروع . وليس في الأمر عجب . فإله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كادحا فملاقيه « فكلنا في الحياة نقطع طريقا الى وجه ربك ذي الاجلال والاکرام .

طريقنا هو كتابنا يلقاه باليمين عنده سبحانه من يلقاه فهو في عيشة راضية أو يلقاه باليسار من يلقاه فأمه هاوية . والطريق الشريف قديم والطريق البدني قديم . وفي بدء الخليقة أخطأ آدم وحواء ثم استقاما . وقتل قابيل أخاه هابيل ثم ندم ووارى سوءة أخيه . وعلى مدى التاريخ نجد الواصلين لأهدافهم عن طريق الآباء والشرف والكبرياء والرفع عن الدنيا . ونجد الأغلبية العظمى تصل عن طريق الذلة والهوان والنفاق والخنوع وانتهاز الفرص من ضعف السلطان الذي كان دائما منذ بدء الخليقة بشرا من البشر وانسانا من الانسان . ويظل السؤال الاستثنائي على رؤس الناس ويطلون له خاضعين هل يستوى الطيب والحبيث أم هل تستوى الحسنات والسيئات أم هل تستوى الظلمات والنور هيهات لا يستويان . وشتان شتان بين الباقيات الصالحات وبين الخطايا والعدوان والميزان يوم الميزان « وما ربك بظلام للعبيد » .

١٩٨٧/١٢/٢٧ الأهرام

سنة ١٩٨٨

فاذا وصل ٠٠ !

ويسعى الانسان الى الغنى فيبلغه أو يجهد الى السلطان فينال .
ثم ماذا بعد ؟ ماذا هو فاعل بعد أن يصل الى مبتغاه ويصبح من الغنى
نارا على علم ، ومن السلطان على كرسى من القمم . تنشعب الطرق أمام
كل منهما ويجوز لنا أن نردد مع الشاعر العظيم العوضى الوكيل بيته :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج

طريقان شتى مستقيم وأعوج

يستطيع صاحب الغنى أن يكون انسانا شريفا يملأ الدنيا حوله
سعادة وهناء وليبدأ بأهل بيته ذاكرا الحديث النبوى الشريف خيركم ،
خيركم لأهله . ثم هو بماله قادر أن يفيض على المحتاج يرد عنه الحاجة
وعلى من تعثر به الزمان يقيّل عثرته بل هو قادر بماله أن يقيم المنشآت
يعين قومه أجمعين . وفى بلد مثل بلدنا يحتاج الوطن الى كل شئ والدولة
لا تطيق أن تقوم الا بالقليل . نحن فى حاجة الى مدارس . وفى حاجة
الى مستشفيات . وفى حاجة الى آلات طبية حديثة غالية الثمن ينعم بها
البشر فى العالم الغنى المتحضر ويشقى بغيابها أبناء آدم فى مصر . ومصر
على قدر من الحضارة وعلى قدر أكبر من الفقر .

واجتماع الحضارة والفقر كارثة فالتحضر يعرف الأشياء الضرورية
التي يحتاج اليها وعدم قدرته على اقتنائها يشعره بالهوان والمذلة ! فلو
أن الغنى رد عن قومه هذا الشعور الاليم الذى يسحق انسانية الانسان
ويجعلها حطاما بددا . فمبارك اذن غناه محمود له . وأى امرئ أعظم من
هذا الذى أصاب نعمة فأشاعها بين قومه . ولم يكنزها لنفسه . ومن هنا
لم يكن عجباً أن نشيد بالفتى العظيم المسرى الذى تبرع بأربعة ملايين
جنيه لإنشاء مدرسة ببلدته وهو ذو ولد . وما كان أحد ليلومه لو حبس
هذا المال مدعى انه يبقيه لأبنائه . ومن حق كل من يتبرع لوطنه أن ينال
الاعجاب والاشادة والتقدير . فكم من اعجاب واشادة وتقدير ينالها من
لا يستحق فالتبرع بالمالى أولى . وهو بالاكبار أجدر .

وقد تسمع بعض المتنطعين يقولون أن المتبرع لا يتبرع الا هروبا من الضرائب . . . ويل لهم الا يستحون . ان التبرع للدولة عمل عظيم لا يقدر في عظمته شيء . وقد أسمع سخفاء آخرين يقولون انه ما تبرع الا لينال حمد الناس وهم يجهلون ويل لهؤلاء . أى هدف أكرم وأسمى من أن ينال الانسان مديح الآخرين بحق . وأذكر حوارا عربيا قديما .

قال أحدهم :

- والله ما أبالي بمدحني الناس أم ذموا .

فأجابته الآخر :

- استرحت من حيث تعب الكرام .

وان هذه الاجابة على بساطتها لرائعة الدلالة عميقة الأبعاد . فان الانسان لا ينال مديح الناس الا بالجهد الجهيد والبذل الشديد والعطاء المغدق من النفس والمال والصحة جميعا .

قد يكون الغنى اذا بلغ الغنى على هذا القدر الرفيع من الانسانية والشرف . ولكن هناك الغنى الذى يجمع ملايين الملايين ولا يشعر انه بلغ ذروة الغنى .

وهذا الذى شغله جمع المال عن احصائه مخلوق مسكين . لقد ذهب المال بعقله . وأصبح المال بالنسبة اليه سعارا وأصبح المال فى ذاته هو الغاية والنشيدة . انه لا يجمعه ليسعد به وانما يجمعه ليجمعه وحين يصبح المال فى ذاته غاية يجن صاحبه جنونا ويروح ينتهب المال غير ملتفت أن المال هو الذى ينتهبه ، يظن نفسه سيدا للماله بينما هو فى الحقيقة عبد ذليل للماله هو وللسعار الذى جعله هو ربه وركع له ركوع الذلة والهوان .

ومن هؤلاء الأغنياء من راح ينفق أمواله على شهوات جسده فاجرا . داعرا عتيا ظلوما . حياته سكر وعريضة وشهوات حقيرة . لا يرده حياء ولا يقف به بعض عقل أو أباء . ومنهم من ينفق ماله على المظاهر الفارغة الجوفاء من سيارة فارهة الى طيارة أحيانا الى مركب يسميه يختا فى الماء ويصبح التنافس هو حياتهم التى بها يحيون ولها يجدون ويحسبون - وما أحقر ما يحسبون - أنهم بلغوا من المجد علاه ومن الرفعة المنتهى شير واعين انهم بهذا الذى يصنعون يثيرون عليهم النفوس التى تبحث عن

كسرة الخبز فلا تجدها أو عن ثوب يستر عريهم ويقيهم شدة البرد أو
قيظ الحرور فلا يحصلون عليه .

وكم تتمزق النفس حسرات أن الفئة الغالبة من أهل الغنى هم
أولئك الضعاف الذين يظنون أنهم بمالهم أقوياء غير واعين أن القوة الحق
هى أن يصارع الانسان صغائر نفسه فيصرعها ويرد شهواته الى العيش
الهنئ المعقول فى غير سرف مخجل وفى اتقاء لحق الله فيما سكب عليه
من نعمة هو كافر بها ومن رغد هو جاحده .

أما الذين بلغوا السلطان فويل لهم من السلطان . منهم انكبر الذى
ينصدى لكبريات الأمور دون صغائرها . متذكرا بيت المتنبي الخالد :

وتصغر فى عين الكبير كبسارها وتكبر فى عين الصغير الصغائر

أولئك الذين يدركون أن كل سلطان زائل . وانه ما دام الكرسي
لم يدم لغيره فانه لن يدوم له . وانه لولا تنقل المنصب من سلف الى خلف
لما وصل اليه .

ولكن أغلب أصحاب الكراسى لا يكادون يصلون اليه حتى ينشبووا
فيه أظافر نمر وتروح أعينهم تتقلب فى الجهات الأربع تبحث فى ذعر
مرهوب عمن سيطيح بهم عن كراسيهم . وأمثال هؤلاء يصبيحون خدماً
للكرسى ولن وضعهم عليه وينصرفون عن كبريات الأمور التى ينبغى أن
بصرفوا اليها همهم وجهدهم وتفكيرهم . فتميل الموازين وتدهور أحوال
البلاد . ويصيب الناس القحط ويصبح أمرهم بؤساً . ويحطم أولياء
الأمر هذه الأمور ويدمرونها تدميراً . وكيف لا وهم لا عمل لهم إلا إرضاء
أفراد لا جماعات ولا عمل لهم إلا أن يبقوا فى كراسيهم الى أن ينتقلوا الى
الواحد الديان وويل لهم كل الويل حين ينتقلون الى الواحد الديان يومئذ
تعرف كل نفس ما قدمت وما أخرت وهم ما قدموا شيئاً أو أخروا كل
جليل كريم وهم عدواً وما عبدوا ، ومالوا وما استقاموا ، وهانوا وما تابوا ،
مؤذولوا فما كبروا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١٩٨٨/١/٣ الأهرام

الحق كلمة

ويقول قائل انك منذ شهور تطالع القراء بوجه متجههم ، وقلم متشائم ، ونفس مظلمة ، وروح غاضبة ، ويقول القائل : والذي نعرفه ان الكاتب وجه مشرق متفائل ونفس مضيئة وروح شفافة بالنور .

ويل للشجى من الخلى . انما الكاتب كلمة وطنه وتعبيره ودعاؤه وصيحاته وليس على الكاتب بأس ان تضح نفسه بالآمال الكبار لوطنه والتي يعلقها الشعب بحاكميه .

ولا عليه اذا هو ضاقت نفسه حين يرى بعض القائمين بشأن الأمور الجسام يتركون العظام للصغائر ، ويميلون عن كبريات المشكلات ليهتموا بتوافه الأشياء . وكيف لا نغضب حين نرى الكاتب يكتبون والآراء تتزاحم على أبواب الوزارات ونجد الوزير يبحث عن مظاهر هيئة ضئيلة ؟ وكيف لا نغضب حين يتكلم الشعب فى حاضره ومستقبله ويطالب كتابه بالبيان أو الرأى أو الحقائق فاذا الوزارات تغضى عن أقوال الكاتب وكأنهم ما قالوا وما طالبوا وما سألوا وما استفسروا أو استبينوا ؟ .

وكيف لا تتولى نفوسنا القتامة حين نجد كثيرا من الوزراء بعيدين عن الشعب غاية البعد وكأنهم فى صحراء جرداء يسكنها الفراغ ويعمرها الهواء .

وكيف تضى أرواحنا ونحن نرى بعض الوزراء يتكلمون الى الشعب، وكأنهم متفضلون بالحديث غير مدركين أى شرف ينالون حين يتكلمون الى الشعب الذى هو مصدر السلطات والذي أتى بهم الى كراسيهم .

وكيف نتفائل ذا رأينا بعض الوزراء وقد تسمرت عيونهم الى أعلى لا يحاولون مطلقا أن يصرفوها الى ما يعانيه الشعب وما يشغل ناس مصر من أمور مصر .

الكاتب هو هذا الشعب . وهو روحه . والكاتب يقول في غير تفاؤل وفي غير تشاؤم . وانما يقول الحق الذي يراه والذي يثق به ضميره فما هو بقارىء طوالح حتى يميل الى تفاؤل أو تشاؤم وانما هو قارىء النفوس البشر الذين يعيش معهم ثم هو بعد ذلك قلمهم وصيحتهم . جزء نابض هو منهم ان صمتوا قال وان حزبه اليأس جامد هو فى اصرار ، وما جهاده الا كلمة وما الكلمة بالشئ القليل .

فالاديان قامت على الكلمة . والكلمة هي التي اختارها الله لتكون معجزة سيد الانبياء الخالدة على وجه الزمن حتى يرث الله الأرض جميعا ومن عليها .

وحين سلط الطغاة أسلمتهم على مصر . منعوا الكلمة فابت أن تمتنع ومالت عن القول السافر الى القول المتشجع بالرمز فكانت الكلمة أعظم ما واجه الطغيان وأعتقد ما حيره فى أمره . لأن الكلمة أقوى من المدفع والصاروخ . وخاصة اذا كان الصاروخ من صنع المدعين الكاذبين الواهمين الذين أطلقوا عليه القاهر والظافر فما قهر ولا ظفر ولا ترك الأرض ولا صعد الى الهواء ولا أقول السماء . فأين هو وأين صانعه من أى سماء مهما تقازمت واقتربت .

واليوم الكلمة متاحة تتسع لها صفحات الجرائد وأصوات الاذاعة والتلفزيون طليقة هي الكلمة حرة لا يردّها عن سمع الزمان فخر أو عنف أو جبروت . ولكن الحرية على عظمتها غاية ووسيلة فى وقت معا فاذا نحن لم نقل والعهد حر . كنا لأنفسنا خائنين وكنا لبني وطننا أكثر خيانة .

عند القهر يفرض الحاكم الصمت والتجمد على الناس جميعا الا هو وزبائنه . فيصبح الوطن ملكا لهم مقتصبا ويصبح الشعب وهو المالك الشرعى لا يملك من الأمر شيئا فان أسكتته الأسلحة الضارية والعدوان على العرض والنفس والمال فهو فى سكوته الظاهري معذور لا لوم عليه ولا تثريب .

اما اذا انفسحت آفاق الحرية للشعب وصمت فإن صمته عندئذ جريمة فى حق نفسه وفى حق وطنه جميعا .

واذا ظل يقول فلا يقول الا مديحا كان منافقا . والنفاق لا يكون من صفة الشعوب أبدا . قد يوافق الفرد شعبا وقد ينافق الشخص الواحد سلطانا أو صاحب منصب ولكن الشعب كشعب هيهات أن يكون منافقا

أهذا • بل إن له دائما كلمته • يحاول الطغاة أن يقمعوها فيأبى ويقولها
في رواية أو قصة لها من الرمز ستار واه تخترقه العبيون والقلوب
والإفهام • فان أعجزته الرواية أو القصة لجأ الى النكتة يطلقها على الطغاة
نارا حامية •

وما عرف الناس على مدى التاريخ شعبا نافق وان عرف التاريخ
وكثيرا ما عرف شعوبا ردت عن نفسها عادية الطغاة بالصمت في ظاهر
الامر ولكنه صمته مرتفع الصوت أشد في جبروته وفي مهابته من
الضجيج •

ونكون ظالمين اذا لم نذكر ان مصر تقدمت في عهد الحرية تقدما
رائعا وجسبك انك تمسك التليفون فيصلك الى أقاصى الأرض بعد ان
ظل سنوات في البيت شأن سقط المتاع يشغل حيرا ولا نفع فيه وازدادت
الطرق عددا وتعالى الكبارى وتقدمت الصناعة في كثير من جوانب الحياة
وتفتحت لنا منافذ الحياة وتواصلت بين مصر وبين دول العالم الثقافات
وأقبلت السياحة على مصر الآمنة •

نذكر هذا جميعا • ولكن انتقدم يغرى بالتقدم • والنجاح يبعث الى
مزيد من النجاح • وقد فوتت علينا سنوات الطغيان والعماية والجبروت
سنوات هي من أعظم سنوات البشرية تقدما ولا نجاة لنا من الأزمات الا ان
نلهث حتى نسترد ما فاتنا وأخشى ما أخشاه ويخشاه معنى الشعب أن
يمسكنا عن انطلاقنا قواني ضافرة هزيلة صنعها الطغاة لينافقوا بها
الشعب وليقدموا بها الرشوة الى فئاته •

علينا نحن الكتاب ان نخاطب المشرع والفئات التى تسلمت الرشوة
أن تعيد الى الوطن حقه المنتهپ • ولن يكون ذلك الا بالعمل أصدق
ما يكون العمل وبالإنتاج أغزر ما يكون الانتاج •

وعلىنا نحن الكتاب ان نبصر الشعب ان مجانية التعليم هزل لا جد
فيه ولينظر الوالد الى ولده أحقا هو يتعلم علما أم هو يتعلم الجهل أبشع
ما يكون الجهل • فشر انواع الجهلاء جاهل يجهل انه جاهل • وهذا
ما تصنعه المدارس بأبنائنا اليوم • فهى تعلمهم الجهل لا العلم •

ولينظر الوالد الى ولده أحقا هو يتعلم مجانا أم الدروس الخصوصية
تنفض عليه بأسنانها الضارية الشرسة •

وهكذا نجد أن قانون مجانية التعليم أفاد الأغنياء وحدهم أو تلك
الذين يطبقون مواجهة الدروس انحصوصية وهكذا أيضا ينعدم مبدأ تكافؤ
الفرص • وأين التكافؤ حين ينجح الغنى لأنه قادر على أهوال الدروس
الخاص ويسقط الفقير لأنه عاجز عن استجلاب المدرسين أو الأساتذة •

وكيف يتاح لنا أن ننطلق في طريقنا ان كان حتما علينا أن ننفذ
قانون تعيين كل الخريجين •

هيهات هيهات أن نتمكن من السير حتى وإن كان ونبدأ ونحن
مكبون بقيود نعلم انها هائلة ماجنة وانها ما وضعت الا ذرا للرماد في
العيون • والرماد في العين قاذى يمنع عنها الرؤية ولكن قليلا ما يبقى
فما هي الا دمة صافية رقراقة حتى يزول ويكشف الله عن الانسان
غطاه فاذا بصره حديد •

سبحانه جل شأنه هو الهادي الى سواء السبيل وهو من يلهم عباده
الصراط المستقيم •

١٠/١/١٩٨٨ الأهرام

أطلس تاريخ الإسلام

لا يزال الكبار يظهرن علينا بأعمال تعيد نقتنا فى الحياة : ها هو ذا د . حسين مؤنس يطلع على التاريخ والعالم أجمع بواحد من أعظم الأعمال الثقافية فى حياتنا جميعا الماضى منها والحاضر والمستقبل . قد صدر له فى هذه الأيام أطلس تاريخ الإسلام وهو أطلس ضخم يقع فى أكثر من خمسمائة وعشرين صفحة من القطم الكبير .

ولو أن دولة مثل أمريكا تصدت لعمل مثل هذا لأنشأت له مؤسسة قائمة بذاتها ولكن الدكتور حسين مؤنس قام وحده بهذا العمل العملاق يعاونه فى ذلك زهط قليل مختص بالآخراج الفنى والمراجعة التاريخية وان الأمانة تقتضينى أن أذكر جميع الذين عاونوه .

كان رئيس التحرير أحمد رائف صاحب مؤسسة النشر التى تفضلت بنشر الأطلس غير ناظرة الى الكسب المادى لأن استعادة ما أنفق على هذا الأطلس تستغرق لا شك وقتا طويلا .

مساعد رئيس التحرير : محمود حلمى .

تصميم ورسم الخراط : جيو فانى دى اجوستين ومحمود حلمى -
مرسم خراط الزهراء .

والآخراج الفنى

عصمت داوستاشى

تصميم الغلاف : أ . عبد السلام الشريف .

متابعة المادة التاريخية على الخراط : أ . أحمد عادل كمال . أ . أحمد رائف د . صلاح عيسى . د . وجيه عتيق . د . عبادة كحيل . د . محمود عرفه .

- رئيس لجنة اللغة العربية وترتيب الفهارس : عبد الحكيم خاطر .
- رئيسية السكرتارية والمتابعة : سحر الطوبجي .
- رئيس التجهيزات الفنية : شعبان حسن .
- المخطوط العربية : المرحوم عبد المنعم الشريف ، محمود منصور مصطفى البنا ، ماجد محمود .
- الاشراف المالى : أحمد الموجي .

هذا هو الرهط الكريم الذى خرج على العالم أجمع ولا أقول على العالم العربى وحده أو العالم الاسلامى وحده بهذا العمل العملاق .

ولا شك أن الدكتور حسين مؤنس الذى قدم الى المكتبة العربية كتباً رائعة فى التاريخ والأدب والسياسة يستحق منا كل اجلال واكبار وتعظيم لهذا العمل المتفرد الذى قام به . فقد استطاع فى مقدرة فائقة أن يربط أحداث التاريخ الاسلامى جميعاً ويشبثها على خرائط فى وقتٍ معا .

بل انه استطاع فى قدرة المؤرخ المتعمق صادق النظرة أن يفسر الأحداث تفسيراً جديداً غير لذى عرفه الناس واستقروا عليه .

ويقع الاطلس فى عشرين فصلاً :

الفصل الأول : مدخل فى علم الخرائط عند المسلمين .

الفصل الثانى : مراحل انتشار الاسلام فى العالم حتى اليوم .

الفصل الثالث : جداول تاريخية مقارنة لأهم أحداث التاريخ الاسلامى وتعاصر الدول الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى آخر القرن الرابع عشر الهجرى .

الفصل الرابع : العالم قبل الاسلام .

الفصل الخامس : السيرة النبوية والعصر النبوى ويشمل شجرات الأنساب لعدنان وقينس بن عيلان بن مقر بن نزار وكنانة وقريش وعبد شمس ابن عبد مناف وعبد المطلب وعبد العزى بن قصى وشجرة نسب

أبى بكر المصديق وشجرة نسب بنى سهم بن عترو بن كعب
ابن هصيص ومخزوم بن يقظه بن مره ونسب قحطان ونسب الأزد
والخزرج بن حارثة وأنساب الأوس •

الفصل السادس : الفتح الإسلامية •

الفصل السابع : الدولتان الأموية والعباسية •

الفصل الثامن : المغرب والأندلس •

الفصل التاسع : شبه الجزيرة العربية •

الفصل العاشر : الجناح الشرقي لدولة الاسلام « إيران » •

الفصل الحادى عشر : الهند الإسلامية •

الفصل الثانى عشر : الحروب الصليبية •

الفصل الثالث عشر : المسلمون فى البحر المتوسط •

الفصل الرابع عشر : مصر والشام •

الفصل الخامس عشر : مصر •

الفصل السادس عشر : مصر والسودان •

الفصل السابع عشر : الدولة العثمانية •

الفصل الثامن عشر : الاسلام يوسع عالمه •

الفصل التاسع عشر : الاقتصاد وطرق المواصلات والحج •

الفصل العشرون : عالم الاسلام فى العصور الحديثة •

وبعد فلا أملك الا أن أزجى التهنئة الخالصة الى الدكتور حسين
مؤنس واذا كان يدخل الى قلبه شيئا من السرور جزاء ما أنجز من عمل
متفرد عملاق انه جعل الأمل ينتعش فى نفوسنا نحن المصريين ان مصر
ما زالت على عهد الغالم بها البلد المعطاء برجالها الاعلام المصابيح • فليبينه
لهذا السرور ان يراد جوانحه واذا كان شكر مثلى اننى وجدت فى هذا
العمل القذ بارقة أمل فى خيأتى انها لم تنفذ بعد وانه ما دام رجل فى

مثل سن الأستاذ العظيم د. حسين مؤنس ومع نظره الذي لا يسعفه كل
الاسعاف قد استطاع ان يقدم مثل هذا العمل الذي لا يطيق ان يواجهه
الا الجماعة ذات القوة الأبدى والأصرار ان كان مثل هذا الشكر يرد اليه
بالعرفان بعض جهده فيها أنذا أقلمه بين يديه وأدعو له بطول العمر
وبالصحة والعافية • وعند الله ما قدم وعند الناس أجمعين •

١٧/١/١٩٨٨: الأهرام

بين القيمة والشهرة

ما الحياة اذا لم يسع الانسان فيها الى النجاح كل النجاح • والنجاح
عند الناس ألوان وأشكال وفصائل • ويختلف من فرد الى فرد اختلاف
البصمات في الأصابع •

من الناس من يتمثل النجاح عندهم في المال وهؤلاء أشقى البشر • •
فالمال عز ومتمعة الا أن يصبح في ذاته غاية لا وسيلة للحياة المرفهة
الكريمة • أما اذا أصبح هو النشيدة والأمل والهدف فانه ينقلب الى ذل
وهوان ويصبح الانسان بفضل حبه له حقيرا على نفسه وعلى الناس •

اذكر ان كان لنا دين على أحد الأثرياء نشأ من أنه اشترى أرضا
كان أبى يستأجرها فحين توفى أبى كان لنا على الأرض بعض حقوق مالية
وكان الرجل ثريا ثراء فاحشا وكان المبلغ زهيدا بالنسبة اليه أذكر انه
كان مائثي جنيه أو قريبا من ذلك •

ولما كان هذا المال حقى ربح الورثة جميعا فقد اضطرت ان ألحقه
شهورا حتى جاء الى بيتنا بغزاة أخرجت الكمبيالات وأخرج هو المبلغ
ولو اننى سكت لانتفضى الأمر بسلام ولكن لماذا لا أتفلسف قلت للرجل
على سبيل المباشطة :

– يا فلان بك الانسان اما كرامة واما فلوس •

واذا الرجل يقول في بديهة حاضرة وفي سرعة خاطر منقطعة النظر •
– أنا بالذات الكرامة لا تلزمنى مطلقا ولا أنا أريدها ولا أحتاج اليها
ولا أفكر فيها ووجدت نفسى بسذاجة الشباب الباكر أمزق الكمبيالات وألقى
بها الأرض وأنا أقول له •

– وأنا لا أريد حقى ان كان عند رجلا بلا كرامة •

ويعجز قلبي حتى اليوم عن وصف السعادة التي طفرت على وجهه
وفيصبح

— الله يخليك .. الله يطيل عمرك .. عاجز عن الشكر .

وقام مسرعا الى باب الخروج مدعورا ان أراجع عما فعلت .. لست
أسى وكيف انهال على وكيل أعمالنا وكنت أعامله معاملة الوالد قد عرفني
وأنا طفل وليد. وكان ذا مكانة في القرية واحترام ووقار لست أسى
كيف انهال على بالتأنيب قائلا :

— أمثل هذا الحلوف تعامله هذه المعاملة انك لو ضربته على قفاه
في سبيل المبلغ الذي لنا عنده لكان أسعد الناس .
والحقيقة انه قد مر على هذه الواقعة أكثر من ثلاثين عاما ما خامرتني
فيها لحظة أسف على ما فعلت ويخيل الى انها لو تكررت اليوم لما صنعت
الا ما صنعته في ذلك اليوم .

وقد يتمثل نجاح الانسان في الشهرة والذكر البعيد / ولا بأس عليه
ان فعل وربما تكون فكرة الشهرة هي التي حفزتني ان أكتب هذا الحديث
اليك .

فالشهرة ويلات ومحاذير ، فويل كل الويل لمحِب الشهرة ان حاول
ان يسعى اليها من أى سبيل لا يرعى في سبيل ذلك خلقا ولا ضميرا
ولا شرفا ولا كرامة .

فالشهرة في ذاتها شيء عظيم وجدير بأن يسعى الناس اليه . ولكن
المهم هو نوع الشهرة . فالمشاهير من المجرمين كثيرون في أنحاء العالم .
أفشهرتهم هذه أمر يستحق أن يسعى الانسان الشريف اليه ؟!

ان الشهرة ان لم تقترن بالنبالة والشرف والسمو والكرامة فهي
وبال على صاحبها . ويل لمحِب الشهرة ان بذل ماء وجهه في الغرف المغلقة
ليصبح على الملأ شهيرا .

فالشهرة كرامة واحترام من الناس لصاحبها فان لم يكن صاحب
الشهرة ذا كرامة عند نفسه وعند من يعاملهم من الناس فشهرته هباء
لا قيمة له . وان لم يحترم طالب الشهرة نفسه فلن يحترمه أحد . فمن لم
يكن عزيزا على نفسه فأولى به ثم أولى أن يكون عند الناس رخيصا محتقرا .

ولكل وظيفة فى المجتمع أداؤها • وكثيرا ما يكون العزوف عن شهرة
مقوما أساسيا من أهم مقومات هذه الوظيفة فإذا سعى واحد من أهلها
الى شهرة يكون سعيه كارثة كبرى لا عليه وحده ولا على أهل وظيفته
وانما على المجتمع كله •

فالقاضى اذا سعى الى الشهرة انقلب موازين القضاء وويل للحياة
اذا انقلب موازين القضاء فالقضاء قيس من روح الله فعلى يديه يلتبس
المظلوم رفع الظلم عنه وعلى يديه يلتبس المجتمع كله النجاة من الكوارث
وبئس الانهيار • والقاضى يجتث العدل التى يرمز لها بصورة ملاك معصوب
العينين لأن المفروض فىمن يقوم بشأن العدالة الا ينظر الى المتقاضين ولا الى
صفاتهم ومكانتهم فى الحياة ولأنه من الحتم عليه الا يرى مصلحة شخصه
تمثلت هذه المصلحة فى مادة أو فى شهرة • ان العدالة معصوبة العينين
لأنها تستمد النور من داخلها فلا ترى الا حق الله •

فاذا حكم القاضى فى قضية ثار حولها من الناس والمجتمع جدل
وأجاذيث وآراء وأقاويل بما يرضى هؤلاء الناس الجالسين حول المدفأة
يقطعون الوقت ويمزقونه برأيهم حول القضية كان القاضى فيما فعل
وبالا على الحق • تحطيم معنى العدالة • فهو فى حكمة قد رفع العصابة
عن عين العدالة ونظر الى ما يجعله بين الناس شهيرا • والقاضى اذا فعل
ذلك يكون قصير النظر لأن الشهرة فى مثل هذه الظروف لا تدوم اذ ريثما
ينسى الناس القضية التى حكم فيها وما أسرع ما ينسى الناس القضايا بعد
الحكم فيها • والشهرة لا تكون الا بين الناس • ولكن الحق دافع • والحكم
السبى • يلازم مصدره على مدى الحياة •

وللشهرة خاصية عجيبة فهى ترفض الذى يلاحقها وتقبل على من
يزهد فيها • فاذا لاحقها أحدهم أقبلت عليه بالسمعة المشينة التى تهين
صاحبها ولا تكرمه •

واذا كان هذا شأن القضاة مع الشهرة فهو أيضا شأن الأطباء
معا • لأن الطبيب عند الناس ثقة وقيمة واحترام يضع الانسان بين يديه
روحه وجسمه وحياته فان مس هذه الثقة ظل من هوان أو شاب نصاعتها
شائب من شك سقط الطبيب فى حمأة متردية من الضياع • وان شهرة
يكتسبها طبيب من طنين كاذب انما هى شهرة تؤدى به الى المهالك ولن
يكسب منها الا احتقار العلماء له • فالطبيب أولا وقبل كل شيء عالم •
والعالم قيمة كبرى • اذا كان بين العلماء مذكورا ولا يزيد العالم قيمة

ان يكون بين عامة الناس مشهورا . ففى كثير من الاحيان يصبح ذكر
شخص واحد لعالم جليل اكرم وأعظم من ذكر آلاف من الذين لا يعرفون
حقيقة العلم الذى يعمل العالم فى ميدانه . فالشهرة هنا لا قيمة لها ولا وزن
انها الحقيقة العلمية وحدها هى القيمة . ومع الزمن سيصبح العالم
مشهورا فى أقطار المعمورة كلها وليس فى بلده وحده . وستكون شهرته
قائمة على أساس علمى وليس على الاحتيال والسجل والطبل الأجوف
والادعاء المتهاالك . وكل هذا يحقر الانسان كائنسان اما ان كان عالما فانه
يقضى عليه القضاء المبرم .

ان السعى الرخيص الى الشهرة يعلن الى الناس ان ذلك الساعى
لا يثق بنفسه ولا بقيمته الشخصية وهيئات ان يثق أحد بمن لا يثق
بنفسه والأديب الشاب اذا سعى للشهرة باذاعة الأخبار عن نفسه بالضجيج
الفارغ يصطنعه وبالطنطنة الرعناء وبالجلبة الجوفاء قد يصبح شهيرا عند
الناس ولكن ما يلبث الناس أن يبحثوا عما كتب وعما قدم الى الأدب فان
عادوا من بحثهم بالهازل من الأمر وبالهزيل من القول أصبح الكاتب الذى
كان شهيرا أضحوكة بين الناس وأكذوبة . فالكاتب يكتب ليقول شيئا
فان أصاب شهرة لما كتب فتلك اذن هى الشهرة الجديرة به والحقيقة بمن
يمسك القلم ويكتب الحرف . وليس القلم أو الحرف مجرد كلام وانما هو
حياة بأكملها .

والكاتب لا يكتب لجيله وحده وانما لأجيال قادمة لا تنتهى . واذا
رحم المعاصرون - وما هم براجمين - فلن يرحم القادمون فى ضمير الغيب .
فيما بعجيب ان يكون الأديب بعيدا عن الغنى المادى فان الحياة لا تظلم . . .
الخالق جل وعلا هو العدل المطلق يبسط الرزق لمن يشاء ويفقر . فان
شاء سبحانه ان يقدر على الكتاب رزق المال فانه يبسط لهم بكريم عدله
رزق القيمة بين الناس والاحترام فى العصر الذى يحيون فيه . ثم يبقى
سبحانه ذكرهم حيا بعد ذلك على مدى العصور وما ربك بظلام للعبية .

١٩٨٨/١/٣ الأهرام

السلطة مسئولية

لم تمض الا شهور على عودة العلاقات بين مصر والدول العربية حتى استطاع الرئيس العظيم حسنى مبارك ان يحول أنظار العالم الى القضية العربية بصورة لم يسبق لها مثيل منذ سنوات طوال .

الكارثة الكبرى أن القائمين بالامر فى مصر لا يدركون الفرصة المواتية لهم بوجود محمد حسنى مبارك فى كرسى الرئاسة . وبدلا من أن يعملوا على ارضائه بالعمل يحاولون ارضائه بتافه الأمور وهيئها .

انما المنصب كرامة . وتبدأ الكرامة باحترام الذات . واحترام الذات ان تعمل ما يرضى ضميرك ثم نتوكل بعد ذلك على الله . فانك ان فعلت وصلت الى ما تسعى اليه من رضا رئيس الجمهورية بل وأعجابه أيضا .

ان هذا الرئيس المبارك محبوب من الشعب بما وهب الله من سمته مصرى هو بطبيعته قريب الى نفوس الناس . ثم هو من أعظم المصريين اخلاصا لمصر على مدى التاريخ . لم يطالب فى يوم مغنما لنفسه . وما هو بصاحب زهو ولا تكبر ولا ادعاء وان كان صاحب وقار وكبرياء وصدق للناس وللنفس .

فما بعجيب أن يحبه الشعب فان يده دائما على نبض الشعب وقلبه يختلط بقلوب الناس يشعر بالأمهم ويتعرف آمالهم ، ويعنى بمرضاهم . ويسعف محتاجهم ويشجع نابغهم وعاملهم وكادحهم . ما أنزل بأحد عقابا . ولا سخط على هؤلاء القردة المتفافزين على صفحات الصحف من قومية الى معارضة ولا ضرب الاقزام من الأطفال والشيوخ الذين يحاولون أن يتسلقوا على مكانته العملاقة البالغة أسباب السماء .

ما بعجيب أن يحبه الشعب . وقد عاش عمره بيننا شريف الماضى نقيه عفيف الحاضر وضيئه . مصرى الآمال مخلصها ، عاملا على تحقيقها بالخلق الأرفع وبالمثل الأعلى . وبالجهد لا يستريح لحظة . وبالقلب لا يهدأ

هنيهة . . . وبكياته كله يضنيه ويحملة فوق ما يطيق بشر من أجل مصر
ومن أجل العرب أجمعين . لا يتخيا لنفسه منفعة خاصة . ولا يطلب جاهها
فوق جاهه . ولا ينظر الى خارج مصر الا من أجل مصر . غير طامع فى
زعامة عربية أو افريقية . . . وانما سعيه كل سعيه من أجل مكانة مصر
والعالم العربى والأفريقى . صوالح هؤلاء جميعا متقدمة عنده على صوالحه .

يسمع أقوال الذين يتخابثون والذين ينافقون والذين يتكلمون من
جيوبهم وحساباتهم فى البنوك والذين يثارون من حكام سابقين فى شخصه
وهو مما ارتكب قبله برى جدير أن يقول مع الشاعر العربى القديم :

لم أكن من جناتها - علم الله - وانى بحرهما اليوم صال

يلاقى هذا جميعه ويقف بخلقه الأمثل كالطود الأشم لا تهتز له
شعرة ولا يميل له ميزان ولا ينزل عقابا بسليط اللسان ، ولا بمهزول
الأمر حقير الشأن يريد أن يكبر على حسابيه . ولا بمخلوط العقل ممرور
النفس مختل الميزان .

فما بعجيب أن يحبه الشعب .

وهو لم يكن فى يوم قهرا ، وما شهدنا طغواه لحظة . وما رأيناه
يقتل أو يعتقل ، أو يصادر ، أو يماكر ، أو يعتدى على نفس أو عرض
أو مال .

فما للشعب الا يحبه .

وما لكم أنتم يا من اختاركم لتقوموا على أمور هذا البلد الأمين
الا تؤدوا واجبكم تحت رئاسة هى بالنسبة لكم ولصغر فرصة نادرة وأين
أنتم واجدون رئيسا كل قلبه لمصر ، وكل آماله بعيدة غاية البعد عن
صوالحه الشخصية ومآربه الذاتية . وليس أداء الواجب لمصر عنده بأن
تهتف له وتنشر له التحايا والمباركات وترسل البرقيات بالتهنئات العاطرات
وليسست هى عنده بالخطب العصماء ولا بالمدايح الحافلة بالمبالغات .
ولا هى باللقاء عند سفر ولا بالاستقبال عند عودة .

انها الواجب الذى يريده الرجل ولا يريد غيره هى ان تنظروا الى
صوالح هذا الشعب والى حاضره فى أزمته الطاحنة والى مستقبله المحفوف
بالأخطار .

الواجب الذى يَرْضِيهِ وَيَجْعَلُهُ يَرْضَى عَنْكُمْ • والذى يَرْضَى الله من قبل الذى يَنْبَغِي أَنْ يَرْضَى ضَمَائِرَكُمْ • أَنْ يَتَقَدَّمَ نَفْعٌ مَصْرَ عَلَى مَنَافِعِكُمْ الخاصة • وَالْأَلَا تَكُونُ الصَّدَاقَةُ وَالصَّلَاتُ الشَّخْصِيَّةُ هِيَ دَافِعُ الْقَرَارَاتِ مِنْكُمْ بِالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ • وَالْأَلَا تَكُونُ الْعَدَاوَةُ انْشِخْصِيَّةً وَالتَّبَاعُدُ النَفْسِيَّ هِيَ دَفْعُ الْقَرَارَاتِ مِنْكُمْ بِالْمَنْعِ وَالْحَرَمَانِ •

الواجب منكم إلا يصدر عنكم قرار باختيار شخص لوظيفة كبيرة كانت أو صغيرة إلا بعد الوثوق كل الوثوق أنه جدير بالمكان الذى سيشغله وأنه سيضفى على المنصب الاحترام لا الاحتقار والعزة لا الذلة والاكبار لا الهوان •

الواجب منكم الذى يجعل الله يَرْضَى ورئيس الجمهورية والناس أجمعين أَنْ تَتَّبِعُوا الْحَسَنَ وَتَوْفِرُوا لَهُ فِي إِحْسَانِهِ الْأَمَانِ • وَإِنْ تَحْتَرَمُوا الْأَمِينَ وَتَحِيطُوا أَمَانَتَهُ بِالْحِصَانَةِ وَتَذَكَّرُوا بَيْتَ شَوْقَى :

لا تَتَّبِعُوا عَلَى مَا قَلَّدَتْ مِنْ أَيَادٍ حَسِدًا أَوْ شَنَّانًا

والواجب أَنْ تَعَاقِبُوا الْمُسِيءَ إِذَا قَبِلَ رَشْوَةً أَوْ أَهْمَلَ أَوْ أَسَاءَ إِلَى أَى فَرْدٍ مِنَ الشَّعْبِ أَوْ إِلَى الشَّعْبِ كُلِّهِ فِي مَعَامَلَتِهِ لِمَنْ تَرْجُو مَصْرَ عَلَى أَيْدِيهِمْ الْخَيْرَ وَالتَّقَدُّمَ اقْتِصَادِيًّا كَانَ هَذَا التَّقَدُّمُ أَوْ كَانَ أَدْبِيًّا وَأَنْتُمْ تَغْرِفُونَ كَمْ مِنْ عَامِلِينَ فِي مَصْرَ أَسَاءُوا إِلَيْهَا أَبْلَغَ الْأَسَاءَةِ وَأَفْدَحَهَا •

وإنما الأمة رجالها وليس هناك أمة تقدمت إلا برجالها والعاملين فيها وكل وزير مسئول عن وزارته جميعا فليست الوزارة سيارة وحارسا وتليفون سيارة وليست الوزارة وجهة ومنظرا وتقدما للصنفون إنما الوزارة مسئولية وكرامة • وكما أكرمتك الدولة فإنها تسألك لأنك أنت كوزير مقروض فيك أَنْ تَسْأَلَ كُلَّ الْمُوظَّفِينَ فِي وَزَارَتِكَ مِنْ أَكْبَرِ مُوظَّفِيهَا إِلَى أَصْغَرِ مُوظَّفٍ وَمِنْ حُدُودِ مِصْرَ الشَّمَالِيَّةِ إِلَى حُدُودِهَا الْجَنُوبِيَّةِ وَمِنْ حُدُودِهَا الشَّرْقِيَّةِ إِلَى أَقْصَى حُدُودِهَا الْغَرْبِيَّةِ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ هَذَا إِلَّا إِذَا أَحْسَنْتَ اخْتِيَارَ مُعَاوَنِيكَ كَمَا لَا يَسْتَطِيعُ رَأْسُ الْوُزَرَاءِ أَنْ يَقُومَ بِمَنْصِبِ رِئَاسَةِ الْوُزَرَاءِ إِنْ لَمْ يَحْسُنْ اخْتِيَارَ وَزَرَائِهِ • فَإِنَّ الْوَزِيرَ بَعْدَ أَنْ يَتِمَّ تَعْيِينُهُ تَصْبِيحَ مَسْئُولِيَّتِهِ كَامِلَةً عَنْ وَزَارَتِهِ • وَلَا يَجُوزُ لِلْهَيْئَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ فِي شَأْنٍ مِنْ شَيْئُونِ وَزَارَتِهِ •

إنه - والله الذى لا اله الا هو - لولا ثقتي ان الرئيس حسنى مبارك يعرف مواطن الصدق فى الحديث ومساقط النفاق لامتلأت نفسى خوفا

على مصر • ولكن الله - سبحانه وتعالى - يرعاه بنور البصيرة وسلامة المقصد
ومن كان الله يرعاه فإنه لا يفلح معه خداع ماكر ممن تحركهم رغبة السلطان
أو البقاء في السلطان •

وعند الله المرفأ وفي ظلاله الملاذ وهو القسادر سبحانه ان يثبت
المخلصين على طريق الهداية وعلى الصراط المستقيم جل علاه •

١٩٨٨/٢/٧ الأهرام

الزمن المخدور

إذا كان الزمن كيانا نحن خلاياه فهو زمن مخدور آدمي الكوكابين والهيروين وكل ما يستعمله المخاييل ليخدروا مشموما كان ما يتعاطونه أو محقونا أو مبتلعا . وكان قدرنا المقدور ان أصبحنا نحن الخلايا مدمرين بفعل الزمن وبلا اختيار منا . لكن تشاء حكمة المولى سبحانه الذي عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أن يجعل لنا من زماننا ملاذا ومن خباله نجا ومن خدره وقاء وصلاحا .

هناك عند البيت المقدس وفي الرحاب الطاهر وحول بيت الاله جل جلاله تشعر الخلية التي هي الانسان ان الله يعينها وليدة من جديد نقية كماء المطر ، بريئة من الدمار كيوم خلقت . هناك حين تتألق روح الخالق بالأفق الأسنى من الرحاب القدسية يحس الانسان انه أقوى من الزمن وخدره ومن هبوطه وغدره ويعود الانسان انسانا يمشى على الأرض بجناحي ملك ويسعى بين الناس بقنب ملؤه النور والألق الأسنى وشلالات الضياء .

هناك يشعر الانسان ان الدنيا كلها لا تساوى تلبية واحدة الى رب السماوات وان الأرض دنيا وان للروح الى العليا وشيخة هي أكرم ما في الكيان الانساني من نبض وأعظم ما فيه من معنى . وان الدنيا كلها وزمنها المخدور وناسها الذئاب يتلاشون كما يتلاشى الحلم في صباح الحقيقة وكما يتبدد الخيال في نهار الواقع . وتصبح مادة الانسان الدنيوية وكأنها وهم ، وتصبح الشرور كلها من الناس وكأنها ما كانت ، هناك تنقلب المادة الى وهم وتصبح الروح هي الحقيقة الوحيدة في مشاعر الانسان وفي وجوده .

وعند البيت المقدس تشف أرواحنا متعلقة بالملا الأعلى وحين تنحسر الموجة الطاغية من أنسام الروحانية الشفيفة نعجب غاية العجب كيف تجرأ أقوام أن يتخذوا هذا الدين الروحاني الرفوف حجة لمقتلة الناس ووسيلة للوصول الى حكم دنيوي لا يزعهم وازع من كلمات الله . ولكنه

الزمن المخدور دمرهم فجعلهم خلائيا سرطانية مقبوحة مشوهة النفس
والخلق جميعا .

وتسعى بنا الطائفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقف
أمام قبره نحن في مكة نقف مخلوقات أمام بيت الخالق فنحن هناك ذرات
من هباء امام العظمة الالهية الكبرى حتى اذا بلغنا النبي أصبحنا بشرا
أمام بشر ولكن هيهات فأين نحن بأخطائنا وأوزارنا أمام النور المطهر الذي
قيل عنه انه أوشك ان يمسك الشيطان . ويكبله ولكنه أبى ليتجدها أن
يتجرأ على الاقتراب من رحابه . وغالبه فغلبه فهو المعصوم وحده . ومن
معصوم بين البشر الا هو . وهو القناة التي اختارها الوهاب لارساله
الالهى وهو من وهب نفسه للحق فأكرمه الحق . وهو الذى نفى الدنيا
عن ساحته وهو المطهر وهو آخر من وصل السماء بالأرض وهو الذى
نرتجف للمثول به يديه والوقوف أمام سدته . وهو الهيبة وهو التواضع
يتأتى اليه رجل يريد أن يسلم بين يديه فترتجف أوصاله ويرده نور
الرسول عن التقدم وتقيده هيبته عن السعى فاذا الرسول يدرك ما به
فيقول له فى تواضع لم تعرف له البشرية مثيلا : « ادخل فما أنا الا ابن
امرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا صلاة الله عليك وسلم أنت هذا
فقط . وتأبى أن تذكر انك المختار وانك مستقبل كلام الله لتنشره على
البشر كافة وعلى أجيال الزمان وانك المثل الأعلى للبشرية وانك سيد
الأنبياء وخاتمهم وآخر من أبلغ رسالة من السماء الأرض يا صلى الله عليك
وسلم ألم يقل عنك خالقك « انك لعلى خلق عظيم » فماذا لنا من بعد أن
نقول . واقف أنا أمامه أتشفع به وهو المشفع وتنهمر الدموع وترتجف
الأوصال ومع كل قطرة دمع يغتسل القلب وتضى النفس ويشرق كيان
الانسان فاذا هو ملائكى النبض تسرى الدماء فى أعراقه نورا وضياء
وسنى . وتصبح الخلية النى دمرها الزمن المخدور صحيحة الشكل
وضيئة المظهر مطهرة المخبر .

وحين أعود الى الانسان أعجب من الانسان كيف سولت له نفسه
أن يكون وهو المسلم حربا على المسلم . وان يكون وهو الانسان حربا على
الانسان أى مكان يريد أن يرتقى وإلى أى مجد يبتغى أن يصل وهو قى
لحظة لا يعرفها منقلب الى ربه لا ينفع عنده مال ولا بنون الا من أتى الله
بقلب سليم .

الما شأن هذا الانسان فى الزمن المخدور انه قصير النظر غارق فى
الضلال والوهم ولو لم يكن كذلك لرقت روحه الى هذا الملاء الأعلى من
رحاب الله وإلى الحرم الطاهر من بيت النبى ومنبره والروضة بينهما

ولا تقى الله ولكف عن الضلالة متسترا بالاسلام وهو الهدى ولما حاول ان
يركب أجنحة الملائكة الى أرض الشياطين حاسبا ان الله لا يرى وهو الذى
يعلم السر وأخفى ، أم يحسبون انهم يمكرون بالناس اذن فقد غاب عنهم
ان الله هو خير الماكرين وسبحان الله ولا اله الا الله والحمد لله فى البداية
والنهاية والى الأبد الأبد وصلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبد الله
ما غرد ظير وما كان فى الانسان عرق ينبض والى أن يرث الله الأرض ومن
عليها والى الأزل .

١٩٨٨/٣/٢٠ الأهرام

من سيترككم علينا ؟

أى زمان عجيب نعيش فيه • ما للناس وكل منهم له شأن يغنيه •
وكل منهم يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه • وكل منهم له قبلة
هو موليتها ، ليس بينهم من يشعر بالجماعة ، وليس فيهم من يفكر فى
الوطن • ترى أيشى الانسان منهم أن يفكر فى مصر فترين عليه الكآبة
ويتولاه السقم والسأم • أين شعور المصريين بمصر ، وإن لم يقفوا بجانبها
وهى تعاني ما تعاني فمتى يكون الوقوف منهم •

أهؤلاء المصريون اليوم هم أبناء الأبطال من ثورة ١٩ • وأولئك الذين
تحلوا الموت والجبروت والسلاح المشهور والامبراطورية التى لا تغيب
الشمس عن أملاكها كلما قارنت أبناء اليوم بأبطال الأمس قلت مع أبى
نواس :

أين النجوم الثاليات من الأهلة والبدر
أين القليل بنو القليل من الكثير بنى الكثير

وكلما فكرت فى المصريين اليوم وقارنتهم بالمصريين فى زمن الأبطال
ذكرت البيت العربى الأصيل :

فإن يك بحر الحنظليين واحدا فما تستوى حيتانه والضفادع
فماذا أصاب المصريين وما لهم وقد أصبح اهتمامهم - جل اهتمامهم -
بتافه الأمور وساذجها •

أيجتمع شباب متعلم يدرس بالجامعة ويتسلح بالمسدسات والجنائز
ليهاجم اخوانا له يستمعون الى موسيقى فى حرم الجامعة •

أى عصر هذا ؟ ومن زعماء هؤلاء الطلبة ؟ وماذا يخططون لهم ؟ وأى
صورة مشوهة مظلومة المعالم مقبوحة السمات يقدمونها للعالم عن مصر •

هل حلت مشاكل مصر جميعا ولم يبق الا الاستماع الى الموسيقى حتى يجيشوا لها الجيوش ويسيروا لها الزحوف .

ومن حرم الموسيقى وعلى أى نص يعتمدون فى حربهم هذه غير المقدسة الا ساء ما يفكرون وشاء ما ينفذون وهانوا فان أمرهم كان فرطا .

الم يطلب الاسلام أن يعلن الزواج بالدف وما الدف ؟ اليس موسيقى .. فى أى حديث ولا أقول أية حرم الاسلام الموسيقى .

أهى الموسيقى التى تنحرف بالشباب الى المخدرات ؟ أهى التى تلهفهم الى السرقة والاعتداء على الحرمات والبعد عن الثقافة والعزوف عن الجاد من الحياة الهازل التافه من الأمور ؟

أتكونت جماعات الارهاب فى طول مصر وعرضها لتحارب الموسيقى ؟ أطلقوا اللحن وشهروا السلاح ليضربوا المستمعين الى الألحان ؟

فماذا هم قائلون عن الألحان الدينية .. أهى أيضا كفر والحاد .
الا انما السوء هو ما يصنعون وأى سوء أبشع من أن يظهره الدين الاسلامى بهذه الصورة أمام العالم ، ألم يقل رسول الاسلام والبشرية « من أحل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مقعده من النار » أو كما قال وهم لم يكتفوا بتحريم حلال أو تحليل حرام . انما هم حاكموا وتداولوا وتسلسلوا وهجموا .

أهذا هو الاسلام فى أى شرع ، أو فى أى مذهب وجدوا هذه الأحكام .
ان الاسلام الخالد الباقي على الزمان عظيم ورائع انه الدين الذى لم يجعل بين الفرد والله وسيلة ولا شفيعا .

انما نؤدى فرائضنا متجهين الى الله وحده وإذا حزبنا من الدنيا مكروه نتجه الى ساحتته وحده . نناجيه فى نفوسنا تضرعا وخيفة . اليه وحده تتجه قلوبنا وصلاتنا ودعاؤنا ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

فما بال أقوام جهلوا الاسلام يريدون أن يقيموا أنفسهم مسيطرين على ديننا وعلى الصلة الكريمة الرفيعة بين العبد وربّه وعلى الوشيعة العليا السامية التى تصل الانسان بخالقه جل وتقدسست أسماؤه .

ان ديننا لم يوسع على الناس كما وسع الدين الاسلامى على أتباعه
وكفى سعة علينا أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض جميعها مسجدا
نقيم عليها صلاتنا اليه .

لا رهبانية عندنا ولا طقوس اللهم انما هو وضوء يمثل فى ضمائرنا
الطهارة فى الجسيم والنفس جميعا . . وركعات وضئيات نتوجه بها الى
سماواته العلا .

ثم الدين المعاملة . معاملة الانسان لنفسه ولولده ولأهله ولقومه
ولاخوانه ولزملائه ولوطنه .

فأين أنتم من الدين حين تهاجمون اخوانا لكم عزلا بلا سلاح فى
أيديهم . وأين أنتم من الدين حين تثيرون الفتن بين ربوع وطنكم وأين
أنتم من الدين وأنتم تشوهون الدين أسوأ ما يكون التشويه وتدمرون الأمن
والطمأنينة فى نفوس أبناء وطنكم جميعا مسلمين وغير مسلمين .

ومن نصيبكم قضاة على ديننا والله سبحانه هو وحده من يحاسب
الناس فى دينهم وهو جل جلاله من يقول لنبيه فى آيات بينات « لست
عليهم بمسيطر » ويقول « انما عليك البلاغ وعلينا الحساب » والآيات
منواترة فى هذا المعنى تخاطب سيد البشر وحامل الرسالة والذى نزل
عليه القرآن بالحق وبالحق أبلغه .

الا ثوبوا الى الرشده منكم وعودوا الى الاسلام فقد بعدتم عنه وشططتم
وحملتكم أنفسكم من الأوزار ما لا يطيقه بشر .

هدى الله ضلالكم فانه سبحانه هو الهادى الى الصراط المستقيم ؟

١٩٨٨/٣/٢١ الأهرام

أرخبيل الوزراء

الأرخبيل مجموعة من الجزر منفصلة . وقد وثب اسمها الى ذهنى وأنا أرقب حال مصر فى أيامنا هذه . فانا أرى ان السلطات فيها منفصلة عن بعضها البعض كل الانفصال . وان جاز هذا لسلطة القضاء فما أحسبه جائزا للسلطة التشريعية والتنفيذية .

فانى أرى السلطتين تعمل كل منهما بعيدا عن السلطة الأخرى . وتلك عجيبة فى الحياة الديمقراطية . وليس الانفصال تأييدا أو معارضة وانما هو بعد كل من الطرفين عن الآخر .

أما أعجب ما يثير دهشتى هو أرخبيل الوزراء . فالوزارة فيما أعلم مسئولية تضامنية . فالسياسة العامة لكل وزارة هى مسئولية مجلس الوزراء مجتمعا . أى انها مسئولية كل وزير . فما ينبغى أن يكون الوزير مسئولا عن وزارته وحدها . وانما هو مسئول عن السياسة العامة لكل الوزارات الأخرى . لأن مجلس الوزراء مسئول عن السياسة العامة لكل وزارة على حدة . فمجلس الوزراء هو صاحب الفلسفة العامة للوزارات كافة . والوزراء يتفاوضون الأمر فى هذا المجلس بشأن جميع الوزارات ويصلون فى شأن هذا الأمر الى فلسفة سياسية واحدة .

مجلس الوزراء ليس مسئولا عن طريقة تنفيذ هذه الفلسفة فى كل وزارة فهذا من اختصاص الوزير . انما الفلسفة العامة للحكم هى مسئولية مجلس الوزراء . واذا رأى الوزير أن السياسة العامة للوزارة تختلف عن وجهة نظره الخاصة فعليه أن يقدم استقالته على الفور .

تستطيع ان تلقى أى وزير فترى صدق هذا الذى أذهب اليه . نجد الوزير يعرف كل شئ عن وزارته هو . وليس يدري شيئا عن سياسة الحكومة .

وتلك عجيبة من عجائب الزمن . ما شهدنا مثلها فى أى حكم ديموقراطى .

ان علماء القانون الدستوري يقولون ان الأمور العامة تعرض جميعها على مجلس الوزراء ويدلى كل وزير فيها برأى فاذا حدث ان أدلى أحد الوزراء برأى فى موضوع عام وخالفته الأغلبية فان عليه اذا أدلى بتصريح صحفى فى هذا الشأن أن يذكر آراء خصومه ولا يذكر رأيه هو الذى رفضته الأغلبية وتلك هى الوحدة الوزارية كما نعرفها .

فان كان الخلاف حول موضوع جوهرى أساسى فى سياسة الحكم فعلى الوزير أن يستقيل أما ان كان الموضوع فرعيا لا يمثل اتجاها ذا شأن جليل فالمفروض ان يبقى الوزير فى مكانه من مجلس الوزراء فليس من المعقول أن يستقيل الوزير كلما حدث خلاف فى رأى حول مسائل غير أساسية . والا ما أكملت وزارة أياما فى الحكم ولتحطم الاستقرار .

والذى نشهده اليوم بعيد كل البعد عن هذا الفكر وعن هذه الفلسفة انما نشهد وزراء ولا نشهد فكريا واضحا لمجلس وزراء .

المفروض ان أسأل أى وزير عن السياسة الاقتصادية للوزارة مثلا فيكون على علم واف بكل دقائقها . لأن السياسة الاقتصادية سياسة حكم بأكمله وليست سياسة وزير وحده ولا رئيس الوزراء وحده وانما هى مسئولية الوزراء جميعا .

والقى الوزراء ويدور بيننا الحديث فأجد الوزير أبعد ما يكون علما عن السياسة الاقتصادية .

وأعجب فالوزير ليس مجرد موظف رقى الى درجة وزير وانما هو سياسى بالدرجة الأولى وأهم مقعد يجلس اليه هو مكانه فى مجلس الوزراء وفى المجالس التشريعية وليس أهم مقعد له كرسيه فى مبنى وزارته .

وان هذا الذى أقوله ليس ابتداء ولا تفكيرا فرديا جئت به من عندى وانما هو قاعدة دستورية أصيلة معمول بها فى كل بلاد العالم التى اختارت السياسة الديمقراطية سياسة لها .

ولهذا لم يكن عجبا ان يكون وجود وزير واحد من الوزارة فى مقاعد الوزراء بالمجلس التشريعى كافيا لأن تكون الوزارة جميعها ممثلة فى المجلس . فكل وزير يستطيع أن ينوب عن أى زميل له من الوزراء .

انما الصورة القائمة اليوم هي أرخبيل وزراء كل وزير جزيرة مستقلة كل الاستقلال عن الوزارة جميعا يعتبر انه مسئول فقط عن شئون وزارته وهو بعد ذلك بعيد كل البعد عن السياسة العامة للوزارة مجتمعة .

ولكن الناس فى المجتمعات العامة والخاصة لا ترى هذا الرأى ولا تقبل هذا المنطق ولا يسوغ عندها هذا التفكير .

فما ان يجتمع اثنان أو ثلاثة أو أكثر بوزير حتى نراهم يعتبرونه مسئولا عن كل ما يجرى فى البلاد وأشبهه الوزير فى موقعه هذا فأشفق عليه وتتقطع نفسى حسرات على موقفه فقد أصبح مساءلا بلا مسئولية وحين يحاول أبناء الشعب أن يتناولوا معه الرأى فى شتى الموضوعات يجدونه أبعد الناس عنها وأكثر الناس زهدا فى التعليق . لأنه يعتبر أى موضوع ليس متصلا بوزارته أمرا يجرى فى المريخ أو فى أى كوكب آخر غير كوكب الأرض .

وليس هذا بالأمر الهين فليس من المفروض ان يكون الوزير عالما فقط فى شئون وزارته بل لابد أن يكون ذا فكر سياسى مستنير وصاحب رأى متعمق فى كل ما يعرض على مجلس الوزراء من شئون أما أرخبيل الوزراء هذا فانه يجعل الناس فى حال من البلبلة لا يقر لهم قرار . ويجعل الرؤية دائما غير واضحة بالنسبة للسياسة العامة والفلسفة التى تنتهجها الحكومة .

ولابد لكل حكومة من سياسة عامة وفلسفة يعرف الناس فى داخل الدولة مصائرهم على هداها . ويعرف الذين يريدون التعامل مع الدولة من الخارج أى مصيرهم مقدمون عليه . فان المتعاملين مع الدولة أقوام يأتون الى الدولة بمالهم والمال لا يدخل أبدا الى منطقة يحجب الظلام جوانبها بل لابد أن يكون المكان واضح المعالم كل الوضوح يملأ النور أركانها جميعا ولا يجتمع نور الوضوح وعمة الظلام أبدا .

وكيف يكون المجال منيرا للأجنبي القادم من دولة أخرى اذا كان معتما غير واضح السمات لشعب مصر نفسها بل والأدهى والأمر انه غير واضح لوزراء مصر أنفسهم وهم الوزراء .

لابد ان تتضح الرؤية للوزراء وللمصريين حتى تكون واضحة لمن يقدم الى مصر . وحتى يصبح الشعب على بينة من أمره فان الحيرة احباط . والاستقرار والضياء هما الأمل والفلاح .

١٠/٤/١٩٨٨ الأهرام

ضياع الكاتب قلمه

أرى الناس تحمل الكاتب فوق ما يطيق . فان كتب فى موضوع توجه اليه الناس يسألونه : لماذا لم يتم تنفيذ الرأى الذى نادى به ؟ وهم ينسبون انه مطالب بالكتابة فقط وعمله فى الحياة ان يقول كلمته لأنه لا يملك غيرها . وما هى بالشئ القليل . وليس يعنى الكاتب أين تقع كلمته من التنفيذ . فانفاذ الرأى ليس عمل الكاتب وانما عمله القول فحسب .

ولكن الناس لا يكتفون منه بهذا فهم يلاحقونه بالالاحاح عليه ان يسعى الى انفاذ الرأى الذى ينادى به أو هم يطالبونه أن يعود فيكتب فى نفس الموضوع ثانية وثالثة وعشرا .

وهم لا يعلمون ان الكاتب ليس نجارا يصنع الكلمات مثلما يصنع النجار المناضد ، انما الكتابة شعور وحافز . فالكاتب لا يشرع قلمه الا اذا امتلأت نفسه يقينا ان الموضوع الذى سيعرض له جدير بالكتابة . فاذا اقتنع لا يقف به شئ . فالضمير عند الكاتب هو مصدره الوحيد وإرضاء ضميره هذا هو هدفه الوحيد . أو ينبغى أن يكون الأمر كذلك . فان لم يكن . فالكاتب عند الناس أجبر وكلامه لديهم لا قيمة له ولا وزن .

والكاتب لا يكون كاتباً الا اذا نزل فى نفوس القراء فى موقع الاجلال والاحترام والا أصبحت كلماته أهون شأننا من ثمن الحبر الذى كتبت به .

وليس معنى ذلك ان يرضى الكاتب قراءه جميعا . . فان كاتباً يحاول هذه المحاولة مصيره الفشل الذريع والسقوط الى هاوية ما لها من قرار .

فالكاتب رأى . ولكل رأى معارض . وحتم على الكاتب أن يقول رأيه هو الذى يقتنع به كل الاقتناع لأنه مطالب ان يقنع الآخرين وهيهات ، لغير المقتنع ان يقنع آخر .

وحين أقول ان الكاتب لا يملك الا الكلمة لا يحسبن أحد ان هذه الكلمة أمر هين . انها قوة جانحة .

الكلمة هي المعجزة التي اختارها الله من فوق سماوات سبع لتكون معجزته الباقية الخالدة • على الزمان • وكل معجزات الأنبياء ما كان أحد ليصدقها لولا أن الكلمة خلقتها • فلولا كلمة الله في كتابه لما تصوّر الناس أن عيسى من روح الله وأن موسى شقّ البحر وأن سليمان سخر الجن وكلم النمل •

ربما كلمة من الله ثبت في نفوس المؤمنين ما تحمله كل هذه المعجزات من خروج عن سنة الكون ومن بعده عن نواميس الطبيعة •
الكلمة هي المعجزة الباقية الخالدة التي اختارها الله لتكون صلة السماء بالأرض والخالق بالمخلوق •

والقلم في أنامل الكاتب الشريف جيوش زاحفة • كم من طاغية هستبد وقف أمام القلم مرتعدا هالعا • • والظالمون على مدى التاريخ لم يخشوا شيئا قدر خشيتهم حرفا يخطه قلم • •

فما على الكاتب بأس أن يقول • ولا يفعل شيئا إلا أن يقول • •
فحسبه قوة ومنعة وعزة أن يكتب كلمته •

وما على الكاتب بأس أن أخذ الآخرين برأيه أو لم يأخذوا • فهو قد قال • وهذا منه الضمير واطمأنت به النفس ، وسكن من نفسه ما كان ثائرا • فان ثورة نفسه لم تعد بعد في اضالعه حبيسة وانما هو أعلنها الى الملأ وعلى الملأ أن يحمل من بعد عبثها ويتولى أمرها •

والناس يريدون من الكاتب عجبا • ان هناك صلة روحية وطيدة بين الكاتب وقرائه ، ولعل من أعظم ما فرحت به ان قريبا لي لقي شخصا يعرفه وفي معرض الحديث قال القريب :
— كنت عند ثروت أباطة •

فقال صديقه الذي لا تربطني به أى صلة إلا الكتابة منى والقراءة منه •

— ثروت أباطة بتاعنا ؟ !!

أفرحتنى الكلمة العابرة فرحا شديدا وأى فرخ أعظم من أن أشعر اننى لست ملكا لنفسى ولا لأهل بيتى وانما ملك للناس كل الناس •

وهذا الشعور يجعل الناس يفكرون فى الكاتب على أن الكاتب كلمتهم
هم وانه هو المسئول أن يرد عنهم الظلم اذا وقع عليهم ظلم ، ويرفع عن
كاهلهم العنت ان تحيفهم عنت أو مال بهم ميزان .

وكم جعل الينا البريد خطابات تطالبنا أن نشارك مرسلينا ما يشقون
به ونحاول ان نرد عنهم كيد ظالم أو حيف زمان .

ولا ضير على هؤلاء أن يتشفعوا بالكاتب فيما يلزم بهم من متاعب
الحياة فليس العجب منى لهذا .

وانما الذى أعجب له ان يعرض الناس أو كثيرا من الناس ، يريدون
من الكاتب أن يجعل من مشاكلهم الشخصية مشاكل وطنية عامة ويريدونه
ان يكتب عن المسألة الخاصة بكل منهم وكأنها مسألة الناس جميعا .

وأعود فأرد العجب عن نفسى . فكل انسان يرى أنه محزون الكون
فالناس جميعهم بخير ما دام هو بخير . والناس جميعهم فى شر حال ،
ان مسهم من الحياة عنت أو ضير .

وهين الأمر عند الانسان كبير ضخم . والناس جميعا والكاتب من
قبل كل الناس مسئولون عما يعاناه الفرد مهما يكن هذا الذى يعاناه
يسيرا ضئيل الشأن .

والكاتب يسعد - كما سعدت - ان يكون ملكا للناس فى مجموعهم ..
ولكنه لا يستطيع أن يكون ملكا لفرد منهم مهما يكن هذا الفرد رفيع المكانة
سامى الشأن .

الكاتب ملك ضميره وملك الناس جميعا ولكنه فى نفس الوقت ليس
ملكاً خاصاً لأحد . فاذا أصبح كذلك سقطت عنه صفة الكاتب بل أكاد
أقول ان صفة الانسان تسقط عنه أيضا . فانما يملك الفرد متاعا
ولا يملك الفرد انسانا . وهيهات وألف هيهات أن يملك الانسان انسانا .
فما الخطب اذا كان هذا الانسان كاتباً ؟

انما الكاتب كلمة أمة وسمة عصر ونبض شعب ولسانه .

بعيد الكاتب كل البعد ان يكون ملكاً لأحد . وويل له كل الويل
أن تملك هو نفسه وأذله رغبة فى غنى أو ملك قلعه طموح الى نفع شخصى
من شهرة أو مجد فارغ أو منصب تحيط به الأضواء .. ضياء الكاتب

قلمه وشرفه وصدقه • ويوم يتخلى الكاتب عن شرف الكلمة أو صدق النفس والأمانة فيما يخاطب الناس به تسقط عنه صفة الكاتب •

ليس هناك كاتب بلا قراء • والقراء أذكى الناس حسا وأكثرهم شفافية وأقدر من أى فرد على الوصول الى ضمير الكاتب ومقدار صدقه مع نفسه ومعهم •

والكاتب بلا قراء مذياع أبكم • ومصباح لا ينير ••

وسبحان من أقسم بالقلم فرفع قدره الى عنان السماء وهل بعد اكرام الخالق العلين اكرام ينال •• أو بعد كلمته كلما تقال !!!

١٠/٤/١٩٨٨ الأهرام

وديعة فى أيد أمينة

عن طيب خاطر نترك « الصفحة الأدبية » فى شهر رمضان المبارك لتشغلها « الصفحات الدينية » • داعية للقراء أن يعبد الله عليهم الشهر المعظم وهم فى أسعد حال هائئين بالسعادة الشخصية والسعادة الوطنية فى وقت معا • وما لنا ألا ندعو أن يعود شهر الاسلام العظيم على المسلمين فى أنحاء الأرض وقد شملهم السلام وانتهت الحرب المؤسفة بين العراق وايران • والثورة الموجعة فى لبنان • واذا كانت الحقائق لا تتسع لأحلامنا فرحمة الله تسع آمالنا جميعا ، ومهما تضيق بنا الحياة وواقعها فإن باب الرحمن الرحيم اللطيف الودود السلام لا يرد دعاء ولا يخزى عنده رجاء •

هنيئا « للصفحات الدينية صفحتنا الأدبية » طوال شهر رمضان • ولكن هل لنا ونحن نودع الصفحات أمانة بين أيدي كتاب الاسلام أن نأمل أن يخاطبوا العقول التى أفسدها الجهل • والتى مالت بالشرعية السمحا ميلا يرفضه الله فى رفيع سماواته وتبأه الشريرة السماوية •

وهل لنا أن نسأل هؤلاء الكتاب الذين يكتبون لنا فى رمضان أن يردوا الجامحين الى هدى من أمرهم • والمارقين الى صراط مستقيم • وهل أن يذكروا لهم ان الاسلام أعظم الأديان السماوية به ختم الله رسالاته الى الأرض وهو الدين القيم المتين وان علينا أن نوغل فيه برفق • وان أحدا لم يسئ الى الاسلام قدر المسلمين أنفسهم •

ولنذكر هؤلاء الخلفاء والأمراء الذين انحرفوا بالاسلام الى أهوائهم وإلى حقير رغباتهم وإلى مظالمهم الشخصية ودنىء أحلامهم من خمر الى نساء الى بلهنية واسراف يرفضها الاسلام روحا ونصا وطريقا وسنة •

ولنذكر مئات الجوارى فى القصور مستغلين اباحة ملك اليمين متعامين عن روح الدين ونص قرآنه حين يقول سبحانه جل علاه « يقول أهلكم ما لا لبدا • أيحسب أن لم يراه أحد • ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين • وهديته النجدين • فلا أقترح العقبة • وما أدراك ما العقبة • فك رقبة » (سورة البلد) •

ولنذكر أن الاسلام لم يعمل بشريعته أمينا في تطبيقها عظيما في عدالته الا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . وتبعهم بعد سنوات طوال عمر ابن عبد العزيز . أما مئات الحكام كانوا وبلا على الاسلام وشريعته وعلى شعوب المسلمين .

وكلهم كان يدعى أنه يطبق الشريعة وليس يخجل أن يعتدى على العلماء بالسجن والتعذيب ويظل يدعى أنه يطبق الشريعة ادعى المنصور والسفاح والخلفاء الذين عمل لهم الحجاج بن يوسف الثقفي أنهم يعملون بشرع الله .

ويصر الحجاج الكعبة بيت الله ومثابة المسلمين وقبلتهم ويقتل في ظلم بين وفي اجرام عنيد ويدعى أنه يطبق شرع الله .

اذكر له محاكمة اجرامها مع قوم كانوا ثائرين أعلن فيها ان من يقول انه على دين محمد حين ثار فانه سيقتله ومن يقول انه على غير دين محمد سيقتله ويتقدم اليه شاب صغير فيسأله :

— على أي دين أنت ؟ فيقول الفتى في شجاعة :

— علي دين محمد فيقول الحجاج :

— اقتلوه .

ثم يتقدم شيخ عجوز علت به السن ويسأله الحجاج :

— علي أي دين أنت ؟

فيقول الشيخ :

— علي دين أبيك الشيخ يوسف .

فيقول الحجاج في جراءة على الحق :

— لقد كان والله قواما صواما اطلقوا الرجل .

ولكن العجوز يابى هذا الصفيح ويصيح بالطاغية :

— أيقول لك الفتى انه على دين محمد فتقتله وأقول اننى على دين أبيك فتطلقنى ولو لم يكن لأبيك مساة سوى انه أبوك لكفاه خزيا ؟ فيصيح الحجاج :

– اقتتلوا الرجل ظلماً حين قتل ظلماً حين صفح • انما هى خطرات
من وساوسه لا تعرف ديناً ولا ملة ولا قال به شرع ولا سمح به قانون
سماوى أو أرضى •

خطأ بشرى

الدين الاسلامى أعظم ما وصلت اليه البشرية ولكن الذين حكموا
به كانوا طغاة عتاة ظلموا الشريعة الاسلامية أول ما ظلموا ثم مالوا على
الناس فأوسعوهم عنتاً وظلماً وتجبروا والله لا يحب الجبارين كما لا يحب
كل مختال فخور فان الانسان لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً •

ويظل الاسلام فى اشراقه ولآلئته وفى سموه شموخاً لا يجروُ كل
هؤلاء ان يمسوا لبه وحقيقته الوضيئة المنيرة بروح الله لأن الناس تعلم
أن الخطأ كان دائماً فى التطبيق • وانه خطأ بشر أراد أن يطوح شرع الله
لديوياته الصغيرة الحقيرة • وهيهات أن يرضى شرع الله ذلك أو أن يقره •
ان الدين الاسلامى أعلى من كل نقاش ولكن الناس من الجهلاء يجهلون
عليه ويجهلون به على الشعوب والله سبحانه من فوقنا جميعاً يرد كيد
الجاهلين •

هذه « صفحتنا » نتركها لكتاب الاسلام نتركها بين أيديهم وديعة
ونحن واثقون ان الودائع عندكم أمينة السرب مرعية الجانب ونسألهم أن
يعلنوا باسم علماء الاسلام أننا نحن المسلمين لا نخشى على الاسلام من
الارهابيين أو غيرهم وانما نخشى على الارهابيين من الاسلام • فهم اخوان
لنا غرر بهم مال أو غرر بهم جاهل محتال أو جنح بهم عن الطريق راغب
فى سلطة دنيوية واستخدم الاسلام وسيلة لتحقيق آماله الوضيعة
وطموحاته الساذجة •

وما صارع الاسلام أحد أو جماعة الا وكانت الغلبة للاسلام – علا
اسم الله وتقديست آلاؤه – فيونا أتباع الهوى هونا • فان الله غالب
على أمره وان رغمت كل الأنوف وسلام عليكم علماء الدين فى شهر الصوم
الذي أنزل فيه القرآن ورحمة الله وبركاته •

١٩٨٨/٤/٢٥ الأهرام

هيئة ٠٠ الدولة

لم أتصور في يوم من الأيام ان حيناً من الدهر سيأتى علينا فناقش فيه ان كان الغناء حلالاً أم حراماً وان كان مباحاً أو محظوراً . فقد كنت أحسب ان هذا أمر حسمه النبي عليه الصلاة والسلام منذ ألف وأربعمائة عام .

وقد استقبلته المدينة المنورة بالدفوف وبالأبيات الطيبة المشرقة :
طلع البدر علينا . ثم تواترت منه عليه الصلاة والسلام الأفعال والكلمات التي تؤيد الاباحة في أمر الغناء . ومنها حديثه الساطع العظيم « اعلنوا الزواج ولو بالدف » فاعلان الزواج أمر يراه صلوات الله عليه أمراً واجباً حتى يصفى الشرعية على علاقة رجل بامرأة تزوجاً بسنة الله ورسوله .

ولكن أطفال اليوم الذين يريدون أن يجعلوا ديننا لهوا لهم ، وعيشتا ، ومراحا وافراغ طاقة أعادوا الى حياتنا البحث فيما اذا كانت الموسيقى حلالاً أم حراماً . وهم جاهلون ان أيام النبي لم يكن هناك من أنواع الموسيقى الا الدف وقد أباحه النبي بشكل قاطع لا شك فيه ولا شبه ولا شبه وكان من الطبيعي أن يتصدى للأمر المشايخ الأجلاء ليحاولوا أن يعلموا هؤلاء الصبية الجهلاء ما لا يعلمون أو ما يعلمون انه الحق ويميلون عنه في اصرار معتدين على الدين والانسان والحرية ووجه مصر الحضارى بل مشوهين وجه الزمن جميعه شابهت وجوههم وشاهوا .

وكان من بين ما قرأت مقالة رائعة لفضيلة الشيخ د. عبد المنعم النمر بالأهرام حسم بها الكلام حسماً قاطعاً وقد جاء في مقال فضيلة الأستاذ فقرة تستحق التعليق لأنها تثير في النفس نوعاً من التساؤل الذي يتحتم علينا ان نوجهه الى هؤلاء الصبية الهازلين . والفقرة في ذاتها منطقية لا شك في صدق الحكم فيها يقول فضيلة الدكتور : « فالسماع للأصوات الحسنة خارجة من حنجرة انسان أو من الآلات الموسيقية لا ضرر فيه شرعاً من حيث الأصل . ولكن اذا أتى من ناحية الموضوع وكيفية الاداء وملاسات الغناء والموسيقى كشراب الخمر مع الموسيقى والغناء . مما يشجع على الاسترسال في الشرب . كان ذلك ممنوعاً سماه » .

إذا كان هذا المذى يذهب اليه الشباب الارهابى فتلک اذن كارثة •
فلا شك انهم يعلمون ان الشراب يصاحبه أيضا الطعام • أو نحرم الطعام
على الناس لأنه عند الشاربين يكون مصاحبا للشراب • اذا كان هذا منطقهم
وما ببعيد أن يكون فويل اذن للحياة من هذا الرهط الضال الجاهل
المضل •

ان الخبر محرمة بنص القرآن ولا شك فى تحريمها أما الموسيقى
فعجيب ان تقوم جماعة ارهابية مسلحة لتحرمها • فما عرف الاسلام هذا
فى أى عهد من عهوده •

وانه لما يملأ النفس أسفا وحزنا ان نرى العالم يتقدم • ونحن
لا نكتفى بالجمود بل نتجاوز الجمود الى التأخر والتقهر •

ان هؤلاء الارهابيين يسعون الى الحكم رافعين شعارات من الدين
ويعلم الله سبحانه وتعالى ان الدين براء منهم وان الدين الحنيف يرى
ان الفتنة أشد من القتل • ويرى ان اثاره الرعب فى نفوس الناس جريمة
لا تماثلها جريمة فى تاريخ البشرية •

وان الأسلحة التى يحصلون عليها تؤكد أنهم دمی بشرية فى أيدي
أموال ضخمة تحركهم والهدف الواقف وراءهم هو تدمير الاستقرار والأمن
فى مصر واثارة الفزع والرعب فى ربوع الوادى الأمين المطمئن •

والذى لا شك فيه انهم غير واعين للحريق الذى يشعلون والذى
سيكون هم حطبه حين يندلع • ولو انهم يعقلون لآلقوا نظرة الى ايران
وقد آتت الطغمة الحاكمة فيها على كل الأعواد الخضر التى كانت تعيش
فى ايران • انهم هم الأعواد التى ستلقى فى الحريق فليتقوا الله فى
أنفسهم ان عز عليهم أن يتقوا الله فى أوطانهم •

والذى لا شك انه ينبغى للدولة أن تواجه هذه الكارثة بكل حزم
وقد أعجبت كل الاعجاب بالقرارات التى اتخذها د • عبد العزيز حمودة
عميد آداب القاهرة ليردع العابثين فى الكلية •

ولا شك أن الدولة تحتاج الى كل هيبتها لمواجهة هذا الخطر الويل
واننى أعتقد ان الدولة تفقد الكثير من هيبتها اذا تخلت عن مواجهة الواقع •
وكل تصريح فيه « لا أساس » انتقاص هبة الدولة والهيئة للدولة أمر

متكامل فلا يجوز أن نشعر بهذه الهيبة في أمر من الأمور ونفتقد الهيبة
فنفقددها في أمر آخر من أساسيات الحياة في الوطن .

الهيبة كل متكامل ينبغي أن يشعر بها كل انسان في مصر . يشعر
بها حتى هذا الذي يرتكب مخالفة مرور . لأن مخالفة مرور واحدة قد
تؤدي الى ضياع حياة انسان أو عشرين انسانا أو مائة .

وإذا ضاعت هيبة الدولة انماعت حياة الانسان في الوطن .

وأصبح وهو لا يدري كيف يستطيع العيش .

فهيبة الدولة وحدها هي التي تجعل الأبرياء الذين يمتازون
بالشخصية السوية ويحيون حياة سوية .

وهيبة الدولة تمنع الجرم قبل وقوعه لأنها تمتد الى دوائر النفوس
وتجعلها تدرج انها اذا ارتكبت جرما فلن تفلت من العقاب .

فالهيبة أهم ألف مرة من العقاب . ويوم يشعر هؤلاء الارهابيون
بهيبة الدولة سيتبددون ويصبح أمرهم فرطا . ويعلمون علم اليقين أن
لن يغنى عنهم مالهم أو شيطانهم شيئا .

١٩٨٨/٥/٢٢ الأهرام

الحرية حوار ٠٠

حيرة أنا واقع فيها لست أبصر عليها طريقى ولا أتبين على دربى
هدى ٠٠

وما أنا بالشاكي الى القراء أمرا أشقى به وحدى ٠٠ انما شأن
الكاتب أن يكون صوت الناس الى الناس ٠٠ ولا يجمل به ان يبت ما يعانيه
هو الى قرائه ٠٠ انما وثقوا به ليكون كلمتهم الى الملأ ٠٠ ولم يثقوا به
ليكونوا هدى له عند حيرة ٠٠ ولا ليكونوا أهل شورته ٠٠ وملجأ اذا
حزبه أمر ٠٠

انما حيرتى هذه ليست حيرنى وحدى ٠ وانما أحسب انها حيرتهم
معى ٠٠ ولا أشك انها حيرة الكثرة الكاثرة من كتاب مصر فى أيامنا هذه ٠
اننا نكتب فى مصر ولا نجد لما نقول أثرا عند مسئول وان كنا نجد الأثر
أكبر الأثر عند كل مصرى ليس فى يده من الأمر شىء ٠

والحيرة التى تنشى حياتنا هى هل نكتب أم نكف عن الكتابة ٠٠
فان كانت الأولى فلمن نكتب ٠٠ وهل أولو الأمر يملكون من الوقت
لحظات يقرأون ما نكتبه ٠ أم تراهم مشغولين عن الصحف كل شغل ،
بعيدين عنها غاية البعد ٠

ما شأنهم مع الصحف ؟ ٠٠ قومية كانت هذه الصحف أم كانت
حزبية ٠ اننا نقول ما نقول ونصيح ما نصيح ٠ ولكن هيهات أن يصل
صوتنا الى اذن من آذان السلطة التنفيذية ٠ وهم يعلمون اننا لا نبغى
مما نكتب الا أن نكون عيونهم بين الشعب وضمير الشعب عندهم وان لم
نكن كذلك فما نحن ؟ اننا نبض الناس ، وكلمتهم الصادقة ، وضميرهم
النقى الصافى لا يكدره دخل ولا يحفظه على الحكام غاية أو مطلب شخصى ٠
أو مأرب خاص ٠

وان لم نكتب ٠ فماذا نصنع بين قومنا وقد ألقوا على أكتافنا ثقتهم
وأنزلونا من نفوسهم منازل أمل عند يأس وكلمة صادقة منشورة ان
استغلقت عليهم دروب النشر وأغلقت دونهم مسالك الحديث ٠٠

وما دولة بلا كتاب • وأى دولة تلك التى يصمت فيها الكتاب ويكوث
الحديث حبسًا والكلمة متجمدة على الشفاه والحقيقة تتخفى فى زوايا
الصمت ، وتتوارى فى طوايا الكتمان •

وماذا يبقى لنا نحن الكتاب اذا لم نكتب • وأى دولة تلك التى
يصمت الكتاب فيها والحرية تملأ جنباتها •

على السلطة التنفيذية أن تعلم ان الحرية ليست أقوالا يطلقها الكتاب
فقط •

وانما الحرية حوار • وفول واجابة وحديث يواجهه حديث اما أن
تهز السلطة التنفيذية كتفيها لأقوال الكتاب ولا تعنى الا بالحديث فى
المجالس التشريعية فهذا أمر بعيد كل البعد عن الديمقراطية بل هو أيضا
أقصى الى أبعد مدى عن معنى الحرية •

فالحرية ليست شكلا وانما هى فكر • ولا فكر بلا حوار ولا حوار
بلا كاتب يكتب ومستثول يجيب •

نحن نحن الكتاب كأننا نكتب فى عالم آخر غير العالم الذى نعيش •
ولا أقول اننا نحن كأننا نكتب فى بلد آخر غير بلدنا فاننا حتى ان كتبنا
فى بلد آخر فحتم على حكومة بلدنا أن تشعرنا انها قرأت ما كتبنا وبلغت
أعماقه وأنها تقبله وستنفذه أو انها ترفضه ولماذا رفضته •

نشعر نحن الكتاب اننا نكتب نبض الناس فلا ينبض بما نكتب
الا من كتبنا عنهم • اما من نريد أن نصل اليهم بحديثنا فهم منا فى مدار
غير المدار • وفى كوكب غير الكوكب ••

وعجيبة أخرى •

نرى الاتهامات تنهال على بعض من رجال السلطة التنفيذية • فى
الجرائد المعارضة ، وغير المعارضة ، والاتهامات فادحة •• والكلمة المتهمة
ذات أجنحة عريضة • سريعة هى فى التنقل فما يمر على اطلاقها يوم أو
بعض يوم حتى تجدها حديث الناس فى كل مجال •

ولا نجد للتهمة تكديبا من الجهات المسئولة الا فى حالات نادرة
وأحيانا نجد التكذيب تأييدا للتهمة وتلك هى الأخرى عجيبة من عجائب
الزمن • تهمة وتأييد ولا حكم ولا عقوبة •

والتهمة من أى مصدر لها حين تنشر تصبح اذا لم يتكذبها المسئولون
واقعة صحيحة لا شك فيها ولا ريب .

أنا لا أتصور أن رجال الدولة لا يدركون مدى الخطورة في الصمت
الذى يواجهون به التهم المنسوبة اليهم .

ان كل رجل مسئول في مصر انما يستمد كيانه من ثقة الشعب
به واحترام المجموع لشخصه . والرجل المسئول حياته الخاصة والعامة
ملك للشعب أجمع وهكذا رفض الشعب الأمريكى أن يتقدم لترشيحات
الرئاسة رجل على صلة غير شريفة بغانية . . وهكذا شهدت انجلترا
عشرات من المسئولين يبعدون عن مواقعهم لصلات شخصية ولكنها غير
نقية .

وهكذا يقع فى ضمير كل مسئول ان يواجه ما تنشره عنه الصحف
من تهم تمس شخصه فور ظهور التهمة . لأن سمعته ليست ملكا له
وانما هى ملك الشعب أجمع . وهو ليس واجهة لنفسه فى موقعه ذاك
وانما هو واجهة لمصر كلها . ويأبى الله ويأبى الشعب ويأبى التاريخ
أن تكون واجهة مصر الا الشرف كل الشرف والاشراق غاية الاشراق
والشموخ قمة الشموخ .

١٩٨٨/٥/٢٩ الأهرام

الادغال ٠٠ والقانون

يقول القاموس الدغل الشجر الكثير الملتف ويقول أيضا دغل القانص
دغلا أى دخل فى مكان خفى ليختل الصيد ويقول القاموس ان من معانى
الفعل دخل دخل دخول المريب ٠٠ ويقول القاموس أيضا فى المادة ذاتها ادغل
المكان كان ذا دغل أو خفيا وادغل بفلان خانه واختانه والدغل الذى يبغى
أصحابه الشر يضمه بهم ويحسبونه يريد لهم الخير ٠٠

وما دعانى أن أبحث فى القاموس عن مادة دغل هذه الا الهول
الذى يشب الى ذهنى كلما ذكرت ان فى مصر كميات من القوانين يعجز
عنها الاحصاء فالأرقام متفاوتة متضاربة بين أربعة عشر ألف قانون وسبعة
عشر وكلا الرقمين مروع فالقانون اذن أصبح فى بلادنا ادغالا لا سبيل
فيها لسالك وكيف يسلك والمواد متاهات يضرب بعضها بعضا وتتشابك
منها الأذرع والسيقان فالقانون بحالته هذه قد ادغل بالشعب فخانه
واختانه وأراد به الشر وهو الذى يعتبره الناس ملجأهم عند ظلم وحماهم
عند جور ٠٠ وحصنهم عند طغيا ٠٠ لقد أصبح اتقانون هو الظلم أشد
الظلم وهو الجور أعظم الجور بل هو الطغيان ذاته فان كثرة القوانين بهذه
الصورة هى وانعدام القانون سواء ٠٠

وويل للناس وحياة الناس ان أصبح القانون ظلما وهو أساس
العدالة ٠٠ أو أصبح جورا وهو طريقهم الى الحق ٠٠ أو أصبح طغيانا
وهو أمل الناس فى العدالة ٠٠

ان الظالم اليوم يستطيع ان يدغل كما يدغل القانص ليتخفى عن
صاحب الحق فيغتصب منه ما ليس له بحق وانه فى ادغال القوانين
المتراكمة يتمكن فى سهولة ويسر ان يصرع العدالة وينالها فى مقتل ٠٠

أى قاضى يستطيع أن يدعى اليوم انه على علم بالقوانين وهو الذى
يفترض فيه أن يكون سادن القوانين وحارسها وكلمتها ٠

ان هذا الانفجار القانونى انما هو وليد حكم الطغيان لأن الطاغية
بطبيعته لا يعترف بالقانون ولا بحكمه وهكذا أصبح اصدار قانون ما أيسر

شيء فعلا .. وقد سمعنا ان وزيرا جديدا في إحدى وزارات الطغيان كان في مجلس الوزراء يستمع الى الأوامر حتى اذا صدر أمر يخالف القانون وكان الوزير لنكد طالعه من رجال القانون وكان لسناجته يحسب ان الوزراء من حقهم أن يتكلموا وهكذا قال في براءة الطفل وفي جهالة الجديد في وظيفته ..

— هذا الأمر مخالف للقانون ..

وتولى الرعب وجوه الوزراء السابقين عليه والعارفين كل المعرفة بالطريقة التي تسيّر بها الأمور في مجلس الوزراء .. وسكت مصدر الأوامر ونظر الى الوزير الجديد ثم نظر الى الوزراء الآخرين وقال لهم في استنكار وسخرية مريرة ..

— ماذا يقول الأستاذ ؟

وتعالت أصوات الوزراء ..

— انه جديد يا أفندم .. ولن يتكرر هذا منه ..

وراحت الأوامر تصدر من جديد متدفقة لا يعوق تيارها عائق أو يقف دون مجراها واقف ..

وانتهت الجلسة ووقف الوزراء عندهما وقف الأمر .. واتجه الى باب الخروج وقبل أن ينصرف وقف لحظة وكأنما تذكر شيئا غير ذي قيمة وقال ..

— وأصدروا قانونا آخر حتى يستريح الأستاذ ..

وتعالت الأصوات أمرك .. حاضر .. وخرج ..

وهكذا لم يعد غريبا ان أصبحت القوانين في مصر بهذا العدد الذي لم تعرفه دولة في العالم ولم يره تاريخ على مدى الأجيال ..

وقد كانت القوانين تصدر في مصر بعد خطوات متعددة متأنية وكانت كل كلمة في القانون الجديد تناقش مناقشة مستفيضة من جميع جوانبها القانونية واللغوية وكان المتناقشون يتعمقون مدلول كل كلمة واستعمالاتها في اللغة المكتوبة أو المسموعة ..

كان القانون يقدم الى المجلس التشريعي فيحال الى اللجنة المختصة ثم يعرض على اللجنة التشريعية .. ثم يقدم الى مجلس الشيوخ فيناقش ..

ثم يقرر المجلس بشأنه ما يراه ثم يحول الى مجلس النواب فيناقش ويؤخذ عليه الرأى فان كان متفقاً مع ما ارتآه مجلس الشيوخ تمت الموافقة عليه والا أعيد ثانية الى مجلس الشيوخ فان أصر على رأيه فان الدستور ينص على أن يجتمع المجلسان فى شكل مؤتمر ويؤخذ الرأى على القانون ولا تتم الموافقة الا اذا حصل القانون على أغلبية الثلثين .. وأعتقد أن هذا النص لم تدع الحاجة الى أعماله فيما عرض على المجلسين من قوانين ..

فالقاعدة القانونية ان القانون حين يولد فانما يولد للبقاء وللثبات لا يعتريه تعديل ولا يجرى عليه الغاء الا عند الضرورة القصوى .. فالقانون كائن حى تتعلق بمواده حقوق الناس الشخصية التى تتصل بكيان الإنسان أو المادية التى تتصل بحقوق الفرد والتزاماته والحقوق والالتزامات هى صلات الأشخاص فى شتى صورها سواء كانت هذه الصلات بين الشخص والدولة أو بين الشخص وغيره من الأشخاص الطبيعية أو المعنوية ..

فكيف لهذه الصلات أن تسبّتين من خلال هذه الأدغال الخاتلة الخائنة من القوانين الحالية .. ولست أدري لماذا تسير اللجان التشريعية التى تتولى النظر فى هذا الهول سيرا وانى الخطو بطيئاً وكان الأمر يسير هينا غير ذى خطر .

واننا حين نصبح أن يصبح مجلس الشورى صاحب حق ثابت فى نظر القوانين انما نحاول ان نصدر القوانين وقد أحاطت بها حصانة البحث المتعمق التى تكفل لها الحياة والجدية والاحترام .. ولسنا بحاجة الى تغيير الدستور فى هذا الشأن .

فاذا كانت القوانين فى غفلة من الزمن الطاغى قد أصبحت بهذا التضخم القاتل للحقوق فليس أقل من أن نزجرها أن تغافل الزمن الحر أيضاً .

١٩٨٨/٦/٥ الأهرام

فإذا هم مبصرون *

أما نحن المؤمنون فنقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .. هو سبحانه الذى خلق الكون جميعه بعضه يكمل بعضا وألقى على الأرض الرواسى أن تميد بنا * وجعل الجبال تمر من السحاب وان خيل لنا انها ثابتة فى مكانها لا تتحرك * وخلق الطعام وجعل لكل لون من الطعام أنزيمات فى جسم الانسان * والذى وهب البشرية هذا النوع من الطعام هو سبحانه من خلق العصارات التى تتعامل معه فى جسم الانسان * فما الحاجة الى السكر مثلا ان لم يكن فى تكوين جسم الانسان من الأعضاء والانزيمات ما يعامل هذا السكر ويجعل منه شيئا مفيدا للانسان وقس على ذلك ما شاء لك القياس من لحوم وخضروات وفواكه ونقل وكل ما أنعم الله به على الانسان من أطعمة *

فحين يقول الكافرون الطبيعة أصبح من حقنا ان نسألهم أنستطيع الطبيعة وهى مخلوق ان تخلق هذا التكامل فى الحياة جميعا *

أنستطيع ان تخلق كل هذه الحشرات وتجعل بعضها طعاما لبعض .. وتخلق كل هذه الدواب وتجعل لكل منها عملا تقوم به .. هيهات .. ألف هيهات *

ان الطبيعة لا تستطيع ان تتمرد .. فالشمس والقمر والأفلاك كل منها يجرى فى مداره .. ولا بد من قوة عليا تمسك بها الا تجور ولا تطفى فلا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار *

ان الطبيعة تحتم انه اذا التقى موجب كهربى بسالب كهربى فلا بد ان تولد شحنة كهربية * والمعادلات الكيماوية وهى آلاف مؤلفة لا تجرؤ واحدة منها على ان تتخلف عما أراد لها الخالق - لا الطبيعة - ان تكون * فاذا أضيفت مادة معينة الى مادة معينة تطبقا لمعادلة كيماوية فلا بد حتما ان تنتج مادة أخرى قدر لها الخالق العليم ان تكون نتاج هذا التكوين .. لأن الطبيعة لا عقل لها وهيهات أن يكون لها عقل *

أما الخالق فهو صاحب الارادة العليا التى لا يعرف عدالتها الا هو •
فهو الذى ينزل المطر •• ولو كان المطر ينزل نتيجة معادلة كيمياوية ثابتة ما
انقطع أبدا •

الشمس هى الشمس •• والمسطحات المائية هى المسطحات المائية
والاشعة تسقط على مسطحات الماء وتكون البخار ويصبح سحابة •
فلو كانت الطبيعة هى صاحبة الأمر لسقط المطر فى موعده المرسوم
لا يخلف يوما عن موخته •• فكيف اذن توقف المطر سبع سنوات متوالية
عن أفريقيا •• ذلك لأن الله هو وحده ينزل المطر حين يشاء لعدالة يعلمها
هو ولأمر يريد به جل علاه لا يرتقى الى ما قدر علم بشر أو منطق انسان •

وهو سبحانه يهب لمن يشاء البنين ويهب لمن يشاء البنات ويجعل
من يشاء عقيما • فلو كانت الطبيعة هى صاحبة الرأى لأصبح من الحتم
ان يلد كل زوجين ليس باحدهما ما يعوق الانجاب ولكنك ترى الزوج
والزوجة وليس باحدهما ما يعوق الانجاب ولكنهما لا يرزقان من البنين
أو البنات • وقد يطول بهما الزواج عشر سنين أو خمس عشرة سنة
ثم ينجبان •• أو قد يشاء الله لهما ألا ينجبا على الإطلاق • وقد يفترقان
ويتزوج الزوج من أخرى وتقرن الزوجة بزوج آخر فينجب كل منهما من
الزوج الجديد لأن تلك ارادة الله وحده قدرها بارادته المفردة لا شريك له
سبحانه لحكمة لا يرقى الى سماواتها عقل انسان • وكيف يرقى وما هو الا كما
قال سبحانه « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له •• وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه •• ضعف الطالب والمطلوب » والطالب هنا هو الانسان
والمطلوب هو ما سلبه الذباب منه •• المقارنة بين هذا المخلوق الذى يظن
نفسه طاغية جبارا وبين ما سلبه الذباب منه •• كم هو حقير
ذلك الانسان •• انه أضعف مما يسلبه الذباب •• وناهيك بهوان
المقارنة •• وما أعظم الهوان الذى ينبغى أن يشعر به وهو أحقر مما سلب
الذباب فاعجب معى واعجب ثم اعجب • فيم التكبر والطغيان والظلم
والجبروت •

ويقول الملحدون انما أصل العالم مادة والذين يقولون ان الله هو
الخالق انما يؤمنون بالغيبات •

ويحهم الا يستحون ••

أما نحن المؤمنون حين نقول الله هو الخالق فانما نصر المعجزة في أنفسنا ويزلزل كياننا البشرى جميعا حين تطالنا الآية المعجزة « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ما الروح .. ما سرها .. وكيف تجعل الانسان وهو قطرة من ماء يصبح هذا المخلوق الذى جعل الله منه الوسيلة للوصول الى أسرار الكون جميعا فالانسان حين يصل الى القمر لا يخلق القوة التى يصل بها اليه وانما يصل الى الأسرار الخفية التى أودعها الله فى طوايا الكون ليكشفها مخلوقه الذى اختاره لذلك وهو الانسان .

ما الروح تلك المعجزة .. لقد حاول الملحدون باصرار ان يخلقوا الخلية ليصلوا الى سر الروح .. وخاب سعيهم .. ونسوا انهم حتى اذا وصلوا الى الخليقة فانما يصلون اليها بمواد من خلق الله وليست من خلقهم .

ونحن المؤمنون حين نقول هو الله .. هو الخالق البارئ .. المصور فبين أيدينا أدلة مادية لا يأتيها الباطل من أى سبيل ، منها الروح .. ومنها كتاب الله العزيز الذى مر عليه ألف وأربعمائة عام .. ظهر فيه عمالقة الشعراء والكتاب ان وضعنا فى كفة من الميزان كل ما نظموه وكتبوا .. وفى الكفة الأخرى آية قليلة الكلمات الكريمة من القرآن المعجزة لرجحت الآية وجعلت كل ما قالوه هباء .. أو أقل من الهباء .

أما الملحدون فيقولون ان أصل العالم مادة ويقولون ان الذين يقولون بغير هذا غيبون .

فأينا اذن الغيبى .. نحن الذين نؤمن بروح الله وكتاب الله وهى أدلة ملموسة لا يجحدها الا متبجح جاهل .. أم الذين يقولون ان أصل العالم مادة ويلقون حكمهم قطعا جازما بغير دليل الا الظن وما يغنى الظن عن الحق شيئا .

وانى أسألهم وليجيئوا :

أكانوا شهودا على الكون يوم بدأ ورأوه وهو يبدأ من المادة .. ويحهم كم يسرفون فى وقاحتهم وتبجحهم .. انهم لا يستحون .. اليسوا هم الغيبين اذن .. انما العقبة لنا نحن المؤمنون الذين قال عنهم سبحانه جل علاه « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

صدق الله العظيم

١٩٨٨/٦/١٢ .

حتى يغيروا ما بأنفسهم

فى احدى المقالات التى نشرها « الأهرام » فى الاسبوع الماضى دعا الكاتب فى مقاله الى ان تنسى الأحزاب حزبيتها وتنتجه كلها الى هدف واحد هو مصر .

وتلك - ولا شك - خطة رشيدة فى ظاهرها ولكن مادمننا نريد ان نواجه أنفسنا فلا بد ان نكون صادقين كل الصديق فى هذه المواجهة .

والأمر الذى لا شك فيه ان اجتماع الأحزاب من شأنه ان يجعل الجبهة التى تصارع الأزمات قوية صلبة قادرة على تخطى الكثير من معاناة الشعب .

ولكن هل تستطيع الأحزاب المصرية ان تكون عند المسئولية الملقاة على عاتقها ؟

هل يستطيع رجال الحزب الوطنى ان يكفوا عن السعى وراء المناصب الوزارية والحزبية ، أو البحث بكل الجهد على لقب من هنا أو لقب من هناك يضيف على العضو منهم سراويل الأهمية ويتيح له ان ينفخ صدره جاهلا انه انما ينفخ هذا الصدر بالفراغ ؟

وهل يستطيع رجال الحزب الوطنى وهو الحزب الحاكم ان يكفوا عن جعل أمداحهم حين يمدحون نابغة عن نفاق يريدون ان يحققوا منفعة خاصة عاجلة سافحين ماء وجوههم على رأى ومسمع من الشعب الذى أولاهم ثقته ؟

وهل يستطيع رجال الحزب الوطنى ان يكفوا عن الهجوم على السلطة التنفيذية حين تأبى هذه السلطة أن تستجيب لهم ليحققوا نفعا شخصيا يباه الشرف وترفضه الأمانة ؟

هل يستطيع أعضاء الحزب الوطنى ان يحطموا الفصائل التى لا يجمعها الا جنون الرغبة فى الحصول على سلطان أوسع . ويأليتهم بهذا

السلطان الذى يسهون اليه يحققون لمصر العظمى خيرا أو بعض خير
أو يا ليتهم بهذا السلطان يحققون للحزب وجودا فى الساحة المصرية ؟

هل يستطيع الحزب الوطنى الذى أصبح أحزابا متنافرة متضاربة
ان يصبح حزبا واحدا لا أحزابا وجماعة واحدة لا جماعات ؟

هل يستطيع أعضاء الحزب الوطنى ان يتقوا الله فيما وهب لهم
ويردوا للشعب دينه وقد وثق بهم وأجلسهم على الكراسى ليكونوا صوته
الحق • صوته هو الشعب • الشعب جميعا • لا أصواتا لا نراها
صاتت الا لكسب شئ من المال بطريق غير مشروع أو لكسب حرف كرسى
فى حزب أو وزارة أو مصلحة أو شركة ؟ ولا حول ولا قوة الا بالله
العلى القدير •

واذا اجتمعت هذه الأحزاب •

هل يستطيع حزب الوفد ان ينفى الشائعة المؤسفة التى يؤيدها
ما تنشره جريدته ان الوفد تقاضى ملايين الجنيهات من بعض شركات
توظيف الاموال ليكون هو دفاعهم وجريدهم وحصنهم وجنتهم ؟

ان لم يكن هذا صحيحا فقيم كل هذا الدفاع الذى يصدر عن رأى
واحد • وقيم يصف واحد من رجال تلك الشركات فؤاد باشا سراج الدين
بانه أعظم انسان فى العالم ؟

وكيف لمن يتلقى الهبات ان يصبح صاحب رأى حر ؟ ان المال اذا
وصل الى الضمير عن طريق غير مشروع انعدم الضمير الى الأبد •

وهل يستطيع حزب الوفد ؟ اذا قدر له أن ينضم الى جبهة واحدة
لمصلحة مصر ان ينسى ثارا قديما وان يجعل سياسته واضحة المعالم بينة
السمات • فلا نراه يدافع عما كان يهاجم ولا نراه ينزل سخطه على ما كان
يتمدحه ؟

هل يستطيع ان يفكر لمصلحة مصر فى شأن القطاع العام والعلاقة
بين المالك والمستأجر • وجعل الصناعة كلها لرأس المال الخاص والمطالبة
بإصدار الصحف للأفراد • وكائمس الأفراد • ان أصدرروا الصحف
سينقلون مصر مما هي فيه ؟

هل يستطيع الوفديون النخلى ولو الى حين عن المطالبة بانتخاب رئيس الجمهورية يدل من الاستفتاء تلك الصرخة التى لا يكفون عن اطلاقها • وهم يرون مصر تتعرض لغزوات بربرية دنيئة من ايران حينما وحينما من ليبيا ؟ •

هل يكف الوفديون عن المطالبة بانشاء احزاب جديدة وكانما الفرقة التى نحن فيها لا تكفيهم فهم يطالبون بمزيد من الفرقة والشقاق ؟ •

هل يستطيع الوفديون ان يكونوا - ولو لفترة قصيرة - مصريين فقط ينظرون الى المصلحة العامة وليس الى المهاترة ولا الى اصطناع بطولات زائفة يحاولون بها ان يجرفوا السلطة التنفيذية الى اتخاذ اجراء ضدهم هى لن تتخذ وان بالغ كتاب الوفد ما شئت لهم المبالغة فى الهجوم بلا اصلاح وفى التعدى بلا هداية ؟ •

واذا اعتبرنا حزب التجمع حزبا مع انه غير ممثل فى السلطة التشريعية على الاطلاق مما يدل على انعدامه رسميا وشعبيا فى وقت معا •

اذا تجاوزنا عن ذلك وانضم الى صفوف الدولة آتراه سيكف عن المتاجرة بالام الشعب وينتهى عن رفع اللافتات على فراغ ؟ •

هل سيعدل عن المطالبة بأن تنولى الدولة كل ما يغل مالا الامر الذى تعدل عنه روسيا الآن وهى الزعيمة الأولى لمذهبهم ؟ •

وهل سيعدل عن المطالبة بأن تسيطر الدولة على كل الصناعات ؟ •

وهل سيسكت عن المطالبة بأن تظل الدولة تدفع الدعم مهما يكن فى ذلك خرابها • وهل سيحين له ان يتبين ان الدعم مال الشعب وليس مال الأفراد وانه خراب عائد على الشعب وليس على أصحاب رءوس الأموال ؟ •

وحزب الأحرار وما أدراك ما حزب الأحرار هل يستطيع أن يكون ذا وجود حقيقى فى هذه الجبهة وينظر الى مصلحة مصر وليس الى الصراخ الساذج بالمطالبة بالحرية الكاملة لرأس المال فى مجالى الصناعة والتجارة الامر الذى لا تعرفه أى دولة مهما تكن متعصبة للحكم الرأسمالى ؟ •

هل سيظل ينادى بحرية الاستيراد بدون تحويل عمله دون دراسة
لشعاره هذا ومدى أثره على الاقتصاد المصرى ؟ •

وهل سيظل يجأر بتكوين أحزاب جديدة كأن الأحزاب القديمة
لا تكفى وكأنها أدت واجباتها فاستوفتها ؟ •

وهل سيصر على المطالبة بصحف جديدة للأفراد وهو يرى رأى العين
كم تخسر المجلات العريقة ذات التاريخ ؟ •

وحزب العمل • أتراه سينضم إلى الجبهة أم: تراه سيظل يجعل من
الدين وسيلة للوثوب إلى الحكم ؟ • ان ظل كذلك فان انضمامه سيكون
وبالا على الدين أولا ثم على مصر والمصريين جميعا • وان لم يصر على هذا
المكر السيئ ففينم وجوده اذن •

ان الأمر ليس مجرد جبهة تلتئم • انما الأمر يبدأ من الأحزاب التى
ستلتئم فى هذه الجبهة •

ان جعلوا مصر هى الغاية والنشيدة استطاعت-مصر ان تواجه
قدرها • اما ان ظل كل حزب على ما هو عليه فلك الله يا مصر وهو الحسب
وهو نعم الوكيل •

١٩/٦/١٩٨٨ الأهرام

الحكم ثقة

وتلك عجيبة من أعاجيب هذا الزمان • لا يكتب كاتب كلمة أو يقول انسان قولة رأى الا راحت جماعة من الناس تبحث وراء الكلمة عن غرض خاص أو دافع شخصى كانما الراى الحر أصبح أمرا مستحيل الوقوف •

• ترى تلك الجماعة تمزق صاحب الراى بالسنة حداد • وتدعى عليه ما يأباه الحق • وتنذع عنه الاذاعات وتطلق عليه الاشاعات •

فهو ان دافع عن رأى فهو بدفاعه هذا يدافع عن المنفعة الخاصة لا العامة ولا بد ان يكون قد تقاضى ثمن دفاعه مالا أو خدمة خاصة أو صفقة مريسة •

وهو ان هاجم راحت هذه الجماعة تطلق عليه القذائف انه ما هاجم الا لأنه طلب منفعة ورفضت • أو انه حاول ان ينال ثراء فلم ينل •

كم أنا حزين وأنا أكتب ما أكتب اليوم •

• أنا لا أستطيع ان ألوم هذه الجماعة صاحبة الاشاعات والاذاعات •

فان كثيرا من الكلام يكتبه كاتبه لمثل هذا الذى تقول به جماعة المتهمين هذه •

ولكن هؤلاء الكتاب المغرضين على كثرتهم قلة قليلة اذا عقدت مقارنة بين حجمهم وحجم جماعات الكتاب الشرفاء •

ولكن الناس يميلون بطبيعتهم الى الشك ولا يصلون الى اليقين الا بعد جهد جهيد •

فمعذور هو الانسان اذا رأى بين الكتاب مائلا عن الحق جانحا الى الهوى فجعل الاستثناء هو القاعدة والشذوذ هو الأصل •

فان العرق الدنى يظهر على العروق الشريفة وان له لونا طاغيا يرين على العروق الأخرى النقية الخالصة •

والكاتب حين يستغل قلمه ليجعله وسيلة تهديد أو نفاق يسقط من المكان الرفيع الذى ينبغى ان يناله صاحب القلم الى لص أراه أنا أرخص أنواع اللصوص وأكثرها سفولا وحطة .

ان صاحب القلم الذى يتخذ قلمه مطية للثراء الدنس يسرق ثقة شعب . . ويعتدى على تاريخ الانسانية . أما اللص سارق البيت فان اساءته تقع على فرد أو بعض أفراد ولكن اللص صاحب القلم فان اساءته تقع على أصحاب القلم وعلى كل من يقرأ له . وتحتم علينا ان نلتمس العذر لمن يسيء الظن بالكاتب .

قد يقول قائل بعض هذا فان شعراء الأزمنة الماضية كانوا يمدحون الملوك وأصحاب الجاه أو أهل الثراء لينالوا جدواهم ويحصلوا على المال . وما كان هؤلاء الشعراء يراعون حقا ولا يتجنبون باطلا . بل كان المال عندهم هو الحق والباطل جميعا فيمدحون الظالم ويشيدون بالطاغية ويتحيفون على الكرامة ويجعلون كلمتهم وسيلتهم الى الحياة لا يترفعون بها عن حماة الهوى ولا يتعالون بها عن حطة النفاق .

قد كان هذا ولكن أين نحن فى زماننا هذا من ذلك الزمان وقد كان الأمر فيه غير ما نجاه اليوم . وقد كان لهؤلاء الشعراء عذرهم . فما كانت هناك جريدة تنشر قصائدهم وينالون عليها رفدا أو مكافأة وما كان هناك اذاعة مسموعة أو مرئية تتيح للكاتب ان يعيش أى عيشة . وكان الملوك وأصحاب الجاه وأهل الثراء هم وحدهم ملجأ الشعر وموئل آماله وفى ساحاتهم وسائل النشر والاذاعة .

فأين نحن من هؤلاء .

اننا فى زمن ننادى فيه بكرامة الانسان وبالحرية . وكرامة الانسان تبدأ عند صدق الانسان مع نفسه ومع مواطنيه .
وصاحب القلم هو نبض الناس ولسانهم فان لم يكن صادقا فمن يكون الصادق .

ولكننى مع كل ذلك أعجب من تلك الجمعاعات التى تشير الأقاويل حول كل كلمة تقال مهما تكن صادرة عن ضمير نقي ورأى شريف وهدف رفيع .

فان للناس حاسة غاية في الصدق وهم يعرفون أين يفح الحق وأين
يقع الباطل ورحم الله عزيز أباطة حين يقول في روايته العباسية :

شيعور الناس ياجعفر حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج مصيباح فيهنديه
يعيز بوحي فطوره عداه من محبيه
والكاتب ينشر بين الناس الرأي وهم يحسنون بوحي فطرتهم صدق
الأمين وكذب الخائن •

فلو ان هذه الجماعة التي ترمي الكتاب بالباطل تريثت قليلا ثم
حكمت ولو انها رجعت الى تاريخ الكاتب فتبينت مدى محاسبته لنفسه •
ولو انها اتقت الله سبحانه وتعالى قبل أن تطلق شائعتها لكان هذا
بانسانيتها أجدر •

وعلى كل حال فالوزير الذي يخاف الكاتب اللص فيعطيه حتى
يسكته أكثر سفالة من الكاتب نفسه • فالكاتب يبيع ضميره فقط أما الوزير
فيفيع ضميره ويعتدى على حق الدولة التي افترضت فيه الامانة ووضعت
يده على مقدراتها •

والوزير الذي يرشو كاتباً ليمدحه أشد انحطاطاً من الكاتب اللص
لأن الوزير ينبغي عليه وجوباً ان يجعل أعماله هي التي تمتدحه فلا يخشى
الا الله ولا يطلب المديح الا بحقه وصدق فعله لا بأموال الشعب وبما أتاه
الله له من سلطة العطاء والمنع • فما هو الا أمين على هذه السلطة، تولاهـ
بثقة من الدولة ان خانها خان الله وحق الوطن •

وان الأدوات الاجتماعية والسياسية والخلقية تتلاحق ويساعد
بعضها على الانتشار •

وعند صلاح الوزراء والمسؤولين يبدأ صلاح الأمة •

وعلى المسئول اذ قيلت عنه كلمة مغرضة فيها له تهمة مزعومة أن
يبادر بالتكذيب القاطع • فان ذبوع التهمة بين الناس يشجع الفساد ان
يفشو ويزلزل ثقة الناس فى الحكم جميعا •

والحكم أولا وقبل كل شئ ثقة بين الحاكم والشعب ان فقدما الحاكم
فقد شرعية بقائه على الكرسي •

١٩٨٨/٦/٢٦ الأهرام

« قولاً يا أزهري الأجيال »

ويل للحضارة اذا تصدى لها الجهلاء وشر أنواع الجهلاء أولئك الذين يعرفون جزءاً من الحقيقة • وقشرة من العلم • وصباغة من الدرس • وهينا من المعرفة وشذرة من زهرة • وشجيرة من دوحه ، وآية من القرآن ثم هم عن القرآن جميعاً قد عميت منهم العيون • وفي آذانهم عنه وقر فهم لا يسمعون • وعلى القلوب منهم أقفالها فهم لا يفهمون • أولئك الارهابيون الذين أقاموا أنفسهم جبارين علينا • ونصبوا أنفسهم مسيطرين على ديننا •

جهلوا الدين وجهلوا الاسلام • وجهلوا حق الله الذي كتب على نفسه الرحمة فلو انهم قرأوا سورة الكهف ورأوا الرجل الصالح يخرق السفينة حتى يذلل النبي المرسل موسى عليه السلام • ثم رأوا الرجل الصالح يقتل طفلاً حدثاً بغير ذنب لادركوا ان الله بهذه الصورة يريد ان يعلن اليهم ان عدالته هو لا يعلمها الا سبحانه وهو الذي يقيّمها بميزان الهى لا يدركه البشر •

وما نلبث نحن المسلمين ان نتبين من قراءة السورة ان في خرق السفينة رحمة وانقاذاً لأصحابها من الطغاة • وان في قتل الطفل خيراً أراد الله لأهله ولكن أى قوة فى الأرض تستطيع أن تطلع على الغيب لتعد له الحاضر •

انه وحده عالم الغيب والشهادة • وهو وحده الذى يدرك كيف تسع رحمته عباده • وكيف ينزل بهم عقابه لا يشاركه فى ذلك عبد من عباده حتى الأنبياء الذين أرسلهم هدى وبشرى ونذيراً ورحمة للعباد •

وحسبك فانظر كيف تملك الروح النبى الكليم موسى وهو يرى الرجل الصالح يقوم بأعمال لم يألّفها البشر • لأن الله هو الذى أمر بها بعدالته هو سبحانه التى لا يدركها من البشر ولا من الأنبياء ولا من الملائكة أحد •

هذه السورة في القرآن الكريم أوحاها ريك الى نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يعرف العباد أن علمهم لا يساوى ذرة من ملكوت علم الواحد الأحد . هو وحده صاحب الملكوت الأعلى الذى ينزل رحمته كيف يشاء وبالطريق الذى يختاره هو . فاذا هى رحمة لا تخطر على بال البشر . وإذا هى أوسع الرحمات وأعظمها شمولاً وأكثرها اشفاقاً وحباً للعباد .

وهو سبحانه وحده من يسبح عباده بغفرانه يغفر ما يشاء لمن يشاء الا أن يشرك به . وهذا الشرك هو وحده الذى يقدره لا يشاركه فى تقديره مخلوق .

فبأى سلطان من الأرض رخص هؤلاء الارهابيون لأنفسهم ان يكونوا جبارين فى الأرض ويشاركوا الله فى رحمته ويزيدوا طغياناً وكبراً فیرسموا له غفرانه .

من ولاهم على ديننا ليبيّنوا الحلال والحرام . ومن أذن لهم ان يحاكموا ويحكموا وينفذوا حكمهم . اذن فهم يريدون أن يشاركوا الله الواحد الأحد فى ملكوت الأرض والسماء .

ان الدين عبادة بيننا وبين الله وحده تقدست أسمائه وعلا سبحانه أن نشرك بعبادته أحداً وهو يطلع منا على خائنة الأعين وما تخفى الصدور فعلى أى شيء يطلع الارهابيون فى نفوس البشر ويحكمونهم ويحكمون عليهم ويوقعون العقاب .

ان يريدوا الا ان يكونوا فراعين فى الأرض جبارين . اعتنق فرعون الشرك وهم تظاهروا ان يعتنقوا الاسلام . جل الاسلام وعلا ان يكون أداه فى يد أقوام كل سعيهم الى السلطان فى الأرض أبعد ما يكونون عن ملكوت الله والدار الباقية .

وآين هم ممن قال عنهم الله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . وآين هم من قوله : « خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » .

وآين هم من قوله « يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » .

ومن قوله « والسلام على من اتبع الهدى » ومن قوله « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وقوله « سلام عليكم لانتمغى الجاهلين » .

وقوله جل جلاله « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما » •

• وقوله « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » وقوله يصف نفسه تقديست أسماؤه « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام » •

أين هم من هذا جميعه وأين هم من قوله فى فاتحة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » •

وأين هم من اجماع المسلمين على ان يبدأوا أى قراءة لكلمات الله يقولهم بسم الله الرحمن الرحيم وأين هم من المسلمين الذين يباركون كل عمل يبدأونه يقولهم بسم الله الرحمن الرحيم •

أين الرحمة فيما يأخذون به مصر والمصريين اليوم من عنت وارهاق وأعمال السلاح تقتيلا وتخريبا وفتنة لا تماثلها فتنة •

ان نبي الاسلام جاء مبشرا ونذيرا وجاء بشرا رسولا فهل يريد هؤلاء ان يكونوا أنبياء من نوع جديد لم تعرفه البشرية منذ بعث الله الى الأرض أنبياء حتى ختم رسالاته بسيد الانبياء يصفه المولى بانه على خلق عظيم • ويقول عنه فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك •

فما لكم انتم وقد تملكتم الفضاظة وغلظت منكم القلوب وانا من حولكم لمنفضون •

ألم تقرأوا القرآن • فماذا قرأتم اذن • ألم تقرأوا سورة ق « نحن أعلم بما يقولون • وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » •
صدق الله العظيم

فما لكم انتم تبطشون بشعار القرآن • ثبت أيديكم جميعا • فما هذا ديننا وما هذا قرآننا • انما هو شعار الحكم يحيط بكم • وويل لكم يوم اللقاء •

ألم تقرأوا سورة الغاشية وقوله • « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر » •

أو مذكرون أنتم لا ومن خلق الخلق وما أنتم علينا بمسيطين
تعالى الله أن يهب لكم ما لم يهب لنبيه سيد البشر أجمعين عليه الصلاة
والسلام وبعد فهذه حديث كنت أرجو أن أقرأه لعلماء الأزهر فهم به
أولى وإنما نذبت نفسي له لما رأيت الأزهر صامتا إلا قلة صاتت في خفوت
أو تحدثت على استحياء والأمر خطير • والأزهر هو أملنا وبماذنه ومناراته
والشيوخ الأجلاء في ساحته ينعقد الموثق وإلى قمه يسعى المسلمون فيم نحن
فيه اليوم •

فصوتنا مجلجلا يا أزهر الأجيال المائة • واسمعنا صوتك مدويا •
فالיום اليوم هو موعد الصوت المدوي منك عاليا إلى السماء لا إله إلا الله
وحده ومحمد رسول الله • وانها لا إله إلا الله وانها محمد رسول الله
إلى أئمة الأئمة وسلام على المؤمنين الذين عن إيمانهم ودينهم ينافحون
ويؤدون •

الأهرام ١٩٨٨/٧/٣

معجزات ..

سبحان مالك الملك فى كل لحظة من لحظات الحياة تشرق معجزاته ولكن أكثر الناس لا يبصرون • ان الحياة التى نعيشها فى مصر اليوم من أعظم معجزات الخلاق العظيم • كل أسرة فى مصر من أسرات الموظفين فى الحكومة أو فى القطاع العام تمثل معجزة لا يستطيع العقل المجسرد ان يفهمها •

كيف يستطيع موظف ليس له دخل الا مرتبه ان يقيم أسرة بأكملها من طعام وملبس وتعليم ومواصلات وعلاج •• الا أن يكون ذلك ببركة خفية من لطيف السماوات والأرض - الملك القدوس •

انه سبحانه ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر • وهو سبحانه حين ييسط الرزق يختار ما يشاء من وسائل لهذا البسط الكريم • وليس من الحتم ان تكون بسطة الرزق بالصورة التى يتمناها العبد •

بل تتمثل رحمة الله بالوسيلة التى يريد بها هو جل شأنه •

كيف يعيش هؤلاء الموظفون لا استثنى منهم أحدا حتى الوزير اذا لم يكن للوزير مورد آخر للرزق •

بل كيف يعيش ملاك الأرض بالغة ما بلغت مساحة أرضهم اذا كانوا هم ملاكا فقط وليسوا زراعا لهذه الأرض •

فان أقصى ما يملكون لن يتعدى الخمسين فدانا وهؤلاء الثراء ، منهم الثراء وهم نسبة ضئيلة لاتكاد تذكر • اما أغلب الملاك فهم من أصحاب الأرض الضئيلة التى لاتتجاوز الأفدنة الخمسة والتى تقل عن فدانين أو فدان •

ما مصير هؤلاء • كيف يعيشون •• كيف يستطيعون مواجهة الحياة فى سعارها هذا الجديد التى لم يتصور أحد ان تبلغ ما بلغت اليه من وحشية لا رحمة فيها ولا شفقة •

ان الذين واتكبوا الحياة فى العالم منذ عشرين عاما اذا عقدوا مقارنة
بين الاسعار على مدى هذه السنوات يصيبهم الذعر والرعب ولو لم يكن
الأمر واقعا لا شك فيه لرفضوا ان يصدقوه لأنه بعيد عن كل منطق ..
ويحطم كل تطور .

لقد أخذتنا الاسعار على غرة فاذا هى تقفز فى اليوم ما كانت ترتفعه
فى عام والناس حيارى ذاهلون .. كتبت عليهم الحياة ولا بد ان يحيوها ..
والدخول التى كانوا يواجهون بها الحياة لم تزد الا زيادة ضئيلة هزيلة
لا يكادون يشعرون بها .
ويعيشون ..

انها المعجزة فى قمتها الالهية الشاهقة .

وأولئك المساكين أصحاب العمارات القديمة أصبحوا جميعا يتمنون
ان تهدم عمارتهم وتصبح قاعا صفصفا .. فهى وهى مهدمة منقضة ركاما
يستطيعون ان يبيعوها بملايين الجنيهات .. ولكنها وهى قائمة فى شكل
عمارة ضخمة فخمة أصلها ثابت وسطحها فى السماء تستطيع ان ترد عنهم
جوعا أو مخمصة أو ربما كانت عاجزة ان تكسوهم من عرى أو تبلى صداهم
بشربة ماء .

ويعيشون ..

انها المعجزة فى قمتها الالهية الشاهقة .

سبحانه وتعالى ينزل اللطف مع الكارثة .. كتب على نفسه الرحمة .

وهل هناك رحمة أكثر من هذا الذى نشاهده فى أمر الموظفين وملاك
الأرض وأصحاب العقارات .

كيف يحيون .. وكيف يواجهون الحياة .. وليس الأمر حالة بعض
أفراد وانما هم ملايين من الناس يكونون فى مجموعهم دولة بأكملها .
أرى الكتاب يكتبون عن غلاء الاسعار وفجورها .. وأرى الكتاب
يكتبون عن ضالة المرتبات وهوانها .. وأرى الصور السخايرة تبكى
على الموظفين وما يعانون من عرى وجوع وافلاس .

ولكن لا أرى أحدا يفكر فى المعجزة الالهية الكبرى .. وفى الرحمة
الربانية العظمى التى يسبغها الله على عباده .

ونواجه فى هذه الأيام أزمة الشباب الذى يتخرج فى الجامعة ويبحث
عن عمل . وأبواب العمل مقفلة فى كل المجالات .

أما الحكومة فقد استفحل بها عدد الموظفين وأصبحت - وهى
معذورة - لا تطيق أن تعين جميع الخريجين .. وأصبح من الحتم على
الشباب أن ينتظر سنوات بلا عمل حتى يحين موعد تعيينه بالقوى التى
يقال عنها انها عاملة وما هى بعامة .

ولكن الشباب لم يعرف اليأس وأرى كثيرين منهم يقومون بأعمال
توفر لهم الرزق وتكفيهم ذل السؤال . وأرى كثيرين منهم تنازلوا عن أحلام
المكاتب والساعى الذى يجلب لهم القهوة وعملوا هم بأيديهم ونسبوا
الشهادة العليا التى حصلوا عليها وواجهوا الحياة مواجهة أحرار أباة
يعفون بكرامتهم ان ينالوا مالا الا فى مقابل عمل .

وهناك الشباب الذى يريد ان يتزوج ليعصم نفسه من الزلل ويستقيم
البيت الذى على أعتابه تجرى سنة الحياة منذ خلق الله آدم وحواء .
وتقف الشقة عائقا ضخما .. ثم المهر .. ثم تأثيث الشقة الى غير
هذا مما لا يجهله أحد .

ويتدارك رفيع السماوات ذو العرش هؤلاء أيضا برحمته .. فإذا
البيت الذى لم يكن يحتمل فردين أو ثلاثة يتسع ويتسع فتعيش فيه
أسرتان كاملتان ويأتى الأطفال .. ونصف حياة خير من انعدام الحياة .

اللهم يا رحمة السماوات والأرض .. يا من وعدت .. ووعدك
الحق .. كل دابة برزقها .. لجأهك نسجد .. نحمدك اللهم يا من لا تحصى
نعمك .. أنت مولانا ونعم المولى .. وأنت اللطيف النصير .. وأنت
سبحانك وحدك أرحم الراحمين تقدست يا ذا الاجلال والاكرام .

١٩٨٨/٧/١٠ الأهرام

قصص ٠٠ هل زالت ؟

سيدنا الحسين بن علي وأخوه محمد بن الحنفية أنجبته من سيدنا
الامام علي فهما اخوان غير شقيقين • كانا جالسين يتناجيان وثار بينهما
موضوع اختلفا فيه واحتدم الخلاف وكان في بيت سيدنا الحسين فقام
سيدنا محمد بن الحنفية مغضبا وذهب الى بيته •

وحين استقر به المقام كتب الى أخيه يقول ما معنياه • انني وأنت
ننتسب الى أب واحد ولكن أمي لو ان الأرض امتلأت من مثيلاتها ووضع
جميعا في الميزان في كفة وأملك بنت سيد البشر أجمعين في كفة لرجحت
كفة الزهراء وقد كنت أنوي ان أعود الى بيتك فاعتذر وأزيل ما شجر
بيننا من خلاف • ولكنني وجدت انك بأمومتك أجدر بهذا الفضل فاذا
بلغك خطابي هذا فتعال الى منزل من فورك وكن أنت صاحب المائدة في
ازالة خلاف وقع بينك وبين أخيك فأنت أولى بهذا الشرف مني واخضلت
عيننا سيدنا الحسين من الدمع والتأثر وقام من فوره الى بيت أخيه وانتهى
ما كان بينهما من أثر المناقشة •

قصة كلما قرأتها وجف قلبي وتزاحمت الدموع في عيني أين هذه
الأخوة وأين هذا الحب وأين هذا الايثار ؟

لقد أكلت الحياة الكثير من جمالها في صلات الناس بعضهم ببعض •
ولكن هل تحجرت القلوب التي خلقها الله سبحانه وتعالى حبا ورحمة
وأصبحت لا تنبض بحب الا بحب المنفعة الشخصية ولا تختلج لمعنى الا اذا
كان ماديا صلبا جامدا من حديد أو صلب أو حجر أو ذهب أو فضة •
هل توقفت الحياة أن تجعل المعنى الانساني المجرد الذي يهز المشاعر
ويمر على القلوب فيجعلها ترق وتسجع وعلى العيون فيسيل الدمع السعيد
من محاجرها •

وهل أصبحت الحياة قائمة على الجمود المالى وحده بعيدة كل البعد
عن الغنى النفسى الذى يشعر به الانسان يملأ جوانحه وان كان لا يملك
من المال شيئا اذن فبئس الحياة هذه •

وأقرأ فيما أقرأ أن أحد أثرياء العرب وقع فى ضائقة مالية حادة • •
ولم يجد بين أصدقائه من يطيق انقاذه منها • ولكنه كان يعرف أن واحدا
فقط كان من أصدقائه ثم نشب بينهما خلاف جعله من ألد أعدائه هو الذى
سيقيل عثرته كان على رغم هذا الخلاف يعرف أنه رجل رفيع الخلق وأنه
لن يتأخر عن تقديم كل معونة إليه •

أرسل إليه ابنه يطلب مائتى ألف درهم • فما سأل الصديق العدو
ابن صديق الأمس وعدو اليوم فيما يريد بها أبوه ولم يزد عن أن التفت إلى
خازنه وأمره أن يسلمه المبلغ الذى طلبه وقال الخازن :

— ألا نكتب ورقة بالدين •

— فغضب السيد وثار بخازنه •

— لو كنت أريد أن تكتب لأمرتك أعطه المال وحذار أن تسكتبه
أى ورقة •

وأخذ الابن المال وانصرف إلى أبيه واستطاع الأب بالمال أن يعود إلى
مكانته من الغنى فكان أول شيء صنعه أن أعطى الدين الذى استدانه من
الصديق العدو إلى ولده وقال له •

— اذهب إلى عمك ورد له المبلغ وأشكره على فضله وذهب الابن إلى
الرجل الكريم وقدم المبلغ بين يديه فاذا الرجل يلتفت إليه فى أنفه
وكبرياء •

— أكنت خازن أبيك يأخذ حين يريد ويرد حين يشاء إنما قدمت
هذا المال إلى أبيك هدية لا ديناً والهدية لا ترد •

ويجمع الابن المال ويعود به إلى أبيه •

أين نجد اليوم هذه النجدة والشهامة والرجولة والكبرياء والعفة
والترفع •

ولاشك أن المدين كان يعرف هذا جميعه فى عدوه الذى كان صديقه
قلو لم يكن يعرفه حق المعرفة ما قصد إليه دون أصدقائه أجمعين هل فى
الحياة اليوم رجال مثل هؤلاء الرجال • أم أقفرت منهم الدنيا فأقفرت من
المعاني النبيلة والخلق الرفيع والشرف الأسمى •

أين نجد مثل عمر حين يأتي إليه قاتل أخيه وعمر أمير المؤمنين وقاتل
أخيه واحد من الرعية صاحب مسألة ويقول عمر :
- انك قاتل أخي ؟

فيقول :

- نعم

فيقول عمر :

- لا أحبك حتى تحب الأرض الدم *

ويسأل الرجل :

- أو مانعي هذا حقا ؟

ويقول عمر في حزم :

- لا

فيقول الرجل :

- فانه لا يأسى على الحب الا النساء *

أقص هذه القصص مثلا عليا قرأها علينا التاريخ وما رواها الا لأنها
قمة رفيعة. ولكن النظر الى القمم يجعل الحياة جديرة بأن تعاش خليفة
بأن يحيها الانسان وكان في الحياة غير هذا كان فيها صاحب البيت
العنيف الطريف *

وكانوا بنو عمى يقولون مرحبا

فلما رأوني مفلسا مات مرحب

وكان فيها صاحب الأبيات الخالدة :

وان الذي بينى وبين بنى أبى

وبين بنى عمى لمختلف جدا

اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم

وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا

يعيرنى بالدين قومي وانما

ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم

فليس كبير القوم من يحمل الحقد

وهذه الأبيات تجتمع الآباء والعفة والترفع متمثلة في الشاعر نفسه
والصغار والحقد والحسد متمثلة في بنى أبيه وبنى عمه •

فالحياة لم تخل يوما من الشر ولكنها أيضا لم تكن تخلو من الخير
والجمال والسموق واستغفر الله ما أحسبها اليوم قد خلت ولكنها اتسعت
وتزاحمت •

وأصبح الخير يتوارى في غبار المادية الحقيرة •

انما ستظل الانسانية تجمع في جوانحها مع الكراهية والحقد
والحسد والحب والعطاء والايثار وربما كان بين جماعتنا من يمثل هذا الخلق
الأرفع ولكنه يتوارى في شرف الحياء وترفع البعد عن اذاعة ما يقدمه من
الخسير جاعلا منه قربى الى رفيع السماوات ذى العرش فعنده سبحانه
لايضيع أجر المحسنين وكفى بالله وكيلا لهؤلاء وحسبنا •

١٧/٧/١٩٨٨ الأهرام

الكتاب والكاتب ..

الكاتب للمسرح والكاتب للسينما وكاتب التلفزيون والذين يلقون المحاضرات يعرفون من فورهم أثر ما كتبوه على قرائهم وتشملهم والجمهور روح إنسانية واحدة يعرف منها الكاتب ان كان قد بلغ رضا الجماهير أم هو بعيد عن هذا الرضا .

وللكاتب المسرحي والتلفزيوني والسينمائي ان يبحث - عند فشله - عن الأسباب التي أدت الى هذا الفشل .. وكلها في اعتقاده طبعاً بعيدة كل البعد عن سوء تأليفه هو .. فهو حيناً يقع أسباب فشله على المخرج وحيناً آخر يوقعها على المنتج أو هو ينزل بها على الممثلين . أو يريح نفسه ولا يفصل ويتهم الجميع بالفشل الذي أحاق بعمله الفني .

فاذا نجح العمل الفني نسب الكاتب نجاحه لنفسه وحده وعلا في أوساط الفن صوت الصراخ تتجاذبه حناجر المخرج والمنتج والممثلين جميعاً . فكلهم يهاجم كلهم وكل واحد منهم ينسب النجاح لعبقريته وحدها التي لولها لفشل العمل وهوى الى حضيض أى حضيض .

وانى لأعجب اليوم وأنا أرى بعض الأفلام المصرية فأننى لم أكن أتصور ان عبقرية السقوط يمكن أن تتدنى فتسفل كل هذا السفول .

أى حضيض عجيب يحفرون العفن ليصلوا اليه .. أتكون هذه الأفلام نتاج الهيروين والكوكايين وما لا أدري من وسائل الغاء العقل والاحساس والانسانية جميعاً .

ثم بعد الى أين بنا الانحدار .. قد أصبح الفيلم الممتاز درة وهاجة التلألؤ وسط هذا الركام الحقيق من الأفلام الساقطة .

ولابد لى أن أذكر بكل اعتزاز وفخر فيلم « عندما يأتى المساء » لعמיד الرواية العربية نجيب محفوظ .. وقد أخرجه المخرج الشاب هانى لاشين فكان قمة نستطيع ان نضعها فى ثقة واطمئنان مع قمم الرواية العالمية

بأبطاله العتاة فريد شوقي وسناء جميل وإبراهيم الشامي وعبد العظيم عبد الحق .. وأنا أرجع الفضل الأول ولا أقول الوحيد للمخرج الشاب فروايات نجيب محفوظ كلها عظيم وكثير منها لم يظهر على الشاشة معه فاختيار المخرج لهذا العمل دليل قاطع على انه يملك حسا رفيعا وفنا رفيعا أيضا .

فيلم واحد بين عشرات الأفلام التي بليت برؤيتها والنبي لا يجوز مقارنتها بهذا الفيلم وإن كان هناك فيلم أخذ اعجابي وسعدت به غاية السعادة فهو فيلم « حله السيف » بطولة محمود مرسى ونجوى فؤاد واخراج عاطف سالم وانها لنكبة كبرى الا نجده فى ركام هذه الأفلام جميعا الا فيلمين ممتازين إلى جانب بعض أفلام أخرى قليلة من انتاج ممدوح الليثى جديرة بالاحترام .

أما الأفلام الأخرى فتكاد لا تجد كلمة فى اللغة العربية يمكن ان نصف بها درجة حقارتها .. وما ذاك بعجيب فان اللفظة العربية تنشأ فى اللغة لتواجه حالة معينة تحتاج الى وصف .. وهذا الذى نراه فى السينما المصرية حالة انحطاط لم تشهدها اللغة العربية من قبل لتقيم لها كلمة مناسبة فكل ألفاظ السفول والانحطاط والإحقارة والتفاهة والصغار تعتبر اذا وصفت بها هذه الأفلام نوعا من المديح لأنها أهون من كل هذه المسبة التى تثيرها هذه الألفاظ فى نفس القارىء .

وويل لنا كل الويل نحن الكتاب اذا اشترى منتج عملا روائيا لنا .. تمزق العمل وانماعت سماته وبهتت معالنه ولم يبق منه الا اسمنا وياليتنه ما بقى وأسماء أشخاص الرواية المكتوبة وأحيانا لا تبقى .. أما الفكرة وأما الموضوع الذى ماكتبنا الرواية الا من أجله فهيهات .. كل هذا يمزقه بخل المنتج وفجاجة المخرج وحرص الممثلين ان يظهروا على الشاشة حتى وإن كان ظهورهم يسىء الى فكرة الفيلم .. وناهيك بجماعة يلتئم شملها على تمزيق فكرة تقف بينهم وحيدة عزلاء بلا نصير ولا مجير لها وبلا ضمير منهم .

لذلك فنحن الكتاب مسئولون عن الكتاب الذى يظهر لنا فى شكل كتاب .. فالكتاب ملك الكاتب وحده لا يشاركه فيه الا صاحب الملوكوت تقهست الاؤه هو الذى يلقي بفكرته الى ضمير الكاتب .. وهو سبحانه الذى يهب له القدرة أن يتمه .. والكاتب ينشر كتابه لا يستشير فى أمره أحدا .. ولا يمتد أصبع من التعديل الى كلمة مما كتبه .

وقد يظهر الكتاب منجما فى جريدة ثم يصدر منشورا فى كتاب
فلا الجريدة تحاول ان تغير من حروفه حرفا ٠٠ ولا الناشر يمد اليه قلم
تعميد .

فمستولية الكاتب كاملة عن كتابه فقط ٠٠ وليس الكاتب مسئولا
أية مسئولية عن أى لون يظهر فيه الكتاب بعد ذلك .

لا شأن للكاتب اذا أصبح الكتاب عملا درامية فى المسرح ولا شأن له
ان ظهر فىلما فى سينما أو تليفزيون ولا شأن له ان ظهر الكتاب مسلسلا
فى سهرة بالشاشة الصغيرة .

ولو حاول الكاتب أن يتدخل لواجهته شتى صعب لا قبل له بها ماذا
هو صانع مثلا ان اختار المخرج والمنتج ان يصورا العمل خارج مصر ٠٠
هل يستطيع الكاتب أن يجرى وراء عمله فى شتى بلاد الأرض ؟!

فاذا تم التصوير فى مصر فكيف يستطيع الكاتب ان ينقطع لمراقبة
التصوير ٠٠ وماذا هو صانع ان كان جزء من العمل يصور فى الأقاليم
والمحافظات الأخرى . بل كيف له ان يرصد وقته للعمل ان كان يصور
فى القاهرة حتى ان كانت القاهرة محل إقامة الكاتب .

لاسييل ٠٠

ان الكاتب لا ينبغي ان يحاسبه أحد الا عما خطه بقلمه ووقع عليه
ودفع به الى المطبعة ٠٠ ولكل قارئ بعد ذلك مذهب ورأى فى الكاتب ٠٠
ولذلك فان أثر الكتاب لا يعرفه الكاتب الا بعد فترات طويلة من ظهور
الكتاب .

وقد أخذت نفسى منذ البواكير الأولى من حياتى الا أصبح مهوما وقر
فى نفسى أى قارئ ٠٠ لأن لكل قارئ تكوينه الخاص وأفكاره التى
لا يشاركه فيها أحد فاستقباله للكتاب استقبال فردى ولا يشاركه فيه
انسان ولا يستطيع أحد حتى وان كان الكاتب نفسه ان يصحح من مشاعره
ما استقبل به هو الكتاب وهو يقرؤه وحده وليس بينه وبين حروفه غلالة
من رأى الجماهير أو من دعاية الدعاة .

فانا لم أرد على ناقد فى حياتى مادحا كان هذا الناقد أو قادحا .

وأنا أيضا لا أعتبر الكتابة عن أى عمل لى فى الاذاعة أو المسرح
أو التلفزيون أو السينما نقدا موجها لكتابى .. فالكتاب المطبوع مسئوليتى
والكاتب حر فى رأيه عنه . وما يحول عن الكتاب الى عمل آخر فى أى
ميدان ليس من شأنى فى شئ وقصارى الأمر منى ان أشاهده كما يشاهده
الجمهور وكما أشاهد أنا أعمال الآخرين .

اما ان تكون نتيجة مشاهدتى حزنا أم سعادة . شقاء أم فرحا ..
تعاسة أم ابتهاجا .. فهذا أمر آخر .. وكل ما أصنعه ان أتوجه الى
البارئ الرحيم اللطيف بعباده وأقول حسبى الله ونعم الوكيل ..
وحسبى الله ونعم الوكيل .

١٩٨٨/٧/٢٤ الأهرام

منارة الأزهر والاعلام

لحكمة الالهية عظمى جعل الله ختام معجزاته كتاب الله أنزله بالحق وبالحق نزل وفي هذه الكلمات المباركة بشر الله عباده أنه هو سبحانه أنزله بالحق والأمر ساطع لا مناقشة فيه فما دام الله الحق قد أنزله فهو بالحق أنزل ثم يزف الملك القدوس الى عباده أنه أيضا وصل اليهم بالحق • وان الذي ألقى عليه القول أبلغ الرسالة الى العباد بالحق •

فالحق أنزله الله لأنه هو الذي أنزله وبالحق نزل لان النبي الذي اختاره الله لإبلاغه أمين فصيح • ولهذا كان من طبيعة الأمور أن يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وعدا من صادق الوعد الحكيم المتعال • وقد صدق سبحانه وعده وحفظ ذكره ومرت الأجيال تحمل على كتفها ألفا وأربعمائة عام وتزيد وكتاب الله محفوظ لم يتغير فيه حرف • ولا نبت منه كلمة عن موضعها • تناقلته الأجيال عن الأجيال أوراقا متناثرة غير مكتبة في كتاب • وأبلغته صدور عن صدور والسنة عن السنة • لم يختلف في كلمة منه رأى عن رأى أو مذهب عن مذهب أو فكر عن فكر •

واختلف المسلمون وتمزقت وحسدتهم وأصبح لكل جماعة منهم مذهب وتناحروا وتحاربوا وتناجزوا •

ولكن كلمات الذكر محفوظة بحروفها لا يقترب منها خلاف مهما يكن هينا ولا يجرؤ على المساس بها مذهب مهما يكن مغاليا متطرفا •

وكفر بالاسلام أقوام ولكنهم في كفرهم لم يجرأوا أن يمسوا حروف المصحف بتصحيح أو تبديل •

ونحن هنا لا شأن لنا بالكافرين فأمرهم الى الواحد الحق يكتب لهم ما لهم ويكتب عليهم ما عليهم لا يظلمون فتىلا • فهو من قال عن نفسه أنه ليس بظلام للعبيد • تقدست أسماؤه • وهل العدالة الا قبسة من نوره الأسنى "

وأنا حديثي هنا عن المسلمين الذين يقولون الشهادة وبالله الواحد
ونبيه الكريم يؤمنون •

الم يقرأوا القرآن • لا • ما أحسب أنهم قرأوه • وان كانوا
قرأوه أتراهم فهموه • هيهات • وان فهم القرآن ليس بالشئ اليسير
فأنا رجل صناعتى اللغة وقد ختمت قراءة القرآن مرات ومرات • وما أنذا
أصبح بملء فمى أننى عاجز عن فهمه جميعا • واننى كثيرا ما توجهت الى
المشايخ الأجلاء من العلماء المتخصصين ليبينوا لى ما لم أستطيع أن أصل
أنا اليه •

وأصبح مرة أخرى بملء قلبى وقلمنى اننى فى كل مرة أقرأ القرآن
يملأنى شعور أننى أقرأه للمرة الأولى فى حياتى • معجزة تلك من معجزات
القرآن • وكم للقرآن الكريم من معجزات •

ولكن فى القرآن آيات واضحة كل الوضوح لا تحتاج الى جهد فى
فهمها أرادها الله كذلك • لأنها من أسس الدين والدنيا ومن أقدر من
مالك الدين والدنيا على جعل الكلمات واضحة كل الوضوح حين يشاء
لها ذلك • له فى ذلك حكمته العليا ورأيه الأسنى فى القرآن آيات أراد
الله ألا يتضح معناها الا بعد فترة من نزوله لأن القرآن نزل ليظل معجزة
السماء حتى يرث الله السموات والأرض وما عليها فمن الطبيعى أن تكون
به آيات تتضح أسرارها مع مرور الزمان مثل معجزة البصمات مثلا •
ومن الطبيعى كذلك أن تكون فيه آيات واضحة لا تحتاج الى سنوات من
الزمن أو تفسير من أحد •

وفى هذه الأيام وأنا أقرأ سورة الأنعام أشرفت أمام بصيرتى آيات
بينات واضحة وضوح الشمس لا مجال فيها لجدل أقرأ معنى قوله تقدست
كلماته الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ « قل تعالوا أتبل ما حرم ربكم عليكم
الا تشرکوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من أطلاق نحن
نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون • ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط
لا تكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد
الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه،
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » •
صدق الله العظيم •

آيات مشرقات واضحات • ان هذا هو صراطه مستقيما جل علاه •
فاتبعوه • ولم يكتف سبحانه بأمره الى عبادته أن تتبعه بل زاد ولا تتبعوا
السبل لأنكم اذا اتبعتم السبل تفرقت عن سبيله الذى هو الصراط
المستقيم •

ليس فى الآيات البيّنات حديث عن الموسيقى و ان من يستمع اليها
حق عليه عقاب • ولم يأت ما يجعل حله استماع الموسيقى الضرب
بالجنازير ولا بالمطاوى • بل جاء لا تتبعوا السبل فتفرق بكم •

وها هم أولاء الإرهابيون من حملة الجنازير ومن القتلّة اتبعوا
السبل وتفرقت بهم عن السبيل وعن صراط الله المستقيم •
علم الله انما أنا مجتهد أتلّس من نور القرآن مشكاة تضىء لى
الطريق •

وعلم الله اننى أئدب تقى وقلمى الى موضوعات يعرفها الأئمة
الهداة من الأزهر الشريف خيرا مما أعرفها • وهم بها أولى ثم هم بها
أولى • فأولى •

وأسمع أن الاعلام لا يتيح لهم الفرصة أن يقولوا فينبؤوا بقولهم
الطريق لمن استبهم عليهم الطريق • ولن اليل عليهم السبيل • ولن
ضاقت بهم منافذ التفكير الاسلامى الرفيع •

وان كان الأمر كذلك فانى أشفع رجائى الى رجال الأزهر أن يقولوا
برجائى لرجال الاعلام أن يفسحوا لهم كل منافذ القول •
وأنا واثق اننى لم أسمع من الأزهر ما ينبغى أن أسمعه فى شأن
الإرهاب الاسلامى •

ولكننى لا أعلم من شأن اغلاق منافذ الاعلام عنهم الا ما أنبأنى به
شيوخ أجلاء من مصابيح الأزهر الاعلام •

وانى هنا أنقل حديثهم الى الاعلام والى كل مسئول •

وأقول مع سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبه التابع
بالمتبوع والمؤمن بحامل الرسالة وعبد الله بنى البشرية اللهم هل
بلغت •• اللهم فاشبهه •

الأهرام ١٩٨٨/٧/٣١

قد عزلناك فقم

جلس أحد الأمراء الهازلين الهزلاء فى إيوانه الفخم المطرز بالحرائر
المضمخ بالطيب وحوله رجال الدولة من كل فارغ الطول حين الشأن كبير
العمامة ضامر الرأس يندر بينهم من له قيمة العقل المتزن أو العلم الوافر،
أو الضمير النقى أو الشجاعة فى الحق ، وعند الأمير الهزيل تتساوى
الرؤوس فى اتقان الانحناء يصدق عليهم البيتان القديمان :

وما بقيت من اللسذات الا مخاطبة الرجال ذوى العقول

وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

ويصدق عليهم أيضا وعلى أميرهم قول أمير الشعر العربى بحق
أحمد شوقى قالها بعد اجتماعهم هذا بمئات السنين ولكن لانه شعر أمير
الشعراء أصبح صالحا للتمثل به فى الماضى والحاضر كما سيظل صالحا
للمستقبل أيضا قال شوقى الخالد بعد مئات السنين من جلوس الأمير
المزركش ورجاله الكبار الصغار لا تستشير وفى الحمى ٠٠ عدد الكواكب
من مشير *

كم سبجوا لك فى الروح والهوك لدى البكرور

ورأيتهم لك سجدا كسجود موسى فى الحضور

خفضوا الرؤوس ووتسروا بالذل أقواس الظهور

وفى يومه ذاك بدأ الأمير الحديث لان آداب الثقافة فى ذلك العصر
ألا يبدأ أحد بالحديث الا الأمير *

وقبل أن يبدأ الحديث كان قد أدار عينيه الفارغتين على رؤوس
مجالسيه وكان بينهم قاض اشتهر بالأمانة والعدل والعلم جميعا وكان

قاضيا على بلدة اسمها قم اشتهر بين أهلها بالعبق والتعمق في دراسة
الشرع الاسلامي . وأراد الأمير أن يرفع من قدر القاضى الوقور وشاء
له حظه العيبى وحظ القاضى العائر أن بدأ الكلام بكلمات انتظمت شطرة
ضائعه من الشعر .

أيها القاضى بقسم :

وانتبه الأمير انه قال شعرا وقاله صدفة دون تدبير وتصور انه
لا بد له أن يكمل الشطرة بشطرة ولما لم يكن شاعرا ولما كان محبا للظهور
ولما كان عاجزا عن الكلام المنثور ولما كان عن الكلام المنظوم أكثر عجزا فقد
تولاه الصمت وانعقه لسانه وطال الصمت . وخشى أن يعلن صمته
للحاضرين عن جهله بتصريف الكلام وإصداره إرادته فانه لم يجد شطرة
يكمل بها بيت الشعر للقاضى المبحل الا قوله . أيها القاضى بقم قد عزلناك
فقسم .

وبهت القاضى لحظة ثم قال للأمير فى ملمحية وذكاء وفى شجاعة ثابتة
الجنان .

والله أيها الأمير ما عزلتنى الا القافية .

وصارت هذه أمثلة تضرب على هوان العزل والترقية والتولية
والتعيين فى ظل الأزمنة التى لا تقدر الرجال حق قدرهم .

وها نحن أولاء وبعده مثات السنين من قاضى قم الذى عزل بقافية
ضائعة لم ترد فى مكانها .

نرى الموظفين عندنا يعينون بقافية لا معنى لها ويعزلون بكلمة قم
دون أن يكون وراءها معنى يبررها أو منطق يؤيدها .

ان اختيار كبار الموظفين فى شتى أركان الدولة اليوم لا ندرى
أسبابه ولا دوافعه . ونرى الموظف الجديد من هؤلاء يتولى أمور وظيفته
فلا نجد فى مجرى العمل بالوظيفة ما كان يدعو الى عزل السابق وتعيين
الحاضر .

ونرى منهم من يقدم الى الوظيفة تسبقه أقاويل كان شأنها أن
تقصيه عن المكان الذى الحق به فاذا بها على هوانها تقربه من الوظيفة التى
الحق بها وتثبت عليها أيضا .

والذى يملك أمر التعيين فى الوظائف الكبرى رجل يستشير وليس له أى مصلحة فى تعيين شخص فى مكان ما كما انه بعيد لان البعد عن مصلحة خاصة تربط بينه وبين الشخص الذى ينبغي أن يقال له قد عزلك فقم .

ان محمد حسنى مبارك من أعدل من حكم هذه البلاد منذ مئات السنين وهو يستشير ولكن تخلف عنه قول شوقى :

لا يستشير وفى الحسمى عديد الكواكب من مشير

أما هو فيستشير أما الذين يقدمون اليه المشورة فلكل منهم شأن يغنيه فمنهم من ينأى بنفسه عن عداوه من ساءت سمعتهم ومنهم من يشير استشارة متعجلة حتى يبدو جاهدا أمام رئيس الدولة ومنهم من يشير لغرض فى نفسه لايبين عنه ومنهم من يلقي بها خبط عشواء لا دراسة وراعا ولا تدبر ومنهم من يريد أن يصطنع لنفسه كبار العاملين فى الدولة حتى يكون من جنوده أو من الويته .

والاستشارة غير هذا جميعا . انها حكم كاحكام القضاء وانها شرف وانها ضمير وانها نزاهة وانها مسئولية وانها كلمة حق يحاسب عليها الواحد الديان يوم يقوم الحساب وان لنا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم مقنعا يكفيننا فان فيه الصراط المستقيم والشريعة المثلى والطريق السواء والنهج الأمثل حين قال (صلعم) من غش أمتى فليس منى أو - كما قال الذى وصفه ربه بأنه على خلق عظيم وانه رءوف بنا - يأبى لنا العنت فى حياتنا ويرفع المثل العليا فى الدنيا وفى العليا وفى الغاية والخالدة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١٩٨٨/٨/١٤ الأهرام

الانسان عمله

اهتم الشاعر العربي بفكرة الاصول والأسرات ولو ان الذاكرة
أسعفتني لرويت الكثير من الشعر في هذا الشأن ولكنني سأروى لك
ما علق بالذاكرة منها • فأذكر مثلاً بيتين كان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وأرضاه يرويها في جلساته لأصحابه وخلصائه •• يقول البيتان :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
محسبون على ما كان من نعم لا زایل الله عنهم ماله حسدوا

وأذكر أيضاً لأبي نواس يقول فيهما :

أين النجوم التاليات من الأهلة والبندور
أين القليل بنو القليل من الكثير بنى الكثير

وأذكر أيضاً من الشعر القديم :

مصاييح في الهيجا مكاشيف للديجى
بنى لهم أبأؤهمم وبنى الجد
وتعدلنى أفناء سعد غليهم ..
وما قلت الا بالذى علمت سعد

ولو اننى تتبععت هذا المعنى فى الأشعار العربية لعجزت عن جمعه
ووقفت بى كثرتة عن الألام •

ومع اعجابى الشديد بالصياغة فى هذه الأبيات التى ذكرت
وبغيرها مما لا أذكر الا اننى أخالف الشعراء الذين ذهبوا هذا المذهب
كل المخالفة وأرفض أن أوافق أن أبناء الأصول ميرأون من المعايير
بعيدون عن الصغار • وان أبناء خلق الله ممن لا يتمتعون بالغنى فى المال
أو الكثرة فى العدد يرتكبون الصغار ويذلون أنفسهم للهوان •

فليس هذا صحيحا فى جملة ولا تفصيله •

وكم من فقراء عرفتهم لهم من عزة النفس والكبرياء ما لا يتمتع به
الكثيرون من أبناء الأسرات الشهيرة بالكثرة المالية أو بالتاريخ العريض •

اننى أرفض رفضا باتا قاطعا تقسيم الناس فى أخلاقهم وتصرفاتهم
الى طبقات •

لقد بدأ العالم بأن قتل الأخ أخاه • فالجريمة قديمة قدم الخلق •
وأبناء البيوتات خلق من خلق الله كما ان أبناء الرزق المقدور الضيق
خلق من نفس الخلق وجد الفتنة قابيل وهابيل وفى البشر جميعا أعراق
من الأخوين •

ولذلك أعجب حين تأخذ النظرية الماركسية بفكرة الطبيعة فتجعل
العمال طبقة والفلاحين طبقة وأصحاب رؤوس الأموال طبقة وتطبق عليهم
نظريات خلقية واحدة •

فالعمال الكادحون والفلاحون شرفاء •

وأصحاب رؤوس الأموال لصوص •

علم الله ان اللصوص موجودون فى الطبقات جميعا •

وأنا كذلك أعجب من الذين يبرئون أبناء الأصول من أن يرتكبوا
الدمية أو الحطة أو السرقة أو النهب أو الزلل •

بل ان منهم من بلغ فى الاجرام ما يعجز عن بلوغه أبناء الطبقات
الكادحة ان الشر قديم والخير قديم ، والشر موجود فى جميع الطبقات
والخير موجود فى جميع الطبقات • وكم لقينا أبناء أسرات بلا كرامة
ولا خلق يستحلون ما حرم الله وما يرفضه الخلق الكريم وكم رأينا أبناء
كادحين لا يملكون قوت يومهم يتقون الله ويأبون الا الكرامة والاعتزاز
بإنسانية الانسان ، ولكن هذا لا يمنع اننا رأينا من أبناء البيوتات من
يصبر فى الفاجعة ويعفو عند المقدرة ويثبت عند العاصفة ويعطى عند
النازلة ويتكبر عند الثوان ويعلو اذا انحنى الآخرون ويشمخ اذا أنماع
الأذلاء •

وكم رأينا مثل هؤلاء فى الطبقات التى ضاق عليها الرزق ، يقولون
عشرة الصديق • ويعطون المال على حبه وعلى خصاصة لمن هم أكثر حاجة
اليه منهم • رجالا برئت قلوبهم من الحقد وتنزهت نفوسهم عن الكراهية
اشربوا الحب فهو دماؤهم لا تعرف نفوسهم الا المودة فى القربى وفى
غير القربى أيضا ، وانى أوافق بيت الشعر الذى قاله عزيز أباطة فى
روايته شجرة الدر :

ان الكرام الصيد من أبائكم قد انجبوا غاوين غير كرام

فما أكثر ما رأينا كراما صيدا أبناؤهم لا هم كرام ولا هم صيد
وانما هؤلاء هازلون أصحاب خمر وميسر ومجون يملون أيديهم "لما ليس
لهم ويستحلون كل ما حرمة الدين وكل ما يرفضه المجتمع الشريف •
وأنا أرفض أيضا فيما أرفض الأمثال البلدية التى تدور فى هذا
المدار من هذه التى تريد أن تكفى القدرة على فمها لتطلع البنت لأمها ومن
هذه التى تقول ان الأصل يبهت •

انما الناس شتى معادن تؤثر فى أخلاقهم بيوتهم بقدر ثم يخرجون
الى الحياة فمنهم من يثبت لتيارها الجارف ومنهم من يلفه أعضاء الكسب
السريع حتى وإن لم يكن شريفا •

وكم يحزننى أن أجده بين المثقفين أنفسهم من يسفل بخلقه عن
الجهلاء وكم عرفنا من أقوام لهم آباء مشاهير ولهم علم وفير ولكنهم فى
السفالة والانحطاط ليس لهم نظير •

كيف يتكون الانسان • ما هى العوامل التى تجعل الشريف شريفا
والدنىء دنيئا : ما أحسب ان علم النفس على عظمتة استطاع أن يصل
الى حكم قاطع فى الميدان • ولو كانت أسرة الانسان مسئولة مسئولية
كاملة عن خلقه ما حاسب الله الفرد على فعله وسببجانه هو من قال
« وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » فلو ان كل انسان تشكل على
ما صنعه بيته أو صنعتة أسرته لما كان طائره فى عنقه وانما فى عنق بيته
أو أسرته •

ومن اختلاف الناس تضطرب الحياة وتحل المودة ويسود الحب
ويضطرب الكره وتغلى الأحقاد •

ويظل طائر كل انسان فى عنقه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها
ويوم نلتقى فى رحابه فثم لكل كتابه سطرته أفعاله لا يظلم فتिला فهو
سجانه جل وعلا ليس بظلام للعبيد •

١٩٨٨/٩/٥ الاحرام

شعر وحب وسياسة

هل علينا من بأس أن نروى شيئا من أخبار بعض الشعراء نسمة
نرد عنا بعض هذه الحرور ولعلك تجد فيها شيئا يرد اليك الثقة بالحياة .
وبأن الحياة ليست كلها سعار مال ولهيب مطامع .

عمر بن أبي ربيعة شاعر من أعظم شعراء عصره وهو قرشي ينتسب
الى بيت النبوة وقد طار صيته على أنه شاعر نساء وغزل . وهو لم يحب
فتاة واحدة مثل زملائه قيس ليلى وقيس لبنى وجميل بثينة وجميل عزة .
وانما أحب عمر فتيات كثيرات .

ومن عجيب الأمر انه وهو الشاعر الغزلى ينسب إليه بعض المؤرخين
انه كان من الأسباب التى أدت الى نكبة البرامكة على سيوف هارون
الرشيد . فان لعمر أبياتا شهيرة يقول فيها :

ليت هذا انجزتنا ما تعدد وشففت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وقيل ان أعداء البرامكة أوعزوا الى احدى مضيقات الرشيد أن
تغنى أمامه هذه الأبيات وإن تكثر من إعادة شطر البيت انما العاجز من
لا يستبد . واستقر الشطر فى ذهن الرشيد وقيل انه ظل يردده لنفسه
حتى أوقع بالبرامكة نكبتهم .

ولم يلتفت الرشيد ان العاجز الذى قصد اليه عمر انما هو العاجز
فى الحب فالمحب الذى لا يستبد ربما كان عاجزا فيما يرى عمر بن أبى
ربيعة. أما الحاكم اذا استبد فهو العاجز . فالاستبداد من الحاكم عجز
وعدم الاستبداد من المحب عجز . وشتان بين حاكم تتعلق بيديه أقدار
الناس وبين فتاة لعب تصطنع الاستبداد لتثير مكامن الحب فى نفس
حبيبها .

أيا كان الأمر • وسواء كانت هذه الرواية صادقة أم غير صادقة
فانى انما أردت أن أسوق اليك قصة أخرى لعمر بن أبى ربيعة • فهو
قد تاب وأناب فى أواخر أيامه وصار يحج فى كل عام ليؤدى الفريضة
بعد أن كان يحج ليغازل النساء فى موسم الحج وليصدق عليه البيت •

تروح يبغي أن تحط ذنوبه فعاد وقد زادت عليه ذنوب •

أقلع عمر عن الغزل والتشبيب بالنساء وأقسم على أن يطلق عبدا
أو جارية تكفيرا عن أى بيت شعر يقوله •

وأخلص عمر قلبه لله جل علاه وحسن اسلامه وصدقته توبته وحدث
أن كان يطوف بالكعبة المشرفة فسمع فتى وفتاة يتناجيان قريبا من
أستارها فقصد إليهما •

— أتكون المناجاة فى هذا المكان المقيس — وقال الفتى :

— الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عبو الا المتقين •

فليكن ذلك فى أى مكان آخر • • لماذا لا تتزوج فتاتك ؟

— أبوها يغالى فى المهر •

— كم يطلب •

— مائة دينار •

— قوما بنا اليه •

وذهب ثلاثتهم الى والده الفتاة ودفع عمر بن أبى ربيعة مهر الفتاة
من خاصة ماله وتزوج الفتى من الفتاة •

وعاد عمر الى بيته وقد انتعش قلبه فرحا أن جمع حبيبين على سنة
الله ورسوله وهاج الشعر فى جوائحه يهزه هذا • وأدركت زوجته ان
به شيئا فجابته •

— لست أنت كما عهدتك • • ماذا بك •

فلم يطق سكوتا واندفع يكتب شعره فنظم تسعة أبيات وأطلق
تسعة عبيد •

مما أذكره من هذه الأبيات قوله :

تقول وليدتى لما رأتنى •

طربت وكنت فيه اقصرت حيناً

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفيناً
بربك هل أذاك لها رسول فشاقك أن لقيت لها خديناً
فقلت لها لقيت أخاً محباً كبعض زماننا إذ تعلميننا
فقص على ما يلقي بهند فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعرى مشوق حين يلقي العاشقين

الى هنا تنتهى قصة عمر وأنا رويتها لأخفف عنك وطأة الحر والأنقش
هذا البيت الأخير فليس صحيحاً فيما أرى أن ذا الشوق القديم وإن تعرى
مشوق حين يلقي العاشقين • فللسنين شية لا تترك للقلب نضارة فإن
الزمن حينه يباعد بين المحبين لا يبقى إلا آثاراً بليت لا تعنى شيئاً ولعل
الشاعر جوته كان صادقاً مع نفسه كل الصدق حين قصده الى هو
فى منصبه الوزارى فتاته التى أحبها فى شبابه حباً مجنوناً عارماً حتى
ليقال انها هى التى ألهمته كل شعره • وكانت الفتاة التى أصبحت امرأة
عجوزاً تظن انها حين تقصده اليه وهو فى منصبه الوزارى ستجد عنده
الترحيب وانه سيستعيد معها أيام الهوى التى انطوت والزمان الخالى
الذى مضى •

ولكنها فوجئت بوجه جامد لا حرارة فيه ولا ترحيب وسألها بكل
برود ان كانت تريد شيئاً معه أن أبلغها فى قسوة انه مشغول تماماً
بالمهام الكبار حتى لقد خجلت السيدة التى كانت هواه وانصرفت تسحب
ذبول الأمل الكسير وتغطي الدموع الباقية لها الطريق حتى ما تكاد ترى •

ترى لو لم يكن عمر بن أبى ربيعة شاعراً أتراه كان يقول هذه
الأبيات • أترى الواقعة التى شهدتها بين حبيبين فى سن الشباب هى
التى حركت ما حركت فى نفسه أم هو الشاعر القديم فيه •

هذه قصة أقدمها الى رجال السياسة عندنا راجياً أن تجد اللبسات
الانسانية مكاناً تطرقه فى افئدتهم فترق للفتيان والفتيات الذين يريدون

الزواج فيقف بهم المهر وأجر الشقة وثمان الملائس ثم تحطمهم الحياة
بعد ذلك اذا هم كانوا موظفين فى الحكومة أو القطاع العام .

فالشاعرية يا ساسة أساس من أسس الحياة ومن يرد منكم أن
يكون سياسيا فعليه أولا أن يكون انسانا . وليس انسانا من لا يرق
فؤاده لشباب محب وشباب يريد أن يعتصم بالزواج من زلل الخطيئة .

وبعد فماذا لويت لك واى حديث قدمته بين يديك أهو حديث حب
أم حديث شعر أم حديث سياسة .

وهل على بأس أو عليك أن يكون هذا جميعا ومعه مما ستضيفه أنت
اليه من معان تتخفى فى أنحائه وتتوارى فى ثناياه .

فالقارىء حين يقرأ يشارك الكاتب ويصبح معه كاتباً . وانى واثق
انك ستكتب معى ثانية هذه النى قرأتها لى . . وفقك الله .

١٢/٩/١٩٨٨ الأهرام

١٩٨٩ سنة

كتاب نحن لا شعراء

الشاعر أيليا أبو ماضي من أعظم شعراء المهجر * وللشعر عنده
موسيقى متميزة لا تجدها عند شاعر غيره في العصر الحديث وربما وجدت
منها نغمات في شعر البهاء زهير أو في شعر الشريف الرضي .

من أبدع قصائد أيليا أبو ماضي قصيدته التي يقدم بها ديوانه
الجدول أذكر منها :

يا صديقي انه لولاك ما وقعت لحننا
كنت في سرى لما كنت وحيدى أتفنى
البس الروض حلاه انه يوما سيجنى
والصوت أغلقت من دونه الأسماع معنى
ليس نورا كل نور مر بالأعين وسنى
قد سكبت الخمر كى تشرب فاشرب مطمئنا
واسبق من شئت كريما لا تخف ان تتجنى
فهى بالانفاق قبلى وهى بالامسباك تفنى

الحج على هذه الأبيات في أيامنا هذه وخيل الى انها تومئ اليها من
طرف مضاد * فجمال الشعر أن يروى وأن تتناقله الناس ويستمتعوا
به ويتناشدوه * لطلاوة الموسيقى فيه وطلاوة الجرس .

إنما المقالات المنشورة في الصحف السياسية شأنها بعيد كل البعد
عن شأن الشعر .

المقالة رأى صاحبها * وهى حين تكون صادقة تكون نبض جماهير
وآلام شعب وأزمات بشر من البشر يلقون من الحياة عنتا .

وكاتب المقالة ليس شاعرا ، وليس كاتب المقالة مغنيا يتغيا اثارة الطرب والاعجاب فى نفوس قرائه ولا عازف قانون موسيقى هو وانما هو مطالب بقانون تشريعى وشتان شتان والى شتان بين قانون ذى اوتار وقانون ذى مواد . فان كان الاول موسيقى وطربا وسعادة ومرحا فان الآخر اقدار ناس ، وطريق حياة ومستقبل جماعات وامل عند ياس ، وفرج عند ضيق .

القانون التشريعى هو الحكم . وليس انعاما تدغدغ اوتار النفوس ثم ينتهى اثرها .

فكاتب المقالة حين يكتبها يرجسو لها واحدة من اثنتين . اما أن تصبح موضع اهتمام المسئولين فيناقشوا ما جاء فيها ويطلعوا على الناس بقرار حاسم وأما يصدر من المسئولين بيان يناقش ما جاء فى المقالة ويبين المحاذير التى قد تترتب على تنفيذ الرأى فى المقالة .

المقالة مشاركة من الكاتب الذى يمثل الشعب فى المسئولية . وليس من الحتم أن يكون الكاتب حامل حقبة وزارية حتى يشارك فى الرأى . فهو بما هو كاتب يعايش الجماهير معايشة لا يطيقها الوزير المشغول بالمقابلات وبطلبات أعضاء مجلسى الشعب والشورى وباستقبال العائدين وتوديع المسافرين من ضيوف الوطن .

فهيهات له ألف هيهات ان يفرغ الى نبض الجماهير ومشاكلهم وآلامهم واذا اضفنا الى أعبائه مناقشاته مع الدول الدائنة ومع الدول التى نرجو أنه تكون دائنة واضطراره أن يكون حاضرا فى حفلات الاستقبال التى تقام لمثل تلك الدول لأدركنا - مع كل اشفاقنا على الوزير - انه عاجز تماما عن تعرف رأى الناس فى أنحاء مصر جميعا . وأنا لست أعنى العذابات الصغرى مثل انقطاع النور فى قرية غزالة بالشرقية ولا انقطاع المياه فى حى السيدة زينب - رضى الله عنها - بالقاهرة لا ، ولا أقصد انفجار ماسورة أو تراكم نفايات .

انما أقصد الخطوط العريضة فى الحكم التى لو التفت اليها المسئولون ما نغصت هذه المسائل الصغرى حياة الناس .

ولكننى أرى عجبا . تظهر المقالة لى اليوم فاذا بى فى المساء أتلقي الكثير من التليفونات يطلبنى فيها أصداقائى من الوزراء يهنتون بالمقالة

أسلوبا وموضوعا ، وكل ممدوح ينعقد منى اللسان وينولانى العى
وتسيطر اللعنة على لسانى وتتخلج شفتائى من نضوب الكلام .

ولكن معالى الوزراء يفوتهم اننى مع شكرى العميق لكريم مديحهم
لم أتصور أن يكون هو الاجابة .

فانا انسان وبما هذه الصفة يزهيئى المديح وأسعده له وأخجل معه
أيضا ولكن ما اليه أتصيده ولا أنا أحاول أن أقصده بما أكتب .

انما أنا فرد من هذا الشعب يسرى الله سبحانه وتعالى ألا أقول
الا ما أعتقد أنه الحق يؤازرنى فى ذلك اننى برىء من أى مطلب شخصى
فلا طامع أنا فى منصب حكومى ولا ناظر الى مكسب مادي . كل أمل
أن أقول كلمة حق وأن تجد فى موطنها أذنا صاغية تبتعث عملا حاسما
ان كان ما أقوله على صواب أو بياننا من الحكومة أن كان ما أقول يستحق
الحوار .

ولست أحسب ان ما نكتبه نحن الكتاب من الهزال بحيث لا يحتاج
الى اذن أو بيان . فانا لا أنسى كلمة قالها رئيس دولة أجنبية عن كتاب
مصر . أكاد أذكر بحرفيتها « ليس فى كتاب العالم كتاب يتمتعون
بالاجلال والاكبار قدر ما يتمتع كتاب مصر به فى مصر وفى العالم العربى
من الشعوب العربية جميعا » .

فان كان هذا صحيحا وانه لصحيح فنحن من معاملة الناس لنا
فى مصر والعالم العربى نحس انه صحيح فكيف لا نحظى من حكومتنا
بمناقشة ما نقول .

واستدرك . ان الحكومة فى مصر فى تعاملها الشخصى معنا لا تبدى
الا كل احترام وتوقير واجلال . وهذا أمر طبيعى فالوزراء فئة متحضرة
تفهم ما تعنيه صفة كاتب فى الحياة .

وانا نشكو ان الحكومة لا تناقش ما نكتب ، ولو ان كل وزير خصص
فى مكتبه موظفا ليقرا له ما ينشر عن وزارته . ثم وجه هذا الذى ينشر
الى الجهة المسئولة للمناقشة أو للمحاسبة لأصبح الأمر ميسورا لاعنت
فيه على الوزير ولا أرهاق .

أما أن نقول ولا نلقى الا المديح فهذا امر جعل منا شعراء لا كتابا
وما اعظم ان نكون شعراء ، الا اننا أصبحنا شعراء بالمعاملة وليسنا شعراء
بالمسعر .

وينتهى بنا الأمر أن نصبح أو نمسى ونحن لا شعراء ولا كتابا وانى
أتمنى من الحكومة الموقرة ، أن تشيع بين ربوعها أن الشعراء يحبون
المديح .وتناقض ما تفيض به عبقريتهم أما الكتاب فينتظرون شيئا آخر هو
أن يصبح قولهم عملا ، وجواب ندائهم لبيك . . . لبيك نعم . . . أولبيك
لا . . . فاننا نوجه قولنا الى الهيئة التنفيذية والتشريعية معا وكل أملنا
أن نجد منهم سميعا وعمالا . . وما هذا علينا ولا على الوطن بكثير .

١٩/٩/١٩٨٩ الأهرام

يا عجبا تل اعجب

أقلب عيني في الناس في بلدى فأرى عجبا : أرى الفقر الطاحن
الشديد والعسر القاصم العنيد وينفجر موضوع الريان فاذا : الإحصاءات
تقول : أن المودعين لديه يزيدون على مليونين من المودعين •

وأقلب عيني في الناس في بلدى فأرى عجبا : أرى الموظفين في
الحكومة وفي القطاع العام تؤودهم الحياة وتثقلهم أعباؤها وأرى السيارات
الفارحة تنوش شوارع القاهرة • وأرى من البضائع ما لا يستطيع شراءه
الا من فحش ثراؤه واستشرى ماله وفجر غناه • وأسمع ان بعض ملائس
السيدات منها الفستان يتجاوز الألفين والثلاثة والخمسة والعشرة من
الجنيهات • ولو لم تجد هذه البضائع مشتريها ما عرضها بائعها •

وأقلب عيني في الناس في بلدى فأرى عجبا : أرى خريج الجامعة
مشردا يتسكح حول الوزارات والمصالح وشركات القطاع العام وبيوت القطاع
الخاص ولا يجد وردا يسقيه ولو بضع نقاط يبل بها شفتيه وأرى غير
المتعلمين مقبلين على المخدرات يبذلون في سبيلها المال الضخم ويتباهون
ان ينفقوا على أمزجتهم الملايين •

وأسأل نفسى وأسأل الناس وأسأل الخبراء أكان هؤلاء الملايين من
الناس يلجأون الى الريان لو كانت أموالهم تجد الثقة والطمأنينة في
البنوك الشرعية والمشروعة •

ان أموالهم تفر كالفئران الجازعة الى شركات النصابين والأفاقين
لأنها لا تجد الأمان في المكان الذى كان ينبغي له أن يستقبل أموالهم •
فتصبح كالمستجير من الرمضاء بالنيران لا بالنار الواحدة •

وأي أبله يضع ماله في بنك شرعى فاذا وافاه الأجل المحتوم صادرت
الدولة ماله باسم قانون أخرق مجنون اسمه « ضريبة التركات » كان
وما زال من أكبر العوالم التي دمرت اقتصاد مصر • فالآباء قلوبهم على
أبنائهم رقيقة شديدة النبض وهم يريدون أن يتركوا لأبنائهم ما يقيمهم

التشرد وتكف الناس وسؤال اللئيم أو الكريم • والآباء فى آخر عمرهم يحتاجون الى الدواء والى شىء من الدعة والطمأنينة فاذا باعوا لأبنائهم ما يستحقونه من ميراث أصبح لأباء تحت رحمة الأبناء وتنقلب شريعة الله رأسا على عقب وكثير من الأبناء - كفانا الله السيئات - قساة على آبائهم وأمهاتهم غلاظ القلوب فى أعراقهم نحو ذويهم جفاف وفى خلقهم تنكر وخسة •

ويعيش الأب الذى أعطى مهنداً من الابن الذى أخذ أو يعيش الذى وهب يستوهب الآخرين بعد أن قطع عنه ابنه موارد العيش •

هذه حالة من حالات الذين لجأوا الى الريان وأشباهه • وهناك حالات أخرى كثيرة •

فاللأ عزيز شديد الهلع مرتعش القلب من الخوف • والذى لاشك فيه أن الغالبية العظمى من ألقوا بأموالهم الى الريان لا يسيشعرون الثقة فى البنوك الشرعية وهم يرون الحالات أمامهم تثير الرعب والذعر •

طمأنتهم الحكومة الى شهادات الاستثمار فأقبلوا عليها فاذا بقانون الشركات يلاحقها ويقطع ريعها وينضب عطاءها •

وطمأنتهم الحكومة الى الاستثمار فاذا باللوائح والقوانين تلاحق المستثمرين وكأنهم لصوص أو تجار مخدرات وتفترض فيهم الاتهام قبل البراءة والخبث والكذب دون سلامة الطوية والصدق • وليس المستثمر متبرعا وإنما هو انسان يريد أن يزيده ماله وينفع مصر فى وقت معا •

ولكن كيف يجرؤ على هذا • كيف تسمح له أماله أن يزيده ماله • ما دام قد تجرأ وأقدم فليصدق اذن الوبال والنكال ولتنقض عليه القوانين تفترس جهده افتراسا وليتعطل ماله أو لينهب به الى المفترسين من وحوش الريان •

ولو أن هناك بورصة أوراق مالية يتداول الناس فيها الأسهم تحت رقابة الحكومة وتحت أعينها لنشأت الشركات المساهمة ولقصده اليها الناس فى اقبال وطمأنينة •

ولو ألغى قانون الشركات جملة وتفصيلا لأودع الناس أموالهم أمنين ولانهالت على مصر أموال المصريين الذين يودعون أموالهم بالخارج ويبقون

الى جانبها فاذا ماتوا فليموتوا بجوارها ويلحق بهم الورثة الذين يفضلون
أن يعيشوا مستورين بالخارج على أن يعيشوا متسولين بمصر .

وأصحاب الغناء الفاحش يهربون أموالهم ويترجمونها الى عمارات
شاهقة بأسماء وراثتهم اما أصحاب الأموال المتوسطة فهم الحائرون وهم
الغالبية الكاثرة .

وكانوا فى الماضى يشترون بها أسهم الشركات المساهمة وتطمئن
بهم القلوب وترتاح جنوبهم الى المضاجع وتنام منهم العيون ملء جفونهم
فهم فى حوى الدولة .

ولكنهم اليوم ماذا يصنعون والدولة هى التى توقع الهلع فى قلوبهم
وتقضى منهم المضاجع .

ان أموالهم لا تكفى لشراء أو اقامة بيت أو حجرة وهم لا يستطيعون
أن يشتروا أرضا زراعية فمالك الأرض اليوم متسول على أبواب القرية
لا يكاد يجد قوت يومه .

وان ذهب الى الريان انتهت أمواله .

وان أودع فى البنك ماله التهمة قانون التركات وان اشترى شهادات
الاستثمار التقمه رسم الأيلولة .

وان شارك مستثمر انهالت عليه سياط القوانين الشاذة المسمرة .

ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسينا هو ونعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٨/١٢/١٢

بعد غد

من الأبيات الشهيرة لعمر بن أبي ربيعة قوله :

كلما قلت متى ميعادنسا ضحكك هنيئاً وقالت بعد غد

وربما لم يعرف الأدب العربي تعبيراً أجمل مما جاء فى هذا البيت عن الموعد المطول والوعد الذى لا يتحقق ويروى الناس عن صاحب مطعم صنع مثل هذا الصنيع فعلق لافتة على مطعمه تقول « ياكل اليوم بالأجر ياكل غداً بلا أجر » وأبقى اللافتة لم يرفعها فلم يأت هذا الغد المجانى أبداً .

وأحسب ان السلطتين التنفيذية والتشريعية سمعتا عن بيت ابن أبى ربيعة الذى يماطله ويقصيه عن مواعده الى حيث لا يدري من الأيام .

أو لعل السلطتين - وهذا أقرب للمعقول سمعنا عن هذه اللافتة المانحة المانعة الواعدة الكاذبة التى علقها صاحب المطعم . والثى منحت الأمل ثم منعتة وبذلت الوعد يوم تبدت على باب المطعم ثم أخلفته ببقاها فى مكانها .

أرى السلطتين تؤجلان القوانين التى تعدان بها تأجيل هند لعمر وتأجيل التاجر لموعده والا فبربك قل . أين القانون الخاص بالعلاقة بين المالك والمستأجر فى العقارات والأرض الزراعية على السواء .

ترى أنتدري السلطان أن عقده ايجار الشقة غير المفروشة قد الغى تماماً من الحياة المصرية اليوم وأصبح أصحاب العمارات لا يتعاملون الا فى بيع الشقق دون أن يفكروا لحظة فى ايجارها .

ونسلم أرقام البيع والشراء للشقق فنصبح واغوثاه ولولا بقية من تماسك لأغص على المستمعين .

أرقام تعتبر بالنسبة إلينا نحن أبناء جيلنا سماعيات • نسمع بها ولا نراها ونستهولها اذا سمعناها وكأنما هي الفاظ من المريخ أو الزهرة أو مما شئت من كواكب الكون التي لا شأن لنا بها نحن اصحاب الدحور الشريفة الذين لا نعمل فى شركات توظيف الأموال ولا فى نهريب المخدرات ولا فى نجارة العمله • ولا فى سوى الرشاوى •

نسمع فى ميادين الشقق المفروسة بمائه وخمسين الفا ومائتين وخمسين الفا • وثلاثمائة ألف ويصل الهوس الى خمسمائه ألف وقد ينفجر المليون فى اذان السامعين •

اتدرك السلطان معنى هذا ان الذين يطيقون أن يحصلوا على سقف يحميهم برد الشتاء وزمهريره ، وحرور الصيف وسعيره هم أولئك الذين يسرقون الشعب أو يخدرونه أو يتاجرون بشرفهم وبوظائفهم فى أموال مصر ولا سقفت للشرفاء ولا لأبنائهم

وكل ذلك بفضل القوانين المخبولة التي تحكم صلات المالك بالمستأجر والتي جعلت الملاك جميعا يحجمون عن بناء عمائر للايجار • وماذا يدعوهم الى هذا النوع من الاستثمار الذى يجعلهم يتعرضون لما يسمى بقانون خلو الرجل ويجعلهم عرضة لسفك الدماء يطالعههم من لجان التقدير شريفة كانت هذه اللجان أو غير شريفة •

وهكذا أصبحت القوانين الرعناء التي تقول اللافئات الجوفاء انها تخمى بها ذوى الدخل المحدود هي التي تقضى القضاء المبرم على ذوى الدخل المحدود • فهؤلاء قد يجدون ايجاز شقة مهما يرتفع سعره ولكنهم باليقين وبالقطع لن يجدوا ثمن شقة مهما يرخص قدره •

والمساكين الآخرون الذين قضى عليهم الزمان أن يكونوا اصحاب أرض زراعية يقاتلهم قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر منذ ستة وثلاثين عاما • مات فى أنسابها أغلب الذين تسلموا الأقدنة الخمسة الشهيرة وأصبحت الفدادين الخمسة فتاتا فى أيدي خريجين من الجامعات لا يزرعون ولا يفلحون ولا يستطيعون أن يبيعوا الفتات الذى بقى لهم • وقس على حالهم كل مالك حكم عليه القدر أن يترك له أبوه أرضا زراعية وتركه يصارع الأيام وقوانين الاصلاح الزراعى على ملك لا يملكه ومال لا يجرؤ على التصرف فيه وانما تحيط به المخالب الحادة القاطعة والأناب الشرسة المسعورة •

يكن من سيده لا حول لها ولا قوة لا تملك الا عشرة أفدنة أو أقل
لا يستطيع ريعها أن يسد منه الرمي وحدها فكيف بها لو كانت لها إبناء
يريدون أن يتعلموا ويأكلوا ويلبسوا ويغالوا • وتحاول أن تباع أرضها
أو تباع من أرضها فتظل عليها قوانين الإصلاح الزراعي وحوشا ضاربه
سفاحا للدماء خذة بكل خناق *

ويقول أصحاب اللافتات ان الأرض لمن يزرعها وان هذه المرأة
المسكينة وأشباهها وقد أصبح أغلب الملاك اليوم أشباهها - اقطاعيون
استلبوا الأرض وما ملكوها واغتالوها ولم يأخذوها بالطريق المشروع الذي
قضى به رب العرش في غلاه *

وننظر الى القرآن الكريم فنجد لم يفصل في آياته أحكاما كما فصل
المواثيق في سورة النساء مما يدل على قداسة الملكية فهي مال الله
استخلف فيه عباده ويريد سبحانه أن يطهر ماله من الظلم والعسف
والجبروت *

ولكن قانون الإصلاح الزراعي يعارض رحمة ربك وينزل العذاب
الاشقي بمن كتب عليه أن يكون صاحب أرض *

وكذلك يفعل قانون التركات أيضا وانى أنتهز الفرصة وأقدم أصدق
التحية والإجلال لمفتي الديار المصرية السيد الأستاذ الدكتور سيد طنطاوي
على فتواه الخاصة بقانون التركات تلك الفتوى التي تدل على أمانة الرجل
وشرفه وتصديه للمبكر بقوله لا اله الا الله محمد رسول الله • وبارك
الله في رئيس الجمهورية حسني مبارك الذي استجاب وأمر *

قوانين كثيرة وعدت السلطان بالنظر فيها • وكلما قال بها الشعب
متى ميعادنا ضحك السلطان وقالت بعد عهد • ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي القدير *

١٩٨٨/١٢/١٩ الأهرام

الانسان قراحم

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله يقول في كتابه العزيز
« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

تعاليت يا سبحانه اكرمتنا وكرمتنا ونأبى نحن الا ان نقتل
انسانيتنا ونلهم المعانى الشريفة الكريمة السامية التى أودعتها فى كياننا .
فما الحياة يا رحمن السماوات والأرض ان لم تتناسم فيها الرياح الطيبة
الجنون من التآخى والمحبة والتواد والمشاركة الوجدانية بين الانسان
والانسان .

• أى حياة تلك اذا سادها عقل الحيوان وهو بلا عقل وعواطفه وهو
بلا عواطف وقوانينه وهو بلا قانون أى حياة تلك ان أصبح الانسان الذى
خلق الله له العالم أجمع وفضله على كثير من خلق تفضيلا بلا خلق
ولا رحمة ولا قلب ينبض بالمعانى الانسانية الرفيعة .

هانت الحياة وشاهت معالمها وسقط عمودها وانهارت فيها معانى
الوجود اذا أمسك كذلك .

• اذا لم يشارك أخانا الانسان فى أجزائه واذا لم تعرف كيف نواسى
المحزون الذى فقد ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه بكلمة طيبة ونبرة تعينه على
بلواه فماذا نحن من الانسان وكيف ندعى اننا جديرون بما فضلنا به
الله على كثير ممن خلق تفضيلا !! ثارت فى نفسى هذه الثائرات وأنا
أرقب مقتله ذلك الضابط الشهيد فصام الدين شمس بيد كافرة جاحدة
غادرة فاذا بجرائد المعارضة تطلع علينا وكأنها سعيدة بالحادث قريرة
العين به . . ويل للانسانية من الانسان اذا كان على هذا الشبط من
الانحدار والهبوط وتوغل الجحدي الجرائد المعارضة فتحاول أن تنال أم
الشهيد بما تبشره من أخبار كاذبة ساقطة مهينة وتصدير الجرائد الأخرى
فى اليوم التالى ان أم الشهيد مصابة بالشلل . . من أى جيلة هؤلاء الذين
يتصدون للحياة العامة وعلى أى خلق هم أو لا تسرى فى عروقهم دماء

انسان ام هى دماء حيوانات باطشة كاسرة أكلة للحوم النيشر أهم الذين ضرب الله بهم مثلاً فى النذالة فى قوله « ايجب احكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » . . انهم صنف من البشر يشرف البشرية ان يتقى منها ويلغى من سجلاتها ويحذف من وجونها .

ان هؤلاء الضباط هم أمننا وحمانا وهم حصننا فى مواجهة الوحوش الكاسرة التى يسلطها الأعداء على مصر بالمال المنهمر أولئك الذين يشبهون السلاح على الأمنين من أبناء مصر ليصلوا بسلاحهم الباطل الى الحكم المشروع أولئك الذين فشا الجهل فى رؤوسهم ويريدون ان يجعلوا من جهلهم دستوراً وقانوناً وحكماً سيصبحون فيه دعى تحركهم الأيدى التى انفتحت عليهم وأنغذقت على فجورهم بالسلاح الحديث وبالمال الوفير .

ان هؤلاء الضباط هم دروعنا من المؤامرات فى الداخل والخارج فكم ذا بصر من عدو يتربص بها الفتن من الثورات وقد بلغ بهم الفجور انهم يدعون الى الثورة علانية فى غير خجل وهم فى جهلهم العمى المافون يجهلون ان هذه الثورة التى يدعون اليها وينادون بها سنجعلهم هم أول حطب لها وستحرقهم أول من تحرق . هؤلاء الضباط يحمونهم من ويلات غيرهم ومن ويلات أنفسهم ولكنهم قوم خصمون كما يقول القرآن الكريم يحرصون على الخصام أكثر من حرصهم على الحياة ان هؤلاء الضباط يبدلون السهر ليتيحوا لنا ان ننام ويضاعفون من جهدهم فى العمل لنستطيع نحن ان نقوم بأعمالنا فى أمان ويقدمون حياتهم ليحافظوا على حياتنا ليكون شكرنا لهم ما تطالعنا به هذه الصحف الوالغة فى دماء البشرية والمحطمة لانسانية الانسان ان المعارض الأمين هو الذى يصدر عن الشرف والصدق والانسانية والكرامة انه يحتاج الى رضا المصريين عنه ويعلم الله ان المصريين يقدسون الحب ويذرقون الدمع فى مواساتهم بعضهم لبعض ويفرحون غاية الفرح لخير بصيب بعضهم حتى كان الخير أصابهم . هم شعب حلیم يحب الحب شعب مصر وتتناغم أصداء التراجيم من جوانحه شعب يكره الحقد ويحتقر الذى لا يوقر الموت مهما يكن شأن الميت فكيف اذا كان شاباً فى مقتبل العمر وفى زين أبنام الحياة وكيف اذا كان ضابط شرطة وكيف اذا كان قدم حياته وهو يقم بواجبه .

اذا تم تبيض قلوبنا بالرحمة لقتل هذا الشاب فمتى تبيض أما ان يكون نبضها حقداً وكراهية وسخيمة فلا والله ما هؤلاء من الانسان فى شىء اسمعوا يا هؤلاء ان الشعب لن يهب لكم شيئاً من عطفه ان لم يشهد ان فى صدوركم قلب انسان لا قلب حيوان واسمعوا يا هؤلاء ان الشعب

لأن يهب لكم شيئاً من حبه إذا لم يشعر أنكم تحبون مصر كل الحب وانها
هى لا كراسى الحكم فيها هى الهدف وهى الغاية وهى النشيدة التى
نسعى لاعلاؤها سعى المخلصين المؤمنين بربهم ووطنهم ولن تبلغوا من
الشعب هذا المكان أو يقرأ الكلمة الصادقة تصدر عن صحفكم بريئة من
الشوائم بعيدة عن الأحقاد والله من فوقنا هو ولى التوفيق .

١٩٨٨/١٢/٢٦ الأهرام

لك الله يا مصر ٠٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠ تكاثرت حولك السهام تصوب
إليك من الخارج ومن الداخل في وقت معا ٠٠ وتتناوشك مشاعر الغضب
عليك أحيانا أو عوامل الحقد في أحيان أخرى ثم لا يرحمك من تجرى
مياحك في دماؤه وهوأوك في صدره ٠

يطلع عليك من الغرب غفريت يدعى أننا نصنع الأسلحة الكيماوية ٠
وهي أسلحة لا يستعملها أحد مهما يكن مجرما ولكنهم لا يجدون ما يهاجموننا
به الا هذه القالة الساذجة الرخيصة وعلم الله أنهم بهذه التهمة انما
يخفون أسبابا سياسية أخرى فهم يريدون صلتنا بهم أن تكون صلة
التابع بالمتبوع لا اللد باللند متوهمين أننا لا ندرك كل الادراك أنهم اذا
كانوا يقدمون لنا المنح والقروض فما ذاك الا لصوالجهم الوطنية في منطقة
نحن فيها الدولة الكبرى ٠ ولا بأس عليهم ولا حرج علينا أن تكون المعاملة
بيننا تبادل مصالح لدولنا ٠٠ أما أن يتصوروا أن نكون نابعين فهيئات
وكبرت كلمة تخرج من أفواههم ٠ فاذا أبينا راحوا يلقون هذه الحجارة
الرعاء الخرقاء التي لا يصدقها أحد ٠ ووالله ما اهتزت لنا شعرة من
تهمتهم ٠

ولقد تصدى للتهمة رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك بما
يحيط به من ثقة وطيدة في صدقه يعرفها عنه العالم أجمع وقمع الفتنة
في مهدها وجعل حديثهم هراء هذا الحديث الذى يذكرنا بالبيت
القديم ٠٠

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول.

ويطلع علينا من بعض صحفهم حديث آخر يتناقله المفرضون في مصر
بصحفهم أن أموال المنح والقروض لا تنفق جميعها في المصالح العامة وانما
تختانها وتستولى على نسبة كبيرة منها ايد ليست آمنة ٠

وأنظر أن أجد تكديبا لهذا التصريح الخطير ولكن لا تكذيب وكان
التهمة ما وجهت ٠ والوزراء المسئولون كل لهم شأن يغنيه تاركين نهمة
على هذه الدرجة من الخطورة تجتاح سمعتنا ٠

وان ما يترتب على هذا التصريح أمور على درجة بشعة من آثار ان.
لم تفعل الا أن تفزع الآمن من نفوس الدول التي تتعامل معنا لكان هذا
حسبها وفوق الحسب .

إذا لم يكذب الوزراء مثل هذه الأثاويل فماذا يكذبون . بل أى
شئ يصنعونه أهم من أن يجعلوا سمعة مصر المالية نقية نقاء البالدور
شفيفة متأنقة كأحجار الماس .

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك .

ام ينتظرون أن يكذب رئيس الدولة - مع كل الشواغل التي تحيط
به - كل كلمة تقولها صحف الغرب عن مصر فهم أذن فى لهو يلعبون .
ان رئيس الدولة بما يعرفه العالم عن شخصيته العظيمة لا يعنيه مطلقا أن
يتخلف وزير عن استقباله ويشغل نفسه بأى شئ يكون فيه مصلحة
مهما تكن ضئيلة لمصر . عام الله ليس يعنى رئيس جمهوريتنا بالمظاهر
والمظاهرات وعلم الله أنها لا تحرك منه ساكنا وعلم الله أنه يهتم كل
الاهتمام بأقل نفع يعود على مصر والمصريين . فمتى متى - بحق الله -
يعرف عنه الوزراء هذا . وقد ظلوا فى مناصبهم سنوات عرفوا فيها خلق
الرئيس وترفعه عن صغائر الأمور واهتمامه بكل ما يعود على مصر بالخير
والوفر والرفاهية .

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك .

أما كان بحسبك أن تواجهنى المتألمين عليك من خارجك بل فرض عليك
أيضا أن تشفى بعض العاملين بالفنون بين ربوعك .

وأشهد - فيما أشهد - أفلاما للسينما تقدم أسوأ ما فى مصر من
أماكن وقبور واطلال وحفائر ولا يقف بهم الأمر عند هذا . بل أرى منذ
أيام فيلما يرمى كل شئ فى مصر بالقذارة . فالبنوك المصرية حافلة
بالقذارة فى أرضها ومبانيها وبسوء المعاملة من العاملين للعملاء وعلم الله
أن ما قاله الفيلم كذب واختلاق .

أيحتمل الحال فى مصر ان نختلق المساوىء اذا لم توجد .
أمصريون هؤلاء ! أقسم غير حانث لو أن أعداء مصر كتبوا عن مصر بكل
الحقد الذى يحملون ما تجرأوا أن يختلقوا هذه الأكاذيب عن مصر .
ولا يكتفى المؤلف والفنانون الذين شاركوا فى هذا الفيلم بهذا بل أنهم

يزيدون كاذبين أن الكراسى فى الفنادق الكبرى عندنا تمزق الملابس لما بها
من مسامير وأدوات حادة ..

أين هذا ؟

كذبوا والله وافتروا ..

بل أن الفنادق الكبرى عندنا تنافس أعظم فنادق العالم فى أناقة
الأثاث والنظافة وحسن المعاملة ..

وأريد أن أسأل أمثال هؤلاء المتهمين على مصر من داخلها أما
أختلجتم فى نفوسكم نامة أو خجلة من حب مصر .. وهل تدركون ماذا
أنتم صانعون بوطنكم عند من يرغب فى زيارتها سائحا أو مستثمرا ..
وهل قدرتم وأنتم تختلقون هذه العيوب الخرقاء الحمقاء التى لا تمثل
الحقيقة فى شيء .. أى سلاح فتاك تفرسونه فى صدر الاقتصاد المصرى
بمثل هذا الهذر الذى ألقاه ممثلكم فى الفيلم ببساطة كأنما يذكر حقائق
لا تقبل المجادلة ..

وان عجبت فأعجب معى من شخصى يلقى على أمة .. وهى أمة
السخرية والهجوم وكأنه لا يصنع جرما يتصاغر معه كل جرم ..

عشت يا مصر .. وستعيشين خفاقة الاعلام وأن رغمت من الخارج
أنوف .. وان ضمرت فيك من الداخل عقول .. فان الله جل علاه هو
جراعيك فى علباء سمائه .. وحسبك الله راعيا وكفيلا ..

١٣/٤/١٩٨٩ الأهرام

حين يميل الميزان

وقد يتساءلون وربما طاف تساؤلهم نحن الكتاب أيضا • إذا كنتم تكتبون الى غير سميع وتنادون على غير مجيب فقيم مجهودون أنفسكم وفيهم تتعبون خلق الله من القائمين على شئون الجرائد الى جامعي الكلمات الى القراء ••

اليس الصمت بكم أولى ثم أولى ••

ولكن هيهات ••

فنحن الكتاب واجبنا أن نكتب وليس يجوز لنا أن نتخلى عن واجبنا والا جعلنا من أنفسنا مثلا للهازلين غير الجادين الذين لا يعملون ولا يريدون أن يعمل الناس •

والكتاب شخصية عامة • وكل شخصية عامة عليها واجبات لا تحملها الشخصية غير العامة ••

الشخصية العامة عليها أن تكون مثلا أعلى في كل تصرفاتها الخفى منها والظاهر ، وينبغي أن تقدر الحمل الذى يقع على كتفها تقديرا عظيما • فما يجوز لغير الشخصية العامة لا يجوز للشخصية العامة مادامت الشخصية قد حظيت بمعرفة الناس لها أصبح واجبا عليها لا محيد عنه أن تحترم نفسها عند هؤلاء الناس •

والشخصية كل متكامل • أنا أرفض أن أعطي للشخصية العامة حريتها الشخصية كاملة ، فهي منذ أصبحت عامة ضاقت عليها دائرة الحرية الشخصية الى أقصى حد •

انظروا الى أمريكا التى تأبى تعيين وزير بها لأنه يشرب الخمر • ليس شرب الخمر حرية شخصية ولكن المجتمع الأمريكى الذى لا يحرم دينه الخمر رفض أن يكون وزيره حليف كأس وأخا شراب •

والأمر عندنا مرفوض بما حكم به ديننا من تحريم للخمر ، وربما
يتحتم على الشخصية العامة من استقامة خلق ونقاء سيرة وبراءة
صفحة .

وانظروا الى انجلترا كم أرغموا وزراءهم أن يتركوا الحكم لأنهم
لم يستطيعوا أن يحافظوا على صورة كريمة لهم عند الرأي العام . .

وانظروا الى جميع دول العالم المتحضر تجدوا هذه القاعدة ثابتة
صلبة لا تضعف ولا يصيبها وهن . .

وإذا كانت هذه القاعدة الكريمة واجبة وجوبا على الوزراء وأصحاب
المناصب . .

فهو أشد وجوبا على الكاتب لأن الكاتب نصبه مواطنوه لسانا لهم
ونبضا لمشاعرهم . وكلمة منه لا تصدر عن القلب تسقطه عند الذين
اختاروه سقوطا لا قيام له بعده . .

فاذا امتنع عن الكتابة لأن نداءه لا يبلغ الأذن التي ينبغي أن تسمعه
فقد نكص عن واجبه وخذل أولئك الذين يثقون به وملاهم حسرة واما
ويأسا ومرارة .

فاذا كان هذا حتما عليه وفيه يكتب فهو حتم عليه أيضا فيه يفعل
حتى في خاصة شأنه ، وفي المطوى من سرائره ، والتخفى من أفعاله ، لأن
الكاتب يطالب بالمثل الأعلى ولا تصلح المطالبة بخلق ما لا ممن كان على
هذا الخلق أولا أو هو عند الناس وعند من يطالبهم بسخرية وأضحوكة
واهزوءة بينهم . . كيف تطالب بما لا تفعل وتدعو إلى شيء وتأتى ضده . .
ان هذا يرجعك الى زمان كان فيه الشعراء يستجدون بشعرهم ولا يهمهم
أن يكونوا أصحاب خلق أو مثل عليا .

وهكذا كتاب اليوم . . فهم اليوم ليسوا وسائل اعلام فحسب ،
وانما هم اليوم أصحاب رأى ، وأصحاب مسئولية وحملة أمانة . .
يضعهم الناس في أكرم مكان ، فإن أبوا الكرامة فليسوا خليقين أن يكونوا
أصحاب أقلام أو رأى أو فكرة في شئون بلادهم ، بل في الشئون الانسانية
جميعا .

فواجبهم أذن أن يكتبوا ٠٠ ولا شأن لهم بالمصير الذى يواجه كتاباتهم ٠٠ فقد يستحب بعض الوزراء أن يقرأوا الحديث الموجه اليهم ثم يطووا الجريدة وكأنهم ما قرأوا شيئا ٠

فاذا واجههم الحديث من مجلس تشريعى سارعوا الى الملجأ الذى يلجأ اليه المسئولون من بدء الخليفة وهو الوعد دون تنفيذه ٠ ذلك الوعد الذى ضاق به المتنبي منذ أكثر من ألف عام فقال بيته الرائع الفريد :

أصبحت أروح مثر خازنا ويذا أنا الغنى وأموالى الماوعيد

وحين يضمن أصحاب المسئولية بِنفاذ وعدهم عن بخل منهم أو عدم اهتمام أو عن خوف من اصدار القرار يطلع عليهم المتنبي ببيته المخالد العملاق :

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

فالوعد دون نفاذ قديم ٠٠ وربما كان الخوف والبخل أكثر قدما ٠٠

ولكن علينا نحن الكتاب أن نكتب كلما رأينا الميزان قد مال ٠ فحين يميل الميزان واجب الكاتب أن يقومه ليستقيم العدل بين الناس ٠

فالكتاب هو أنه المظلوم ودعاؤه وهو صوته وصراخه ٠ والا فمن للناس اليوم ٠٠

ومما يزيد الأمر مرارة أننا نرى رئيس الدولة عادلا شريفا يأبى الظلم ويرفض الحيف ويعف عن مغنم ويصارع بالرأى البعيد كل البعد عن الغرض الشخصى ٠ فما للرجال العاملين معه لا يتخذون منه المثل الأعلى والتبراس وأكرم به مثلا أعلى وأعظم به تبراسا ٠

الا فارضوا ضمائركم واعملوا ما توقنون أنه الخير ثم توكلوا من بعد ذلك على الله العلى القدير فانه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا ٠٠

١٠/٤/١٩٨٩ الأهرام

سنة ١٩٩٠

القنانون هو السيد ..

قال الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك فى حديث للصحافة نحن نريد ارساء سيادة القانون وهذا تصريح يجعل مصر عالية الرأس منوعة الهامة شعبها فى أمن واستقرار وسمعتها العالمية فى أرفع سماء ..

ان احترام القوانين وأحكام القضاء هو السمة التى تمتاز بها الدولة الشريفة الكريمة التى تحترم وجهها أمام العالم والتى تجعل شعبها كريما مطمئنا على يومه وغده، عزيزا بحزيبته وكرامته .

ولقد روى لى أحد كبار رجال القضاء السابقين فى مصر .. « سافرت الى انجلترا وأنا مستشار لدراسة القضاء فيها وأحكام المحاكم .. والتقيت هناك بحامل أختام الملكة لأنه ليس بانجلترا وزير عدل ..

كان ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .. وسألنى عن القضاء فى مصر وكان القضاء فى مصر فى ذلك الحين مستقرا ثابت الأسس عظيم الدعامات .. واجيبته فقال لى :

أما عن القضاء فى انجلترا فيكفى أن أروى لك هذه الواقعة ..

أنشأت وزارة الحربية مطارا بجانب احدى المحاكم فى انجلترا وكانت الحرب فى ذلك الحين فى قمة اشتعالها وكانت الغارات تتوالى على انجلترا فى كل ساعة ولا أقول فى كل اليوم وقد أنشأت الوزارة هذا المطار ليرد عن انجلترا عادية هذه الغارات المكثفة ولكن أصوات الطائرات كانت تمنع القاضى فى المحكمة ان يسمع المترافعين فكانت المحكمة تتوقف عن العمل ..

فأرسل قاضى المحكمة خطابا الى مدير المطار أن يمنع الطائرات من الطيران من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الثانية عشرة ولم يتصور مدير المطار أن يتلقى أوامره من القاضى فلم يحفل بخطاب القاضى واستمرت الطائرات تطير غير أبهة بخطاب القاضى .

فاذا بالقاضى يصدر حكما باغلاق المطار . وذهل رجال الطيران والجيش جميعا وذهب وفد منهم الى تشرشل وكان وزيرا للحرية بجانب رئاسته للوزارة وقالوا له أن قاضى المحكمة أصدر حكما لم يطلب منه أحد أن يصدره وأن هذا الحكم أوقعهم فى حيرة شديدة فمكان المطار مكان خطير ومنه يستطيع الطيران البريطانى أن يرد غارات العدو ولا يتقل. ان يتعرض أمن انجلترا جميعا للخطر من أجل حكم قضائى ولا يتصور أخذ أن تخسر انجلترا الحرب من أجل حكم أصدره قاض لم يطلبه أحد به .

فاذا بتشرشل يقول :

ان تخسر انجلترا الحرب خير لها من أن يقال عنها أنها لا تحترم أحكام القضاء فيها .

وأمر باغلاق المطار .

ولم يحاول أن يناقش القاضى فى حكمه فأحكام القضاء ليست موضع نقاش . . فأعجب من أولئك الذين حاولوا فى مصر أن يناقشوا حكم المحكمة الدستورية العليا الذى صدر أخيرا ببطالان المادة الخامسة من قانون الانتخابات .

وأعجب ما شاء لك العجب من أولئك الذين حاولوا أن يقولوا أن المحكمة تجاوزت وظيفتها حتى قطع الرئيس مبارك كل هذه الترهات والخزعبلات بتصريحه العظيم نحن نريد ارساء سيادة القانون . .

فقد جاء حين من الدهر لم يكن للقانون فى مصر سيادة فكانت السجون والجبوس تغفر فاهها لتلتقم الأبرياء يلقون بين قبضاتها بلا أحكام وبلا رقيب ولا حسيب .

بل جاء علينا حين من الدهر حدثت فى مصر مذبة القضاء أو مذبة القضاء اختر أيهما شئت . .

وجاء حين من الدهر قال مسئول فى الحكومة ان القانون فى اجازة ، كان الحكم الديكتاتورى أبعد ما يكون عن القانون فلا كانت له سيادة ولا كان له وجود والهدم لا يستغرق الا لحظة من الزمن .

أما البناء فيحتاج الى سنوات وسنوات . .

ونحن اليوم فى مصر نحتاج ان نثبت أركان القضاء ليشعر المصرى
انه آمن فى وطنه وعلى أبنائه وزوجته وماله . . مطمئن أن أحدا لن يخطفه
الى السجن بعد أن كان غير آمن على حياته أو عرضه أو كرامته
أو ماله .

وحتى يملو القانون وتثبت رواسيه لابد أن تكون أحكام القضاء
مقدسة لا مجال فيها للتحايل أو التلاعب أو الأتاويل الفارغة غير
المستولة .

ان تشرشل قارن بين أن تخسر انجلترا الحرب جميعا وبين أن يقال
عنها أنها لا تحترم القضاء فيها ورأى أن خسارة الحرب أهون من أن تفقد
انجلترا كرامتها بامتهان سيادة القانون . .

تحية الى الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك لتصريحه هذا . .
وعاشت مصر كريمة على نفسها وعلى كل الشعوب وستبقى عالية الهامة
مرفوعة الرأس ما بقى القانون فيها هو السيد . . حفظها الله ووقاها وأيد
بركنها انه سميع قريب .

١٩٩٠/٥/٢٨ الأهرام

لا كسب لعدوان

عنصر المفاجأة فى السياسة خطير .. والسياسى البارع هو الذى يقدر المفاجأة حق قدرها ويعرف كيف يبادر بها وكيف يستقبلها فى وقت معا .

وقد كانت المبادرة التى طلع بها بوش على العالم مفاجأة سياسية من الدرجة الأولى . وقد كان بارعا فى اختيار وقتها فهو لم يشر اليها ولم يقدم لها ولم يتصور العالم أن يعلنها .. فكل أحاديثه وخطبه لم تجعل أحدا يفكر أن يقوم بهذه المبادرة من جانبه مطلقا .

وقد اختار أن يذيعها فى اللحظة التى قرر فيها مجلس الأمن جواز استعمال القوة العسكرية اذا لم تجد كل الوسائل الأخرى فى تراجع صدام حسين عن تعنته وإصراره على احتلال الكويت .

والدول الديمقراطية ينظر رؤساؤها الى المجالس البرلمانية فيها وإلى رأى الأغلبية فى شعوبهم .

ولا شك ان دخول الحرب أمر بالغ الخطورة وليس من الميسور أن يوافق عليه الكونجرس أو يرضى عنه الشعب الأمريكى الا اذا كان الأمر متعلقا بالمصالح العليا للأمة وبكرامة الدولة ومكانتها بين الدول .

ولا شك أيضا أن أمريكا تمقت الحرب غاية المقت . وأى شعب لا يمقت الحرب !؟ .. انها أبناء يقتلون وآباء يفقدون ودمار للمال وهول أخذ وتخريب وبيل لنفوس الشعب واقتصاده ، وأثرها لا ينتهى بانتهائها بل أن آثارها الوخيمة تبقى أجيالا متلاحقة من آباء وأمهات يفقدون أبناءهم ومن زوجات يواجهن الترمل ومن أبناء صفار يشبون الى الحياة يتامى وقد حرمتهم الحرب السند والحصن والأمان والحنان من آبائهم وهم بعد براعم تتفتح الى الحياة فيواجهون الموت فى فقدان آبائهم وعائلاتهم ومعينهم على الحياة .

وإذا كانت الحرب وبالا للدول جميعا فهي أشد عصفا بالدول التي خاضتها وعرفت العواقب المريرة التي تترتب عليها . وأمريكا خاضت حروبا كثيرة . فاسم الحرب بغیض عند شعبها بغضا مقیتا ضاريا ، فهم عرفوا قساوة الحرب سنوات كثيرة من حياتهم : عرفوها في حرب التحرير وعرفوها في الحرب الأهلية وعرفوها في الحرب العالمية وعرفوها في حرب فيتنام ، وقاسوا من أهوالها ما يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل أن يقدموا عليها . والرئيس بوش يعلم هذا حق العلم . والرئيس بوش لا يستطيع أن يخوض الحرب برأى مفرد ، فهو رئيس دولة ديموقراطية اعلان الحرب فيها من حق ممثلي الشعب وليس من حق رئيس الدولة حتى ولو كان النظام الجمهوري في أمريكا نظاما رئاسيا وليس نظاما برلمانيا .

فرئيس الدولة في أمريكا مطلق اليد والوزراء هناك لا يسمون وزراء ، وانما سكرتارية لرئيس الجمهورية ويطلقون على الوزير سكرتير الدولة . وتوشك الدولة في أمريكا أن تكون الرئيس وحده . الا عند الحرب فلا بد أن يوافق الكونجرس .

الكونجرس يعلم حق العلم مقدار الخطر الداهم الذي يواجههم من التصرف الآخرق الذي أقدم عليه صدام حسين . بل هم يقدرّون بما يشبه الثقة التي لا تقبل النقاش ان في استيلاء صدام حسين على الكويت خطرا داهما على العالم أجمع ، يدركون انه اذا نجح في التناغم للكويت واستولى عليها فهو من بعد لن يسكت ولن تهدأ أطماعه أو يستولى على البترول في الخليج أجمع .

وهم يقارنون بين أن يتركوا هذا العايب اللامع يستولى على مقدرات العالم أو يدخلوا معه في حرب هم يبغضونها أشد البغض .

وهكذا ترى بعضها منهم يرى أن يؤجل الحرب حتى يفعل الحصار الاقتصادي فعله وتسمع آخرين يقولون ان هذا قد يستغرق عاما أو أكثر من عام . ويرى بعض العسكريين أن يؤجلوا الحرب عسى أن يجدى السلام ، ويرى آخرون منهم أن يعجلوا بالحرب حتى لا يصبح الاستيلاء على الكويت أمرا واقعا يتمتع به صدام حسين .

ويرى بعض من سياسة العالم وكثير من رجال الكونجرس الا تنجا أمريكا والدول المشاركة لها الى الحرب الا بعد أن يستنفدوا جميع فرص المفاوضة والسلام . وتقديرا من بوش لرأى هؤلاء وحتى يقدم الدليل القاطع للكونجرس وللشعب الأمريكي انه لم يدخل الحرب الا بعد أن بذل أقصى الجهد في الحديث والكلام وفي أعمال وسائل السلام .

فكانت هذه المبادرة التي تتم فصولها في هذه الايام . ولكن هذه المبادرة في تقديري ليست مفاوضة بين أمريكا وصدام حسين . فالمفاوضة تؤدي في غالب أمرها الى تنازل من الجانبين عن بعض ما يتمسك به كل جانب منهما .

والذي لا شك فيه أن بوش لن يتنازل عن خروج صدام من الكويت ، كما لن يتنازل عن عودة الحكم الشرعي الى الكويت .

وصدام طاغية لا يهمه ان يفنى شعبه كله بل وشعوب المنطقة جميعا . فمن المستبعد أن يتنازل عن استيلائه على الكويت التي جعل منها حيا من أحياء العراق .

ان هذا اللقاء بين بوش والوزير العراقي انما هو في اعتقادي ابلاغ رسمي عما انتهى اليه الرأي عند مجلس الأمن والدول التي تشارك أمريكا في موقفها . . وان هذا اللقاء بين وزير خارجية أمريكا وصدام ليس الا اندازا نهائيا بما يترتب على اصرار صدام وتعننه .

ان هذه المبادرة ليست موجهة الى صدام وانما هي موجهة لاعضاء الكونجرس وللشعب الأمريكي كافة حتى يعلموا ان رئيسهم لم يعلن الحرب الا بعد أن استنفد فرص السلام جميعا . وهيئات أن تكون شميئا آخر فحتى لو اكتفى صدام بالجزيرتين التي يدعى أن للعراق حقا فيهما ، وحتى لو اكتفى بان يكون للعراق طريق الى الخليج ، فانه لا يجوز أن تسمح دول العالم أن ينال هذه المطالب الضئيلة مكافأة له على احتلاله للكويت وضمها الى العراق .

ان اليوم الذي يستطيع فيه المعتدى ان ينال مكافأة على عدوانه هو اليوم الذي يقول فيه البشر وتقول الانسانية سلام على العالمين . . فانها القيامة . .

١٠/١٢/١٩٩٠ الأهرام

« وسوساوس »

الله لنا نحن الكتاب فى هذه الأيام • فالكاتب اليوم لا يستطيع أن يعرف ماذا يمكن أن يحدث فى اللحظة التى تفصل بين كلمة وأخرى مما يكتب ، وأنا واحد من أولئك الناس الذين لا يهدأ لهم خاطر وهم يعلمون أن هناك مسئولية ملقاة على عواتقهم • ولذلك أحرص على كتابة مقالتي قبل موعد نشرها ببضعة أيام وهانذا أمسك بقلمى وأمثل أمام أوراقى وأتھيا للكتابة وأفكار كثيرة تتجاذبنى ثم ما تلبث أن تنماع فى ذهنى لأننى لا أدري ماذا يمكن أن يحدث فى اللحظة القادمة فى السياسة العالمية أو السياسة المصرية •

وأهم موضوع يشغل السياسة العالمية والسياسة المصرية فى أيامنا هذه هو موضوع الخليج •

وموضوع الخليج كله اليوم بيد رجل استعصى فهمه على كبار المحللين السياسيين أو النفسيين أو الاجتماعيين • فهو انسان أعجوبة بين بنى الانسان يملؤه الغرور ويملؤه الخضوع • يتظاهر بالقوة كل القوة ثم يتصرف تصرفات ذليلة غاية الذلة • جهر الصوت فى بعض الأحيان ويغمغم فى أحيان أخرى بتصرّيات لا يفهمها أحد •

انظر كيف فعل مع ايران • هن كان يتصور أن ذلك العاتية المتجبر الذى حارب ثمانى سنوات قتل فيها من قتل من أبناء شعبه وأصاب فيها من أصاب من بنى وطنه • وقتل أيضا مسلمين فى ايران لا عدد لهم ولا حصر حتى أن ايران استعانت بالصربية الصغار فى هذه الحرب الضروسى الطاحنة •

وتنتهى الحرب بانتصار ضئيل للعراق حفظ للرئيس الطاغية بعضا من ماء وجهه ان كان فى وجهه ماء •

من كان يتصور أنه بكلمة مفردة يتنازل عن هذا الانتصار فيجعل السماء التى سالت كلها هباء منثورا لا قيمة لها •

غير أنه بالأسرات العراقية والایرانية جميعا التى فقدت أبناءها
وآباءها وغير ملق بالآلى الأموال الطائلة التى أبهظ بها العراق وإیران
ودول البترول جميعا •

كان جبارا طاغية حين حارب وكان ذلیلا ضئیلا عندما تنازل عما
حارب من أجله •

ولماذا تنازل ؟ • ما أهون الثمن الذى تغياه وما أقل العائد الذى
سعى إلیه • • كان كل ما یرجوه أن یضمن ایران إلی جانبہ فى اغتیاله
للکویت ١٩

وماذا لو كانت ایران قد استجابت لمسعاء الخائب والعالم كله یقف
ضده ومع ذلك فقد خذلتہ ایران وأبت أن تبیع رأیها وكرامتها وانسانیتها
مقابل ما تنازل عنه لها •

وانظر إلیه مرة أخرى فى موقفه من الرهائن الذى احتجزهم من
دول العالم فكان بما صنع وصمة فى جبین التاريخ والانسانية •

ثم هو ازداد فجورا فجعل من الافراج عن بعض هؤلاء الرهائن هدیة
لكبار رجال السیاسة الذىن قصدوا إلیه لیفرج عنم یحتجز فیطلق لكل
زائر بضع مئات لأجل خاطره وكانما الانسان من الرهائن أصبح أشیاء
جامدة لا حس لها ولا شعور ولا حیاة وكانهم لا یشاركونه فى
الانسانية •

أقصى ما یبلغ البشر من جمود الحس وفقدان المشاعر الآدمية •
ثم هو فى كلمة مفردة یطلق الرهائن جميعا ویقف علماء السیاسة وعلماء
النفس وعلماء الاجتماع حیارى ذاهلین • • لماذا صنع ما صنع ؟

ولماذا سمح الیوم بما رفضه بالأمس ؟

ولماذا طابت نفسه أن یلقى هؤلاء الرهائن وأهلهم وذویهم إلی العذاب
الویل طوال فترة احتجازهم ثم لماذا وفى لحظة أفرج عنهم جميعا بلا أى
مقدمات ١٩

ان كان یقصد أن یرضى العالم بما صنع فهیهات فقد كان حبس
الرهائن سبة • وإزالة السبة لا تستحق أن یرضى عنها الناس فالأصل
الذى تعارف علیه البشر ألا یصنع حاکم صنيعه فى الحبس والاحتجاز •

• عيادة الامور الى مجراها الطبيعي الانساني الذي تواضع الناس عليه
لا تستحق شكرا ولا رضاء •

ثم انظر اليه ثالثة وهو يسعى لاهنا بكل جهده أن يجرى حوارا مع
أمريكا •

وتقبل أمريكا بعد قرار مجلسي الأمن بإباحة الحرب اذا امتنع طريق
السلام أن تجرى حديثا مع العراق •• ونسمع رنة فرح صادرة من
العراق •

ولكن الطاغية لغبائه يظن ان ليس في العالم من هو في مثل ذكائه
فيحاول بلعبة مواعيد الحديث أن يجعل قرار مجلس الأمن بتحديد ١٥
يناير آخر فرصة للمسعى السلمي كأنه لم يكن •

وتفهم أمريكا اللعبة طبعا ولم يكن الامر محتاجا لذكاء للوصول الى
هذه النتيجة •

ويتعثر اللقاء مع أمريكا والعراق من أجل تصرفات صبيانية تثير
الضحك والحزن في وقت معا أن يكون حاكم عربي بهذه التفاهة وهذا
الصغار •

ويزداد الامر استدعاء للسخرية حين نرى العراق تحاول ان تصل
اسبابها بالعالم الاوروبي بعيدا عن أمريكا في مظنة خائبة ان تشق ما بين
أمريكا وأوروبا من وحدة في رفض الاحتلال الغادر للكويت •

وما هي ذى الحرب تطل علينا وأنا اكتب هذه الكلمات حتى تكاد
تصبح أمرا لا محيد عنه ولا وسيلة غيره •
ولكن من يدري حين ينشر هذا الكلام ويشرف بقراءتك له ماذا يمكن
أن يحدث ••

فمع انسان مثل صدام حسين كل شيء قابل للحدوث •• ما أشبهه
بابن عمار الذي قال عنه الشاعر القديم :

لا تمدحن ابن عمار اذا نديت كفاه يوما ولا تدممه ان حرما
فانها خطرات من وساوسه يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

ما أصدق الشاعر :

وسبحان الله فله في خلقه شؤون ••
ولا حول ولا قوة الا بالله •

١٩٩٠/١٢/٢٤ الأهرام

سنة ١٩٩١

دماء لا ورقنة

أحاول بكل الجهد ان أكتب فى موضوع آخر غير أزمة الخليج ولكن
هيهات فكيف أستطيع ان افكر فى موضوع آخر والعالم أجمع على حافة
بركان فجرة ديكاتور أحرق فرض على الدنيا جنونه واجتاح دولة بأكملها
وأطلق نكتة سخيفة هزيلة صدقها ان الكويت ما هى الا محافظة من
محافظات العراق وغير لوحات السيارات المعدنية فى الكويت وحاول ان
يغير جنسية أهل الكويت بتغيير بطاقاتهم وأنها أن الجنسية بطاقة وان
الانتساب الى دولة انما هو ورقة يعبث بها كيف يشاء !!

ناسيا ان الوطن حياة ، ودماء ، وأنفاسنا التى تتردد فى جوانحنا ،
وانتماء وحب ، وطفولة ، وصبا ، وشباب ، وكهولة ، وشيخوخة ،
وذكريات ، وزواج وأسرة •

الوطن هو التراب الذى نبتنا فيه من غرس الآباء والأجداد والأحداث
والأيام • وفيه الهواء الذى لانطق ان نعيش فى غيره والأرض لو تركناها
لاختل التوازن منا واضطرب بنا المسير وضاع فى خطونا الطريق والذى
بغيره نصبح هباءة لا أقوام لها ولا وجود ولا قيمة ولا ماضى ولا حاضر
ولا مستقبل •

ان أهل الكويت الذى حاول هذا المعتوه التائه العقل ان يغير
جنسيتهم سيظلون كويتين بالقلب والجسم بالدماء والأرواح وبالهى
والانتماء •

ولكنه يقول ان الكويت جزء من العراق • تنازل ان استطعت عن
سلاحك واعط هذا الجزء الذى تزعم انه من العراق سلاحا ثم انظر من
بعد لمن سيكون هواء وانظر كيف سيحارب العراق حرب مستتمة يدافع
عن وطنه الذى هو شرقه والذى فيه نيا وعليه شبه والذى عليه انجب من
النجب من بنين والذى يطيب له ان يتنزل حياته فداء له •

العالم كله يدرك معنى الوطن الا صدام حسين الذي يريد ان يغير
معالم التاريخ والجغرافيا والذي بلغ به الجنون انه يريد ان يغير مسرى
الدماء فى الجسوم ودقات الأفتنة فى الصدور . غير واع لما يدور حوله
منتكسا فى جحره كالجرذان لا يسمع الا ما يريد ان يسمع . صم أذنيه عن
العالم أجمع مقتنعا - ولا أدري كيف اقتنع - ان الكويت أصبح جزءا من
العراق !

وكم أسفقت وحزنت وأنا أقرأ ان واحدا من رؤساء الأحزاب المصرية
اشترك فى هذه التجربة العالمية التى يرثكها صدام حسين . وكم أسفقت
ان مصريا يزعم ان له حزبا وانه زعيم يذهب الى بلد آخر ويهاجم رئيس
مصر الذى وقف مع الحق فى عظمة يتوجها الآباء ويحيط بها الشموخ .

وأذكر زعيم معارضة انجليزيا ذا حزب حقيقى ووجود سياسى خطير
خرج من انجلترا الى دولة أخرى وتحلق حوله الصحفيون يحسولون ان
ينالوا منه تصريحا ضد حكومته فاذا هو يقول انما ننتقد أنفسنا فى
بلادنا ، فاذا خرجنا منها الى دولة أخرى فجميعنا ينطق بلسان واحد
لا اختلاف بين مؤيد للحكومة أو معارض لها !!

ولكن هذا المصرى - وما أظنه مصرى الهوى أو الفؤاد - خرج لينتقد
رئيسه ويؤيد صدام حسين فى بلد آخر غير مصر لا يرده خجل ولا يقف
به تحياء ولا تمسك لبسانه كرامة مصر وسمعتها التى حاول أن يشينها
ويجثو عليها التراب .

كبرت كلمة تخرج من فيه وشاء قولها وفعلا وحسبنا فيه مقت وطنه
واحتقاره والصغار الذى يحيط به من كل جانب .

وبعد ... فماذا يخفى القدر ؟ .. أحربا - وهذا هو الأمر الراجح
رجحانا يقرب من التاكيد - أم سلاما - وهذا هو الأمل الذى مازال يداعب
بعض النفوس .

الأبله المجنون فى العراق يقول لن انسحب من الكويت أبدا فهى
جزء من العراق .

والرئيس الأمريكى يابى حتى ما يقوله قواد جيشه ان الحرب يجب
ان تؤجل الى فبراير . ويصمم على ان تكون الحرب فى يناير ، ومع اقتراب

يناير من فبراير الا ان الرئيس الامريكى مصمم ان ينفذ قرارات مجلس
الامن ودول العالم اجمع .

ورئيس وزراء انجلترا يهدد طاغية العراق بانه سيفعل به الافاعيل
ان حاول ان يستعمل المواد الكيميائية فى الحرب .

ورئيس تركيا لا يكتفى بهذه الجشود التى جشيتها دول عظمى فى
العالم ويطالب بان يشترك فى الحرب وان تكون ارض تركيا منطلقا
للطائرات الضاربة فى حرب العراق .

وكم هو ضئيل بصيص السلام وكم هى مشتعلة نيران تعد للحرب
الرؤساء فى الدول المشتركة فى حرب الخليج كلهم يدركون معنى كرامة
أوطانهم ولا يتصور أحد ان يخذل واحد منهم وطنه ويطيح بمصالحه لتصبح
جميعها فى يد رجل واحد مذهب العقل مزلزل الوجدان .

وما جيش هؤلاء الرؤساء جيوشهم ضد صدام الا لحفاظا على مصالح
أوطانهم وكرامة هذه الأوطان وترسيخا لاستقرار الحياة فى العالم .

فأى عالم سيصبح ذاك اذا حكمه المجانين والمخاييسل والساعون الى
الدمار والمخربون فى الأرض والمحطمون للحياة والناهبون للأوطان
والساحقون للقيم والذين لا يخشون ربا قاهرا فوق عباده .

لا كان ذلك اليوم ولن يكون فالله أرحم بعباده ان يسלט عليهم من
تجردوا من انسانية الانسان ومن يدمرون عزة الأدمى وكرامته فالله جعل
الانسان سيد المخلوقات أجمعين فمن تجرد عن انسانيته لابد ان تدوسه
الأقدام ويخزيه الله فى الدنيا والآخرة وهو سبحانه أرحم الراحمين .

١٤/١/١٩٩١ الأهرام

ومن الحرب سلام

تعالى الله سبحانه جل شأنه وتباركت ذاته فهو لا ينزل بعبادہ نازلة أو كارثة إلا أخطأ بلطفه وشغل عبادہ مع الشدة بالرحمة فقد كتب على نفسه الرحمة .

وها نحن أولاء نشهد حرباً ضارية قاسية تشارك فيها ثمان وعشرون دولة ضد دولة وإحجية أو أن شئت الدقة في التعبير فهي ثمان وعشرون دولة ضد شخص واحد . هذا الشخص يمثل النازلة أو الكارثة التي سلطها الله على عبادہ ليمتحنهم بها . وقد هبت هذه الدول جميعاً لتحافظ على التوازن العالمي فلا تلتهم دولة ذات عسكر وحشود وجند وعتاد وشرة واضراس الشرسة وأنياب طاحنة دولة أخسرى تعيش حياتها بلا جيوش ولا أطماع عسكرية وإنما هي سلام وهدوء واطمئنان متخذة من جها للسلام درعها التي تقيها ضرور الآخرين وضرورتهم وعدوانهم .

قامت الدول الثماني والعشرون تقطع قانون الغاب المتخلف ان يكون هو قانون البشرية اليوم .

قامت هذه الدول بجميع سلاحها وبجميع قوتها لتحافظ على السلام الذي دعا الله عبادہ ان يدخلوا فيه كافة ومثلما قال الله تعالى في كتابه العزيز « ولكم في القصص حياء » كذلك يحدث اليوم ويكون لذا من الحرب سلام .

فمع وجود عاتية طاغ سفاح قاتل للشعوب مثل صدام حسين لاتصلح الحياة الا بان تذود الدول الكبرى عتوه وطغيانه وسفجه للنماء وقتله للشعوب وترد عن العالم ما يريد ان يفشي فيه من دمار شامل وخراب محطم ونيران لا ينطفى لها أوار ولا يخمد لها لهيب .

ومنذ اللحظة الأولى من التهام العراق للكويت توقعتها حرباً عليه ضروريا طاحنة . وتوقعت الا يستمع العاتية الى أى نصيح والا يلقي مسعاً لاية محاولات تبذل معه ان يتراجع عن التقامه للكويت . فهو حين أقدم على

فعلته المروعة كان يتوقع - لاشك - ان تسعى اليه الدول من جميع اقطار الارض ليرتد عن غزوه ويعدل عن غيه .

كما كان يتوقع ايضا ان ينفذ الى جانبه الضعاف المهازيل من الحكام ولاشك ان هذا التوقع او ذاك لم يكن ذا شأن عنده ، ربما استبعد ان تقوم حرب فمثله لا يستطيع ان يقدر هول ما فعل وفداحة ما ارتكب .

وسعت الدول سعيها اليه ووجه اليه الزعيم المصرى وحده ستة وعشرين نداء غير محاولاته التى بذل فيها من الجهد البدنى والدهنى ما يفوق طاقة البشر .

واستنفدت الدول العظمى كل وسائل الاقناع لتقن العالم شر حرب يحتم عليها واجبها العالمى ان تخوضها .

ولكن صدام أبى واستكبر وتشبث واطلق مقولته الرعناء السخيفة المضحكة ان الكويت ما هى الا محافظة فى العراق وجعل لها التاسع عشر رقما ايضا . وأعجبه ما تفتق عنه ذهنه المريض فتمسك به لا يفيى عنه حولا ولا منصرفا .

وظل على حاله بعد ان جيشت ثمان وعشرون دولة جيوشها وأرسلت بها لتحيط بالعراق من جميع نواحيه .

وربما توهم ان رؤساء هذه الدول شأنهم كشأنه يتصرفون فى أرواح شعوبهم وأموالها بلا حسيب ولا رقيب .

وزبما دار بنفسه المريضة ان ارسال الجنود شئ والسخول فى حرب شئ آخر . ولكن ها هو ذا اليوم قد عرف ان الأمر جد لا هزل فيه وها هى ذى آلاف الطائرات تحطم فى كل يوم . المواقع والحصون فى العراق .

والسفاح على حاله من جمود العقل وتحجر الفؤاد وانعدام الانسانية لا يشفق على شعبه الذى جعل منه وقودا لمعركة مؤكدة الخسارة بالنسبة له وجعل الأحياء يعيشون بلا عيش ولا حياة ينقصهم الزاد والماء والنور ويحيط بهم - وهذا أشنع ما فى الأمر - الرعب والرهب والخوف القاتل على أنفسهم وعلى أولادهم وآبائهم وأمهاتهم وأخواتهم وذويهم .

ويطول أمد الحرب ويتساءل الناس كيف لهذا الأمد ان يطول •
وكيف لدولة واحدة ان تصمد اسابيع في مواجهة العالم في ذروة ما وصل
اليه الانسان والتقدم البشرى في الأسلحة الى درجة لم تعرفها البشرية في
تاريخها. ولم يشهد العالم لها مثيلا في كل الحروب التي خاضها العالم •
وهنا ياتى لطف الله الذى شرفت بان بدأت به هذا الحديث اليك •

يقول قائد القوات الأمريكية ما معناه ان هذه الحرب لم تكن
لشغفك يؤمن لو أن القوات المتحالفة ضربت المدنيين في العراق • وهكذا
تقف رحمة الله جل وعلا حائلا بين هذا الهول الأخذ والأسلحة الفتاكة
وبين نفوس بشر ليس لهم فيما فرضه عليهم رئيسهم ذنب أو جريمة •
ولالوم عليهم في هذه الكارثة ولا تثريب • وانما هم وقودها وحجارتها •
أبناءؤهم وآباءؤهم في الجبهة ولكن الله لطف بهم وجعل من أعدائهم بشرا
من البشر يقصدون الحياة ويحاولون بكل جهلهم ان يحفظوها على من
لا يجار بهم ولا يقف في الميدان مقاتلا •
فلتظل الحرب ما شاء الله لها ان تطول فادامت أيامها تبقى على
أرواح هؤلاء الأبرياء من شعب العراق •

ومن عجيب ان يشفق على الشعب العدو ويرمى به من كان المفروض
فيه ان يكون راعيه وحاميه الى الهلك والدمار •

اللهم سبحانه • لانسالك رد القضاء وانما نسالك اللطف فيه
انك وحدك الرحيم بعبادك اللطيف بخلقك •

الأهرام ١٩٩١/٢/٤

المنزوف لطمًا

كانت القبيلة تعلم ان قبيلة أخرى ستهاجمها وكانت تعلم ان هذه القبيلة التي تعد العدة لحربها فيها رجال بوسائل وفرسان أشداء في حين لا تجد القبيلة التي تنتظر الهجوم بينها رجالاً ذوي بأس فكانت في رعب شديد ودمر حياتها الخوف والدعر .

وفي يوم استقبلت القبيلة المذعورة ضيفاً من الذين يعرفون أخبار القبائل ويتولون نشر الأنباء بينها . وعرف الضيف ما تمنيه القبيلة من هلع فقال لهم أنا كفيل أن أحقق لكم النصر في هذه الحرب . . كيف ؟ قال لهم أحضر لكم فلانا بن فلان الفارس المجرب العظيم الذي ما شهد حرباً الا انتصر فيها .

وما هي الا بضعة أيام حتى كان الفارس الأشهر بين رجال القبيلة المذعورة فاحاطوه بالاجلال والاكبار والاکرام . وأصبح ولا عمل لهم الا ان يستجيبيوا لرغباته فما هي الا اشارة حتى يجد ما يزيده حاضراً .

حتى جاء اليوم المشهود وأغازت القبيلة التي كانوا ينتظرونها وصاح صائهم الحرب فإذا البطل المغوار يصرخ « الحرب » ثم لايمسك سيفاً ولا رمحاً وإنما يكتفى بأن يظل يصيح الحرب . الحرب ويلطم خذية الخيل مات من الخوف دون أن يشارك في الحرب جميعاً . فسمى المنزوف لطمًا .

أذكر هذه القصة التي طالعتها منذ سنوات بغاذ فيما أقرأ من كتب التراث وأنا أرى الطائرات العراقية التي بذل في شرائها العراق الأموال الضخام واطمأن بوجودها في حوزته أنه قادر على الحرب .

فإذا طائرات العراق تفعل كما فعل البطل المكذوب في القبيلة التي استأجرته صاحبت الطائرات العراقية الحرب الحرب ثم فرت الى ايران تعتمى بها من الحرب التي ما اشترت الا لتشارك فيها . والتي منها لم تهرب الى ايران . اختبأت في سرايب تحت الأرض والذي نعرفه ان السماء هي مجال الطائرات لا أعماق التراب .

ان أى طاغية لم يصنع ببلاده ولا بشعبه ما صنعه هذا الأخرق وكيف يطعم نوما أو تهدأ له نفس وشعبه برجاله ونسائه وأطفاله وتسيوخته يلقي هذا الهلاك الوبيل ان لم يتمثل فى القنابل والقذائف تمثل فى الجوع والحياة القاسية التى يحيونها وان لم يتمثل فى هذين طالعهم البلاء من الخوف والهلع على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى آبائهم وعلى ذويهم .

ويقول بعض الناس ان الهلاك الذى يصبه الحلفاء على الجيوش العراقية تحطيم للانسانية لا يقل اجرا من تحطيم صدام للكويت .
أى متعلق هذا . يمكن ان يسكت عنه العالم . وما مصير البشرية اذا لم يواجه العالم هذا السرطان غير الانسانى . أينتظر العالم حتى يفعل فعله هذا مع السعودية ودول الخليج كلها .

وليس أدل على رغبة الشعب العراقى فى السلام وعزوفه عن احتلال الكويت من هذه المظاهرات . المنفجرة بالفرح والمؤيدة باطلاق الرصاص فى الهواء تعبيرا عن السعادة والحبور التى قام بها شعب العراق حين سمع كلمة الانسحاب لأول مرة تخرج فى بيان رسمى عن رئيسه العاتية .

وقد جاءت المبادرة الأخيرة التى فاجأ بها صدام العالم أكبر دليل على انه يظن بتفنه إلهاء الذى لا مثيل له فهو يحسب انه بها يستطيع ان يعاقل الناس أجمعين .

وهذه المبادرة الهائلة فيها من جديده ان انه كف عن اعتبار الكويت المحافظة التاسعة عشرة وهو زعم يدعو الى السخرية والهزء والعدول عنه لا يستحق ان تعتبره شيئا جديرا بالتفاؤل أما فيما عدا ذلك فصدام يحاول ان يجعل من نفسه زعيم العرب أجمعين الذى استطاع ان يحل مشكلة فلسطين التى استعصى حلها على نيف وأربعين عاما .

ويحاول ان يؤكد هذا الزعامة بالحديث عن انسحاب سوريا من لبنان .

ولست أدري وما أحسب أحدا يدري أى صلة تربط بين وجود جيش سورى فى لبنان وبين اغتياله هو الكويت .

وهكذا لم يكن غريبا ان يقابل العالم أجمع مبادرة صدام حسين بالرفض والأعراض .

فلينسحب من الكويت بلا شروط ان كان يريد حقاً ان يستجيب
لأى قرار لمجلس الأمن وليكف عن محاولة المكر بالناس فما يستطيع
أى انسان أن يمكر بالعالمين .

والله من فوقنا هو خير الماكرين .

١٩٩١/٢/١٨ الأهرام

كيسان بلا شبية

اذن. فانت هكذا فقط . واذن فكل ما كنت تقوله وتدعيه عن النشامى
والاشاوس وما لا يدريه العالم من قوة ومالم يعهده التاريخ من بأس يتضح
جميعا عن حرب يومين . . أخزأك الله . لقد استوليت على الكويت فى
بضع ساعات لأنك أخذتها فى غفلة من العالم ثم رحت تخطب الخطب
الرائنة الجهيذة تهز بها أذان العالم وتشغل الاذاعات بأمر الحروب وبالنيران
القائلة والأسلحة الرائعة والويل والثبور والشر المستطير وما لا يتصوره
الأعداء ولا يتوقعه العالم .

ويقصد اليك الأفراد من أكابر الأقوام والوفود من أقطار الأرض
ان تعدل فتأبى أو تلين فلا تزداد الا صلابة فى الرأى وتشبثا بما انتهى
عليه أمرك من امتلاك الكويت . وتكذب فتدعى ان الكويت قد استنجدت بك
لتخلصها من حكامها حتى اذا لم تجد فى الكويت خائنا واحدا تنشئ لها
حكومة من أصاغر أهلك ثم تحلها وتعلن ان الكويت هى المحافظة
التاسعة عشرة وانها عادت الى مكانها الجغرافى وانها ما هى الا جزء
من العراق .

وتتوالى اليك النصائح والجموع والدول فتأبى الا الثبات على ضلالك
والتمسك بظلمك . . وتزيد فتأمر جنودك ان تخرب محافظتك
التاسعة عشرة وتفجر بنسائها وتقضى على رجالها وتعلق قتلاك من النساء
والرجال عرايا فى الطرقات .

وتأمر ان تلغى الجنسية الكويتية وتفرض على كل كويتي ان يستخرج
بطاقة عراقية . وتغلو فى ضلالك فتريق البترول فى مياه الخليج ليلوث
البيئة فى العالم أجمع . ثم تحرق آبار البترول فما تستفيد أنت منها
شيئا ولا تتركها لأبناء الكويت وهم ما حاربوك وأنت تغتصب وطنهم
ولا ردوك وأنت تلتقم أمتهم وما قدموا اليك الا الخير والمال الذى بددته فى
حرب ايران وحربهم .

فأى ذنب جناه شعب الكويت لتفعل به هذه الافاعيل . بل أى ذنب
جناه عليك شعبك فى العراق لتصنع بهم هذا الصنيع .

من أى مادة أنت .. لقد حسرت معك العقول وتاهت فى حالتك
الافهام فلا من انسان أنت ولا أنت من الحيوان ولا من المجانين أنت
ولا أنت من العقلاء ..

من أى مادة ركبت ذاتك .. وفى أى عصر تعيش .. وماذا يصنع بك
عقلك حتى تصب على شعبك والشعوب العربية بل وشعوب العالم أجمع
هذا الهول الذى صبيت .. ان بعض الناس لم يتصور انك تفعل ما تفعل
الا وأنت واثق من جيشك وقوته ومن بطشه وبأسه وثوقا لايقبل الشك ..
وتوقع هؤلاء حتى والطائرات تدك أركان جيشك انك تخفى فى طوايا الغيب
مفاجأت لاتخطر على ذهن البشر .. وراح هذا البعض ينتظر فإذا أنت
تفاجئهم بهوان منك بعد هوان واذا أسلحتك الخفية خنوع وضعف
واستسلام ويصدق عليك قول العزيز الحكيم : « حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون » (المؤمنون ٧٧) والمبلسون هم
المنكسرون الحزاني .. ويحك أتبلس فى يومين وتظل تخطب أكثر من
مائتى يوم ..

وتبلغ بك الصفاقة ان تعلن وجنودك تستسلم بالآلاف ان جنود
أعدائك يتساقطون كالذباب .. وتزداد قحة وجرة على الحق فتعلن وأنت
تلقى خطاب انسحابك ان جيوشك النشامى قد انتصرت .. من أى عنصر
ركب كيائك ؟!

واليوم ماذا يصنع العالم أمام هذا التدمير الشامل الذى أشعته فى
بلادك وفيما حولك من بلدان وكم من السنوات تحتاج البشرية لتعيد الحياة
قيما خربت وأحرقت وبددت وما مصير تلك الأسر التى اغتلت عائلها
وما الغد للنساء اللواتى هتكت أعراضهن .. وأى شئ فى العالم يعرض
الناس الذين فقدوا رجالهم ونساءهم وشرفهم ..

وما أنت حتى تصيب البشرية بكل هذا الهول الذى أصبت ..

ان عدل الله وحده هو الكفيل بك وعنده وحده تلقى ما يقدره
سبحانه لمن كان مثلك .. وهيها ان يكون فى العالم أو التاريخ لك مثيل ..

الأهرام ١٩٩١/٣/٤

ومن المأساة حبيسة

الفائد العظيم زعيم النشامى والأشواوس يجنى اليوم ثمار انتصاره
الرائع الذى لا يعرفه أحد الا اذاعته وجريدة هزيلة تصدر بمصر
وهل هناك دليل على النصر أوضح من الحرب الأهلية التى تدور رحاها
اليوم فى بغداد أو هل هناك برهان أسطع مما ذكرته بعض الصحف من
ان صدام تعرض لمحاولة اغتيال وانه أصيب فى يده اليمنى •

ونذكر الآية الكريمة فى سورة سبأ « قل جاء الحق وما يبدىء
الباطل وما يعيد » •

ان الكارثة التى أنزلها صدام حسين بالعالم العربى أعظم من ان يحيط
بها وصف والله وحده يعلم متى تنقشع عنا آثارها •

والتخريب الذى حدث بالكويت تتبلور آثاره أعظم ما تتبلور فى
التخريب الانسانى والنفسى مما شهده أهل الكويت وما حل بهم من القهر
والتعذيب ومن فقدان الأبناء والآباء والأخوة والأعزة ولانملك الا ان نسأل
الرحمن تقدست أسماؤه ان يقرن الكارثة باللطف والمصيبة بالرحمة
والوبال بالصبر انه سبحانه وحده هو القادر على شفاء القلوب مما عانت
وتدارك النفوس التى تمزقت ولكن الذى لاشك فيه ان المصيبة التى حلت
ومازالت تحل الى اليوم بالعراق أضخم وأعمق وأكثر شناعة مما أصابته •

فهاهى ذى العراق تتمزق شر ممزق وهاهى ذى تصبح شيعا وشراذم
وفرقا وهاهى ذى يعمرها خرابها ويقاثل فيها الأخ أخاه •

والحقيقة ان هذه الحرب الأهلية غير متكافئة فالثوار لا يملكون من
السلاح قدر ما يملك الطاغية الذين يريدون ان يزيلوه عن مقعد الرئاسة
وهو بجانب ما يملك من قوات الجيش والحرس الجمهورى يملك -
والشهادة لله - قدرا من الاجرام لم يشهده العالم له مثيلا فى انسان قبله
مطلقا فقتل الانسان عنده أهون الأهور وأبسطها وأقرب الأفكار اليه •
وليس يعنيه فى كثير أو قليل بريئا كان من يقتله أم كان مظلوما • فإنه
يقتل أولا ثم قد يفكر بعد ذلك آكان القتل على حق أم كان على باطل وهذه

الشراسة التي يعف عنها الحيوان ان تجسدت فى حاكم يدافع عن سلطانه
لاتبقى ولا تذر والذي لا أتوقعه أبدا ان يستجيب صدام لهذه الثورة العارمة
التي اندلعت فى مدن العراق وقراها وانما هو سيحارب بكل من جند ومن
طغيان ومن أجرام .

وأخشى ما أخشاه ان ينتهى الأمر بتقسيم العراق فيصبح دويلات
صغيرة ولا قوام لها ولا قيمة ولا كيان فتفقد الأمة العربية بذلك دولة ذات
تاريخ عريض وذات وجود واضح .

وعلى كل حال ومهما تكن الكارثة التي وصلت بالعالم العربى فادحة
فان الأمر فى شأنها لا يخلو من نتيجة ذات خير عميم .

فالذى لاشك فيه ان هذه الكارثة قد ثبتت أركان السلام فى المنطقة
كما انه فى بعض الأحيان يكون من انوث حياة فمنذ اليوم لاتستطيع دولة
على شىء من قوة السلاح ان تفكر فى الاعتداء على دولة لاتعتمد على السلاح
فى ارساء الأمن .

لقد وضعت كارثة الكويت الحد الفاصل الحاسم بين تحكم السلاح
وتحكم السلام وقد عرفت كل الدول اليوم ان المجتمع الدولى ذو أطراف
وأنياب وان هذا العالم لن يتركها تعبت فسادا فى الأرض دون ان ينزل بها
العقاب الرادع .

ترى هل تبينت الدول التي كانت تؤيد صدام أى ضلالة كانوا
يتبعون وهل ظهر النور فى الطريق لأولئك الصغار الذين يصدق عليهم
قول جميل الشاعر :

لما الله من لا ينفع الود عنده
ومن حبله ان مد غير متين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم
على العهد خوان لكل أمين

يرعى الله محمد حسنى مبارك الذى أثبت أنه من أعظم سياسة العالم
بعد نظر ، وشرف قصد ، وثبات مبدأ . وياليت هؤلاء الأصاغر استمعوا

إلى نصحه الذى لم يقصد منه الا صوالحهم ولكنهم نأوا عن النصيح الشريف
وارتموا فى أحضان النفع الهين الأسريع الزائل فكان نصيبهم اليوم انهم
حيارى ذاهلون لا يدرون أين يولون وجوههم أو أين يخفون. هذه الوجوه
التي خلت من الشرف وتجردت من الحياء وغابت عنها دماء الانسانية
ويصدق عليهم قول الشاعر القديم .

أمرتهم أهرى بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشيد الأضحى الغد اللهم
يا ذا الجلال هون على عبادك المؤمنين بك ، المسلمين لك ما جره عليهم من
لا يخافك ولا يخشاك انك العزيز ذو الرحمة .

الأهرام ١٩٩١/٣/١٨

وإلا فما الحياة ؟

كم أدهش حين أفكر فى الذين لا يؤمنون بالله كيف يستطيعون العيش وكيف يلاقون الحياة وكيف يستقيم بهم الفكر •

وكيف يواجهون العبارة القرآنية المباركة ذات الدلالة القاطعة الحاسمة « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » فإذا كانوا لا يعرفون سر الروح فيهم ففيم يجادلون فى الله • وكيف تطمئن بهم الحياة ، وتسكن منهم النفوس ، وإلى أى وجهة يتوجهون إذا ضاقت بهم مسالك الدنيا ، وماذا يقولون إذا لم يقولوا « يارب » وأن مرضسوا وأمسك عنهم الشفاء يدهم وعجزت عن مرضهم منابع الطب ونبغاء الأطباء • ماذا يقولون إذا لم يقولوا « يارب » •

وان وقع عليهم الظلم والقهر واستبدت بهم أسباب التحير وأحاط بهم الطغيان ممن لا يملكون لهم دفعا ولا قوة بهم لردهم ماذا يفعلون أو ماذا يقولون ان لم يقولوا « يارب » ؟

وان اعتنقتهم الكآبة وضاقت بهم النفوس حتى ما يطيقون أبناءهم أو أزواجهم أو ذويهم ماذا يقولون ان لم يقولوا يارب ؟

وما الحياة عندهم اذا لم يعرفوا البهجة التى يعرفها المؤمنون وهم يلوذون الى ظل من العرش ونفحة من الرحمن وأمان من اللطيف العزيز وما الحياة اذا احتجب عنهم فيها نور الاله تقدست أسماؤه سبحانه وتعالى عما يدعون •

كم أرئى لهم وأشفق عليهم يعيشون ولا يعيشون ويصلون هجير الحياة بلا قطرة من ندى الرحمة المطلقة وترتعد قلوبهم من البرد والزمهرير بلا شعاع من دفء اللطف الأعظم •

أعجب لهم كيف يعيشون • وأى انس يلقونه فى حياتهم ؟

ان كانت لهم زوجات تؤنس وحشتهم فطبيعة الحياة مع الأزواج
لا يمكن ان تخلو من شد وجذب واخذ وعطاء وضيق وفرج وكم تصبح
الزوجة وهى حبيبة مصدر هم وكدر .

وقد نمرض أو يصيبها مكروه فيجزع الزوج ويتخبطه مس الشياطين
الى من يفرع ان لم يقل « يارب » ؟

وان كان الرحمن قد رزقهم البنين والبنات وان كان سبحانه قد أتاح
لهم فى حياتهم التوفيق والنجاح والفلاح .

فان الحياة لاتعطى دون ان تأخذ ولابد ان يقع هؤلاء الأبناء
فيما لا يحبون من زوج لابن لا يسلس لها قياد ولا تطيب لها نفس أو زوج
لابته ذى مرار . . وشراسة وجبروت ويحمل الأب هم أبنائه فى المحنة
التي لايلقون وفى الكارثة التي يواجهون .

ان لم يكن مؤمنا . . فماذا يقول اذا هو لم يقل « يارب » فمن غيره
الملجأ والملاذ والمرفأ والشاطىء والغوث وان كان البنون والبنات أطفالا
فانهم بالغريزة التي أودعها الله فى الانسان - أنس آبائهم وأمهاتهم
وقرة أعين لهم وهنآ وسعادة .

ولكنهم أيضا مثار هلع واشفاق وخوف وفرق ماذا يقول غير المؤمنين
ان مرض طفل من أطفاله اذا لم يقل يارب ؟

بل ماذا هو قائل اذا فقد واحدا من هؤلاء الأبناء فى طفولته أو فى
شبابه أو رجولته اذا لم يقل يارب ؟

وبما يصبر نفسه اذا لم يكن مؤمنا على يقين بالآخرة والثواب والعقاب
وكيف يستطيع الحياة بعد ابنه أو ابنته اذا لم يحتسب فيه أو فيها الله
واذا لم يستمد السكينة من منكوت السماء ذاكرا ان الموت حق وأنه عند
العدالة العليا ليس عقابا ولا هو فناء وانما هو مرحلة كلنا بالغوها
لا استثناء فيها لأحد حتى وان كان نبيا أو رسولا .

أى أنس فى الحياة يجده الانسان اذا لم يأنس الى فىء من رحمة الله
وأى قيلة يوليها اذا لم تكن له من الرحمن قبلة . وأى حياة يمكن ان
يعيهاها ان لم يكن واثقا بالآخرة وبالجنة والنار .

وماذا تصبح الحياة اذا لم تكن هناك حياة أخرى وأى معنى يبقى من هذه الحياة اذن •

مهما يحاول أبناء الحياة ان يبنوا وان يملكو! وان يتمتعوا وان يمشوا فيها مرحا فانهم لن يخرقوا الأرض ولن يبلغوا الجبال طولا •

وكيف تستقيم حياتنا هذه اذا لم يكن هناك بعد الموت حياة أخرى ينال فيها المحسن جزاء ويصيب فيها المسيء عقابا ؟ والا تساوت الحسنات والسيئات وأصبح صاحب الضمير النقي واليد العفيفة والنفس الشفيقة مساويا وندا للطاغوت المجرم السفاك اللص النهاب غير الوهاب الآخذ بلا عطاء والمغتصب المقيت •

فنحن هنا فى الحياة لابلأقى الجزاء العدل لأعمالنا واذا لم نل جزاء عند صاحب العدالة المطلقة هناك فى السماء بعد الحياة • فهى عبث اذن هذه الحياة ولا تستحق ان تعاش وأولى بنا ان نتركها بأسرع ما نستطيع • فما نصبر على البقاء فيها الا بقولنا « يا رب » ننظر اليه بشعورنا كله وبغير ان نشعر ، ونتحسبه بوعينا الكامل وبغير ان نفكر ونحس به فى كل خلجة من خلجاتنا ونحس به بالسليقة المطلقة ودون ان نحس ونفكر فيه يعقولنا وقلوبنا ونفكر فيه بالطبيعة الخالصة النقية وتصيح باسمه قلوبنا فى كل نبضة تنبضها •

يا رب •• ليس لنا الا أنت موثلا من عواصف الحياة •• أنت الرحمة وأنت الرفق وأنت اللطف الشفوق وأنت سبحانك ملاذ البشرية الأمين تعاليت وتقدسست أسماؤك يارب العالمين •

١٩٩١/٤/١ الأهرام

رمضان لا أنساه

لعل من أمتع شهور رمضان التي مرت على أن لم يكن أمتعها ذلك الشهر الذى قضيته فى رأس البر فى أربعينيات هذا القرن وكنت فى ذلك العام طالبا بشهادة الثقافة وهى شهادة لا يعرفها أبناءنا اليوم كانت هذه الشهادة يذللها الطالب وهو فى السنة الرابعة الثانوية قبل شهادة التوجيهية بعام واحد .

وكنت فى هذا العام أنتظر نتيجة شهادة الثقافة فى رأس البر ، وقد كانت رأس البر هى المصيف المزدهر فى سنوات الحرب تلك فقد كانت الاسكندرية مقصد غارات كثيرة من طائرات المحور لقربها من ميدان القتال ولوجود أعداد كبيرة من جيوش الحلفاء بها . ولذلك فقد هجرها كثير من أهلها ولجأوا الى الريف المصرى والشواطئ الأخرى .

وهكذا أتاحت الحرب لرأس البر أن تصبح مصيفا حافلا بالمصطافين الذين كانوا يستمتعون غاية المتعة بالاقامة فى العشش دون المنازل وكانت هذه العشش تقام مما كان يطلق عليه « الأكيا ب » ولا أدرى - مصدر هذه الكلمة الا ان تكون كلمة اصطلاحية تواضع على استعمالها بناة العشش . والأكيا ب هذه كانت مصنوعة من الغاب المتلاصق الذى يسمح للهواء العذب ان يتخلله دائما ولست أدري لماذا لم تستمر هذه العشش وحلت مكانها البيوت التى نعرفها فى كل مكان فى العالم والتى أفقدت رأس البر أجمل ما تتميز به وغابت عنها السمة التى تنفرد بها . ويبدو اننا خبراء فى طمس المعالم الجميلة فى حياتنا .

لا علينا .

كنا نقضى شهر رمضان فى رأس البر . ولم يكن الراديو قد أصبح شائعا مثلما هو الآن فهو اما أن يعمل بالكهرباء ولم يكن فى رأس البر كهرباء واما ان يعمل ببطارية ضخمة هى بطارية السيارة التى سرعان ما تفقده تيارها الكهربائى ويحتاج صاحبها ان يحملها الى مقر الشحن.

فتشحن ليعمل بها الراديو يوما أو يومين ثم تعود الى مقر الشحن مرة أخرى .

فكان من الطبيعي الا نحمل معنا راديو في مصيف رأس البر . فقد كان مقر الشحن في الناحية الأخرى من النيل حيث تستقر سيارات المصطافين فلم يكن هناك وسيلة لتنتقل السيارات الى رأس البر وكان أقصى مدى لطريقها هو النيل الذى يفصل بين دمياط وعزبة البرج وبين رأس البر .

ولذلك فقد كان أبى يستقدم شيخا قارئا من بلدتنا غزالة ليحيى الشهر الكريم وهو الشيخ محمد أبو سليمان وكان ذا صوت جميل حتى انه قرأ بضع مرات فى الاذاعة المصرية . وكنا نهيب له غرفة فى العشة ويقيم معنا طوال شهر رمضان وكان يؤذن للمغرب فى شرفة العشة فتفطر العشش المجاورة على آذانه .

وفى هذا العام الذى كنت أنتظر فيه نتيجة شهادة الثقافة كنت أستحم فى البحر ثم أخرج الى العشة وأبدل ثيابى وأحمل كرسيًا من كراسى الشاطئ ومظلة شاطئ أيضا وكتاب « حياة محمد » للأستاذ العظيم د . محمد حسين هيكل باشا وأذهب الى ضفاف البحر فاغرس المظلة أقرأ فى كتاب « حياة محمد » حتى الغروب .

هذه المتعة التى كنت أحسها وأنا فى صحبة سيد البشر صلى الله عليه وسلم لم أشعر بها بعد ذلك مطلقا مع اننى كنت أقرأ الكتاب للمرة الثانية الا اننى كنت أستغرق فى قراءته حتى لا أحس بالندى وما فيها وأنسى كل شئ فى العالم فانا مع النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى دعوته السماوية أماشيته فى روحاته وغدواته وفى حربه وسلامه وفى معاملته لأهل بيته وللناس . وأنا فى دنيا طهور نقية شفيفة فى السماء أنا لا فى الأرض ولا أذكر الشهادة التى أنتظر نتيجتها ولا أفكر فى المقالة التى أرسلتها الى مجلة الثقافة فى ذلك الحين وأنتظر نشرها كامل عظيم يعرفه شدة الأب الذين يضعون أقدامهم على أول الطريق .

أنا هناك مع البشير النذير مع المثل الأولى من البشرية الذى صنعه الله على عينه واختاره ليكون حامل الرسالة الخالدة الباقية على الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها . والذى اجتباه ربه ليكون قدوة للبشر والبشرية الى يوم الدين لم أكن أخشى فى هذه الأيام الا ان يحين الغروب ويؤذن الشيخ محمد أبو سليمان الافطار . لم أكن أريد ان أفطر فلم يكن

بى وأنا مع النبى صلى الله عليه وسلم جوع ولا عطش وكاننى لست
بانسان بتر . اننى معه هناك لا أتمنى الا ان اظل معه فى دنياه هو لا فى
دنيا الناس وفى مسابحه صلى الله عليه وسلم لا فى مسابح البشر وطعامهم
وشرابهم ورغباتهم .

واين هذا جميعه من صحبة سيد الخلق أجمعين أنا معه روح
بللورية نحييا فى السمماء العليا من الخلق الأسنى ومن الشرف ومن
التواضع ومن الأدب الرفيع ومن التسامح .

أنا هناك شنسى اننى انسان ولاحتساج جوارحى الى ما يحتاجه
الانسان أملى الوحيد الذى يملأ جوانح نفسى ان يتأخر آذان المغرب
وكاننى لم أكن صائما .

ولكن المغرب كان لابد ان يأتى فى موقته فيتولانى الأسى اننى تارك
سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الى الغد وأذهب كسيفا الى العشة
ليس بى اثاره من فرح الصائم بالافطار .

واصبحه أنا الى مجلس لنا خلف العشة ويلقى منى الأمرين فقد كنت
أقرأ له شعر شوقى على ضوء القمر ولم يكن المسكين يحب الشعر ولكن كان
يسمعه ويتجيده مجاملة منه لى حتى اذا أصبح القمر هلالا كالعرجون
اصطنعت مصباحا يضاء بالغاز ورحلت أقرأ على ضوءه فأقضى أمسية من
أمتع الأمسيات .

أين منى اليوم هذه المباحج لم يبق لى منها الا حلاوة الايمان بالله
وهى حلاوة يخالطها الخوف الشديد من عزته وجلاله وأنا فى سننى هذه
أعد حقائبنى للانتقال من الفانية الى الباقية وأنا لا أدري ماذا تحوى هذه
الحقائب أخيرا فتهدأ النفس أم غير ذلك فالويل كل الويل !؟ فهو سبحانه
العدل المطلق وعدالته لا يعرفها البشر فهم عدالة يختص بها هو تقديست
أسمائه ولسنا نملك من مراغة أمامها الا قولنا ربنا اغفر لنا واعف عنا
انك أنت التواب ذو الرحمة التى وسعت السماوات والأرض جل شأنك
اللهم اسكب علينا من رحمتك وغفرانك فليس لنا الا وجهك تباركت
يا ذا الجلال والاكرام .

كتابات

لا شيء أعظم عند الكاتب من شعوره بأن له قراء يتابعون ما يكتب ويستقبلون ما يقول بروح جادة ناقده . فالكاتب لا ينال من هذه الدنيا مالا ، والشهرة التي يصيبها لاتعنيه ان لم تكن شهرة قائمة على احترام القارئ لما يكتب وتقديره لآرائه حتى وان عارضها وليس هناك كاتب ان لم يكن له قراء فالقارئ والكاتب مثلهما مثل طرفي الكهرباء السالب والموجب فان لم يلتق الطرفان لا يضيء المصباح ولا يتألق الكاتب أيضا ، ولن أحدثك عن جهد الكاتب وما يلاقيه في حياته من عنت وهو يقرأ ، ثم ما يلاقيه من ارهاق يفوق طاقة البشر وهو يكتب .

أنا واحد من هؤلاء الكتاب الذين لا يشعرون انهم أحياء الا اذا كتبوا ، ذكرت هذه جميعه وأنا أتلقى كتابين ظهرا للكاتب الكبير طازق حجي ذلك الشاب الذي عرفته منذ سنوات طوال عائدا من المغرب حيث كان يعمل هناك أستاذا وتوثقت صلاته بي ورحت أرقبه وهو ينشر مقالاته وكتبه فاذا هو يقطع في سنوات قصار ما يحتاج الكتاب الى عشرات السنوات لينالوه قوة حجة . ونصاعة اسلوب ، وعمق فكرة ، وسعة ثقافة ، وشمول نظرة .

يعينه على ذلك قراءة واسعة ضخمة لا يطيقها الا صاحب الصلابة في العمل صلابة يندر أن تتحقق لغيره لا يفلت من قراءته ميدان فهو عند الاقتصاد عالم متمكن وهو مع القانون قارئ واسع القراءة وهو في الأدب هاو ومحترف في وقت معا ذو حظ رائع من التذوق والقراءة ومنصبه في شركة من أكبر شركات البترول لم يصل اليه مصرى أو عسرى من قبل فهو رئيس مجلس ادارة هذه الشركة في المنطقة .

وأحسب ان من حقه على الآن ان أقدم اليك الكتابين اللذين وصلا الى وهذا أصعب ما ألاقه في هذا الذى أكتبه فالكاتبان يتناولان موضوعات شتى كلها هام وكلها جدير بالتأمل .

أما الكتاب الأول فاسمه ثالث الدمار • ويرى الأستاذ طارق حجي أن هذا الثالث هو الدعم وزيادة السكان والتطرف ويطلق على الدعم النار الموقدة في أموال المصريين وقد كتب في هذا الباب فصلا كاملا تناول فيه نشأة الدعم وموقف المذاهب المختلفة منه وقدم شتى الأفكار التي تناولت هذا الموضوع ورأى الاقتصاديين والسياسيين في شأنه وعرج في هذا الميدان الى القطاع العام ورأى أن القطاع العام الخاسر شكل مدمر من أشكال الدعم ثم تحدث عن المنهج الأمثل لتخفيض الدعم تمهيدا لالغائه وتناول موقف الاعلام من سياسة الدعم •

ثم تناول بعد ذلك الانفجار السكاني وجعل عنوان هذا الفصل الانفجار السكاني على مرأى ومسمع من التخاذل العام وشرح هذا الانفجار من جميع أبعاده وعرض للآراء الكثيرة التي ثارت حوله •

ثم تحدث عن التطرف وقدم له بيت شوقي الخالد :

هداك الله من شعب برى

يصرفه المضال كيف شاء

والكتاب حافل بعد ذلك بفصول أخرى كثيرة منها ما هو عن الزراعة ومستقبل الاقتصاد المصرى ومنها ما هو عن قانون الاستثمار الجديد بين التجديد والتقليد ومنها مقال بعنوان بل سيشهد العالم نهاية الاشتراكية

وغير ذلك من الموضوعات ولم ينس أن ينهى كتابه الثرى بفصلين فى صميم الأدب أحدهما بعنوان « نجيب محفوظ • ملاحظات حول الأديب العبقري والجائزة الكبرى » والآخر بعنوان « العقاد • شاعرا وفيلسوبا » •

وبقى أن أذكر أنا رأى الخاص عن شعر العقاد الذى يكن له صاحب الكتاب اجلالا واكبارا لا ينتهى بهما حد • وأنا أيضا من هؤلاء الذين يرون العقاد قمة من قمم الأجيال الأدبية جميعها قديمها وحديثها وان لى به صلة حميمة فقد كان صديقا لصيحا لوالدى وله فيه قصائد من عيون الشعر العربى وقد رثاه بقصيدة فريدة رائعة •

وقد تفضل رحمه الله فنوه بى فى مطالع حياتى الأدبية وكان يكرمى بقرأة رواياتى ويزيدنى اكراما بالتشجيع والرعاية وقد عملت

تحت إشرافه مع الأستاذ عثمان نويه فى سلسلة كتب حول مائدة المعرفة التى كانت تصدرها مؤسسة فرنكلين ومع كل هذا فإنى أقف من شعره موقفا متحفظا بعض الشيء مرتثيا أنه يغلب فيه العقل والمنطق على الروح ولشعرية التى تتالق عند شوقى والشعراء العباقرة الآخرين فى تاريخ الأدب العربى *

والآن هلم بنا نلقى نظرة سريعة على الكتاب الثانى للأستاذ طارق حجى وهو بعنوان « مصر بين زلزالين » وهو فصول سياسية نستطيع أن ندرك منها الى أى مدى يعيش طارق حجى عصره فهو منقوع فيه بجميعة ونقع الذوب أى جعل الماء يتخلل خيوطه * عميق النظر هو لا يتخلل أصابعه مأرب أو هدف الا مصلحة وطنه فتشهد فيما يكتب حرية العالم والتزام الوطنى الصادق *

وموضوعات الكتاب كثيرة متنوعة فهو يتكلم عن التخلف وأسبابه وعلاجه عن الديمقراطية بين نور العلم وظلام الأمية، ويتكلم عن الوطنية بين الأفعال والأقوال ، وعن الأمية وعن حاجتنا للثقافة والتنوير ، وفى أحد فصول الكتاب يقدم مشروعا قوميا لاصلاح طبيعتنا ، ويكتب فصلا عن مصر بين الهوية المصرية والهويات الأخرى *

وموضوعات أخرى كثيرة تستطيع أن تتفق معه فيها وتستطيع طبعا أن تختلف ولكنك على الحالين لا تملك الا ان تقدر الكاتب فى فكره وثقافته وأسلوبه جميعا *

١٩٩١/٤/٢٩ م الأهرام

عبد الوهاب في رحاب الله

وليسى فقد محمد عبد الوهاب فقد واحد وانما بنيان فن تصدع ،
لقد ظل عشرات السنوات هو غناء العالم العربي كله كم ألم الناس وحزنوا
فلم يجدوا سلاهم الا فى صوت عبد الوهاب والحنان .

كان آهة الطرب والحزن والفرح والأسى .

كان صوت العالم العربي كله فى هزائمه وانتصاراته . فى آلامه
وآماله واليوم انقطع النهر .

ولكن الأنهار التى تجرى فى أنحاء العالم العربي كله انما هى من
جداوله ومن فيضه .

كيف لكاتب ان يجمع عظمة عبد الوهاب جميعها فى سطور ؟ سيظل
الكتاب يكتبون وسيظل الشعراء يرثون عبد الوهاب ولكنهم أبدا لن
يصلوا الى ما يستحقه عبد الوهاب من اجلال ومن خلود .

انما هو خالد خلود الفن نفسه وهياته أن يجد العالم العربي عنه
بديلا .

ان كل نغمة يغنيها الشرق اليوم انما هى نبعة من بحار عبد الوهاب
فقد تخرج أغنن الموسيقى كله فى الأجيال الثلاثة الماضية على أنغام
عبد الوهاب .

وسيظل الفن الفنائى لأجيال طويلة مدينا لعبد الوهاب ولفنه
الرائع .

المغنون الذين يغنون اليوم هم أغانيه ونبت فردوسه وحدائقه
الغناء .

وسيتطلون كذلك الى أجيال وأجيال ليس عبد الوهاب مجرد صوت
غنى العالم أجمعه وليس عبد الوهاب مجرد ألحان هزت الدنيا طرباً وإنما
هو مدرسة خالدة فى حياة الفن وحياة العرب •

عرفته منذ أكثر من أربعين عاماً • وعرفته يومذاك وهو يملأ
الدنيا فنا •

واتصلت أسبابى بصداقته طوال هذه الأعوام •

نلتقى أو نتحدث بالتليفون لا يكاد يمر أسبوع لا يكون بيننا لقاء •
وكان دائم الود معى يقطر حديثه فنا كأنه يغنى وكم تناشدنا شعر
المخالد شوقى •

فقد كان شوقى هو سبب صلتى به فقد سمع عنى أننى من المكبرين
لشوقى ومن الذين يعتبرونه أكبر شعراء العربية قديهم وحديثهم فأرسل
يدعونى الى بيته وكان يسكن فى بيته الذى كان جديدا فى ذلك الحين
والذى كان يسميه عش البلبل •

وذهبت اليه وتناشدنا شعر شوقى • وأخبرنى فى ذلك اليوم انه
يلحن له قصيدته الرائعة : مضناك جفاه مرقده •

ولست أنسى يوما سمعت فيه عبد الوهاب وحدى فقد أعطانى عمى
عزيز باشا قصيدته ومعه جائزة لأذهب بها الى عبد الوهاب فكلمته فى
التليفون وحدد لى موعدا فى مكتبه وذهبت وكان وحده فقرأ الأبيات •
وقال لى :

— ماذا وراءك الآن ؟

قلت لا شىء •

— انزل لتتمشى فى الشارع مدة ربع ساعة ثم عد الى فنزلت
وعدت •

فاذا هو يفاجئنى بأسماعى الأبيات الأولى من القصيدة ملحنة وكنت
المستمع الوحيد •

ولا احسب أحدا يتصور سعادتي في ذلك اليوم وكم بينى وبين
عبد الوهاب من ذكريات •

وكم له من ذكريات في حافظة التاريخ •

هذه دمعات يفيض بها القلم لا هي قالت ما يعتمل في نفسى ولا هي
خففت الحزن العميق الذى حل بنفسى ولكن ماذا أستطيع أن أفعل إلا أن
أبكي هذه الكلمات •

ما أظن حزنى عليه سينتهى أبدا كظاهرة كونية كان من حظنا أن
تظهر فى جيلنا وكصديق من أحب الأصدقاء الى رحمة الله ؟

١٩٩١/٥/٦ الأهرام

المجرم والمجتمع

الانسان ابن مجتمعه وكل انسان لا يرعى حقوق المجتمع الذى يعيش فيه يصبح امره بين الناس هينا محتقرا فالسنة الخلق اقلام الحق لأن الناس لا يجتمع امر الغالبية فيها على باطل . فان احترموا انسانا وانزلوه من مجتمعهم منزلة الاجلال والاكبار فلا شك أنه بهذا جدير وبمكانته خليق .

ومكانة الانسان فى مجتمعه لا تأتى وليدة لحظة أو عمل وانما هى مجموع صلات الانسان . انها صلته بربه وانها صلته بزوجه وانها صلته بأبنائه وهى صلته بعمله وصلته بأصدقائه .

ولا شئ يخفى على الناس فحتى هذه الصلات الحميمة المستترة خلف الجدران يصرها المجتمع ويتسامع بها الناس . وكم هى حساسة مرهفة آذان المجتمع هذا لا يكاد يخفى عليها شئ وقديما قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وأن خالها تخفى على الناس تعلم

ولست أدري وما أحسب أحدا يدري كيف نذيع بين الناس أنباء
البيوت وأسرار الحجرات .

ربما كانت همسة تلقىها زوجة الى صديقة حميمة لها . أو شكوى عابرة يناجى بها زوج صديقا لصيقا له . أو ربما كانت ثرثرة ابن يعبت بها بين أصدقائه أو لعلها بغام طفل لا يدري معنى لما يقول .

ولكن السر يذاع وأخبار الناس تشيع .

وقد تكون أسرارنا تافهة بسيطة المظهر . وربما كانت هينة الدلالة واهنة الشأن . ولكن من مجموع هذه الأمور الصغيرة تتكون شخصية الناس عند الناس .

فاذا كان الأمر كذلك فى بسيط الأمور من أحوال الناس اليومية — وانه كذلك — فكيف بك بالأمور الكبرى من معالم تصرفات الانسان وأعماله .

إذا كان الناس يحكمون على الإنسان من صلاته بأسرته أو خاصته فكيف بهم إذا كان هذا الإنسان من الناس مجرماً مفترساً ينتهب حقوق الخلق ويعتدى على المقدسات ويتاجر في أرزاق الناس ويستجلب المخدرات ويرتكب الآثام التي ينزل بها القانون العام عقابه الصارم الرادع .

لا شك أن شأنه سيصبح بين الناس شهيراً جهيراً لا يجهله أحد والمظهر دائماً يجعل المخبر معلماً فثروات الناس بين الناس معروفة لا يخفى من شأنها أمر .

فاذا رأينا شخصاً نعرف ما يملكه وما يطيقه هذا الملك من انفاق ثم رأيناه يحيا حياة فاجرة الغنى شاهقة الثراء في مركب وملبس وماكل وسفر ودعوات وابهار

فمن أين ؟

فاذا صاحب هذا السؤال عن ظاهر الأمر حديث شائع عن أموال استلبها أو تجارة موبوءة يحترفها فلاشاعة حقيقة والهمس جهر لا محيد لنا عن تصديقه .

وكم من اللصوص وتجار المحرمات يعشون في الأرض فساداً قادرين أن يخفوا أجرامهم عن طائلة القانون . وقد يطول بهم الأمد ناعمين بحرية الاجرام وبلهنية الفساد وبالجرأة على الحق .

ولكن الناس تعرف حقيقتهم معرفة وثيقة لا شك فيها ولا ابهام ولا تردد .

وانهم ليلقون الناس في المجتمعات بوجه وقح ويلقاهم الناس لا يعرفون حقيقة ثرائهم وما يظنه المجرمون خافياً من سفول مبساعهم ودنىء نشاطهم وحقر ثرائهم وتلك هي الكارثة الحقيقية التي يعانيتها مجتمعنا .

ان المجتمع لا ينزل عقابه على من يستحقون هذا العقاب . وأرى - ويا لهول ما أرى - الناس يحترمون الثرى مهما يكن مصدر ثرائه .

بل يحترمونه وهم واثقون كل الثقة أن هذا الشراء مصدره الجريمة المتوقعة من نهب أو سلب أو نصب أو اتجار بما أجمع المجتمع على هوله. الآثار التي يدمر بها أجيالا وأوطانا *

لابد أن يوقع المجتمع جزاءه على المجرم مهما يكن قادرا على التفلت. من يد العدالة القانونية * أن عدالة المجتمع ينبغي أن تكون أقوى وأعظم فعالية من عدالة القانون *

فالقانون. نصوص. وقد يكون القاضى مقتنعا كل الاقتناع بأدائه مجرم ينظر فى قضيته ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يدينه لأن مواد القانون تقف حائلا بين المجرم والأدانة *

وليس هذا نقصا فى القانون ولكن تلك هى طبيعة القوانين فأنها تتوخى أن توفر الجزء الأكبر من العدالة مع المحافظة على حرية الأفراد وافترض البراءة حتى تثبت الأدانة *

وحتى يتم التوفيق بين الحرية والادانة قد يقف القانون قاصرا عن ادانة من يستحق الادانة *

وهنا ينبغي للمجتمع ان يكون هو القانون * ويتحتم عليه أن يوقع جزاءه على المجرم حتى وأن أقلت من أصابع القانون *

يروى المرحوم حفى محمود باشا فيما يروى عن أخيه محمد محمود. باشا رئيس الوزراء الأسبق *

انه كان جالسا - أى حفى باشا - مع سيدة من أجمل سيدات مصر ومن أكثرهن شهرة ولم تكن سمعتها فوق مستوى الشبهات وكانت الجلسة فى شرفة الكونتنتال القديمة وكان يعلم أن أخاه محمد باشا قادم الى الفندق لموعدهام *

فاخبر السيدة التى يجالساها أن أخاه قادم بعد دقائق فتمنت السيدة بالحاح أن يقدمها الى الباشا أخيه * لأنها معجبة به غاية الاعجاب فوعدها حفى باشا بذلك وما لبث أن جاء محمد باشا محمود وقام اليه أخوه حفى باشا ومعه السيدة وصافح حفى باشا أخاه وقدم اليه السيدة قما أن سمع محمد باشا اسمها حتى وضع يده اليمنى وراء ظهره ورفض أن يسلم على السيدة التى لم تكن سمعتها فوق مستوى الشبهات *

ويقول حفتى باشا انه كاد يغمى عليه ولكن اخاه لم يلتفت اليه
هو اصل طريقه الى داخل الفندق .

لو أن المجتمع اليوم وضع يده اليمنى وراء ظهره ورفض أن يصفح
أولئك الذين يمزقون الحياة لكان في تصرف المجتمع رادع أشد وقعا
هما يردعه القانون .

أيمكن أن يتم هذا .. هيئات ؟

١٣/٥/١٩٩١ الأهرام

نزوة أمير

أعيد في هذه الأيام قراءة كتاب من أعظم كتب التراث العربي وهو كتاب « تجريد الأغاني » تأليف ابن واصل الحموي وتحقيق عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين والأستاذ العلامة المحقق إبراهيم الأبياري .

وللكتاب قيمة خاصة عندي لأن عليه اهداء الى مهمورا باسم استاذنا العميد د. طه حسين .

وبالكتاب طرف كثيرة ربما قدمت اليك منها بعضي شذرات . ولكن طرفة بذاتها قرأتها اليوم وجدت أنها جديرة بالرواية والتعليق واليك هي ربما غيرت في صياغتها بعض الألفاظ لتصبح يسيرة قريبة .

ذكر أن أبا دلامة - وهو شاعر معروف - دخل المهدي وعنده جماعة من أهل بيته ومن بنى هاشم فقال المهدي لأبي دلامة :

- إذا لم تهج واحدا من الحاضرين قطعت لسانك .

فبهت أبو دلامة وراح ينظر الى الجالسين وينظرون اليه وكلمات التقت عيناه بعيني واحد منهم غمزه بأنه سيكافئه اذا هو لم يهجه ويقول. أبو دلامة وهو يروي هذه القصة : فعلمت أنني قد وقعت فريسة لنزوة من نزوات الأمراء وليس لي منها مخرج ولا عنها محيد فلم أر واحدا أحق بالهجاء مني ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسي فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة قلت قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة
جمعت دهامة وجمعت لؤما كذلك اللؤم تتبعه الدهامة
فان تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة

وقد أعجبنى في هذه الأبيات قوله وكذلك اللؤم تتبعه الدهامة فقد عبر بهذه الشبطرة عن حقيقة انسانية رائعة فليس اللؤم هو الخبث.

« يسكون الباء » وانما هو الخبث « بفتح الباء » وهو الحقد وانكار الفضل وكره الذين يكرمهم الله واستكثار كل نعمة تصيبهم والاستهانة بكل فضل يناله اللئيم . والذين على هذه الشاكلة ترى على وجوههم قفرة وغبرة فليس القبح هنا مصروفا الى تقاطيع الوجوه وانما يقصد به اظلام الوجوه فهي مربدة مكشرة وحين يقول النبي صلى الله عليه وسلم « استصبحوا الوجوه » لا يقصد الجمال فى تقاطيع الملامح وانما يقصد ذلك الاشراق الذى يعلو سمات الوجه صادرا من داخل النفس الصبوح المشرقة .

فالحقد يجعل النفوس ظلاما قاتما تعلوها أمواج وأمواج وسحاب لا ترى الا النور لا تشتت ان ترى اليه .

وقد سمعت من أبى كلمة قالها لصديق له وكنت صغيرا الى درجة اننى كنت واقفا امامه داخل السيارة ومع ذلك ظلت الكلمة لاصقة بنفسى منذ تلك السن الباكرة قال أبى « جا حققت على أحد فى حياتى وما كرهت حاقدا على مطلقا وانما أنا دائما أرئى له وأقول فى نفسى كفاه ما بصدوره من نار تاكل كيانه جميعا » .

وعودة الى هذه الأبيات التى هبط بها أبو دلالة نفسه فى واقعة جديدة بانعام النظر ، لقد هجا الشاعر نفسه ليأمن غدر الجالسين العظام . وليستجدى جدواهم وكرمهم ومال الأمير أيضا .

فقد كان الشعراء فى ذلك الزمان هم الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والصحافة وكل وسائل الاعلام والاعلان أيضا .

وكان الأمراء يستجدن مديح الشعراء باغداق المال عليهم وكانوا ينزلون بهم أشنع العقاب اذا هم تجرأوا بنظم أبيات لا تمدحهم المدح الصريح الذى لا شك فيه ولا شبهة .

وكان الشعراء يعيشون على ما يقدقه الأمراء .

واليوم تحرر الشعراء من هذه العبودية وأصبحت قصائد المجيدين منهم أغنيات تذاع فى كل وسائل الاعلام وعلى المسارح وشاشات السينما وهكذا أكرمهم الله بحرية الكلمة فأكروها كلمتهم وصانوا وجوههم .

ولكن هل اختفى من الحياة أولئك الذين يهجون أنفسهم أشهد الله أنهم كثروا وزادوا وأن كان التاريخ يروى لنا عن أبى دلالة حين هجا

نفسه وعن الحطينة الذى هجا نفسه هو الآخر فقد أصبح الذين يهجون أنفسهم فى حياتنا اليوم الوفا مؤلفة • وان لم يكن هجاؤهم لأنفسهم بالشعر فهو هجا بالعمل والقول جميعا •

والا فقل لى بربك ألا يهجو نفسه ذلك المنافق الذى يكيل المديح لمن لا يستحقه لينال رضاه أو جدواه سواء كانت هذه الجدوى مالا أو ترقية أو علاوة •

وقل لى بربك أليس كل من يدعى ما ليس فيه يذم نفسه أليس يقول اننى بما خلقتنى الله عليه وبما أصنع حقير فيتظاهر بغير طبيعته ويدعى ما ليس له بحق ويحكى عن أعماله ما لم يعمل هذا الذى تسميه اللغة العربية « النفاق » ويسميه المصريون « الفشار » و « المزاع » •

أليس هذا يهجو نفسه كما فعل أبو دلالة ؟

والذى يتناول المخدرات ألا يعلن هذا للملأ أن عقله الذى وهبه له الله تافه سخيىف وانه يلجأ للمخدرات لتجعله يغيب عن وعيه وعن إنسانيته وعن عقله أعظم ما كرم به الله عباده ؟

والذى يشتري السيارات الفاخرة ليعلن على الناس انه صاحب ثروة باذخة وغنى عريض أليس هذا هاجيا لنفسه يقول للناس انه كائنسان لا يستحق الاحترام وانما هو كصاحب مال جدير بالاحترام وقس عليه كل أولئك الذين ينفقون أموالهم فى المظاهر الكاذبة اليسوا جميعا يهجون أنفسهم بالفعل والعمل والتصرف اذا كان أبو دلالة هجا نفسه بالشعر فقط !؟

والمرتشون والراشون ألا يهجون أنفسهم حين تجد المرتشى يسمح للراشى ان يعتدى على حقوق الآخرين لأنه قدم اليه الرشوة أو حين يمتنع أن يعطى الحق لصاحبه الا اذا نال منه الرشوة وحين يقبل الراشى ذلك ويقدم رشوته يشجع المرتشى على صنيعه اليسوا جميعا يهجون أنفسهم ؟

انهم لم يقرأوا القرآن الكريم فلو قراوه لذكروا الآية الكريمة « ١٨٨ » من سورة البقرة « وتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » •

أن المرتشين أو طالبي الرشوة والراشين أيضا يهجون أنفسهم ولكن
الله ناصر من ينصره .

ولو حاولنا أن نحصى الذين يهجون أنفسهم لامتنع علينا العدد.
وعجزت بنا الاحاطة وانما هي أمثلة ومثلها كثير .

كم من أبى دلامة بيننا ولكنهم يتخفون وراء مظاهرهم وجهلهم بالشعر
والثقافية ولا يذيع من أمرهم ما ذاع من أمر أبى دلامة غفر الله له .

١٩٩١/٥/٢٧ الأهرام

السبب الضائع

وكلمة السبب كلمة واسعة المعنى كثير المجرى على السنة الناس •
ولكن السبب الذى أقصده كلمة قانونية خالصة • فالسبب ركن من أركان
العقد إذا مس سلامته خلل ما وقع باطلا وإذا بطل السبب أصبح العقد
كله باطلا •

ومن شروط سلامة السبب مثلا أن يكون مشروعاً ولذلك فدين القمار
باطل إذا عرف القاضى أن الدين الذى يطالب به المدعى بموجب ورقة
ما ناتج عن القمار رفض الحكم باستحقاق الدين لأنه ناتج عن سبب
غير مشروع •

وإذا طالبت سيده ما شخصا ما بأموال وكان معها ما يثبت مديونيته
بها وعرف القاضى أن هذا الدين مقابل علاقة غير مشروعة وقع العقد باطلا
وامتنع القاضى أن يحكم لها بدينها •

ومن شروط سلامة السبب أن يكون العقد مبرما بين متعاقدين من
الطبيعى أن يقوموا بالعمل موضوع العقد وألا يكون أحدهم يعمل فى
ميدان بعيد كل البعد عن نشأة العقد بصورة تتنافى مع طبيعة عمله وكرامة
هذا العمل وألا وقع العقد باطلا •

وكان أستاذنا العظيم الدكتور عبد المعطى الخيال يملئ علينا
مذكراته لأنه رفض أن يصدر كتاباً حتى لا يتهم أنه يتاجر على الطلبة •

والمثل الذى ضربه لنا فى طبيعة عمل المتعاقدين وتنافرها مع موضوع
العقد المبرم كان مثلاً صارخاً لا يستطيع الطالب أن ينساه يقول المثل
« فلو تعاقد استاذ فى كلية الحقوق مع شخص آخر أن يقيم الأستاذ حفلاً
ماجناً للمتعاقد الآخر وقع العقد باطلاً لأنه من غير المقبول أن يقيم استاذ
فى كلية الحقوق حفلاً ويتقاضى فى سبيل ذلك أجراً وكأنه محترف يعمل
فى هذا الميدان •

وكانت نظرية السبب هذه تدرس لنا ونحن فى السنة الثانية بكلية الحقوق وكان الموضوع المقرر على هذه السنة هو الالتزامات .

وكان من حظى أن أمتحن الامتحان الشفوى فى الالتزامات أمام الأستاذ العظيم د. حلمى بهجت بدوى وكان موضوع سؤاله السبب وأركانه فأجبت وذكرت فى إجابتي ذلك المثال الذى أملاه علينا الدكتور الخيال الذى يتخذ أستاذ كلية الحقوق الحفل الماجن نموذجاً للعقد الباطل فإذا بالدكتور حلمى بهجت بدوى يتقرز فى مجلسه وتتقلص ملامح وجهه ويكاد يضيح بى :

— ما هذا ؟ أصبح أن تضرب مثلاً كهذا ولا تراعى كرامة أستاذ لك فى كلية الحقوق ؟

فقلت بهدوء :

— ان المثل يكرم أستاذ الحقوق ولا يمس كرامته فهو ينزعه أن يقوم بهذا العمل وجعل منه الطرف الأشرف البعيد كل البعد عن الاتيان بهذا الفعل المشين . ثم ان المثل الصارخ كقيل بأن يجعله ثابتاً فى الذهن لا تفلته الذاكرة بل تحفظه وتعيه ومع كل هذا فان هذا المثل ألقاه علينا فى مذكراته أستاذ من أعظم أساتذة الحقوق .

فقال د. حلمى :

— تقصد الدكتور الخيال .

— نعم الدكتور الخيال .

— أهذا المثال فى المذكرات .

— نعم .

وأوقف الدكتور حلمى الامتحان حتى أحضروا له المذكرات من أحد التلاميذ الذين ينتظرون لجان امتحاناتهم وقرأ الدكتور المقال فى مذكرات الدكتور الخيال وارتاحت نفسه وإبتسم وأنهى امتحاني وعرفت الدرجة التى نلتها فيما بعد طبعا وكانت درجة عالية .

وانا لا أسبق هذه الواقعة لمجرد أن أروى عليك طرفاً من طريف القانون أو واقعة تستحق الرواية من أيام حياتي .

وانما أرويهما لأننى اليوم أذكر هذا المثال دائما وأتساءل هل مازال هذا الركن قائما ضمن مقومات صحة السبب وسلامة العقد .

وما أظن فقد أمسينا اليوم وكل انسان يفعل ما يريد ليستجلب المال الى حيز هلكيته فما أصبحنا ندري ماذا يعمل هذا وعلى أى مادة يتعاقد ذاك .

الذين يتمتعون بالحصانة البرلمانية بعضهم - ربما كانوا قلة ولكنهم قلة كثيرة ان جاز التعبير وقد أصبح جائزا فى أيامنا هذه - الذين يتمتعون بالحصانة البرلمانية يتخذونها وقاء للاعتداء على الحياة والأحياء . وبعضهم يتخذها قلعة يحارب منها أعداءه لا فى السياسة - فلم تصبح فى حياتنا عداوات سياسية - وإنما هو يحارب أعداءه فى اغتصاب الأموال والحقوق . وبعضهم يتذرع بها لينال ما ليس له بحق من أقوام لا حول لهم ولا طول ولا قوة . مع أن الحصانة لا يطلب رفعها الا فى القضايا الجنائية ولا يطلب رفعها فى القضايا المدنية . لأن الحصانة شرعت لحماية العمل البرلماني وعدم اعاقه العضو عن أداء هذا العمل عن طريق قيد حريته وهذا لا يتوافق فى القضايا المدنية والصانع يعمل فى غير صناعته والأستاذ يقوم بغير عمله والتاجر يتاجر بالشرف قبل أن يتاجر ببضاعته .

ان ركن السبب الذى تعلمناه تاه فى الحياة وضاع وكان الله فى عون القضاة بماذا يحكمون اليوم . بالسبب الذى تعلمناه فى كلية الحقوق أم بالأسباب التائهة الضائعة التى تسيطر اليوم على حياتنا ؟! كان الله فى عونهم .

١٠/٦/١٩٩١ الأهرام

الديمقراطية وضوح

يتحمس بعض المصريين للديمقراطية ويذهبون في ذلك مذاهب موهلة في التطرف وينبغي أن يعلم هؤلاء أن علماء القانون يكادون أن يجتمعوا على أن الديمقراطية ليست هي طريقة الحكم المثلى التي لا يعتورها عيب بل أن بها كثيرا من العيوب . ولكن هؤلاء العلماء أنفسهم يجمعون أيضا على أن الديمقراطية هي أحسن نظم الحكم التي عرفتها البشرية .

ومن بين ما يطالب به أولئك المتحمسون للديمقراطية أن يكون اختيار المحافظين في المحافظات بالانتخاب ، ولو تحقق هذا لادى الى كارثة لا يستطيع أحد أن يتلافها أو يتجنبها .

فانتخاب المحافظ سيجعله لا شك يحاول أن يكون على أحسن الصلات مع الأعيان وذوى الشأن الذين يستطيعون أن يسيطروا على كثير من الأصوات وهكذا تذهب مصالح الأفراد الضعاف بددا وقد ينصب عليهم الظلم من ذوى النفوذ ويقف المحافظ مع صاحب الأصوات وينزل ظلمة بالمظلوم .

وقد أظهرت الانتخابات في كثير من الأحيان انها لا تختار الأحسن وأنها قد تختار الأسوأ والأمثلة حاضرة من قريب ومازلنا نعاني منها معاناة فيها كثير من الألم والمرارة .

فقد يستطيع هذا الأسوأ أن يغرى الناس بأمواله وبصلاته فلا يعنيه في شيء ما يتمتع به من سيرة عفنة ومن تصرفات يندى لها جبين الانسانية وتتنافى مع الشرف والمثل العليا كل المنافاة .

وما أحسب كلامي هذا خافيا على القراء بل انهم يعلمونه حق العلم ولا احتاج في شأنه الى ايضاح .

ومازلت أذكر والألم يعتصر نفسى إحدى مرات الانتخابات تقدم فيها مرشح متهم بالسرقه والرشوة والاختلاس وكان أنصاره في المعركة

الانتخابية يهتفون حرامى حرامى ولكن نحبه فكانت هتافاتهم سبة فى جبين الانسانية والشرف وقد اكتسح هذا المرشح منافسيه. ونجح نجاحا ساحقا وأصبح عضوا بمجلس الشعب .

وإذا كان هذا المثال ينصرف الى جماعات كانت لها الجرأة أن تهتف هذا الهتاف المهين فإن كثيرا من الناخبين ينتخبون الذى تربطهم به صلة مهما يكن غير جدير بأن ينتخب وأن كثيرا آخرين من الناخبين ينتخبون القارذ على أن يؤدى لهم مصالحهم الصغيرة غير ناظرين الى خلق هذا المرشح أو فضله أو عليه .

ولسكن وجسود غير ذوى الفضل فى مجلس كثير العدد قد يجعل أصواتهم خافتة ويجعل المثل العليا تفوز آخر الأمر .

أما إذا أصبح هذا المرشح محافظا ينفرد بالأمر والنهى فالكارثة محققة لا سبيل الى دفعها ومع ذلك فليس هناك لاختيار الأعضاء فى المجالس التشريعية وسيلة خيرا من الانتخاب على ما فيه من عيوب غير خافية على أحد أما انتخاب المحافظين فأمر يؤدى بأمة مثل مصر الى الهلاك فإنه ينبغى على كل دولة أن تختار من الديمقراطية ما يتمشى مع أحوالها الاجتماعية والثقافية فلا تحاول أن تقلد تقليدا أعمى دولا أخرى تختلف أحوالها عن أحوالنا كل الاختلاف .

إن المحافظ مثل فعال غاية الفعالية فى السلطة التنفيذية والسلطة التنفيذية يختارها الحزب صاحب الأغلبية والحزب صاحب الأغلبية وصل الى أغلبيته والى الحكم عن طريق الانتخاب فمن الطبيعى أن يختار هو ممثلية فى السلطة التنفيذية .

ولذلك فإن دول العالم الديمقراطية جميعا لا يصل فيها الوزراء الى كراسيهم بطريق الانتخاب وإنما يختارهم حزب الأغلبية ولا شك أن سلطات الوزير أكبر من سلطات المحافظ فهو ليس مسئولاً فقط عن الأعمال التنفيذية فى وزارته التى تشرف على مصالح تشمل الدولة جميعها وإنما هو أيضا الواجهة التى تحاسبها المجالس التشريعية وهو صاحب رأى فى مجلس الوزراء الذى يتولى أمور الدولة كلها والذى اليه ترجع المسئولية فى كل شئون البلاد .

والمحافظ المنتخب ليس من الحتم أن يكون منسجما مع ممثلى السلطة التنفيذية جميعها وإن لم يسد الانسجام أعضاء السلطة التنفيذية

جميعها .يصبح الأمر فوضى لا قوام له ولا كيان ومن القواعد الدستورية المقررة انه لابد أن يكون مجلس الوزراء متفقا في المبادئ الأساسية التي يسير عليها لحكم في البلاد فإذا رأى وزير أن رأيه يتنافى مع مبدأ أساسى من هذه المبادئ فعليه أن يستقيل .

أما إذا اختلف وزير مع أخوانه فى موضوع ليس جوهرى وأبدى رأيه فى مجلس الوزراء ولكن الوزراء رأوا بالأغلبية رأيا غير رأيه فإن عليه إذا خرج الى الصحفيين والاعلام أن يؤيد الرأى الذى انتهت اليه الأغلبية ويذكر الحجج التى اعتمدت عليها هذه الأغلبية وان كانت غير متفقة مع رأيه ويسمى بعض فقهاء الدستور هذا التصرف تسمية عنيفة فهم يطلقون عليه النفاق الوزارى . وليس النفاق هنا صفة منمومة مرفوضة بل هو أمر محمود ولا بد منه ، ولعل النفاق لا يكون محمودا الا فى هذا الموضع . وطنيى أن هذا الأمر لا يكون الا فى المسائل البسيطة التى لا تمثل مبدأ أساسيا من مبادئ الحكم أما فى المبادئ الأساسية فإن النفاق الوزارى غير جائز بل يصبح خيانة للنفس وللوطن فى وقت معا .

وليس من المعقول أن يستقيل الوزير كلما اختلف مع زملائه فى موضوع من الموضوعات التفصيلية التى تمثل أساسا من أسس الحكم ولكن حتم عليه أن ينأى عن السلطة التنفيذية اذا كان مسار الحكم عندها يتعارض مع مبادئه الأساسية .

ولذلك فإنه يتحتم أن تكون سياسة السلطة التنفيذية واضحة المعالم وأن تكون العناصر الكبرى فيها بيئة السمات ليس فيها شك ولا ابهام وان يكون الانسجام سائدا بين عناصرها .

٢٤/٦/١٩٩١ الأهرام

رجل مات

فقدت في هذا الأسبوع صديقا ربما كان أقرب الأصدقاء إلى نفسي عرفته وأنا طفل صغير وظلت معرفتي به دائمة طوال هذه الأعوام فقد عمل مديرا لمكتب أبى ومعاوننا له في حزب الأحرار الدستوريين وربما كنت أثقل عليك بأحزاني الخاصة ولكن هذا الرجل كان مثلاً أعلى في كل حياته ومن حقه على ككاتب أن أرفع ذكره نموذجاً فريداً في الانسانية والعفة وطهارة السيد والايمان بالله وبالوطن وإذا لم تكزيم نحن الكتاب المثل العليا لتكون أعلاماً خفاقة على الخلق الأسنى فمن يفعل ذلك . . .

أنه المرحوم عبد الفتاح الشناوى كانت آخر وظيفة تولها هي وتُيل وزارة فما أجسب أن الحكومة المصرية أو غير المصرية عرفت رجلاً في مثل نزاهته وشرفه ووقوفه مع الحق وأن كانت حياته هي الثمن . يقول الكلمة لا يرجو بها الا وجه الله والشرف والخلق الرفيع غير مبال بما قد تعود عليه هذه لكلمة من الويل والنكال والتشريد .

كان مديراً لمكتب أحد الوزراء في الأيام الأولى للثورة ووصل إليه خطاب موجه الى الوزير من مكتب رئيس الوزراء وكان يحمل توقيع مدير مكتب رئيس الوزراء ورأى في هذا امتحاناً للوزير الذى يعمل معه . فرفع سماعة التليفون وطلب مكتب رئيس الوزراء وطالعه صوت مدير المكتب وجرى بينهما الحديث :

— سيادتكم مدير مكتب رئيس الوزراء .

— نعم أنا هو .

— أنا عبد الفتاح الشناوى مدير مكتب وزير . . .

— أهلاً وسهلاً . . . نعم . . .

— جاء الى الوزير خطاب من رئيس الوزراء موقع باسمك وهذا مخالف للأصول المرفوعة . فالوزير لا يخاطبه الا رئيس الوزراء شخصياً ولا يجوز أن يخاطبه مدير مكتبه .

— ما هذا الكلام الفارغ •

— ليس كلاما فارغا وانما هي المحافظة على كرامة الوزراء وكيف يعمل الوزراء اذا لم نحافظ على كرامتهم •

— قال مدير مكتب رئيس الوزراء فى صلف غاضب :

— أتعرف الى من تتكلم •

— نعم أكلّم مدير مكتب رئيس الوزراء •

— أنا فلان عضو مجلس قيادة الثورة •

— ولم يكن الاسم عاديا فقد كان مجرد ذكره يجعل الفرائص ترتعد والقلوب ترتجف ولكن عبد الفتاح الشناوى قال فى شجاعة منقطعة النظير :

— لا شأن لى بموقعك فى مجلس قيادة الثورة انما أخاطبك كمدير لمكتب رئيس الوزراء •

— الظاهر أنك حمار فعلا •

— بل الحمير أنت •

— أنت ابن •• وابن •••

وذكر أباه وأمه معا فاذا الشناوى يقول فى طبيعة مواتية •

— بل انك أنت ابن •• وابن ••

وذكر أباه وأمه أيضا •

• ووضع السماعة •

وبعد دقائق استدعى الوزير مدير مكتبه عبد الفتاح الشناوى •

— ما هذا الذى فعلته •

— أحافظ على كرامتك •

— وهل طلبت منك أن تحافظ على كرامتى •

— أنا متحمل لكل المسؤولية •
— تحملها وحده •
— اتحملها وحدي •
— وخرج الى مكتبه وكأنه لم يصنع شيئا •
ومر اليوم وذهب الى بيته وأعد حقيبتة التي سيصحبها الى السجن
وفي اليوم التالي ذهب الى مكتبه شأنه في كل يوم وما هي الا بعض الساعة
حتى دق جرس التليفون بمكتبه •

— السلام عليكم
— وعليكم السلام أهلا وسهلا •• من حضرتك •
— أقول لك من أنا ولا تشتمنى •
— أنا لست قليل الأدب •
— أنت لست قليل الأدب ولكن أنا قليل الأدب أنا فلان •
انه هو مدير مكتب رئيس الوزراء وعضو مجلس قيادة الثورة والاسم
الذي ترتعده له الفرائص وترتجف القلوب وقال الشناوى :

— أهلا وسهلا •
— وقال عضو مجلس قيادة الثورة :
— أهلا بك قد طلبتك لاعتذر اليك فهل يكفي التليفون أم أحضر
اليك لأقدم اعتذارى فى مكتبك •
— لا ياسيدى يكفي التليفون وقد قبلت اعتذارك •
— لقد بدأتك بالعدوان ومن حقد على أن أعتذر اليك •
— انتهى الأمر ان الله غفور رحيم •

ومرت سنوات وجاءت حرب ٥٦ فجمعت جلسة من الضباط بين
عضو مجلس قيادة الثورة وبين ابن أخ الشناوى فحين سمع عضو المجلس
الاسم الضابط قال له :

— الك قرابة بعبد الفتاح الشناوى •

— هو عمى •

— لو كان بمصر عشرة رجال من أمثال عمك ما وصلت مصر الى ما وصلنا اليه •

وبعد فقد مات عبد الفتاح الشناوى فى الأسبوع الماضى ألا ترى أنه جدير بهذا الرثاء وهذه الدمعات التى اسكبها بين يديك •

أنا لا أبكى فيه صديق عمر وتوأم روح وإنما أبكى فيه رجلا حين أصبح الرجال ندرة لا تكاد تعثر على واحد منهم يستحق ما يستحقه عبد الفتاح الشناوى من اجلال واكبار •

رحمة الله واسعة وأنزله منازل الشهداء والصديقين انه سميع قريب •

الأهرام ١٩٩١/٧/٨

الثقافة كتاب

لا أملك إلا أن أشيد كل الإشادة بما تقدمه السيدة العظيمة حرم السيد رئيس الجمهورية من جهد رائع لتهيئة المكتبات للأطفال بل حق على أن أشيد بكل ما تقوم به من أعمال مشرقة في ميدان الحياة الاجتماعية والانسانية في شتى جوانب الحياة من اهتمام بالمرضى والمستشفيات والحدائق والمعوقين فان الأعمال التي تقوم بها لا يحيط بها احصاء وكلها تدعو الى الاجلال والاكبار والاعتزاز .

والذى يكتم شهادة الحق مديحا كانت أو نقدا جبان . فكما ينبغي على الكاتب أن ينتقد ما يراه يستحق الانتقاد يتحتم عليه حتما أن يمتدح ما يستحق الثناء .

وان هذا الجهد الذى تقوم به السيدة حرم السيد الرئيس في ميدان الكتاب للأطفال من حقها علينا أن نفخر به وبها ونقدره ونكبرها كل الاكبار ونعتز به وبها غاية الاعتزاز . فالقراءة تعود وأن استطعنا أن نجعل الطفل يتعود القراءة أطمانت نفوسنا أنه سيصبح قارئاً طوال حياته ومادام قد أمسك بالكتاب وأحس متعة القراءة وما تعود به عليه من ثقافة وسعادة فانه سيشب والكتاب فى يديه يستطيع أن يستغنى به عن كل المغريات الأخرى التى تقطع الوقت ولا تهب لروادها غناء فى المعرفة أو العلم .

فالاهتمام بالقراءة للأطفال شئ عظيم وانما ينبغي الا يشغلنا هذا عن الاهتمام بالقراءة للشباب أيضا بل والكبار فقد أصبحت المكتبات نادرة كل الندرة فى المدن ومعدومة تماما فى القرى وتلك كارثة كبرى .

وأذكر فى أيام الدراسة أن كان عندنا فى المدرسة مكتبة من أعظم المكتبات وأذكر أننا قررنا ونحن فى السنة الرابعة الثانوية أن ننشئ مكتبة فى الفصل فكان التلاميذ يشترون الكتب الجديدة ويقرأونها ثم يعيرونها لمكتبة الفصل فيتمكن تلاميذ الفصل جميعا من قراءتها ثم يسترد أصحاب الكتب كتبهم آخر العام الدراسى .

وكانت عندنا أيضا المكتبة الرائعة فى باب الخلق فى وسط القاهرة
وكانت استعارة الكتب منها ميسورة ليس فيها أى تعقيد .

وكانت عندنا فى الزقازيق مكتبة طالما لجأت إليها فلم تخذلنى مرة
واحدة وكنت أجد فيها ما أريد دائما . واعتقد أن جميع المحافظات كان
بها مكتبات مماثلة .

فأين اليوم مكتبات المدارس ولا أقول الفصول وأين المكتبات العامة
فى مدن المحافظات . لقد استغنيا عنها بقصور الثقافة ومكتباتها فقيرة
لا كتب فيها الا ألهابط الذى لا يجد من يقرأه ثم نجد قصور ثقافة قد
انقلبت الى دور للسينما التافهة والندوات التى لا يحضرها الا قلة
قليلة .

حتى أننى أسميها اليوم قصورا فى الثقافة لا قصور ثقافة فهى فى
مبانيها قصور وهى فيما تحويه لا ترتقى الى مرتبة العيش والعيش وقد عشنا
فترة كبيرة من حياتنا نضع العناوين الضخمة على الفراغ . ونكتفى
بالهتاف عن العمل وبالهتاف عن الجهد وباللهو عن الجدية .

ان الفقر الشديد الذى تعانيه مصر فى المكتبات العامة يتيح
الفرصة للشباب أن ينأى عن الثقافة بدعوى - هو محقق محقق فيها الى
حد ما - أن الكتب مرتفعة الثمن وأنه لا يجد مكتبات عامة .

ولو أن هذا العذر ليس مقننا عندى بالقدر الحاسم فأنى أرى اقبالا
ضخما على شراء أشرطة الفيديو واستئجارها وثمن الكتاب لا يزيد على
قيمة الاستئجار ويتضاءل اسيفا بجانب اثمان الشراء للأشرطة .

فالحجة ليست مقنعة ولكن من حق الشباب الذى لا يملك ثمن
أشرطة الفيديو أو قيمة ايجارها أن يجد الكتاب متاحا له بالمجان فى كل
مكان .

وانى لا أنسى خطابا جاءنى من أحد الشباب بالصعيد يقول لى فيه
أنه لم يقرأ فى حياته الا نصف كتاب استثماره من صديق له أبى أن يتركه
لديه حتى يتم قراءته .

والشباب فى القرى يقضى شهور الأجازات الدراسية الطويلة لا يجد
شيئا يفعله الا لعب الرياضة .

ولست أدري أى شيطان أوحى الى هيئات الشباب فى مصر أن تهتم
بأقدام الشباب ولا تهتم برؤوسهم •

فالنوادر الرياضية اليوم فى كل قرية فأى ضير أن يوضع فى كل
نادى دولاى يكون مكتبة لأبناء القرية وتستطيع القرى المجاورة أن تتبادل
هذه المكتبات بين بعضها البعض كل فترة معينة •

ولماذا لا نجد فى نوادر القاهرة الرياضية مكتبات ، وفى المساجد
والكنائس والمصانع •

ويستطيع القارئون على هذا الأمر أن يتفقوا مع الناشرين على طبع
كتب عظيمة فى طبقات شعبية • ولا شك أن الناشرين سيسعدون بهذا
إذا ضمنوا انهم سيوزعون من هذه الكتب كميات تعود عليهم بالكسب
المادى • فالناشر ليس مستعدا أن يتبرع بأمواله ولكنه ينشر الكتب
ليكسب منها وهذا أمر طبيعى لا يستطيع أحد أن يلومه عليه •

ان عبء نشر المكتبات فى القرى يقع على هيئات الشباب وعلى
وزارة الثقافة وعلى وزارة التعليم واعتقد أن ميزانية الثلاثة مجتمعين
تستطيع أن تحقق هذا الأمل فى سهولة ويسر • كل ما نحتاج اليه هو
تضافر هذه الجهات فإذا فعلوا فإن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن
عملا •

الأهرام ١٩٩١/٧/٢٢

وداعا أخا العمر

ربما لم تعرف العلاقات الأدبية أو العلاقات الانسانية مثيلا ما كان بينى وبين الراحل العظيم يوسف ادريس فقد تعارفتما فى أوائل الخمسينات وكانت الصلة بيننا صلة عجيبة فربما نكون اختلفنا فى كل ما نكتب من آراء فى المقالات ولكننا نلتقى فاذا نحن متفقان فى كل ما نقول وهكذا نختلف فى كل ما كتبنا واتفق كلما التقينا وربما كان الاستثناء الوحيد الذى اتفقنا عليه فيما نكتب يوم كتبنا عريضة الاحتجاج للمطالبة بالحرية للرئيس الراحل أنور السادات قبل حرب ٧٣ تلك العريضة التى وقع عليها أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فقد وقع عليها معنا الراحل العزيز يوسف ادريس . . وكنا اذا التقينا أنا ويوسف وكثيرا ما كنا نلتقى فى الأهرام فحجرتة ملاصقة لحجرتى وطالما جمعتنا غرفة عميدنا توفيق الحكيم كنا اذا التقينا حدث بيننا هذا النوع من التجاذب الذى لا ندرى من أين ينبعث وانما هو لقاء روح بروح وأحس أننى أحبه وأرى فى عينيه أنه يحبنى . ولا يمنعنا هذا الذى يثق فيه كلانا كل الثقة أن يخاضم أحدهما الآخر وقد نعالن بهذه الخصومة فى مقال أو فى حديث اذا علم أو آخر تليفزيونى .

ونلتقى فنتعانق ولا عتاب وانما هو حب له اردية فى نفسى وحب منه لى أراه فى مجياه كان هذا حالنا ، أما يوسف ادريس الكاتب القصاص فأنا أعتبر قصصه القصيرة تقف شامخة مع أعظم القصص العالمية ان لم تتفوق عليها . وأعتقد اعتقادا راسخا أن يوسف ادريس هو الأب الشرعى للقصة القصيرة فى عهدنا الحديث . وأحسب — وأرجع لله أن يخلف حسبائى فيما بقى لنا من حياة .

وبعد فيا صديقى الذى رحل لن تبقى بيننا غير الصداقة وغير تلك الذكريات الشفيفة التى طالما جلسنا فيها وجدنا وكاشف كل منا الآخر بالدقيق المستخفى من أسراره .

ويا صديقى أننا فى هولندا متقاربان لا يفصل بين ميلادك وميلادى الا شهر واحد تكبرنى به فانت ابن جيلى وأخ عمرى مهما يكن قد نشب بيننا من خلاف فالذى بيننا من حب كان دائما أكبر وأعظم . فاستودعك الله سبحانه . يا يوسف خير الودائع من خير المؤدين . أننا له وأنا له راجعون .

١٩٩١/٨/٣ الأهرام

استقيموا يرحمكم الله

نسمع هذه الجملة في كل صلاة جامعة يقولها الامام لمن يؤمهم في الصلاة ويتبعها بقوله ان الله لا ينظر الى الصف الاعوج .

واستقامة الصفوف خلف الامام رمز لأن تكون الاستقامة هي مثلنا الأعلى في الحياة فمالى أرى الحياة والناس فيها لا يستقيم لهم صف ولا خلق وما لى أرى الذين يتولون كثيرا من المناصب لا يستقيم لهم شرف ومادام الرؤساء ذوى عوج فى أخلاقهم فالعاملون تحت رئاستهم أشد عوجا هل أضيفت الاستقامة نادرة فى الحياة هذه الندرة التى نراها وما الذى أدى بالمتعرضين للحياة العامة أو بعضهم على الأقل لا يسيرون على الطريق المستقيم .

ما هذه الانباء التى تفجعنا فى كل يوم بان صاحب مكان هام انتهب ما هو عليه أمين أو من كان مفروضا فيه أن يكون أمينا عليه .
عجيب أن يحدث هذا ورئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك مثل أعلى فى طهارة اليد ونقاء النية وشرف العمل بل هو مثل أعلى فى الجهد الذى يقوم به فى سبيل الوطن لا ييغى من وراء ذلك إلا صوالج الأمة وما فيه خيرها ورغدها وهناؤها .

ما لهؤلاء الرؤساء لا يتخذون من رئيس الجمهورية نبراسا لهم منيرا ونوره ساطع ومالهم لا يترسمون خطاه وهى جميعا خطى لا يحدوها الا نبالة القصبه وشرف الهدف ورفعة المتجه .

ان الشخص الذى يعمل بالحياة العامة ليس ملكا لنفسه وانما هو ملك للعاملين معه وللجمهور كافة بل وللعالم أجمع فالذى يجيد عن الشرف منهم لا يسيء الى نفسه وأسرته فقط وانما هو يسيء الى الأمة كلها والى الناس أجمعين فى وطنه وفى سمعة وطنه فى جميع بلدان العالم .

هل أصبحت الامانة غريبة فى بلادنا لا نجد لها جماعة يقدسونها ويدينون بها .

أذكر ان أحد أصدقائي قام أمامي بعملية شريفة فقلت له باعجاب •

أنت رجل أمين •

فاذا به يفضب ويقول :

انما يمدح بالأمانة الخدم وانما أرفض مدحك هذا فأين الأمانة
اليوم أنا لا أبحث عنها - والحمد لله عند الأفراد - وانما أبحث عنها في
الجماعة وفي الذين يتولون مناصب تجعل منهم نماذج لمن يعملون معهم •

أجد الأمانة في القلة وأفتقدها فأفقدتها في بعض آخر ربما لو قيس
عدده بعدد الأمناء كان قليلا ولكن الفرد الواحد غير الأمين يسىء بفعله
للأمناء أجمعين •

وأحاول أن أطمئن نفسي فأقول مع الشاعر توفيق عوضى أباطة بيتا
له أحبه وأردده كثيرا :

في كل طائفة من الناس أو شباب حتى قریش لها أنف وأذنان

وهذا حق فكل جماعة من الناس لها أوشابها ولكن ان يكون
الأوشاب من الذين يتولون مناصب كبرى فهي الكارثة تملأ نفوسنا حزنا
وأسفا على مصير الأخلاق في بلادنا وقد روى لي أحد الأصدقاء حوارا دار
بينه وبين ابنه الصبي قال الابن لأبيه :

كيف يجوز لبعض الذين يتولون مناصب أن يسرقوا وينهبوا
ما ليس لهم ويختلسوا من مال المفروض أن يكونوا أمناء عليه •

وقال الأب حائرا أسفا :

يا بني انهم قلة نادرة وهم استثناء من القاعدة العامة والاستثناء
كما يقول رجال القانون لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه •

ويقول الابن مصرا :

ولكن هؤلاء مثل لنا نحاول نحن الشباب أن نصل الى ما وصلوا
اليه من مكانة •

ويقول الأب :

ابعدهم من نظرك واتخذ من الشرفاء لك مثلاً رفيعاً .

ولكن الابن لا يقتنع .

فإن الشخصية العامة يحاسبها الناس على مالا يحاسبون عليه
الآخرين ممن لا يتعرضون للحياة العامة ويصبحون فيها رموزاً .

وأذكر قصة وقعت لى تريك الى اى مدى يحاسب الناس الشخصيات
العامة .

كتبت مقالا بالأهرام ذكرت فيه اننى كنت فى مجلس الشورى
أجلس خارج القاعة فى غرفة الأعضاء واتابع الجلسة من مكبر الصوت
الرابض فيها لينقل للجالسين بها وقائع الجلسة وسمعت اسمى يتردد
فى داخل القاعة فقلت فى المقال اننى أطفأت سيجارتى وسارعت الى
القاعة لاشهد ما دعا المتكلم أن يذكر اسمى .

وما هى الا أيام حتى جاءنى خطاب من أحد القراء يلومنى فيه أشد
اللوم اننى كتبت فى المقال اننى أطفأت سيجارتى ويقول صاحب الخطاب
ما معناه ألا تدرى أنك شخصية عامة وإن كثيراً من الشباب يطيب لهم أن
يقلدوك وقد تدعو بجملك المعارضة هذه من لا يلصق منهم أن يصبح مدخناً
كيف تقبل هذا على ضميرك وحين فكرت فيما قال صاحب الخطاب وجدته
محقاً ووجدت نفسى مخطئاً وأقلعت عن التدخين فإذا كان الجمهور يحاسب
الشخصية العامة على سيجارة يذمخ انه يلصقها فكيف حسابه لمن يذاع
عنه انه اختلس أو قبل الرشوة أو خان الأمانة اللهم الطف بمصرنا العظيمة
وأثر السبيل لأصحاب المناصب فيها اللهم وأجمل صفهم مستقيماً اللهم
أنا نعلم أنك لا تنظر للصف الأعوج فأقم الصف للناس أجمعين وخاصة
إن كان منهم مثلاً ونبراساً أنك سميع مجيب .

الأهرام ١٩٩١/٨/١٢

أهي حشوة ؟ !!

سبحان الله العظيم ما هذا الذي يحدث في مصر التي تشرئب في سماء عاصمتها ألف مثذنة تصيح « الله أكبر » خمس مرات في اليوم كيف طفى الشيوعيون عليها هذا الطغيان الباغى الذي لا يبقى ولا يذر وكيف سيطروا على صحافة مصر وإذاعة مصر وتلفزيون مصر وثقافة مصر هذه السيطرة العارمة وكيف طفوا على سطح الاعلام والثقافة بهذا الجبروت وهذا العنفون ..

أكل هذا وليد السنوات السود التي كانوا فيها يسيطرون على الحكم وعلى كل المناصب الاعلامية والتي استطاعوا فيها أن يمنعوا الاحتفال بمولد سيد البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا هم احتفالا بمولد لينين ؟!

ما أحسب ذلك .. لا .. ان شيئا جديدا حدث .

أيكون انهيار الشيوعية وفناؤها وتحطيم ألفتها وقواعدها في البلاد التي شقيت بها في العالم أجمع هو الذي فجر الشيوعية الاعلامية في مصر .. أتكون أصواتهم حشوة الموتى وهم يرون حصونهم تندك وأعلامهم تحترق ونظريتهم تدوسها أقدام من عاشوا في ظلها سنوات وسنوات ؟!

كيف يستقيم هذا ؟ ..

روسيا كبيرة الشيوعية وصنمها الأعظم تحطم الشيوعية وتمحقها وتختار رئيسا فيها من المتطرفين في الحرية والديمقراطية ومصر يسيطر الشيوعيون على صحافتها واعلامها وثقافتها بهذا الجبروت وما هذا الانقلاب الذي حدث بأخره بمانع أن الشعب الروسى أعلن رأيه واضحا جليا لا شبهة فيه ولا لبس .

ولتكن نتيجة هذا الانقلاب ما تكون فالامر الذي لا شك فيه أن الشعب الروسى يرفض الشيوعية بما تحمله من قهر وجبروت وان كان

للجيش رأى غير ذلك فان الأحداث لأشك ستثبت ان الذى يصنعه الجيش
بانقلابه سيؤدى الى دمار محقق للاتحاد السوفيتى وجمهوريةاته المختلفة
وان تمكن الجيش من ولاية روسيا فماذا هو صانع بالولايات الأخرى التى
تطالب بالاستقلال ؟

لقد سقط صنم الشيوعية الى الأبد وليس له عودة مهما يفعل
الانقلاب العسكرى . . وأنا أكتب هذا الحديث فى اليوم الذى أعلن فيه
الانقلاب والى أن يظهر هذا المقال الله وحده يعلم الى أى مصير سيسير الأمور
فى الاتحاد السوفيتى . ان للشيوعيين بينهم نقيقا مثل نقيق الضفادع
إذا صات رئيسهم أو كبيرهم الزعيم صاتوا من ورائه وضنغوا هذا النقيق
الذى يحطم الهدوء ويسحق الطمأنينة ولا يقول شيئا ما لهم اليوم يضربون
فى كل جريدة وكل اذاعة وكل تليفزيون ماذا أصاب مصر ؟

أنا أعلم ان فيهم صفاقة لا تتأتى لغيرهم اليسوا هم الذين حاولوا
فى تبجح وجمود أن يجعلوا هزيمة يوتية انتصارا وانتصار أكتوبر
هزيمة ؟

أوليس هم من قبل من هتفوا ان الدين أفيون الشعوب وكفروا
بالله . . وليس بعد الكفر ذنب ؟

وها هم أولاء اليوم فى مصر يتصايحون بمنهبيهم الذى مات ويرفعون
أعلامهم التى احترقت فى حصونها العتيقة ؟

أتراهم يخشون على ما نالوه من كسب وهم يزرون عالمهم فى جميع
بلاد الكتلة الشيوعية يباد ويزال ويتحطم وينسحق ربما كان أمرهم
كذلك فان منهبهم هو مذهب المادة وقد فهم الشيوعيون فى مصر ان المادة
هى المال وقد كانوا ومازالوا يكسبون من منهبهم الأموال الباهظة الفاجرة
وقد رأيت حياة بعضهم فأقسم ما رأيت مثيلا لها الا عند أصحاب الملايين
فى بلاد البترول ورأيت بعضهم يشتري السيارة ذات الثمن الذى يقف
معه القلب فى دقائق معدودات .

انهم يتعاملون مع الصحف الشيوعية فى العالم أجمع ويجمعون من
وراء ذلك الأموال الباذخة يكسبونها أو ينفقونها انفاق البئخ الذى لا يقف
به حياء وهم - وأشهد الله - لا حياء لهم وهذا أمر طبيعى فمن لا دين
له لا حياء له . وها هم أولاء يحاولون أن يحطموا كل انسان لا يكفر
كفرهم وهم فى محاولة التحطيم هذا خبراء يحطمون بالتطاول وبقلب

الحقائق وبالسب وبالهجر في اللفظ أو يحاربون أحيانا بالصمت يحسبون
ان صمتهم يقضى على أعدائهم .

ولكن الله يخزيهم في كل ما يسعون اليه .

هم قادرون على مهاجمة الأعلام الكبار في ميادين الكلمة هجوما كافرا
لا عقل فيه لا يحترمون فيه أنفسهم ولا يحترمون فيه قراءهم ولا أقول
ضميرهم فهم - والحمد لله - بلا ضمير .

يطوفون بلاد العالم يستجدون بشيوعيتهم مناسيع المال فينهمر
عليهم المال . ويبيعون أوطانهم فانهم لاشعور عندهم بالوطنية اليسوا هم
من يصيحون يا عمال العالم اتحدوا أى انسوا أوطانكم واعبدوا شيوعيتكم
وحدها . فلا عجب أن يبيعوا أوطانهم ويقبضوا ثمن تنكرهم لبلادهم
أموالا ضخمة . بنيت وهانت من أموال . أما أنهم لهم بين الشعب وجود
فهيئات وها هم أولاء خمسة نفر في مجلس الشعب الذى يقارب أعضاؤه
الخمسمائة . اذن فتلك هى حقيقة رأى الشعب فيهم . وأنا أعرف من
أعضائهم الشيوعيين فى مجلس الشعب اثنين نجحا يرغم انهما شيوعيان
وليس الانهما يدينان بالشيوعية وهذان الاثنان لكل منهما أسرة ذات
مكانة بين الناس فالذى اتخبها فعل ذلك وهو كاره فانما يفعله لصلاته
بأسرتيهما وليس لرضائيه عن المذهب الكافر الذى يمتنقان . فالمصرى
مؤمن والايمان عنده هو سر حياته ووجوده وصبره .

فهونا يا أيها الشيوعيون فليس ذنب مصر ان رفض العالم كله
مذهبكم الذى لم تر منه البلاد التى حكمها الا الهوان والمذلة والفقر
والجوع . فقد خدعهم المذهب السنوات الطوال وقال لهم رغييف العيش
قبل الحرية فلا أعطاهم رغييف العيش ولا منحهم الحرية فما بعجيب أن
تلعن شعوب الستار الحديدي الشيوعية وتسحقها فى هذه الحماسة
العارمة التى قضت بها عليها .

وبعد . . . فيا أيها الشيوعيون . .

أنا لا أكتب هذا الكلام محاولا أن أحث الاعلام ان يقصف أقلامكم
ولا أن يمنع أعمالكم فنحن فى عهد لا تعرفونه من حرية الرأى التى
لا تعترفون بها ومن الأمن الذى يخالف مذهبكم ومن الأمان الذى لم تشهده
نفس عاشت فى ظل حكمكم . فى زمن الحرية فيه للجميع والطمانينة
والاستقرار والشرف فى معاملة الانسان واحترام كيانه سواء كان هذا
الكيان جسده انسان أو عرضه أو كرامته أو كلمته . وقد سالت يوما
أحد أقطابكم :

- كيف تتصورون انكم تصلون الى الحكم ؟

فقال في عفوية وبلا ريث من تفكير :

- بالسلاح طبعاً ..

وما كما بحاجة أن يقول ذلك فانكم لم تصلوا الى حكم اى بلد في العالم الا بقوة سلاح .

ولكننا اليوم في مصر نؤمن بالحرية وبالسلام وبالأمن وبالطمانينة
فأنا انما أوجه هذا الحديث اليكم أنتم أن تضعوا على وجوهكم بعض
الخجل أو تدفعوا الى دمائكم بعض لحياء .

فان لم تفعلوا وما أظنكم بفاعلين ، فاني أخطب شعب مصر جميعا
ليتبين ما تخفيه سطوركم المقيتة من كفر وحقد وطفيان والشعب المصرى
من أعظم الشعوب ذكاء وفكرا ، ويقظة فهم وانما على أن أقول الحق وان
كره الكافرون .

واني أراكم اليوم تسيطرون على الثقافة فى الصحف والمجلات
وخاصة المجلات والصفحات الأدبية . وهذا خطير لأنه يجعل الشباب من
الأدباء الذين لا يدينون بالشيوعية يضطرون أن يدينوا بها أو يتظاهروا
باعتناقها حتى يتاح لهم النشر فى المجلات والصفحات الأدبية وهى المكان
الوحيد الذى يستطيعون أن ينشروا فيه .

وأنا بما أكتب أدمو المشرفين على هذه المجلات والصفحات أن يتقوا
الله أو بعض الشرف فى الشباب ولا يرغموهم أن يتخذوا وجوها غير
وجوههم وضميرا غير ضميرهم ليتمكنوا من النشر ..

اللهم ياذا الجلال والاكرام اليك نتجه أن تنجى مصر من الماكرين
المتآمرين عليها من داخلها فان عدوا واحدا فى داخل الوطن شر من ألف
عدو فى خارجه اللهم أحفظ مصر كنائتك التى ذكرت فى كتابك الكريم
وأيدىها بروح من عندك أنك سبحانه قريب مجيب ..

١٩٩١/٨/٢٦ الأهرام

الدين والرحمة

أقرأ فى هذه الأيام للمرة الثالثة أو الرابعة - لا أذكر - كتابه تجريد الاغانى تأليف ابن واصل الحموى وتحقيق عميد الأدب العربى د. طه حسين والأستاذ ابراهيم الايبارى ، وقد طالعتنى فيه شخصية رأيت أنها جديرة. بأن أنقل خبرها اليك .

انها شخصية عبيد الله بن معاوية وجده جعفر ابن أبى طالب المشهور فى التاريخ الاسلامى وهو ابن عم النبى « صلى الله عليه وسلم » وهو الذى عرفه التاريخ بذى الجناحين لأنه كان يمسك بالعلم فى معركة اسلامية حاسمة فقطع العدو ذراعه فأمسك العلم بذراعه الثانية فقطعها العدو أيضا فاحتضن العلم بما بقى من ذراعيه حتى قتل وبشر النبى « صلى الله عليه وسلم » المسلمين ان الله سبحانه وتعالى قبه وهب له جناحين فى الجنة بدلا من ذراعيه فعرفه التاريخ باسمه الشهير جعفر ذى الجناحين . . .

وعبيد الله بن معاوية هذا الذى أروى عليك قصته هو حفيد ذلك الشهيد العظيم .

وهو الى جانب ذلك شاعر وقبه أدهشنى انه شاعر فأنا اتصور الشاعر أو الكاتب أو الفنان رقيق الاحساس يحب الناس ويألم لبلاؤهم ويشفق على كل انسان .

فالشاعر أو الفنان انسان يعيش بمشاعره وبقلبه أكثر مما يعيش بجسده وحيوانية الانسان فيه .

فالفن هو رفاهية الحياة ونورها وهو المنطقة المضيئة فى الحياة. التى تشيع بين الناس المودة والتراحم والحب والتآلف والخير وتقرب. بالانسان الى الملائكة وتناى به عن الجمود والظلم والقسوة والجبروت ، والفن فى جميع العصور وفى جميع ألوانه حارب الظلم والقهر والظلم. ولذلك كره الطغاة الفن النظيف الذى يأبى صاحبه أن يبيعه بالمال أو بالجاه أو بالمنصب .

فاذا عدنا الى حياة معاوية بن عبد الله وجدنا عجباً ثم اذا تقصينا خبره ما يلبث العجب أن يزول .

فهذا رجل ينتسب في ارومته الى سيد البشر أجمعين فجده ابن عم النبي « صلى الله عليه وسلم » وليس هذا فقط بل ان هذا الجده هو جعفر ذو الجناحين .

وننظر الى شعره فنجد شعرا جميلا يدل على أنه شاعر أصيل ذو عارضة قوية ولفظ نقي ونسيج أثيق . والغريب أن الكتاب يقول ان ابن معاوية كان من طرفاء عصره . . . وأيضاً من الطرفاء الذين يفيضون على جلسائهم السعادة والحبور . والذين يستملحون الجملة الذكية السمات ويروون الطرف ويضيفون على مجلسهم السعادة والبشر والهناء .

أما طرفه هذا فلم يرو الكتاب من أمره شيئاً الا انه كان مشهوراً بذلك الطرف أما شعره فأنى ساقدم اليك بعض نماذج منه فهو يقول :

ألا نزع القلب عن جهله	وعما تؤنب من أجله
تبذل بعد الصبا حلمه	وأقصر ذو القول عن عدله
فلا تركبن الصنيع الذي	تلوم أخاك على مثله
ولا تعجبك قول أمرى	يخالف ما قال في فعله
ولا تتبع الطرف مالا تنال	ولكن سل الله من فضله
فكم من مقل ينال الفتى	ويحمد في رزقه كله

أترى هذا الخير وهذه الفلسفة الانسانية التي تعظم بها الابيات ؟ وأقرأ معي قوله :

إذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها	عليها فلم يظهر لها أبدا فقرى
وإن تلقني في الدهر مندوحة الغنى	يكن لاختلاقي التوسع في اليسر
فلا العسر يزرى بى إذا هو نالنى	ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخرى

أبيات تدل على نفس شاعر صميم لا يأبه بالغنى ولا بالفقر فان أصابه الفقر قصر شره على نفسه وإن أصابه الغنى أفاض به على أخلائه وأصدقائه وأقرأ معي قوله الشهير الجدير :

وأيت حسينا كان شيتا ملفقا فكشفه التمهيص حتى بدا ليا
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
وأنت أخى "مالم تكن لي حاجة فان عرضت أيقنت إن لا أخاليا
...
وأكاد أسمعك الآن تقول فأين العجب من كل ماروييت ؟ اليك هذه
القصة التي أوردتها الكتاب أرويها بموضوعها وليس بالفاظها .

يقول إن ابن معاوية هذا الشاعر المجيد الطريف الذي اشتهر
بالطرب كان أقسى خلق الله . فقد كان أميراً لفترة قصيرة وفي أثنائها
غضب على غلام له فاذا به يأمر أن يرمى الغلام الى أسفل من أعلى القصر
الذي حدثت فيه هذه الواقعة فسقط الغلام ولكنه تعلق بدرازين كان على
الغرفة فأمر بقطع يده التي أمسك بها الدرازين فقطعت وهوى الغلام الى
الأرض فمات .

جاءت هذه القصة في آخر الحديث عن معاوية بن عبد الله فاثارت
دهشتي مما جعلني أعود الى الصفحات التي قرأتها أستعيد قراءتها في
أناة لا أفلت منها كلمة حتى طالعنتي جملة خفيت عني في قراءتي الأولى
أزالت دهشتي وجعلتني أدرك السبب الحقيقي وراء هذه القسوة . فان
الكتاب يقول عن عبد الله ابن معاوية أنه لم يكن محمود المذهب في دينه
وكان يرمى بالزندقة ويستولى عليه خلق الزنادقة الذين اشتهر أمرهم .

اذن فالأمر كذلك حين يكفر الانسان تنعدم الرحمة من قلبه مهما
يكن شاعرا عظيما أو فنانا ساطعا حتى وإن كان جعفر ذو الجناحين جده
لأبيه .

فبغير الدين والايان في قلب الانسان لا رحمة اذن تنتظر منه
ولا تبقى منه الا هذه القسوة التي يرويها الكتاب عن الشاعر عبد الله بن
معاوية . اللهم ثبت ايماننا واملأ قلوبنا بالرحمة التي هي أحب أسمائك
إليك انك سميع مجيب ...

الأهرام ١٩٩١/٩/٩

ولكنهم لا إله لهم

الشيوعيون المصريون واقعون في أزمة لا نجاة لهم منها ومع أنهم يسيطرون على كثير من الصفحات الأدبية والمجلات والمجالات الثقافية في مصر ولكنهم واثقون أن كياناتهم العقائدية قد تهدم على رؤوسهم وأصبحوا جيارى ذاهلين ولو كانوا يعرفون الله لاتجهوا إليه أن ينتشلهم من ضياعهم ولكنهم لا يعرفون الله فليس لهم ملجأ إلا الكلام الهش التافه يحاولون به أن يصبروا أنفسهم على بلواهم .

كتب أحدهم في جريدة كبرى كلاما عجيبا رأيت حتما على أن أعلق عليه فهو كلام يحمل ما تعودته أقلامهم من تجاهل للحقائق واعتداء على البديهة بجرأة لا تتأتى إلا لهم .

فهم ييكون ان العالم لم تصبح فيه الا قوة واحدة تسيطر عليه ويقتبس كاتبهم جملة قالها نهرو نصها « لو لم يوجد الاتحاد السوفيتي لاخترعناه » ناسين ان الاتحاد السوفيتي لم يزل من الوجود وانما مازال قوة لها وجودها بما يملكه من سلاح خطير يستطيع أن يهدد العالم الا أن الاتحاد السوفيتي أدرك أن الشيوعية التي عبدوها سبعين عاما كانت هباء وانها أنزلت بهم الدمار والجوع والهلاك والوبال .

فابكوا أيها الشيوعيون اذا اردتم البكاء على الشيوعية فهي التي زالت ولا تبكوا على الاتحاد السوفيتي فهو لم يزل ولن يزول .

ويقول الكاتب ان الشيوعية كانت العدو الرئيسي للغرب والآن سوف يستدير الغرب ومعه روسيا بوضعها الحالي ضد الشرق كله وخاصة الاسلام .

من أين جاءوا بهذا الحديث ولماذا تهاجم روسيا أو أمريكا الشرق والاسلام ها نحن أولاء نرى بوش يقف من إسرائيل موقفا صلبا في شأن مؤتمر السلام فقد أدركت أمريكا بعد موقف مصر من أزمة الخليج انها - الدول العربية - وهي القوة العظمى في الشرق الأوسط وانها قادرة

متمكنة أن تحفظ أمن المنطقة والفضل في هذا كل الفضل يرجع الى موقف الرئيس مبارك الرائع في أزمة الخليج .

وما هي ذى روسيا تصر على أن تشارك في مفاوضات السلام والصلات بين الدول تقوم على مصالح هذه الدول ولاشك ان امريكا وروسيا يدركان الان كل الادراك ان مصالحهما هي في ان يساندا الدول العربية ويؤيداها بكل وسائل المساندة والتأييد .

ويا أيها الشيوعيون لا تحاولوا أن تبتكروا على الاسلام فللاسلام رب يحميه وان كان ينقصكم الدليل فحسبكم عودة الاسلام الى لبوع روسيا والى مساجدها وهم هناك عدد عديد ضخم ليس يحتاج منهم الى سند فهم قد عادوا الى العبادة جهرا بعد أن كانوا يمارسونها سرا في عهدكم الشيوعي الاسود البقيض .

ويقول كاتبهم ان المستفيد الرئيسي من البروستوريكا هي اسرائيل . ما صلة اسرائيل بهذا الموضوع وماذا تستطيع أن تفيد منه . وما الذي يجعل حكام روسيا يراعون مصالح دولة صغرى على حساب أمة عربية بأكملها .

ليس هذا هو الهراء بعينه . وسبقا للأحداث بغير متعلق أو دليل .

ثم يقول عجبا : يقول انه سمع من مستشرق سوفيتي ان الشعب الروسى أثناء الانقلاب الخائب ظل في البيوت بعيدا عن الساحة التي شهدت مظاهرات قدر عددها أول يوم عشرة آلاف وأقصى تقدير لها كان خمسين ألفا . وماذا يعنى هذا العدد في عاصمة يقدر ساكنوها بأثنى عشر مليوناً .

يا عجبا كل العجب اذن فهي الأقلية التي حطمت الانقلاب والاثنى عشر مليوناً كانت تؤيده فلماذا اذن بقوا في البيوت ولم ينزلوا الى الساحة ليسحقوا الآلاف العشرة أو الخمسين ألفاً .

وماذا يقول الشيوعيون عن الجموع التي احتشدت حول البرلمان ترد عنه الدبابات الماثقة الماثقة من الجيش الأحمر هذه الجموع التي جعلت من أجسادها وأرواحها سياجا حول الديمراطية وماذا يقولون عن الشباب الأعزل وهو يضرب بيده الجندي السوفيتي المحتفى بدبابته ولمدجج بالسلاح فاذا الجندي ينود عن نفسه بيده ثم يختبئ داخل دبابته .

وماذا يقولون عن السيدة التي كانت تضرب جنديا فى الجيش الأحمر فوق الدبابة •

بل ماذا يقول عن الجيش السوفيتى الذى أبى أن يسخق المتظاهرين وانسحب عن البرلمان المحاط بالشعب • رافضا أن يجعل من روسيا مجرا أخرى أو تشيكوسلوفاكيا التى كان يحقون فيها الانفس محقا حين كان الجيش الروسى تحت أمر السفاكين من الشيوعيين وماذا يقول الكاتب الشيوعى عن الدول التى حطمت الستار الحديدى وتمسكت بالحرية والديمقراطية مثل ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا وغيرها، أو ماذا يقول مستشرقه السوفيتى :

أخلاط من الحديث معناها البيت القديم :

هذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول

ويقول الكاتب الشيوعى فى محاولة مضحكة كى يبعث الطمانينة الى نفسه ونفوس اخوانه من الشيوعيين انه برغم كل ما جرى فشوره يؤكد له أن الكلمة الأخيرة لم تقبل بعد وإن اللحظة التى سيرون فيها دبابات الجيش الأحمر مرة أخرى تسير فى الشوارع ليست ببعيدة •

ويدرك مدى الهزل فيما يقول فيدعى ان هذا جلس كاتب مبدع (هكذا يسمى نفسه) وليس تحليلا سياسيا •

لا وربى لا هى بهذا ولا بذاك وانما هى أمان مخجلة وهل هناك أكثر مدعاة للخجل من كاتب مبدع يتمنى أن يرى الدبابات فى الساحات والشوارع والدبابات هى القتل والفتك والدمار •

انها أمانى الشيوعيين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره أترى مازالت الآمال تراودكم بعد أن رأيتم علم المطرقة الأحمر يدوسه الشعب بالأقدام انما هو الوهم يحاول أن يبقى على حطامكم الذى أصبح هشيما تذروه الرياح • وماذا يقولون عن مدينة لينين جراد التى محقوا اسمها من الوجود • وماذا يقولون عن تماثيل لينين والآخرين من رموز الظلم وتدمير الانسان التى تحطمت بأيدي الشعب فى روسيا وفى كل دول الستار الحديدى الذى هوى الى غير

رجعة • أيها الكاتب المبدع هيهات لحلمك وحلم أثباهك أن يتحقق •
مبدعين كانوا أو كانوا غير مبدعين •

وكيف يكون مبدعا ذلك الذى يتمنى للبشر الفتك والقتل والدمار •

وشئ آخر لا أستطيع السكوت عليه ذلك الذى جاء بمجمله المصور
يقلم الكاتبة صافيناز كاظم من أنها رأت فى أحد العروض التى تقامها
وزارة الثقافة بعضا من الشباب أقاموا فى المسرح بناء على شكل الكعبة
وترقص فوقها راقصا يلنور حولها بعض اناس من المتخلفين عقليا يتخذون
ملابس دراويش مجانين مجاذيب ثم انقلب البناء الذى يمثل الكعبة الى
يثر من البترول ومازالت الراقصة الخليعة ترقص فوقه والحق اننى
عندما قرأت ما كتبه الاستاذة صافيناز وهى نائرة كل الثورة دهشت
أن يصل الأمر فى مصر الى هذا النخذ والحق ومنع اننى كاتب صناعتى
الكتابة أجده أنى تعليق على هذا الذى حدث لا يصل الى ما ينبغى أن
يقال •

الآن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل فى ثقافة مصر ومجدها وشرفها
بالفنى الرفيع ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله •

١٦/٩/١٩٩١ الأهرام

قصص فى أبيات

لى كتيب صغير عنوانه « القصة فى الشعر العربى » قدمت فيه قصائد طويلة تحكى فى مجملها قصة ، والكتاب أو الكتيب لم يجمع الا قصائد قليلة جمعتها من بعض دواوين ، ولكنى اعتقد أننى لم اجمع فيه كل ما نظمته العرب فى هذا اللون من الشعر .

ولكنى اليوم أكتب عن أبيات قليلة تروى قصصا وانى اكتبها من الذاكرة فى محاولة منى أن أرفه عنك فى هذا الحز الشديد الذى نعانيه وأجتذبك من مشكل الحياة اليومية التى يحياها الانسان ليس فى مصر وحدها وانما فى كل مكان فى العالم ، وأذكر مثلا قصة عمر بن أبى ربيعة أعظم شاعر عرفه الغزل العربى وهو طبعيا ليس مثل مجنون ليلى أو جميل بثينة أو قيس لبنى أو كثير عزة الذين اقتصروا شعرهم على حبيبة واحدة انتسبوا اليها وانما كان يحب النساء جميعا ويتنقل بينهن فى سهوله ويسر ويكتب شعرا ويقول ان خادمته قالت له فى احدى مغامراته .

أهذا سحرك النسوان قد خبرتنى خبرك

حين علت به السن ألق عن الحب والغزل جميعا وأقسم أن يفك رقية عن كل بيت فى الغزل ينظمه .

خرج وهو فى توبته الى الكعبة فوجه بها فتى وفتاة يتناجيان فقال لهما أهذا مكان يصلح للمناجاة ؟ فعرف أن أبا الفتاة يأبى أن يزوجهما لغتاها لفقره ولأنه لا يستطيع أن يقدم الى أبيها المهر الذى يقدره لابنته فصحب الفتاة والفتى الى أبيها وقدم المهر من ماله الخاص وتزوج الحبيبان .

ولكن الواقعة راحت تعيد الى ذاكرته ما مضى من تاريخه الطويل فى الحب والغزل ، وراحت الأبيات تنثال الى عقله وقلبه وملكه الوجوم وراته زوجته على هذا الحال فسأله :

— ماذا بك ؟

فلم يطق صبرا وجاهر بالأبيات وأطلق عن كل بيت عبدا والذي
أذكره من الأبيات هو :

تقول وليدتي لما رأتني طربت وكنت قد اقصرت حيناً
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفيناً
بربك هل أتاك لى رسول فشاك أم لقيت لها خديناً
فقلت لها لقيت أحبا محببا كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص على ما يلقي بهند فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقي العاشقينا

وأعتقد أن الأبيات أكثر من ذلك ولكن هذه الأبيات تروى الواقعة
كاملة ، ولهذا علقت بحافظتي ، وهكذا ترى أن الشعر حين يعتمل فى
نفس الشاعر يصبح أحب اليه من ماله فيطلقه مهما يكن فى إطلاقه
خسارة من المال .

وقصة أخرى فى أبيات للبحتري حين أهدى اليه المتوكل فرسا
ومات الفرس فى اليوم التالى فكتب البحتري اليه هذه الأبيات :

أهديتني أعجوبة هى فى العجائب نادرة
فرسا كان هبوبه وشك الرياح الطائرة
فى ليلة قطع المسافة من هنا للآخرة

وطبعا نال فرسا آخر بدلا من الفرس الذى جرى الى الآخرة من
الدنيا فى ليلة واحدة . ولم يقل له المتوكل ان الخلق جميعا يقطعون
المسافة الى الآخرة فى أقل من لحظة فالفرس الذى مات كان بطيئا كل
البطء ولم يكن فى سرعة الرياح الطائرة كما تقول .

وقصة أخرى فى أبيات قليلة وأحسبها لابن الرومى ولست واثقا
يقول فيها :

رأيت الفضل مبتسما ينأغى العيش والسما
فأسبل عينه لما رأيته قادما وبكى
فلما أن حلفت له بأنى صائم ضحكا

وأنا معجب بهذه الأبيات وبقصتها البسيطة كل الاعجاب فإن أحدا
لا يستطيع أن يرويها بهذا اليسر والاحكام الا شاعر عبقري حتى أن أحدا
لا يستطيع أن يستبدل فيها كلمة بكلمة ولا يستطيع أن يزيد على الأبيات
الثلاثة حرفا واحدا .

وأبيات أخرى لابن الرومي تشكل قصة ومنطقا متينا فى وقت معا :

نظرت الى المرأة فروعتنى طوالع شبيتين المتباين
فأماشيية ففزعت منها الى المقراض حبا فى التصايب
وأما شيبه فصفحت عنها لتشهد بالبراءة من خضابى
فأعجب بالدليل على مشيب أقيمت به الدليل على شبابى

وعلى هذه النسق من القصة المنطقية قول ابن الرومي نفسه :

نعمت أحصانا لرأسى برهة من الحر يوما والقرور اذا سفع
فلما دهى طول التصميم لمتى وأودى بها بعد الاطالة والفرع
عمدت الى لبس العمامة حيلة لتستر ما جرت على من الصلح
فيالك من جان على جناية جمعت اليه من جنايته الفرع
وأعجب شئ كان دائى جعلته دوائى وأعجب بأن نفس

أتري استطعت أن أروح عنك بهذه الأبيات التى ذكرتها لك وهل
ترانى استطعت أن أنتزعك لحظات فى التفكير فى الحر وأزمات الحياة ؟
فان كنت فعلت فانى سعيد وان لم فحسبى اننى حاولت . وأرجو
ألا يحاسبنى علماء الشعر فانى أروى كل هذا الذى كتب من الذاكرة وقد
تكبو بى الذاكرة ولا لوم عليها فهى تحمل أكثر مما تطيق ذاكرة أن تعى .

والله المستعان .

١٩٩١/٩/٣٠ الأهرام

عسى سنوات مباركة

عشر سنوات لم نقصف الدولة قلما لكاتب ولم تصادر صحيفة ولم تنتقم من معارض عشر سنوات مرت - وليس كل فلم نزيها - بل بينه الأقسام ما هو مشبوه أو ماجور وبينها ما يحاول أن يقيم لنفسه بطولة ورقية على حساب رئيس الجمهورية فلم يفكر الرئيس ان يحاصر ذلك القلم ولا صاحبه ولا فكر أن يحجب عنه الحرية أو يرد عنه ما يتمتع به الإنسان من حقوق *

ورئيس الجمهورية انسان يفضب ويسر ويسخط ويبتهج فما رأينا غضبه على مصرى يتحول الى عقاب أو حتى عتاب وانما يبقيه مستسرا فى دخيلة نفسه فى غير ثورة ولا حفيظة ناظرا الى قوله سبحانه وتعالى «والكاظمين الغيظ والعاقبين عن الناس» *

فهو الانسان حين يكون الانسان فى قمة الرقى والرفعة وفى أوج الرفعة عن الضغن والبعد عن القسوة *

عشر سنوات والمصريون ينعمون بالأمن فلا يخيئط بهم المذعر أو الخوف ولا يتحللهم الجبروت ولا القهر ولا يتعرض عرض رجل منهم أو سيادة لقهر الدولة أو تمزيقها والخوف هو شر ما يتعرض له الانسان وحسبنا قول الله سبحانه وتعالى : « ولنبلونكم بشئ من الخوف » رحمة منه جل شأنه وتقديست أسماؤه أن يبلو عباده بالخوف كله *

عشر سنوات فى مصر اختفت فيها كلمة الاعتقال السياسى اختفاء تاما واختفى فيها كل زائر بغىض *

عشر سنوات - وزعيم مصر يعمل من أجل مصر لا من أجل زعامة شخصية فاذا مصر تستعيد مكانتها من الذروة العالمية واذا الزعامة الدولية تسعى الى زعيم مصر فيجمع حكام العالم ورؤساؤه على اجلالة واكباره والاعجاب به *

عشر سنوات وقف فيها كلها مواقف الشرف والحق والانتصار للخلق
الأسنى والمثل العليا والوقوف بجانب الحق والحق ذو مخاطر ومحاذير
فالطغاة ركهون الحق كما يكرهون العدالة والذي يحاول أن يحملهم على
الجادة أو يعارضهم يطلقون عليه كل ما تعرفه البشرية من أسلحة بخيسة
ويأمرون كتابهم - فكتابهم لا يكتبون إلا بالأمر - أن ينهشوا صاحب
العدالة المؤمن بالحق بأسنانهم ويقرأ محمد حسنى مبارك عدوان هؤلاء
ويستغفر الله لهم ولا يحاول أن يرد عليهم فهو يعلم عن أى مصدر
يصدرون ومن أى منطلق ينطلقون ويتكلم الرجل فى خطب كثيرة لا تفلت
منه إلا الكلمات النبيلة العفيفة وحتى أن عرض للطغاة فالنبالة تخطط بنقده
والأدب الرفيع لا يتخلل عن لفظة يقولها

وقد تولي مصر وأغلب العرب يقفون منها موقفا معاديا فإذا هو
لا يتكلم عن كل الدول العربية إلا بالحسنى فإذا الذى بيننا وبينه عداوة
كأنه ولي حميم .

وتعود الوحدة العربية وترجع الدول العربية الى مصر وتتخذ منها
أما رؤوما وتشهد المؤتمرات النتيجة المحتومة لخلق مبارك السامى فإذا
عدو الأمتى القريب هو الأخ الصديق الحبيب وهامى ذى أعلام الجامعة
العربية ترفرف على ضفاف النيل تجسيدا لخلق مبارك وترفعه عن مجابهة
العداوة بالعداوة أو الهجوم اللفظى بمثابة مقبرا أن أهون ما يكتبه كاتب
هو السب والهجر والشتم والهجران وأن الحب لا بد أن ينتهى عند الطرف
الآخر بالحب وما خسر من عفا وماذل من أكرم نفسه عن الانتقام .

بالحب جمع مبارك شعب مصر حوله وبالحب جمع العرب حول مصر
وبالحب يعيش وبالحب يتنفس وبالحب يرتفع ولا ينبت الحب إلا حيا .

وحين يرى مبارك العدوان من دولة عربية على دولة عربية وحين
يشهد الحق تنتهك حرمانه يعود ذلك الصقر الذى حارب ٦ أكتوبر والذى
شقت طائراته أوهم الدولة التى لا تقهر والذى استطاع بعظمته الحربية
الجوية أن يؤمن النصر لجيش مصر العظيم .

ويقف فى وجه طاغية العراق ويزنل جيوشه المصرية التى لولاها
لما استطاعت جيوش أمريكا وحلفائها أن تطأ المنطقة .

فقد كانوا سيخشون - لولا مصر - أن يقال عنهم انهم يعتدون على
الشرق الأوسط والأمة العربية ولكن وجود مصر فى الميدان أعفاهم من
هذه التهمة وحتى اليوم مازالت صحف العراق وتابعها الملك حسين

يهاجمون مصر ومبارك ولكنه عنهم وعن تابعهم فى شغل شاغل بالقضية العربية وما يحيط بها من مصاعب ومتناقضات وكثيرا ما يتكلم بعض الناس ولكنهم لا يقولون شيئا .

عشر سنوات لانرى من حسنى مبارك الا الرجولة مع السماحة والنزاهة مع الشهامة ولا نرى من بينه الا كل ما يزين البيوت ويشرفها .

فها هى ذى السيدة الرائعة حرمة لا تهدأ ولا يقر لها قرار باذلة أقصى الجهد فى الشئون الثقافية والصحية والاجتماعية بعيدة كل البعد عن السياسة التى هى شأن زوجها وحده .

وها هو ذا الطفل يجد كتابا يقرؤه فيتعلم كيف يصادق الكتاب وها هم أولاء الوزراء يهتمون بالمرضى والعاجزين تقف الى جانبهم حرم الرئيس فى حذب انساني رفيع .

ألم أقل لك انه بيت يفوح منه عبق الحب للناس كل الناس فى غير مظاهر كاذبة ولا ادعاءات فارغة ولا دعاية واهية وها هما أبناهما رعاهما الله تعالى كل منهما يسبغى حياته جادا لا شأن له بمكانة أبيه العظيمة ويتزوج احدهما منذ أيام فاذا زواجه لا يزيد على مجرد الاعلان الذى لابد منه ليشهر الزواج فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى اعلان الزواج ولو بالدف حتى تصبح العلاقة الزوجية معروفة بين الناس .

عشر سنوات شهدنا فيها هذا وشهدنا مصر تنقلب من دولة بلا تليفونات ولا ماء قادم أو منصرف ولا كهرباء الى دولة تقف مع أرقى الدول فى بنيتها الأساسية فاذا السياحة تنتعش واذا العملة الصعبة عندنا تصبح غير صعبة .

عشر سنوات يحمل حسنى مبارك العبء فلا يرحم نفسه فيمن يرحم بل يعنف عليها ولا يشق بها حنانيك يا سيدى فلست ملك نفسك وانما أنت ملك مصر والعروية كلها فارحم نفسك بعضا مما ترحم به المصريين وأرحم معاونيك فانهم وأنت بشر من البشر ولكل بشر طاقة وان كان لى شكوى خاصة فهى اثنى حرمت أن أكتب رواياتى وقصصى بالرمز وفيهم الرمز وأنا أستطيع أن أعلن ما أريد دون ان ألوب حوله أو ادور به والله أسأل أن يديم على هذا الحرمان وان يطيل حياة رئيسنا ويكلاه بما يحبه له من رعاية وتوفيق انه سبحانه قريب مجيب .

١٤/١٠/١٩٩١ الأهرام

الانتظار والفرج

الانتظار بالنسبة لى يورثنى أرقا شديدا يمتد حتى يتمثل عندى مرضا عضويا وقد اصببت بكراهية الانتظار منذ أيام الدراسة فقد كان انتظار نتيجة الامتحان أمرا مفرعا لى وأذكر اننى بعد أن حصلت على ليسانس الحقوق اصببت بمرض فى معدتى أدركت انه عصبى وقصدت الى الدكتور سامى جنيبة رحمه الله فقال لى قد تعرضت لدعر شديد هو الذى أدى بك الى هذا المرض العضوى ولم يكن هذا الذعر الا انتظار نتيجة الليسانس .

ونحن اليوم نتعرض فى حياتنا العامة والخاصة لألوان كثيرة من الانتظار أما الأمور الخاصة فهذه شأنى أنا ولا حاجة بى ولا بالقراء أن يشركونى فيها - فليس بهم حاجة الى مزيد من المشاكل . أما الأمور العامة فهى تهم الكافة ومن حق الكافة أن يعرفوها أو يعرفوا أمثلة منها على الأقل .

من هذه الأمثلة الحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد وقصور جميع الأجور والمرتبات لمختلف الفئات - لا أستثنى الوزير - ان تواجه مطالب الحياة الضرورية وهذا أمر يحتاج الى انتظار طويل حتى يعتمل الميزان وتتساوى الكفتان أو تتقاربا على الأقل .

ومن هذه الأمثلة أيضا مشكلة المجانية فى التعليم عامة والجامعى بصفة خاصة وقد كتبت فى هذا الموضوع كثيرا ويحلو لى قبل أن أستعيد ما كتبت أن أروى واقعة لى مع عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين . . ذهبت اليه بعد فترة انقطاع لم يتعودها منى فطالبنى بهيتين كان دائما يطالبنى بهما كلما تأخرت عن زيارته .

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ماذنب فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

فاعتذرت عن تأخيري وبدأت أحادثه - ولم يكن معنا ثالث الا الله سبحانه
فقلت محاولا أن أنسيه عتبه لانقطاعي عنه سألته :

- هل قرأت معاليك مجلة كذا ؟

- ماذا بها ؟

- مقال عنك ..

- عما يتحدث المقال ؟

- عن ندائك الشهير التعليم كالماء والهواء ..

فسكت الدكتور فترة ثم قال فى أسى :

- والله يا ثروت لا أدري أحسنت أم أسأت بهذا النداء ..

.. ولم أعلق * وأرجع الى ما كنت كتبته فى موضوع مجانية التعليم.
وخاصة التعليم الجامعى كنت قد قلت فيما كتبت انه ليس من المعقول
أن يحظى بالتعليم المجانى أصحاب الثراء الذين ينفقون على أبنائهم فى
المدارس الخاصة ومدارس اللغات الآلاف المؤلفة من الأجنبيةات حتى اذا
بلغ أبنائهم التعليم العالى يصبح تعليمهم بالمجان ويدخلون الى المدرجات
بينما تنتظرهم خارجها السيارات ذات الأسعار الفاجرة التى لا يطيقها
الا كل غنى باذخ الثراء *

وأذكر أيضا اننى قلت ان التلميذ فى التعليم الابتدائى والثانوى
الذى يسقط فى الامتحان لا يجوز له أن يعيد السنة بالمجان أيضا فما دام
لا يؤدى واجبه فمن واجب الدولة ألا تعطيه حقه فى المجانية *

كتبته هذا وانتظرت أن أجده له صدى بل زدت فقلت هذا الرأى
فى مجلس الشورى وانتظرت وطال بى الانتظار حتى قرأت أخيرا تصريحاً
للدكتور العالم وزير التربية والتعليم أن هناك اتجاه أن يجلب المجانية
فى الجامعة عن الذين تلقوا تعليمهم الثانوى فى المدارس الأجنبية لأن فى
هذا ما يبدل على مقدراتهم المالية وليس من المعقول أن تمنح المجانية
للقادرين * كما جاء فى تصريح الوزير أيضا انه سيجرم من المجانية التلاميذ
الذين يسقطون فى الامتحان فى التعليم الذى يسبق الجامعة * وعوض
الله انتظاري أو قل صبري خيرا *

وذكرت بيتين لمحمد بن يسير الرياشي يقول فيهما :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منتهى كل ما ارتجا
لا تياسن وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ومادمت أتكلم عن التعليم فإن هناك حقا أجده من الحتم أن أؤديه
فقد قرأت منذ قليل أن الأمير تركي بن عبد العزيز يتكفل بتعليم الطلبة
غير القادرين ليتيح لهم الحصول على الدرجات العلمية الكبرى مثل
الماجستير والدكتوراه في جامعات أمريكا .

وانتظرت أن أجده تحية تقدير لهذا الأمير العظيم من أمراء العرب
التي تنبئ مواقفها عن الشموخ والكرم وتشجيع الثقافة ولا ننسى
ما قدمته هدية مكتبة الإسكندرية من ماله الخاص .

وان الذي يجب الثناء عن الذي يستحقه جنان مثل الذي يتملق
من لا يستحق .

فلا بد من تحية أجلال وأكبار لهذا الأمير السامق ولا بد أن نقدم له
من الشكر بعض ما يستحقه .

وفي مجال التعليم أيضا لابد أن نشيد بالجامعة الأهلية هذا المشروع
العلاق الذي تولى كبره الوزير العظيم حسب الله الكفراوي الذي أنشأ
من المدن ما تفخر به مصر وها هو ذا اليوم يطلع علينا بمشروع الجامعة
الأهلية ويختار لها مدينة في قلب الصحراء ليجعل منها منارة ثقافية
ولينقل إليها خضرة العلم والحضارة فالجامعات تجتذب إلى مواقعها كل
مرافق التعمير .

ولابد أن نوجه الشكر إلى رائد الصحافة العربية اليوم الأستاذ
مصطفى أمين للمجهود الرائع الذي يدعم به هذا المشروع العلاق وانني
أتوجه إلى الملايين من الجنبيات التي في حوزة المصريين وغير المصريين
أجمعين أن حطمي عنك السجون التي تحتبس فيها وسارعي إلى المساهمة
في هذا المشروع ترفعي العالم العربي منارة تشع العلم والمعرفة والتألق
الذهني . وكم كنت أرجو أن أساهم مع المساهمين ولكني لا أملك إلا هذا
القلم أردد به مع المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعه الحال

الا اننى مع هذا مصمم أن أسهم فى هذا المشروع الضخم ولو بمبلغ
رمزى سأقدمه فى اللحظة التى أجده فيها بين يدى .

أما أن لأصحاب الأموال الباذخة أن يقدموا أموالهم فى مشروعات
تجذب عنهم صفة التخلف الذهنى والثقافى فإنهم حين يسهمون فى هذا
المشروع لن تضيع عليهم أموالهم وإنما سترتد عليهم لا بالثقافة وإنما
بالمال أيضا فهو مشروع مضمون الربح ذو مستقبل مالى .

اللهم يا ذا المن والاکرام أعقب انتظارنا بالفرج منك وإبعث السخاء
الى نفوس عبادك ...

٢١/١٠/١٩٩١ الأهرام

اذاعة لندن والسلام

دأب القسم العربى باذاعة لندن منذ حرب الانتصار المصرية عام ٧٢ حتى الآن على أن يدس السم الناقم ضد مصر فى نشراته وأخباره وتعليقاته بطريقة يدركها العربى الذى يتكلم العربية ويعرف الكلمات العربية بكل معانيها ولا يدركها المشرفون البريطانيون وخاصة اذا كان الذى يترجم لهم مغرضاً يخفى المعانى المختلفة للكلمة التى يدركها المتكلمون الأصلاء بالعربية . فاذا كان هناك خبر فيه مديح لمصر وجدت المشرفين العرب على الاذاعة البريطانية يصدرون الخبر بقولهم ويزعم المصدر الذى أعلن هذا الخبر انه كذا وكذا فاذا كان الخبر يسىء الى مصر ، وجدت الخبر يلقيه المذيع بلغة التأكيد الذى لا يقترب اليه الشك من قريب أو من بعيد ، مع كثير من المبالغة فى أغلب الأحيان .

وواضح ان الذين يشرفون على القسم العربى باذاعة لندن رافضون للسلام الذى استقر بين مصر واسرائيل بعد معاهدة كامب ديفيد . ومنذ أيام اذاعت لندن خبراً يفيد أن مصر لا تزال تعيش فى الحكم الشمولى وفى ظل التعذيب والهوان الذى كانت تعيش فيه قبل حكم السادات . وقبل هذه الحرية العريضة التى تحياها فى ظل حسنى مبارك . وراحت لندن تؤكده الخبر وتعيده اذاعته وأعلن أمره الأستاذ الكبير سعيده سنبل بجريدة الأخبار ولما لم يجد أثراً فى مصر أو همة لتكذيب الخبر والاحتجاج عليه عاد الى الكتابة مرة أخرى فى الأسبوع الماضى يستحث الجهات المسئولة أن تتخذ موقفاً ازاء هذا الخبر الكاذب والذى يعرف المصريون جميعهم انه كاذب . ثم كتب بعد ذلك مقالا ثالثاً أوضح فيه أن اذاعة لندن بالغت كل المبالغة فى الخبر الذى نشرته مما يؤكده ما أذهب إليه من أن القسم العربى له موقف عنادى عميق ضد مصر .

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم . وأعلم أن بالسفارة البريطانية . قسماً يترجم للمنشولين فى بريطانيا ما يكتبه كتاب مصر عن لندن . وأعلم أيضاً اننى أثير على نفس المشرفين على القسم العربى باذاعة لندن الذين يحتفون بى فى اذاعتهم كل الاحتفاء ويقدمون الكثير من أعمالى بصورة مشرفة .

لكن متى كانت مصلحتي الشخصية تحول بيني وبين الوقوف بجانب مصر . ولقد تحملت في حياتي التي نهجت فيها جميعا هذا المنهج الكثير من العنت والجور من الظالمين الطغاة ، فما استطاع شيء أن يقف بيني وبين ما أخذت نفسي به منذ أمسكت القلم حتى اليوم وأرجوا الله أن يكمل أيامي في الدنيا وأنا في موقعي هذا .

ويكفيني اطمئنانا الى نفسي انها باقية على ما هي عليه مع انني حرمت من التعيين في أي جريدة أو مصلحة أو شركة مدة خمسة وعشرين عاما ويبدى شهادة اليسانس ويبدى قلمي فيما استطاع هذا الطغيان أن يغير من خلقي وظللت صادقا مع ربي وقلبي ومع القراء لا أكتب الا ما أثق انه الحق وليكن بعد ذلك ما يكون .

ان المشرفين على القسم العربي في اذاعة لندن يعارضونه كامب ديفيد ويحقدون على مصر انها استعادت أرضها وانها تعيش حياة سلام منذ عام ٧٣ حتى اليوم .

ولسيت أدري ماذا هم فاعلون اليوم أو ماذا هم قائلون بعد أن قال بعض الفلسطينيين المتطرفين انهم تسرعوا في الحكم على معاهدة كامب ديفيد .

وهذا قول يوائم مواقفهم اليوم في المفاوضات الجارية في مدريد اليسبت هي كامب ديفيد لم يتغير منها سوى الاسم فهي اليوم معاهدة مدريد بدلا من كامب ديفيد ؟

وقد زارنا في مجلس الشورى وفد من حزب الليكود الاسرائيلي وقد بدأت حديثي معه بقولي ان أي دولة في العالم لا تستطيع أن تستمر في الحرب مدة ثلاث وأربعين سنة . وان اسرائيل ستكون أكثر الدول استفادة من السلام . وقال بعضهم ان اسرائيل فقدت ستة عشر ألف مواطن في حروبها وفي أثناء حديثه قال ان الأرض التي أعطيها لكم فاستوقفه الدكتور مصطفى كمال حلمي رئيس المجلس وقاطعه قائلا ان هذه الأرض التي تقول انكم أعطيتموها لنا هي أرضنا وقد بدلنا نحن في سبيلها مائة ألف شهيد لا ستة عشر ، ونحن مستعدون أن نبذل مائة ألف أخرى في سبيل أي بوصة من أرض مصر . فاستخزي المتحدث وقال واخذ منهم آخر موجه الكلام لي انك تقول ان أي دولة في العالم لا تستطيع أن تستمر في الحرب مدة ثلاث وأربعين سنة وهذا صحيح ولكن من السبب في أن تظل إسرائيل في حرب لمدة ثلاث وأربعين سنة ؟

ت له فى هدوء ودون انفعال : أرجو أن تذكروا أن هذه الأرض التى
حونها إسرائيل اليوم كان اسمها فلسطين فى عام ١٩٧٤ فلم يجدوا
ة يردون بها على ما قلت ..

وها هى ذى فلسطين اليوم تفاوض إسرائيل فلنعله الى اذاعه لندن
هى فاعلة ازاء هذه المفاوضات .. اما حال أن تساندها وتؤيده
وصات فى سبيل السلام ولا تحاول أن تظل على موقعها بالمعادى
لام .. فقد ثبت على مر الأيام أن المفاوضات هى الوسيلة المثلى لانهاء
إع بين العرب وإسرائيل فهل حان لاذاعة لندن العربية أن تذكر الجهود
به المباركة التى قام بها حسنى مبارك للوصول الى هذه المفاوضات
به تجرى اليوم أم تراها ستتهافت مع الهاتفين بالحرب والدمار .. مع أن
ه الهاتفين يعلمون انه لا سبيل امامنا الى السلام الا بالتفاوض ..
ن يبدون أن بعض الناس يحبون أن يسمعون أصوات أنفسهم وهم
ون مهما يظل بهم هذا الهاتف ومهما يكن الطريق امام هتافهم فراغا
عدوى منه ..

أن إسرائيل تعلم حق العلم وهى جالسة اليوم على مائدة التفاوض
ستكسب من السلام مكاسب هائلة ومهما يحاول قادتها أن يتظاهرون
شنع والتعصب ، فهذه الحقيقة لا شك فيها يعلمها كل مواطن فى
ائيل .. وأعظم دليل عليها هذه المظاهرات الضخمة التى سارت فى
ائيل تطالب شامير أن يخفف من غلوائه وغلظته القاسية فى هذه
وضات ..

فيا اذاعة لندن العربية .. عودي الى رشد من الأمر .. وأنتم أيها
رفون عليها أدعوا الله معنا أن يكلاً هذه المفاوضات بالنجاح والتوفيق
ود السلام منطقتنا بعد أن أحاطت بها الأهوال السنوات الطوال ...
ه هو السلام ومنه السلام واليه السلام ... والسلام عليكم ورحمة
...

١٩٩١/١١/٤ الأهرام

ابواب التساريخ شتى

فى الانسبوع الماضى كان عيد الميلاد الرابع لحفيدتى ياسمين وذهبت ابنتى - عمته تشتري لها « لعبة » وجاءت ابنتى الى ومعها اللعبة ومعها أيضا ثورة عارمة مما رأت فى دكان اللعب وحين التقطت ابنتى أنفاسها قالت لى انها وجدت هناك لعبة لأطفال فى الرابعة أو الخامسة من اعمارهم ثمنا اربعة آلاف جنيه . نعم ان الرقم الذى نقرؤه صحيح ، انه أربعة آلاف جنيه ثمنا للعبة أطفال أغلب الامر أن تتحطم فى ساعات فان حالها الحظ فقد يطول عمرها بضعة أيام . تولانى حزن شديد أن يواجه العالم وليس مصر وحدها هذا الجنون الفاجر !

ان التاجر الذى اشترى هذه اللعبة يعلم علم اليقين انه سيجده من يشتريها والا لما حبس ماله فيها فالتاجر أدرى الناس بما يعرض وما لا يعرض فى دكانه .

ان الذين ينفقون الأموال بهذا السفه مجرمون فى حق أنفسهم وحق مواطنيهم وحق أوطانهم وحق البشرية جمعاء ، ويجرمون أعظم ما يجرمون فى حق دينهم ان كان لهم دين .

وحين يقول سبحانه جل علاه : « المبذرين كانوا اخوان الشياطين » يجعل منهم لامجرد فاسدين فسقة فجرة وانما يجعل منهم دعاة فساد وفسق وفجور فانهم اخوان الشياطين .

بمثل هذا تنهار الدول وتثور الأحقاد فى نفوس الناس وتندهور الأخلاق ويتهشم الاقتصاد ويعم الخراب .

وفى أشبه هذا تبذدت أموال عربية ومصرية جعلت العالم أجمعه يسخر منا ومن أوجه الانفاق التى يختارها أثرياء المنطقة . وهى أوجه تدعو الى الخزى والخبيل مما يجعلنا ننكس رؤوسنا أمام العالم ونغض الجباه . وقبله تكدست الأموال فى مصر فى يدي أقوام لا يدفعون عنها ضرائب لأنها ناتجة فى الخفاء من كل المظان غير المشروعة ، فهى أما أن تكون وليدة سرقة أو نصب أو احتيال أو اختلاس من الدولة حكومة كانت

أو كانت قطاعا عاما أو تكون نتاج تجارة دنسه في المجدرات أو الرفيق الأبيض أو مصدرها رشاوى حقيرة لذوى سلطان تعفنت ضمائرهم ونجلت أو لم توجد لهم ضمائر منذ خلقهم الأول .

وهكذا توجه هذه اللعبة ذات الآلاف الأربعة ليشتريها أمثال هؤلاء الذين اهتملوا الأموال من أحقر المصادر وأخسها وأشدّها دناءة وحقارة .

أو تكون أموالا لم يبذل أصحابها في سبيل الحصول عليها أي جهد وإنما وجدوا أنفسهم أثرياء دون أن يعرفوا لثرائهم سببا من سعى سعوم هم أو نهض به آباؤهم من قبل وإنما انسكب عليهم من حيث لا يحتسبون .

ومنذ سنوات كتبت قصة العربي الذي كان بفندق نزلت فيه بلندن وروى لي نائب مدير الفندق انه فوجيء بأحد زبائنه من دول البترول يعطيه شيكا بعشرة آلاف جنيه استرليني وهو ما يساوي خمسين ألف جنيه مصرى تقريبا ، وطلب اليه أن يصرفها جميعها من البنك بعملة من ذات الجنيه الواحد - الاسترليني طبعاً - .

وتصور الراوى ان الرجل يريد أن يهب المنح لمن يقومون بالعمل في الفندق . فسعى لدى البنك حتى استطاع البنك أن يوفر له المبلغ الضخم بعملة كلها من ذات الجنيه الواحد ، ويقول الراوى انه اتصل بصاحب الشيك وأخبره ان المبلغ موجود بالصورة التي طلبها فطلب اليه أن يصعد اليه به فحمل المبلغ في صندوق وساعده أحد معاونيه في حمل الصندوق الذي يحوى المبلغ وصعدا الى صاحب الشيك في حجرته فطلب اليه أن يصرف معاونته ويجلس هو وفعل فحين استقر به المجلس قال صاحب الشيك وكان معه صديق له :

- اتفقت أنا وصديقي أن نشرب معا أغلى فنجان قهوة عرفه التاريخ . . . وذهل الراوى ولم يصدق ما يسمح وسأل :

- ماذا ؟

واستمر صاحب الشيك في حديثه . . .

- سوف نضع فنجان قهوة على أوراق البنكنوت ونشعل هذه الجنيهاات جنيها بعد جنيه حتى تصبح القهوة صالحة للشرب .

وفي غمرة الأسى والحزن التى استولت على نائب مدير الفندق راح صاحب المال يحرق الجنيهاات تحت اناء القهوة واحدا اثر الآخر . .

أذكرتني اللعبة ذات الآلاف الاربعة بقصه حرق الأموال هذه التي
كنت روايتها منذ سنوات بالاهرام فوحدك ما وجدت فارقا بين جنون
حارق الجنيهاات وبين مشترى هذه اللعبة كلاهما أحرق مافون وحارق
الجنيهاات أراد أن يدخل التاريخ بأنه شرب أغلى فنجان قهوة فليدخل النار
اذن وليتخطفه الجحيم وبئس المصير ..

وكما أن أسفار التاريخ تحوى بين دفتيها العظماء والأدباء والفنانين،
فهى تحوى أيضا القتلة والمجرمين والطغاة فليدخل هؤلاء المبذرون التاريخ
إذا شاءوا ولكنهم يخلونهم من أخط أبواب وأسفلها وأهونها على الله
والناس قيمة ومكانا ..

وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

الأهرام ١٩٩١/١١/١١

أحمل قدرى

الله وحده يعلم كم ترددت ان أكتب هذا المقال عن السينما المصرية
فى أيامنا هذه فقد أصبحت أعتقد ان الكتابة عن سينما اليوم مهانة للمقلم
ومضيعة للوقت وامتهان لشرف الكلمة .

فقد بلغت السينما حضيضا هى فيه متفردة غير مسبوقه فلو ان هناك
جائزة للسفول والانحطاط والكذب والتشويه والعبث الوضعيى وقلب
الحقائق وإفشاء الفساد والتغنى بالفسوق لكانت السينما فى أيامنا هذه
هى أولى الفنون بالحصول على تلك الجائزة .

لست أدري ماذا يريدون ان يصنعوا بمصر وبتاريخها وبكرامتها
وبعراقتها وقيمها الدينية والانسانية .

وما أدري لماذا يتأمررون على مستقبل أبنائنا وعلى سمعة حاضرننا
ولا لماذا يسحقون الأمل فى نفوسنا والصدق فى حياتنا والشرف فى
أخلاقنا .

ما هذا الهوان البعيد الذى تتردى اليه أفلامنا السينمائية أو عروضنا
المسرحية . وقد كنا من قبل نفاخر بأفلامنا وبمسرحنا على السواء الا أننى
لا أريد ان أتناول أمر عروضنا المسرحية فهى فى ذاتها كارثة من أعظم
الكوارث لا تصلح معها الكتابة العارضة ولا الاشارة العابرة .

لقد أخذت نفسى منذ سنوات الا أذهب الى دور السينما حماية لنفسى
من الكآبة وسوء المصير . ولكن جزى الله الذى اخترع الفيديو شر الجزاء
فقد اقتحم بأفلامه بيتى وأصبحت أواجهه فى عقر دارى . وليس لى منه
مهرب ألوذ به ولا محيد لى من مشاهدته فأنا رجل لى أعمالى الروائية
ومنتسب - شئت أم أبيت - الى ثقافة مصر ولا يستطيع من هو فى مثل
حالى ان يتجاهل الى أى حضيض تدهورت سمعة الثقافة فى بلاده .

محتم على أذن أن أشاهد هذه الأفلام وأحمل قدرى على كتفى وأتابع
الانهيار الوبائى المتلاحق السريع كأنه ريح عاصفة الذى أصاب الثقافة فى
مصر ممثلة فى أفلامها السينمائية وفى غيرها .

وما أحسب أن لجوء السينما الى قصص كبار الكتاب يصلح ما فسد
وتعفن من صناعة السينما وأقرب دليل على ذلك أننى شاهدت منذ فترة
ليست بعيدة فيلما مأخوذاً عن رواية من رواياتى فأقسم غير حائث أننى
لولا أننى شاهدت اسمى مكتوباً على الشاشة فى مقدمة الفيلم ما عرفت
أننى صاحب هذه الرواية التى كتبتها بسمى وأعصابى وخبرتى وحسبى الله
ونهم الوكيل .

وما حدث لى حدث لعميد الرواية المصرية نجيب محفوظ فى فيلم
شاهدته منذ قريب لقصة أعرفها له وأقدرها وأجلها وتقديرها واجلالاً
يخالط نفسى لكل أعمال عميدنا العظيم .

ولعلك سائل نفسك أو سائلى ما الذى جعلك اليوم تتناول هذا
الموضوع والانهيار العاصف يطيح بالسينما منذ سنوات .

لقد شاهدت منذ أيام فيلماً لن أذكر اسمه تعففاً منى أن يخط قلمى
اسمه وحفاظاً على كرامة القارئ أن يقرأ الاسم فى مقال لى .

ومن عجب - ولو أنه لم يصبح فى دنيا السينما عجب - أن الممثلين
فى هذا الفيلم من أكبر الممثلين فى الشرق ونستطيع أن نفاخر بهم . كبار
الممثلين فى العالم أجمع .

فانه مما يثير الحزن والأسى واللوعة فى نفوسنا أن الممثلين المصريين
يقفون بفتنهم مع أعظم الممثلين فى العالم فكيف يسوغ لهؤلاء العمالقة أن
يشتركوا فى أعمال على هذا الحال من الهبوط والانهيار والتخلف والكذب
على الله وعلى الحق .

ربما كان المال ؟! فانهم أن أبوا أن يعملوا فى هذه الأفلام لن يجدوا
أفلاماً تليق بفتنهم الرفيع وما يلبثون أن ينضب رزقهم .

ولكن الذى أعرفه أن لديهم من الأموال ما تعيا عن تبديده السنوات
الطوال ولا أبالغ أن قلت ما لا تفتيه القرون .

أ يكون هذا الذى يفعلون حرصا منهم ألا يبعدوا عن الميدان ولكن
ألا يعلمون أنه خير لهم ألف مرة أن يبتعدوا عن الميدان إذا كان الميدان
على هذه الدرجة من الحقارة الموبوءة التى تشين كل من يعمل فيه .

أما هذا الفيلم الذى أثارنى فهو عمل يصيبه مصر فى صميم ما تعترض به
اليوم من حرية ومن صون لكرامة الإنسان فيها فهو يصور مصر دولة
بلا حرية . ورجال الأمن فيها ينتهكون الحرمات بالتسمع والتجسس
بالصوت والصورة معا ويعيد مصر الى أيام الاعتداء على الكرامات والأعراض
والأموال وكل المقدسات الانسانية التى تنادى بها الأديان .

ولم يقف الأمر بهم عند ذلك بل لجأ الفيلم الى الجنس بطريقة
بالغة الهوان والكذب فى وقت معا وحسى أن أذكر أن بالفيلم موقفا يصور
شابا وفتاة يرتكبان الفاحشة فى غرفة ضابط المخابرات فى مكان عمله
وعلى مكتبه والضباط الآخرون يراقبون الخنا بشاشات التلفزيون وإذا كنا
غضبنا من أعداء مصر أنهم يشومون عزتها وآباءها وكرامتها فماذا نحن
قائلون عن المصريين - أن كانوا مصريين حقا - وهم يسفلون بمصر الى هذا
الحضيض .

أن الأفلام المصرية السينمائية تنتقل فى بلدان العالم وتشاهدها
ال جماهير الغفيرة فى أرجاء الدنيا . فهل هذا الذى يفعلون بمصر هو
الذى يليق بمصر أن تقدمه الى الانسانية .

بلغت الثورة فى نفسى كل مبلغ وطلبت الأستاذ مدير الرقابة أسأله
كيف سمحت الرقابة أن تضيع هذا الفساد على الناس فأقسم أنه حاول
أن يحذف كثيرا من المشاهد ولكنه لم يستطع وأنه ليس المسئول عن اشاعة
الفاحشة فى أفلامنا .

فمن المسئول إذن . والى من نتجه . وإذا كانت الرقابة لا تتدخل
فى رأى السياسى أفلا تتدخل أيضا فى تحطيم القيم الدينية والخلقية .
فما الداعى لوجودها إذن . ولماذا لا تلغى ونوفر على الدولة ما تستفيد
من أموال .

أنهم فى فرنسا أوقفوا الاعانة عن أفلام الجنس . فإذا كانت فرنسا
ترفض الأفلام التى تدعو الى هذا الفسق والفجور . أفنبهجها نحن .

اللهم يا ذا الجلال والاكرام يا من فضلت الانسان على كثير من
مخلوقاتك ارفع عنا غضبك واشملنا بكريم رعايتك وأنقذ كنانتك مما ينافي
كتبك المقدسة .

انك وحدك المجير ولا مجير سواك من قوم ماواهم جهنم وبئس المصير
كلما نضجت جلودهم أبدلتهم جلودا غيرها حتى لا يموتوا فيها ولا يحيوا
ضل سبيلهم وخاب سعيهم فأنقذنا منهم يا ذا الجلال والاكرام انك سميع
قريب .

الأهرام ١٩٩١/١١/١٨

القانون المحتضر

• بحثت عن قانون اسمه « من أين لك هذا ؟ » فلم أجده ولكنى وجدت قانونا يحمل رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٥ وعنوانه الكسب غير المشروع •

وقد قرأت القانون وأستطيع ان أحمله لك دون داع الى تقديم مواده بالتفصيل فلست عالما قانونيا وان كنت أحمل ليسانس حقوق الا أننى لم أعمل بالمحاماه الا ثمانى سنوات كافت سنوات عجافا ولم أكسب من المحاماه الا خمسين جنيها على طول الاعوام الثمانية •

يذكر القانون فى مواده الأولى الخاضعين له وهم كثيرون ، منهم القائمون بأعباء السلطة العامة والعاملون بالجهاز الادارى للدولة وأعضاء مجلس الشعب والمجالس الشعبية المحلية وغيرهم ممن لهم صفة نيابية سواء كانوا منتخبين أو معينين وبهذا النص خضع للقانون أعضاء مجلس الشورى رغم ان المجلس لم يكن قائما حين صدور القانون ويمتد القانون فيشمل أعضاء مجالس الادارة والعاملين بالهيئات العامة والمؤسسات وأعضاء مجلس الادارة والعاملين بالشركات أو الهيئات العامة أو المؤسسات أو الوحدات الاقتصادية التى تساهم الحكومة فى رأس مالها ورؤساء وأعضاء مجالس ادارة النقابات المهنية أو الاتحادات العمالية ولم يكتف القانون بهؤلاء بل أجاز لرئيس الجمهورية ان يضيف الى هؤلاء فئات أخرى بناء على اقتراح من وزير العدل اذا اقتضت ذلك طبيعة العمل •

ويمضى القانون بعد ذلك فيذكر العقوبات التى تقع على من يدلس فى المعلومات المقدمة منه وهى عقوبات تتأرجح بين الحبس والغرامة أو كليهما والجزاءات هيئة والغرامات بمعايير السنوات الأخيرة التى نعيشها ضئيلة القيمة •

ان هذا القانون بوضعه الحالى يجعل اللص المغفل وحده هو الذى يتع تحت طائلته والأغلبية الكاثرة بل أكاد أقول ان جميع اللصوص خبثاء لهم قدرات متفاوتة على النصب والتحايل • فالذى يسرق هو بطبيعته

بغير ضمير والذي لاضمير له كذاب بتكوينه ، و اقرار الكذاب مثله لا صدق فيه ولا حقيقة .

ولهذا ولد هذا القانون شبه ميت حتى اننا سمعنا - ولست أدري ان كان هذا حقا أو على سبيل التفكه والتندر - ان القانون لم يطبق الا على قلة نادرة من بينها حاضنة مولدة تعمل بالحكومة وبنيت لنفسها بإحدى القرى بيتا من اللبن وقدمت للمساءلة من أين لها بتكاليف بناء هذا البيت ؟

وفى الحكم الشمولى كانت السرقة مقصورة على دهاقين الحكم وأعمدته وكبار الوزراء فيه وليس كل الوزراء وسمعنا فى هذه الأيام السود عن الحسابات فى سويسرا وغيرها وسمعنا عن حقائب الذهب وسمعنا حين أريد لنا ان نسمع عن السجاد والفراء القادم من روسيا .

وكان الحكم يختار لنا ما يريد ان نسمعه ويحجب عنا ما لا يريد ان يقال .

حتى اذا سطعت الحرية على بلادنا وصحافتنا ذاع ما كان سرا وشاع ما كان خفيا من قديم وحديث . وأصبحنا نقرأ فى كل يوم عن سرقات واختلاسات فالصحافة الحرة وراء كل اللصوص وهم كثيرة فالسرقة لم تصبح مؤمنة بل انها أصبحت حلا مغتصبا للجميع بلا تفرقة وهكذا أصبح وجود المدعى الاشتراكى حتميا لمواجهة جيوش اللصوص الذين ينتهبون أموال الدولة حكومة كانت أو كانت قطاعا خاصا .

وعودة الى هذا القانون الذى ولد وهو محضر . . أليس من الطبيعى ان نقدم مع اقرارات الذمة التى توقع عليها فى كل عام ما يثبت صحة البيانات التى أوردناها فى الاقرار التى لا تدل على شئ والتى نقوم بتقديمها كعمل روتينى . ان هذه الفئات الضخمة لو علمت انها مطالبة برفاق ما يثبت صحة ما تدعيه فى اقرارات الذمة لأصبح فى الأمر من الجديد ما يجعل لهذه الاقرارات قيمة .

وليس هذا اجراء غريبا فنحن الكتاب نقدم للضرائب فى كل عام شهادات رسمية بما نحصل عليه من أموال أثناء العام من الاذاعة والتليفزيون وغيرها من الجهات التى نتعامل معها .

ان هذا القانون المسخ الذى لانجد له أى أثر فى حياتنا جديد -
إذا اهتم به المشرع - ان يصبح قانونا ذا فاعلية •

ولعل هذا القانون اذا شفى من مرضه يصبح سيفا مسلطا على السارق
والناهب والمختلس والمغتصب والمحتال وتاجر المحرمات اذا كان من الذين
يعملون فى الحياة العامة ولعله أيضا اذا استقام ان يرد عادية الشائعات
الحقيرة عن الشرفاء • فالشرف سمعة وأخشى ان تكون الشائعات أسلحة
قتل لقوم لا ذنب لهم الا أنهم شرفاء •

فالشريف بين اللصوص مرفوض وسيحاربه جميع اللصوص بكل
سلاح دون ان يراعوا فى حريهم حرمة ولا ضميرا ولا كرامة ومن أين
للصوص اتقاء لحرمة ومن أين لهم ضمير أو كرامة •

اللهم قنا شر أنفسنا واحفظنا • • اللهم ممن لا يخافك ولا يخشاك انك
أنت وحدك الذى تحمى الشرفاء منا وتسرده عنهم عادية من لا يراعى لك
ولا ذمة سبحانك اللهم تقدست أسماؤك يارب العالمين •

الأهرام ١٩٩١/١١/٢٥

حى بلا حياة

اسم يلح على حياتنا وعلى أسماعنا وأذاننا فيثير فى النفوس الأسى والحزن والألم ، ذلك الأسى الذى يخالج نفوسنا كلما تذكرنا حبيباً طواه الردى وحجبه عنا الحدثان وباعدت بيننا وبينه صروف الزمان .

والموت نهاية كل حى ، فياليت الذى يحمل هذا الاسم انتقل الى حيث سبقه أبناء الزمان من عهد آدم الى يومنا هذا .

ولكن العزيز الذى أعنيه لا هو حى فيرجى ولا هو ميت فنحتسب فيه الله ولكنه مازال على قيد حياة ولكن أى حياة انها حياة الموت خير منها ألف مرة والموت أكرم وأكثر حياة من الحياة التى يعيشها اليوم بيننا .

أحسبك عرفت الآن ما هذا الذى لا أنا بقادر على الحديث عنه حديث من مازاله يحيا ولا أنا مستطيع الحديث حديثى عن عزيز مات فنترحم عليه ونقمع الأسى فى نفوسنا ونرد قلوبنا الى الصبر ان كان الى صبر من سبيل .

أحسبك عرفت الآن ذلك الكيان الذى مات وهو حى والذى لا هو غائب ولا هو حاضر . وأحسبك عرفت اسمه وتحار حيرتى فى شأنه .

لا أطيل عليك أكثر مما أطلت .

انه ذلك العلاق الذى عرفته مصر عملاقا فصار أكثر ضالة من قزم وأشد حقايرة من عدم .

انه المسرح .

والله وحده يعلم قدر ما انتابنى من حزن عميق وألم صارخ وشقاء أخذ وأنا أخط هذا الاسم وأكتب عنه .

وكم حاولت أن أرد نفسى عن ذكر هذه الكارثة التى تمنىها اليوم
والتى تسمى من الدولة ومن خلق الله بالمرح •

ولكنى كتبت عن السينما وتحملت ما تحمّلته من عنّت وعذاب
وأنا أكتب عن السينما والعياذ بالله •

فلتتكسر النصال على النصال ولاكتب عن المسرح وقد أصبح كيانا
أبخس هوانا من السينما وأكثر منها هزالا وأحط منها هزلا •

قد تنبت خطأ مسرحية فى كل عام أو كل عامين تذكرنا ان المسرح
لم يمت ولكن ما مسرحية فى كل عام أو عامين ، ماذا تغنى هذه التنبئة
الوحيدة فى حقل المسرح الواسع العريض انها تضيع كسراب بقية يحسبه
الظمان ماء ثم ما يلبث اذا أمه ان يجده لا يغنى شيئا ولا هو بذى قيمة تبل
العطش أو تشفى اللهاث •

ولا فارق ثمة بين مسرح الدولة ولا المسرح الخاص • المسرح جميعه
انحدر الى هوة عميقة مالها من قرار •

أين هذا مما كان عليه المسرح وأين نحن من الفسقة القومية التى
بدأت حياتها برواية منشئ المسرح العربى توفيق الحكيم « أهل الكهف » ؟ •

أين هذا المسرح الذى شهد روائع شوقى وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم
وعلى أحمد باكثير وسعد وهبة وغيرهم •• وان غيرهم لكثير •

إذا كان المسرح قد أفلس فلماذا لايعيد الى الحياة مسرحيات هؤلاء
الهمالقة والمسرحيات العالمية الأخرى التى نالت الاعجاب والاكبار من
جماهير المشاهدين •

كنا حين نذهب الى المسرح تخفق قلوبنا فرحا ان سنستمتع بالفن
الرفيع الشريف النبيل من ممثلين هم فى القمة ونص رائع واخراج واع
عميق الفهم لما يقدمه الى الناس •

أين مسرح الريحاني الذى كنا نشاهد مسرحياته عشرات المرات
ونضحك كما لا يضحكنا شيء فى الحياة وكاننا نشاهد المسرحية لأول مرة
كان الممثلون فى مسرح الريحاني يحترمون الجمهور فبحترهم الجمهور وقد

شهدت كل مسرحياته أكثر من مرة فلم أسمع فى يوم من أيام هذه المشاهدة تعليقاً واحداً مرتفع الصوت من الجمهور ولا خرج ممثل واحد عن النص وقد كنا نكاد نحفظ النصوص من كثرة ما شاهدناها .

أين هذا من مسرح اليوم الذى أصبح أشبه ما يكون ببؤرة مخدرات ، أعيد السيرك ان أشبهه بالسيرك بل هو أشد حقارة من كباريه المخمورين السكارى ساقطى الكرامة .

ولا يقولن أحد ان الجماهير هى التى تحدد للمسرح مساره . الحقيقة ان المسرح هو الذى يكون جمهوره .

ومسرح اليوم بانهاره الفادح هو الذى يستجلب الجمهور الذى يرضى عن التقافز والبذاءة ومداعبة أحط مالى الانسانية من غرائز .

وهو الذى يسمح للجمهور ان يبادل الحوارات الرخيصة وهو الذى يجعل الممثل يؤلف مسرحية أخرى من عندياته على المسرح مما يجعل الكتاب الشرفاء والممثلين الكبار يعفون بأقلامهم وقيمتهم ان يشاركوا فى هذه المسرحيات .

وكل الممثلين يغنون غناء النواح خير منه لأن للنواح معنى على الأقل يرقصون وأى رقص انه رقص لا حياة فيه ولا احترام لأسمائهم أو لماضيهم أو للناس .

وكل الممثلين يغنون غناء النواح خير منه لأن للنواح معنى على الأقل فى حين غناؤهم بلا معنى ولا طرب ولا نعمة .

سلام على المسرح فى حياته التى لا حياة فيها وسلام عليه محتضراً لايموت ولا يحيا .

والأمر لله من قبل ومن بعد .

١٩٩١/١٢/٣ الأهرام

الشرف سمعه

الشرف سمعة وتتكون سمعة الانسان من مجموع تصرفاته الصغيرة والكبيرة على السواء . أما المجرمون الذين صدرت ضدهم أحكام من المحاكم فلا شرف لهم . وسمعتهم لا تحتاج فى تكوينها الى تصرفات . انهم مجرمون دمعهم القضاء بحكمه .

انما الخطورة فى هؤلاء الذين يشيع من أمورهم ما يحطم الشرف ويجعل الناس تلوك أسماءهم بالتهمة التى لا دليل عليها يدينهم أمام القضاء أولئك يسرون فى الأرض مرحا يريدون ان يخرقوها أو يبلغوا الجبال طولاً مادامت أحكام المحاكم لم تصمم بما يجعل أمرهم لاشك فى انحطاطه ولا شبهة فى سقوطه من صفوف المجتمع السوى الى هوة المجرمين والمنحرفين الذين ضلوا السبيل ومالوا عن الطريق الكريم .

اسم الانسان تتكون سمعته من تصرفاته مع أبناء المجتمع صغارهم وكبارهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « السنة الخلق أقلام الحق » أو كما قال . فالسنة الخلق هى التى تكون سمعة الناس والناس كل الناس لا يجمعون على باطل .

ان كل انسان معرض لكراهية بعض الناس قد يتناولونه بالباطل ولكن تصرفاته فى سائر الأمور وفى معاملة الآخرين ترد عنه الباطل وتنفى الشين والسب والمهانة ان تكون هى سمعته التى أجمع عليها الناس .

هناك تصرفات صغيرة تنبئ عن حقيقة الانسان ومدى ما يتمتع به من مكانة شريفة بين الناس أو مكانة وضيعة عند خلق الله .

ومرة أخرى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « من وضع نفسه فى مواضع الشبهات اتهم ولا أجر له » أو كما قال : فينبغى ان يعرف الانسان كيف يعامل الحياة محافظاً فيها دائماً على كرامته وعلى سمعته ، أعرف أحد الوزراء من وزراء ما قبل الثورة كان يحب ان يلعب النرد ليسل بها نفسه دون مقامرة ، زاره مرة أحد التجار وكنت معه ، وكنت أعرف ان

هذا التاجر ليس بعيدا عن الشبهات ولكنه يجيد لعب النرد اجادة تامة ،
فاقتربت على الوزير ان يلعبه فصمت قليلا ثم قال :

— أنا متعب الآن ولا أريد ان ألعب .

فحين انصرف التاجر سألت الوزير :

— لماذا لم تلعبه ؟

فقال فى ترفع وأمانة :

— أتريدنى ان ألعبه فيروح يذبح بين الناس انه لاعب الوزير فلانا ،
فيتاجر باسمى وينهب الرشاوى من الناس ويوهمهم انه من الواصلين الى
المراكز الكبرى ويلعب الوزير فلانا النرد ؟ ان لم يكن الانسان حصيفا فى
اختيار أصدقائه فليس جديرا ان ينال حسن السمعة بين الناس .

وكان هذا الوزير متواضعا كل التواضع ولم يكن يمانع ان يكون على
أوثق الصلات بأشد الناس فقرا مادام شريفا حسن السمعة . وقد رأيت
يلعب النرد مع اناس أقل شأننا بكثير من هذا التاجر الذى أبى ان
يلعبه .

ومحمد باشا محمود له حكاية معروفة . فقد تصادف حين كان وزيرا
ان كان معه عند انصرافه من الوزارة وكيله الذى يعمل معه . وكان الوقت
شتاء . وكان حاجب الوزير ممسكا بمعطف الوزير ليعينه على لبسه ولكن
وكيل الوزارة أخذ المعطف من الحاجب وقام هو بالباسه للوزير .

ومرت الأيام وكلف محمد محمود باشا بتأليف الوزارة ، وبينما هو
يشاور معاونيه فى شأن اختيار الوزراء الذين سيعملون معه عرض أحدهم
عليه اسم وكيل الوزارة الذى تصدى لالباسه المعطف ، فاذا محمد باشا
يقول فى حسم :

— ان هذا الرجل أخذ معطفى من الحاجب ليساعدنى ان ألبسه ومن
يقوم بأعمال الخدم لا يرقى ان يكون وزيرا .

من مثل هذه القصص تتكون سمعة الانسان مع انها أحداث قليلة
الشأن لاتمثل جرائم أو أعمالا كبرى . ولكن الذى يتصرف تصرفا صغيرا
فى صغار الأمور يكون فى كبارها أشد حقارة .

والرجل الذى يعمل بالحياة العامة مطالب ان يكون واعيا لكل
تصرف يصدر عنه • فان أحدا لا يرى الراشئ والمرشؤ ولكن أمرهما يذيع
حتى لا يبقى أحد يجهل أمرهما •

والفحشاء ترتكب فى الحجرات المغلقة ولكن أمرها مفضوح بين
الناس أجمعين •

وأحسب أنك تذكر تلك القصة التى رويتها لك منذ قليل عن تلك
البيئدة التى لم تكن فى سمعتها بعيدة عن الشبهات وأرادت ان تصافح
محمد محمود باشا فاذا هو يضع يده اليمنى وراء ظهره ويشير بسبابة يده
اليسرى يمنة ويسرة بما يعنى انه لا يقبل مصافحتها •

وأحسب أيضا أنك تذكر ذلك الخطاب الذى جاءنى من أحد القراء
يلومنى فيه اننى ذكرت فى احدى مقالاتى اننى أطفأت سيجارتى فأرسل
الى يقول الا تعرف ان كثيرا من الشباب يحب ان يقلدك وأنت رجل عام
وانك بهذا الذى كتبت قد تغرى الشباب ان يسيروا على نهجك فى
التدخين •

فالرجل العام محاسب كما ترى على السيجارة التى يشبع انه يشربها • •
فما خطبك ان كان يرتكب جرما أو يميل عن الطريق الى فظائع الأمور
ومهاوى الخطيئة •

ان السمعة لاتنشأ من فراغ وما رأينا أحدا ساءت سمعته الا كان له
من سمعته النصيب الأوفر •

اللهم قنا شر أنفسنا وأحسن رأى الناس فينا. انك سميع مجيب •

١٩٩١/١٢/٩ الأهرام

طاهر أبو فاشا

عرفته منذ قرابة خمسين عاما وكنت طفلا وكان يزور والدى ويقرا له شعره وكنت أرى البشر والاعجاب على وجه أبى ولم أكن فى تلك السن أدرك الشعر الذى يلقيه الأستاذ طاهر على والدى فقد كنت طفلا لم أصل إلى العاشرة من عمرى حتى اذا علت بى السن قليلا وبدأت أتذوق الشعر كنت أرى الأستاذ طاهر فى بيتنا وبدأت أسمع منه فكنت أحس فى الاستماع اليه نشوة وأعجابا وتمعنة تزداد كلما ازداد وعيى وحبى للشعر وكان طاهر أبو فاشا من أكثر من عرفت خفة ظل ، وذكاء حديث ، ولباقة تغليق ، ومن الأحداث الطريفة التى سمعتها منه أن أباه تأخر فى ارسال مصروفه اليه وكان يرسل الخطابات الى أبيه يتعجله أن يرسل اليه المال وهو طالب بكلية دار العلوم ولكن أباه لم يسعه فاتفق طاهر مع صديقه المرحوم الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى أن يرسل بريقة الى أبيه يخبره فيها أن طاهرا قد مات وزلزل الأب زلزالا شديدا وجاء مع ولدة طاهر الى القاهرة واستقبلهما الغزالى على باب الشقة وراحت الأم والأب يصيحان أين ولدنا أين طاهر وقادهما الغزالى الى حجرة طاهر الذى كان نائما تحت الغطاء فما أن دخل الوالدان حجرتة حتى قفز من السرير وهو يصرخ لأبيه •

— الا تاتى الا حين أموت •

وأعطاه أبوه ما طلبه من المال وطبعا خسر مصاريف السفر الى جانب ما تجشمه من متاعب فى المجيء من دمياط الى القاهرة •

وقد كان طاهر تخليقا أن يكون أعظم شعراء جيله فصياغته المناسبة الرصينة مع حداثة التعبير والقدرة الفائقة على اختيار الألفاظ الشعرية والتعمق فى اللغة مع الموهبة الباذخة كل ذلك كان جديرا بأن يجعل شعره منتشرا فى العالم العربى كله الا انه لم يكن مكثرا وقد شغلته الاذاعة وما اشتهر به من تمثيليات « ألف ليلة وليلة » عن أن ينصرف الى الشعر ويبدع فيه أكثر مما أبدع وقد سألته فقال أن الاذاعة تجعله مبلول اليد بينما الشعر لا يعود عليه بأى عائد من مال وقلت فى نفسى لعن الله

الفقر والغنى جميعا فقد حرما اللغة العربية من شاعر كان يستطيع ان يثقف وراء شيقى .

ومن أطرف شعر طاهر ذلك الشعر الذى قاله عن صديق له كان يجلس معه فى مقهى كبير بميدان العتبة وأراد صديقه ان يتصرف وكان طاهر يعلم ان صديقه ليس معه أجر تذكرة الترام فعرض عليه خمسة قروش لتذكرة الترام فتأبى صديقه ورفض ولكنه ألح عليه الحاحا شديدا حتى قبل القروش وكتب طاهر فى هذه الواقعة أبيانا من أجمل أبيات الشعر العربى قال فيها وأنا أرويها من الذاكرة .

وكريم تقول حاجته شيئا

ويأبى لسانه ان يقول

مستبد الالباء عوده المجد

وقاضاه ان ينسرى مسؤولا

لا يغيب البخار ثرثرة النهر

بمشد مشى اليها خجولا

ومن النبل ان تعين على النبل

وتحمى طيوفه ان تزولا

ومن معانى الاحسان ان تقبل

الخنسنى حفا بها كريما نبلا

ومن أروع شعره قوله :

ما أشبه الشعاع فى غمرته

بممسك الخنجر من شفرته

بذود بالمقبض غن جوذته

يدمى فلا يدمى سوى راحته

ما أرحم الشعر على قسوته

ومن شعره الفلسفى الرائع قوله ولا أزال أروى من الذاكرة :

هل رأيت الراكض المجنون	يمدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل	ويغيره بنيله
هو منه خطوة	لكنها كالكون كله
هكذا الإنسان فى الدنيا	ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما	زاد إيقانا بجهله

ومن شعره الرائع قصيدته التى أنشدها حين دعاه أحد عظماء زمانه
الى حفل فى بيته لتكريم شاعر كبير نال تكريما يقول فيها ومازلت أروى
من الذاكرة :

لينك وأنت أكرم من دعائى
ومنيك وأنت فنى وافتنائى
وباسمك يا صديقى وهو معنى
بعيد فوق ماتسمو المعانى
أجوب الدهر مخمورا أغنى
وأحدو ونحو ساحتك الأغانى
دعوت ووعكة تمشى بجسمى
فتمخضنى وتوهن من كيانى
ولو انى منعت عليك نفسى
تمرد خاطرى وسعى جنائى
ولو انى طويت على دهرى
ضربت اليه أكباد الزمان
فلأ سقرى اليك ولا التنائى
ولا بعد الزمان ولا المكان

تساوت كلها والحب يدلى
ويبعد في بعيد منك دان
على بكاسة فلدى شعر
أدور به وأسقى من سقاني
على بها وجفت كل كأس
إذا لم تروه مما روانى
ملاحم تسترد من الليالى
ملاح ما طواه الدائران
انى اعتبر هذه القصيدة من أروع ما قيل فى الشعر العربى •

وبعد فلا بد لى فى حديثى عن الشاعر العملاق ان أشكر الأديب
السعودى العظيم الشيخ عبد الحميد مشيخ الذى طبع ديوان طاهر على
نفقته الخاصة وأهداه الى ذويه •

رحم الله طاهرا فى الخالدين وهياً للغة العربية من يت رسم خطاه
ويسير على آثاره انه سميع مجيب •

١٦/١٢/١٩٩١ الأهرام

ارجعوا إذن إلى الحق

أكتب منذ كان عمري ستة عشر عاما وقد دخلت معارك كثيرة أعلم فيها كل العلم ان الذين أهاجمهم سيهاجموننى بكل سلاح وكانت خصومتى أشد ما تكون مع الشيوعيين الذين يرفض مذهبهم فكرة الدين جملة وتفصيلا . وخاصمت بالضراوة ذاتها الارهابيين من مدعى الاسلام الذين عموا عن الآيات المقدسة تنهى عن القتل والتعذيب والظلم وعن الفحشاء والمنكر والبغى وتدعو الى السلام والحب والأخوة وترى الفتنة أشد من القتل . فالاسلام يجعل الحساب لله وحده ولم يعط حق الحساب حتى لنبي الله وسيد البشر صلى الله عليه وسلم . ولو أردت ان أتقصى الآيات التي تقضى بأن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم البلاغ ويكون الحساب لله الواحد العادل لوجدتها في سور الكتاب الكريم كثيرة غزيرة قاطعة في دلالتها .

وقد علمت في أول يوم حاربت فيه الملحدين والارهابيين انهم سيضيقون بهجومى أشد الضيق . وانهم لن يدخروا وسعا في الاساءة الى بكل ما يملكون وما لا يملكون من وسائل .

وكم من خطابات تنذر بالويل والثبور وعظائم الأمور تلقيتها من الجانبين معا . منها ما يهدد بالقتل ومنها ما يهدد بدون ذلك .

وأحمد الله لم يهتز منى قلم ولم انكص عن حربى هذه للطغيان الملحد أو الطغيان الذى يتاجر بالدين ويتخذ منه وقاء له وجنة والدين برىء منهم ومما يكفرون بآياته وسلامه ودأوعى الرحمة التى تشيع فى جنباته جميعا وهل عند الرحمن اسم أحب من الرحمة أفتتح بها كتابه وكتبها على نفسه . وبها نفتتح كل قراءة لآيات المصحف الشريف وبها نبدأ كل عمل نتمنى له النجاح والتوفيق .

أما الشيوعيون فلم يكتفوا بالخطابات يرسلونها الى كلما ظهرت لى مقالة تكشف الحادهم وتدين مذهبهم . ونحمد الله جل جلاله فقد محقت الشيوعية نفسها وانهارت أركانها وتحطمت على رؤوس الذين عاشوا بها ولها والذين يأكلون الأطايب ويشربون أغلى الخمر ويسكنون أعظم الغرف

ويركبون أفخر السيارات من جدواها وأموالها فكلنا يعلم ان الغالبية الكاثرة من الشيوعيين يعيشون وينفقون مما يستلبونه من الجهات التي تحمل لواءهم وتقدم ركبهم شأنهم فى ذلك شأن الارهابيين الذين تجد معهم قوات الأمن العديد من الأموال المصرية والأجنبية على السواء يعجزون عن الإفصاح عن مصادرها وقنواتها •

لم يكتف الشيوعيون معى بالتهديد بل انهم وهم يسيطرون على الاعلام المصرى قرابة أربعين عاما حتى اليوم تزداد سيطرتهم حيناً وتهدأ أحياناً ولكنها تظل سيطرة غالبية فاجرة يحاولون ان يحاربوني بأغفال أسمى دائماً أو يذكره منهم كل غماز هماز لماز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زعيم • وأحمد الله لم يجدوا لى من المثالب الا ما يشرفنى ويجعلهم يبهون بالخزى • وأحمد الله لم تستطع حربهم الضارية هذه ان ترد أدبى عن قراء مصر

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود والعالم العربى وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود أو حقود أو عدو أو ما شئت من هذا الضرب • ولا أكذبك فانى أشعر من تغافلهم بالشرف وأى شرف لى أعظم من ان تمتنع أقلامهم البخيسة عن ذكرى • أما هجومهم على بالغمز والهمز واللمز والنيمة فأشعر معى بالعزة والفخار • وكم تحلقوا حول أفراد منهم ليجعلوا منهم كتاباً ونشروا لهم فى الغرب والشرق وترجموا لهم بمختلف اللغات ولكنهم عجزوا ان يجعلوا منهم كتاباً وكم حاولوا ان يردوا كتاباً عن قرائهم فصاحبهم الفشلس والخذلان وان من لاعدو له لاقية له وأى مجد أعظم من ان يكون عبدوك ملحداً أو طاغية • نحمده سبحانه على ما وهب وعلى ما منع انه تقدست أسماؤه هو الوهاب ذو القوة المتين •

وأراك تسألنى فيم تكتب هذا الذى تكتبه اليوم وانى مجيبك إن شاء الله فقد انتويت على اسم الله ان أهاجمهم مرة أخرى ولو انهم أصبحوا اليوم أهون من الهجوم بعد ان سقطت قلاعهم وأعلنت حصونهم الكبرى افلاس الشيوعية وفشلها الذريع فى مواجهة الحياة •

يجرى هذا العالم الشيوعى أجمع الا مصر فانهم مازالوا بها يطغون على مجلاتها الأدبية وصحفها القومية وغير القومية والصفحات الأدبية والسياسية على حد سواء مع شاشات التلفزيون والإذاعة أيضاً •

وقد طلع علينا أحدهم باعلان أو مانيفستو يعلن قيام يسار جديد وفي اعلانه عن اليسار الجديد اعلان عن فشل اليسار القديم الذى نفق وأندثر ودفن فى بلاد العالم كلها ومازال ذيله تتحرك بقوة فى مصر

وقد جاء فى هذا الاعلان الجديد ان الحزب الجديد يعدل عن سيطرة الطبقة
ويعدل عن مناع الملكية الخاصة ويقبل بين جنبانه المؤمنين غير المطرفين
ويسعى الى افشاء الحرية ويفف ضد الراى الواحد .

الى آخر ما جاء فى المانيفستو من عناصر لا تخرج فى مجموعها عن
هذا المعانى .

ولا اكتمك اننى عجبى كل العجب من هذا الذى يدعو اليه
ويدعون انه يسار جديد ان هذا اليسار الجديد ما هو الا الديمقراطية
القديمة التى ظلوا عمرهم كله يحاربونها فلماذا لاتواتيهم الشجاعة ويعلنون
انضمامهم الى الديمقراطية وحل تجمعانهم وانتهاء أمرهم كما فعل أعضاء
حزبهم فى انجلترا الذين اجتمعوا وأعلنوا حل حزبهم الشيوعى وشربوا
الانخاب بهذه المناسبة وحيأ بعضهم بعضا وانصرفوا .

ولكن متى كان الشيوعيون المصريون صادقين مع أنفسهم أو مع الناس
لقد عاشوا عمرهم كله يخادعون أنفسهم ويضللون الناس عن حقيقتهم .
ومنهم من ادعى انه مؤمن بالله وبرسله وكان الحزب لا يقف موقف العداء
من الأديان ومنهم من يملك الأرض ويحاسب فلاحيه حسابا عسيرا لا يجدونه
عند من كانوا يسمونهم . بالاقطاعين . وكلهم ينادى بالحرية ليقول هو
ما يشاء وفى نفس الوقت يمنع غيره ان يعبر عن رأيه . وكم صاحوا فى
عيد الطغيان . الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب وما كان أعداء
الشعب عندهم حينذاك الا المؤمنون بالله واليوم الآخر والرافضون للظلم
والطغيان .

متى كان الشيوعيون صادقين مع أنفسهم أو مع الناس وقد استطاعوا
فى أحد الأعوام ان يمنعوا الاحتفال بمولد النبى (عليه الصلاة والسلام)
واحتفلوا فى العام نفسه بمولد لينين وادعوا بعد ذلك انهم لا يحاربون
الإديان .

لايقولان لى أحد لقد ماتت الشيوعية ماذا تريد لها أكثر من ذلك
فصحيح انها ماتت فى العالم أجمع ولكنها فى مصر ما زالت تحيا أقوى
ما تكون الحياة . ولن أمسك عن هجومهم حتى يلحق الشيوعيون فى مصر
بالشوعيين فى العالم ويخجلوا من تاريخهم البغيض ويرجعوا الى الحق فان
الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التماذى فى الباطل .

١٩٩١/١٢/٢٣ الأهرام

الجريمة السلبية

من القواعد الدستورية التي يعرفها الجميع انه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص . . وهذه قاعدة لا يله منها والا أصبح الأمر فوضى وأصبح لكل محكمة قانونها الخاص ولكل جماعة دستورهما فتمناع الحياة ويصبح العيش فيها مستحيلا لا يطيقه البشر .

ولكن هذه القاعدة تتصل بأحكام المحاكم وحدها وقد كانوا يقولون لنا في كلية الحقوق ان مواد القانون تنشأ ميتة لا حياة فيها ثم ينفخ فيها الروح ويجعلها ذات وجود وحياة اعمالها واصدار الأحكام تطبيقا لها .

ولكن هناك أنواع من الجريمة تقع في حياتنا ولا تستطيع أن تمتد اليها أيدي القانون الذي يصدر بالتشريع ولا سبيل لطائلة العقوبة أن تمسك بها ، تلك هي الجريمة السلبية وهي جريمة تقع بالامتناع عن أفعال معينة أكثر مما تقع بأعمال ايجابية ولكنها مع ذلك أشد هولا من بعض الأعمال الاجرامية التي تعاقب عليها محاكم الجنايات .

واليك أسوق بعض الأمثلة وفي النفوس ما فيها من أسى ولوعة وحزن وألم . . الطبيب الذي يلجأ اليه مريض على شفا الموت ويحتاج الى عملية عاجلة . وقد تتوقف حياته على بضع دقائق . وقد تكون حياته عماد أسرة بأكملها مكونة من نفوس بشرية عديدة . وقد يكون المريض قد واجه مرضه وهو من المال خاوى الوفاض لا يملك منه ما يواجه به هول المرض ويده الفراسة . فان المرض خبيث مخاتل يصيب الانسان من مأمنه وينقض عليه في كثير من الأحيان بغير انذار للمريض أن يدبر أمره ويسعى سعيه ليكون على أهبة الاستعداد حين يحين الحين ويصبح اجراء الجراحة له أمرا محتوما غير قابل للتأجيل أو لتسويق .

ذلك الطبيب الذي صدرت به هذه الفقرة ألا يكون مجرما قاتلا سفاكا سفاحا حين يمتنع عن اجراء الجراحة الا اذا حصل على أجره .
وويل للمرضى وذويهم مما يقدره مثل هذا الطبيب لنفسه من أجر .

القاتل يقتل فرداً أو اثنين ولكن هذا الطبيب يقتل أسرة بأكملها
لاذنب لها إلا أن المرض قد فاجأ عائلها قبل أن يتهياً للقائه وقبل أن يطمئن
على أسرته حين يلقى هو ربه .

إنها جريمة من أبشع الجرائم وهى جريمة سلبية وليست ايجابية
ولا يستطيع قانون أن يواجهها أو يرتب على مرتكبها عقوبة رادعة له وممانعة
لبغيره أن يقدم على ارتكابها .

وأخرى :

المدرس الذى يتصدى للتدريس دون أن يعد نفسه للتدريس
الاعداد الجدير بمن حمل على كتفيه هذه الأمانة الغالية . وهذه المسئولية
الفادحة وأى أمانة أعظم من أن يتصدى انسان لتعليم جيل وأى مسئولية
أفدح من أن تقيم نسلهم فى مستقبل غدهم أعمدة الوطن وأساسه وأطنايه
وهم الأمل الذى به يعيش آباؤهم وأوطانهم فى وقت معا .

ذلك المدرس الذى يعلم الجهل لتلاميذه أليس سفاحا هو أيضا وهو
يخرب العقول الهلامية التى تبدأ حياتها على يديه . وإذا بدأوا حياتهم
هذه البداية المنهارة فأى غد ينتظرهم . كانت تصل الى وأنا أشرف على
الصفحة الأدبية فى الأهرام خطابات تريد أن تكون مقالات بأقلام مدرسين
للغة العربية . وكم كنت أروع ويتغشاني الدوار وأنا أقرأ فيها أخطاء
املائية . . . أى كارثة . . . أما عن الأخطاء النحوية فحدث عنها ما شئت
أن تتحدث ولا حرج عليك . فهى أكثر من الألفاظ الصحيحة إذا كان
هذا هو علم المدرس فما علم التلميذ أذن أن العدم لن يقدم الا عدما .

أليس هذا المدرس مجرما جديرا بأقصى عقوبة مع كل ظروف
التشديد التى عرفتتها قوانين العالم ؟

إن السارق يسرق بيتا أو بعض مال أو ذهباً أو فضة . فما الخطب
على الذى يسرق عقول أجيال ومستقبل أمم وآمال حياة ؟

ومرة أخرى ذلك الطبيب الذى اكتفى بما تعلمه فى الكلية ولم
يلحق العلم بعد ذلك ولم يقم بما ينبغى عليه من تثقيف نفسه تثقيفا
يتواءم مع مسئوليته فى فحص المريض والتوصل الى مرضه ومعرفة
الدواء المناسب له .

كنت يوما في مجلس الشورى وجاءت الى ابنتي على غير توقع فهي لا تجيء الى في المجلس وأخبرتني أن أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله طلبني في البيت ليخبرني بأنه مريض مرضا شديدا • وروعت وسارعت الى بيت أستاذنا الذي كنت أعتبره بمثابة الأب وكان يتخذ مني ابنا • ووجدته في حالة شديدة من الأعياء ووجدت عنده طبيبا شابا سبقني اليه •

وسألت الطبيب عما يعاينه أستاذنا فقال يعاني شللا رعاشا قالها في هدوء الواصل وطمأنينة العالم •

وكان الدكتور أحمد عبد العزيز اسماعيل هو الذي يعالج أستاذنا الحكيم فبادرت استدعيه وما أسرع ما جاء • • • • • وحين رآه الطبيب الشاب امتقع لونه فأغلب الأمر أنه درس عليه فيمن درس • وتراجع الطبيب الشاب وكشف الدكتور أحمد • ولم يسأل الطبيب الشاب عن تشخيصه وإنما قال في ابتسامة عريضة أنف ألونزا وما هي الا أيام حتى تماثل ستاذنا توفيق الحكيم للشفاء بدواء الأنف ألونزا •

هذا الطبيب الشاب ألا ينبغي أن تصل اليه يد القانون ولكن كيف ؟ • •

ما أظن أن هناك سبيلا الى ذلك الا عقوبة واحدة لا يوقعها القاضي و القانون • وإنما ينبغي وجوبا أن يقع العقاب من المجتمع • • ترى يمكن هذا ؟ • • كم أرجو • • • • • ولكن هيهات !!!

١٩٩١/١٢/٣٠ الأهرام

الفهرس

الموضوع	الصفحة
آدم الجديد	٥
سنة ١٩٨٥	٩٣
سنة ١٩٨٦	٢٠١
سنة ١٩٨٧	٤٢١
سنة ١٩٨٨	٥٥٧
سنة ١٩٨٩	٦٤٣
سنة ١٩٩٠	٦٦٥
سنة ١٩٩١	٦٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٣٣٥٩
ISBN — 977 — 01 — 5595 — 0

٢٠٠٠ قرش

مطابع الهيئة العامة للكتاب